المؤتمر العلمي الدولي الدوري المحكّم الحادي عشر(١١)

يشهد البحث العلمي المعاصر تحولات عميقة فرضتها تعقيدات الواقع وتسارع التغييرات المعرفية والتكنولوجية، الامر الذي جعل من المقاربات الأحادية عاجزة عن الإحاطة الشاملة بالإشكاليات الراهنة. وفي هذا السياق يبرز التكامل المعرفي بو صفه خيارا استراتيجيا ورهانا أساسا لإعادة توجيه مسارات البحث العلمي نحو آفاق أكثر انفتاحا وفاعلية من خلال تجاوز حدود التخصصات الضيقة وبناء جسور تفاعلية بينها. ومن ثم فان رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي تتجلى في القدرة على انتاج معرفة متعددة التخصصات تستند الى تلاقح المفاهيم وتكامل المناهج بما يسهم في تعزيز الابتكار وصناعة التغيير. وانطلاقا من شعار المؤتمر "حين تلتقي التخصصات... يولد الابتكار"، تتأكد الحاجة الى ترسيخ ثقافة علمية جديدة قوامها التعاون المعرفي، وتكامل الرؤى، واستثمار التنوع التخصصي في مواجهة التحديات المعاصرة وصياغة الحلول لتكون أكثر عمقا واستدامة.

يهدف المؤتمر الى استكشاف رهانات البحث العلمي في سياق التكامل المعرفي، من خلال ابراز أهمية تجاوز المقاربات الأحادية وبناء نماذج بحثية متعددة التخصصات قادرة على تفسير الظواهر المعقدة ومعالجتها بفعالية. كما يسعى الى تعزيز ثقافة التعاون العلمي وتبادل الخبرات بين مختلف الحقول المعرفية بما يتيح تلاقح المناهج وتكامل الرؤى ويسهم في انتاج معرفة مبتكرة ذات أثر تطبقي، ويعمل أيضا على تشخيص التحديات التي تعيق تفعيل التكامل المعرفي في البيئات الاكاديمية والبحثية، واقتراح آليات عملية لتجاوزها، فضلا عن دعم الاتجاهات البحثية التي توظف التقنيات الحديثة في خدمة الابتكار وصناعة التغيير. وفي هذا الإطار يطمح المؤتمر الى الاسهام في بناء تصور علمي متجدد يعزز دور البحث العلمي في الاستجابة لقضايا المجتمع وتحقيق التنمية المستدامة.

المشرفون على المؤتمر

البروفيسور محمود الخزاعي، رئيس
The University and Institute of Justice and Wisdom in the United States of America
البروفيسور نشأت مبارك صليوا، رئيس جامعة الحمدانية، العراق

رئيس المؤتمر

البروفيسور خليل شكري هياس، جامعة الحمدانية العراق

رئيسة اللجنة العلمية

البروفيسور زكريا يحيى الجمال، جامعة الحمدانية العراق

رئيس اللجنة التحضيرية

البروفيسور عامر عاشور عبد الله، جامعة الحمدانية العراق

www.uojaw.education
uojaw@uojaw.education
001(313)676-6330

رقم الايداع : ISBN 979-8-9951263-1-7

9 798995 126317

المؤتمر العلمي الدولي الدوري الحادي عشر(١١) نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار حين تلتقي التخصصات... يولد الابتكار

المؤتمر العلمي الدولي الدوري الحادي عشر(١١)، حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي:

نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير

تحت شعار

حين تلتقي التخصصات... يولد الابتكار

من تنظيم

The University and Institute of Justice and Wisdom
in the United States of America

وبالتعاون مع جامعة الحمدانية، العراق

و Elevate human leadership, America

بتاريخ

2026/07/11-10

عنوان الكتاب: كتاب وقائع المؤتمر الدولي الدوري الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار * حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار *

السداسي الثاني 2026

رقم الإيداع ISBN: 979-8-9951263-1-7

الناشر: دار الحكمة للمنشورات الجامعية بالتعاون مع دار الفنون والآداب للنشر

إيميل: uojaw@uojaw.education

هاتف: 001(313)676-6330

المقر: الولايات المتحدة الأمريكية

تصميم: فريق دار الحكمة للمنشورات الجامعية

جميع الحقوق محفوظة للناشر
الآراء الواردة في الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر
يمنع نسخ أو استعمال الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو أية وسيلة نشر أخرى من دون إذن خطي من الناشر

كتاب وقائع المؤتمر الدولي الدوري الحادي عشر (11)

حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي

نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار

* حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ●

2026/07/11-10-09



كتاب وقائع الحاوي عشر (11)

حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي

نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار

* حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار *

2026/07/11-10-09

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

۞المشرفون على المؤتمر۞

البروفيسور محمود الخزاعي، رئيس
The University and Institute of Justice and Wisdom in the United States of A merica
البروفيسور نشأت مبارك صليوا، رئيس جامعة الحمدانية، العراق

۞رئيس المؤتمر العلميّ الدّولي۞

البروفيسور خليل شكري هياس، جامعة الحمدانية العراق

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار

● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-11/07/2026

۞رئيس اللجنة العلمية۞

البروفيسور زكريا يحيى الجمال، جامعة الحمدانية العراق

أ.د/ عمار أحمد الصفار	جامعة الحمدانية، العراق	*ا.د/ عمار باسم صالح	جامعة بغداد، العراق
أ.د. انس محمود خلف	جامعة الحمدانية، العراق	*د. ضياء الموسوي	جامعة العدالة والحكمة أمريكا
أ.د. بسمة محفوظ عبدالله	جامعة الحمدانية، العراق	* د. فاطمة جاسم حسن	جامعة العدالة والحكمة أمريكا
أ.د. بشرى حبيب احمد	جامعة الحمدانية، العراق	د. محمد داود	ايطاليا
أ.د. عباس إبراهيم صابر	جامعة الحمدانية، العراق	*د. نجاة فرادي	جامعة العدالة والحكمة أمريكا
أ.د. مالك حسين خضر	جامعة الحمدانية، العراق	*د. يوسف محمد فالح بني يونس	أمريكا
أ.د. نورس يونس عناد	جامعة الحمدانية، العراق	*د. فاطمة ريشوني	جامعة العدالة والحكمة أمريكا
أ.د/ قبوب لخضر سليم	الجزائر	*د. ساته نجيم	الجزائر
*أ.م.د محمود حسن زغير	وزارة التربية العراق	*د. مليكة صالح	الجزائر
ا.م.د جليلة مارزينا افرام	جامعة الحمدانية، العراق	* د. بعارسية صباح	الجزائر
ا.م.د عدنان هادي موسى	جامعة الحمدانية، العراق	* فرقد الفتلاوي	جامعة العدالة والحكمة أمريكا
ا.م.د. احمد عناد جرجيس	جامعة الحمدانية، العراق	*د. سامية غشّير	الجزائر
ا.م.د. اسعد مقداد حسن	جامعة الحمدانية، العراق	*د. نغم السامري	جامعة العدالة والحكمة أمريكا
ا.م.د. افتخار مطر باقر	جامعة الحمدانية، العراق	*د. فاطمة الزهراء حاج صابري	الجزائر
ا.م.د. جاسم عباس محسن	جامعة الحمدانية، العراق	* د. رقية عبد الصمد	الجزائر
ا.م.د. رياض مبارك عبدالله	جامعة الحمدانية، العراق	* د. محمد امشيش	جامعة عبد المالك السعدي/المغرب
ا.م.د. ستيفان ججو مارزينا	جامعة الحمدانية، العراق	* د. مريم أسية حيدور	الجزائر
ا.م.د. طارق زياد محمد	جامعة الحمدانية، العراق	* د.حنان بعجي	الجزائر
ا.م.د. مثنى سعد ياسين	جامعة الحمدانية، العراق	* د. عبد الرحمان برادي	الجزائر
ا.م.د. محمد عبدالقادر	جامعة الحمدانية، العراق	*د. عائشة محمد علي الغويل	ليبيا

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار

● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-11/07/2026

ا.م.د. محمد علي محمد سليمان	جامعة الحمدانية، العراق	*د. آمال بن الطاهر	المغرب
ا.م.د. هلال محمد جهاد	جامعة الحمدانية، العراق	* م. د. ميساء حسن علي	جامعة البصرة، العراق
ا.م.د. ياسر سبهان	جامعة الحمدانية، العراق	*م. م نور جمال طالب	جامعة بابل، العراق
*م.د احمد فرحان مشعان	جامعة الموصل- العراق	م.م. ليلاف دشوار محمد	جامعة الموصل العراق
*م.د. أحمد حيدر علي العبادي	وزارة التربية العراق	*م.م إيمان علي ناصر لعيبي	الجامعة المستنصرية، العراق
*م.د الاء حسين محمد الخفاجي	جامعة كربلاء، العراق	م.م علي خليل عبدالكاظم	جامعة المثنى العراق
*د. بابه عائشة	الجزائر	* م.م مصطفى احمد عبيد	جامعة بغداد، العراق
* إسراء محمد معين	الجامعة العراقية	* م.د. أحمد زهير عبد الأمير السلطاني	وزارة التربية العراق
*د. نوال مبتوش،	جامعة الجزائر3- الجزائر	*د. آلاء ميسر صادق	جامعة نينوى، العراق
*أ.م.د أديان عبد المنعم محمد	المديرية العامة للتربية، بابل، العراق	* م. د علاء حسين علي احمد العبيدي	المديرية العامة للتربية، العراق
*د/ خالدة حاتم علوان عباس الدليمي	الجامعة العراقية	* د. سليمة صوشي	جامعة المسيلة، الجزائر
* د. بن عودة صليحة	الجزائر	*. د يونس طالب شهاب حميد الجبوري	وزارة التربية العراق
* م.د استبرق داود سالم	وزارة التربية العراق	*أ.م.د صلاح الدين نامق الراوي	جامعة كوكوك، العراق
* د. سمية حجاب	جامعة سطيف2، الجزائر	* د. رضا محمود منقارى	الجامعة اللبنانية
* م.د.هيلة سلطان مجي	الكلية التربوية المفتوحة/مركز كركوك- العراق	* م.د حسن عبود معروف	جامعة المعقل، العراق
* م.د كرار غازي زيدان،	الجامعة التقنية الجنوبية، البصرة، العراق	* أ.م.د. ساهرة حسين محمود	جامعة البصرة، العراق
* د. ايمان بوقطوشة	جامعة قسنطينة2 ، الجزائر	* د. سليمة حداد	جامعة سطيف 2 – الجزائر

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار

● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

۞رئيس اللجنة التحضيرية۞

البروفيسور عامر عاشور عبد الله، جامعة الحمدانية العراق

أ.م. محمد علاءالدين	جامعة الحمدانية، العراق	*م.م. رحيق عيسى محمد	جامعة كركوك، العراق
م. استبرق علي حميد	جامعة الحمدانية، العراق	*م. ضحى وتوت	جامعة العدالة والجكمة، امريكا
م.د. ابراهيم ياسين حسن	جامعة الحمدانية، العراق	م.م. ايمن رحمان عبدالكريم	جامعة الحمدانية، العراق
* م.د. ساجدة علاي داود	جامعة بغداد العراق	*م. سوزان سمحات	جامعة العدالة والجكمة، امريكا
م.د. احمد محمد علي	جامعة الحمدانية، العراق	*م.م. علي عبيس حسين علي العبودي	جامعة بابل، العراق
* م.د معن حسن محمود	جامعة كوكوك، العراق	*م. أحلام الحطاب	جامعة العدالة والجكمة، امريكا
م.د. شذى سعدي جمعة	جامعة الحمدانية، العراق	م.م. إبراهيم احمد جرجيس	جامعة الحمدانية، العراق
* م.د محمد قاسم محمد	جامعة كوكوك، العراق	*م. نعم زلزلة	جامعة العدالة والجكمة، امريكا
م.د. عمر فاروق محمد	جامعة الحمدانية، العراق	*م.م زينب احمد محمد البياتي	جامعة كركوك، العراق
م.د. ليث حسين محمد	جامعة الحمدانية، العراق	*م. هيام نجم	جامعة العدالة والجكمة، امريكا
م.د. نورا هاشم محمد	جامعة الحمدانية، العراق	م.م. أسماء عبدالله عزيز	جامعة الحمدانية، العراق
م. م رسل مهدي محمد صالح	جامعة الحمدانية، العراق	م.م. طيبة واثق ممدوح	جامعة الحمدانية، العراق
م. زهراء محرم سليمان	جامعة الحمدانية، العراق	م.م. كرم وعدالله شيت	جامعة الحمدانية، العراق
* م. طيف حاتم شر دغلي	جامعة بابل، العراق	م.م. محمد خالد جلال	جامعة الحمدانية، العراق
*م. حقي إسماعيل عانم	وزارة التربية العراق	م.م. هاني غسان عبدالكريم	جامعة الحمدانية، العراق
*م. ياس خضير إبراهيم سلمان	وزارة التربية العراق	م.م. يونس ضرار جاسم	جامعة الحمدانية، العراق
*م. وداد مهدي جاسم محمد الشمري	جامعة تكريت، العراق	م.م. رند يونس خالد	جامعة الحمدانية، العراق
* م.م معد عبد ابراهيم	جامعة كوكوك، العراق	السيد نبأ وصفي سالم	جامعة الحمدانية، العراق
م.م. احمد إسماعيل	جامعة الحمدانية، العراق	*سهام بابا	تطوان، المغرب
*م.م. رباب راسم كاظم	وزارة العمل والشؤون الاجتماعية، العراق	* نجية المبروك موسى الزغيد	جامعة النجم الساطع البريقة / ليبيا
م.م. اعراف خالد ذنون	جامعة الحمدانية، العراق	م.د. رغد عدنان علي	اعلام/ عضواً جامعة الحمدانية، العراق
م.م ايات مازن جابر حسين	جامعة بابل، العراق	*م.م مروه عبد الستار شهاب احمد	جامعة بغداد، العراق
السيد قاسم عباس محسن	اعلام/ جامعة الحمدانية، العراق	م.م. ياسين نوفل ياسين	اعلام/ جامعة الحمدانية، العراق
م.م. عبدالرحمن عبدالسلام داود	اعلام/ جامعة الحمدانية، العراق	* م.م سندس حاتم علوان عباس	وزارة التربية، العراق

*م.م. روى عبد الستار كريم	جامعة تكريت، العراق	*م.م صابرين ذنون يونس أحمد	وزارة التربية، العراق
*م.م سارة صباح هادي	وزارة التربية، العراق	* شكرية احمد جوير مناور الهيتاوي	وزارة التربية، العراق
* م.م. مأمون يوسف رجب	جامعة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، العراق	*م.م. رفل اياد صالح	جامعة بغداد، العراق
* م.م حسن علي عزيز	جامعة الكوفة، العراق	م.م هادي حميد حريش	المديرية العامة لتربية الانبار، العراق
* م.م محمد جهاد محسن	جامعة المعقل، البصرة، العراق		

الفـــــــــهرس

مستوى الرغبة في التعلم لدى طلاب المدارس الثانوية م.م.شكرية احمد جوير مناور	ص16
المحددات البصرية والصرفية لعسر القراءة: قراءة في الخصائص الإملائية للغة العربية فوزية بداوي	ص54
الصحة النفسية والطب البديل :مقاربة تكاملية نفسية أنثروبولوجية بقسنطينة– الجزائر ايمان بوقطوشة أمينة لطرش	ص71
الاثر الصوتي للتكرار في القرآن الكريم م.م. حسين محمد عبدالساده	ص88
عالمية الخطاب الديني في مكافحة الفساد (قراءة في آيات الكتاب المقدس والقرآن الكريم) ا.د. يونس عباس الياسري	ص100
الفرق الموضوعة في الإسلام الهشامية إنموذجا أ د. حيدر عامر السلطاني	ص122
من التفاوت الاجتماعي إلى التفاوت اللغوي : دور الفعل البيداغوجي في إعادة إنتاج الفوارق في تعلم اللغة الفرنسية الدكتورة فتيحة زياني	ص162
القيم المؤطرة للهوية الوطنية الدكتور علـــي غنـام صليحة بن عاشور	ص184

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار

● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-11/07/2026

معالجة الكتب والوثائق الورقية المبتلة ما بين التجفيف بالهواء والتجفيف بالتجميد أسماء كريمة جميلة بوسدي فاطمة بن شعبة	ص200
موقف الامارة العقيلية في الموصل من التسلط البويهي (380 – 437هـ /990 – 1045م)) م.د.سندس بندر خزعل	ص220
جهود الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي في كتابة التاريخ الإسلامي أ.د .هند يوسف مجيد أ.د .ثورة خطاب علي	ص239
العراق وتحديات إعادة بناء التوازن الإقليمي (٢٠٠٣– ٢٠٢٥ م) م.م قاسم محسن رحيم	ص247
السياسة العامة الحكومية لمكافحة الارهاب الفكري في العراق بعد عام 2014 م.م رائد محمد صباح الدباغ	ص277
التوزيع المكاني والوظيفي لمعامل الاسفلت في محافظة بابل مدرس مساعد ضمياء حسن غريب	ص298
البعد القيمي في التجربة الشعرية للإمام الحسن بن علي(عليه السلام) م.د. خالد مجيد فرحان عبد الله	ص335
التكامل المعرفي في تحليل تمثلات الهوية الثقافية مقاربة تأويلية لرواية «ليالي تركستان» لنجيب الكيلاني الدكتورة تركي قمر	ص369
معايير النقد البيئي في رواية "الوقائع المفقودة من سيرة المجوس" لإبراهيم الكوني نموذجا سهام خينوش	ص402
تأصيل بعض الفاظ الحلية من المعجم العربي الفصيح م. صبا فريد برتو	ص417

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار

● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-11/07/2026

الاعتزاز اللّغوي مُقاومةٌ رمزية للهيمنة الثّقافية: دراسة في العلاقة بين اللّغة والهوية والأمن الحضاري في الواقع العربي المعاصر. د/حياة أحمد الصّيد	ص436
أثرُ الحِجاجِ البلاغيِّ في توقيعاتِ ووصايا الإمامِ الصَّادقِ (عليهِ السَّلامُ) التوجيهيَّةِ د. عمّار عدنان مناف الزويني	ص458
الهوية الجندرية بين سيمون دي بوفوار وجوديث بتلر د/أمينة فارس	ص480
من كوجيتو الأنا إلى نداء الآخر: مقاربة فلسفية لأزمة الهجرة والواقع الافتراضي – إيمانويل ليفيناس أنموذجا الدكتورة دباش حبيبة	ص496
ابستمولوجيا أدوات البحث العلمي في العصر الرقمي: نحو إعادة بناء إنتاج المعرفة د. صدوقي نسيمة	ص516
بين خوارزميات التلقي وصناعة الوعي: تمثُّلات اللغة العربية في الفضاء الرقمي وتحديات الهوية م.م. هادي حميد حريش	ص532
توظيف نظرية UTAUT للذكاء الاصطناعي في العمل الإعلامي د. موسى عيسى د. دنيا خمنو	ص549
ثلاثية البحث الأكاديمي (الباحث والبحث والمشرف) في ظل الذكاء الاصطناعي. هاجر عامر	ص572

P588	**One Size Does NOT Fit All! Why Does the Language Classroom Entail a Differentiated Dashboard?** **Dr. Soumia HADJAB**
P608	**Transformations of Memory to Testimony in the Genocide Narratives:** **A Case Study of Rwanda and Sinjar With Reference to Translation** **Dr. Kawkab Salim Mohammed** **Prof. Dr. Khaleel Shukri Hayyas**
P621	**BRIDGING THE QUANTITATIVE-QUALITATIVE DIVIDE ACROSS SCIENTIFIC DOMAINS : AN INTEGRATIVE FRAMEWORK OF EPISTEMOLOGICAL ALIGNMENT, META-INFERENTIAL PROTOCOLS, AND AI-ENABLED INSTRUMENTATION** **Dr. MEHDDEB Nabil**
P649	**Future Trends in Writing Assessment: Moving towards Intelligent Assessment of Writing Skills** **Salima Haddad**
P669	**Integration of Immunological Biomarkers with Artificial Intelligence for Early Diagnosis and Personalized Management of Multiple Sclerosis and Systemic Lupus Erythematosus** **Qasim Hamadi Abid**
P694	**Hydrothermal Synthesis of CeO_2 Nanoparticles and Their Utilization in Dye-Sensitized Solar Cells Employing Two Natural Dyes** **Ghanem Abdulnabi Kazem**

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار

● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

P711	L'intégrité académique face à la multiplicité des lectures historiques Sabah Béarcia
P735	رهانات الكتابة التاريخية في عصر الذكاء الاصطناعي د. شرشالي زكية
ص753	دور التكامل بين تكنولوجيا المعلومات وإدارة المعرفة في ظل التحول الرقمي وأثره في تحسين جودة الخدمات العمومية دراسة تحليلية للتجربة الجزائرية محمد طراوري مصطفى صايم محمد بوقناديل بن عيسى إلهام
ص777	مداخلة بعنوان: مضيق هرمز من المنحة الى المحنة: كيف تعيد أزمة مضيق هرمز2026 تشكيل جغرافيا النفط بن ميلود هجيرة مختاري عبد الجبار
ص794	تكامل المهارات الناعمة في برامج دراسات المعلومات السودانية: تشخيص فجوات معيارية مقارنة بمعايير سوق العمل الرقمي الدولية د. جودات، محمد ناصر داؤد صالح
ص836	فخر المحققين محمد بن الحسن الحلي ودوره في ترسيخ مدرسة الحلة الإمامية 682–771هـ / 1283–1369م: دراسة في السيرة والتراث م. علي عبيس حسين علي المعموري م.م. مخلف نجم عبيد م.م ثام جابر ياسر موسى العلياوي

Level of desire to learn among high school students

Asst. Lect. Shukriya Ahmed Juwair Manawir
Ministry of Education, General Directorate of Education of Baghdad Al-Rusafa II, Baghdad, Iraq.
Shkryhahmd474@gmail.com

Abstract:

The desire to learn is the learner's psychological need to reach the maximum satisfaction with himself by knowing his needs for experiences and skills And the knowledge that he wants to acquire and learn, and the educated individual can, by arousing his psychological and cognitive passion, learn, and we cannot learn instead of it, as the rationalization of learning, attention to motivation and reinforcement, and then providing the conditions for the emergence of the desire to learning are topics in which thinking was attributed to the history of educational thought And his involvement in it is more than the educators themselves (philosophers, doctors, psychological analysts, and pedagogists), so the learner gets the best and acquires skills and competencies that would have fundamental changes in changing his knowledge, attitudes and ideas, which results in building the desired goals, and this is what prompted The current research aims to identify the level of desire they possess a high level of a desire to learn regardless, and the significance of the differences according to the male-female gender variable (and the scientific-human specialization), and to achieve this Therefore, the researcher adopted the scale of desire to learn (Elfiel 1017), after extracting its psychometric properties. The scale was applied to the research sample consisting of (400) male and female students from the University of Baghdad in Iraq, and the results concluded that the university students as a whole possess a high level of desire to learn. In learning regardless of the variables of gender and specialization, and the results did not reveal the existence of statistically significant differences in the level of desire to learn among university students, based on the variable gender or specialization. , Interest in identifying the factors that limit students' desire to learn and their impact, and making them attractive learning environments for learners.

Key Words: Desire to Learn, High school Students

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مستوى الرغبة في التعلم لدى طلاب المدارس الثانوية

م.م.شكرية احمد جوير مناور

وزارة التربية المديرية العامة لتربية الرصافة الثانية

Shkryhahmd474@gmail.com

ملخص البحث :

الرغبة في التعلم هي حاجة الفرد المتعلم النفسية للوصول لأقصى درجات الرضا عن نفsسه من خلال معرفته لاحتياجاته للخبرات والمهارات والمعرفة التي يرغب باكتسابها وتعلمها, ويستطيع الفردد المتعلم من خلال إثارة الشغف السايكوللوجي والمعرفي لديه أن يتعلم e,ولا يمكننا أن نتعلم بدلا عنه, حيث أن عقلنة التعلم, والاهتمام بالتحفيز والتعزيز ثم توفير شروط انبثاقق الرغبة في التعلم هي موضوعاات كان التفكير فيها ملازما لتاريخ الفكر التربوي, وانخراطه فيه اكثر من المربين انفسهم- فلاسفة, واطباء, ومحللين نفسانيين, وعلماء البيداغوجيا(التعليم), فحصول المتعلم على الافضل واكتسابه المهارات والكفاياات التي من شأنها أحداث تغيرات جووهرية في تغيير معارفه ومواقفه وافكاره, الامر الذي ينتج عنه بناء الاهدااف المرجوة, وهذا ما دفع البحث الحالي إلى التعرف على مستوى الرغبة في التعلم لدى طلاب المدارس الثانوية, ودلالة الفروق وفقا لمتغير الجنس(الذكور - الاناث) والتخصص(العلمي - الادبي), ولتحقيق ذلك تبنت الباحثة مقياس الرغبة في التعلم(الفيل1017), بعد ان تم استخراج الخصائص السيكومترية له, وقد طبق المقياس علىtest عينة البحث المكونة من (400) طالب وطالبة من طلاب المدارس, وتوصلت النتائج إلى أن طلاب المدارس ككل يمتلكون مستوى عالي من رغبة في التعلم بغض النظر عن متغيري الجنس والتخصص, ولم تكشف النتائج عن وجود فروق دالة إحصائية في مستوى الرغبة في التعلم لدى طلاب المدارس تعزى لمتغير الجنس أو التخصص, وقد أوصت الباحثة بضرورة البحث في تصميم المناهج الدراسية والوسائل والاستراتيجيات التعليمية التي تنمي الرغبة في التعلم لدى الطلاب, والاهتمام بالتعرف على العوامل التي تحد من الرغبة في التعلم لدى الطلاب وتأثيرها, وجعلها بيئات تعلم جاذبة للمتعلمين .

الكلمات المفتاحية: الرغبة في التعلم . طلاب المدارس

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مقدمة:

يسعى الانسان منذ القدم للحصول على العلم والمعرفة), لتحسين قدراته المعرفية والثقافية, والتكيف مع احتياجاته النفسية والعاطفية, ذلك أن المتعلم يدرك أهمية استثارة انتباهه للمثيرات البيئية التي تلعب دور في زيادة رغبته؛ في التعلم, أن للتعلم أهمية في تنمية جوانب الشخصية للمتعلم ومنها الجانب الانفعالي والمعرفي والدافعي في توجيه المتعلم نحو اكتساب المعرفة والعلم, ويعد من مقومات الحياة التي تشغل اهتمام النارسيين أجمع وذلك لإحداث تغيير في سسلوك الفرد المتعلم ليصلو إلى النضج المناسب لفترة النمو, لذا نجد جميع دول العالم تتسابق ؛في تحقيق ريادتها من خلال تطوير انظمتهها التعليممية والتي ستحقق أعلىٌ مستويات التطور والتقدم(العتيبي, 2020: 3), إذا تعد الرغبة في التعلم ممطلباً أساسياً لحدوث عملية التعلم, وشرطها الاكثر أهمية, فبالرغم من المبالغ الضخمة التي تنفقها الدول في إنشاء المدارس وتجهيز الصفوف الدراسية والتعاقد مع الاساتذة, إلا أنه لا يجدي نفعاً بدون وجودد الرغبة والحافز والدافعية في التعلم ,(Jubran et al, 2014: 626)أن للسلوك هدف ومعنى على الدوام, فهو مصمم للحفاظ على التوازن أو استعادته, لذا فإن كل ما ندركه بالحواس يقترب كثيراً مما نريده, وهذا النسق المكون من الرغبة, والادراك والمقارنة والعمل(التصرف) ليس له نهاية, ونحن نكدّ ونسعى باستمرار كي، نشبع الحاجات التي تحفزنا للتواصل ونقوى ونتحرر ونستمتع ونمرح ونبقى على قيد الحياة(سولو,2008: 25^.(

هذا وتعد رغبة الطلبة ني التعلم عاملا اساسياً لنجاحهم الاكاديمي, فتدني مستوى التحصيل يعود اساساً إلى تدني رغبتهم في التعلم, وقد وجد الباحثون المختصتون أن الرغبة في التعلم هي عامل مهم واساسي في تحصيل الطلبة الاكاديمي سواء أكانوا في المدرسة أو العمل أو الحياة Collins & Amabila, 1999: 297-312))), وتكمن أهمية الرغبة في التعلم في الاستمتاع بالتعلم, حيث انها تتسم بالتوجه نحو الاتقان والفضول والتعلم من المهام الصعبة وبذل المزيد من الوقت والجهد في التعلم إذ "لا رغبة في التعلم لدى المتعلمين مالم يكن لديهم دافع أو حافز للتعلم(الفيل, 2019: 209), ان المتعلمين يمتلكون فضولاً طبيعياً ورغبة فيي التعلم, ولكن معظم المعلمين زوالمدارس والجامعات لا تتكيف واحتياجات الطلبة للتعلم(Thayer- Bacon, 1996), حيث كشفت دراسة تشونغ(Chung,

592-585 :2013) أن نسبة(81,37%) من المتعلمين كان دافع حضورهم إلى المدرسة هو رغبتهم في التعلم, وتُشير (ميلاني كلاين, 1968) أن ^غياب الصراع بين الرغبة وإشباعها عند الفرد سيمنعه من اغناء شخصيتهd, ذلك لأن كل صراع أول أزمة يتضمن بالضرورة تصوَور حل لهذا الصراع, الذي يشكل اساس العملية الابداعية(Klein,M,1968: 25-26)z, وعلى الرغم من أن المعلم يعد القوة iالمحركة والدافعة للعملية التعليمية وتأثيراته وتفاعلاته متطورة خلال تلك العملية حاضـــراً ومســـتقبلاً(حامد وصفاء,2015)؛ إلا إنه لا رغبة في التعلم لدة الطلبة مع أستاذ بعيداً عنهم ولا يتفاعل معهم ولا يُشجعهم ولا يُثني على ما يقومون به من انnجازات وان كانت بسـيطة(الفيل, 2019: 210), ان طلبة المدارس الثانوية يواجهون ضغطاً ظ في الدراسة يختلف عما اعتادوا عليه في المرحلة الابتدائية فهم يتحملون مسؤولية تعلمهم ببدرجة كبيرة, كذلك اسـتراتيجيات التعلم لديهم لابد أنَ تجعلهم يتحملون هذا الضُـغط, ليتمكنوا من ضـبط وتهيئة المواقف التعليمية والاسـتفادة منها في جميع نشـاطاتهم المعرفية والعقلية, لذلك حددت الباحثة طلبة الثانوية عينة للدراسة الحالية.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث الحالي في السؤال التالي: ماهو مستوى الرغبة في التعلم لدى طلاب المدارس الثانوية في العراق في ضوء بعض المتغيرات؟

أسئلة البحث: تتمثل أسئلة البحث الحالي في الاتي:

1- ماهو مستوى الرغبة في التعلم لدى طلاب المدارس الثانوية في العراق؟
2- هل يوجد فرق ذات دلالة إحصـــائية في مســـتوى الرغبة في التعلم لدى طلاب المدارس الثانوية تعزى لمتغير الجنس والتخصص؟

أهداف البحث:

يهدف البحث الحالي إلى التعرف:

1- مستوى الرغبة في التعلم لدى طلاب المدارس الثانوية.
2- دلالة الفرق في الرغبة في التعلم لدى طلاب المدارس الثانوية على وفق tمتغيري الجنس والتخصص.Z

أهمية البحث:

يستمد البحث أهميته مما يلي:

- **الاهمية النظرية:** تقدم اطاراً نظرياً عن أهمية الرغبة في التعلم خاصة في مجال علم النفس التربوي بوصفها علما يهتم بالإداء الاكاديمي للطلبة. وكذلك من خلال اثراء للأدب الخاص والمتعلق في دراسة الرغبة في التعلم لطلبةز. وايضاً توفير قاعدة معلومات نظرية عن مفهوم الرغبة في التعلم. والقاء الضوء على أهمية تحسين الرغبة في التعلم لدى طلاب المدارس والاثارر المترتبة على ذللك, فعلى الرغم من أهميتها الفائقة إلا أنها لم تلقى الاهتمام المطلوب خاصة في مجتمعنا العربي.
- **الاهمية التطبيقية:** Qمن خلال التعرف على أهم العوامل التي تؤثر على مستوى الرغبة في التعلم, وتطوير أدوات القياس التي تساعد المهتميين والمختصين في المؤسسات التعليميةّ, كذلك المساهمة في بناء تصورات مقترحة بناءة للإصلاح التعليمي والتربوي في عمليات التعلم والتعليم لدى طلبة المدارس, قد تساعد نتائج الدراسة الحالية في دراسات تجريبية اخرى على متغيراتها, تساعد في توجيه جهود المسؤولين عن التعليم الثانوي العام في إقامة البرامج التدريبية وورش العلم التي تسعى إلى رفع مستويات الرغبة في التعلمِ.

حدود البحث:

يتحدد البحث الحالي بالحدود التالية:

- الحدود الموضوعية: الرغبة في التعلم.
- الحدود البشرية: طلاب المدارس الثانوية من كلا الجنسين.
- الحدود المكانية: المدارس الثانوية في بغداد.
- الحدود الزمانية: العام الدراسي(2024-2025).
- الحدود المنهجية: المنهج الوصفي الارتباطي.
- الحدود الادائية: مقياس الرغبة في التعلم(حلمي الفيل,2017).

تحديد المصطلحات:

الرغبة في التعلم:Desire to Learn

عرفها جلاسر(Glasser,1998) "بأنها سلوك بشري هادف ينبع من داخل الفرد لا من قوى خارجية للحصول على ما يريد"(Glasser,1998: 26), وعرفها كاميرون(Cameron,2003) "بأنها قوة تحرض الفرد على اتخاذ قرارات مستقلة"(Cameron, 2003: 93-105), وعرفها راين(Ryan, 2012) "بأنها قوة دافعة تترجم تلقائياً إلى افعال"(Ryan, 2012: 38), وعرفتها بيجريسكا(Piechurska- Kuciel, 2016) "بأنها سلسلة من الاجراءات والنوايا والقيم التي تروي ظمأ المتعلم للعلم والمعرفة"(Piechurska- Kuciel, 2012: 41),وعرفها الفيل(2017) "بأنها حاجة المتعلم للوصول إلى أقصى درجات الرضا عن نفسه من خلال الفهم العميق لما يحتاج إليه من معلومات ومعارف, والتمكن مما يريد اكتسابه من خبرات ومهارات, وتتشكل هذه الرغبة من خلال محددات ذاتية واجتماعية وتعليمية"(الفيل, 2017: 1-90), وسيتبنى البحث الحالي(الفيل,2017) كتعريف نظري لاعتماده على مقياسه في البحث الحالي.

التعريف الاجرائي للرغبة في التعلم: هي الدرجة التي سيحصل عليها الطالب من خلال إجابته على مقياس الرغبة في التعلم المعتمد في البحث الحالي.

الفصل الثاني: الاطار النظري والدراسات السابقة

– الاطار النظري:

مفهوم الرغبة في التعلم:

يبعني مفهوم الرغبة في حد ذاته الشعور بالارتياح إلى شيء ما، ويفرّق علماء النفس بين الرغبة(Desire) والمشاعر(Emotion)، فالرغبة تنبع من داخل جسم الانسان مثل حاجة الجسم إلى الطعام أو إلى شيء ما بينما تأتي المشاعر من الحالة العقلية والسسيكولوجية للإنسان من خلال محفزات ومثيراتت خارجية(الفيل, 2019:210).

وتُعد الرغبة في التعلم أحد؛ مكونات الدافعية للتعلم التي لا غنى عنها (Indispensible)، إذ تتألف الدافعية من الحوافز والحاجات والرغبة في تحقيق الكفاءة، كما وأن الدافعية تتكون من mمزيج من الرغبة والجهد والاتجاه الايجابي نحو التعلم(Piechurska- Kuciel,E,2016: 209) وأن الرغبةr

في التعلم لا تأتي من ميلاد الفرد ولكنها tتكتســب من خلال التجارب البيئية ويمكن تعلمها في إي وقت وفي إي موقف أو عند توفر فرصة للتعلم (استخارة, 2018: 25).

يؤكد كل من سيلجمان و بيترسون (Seligman & Peterson 2004: 173-178) أن الحديث عن حب والرغبة في التعلم, تم تناوله من خلال ارتباطه بمفاهيم أخرى, وليس مفهوم مستقلاً بحد ذاته!, فقد كان جزءاً من مقياس, أو عبارات ومفردات في أدوات كمقياس الاهتمامات والميول والدافعية, بينما اصــبح اليوم مصــطلح مســتقل بذاتهK, فعلى الرغم من أن مصــطلح الرغبة في التعلم يبدو مألوفا وواضـــح الدلالة, إلا أن تأصـــيله النظري يتطلب جهداً ودقة في البحث في نظريات التعلم, ونظريات الدافعية, التي تعد مظلة عامة لدراســة الانفعالات الايجابية, وسماتt الشــخصــية, والحاجات والرغباتt, فهناك الكثير من المصـــطلحات والمفاهيم المرتبطة والمرادفة لمفهوم الرغبة في التعلم, كالتدفق, والدافعية, والتحفيز, والمثابرة, وحب الاستطلاع بالإضافة إلى متعة التعلم, وشغف التعلم, وغيرها من المفاهيمm.

وتتمثل الرغبة في التعلم بالفضـــول الواســـع لدى المتعلم، بفتح ذهنه للحصـــول على معلومات مهمة وموثوقة في آن واحد (Baumeister, R., Bushman ,B 2007:367) وهذا الفضولf لا يمكن الســيطرة عليه إلا انه يؤدي الى رضــا المتعلمين عن انفســهم وعن الدراســة، كما يؤدي الى حدوث فهمf أعمق للمعلومات (Piechurska- Kuciel, E, 2016:209).

يذكر كل من دوبليت وتشـــونن (Doppelt, & Schunn, 2008:14) أن الرغبة في التعلم مهمة جداً للمناقشات في الصفوف الدراسية, فإذا كنت لا تريد أن تتعلم, فلن يشارك أحد معك ذلك، كما تحتاج إلى أن يكون لديك الرغبةr في التعلم من اجل القيام بمهمة ما, فإذا لم يكن لديك تلك الرغبةy فلن يكون لديك ذلك الدافع للقيام بهذه المهمة0 (أي التعلم).

كذلك يوجدد معنيان لمفهوم الرغبة يكمن المعنى الاول في إنها خبرة إيجابيةء, في حين يكمن المعنى الثاني في إنها قوة لا يُمكن التلاعب بهاx، كما وتُشير الرغبة إلى قوة تحَرض الفرد على اتخاذ قرارات مستقلة (Cameron & Kulick, 2003: 93)، كذلك تُعد الرغبة قوة دافعة Impulse an وتترجم تلقائياً الى افعال منعكســة (Ryan, R ,2012), وتخلل مفهوم الرغبة العديد من المجالات؛ باعتباره

مفهوم مغري Alluring Concept ، حيث يستعمل مصطلح الرغبة في مجال التربية والتعليم للدلالة على الحالة النفسية لحاجة المتعلم الى المعرفة (Piechurska- Kuciel, E, 2016: 210). *

وتذكر(نور استخارة, 2018: 25) أن الرغبة في التعلم هي آلة التشجيع الاساسية فعملية التعلم ستجري بصوورة فعالة وجيدة أذا كانت هنالك rرغبة للتعلم لدى الطلبة.

وأشارت بوند(Pond,2014:160) fفي أدبيات الحديث عن وظيفة كل من العقل والعاطفة في التعلم أن العقل شغوف ومنفتح بطبيعته, ويسعى للتقبل والاكتشافf, والسؤالq الذي يطرح نفسه هنا, ما الذي يمنع أن تنشأ الرغبة من هذه الخصائص الكامنة في العقل? ؟ حيث تشير الأدبيات إلى أن ميولنا يسبق فضولنا وتقديرنا للأشياء, فنحن عادة عندما نقرأ مقالة ما ؛ نجد أن عقلنا قد ينحرف لأفكار اخرى اثناء القراءة, ربما لا تمت بصلة لموضوع المقالة, وهناك احتمال كبير ان نفقد الفكرةꝏ الاساسية للمقالة, وقد يصعب علينا استحضار الذهن للعودة الى تلك الفكرة مرة اخرىx, لا سيما لوكان موضوع المقالة بعيدا عن اهتمامنا وميولنا, وعند قياس مدى انشغالنا بالفكرة الرئيسة لمشروع ما, ظهر اننا نقضي 50% من وقتنا منشغلين عن المهمة الاساسية للمشروع, مما يعني ان العديد منا يحاولون التركيز على قوة الارادة لدفع الانتباه للتعلم, إلا ان إجبار العقل على أداء المهام لا يخدم عملية التعلم والتعليم, مقارنة بإتاحة الفرصة له للتأمل وتحقيق ميوله وتوظيف إمكانياته للاكتشاف والانفتاح وفقاً لاهتماماته وميوله, ¥حيث يصبح العقل والوجدان مقبلين على التعلم (الجاجي وآخرون ,2019: 63).

وتُشير الأبحاثp أن الاشخاص الذين يرغبون في التعلم لا يعتمدون فقط على الصفوف الدراسية والاساتذة, بل يبحثون عن إجابات لكل تساؤلاتهم, وعقولهم دائماً ما تكون مهتمة بكيف؟ ولماذا؟ يمكن اشباع هذه الرغبة, حيث توجد لديهم رغبات فطرية لإشباع فضولهم الداخلي للتعلم والمعرفة, ونظرا لأهمية الرغبة في التعلم فإن الكثير من الدراسات توصي بضرورة تنميتها وتحسينها كأحد نواتج العملية التعليمية المهمة في مختلف مراحل التعلم عامة, وفي المرحلة الثانوية بشكل خاص(علي,وآخرون,2019) (الفيل, 2017) (Zaranis,et al, 2017)(Bergsager, 2014) (Carman et 2016)(Tripathy, 2018)

ونظراً لأننا امضينا قرناً من الزمان ونحن نعتقد بأن الحوافز الخارجية هي التي تُفسر السلوك البشري×، وأن برامج تدريب وتأهيل الكوادر التعليمية والتربوية تتطلب في الحالة النمطية من التربويين والعاملين في مجال التعليم تعَلم كيفية مكافأة ومعاقبة الطلاب بشكل نظامي/ ومنهجي, وبالتالي يرى كثير من التربويين انفسهم مسؤولين عن تشكيلل سلوك المتعلمين عن طريق مكافأتهم من الخارج على امتثالهم للأوامر, والمفارقة أن النظام في مكافأة المتعلمين على الانجاز الاكاديمي يحط من قيمة الشيء نفسه الذي لو كانت غير مقصودة " لولا المكافأة التي نقدمها فأن ما نُدرسه لكم يستحق التعلم "(سولو2008: 121), وباختصار فان نظام التعليم المُعتمد على الثواب والعقاب مناقض للمبادئ التربوية بشكل جوهري .

هذا ويُشير ويليام جلاسر (William Glasser, 1990) مبتدع نظرية الاختيار والرائد المعترف به عالمياً في مجال سيكولوجية السيطرة الداخلية " أن ما يحدث خارجياً له علاقة وطيدة بما نختار نحن ونفعله أو نتعلمه, ولكن الحدث الخارجي لا يسبب سلوكنا, فما نحصل علية وكل ما حصلنا عليه من الخارج هو معلومات؛ اما ما نختار نحن أنk نفعله بتلك المعلومات فهو أمر يعود لنا". ومن أجل تطبيقk أي نموذج سيكولوجي بنجاح من الضروريn أن نمتلك معرفة كافية حول ذلك النموذج, ولكيk نساعد على الاستفادة الكاملة من دراسات الحالة التي تشكل قوام تفعيل الرغبة في التعلم لدى طلاب المدارس(سولو2008: 13-15).

فسيكولوجية السيطرة الداخلية عموماً ونظرية الاختياار خصوصاً تقدمان نموذجاً دقيقاً لفهم السلوك الانساني, فهما تساعداننا على فهم حقيقة هي nأن البشر كائنات فاعلة وليست منفعلة , وتعلمنا بأننا نتحرك من الداخل ولسنا محكومين بحوادث أو حوافز zخارجية, إن سيكولوجية السيطرة الداخلية تدحض نظرية السيطرة الخارجية, التي أُعتبرت بشكل خاطئ نموذجاً للمنطق البديهيd السليم لفهم السلوك الانساني(سولو, 2008: 26) ..

فعندما نطبق افكار سيكولوجية السيطرة الداخلية سوف نوجد صفوفاً ومدارس منسجمة مع الحقيقة القائلة بأن البشر مدفوعون من الداخل باتجاه الخارج, نحن نعرف بأن الصعوبة لا تكمن في كيفية حث الطلبة على التعلم, بل في ابتكار دروس وبيئات صفية تركز على – وتجتذب – دافع الطلاب الذاتيي

والداخلي؛ وبالتالي تزيد من انخراط الطلاب في عملية التعلم بشكل فعال(Liana, G,2007: 1-7) .

وقدد اوضح جلاسر (Glasser, 1990) أن المتعة هي النتيجة الطبيعية للتعلم، فالعلاقة الحميمة% بين المتعة والتعلم ذات اهمية خاصة في المدارس, والصفوف الدراسية الخالية من البهجة لا تلهم الطلبة ابداً للقيام بأعمال اكاديمية رفيعة المستوى على اسس منتظمة(سولو, 2008: 19).

فالأساتذة الحاذقون يُوجدون صفوفاً mممتعة ومبهجة تشجع الانجاز الاكاديمي الجيد، فحين يسود جو المتعة والرغبة على الاساتذة والطلبة يصبح التعلم اشد عمقاً وقوة، كما ويحافظ الطلبة على رغبة جامحة في التعلم, حيث تقودنا حاجاتنا الاساسية إلى ابتداع عالم فذّ مثالي يحفزنا الى القيام بنشاطات تعليمية وتزيد من مستوى الحماس والمشاركة الايجابية في بيئة التعلم، وتنمي مهارات التفكيرk العليا وتخفض من السلوكيات المقاومة للمعلم, اضافة الى خفض حدة التجول العقلي لدى الطلبة في بيئة التعلم (الفيل,2019: 215).

وففي الواقع أن قضية إثارة انتباه الطلبة تقع بشكل رئيسي على المعلم والعمل على تقليل المشتتات ما أمكن لأن انتباه الطلبة للمهمة التعليمية انتباها حقيقيا, مما يجعله يحصل على معلومات أكثر ويطرح اسئلة اكثر, ويفكر اكثر, ويصبح اكثر قدرة على معالجة المعلومات وتخزينها واسترجاعها عند الحاجةx .

وكذلك أشارت روجفيين (Roggeveen, A , 2014: 212) إلى وجود اربعة عوامل لغرس الرغبة في التعلم لدى الطلبة وهم :

- التصميم الجيد للمناهج بحيث يكون للمهج أهداف واضحة وجدول زمني محدد وطرق تعليمية مبتكرة لتقديم محتوى المهجg بشكل افضل .
- استخدام أدوات وتقنيات مختلفة حتى تتلائم مع نوع اساليب التعلم لدى الطلبة لتحقيق الاندماج الجيد داخل الصف الدراسي .
- تضمين تطبيقات مختلفة داخل الصف الدراسي؛ لأنها تدفعع الطلبة الى تحمل المسؤولية وتشجعهم على التعمق في التحليل والتفسير والاستنتاج.

- تقديم العديد من الامثلة التوضيحية للطلاب والتواصل معهم عن قرب والارتباط بهم وإجراء مناقشات وحوارات معهم في الكثير من الامور قبل وبعد المحاضرة .

وتذكر(استخارة ,2018: 26) أن هناك mمؤشرات للرغبة في التعلم ومنها :

أ- الجاذبية : حيث ترى أن الطلبة الذين يرغبون في التعلم لديهم اهتمام بالدراسة على سبيل المثال؛ أن الطالب الذي يرغب في دراسة مجال اللغة العربية مثلاً, فهو يهتم لدراستها, وينشط في أن يتعلم باستمرار عن جميع العلوم الاخرى التي تتعلق بتلك المادة الدراسية, ويحضر لمتابعة الدراسة بالحماس دون تثاقل او ملل.g

ب- الاهتمام : ويعني التركيز أو الفطنة أو إي شيء آخر يصرف النظرy عن اشياء اخرى لها علاقة او ليس لها علاقة, حيث يركز المتعلم اهتمامه في دراسة ما يريد أن يتعلمه.

ت- التشجيع : هو المحاولة المثيرة للوعي لعمل النشاط الدراسي وتجسيد السلوك الموجه لتحصيل الغاية المراد تعلمها والتي تدفع الطلبة للحماسة في الدراسة.O

د- المعرفة : أن معرفة كون الرغبة موجودة ام لا عند الطلبة – سواء الفرح والاهتمام أو الحب-فالذين يرغبون في التعلم والافادة من الدراسة او التعلم في الحياة اليومية هم اكثر الافراد اهتماماا للحصول على المعرفة.

وبالنظر إلى تلك المؤشرات, يتبين أن الرغبة في التعلم لها ثلاثة عناصرهي: العاطفة, والوعي أو الفهم, والارادة؛ فالرغبةr في العنصر العاطفي يعني التعلقr والشعور بالفرح لفعل النشاط الدراسي, اما عنصر الوعي أو الفهم فيعني الرغبة في عرض المعرفة والمعلومات اولاً عن الموضوع المقصود بالرغبة في تعلمه, وأما عنصر الارادة فتعني تحقيق الوعي أو الفهم في شكل الاتجاه الى عمل اي نشاط تعليمي (استخارة, 2018: 27) .

ابعاد الرغبة في التعلم :

يذكر(الفيل,2018: 213) أن الرغبة ففي التعلم يمكن تقسيمها إلى ابعاد ومحددات وكما يلي:

1**-المحددات الذاتية للرغبة في التعلم** : وتتمثل هذه المحددات fفي الرغبة الداخلية لدى المتعلم وسعيه الى تطوير قدراته والتعلم كلما أتيحت له الفرصة وبحثه عن إجابةh لبعض الاسئلة ,كما تتمثل في رغبة المتعلم

في إتقان ما يتعلمه وشعوره بالاستمتاع عند مراجعة دروسه وعند تعلم شيء جديد كذلك تتمثل في استثمار المتعلم لأي فرصة تنمي من مهاراته وقدراته العلمية .

2-**المحددات الاجتماعية للرغبة في التعلم** : وتتمثل هذه المحددات في تشجيع المتعلم لزملائه على التعلم وسعيه الى تجنب كل ما من شانه ان يحبطه, كذلك تتمثل في استمتاعu المتعلم بتشجيع أفراد اسرته له على التعلم والاستفادة من تجارب ونجاح الاخرين, كما تتمثل في الرغبة في النقاش مع الزملاء في موضوعات الدراسة واستعانته بأي شخص يثق بانه سيساعده على تعلم شيء جديد واخيراً طرحه للعديد من الاسئلة عندما لا يعرف الإجابة .

3-**المحددات التعليمية للرغبة في التعلم**: وتتمثل هذه المحددات في رفض المتعلم المحاضرات النمطية والتقليدية على الرغم من استمتاعه بحضور المحاضرات والتفاعال مع المعلم في المحاضرة واليقظة التامة لكل ما يدور بها, كذلك تتمثل في التجهيز و الاستعداد لموضوع المحاضرة قبل حضورها وتفضيل المتعلم للأستاذ الذي يُصيف لمعلوماته ويدفعه للبحث والاطلاع وتفضيله الأستاذ الذي يطرح اسئلة مثيرة للتفكير في المحاضرة , واخيراً تحمسه لحضور الندوات وورش العمل التي تثقل مهاراته وتصقلها.

ويذكر جينسين (Jensen, K, 2007 :500) أن الرغبة في التعلم لاx يتم توجيهها من خلال المعرفة بحد ذاتها فقط, بل يجب أن يُركز وينصب الاهتمام على توجيه الرغبة في التعلم بطريقة مناسبة وبكفاءة عالية من قبل المعلم لتمكين الطلبة من الاستفادة من الوقت المتاح لهم بشكل أكثر فعالية, أو توجيههم نحو مسار اكثر فعالية؛ ومن اجل ذلك ينبغي على الأستاذ أن يستخدم تكنولوجيا الوسائط المتعددة ووسائل الاتصال الحديثة في التعلم, وذللك لشحذ الرغبة في التعلم لدى الطلبة ومواجهة حجم المعلومات الهائل والمتاح في مجتمع المعرفة .

ويُشير الفيل (2018:215) أن أهمية الرغبة في التعلم بالنسبة للمتعلمين تكمن في أنها تزيد من كفاءة التعلم والتعليم, ووترفع مستوى الحماس والمشاركة الايجابية في بيئة التعلم, وتعممل على تحسين الفضول العلمي وحب الاستطلاع المعرفي لدى المتعلمين, مما يُزيد ذلك من الايجابية نحو المدرسة ونحو

المناهج الدراسية, أضافة إلى زيادة التفاعل الهادف أثناءf المحاضرات, الذي يساعد على تنمية مستويات المعرفة ومهارات التفكير الاساسية والعليا ومهارات التفكير التوليدي, كما وتعمل الرغبة في التعلم على خفض حدة ودرجة التجول العقلي لدى الطلبة, الأمر الذي يؤدي إلى خفض بعض السلوكيات المقاومة للمعلم.

وتسهم الرغبة في التعلم هنا في مساعدة الفرد على تحقيق الاهداف والغايات&, وقد تكون الرغبة بالتعلم لواحد من المجالات المعرفية, وقد يكون لأكثر من مجال معرفي, بينما في حال عدم ظهور ميول وحب لأي مجال فإن هذا مؤشر على علامة مرضية غير طبيعيةه, فالفرد الذي لا يملك الرغبة في التعلم كقوة داخلية يحتاج إلى دعم لإيجاد سبل وقنوات للاتصال بعملية التعلمم, وحتى الاشخاص الذين لديهم رغبة في التعلم هم بحاجة الى دعم لمواجهة الإحباطات التي تكون جزء لا يتجزأ من عمليتي التعلم والتعليم المستمرة (سولو,2008 : 19).

فحب التعلم والرغبة به يجعل المتعللم اكثر اندماجاً في النشاط التعليممي, واكثر قدرة على الاستفادة من التغذية الراجعة, سواء من الآباء او المعلميين (Step It Up 2 Thrive, 2012).

وعليه ترى الباحثة أن الرغبة في التعلم هي آلة التشجيع الاساسية, والوسيلة للوصول الى الفهم العميق والادراك وقبول الانشطة والتجارب مع المادة الدراسية وأنها تسهم الى حد كبير في نجاح تعلم الطلبة إذ أنها ترتبط بحماسة الطلبة انفسهم؛ بمعنى آخر كلما زاد مقدار الرغبة في التعلم دل ذلك على زيادة مستوى الحماسة لديهم للتعلم.

تحسين الرغبة في التعلم لدى المتعلمين:

قدّم تريبثي (Tripathy,2018: 45) مقترحات لتنشيط وتحسين الرغبة في التعلم لدى المتعلمين وذلك من خلال:

•تعزيز الرغبة في التعلم في بيئة التعلم داخل الصف الدراسي حيث توجد علاقة إيجابية بين المعلم والطلبة, فيبدد الخوف والقلق من عقول المتعلمين, ويشعرون بالتشجيع للمشاركة في المناقشات والحوارات, *ولا يترددون في طرح الأسئلة والرد على أسئلة المعلم.

•يتم تنشيط الرغبة في التعلم لدى الطلبة أيضاً عندما يقوم المعلم بإشراكهم في الأنشطةه واتباع نهج متمركز حول الطالب في إجراء المناهج الدراسية.

•تعزيز الرغبة في التعلم بين الطلبة عندما يشـــاركهم المعلمم في التعلم التعاوني, حيث إن التعلم التعاوني يجد الطلبة فيه المتعة لإكمال النشاطات والمناقشة والا ستماع للآخريين وتبادل المعلومات مع بعضهم البعض بحيث يصبح مناخ التعلم نابضاً بالحياة.~

وترى الباحثة أهمية تفعيل الرغبة للتعلم لدى المتعلم فهي تُعد سر من اسرار النجاح, والذي يبرز دوره هنا هو المعلم بالدرجة الاولى, فقد تتوفر المناهج المناسبة والإمكانيات اللازمة والبيئة الصفية المعززة, ولكن وجود المعلم المحفز المثير لدافعية طلبته هو العنصر الاساسي في إثراء الموقف التعليمي من خلال توظيف كافة عناصر العملية التعليمية بما يخدم تحقيق الاهدااف التعليمية المنشودة .

ويُشـــير(Bergsager, 2014: 313- 316) إلى تحديد ما يحفز الرغبة في التعلم لدى الطلبة من خلال الانشطة التالية وهي كما يلي :

- تشجيع المتعلميين على التعبير عن معرفتهم وقضاء بعض الوقت في التفكير.
- أخذ تعليقات الطلاب على محمل الجَد.
- إعطاء مســـاحة أكبر لأســـاليب العمل الاســـتقصـــائية, ويعني هذا التجريب والقيام برحلات aاستكشافية إلى الطبيعة والزيارات الميدانية وطرح الاسئلة والاجابة عليها.
- اكتســـــاب المعرفة من خلال العمليات الحية حيث يدفع هذا إلى بناء المعرفة ودفع الطلبة إلى الأمام في تعلمهم.
- تعلم النظرية عن طريق الممارســة الفعلية مثل الرحلات الميدانية, فالمعرفة التي يكتســبها المتعلمون تجعل التعلم حقيقة بالنسبة لهم.

ويمكن فهم الرغبة في التعلم ايضاً بأنها فضول واسع ومنفتح لاكتساب المعارف والمعلومات, حيث يجلب هذا الفضــول حاجة قد لا يمكن التحكم بها, مما يحفز المتعلم إلى الســعي لتحقيق الرضــا بأنفســهم من خلال التعلم والدراسة, وبذلك يمكن القول أن الرغبة في التعلم هي سلسلة من الإجراءات والنوايا والقيم,

التي يطفئ ظمأ المتعلم للمعرفة(Piechurska-Kuciel,2016, 41), وأن نحقق نجاحاً في تحفيز وتفعيل الرغبة في التعلم للطلبة على الإنجاز الاكاديمي والسلوك لإشباع الحاجات .

النظريات المفسرة للرغبة في التعلم:

نظرية الاختيار Choice Theory ويليام كلاسر 1998 William Glasser:

تعد نظرية الاختيار لويليام جلاسر 1998 من اكثر نظريات سسيكولوجية السيطرة الداخلية شمولاً, واكملها تطوراً, فهي نظرية ببيولوجية تُشير إلى أننا ولدنا ولدينا حاجات خاصة, وقد أعطينا التعليمات الوراثية لإشباعها, ان سلوكنا بمجملهه يُمثل افضل محاولة في أي للحظة لإشباع حاجاتنا الاساسية او تعليماتنا الوراثية, بالإضافة إلى حاجاتنا الجسدية للبقاء, حيث لدينا اربع حاجات سيكولوجية اساسية يجب اشباعها حتى تكون صحتنا العاطفية والنفسية سليمة, كحاجتنا الى الانتماء او الاتصال,~ وحاجتنا الى السلطة او الكفاءة, وحاجتنا الى الحرية, وكذلك حاجتنا الى المتعة والمرح (Glasser,W,1998).

أن نظرية(Glasser, 1998) من النظريات المهمة التي فسرت الرغبة في التعلم لدى الافراد من خلال فهم الدافع الداخلي حيث يرى أن سيكولوجية السيطرة الداخلية تعتمد على الاعتقاد بان البشر يُستثارون من الداخل وليس من الخارج,~ وأن التعليمات القوية المدمجة في تركيبتنا الوراثية هي التي تحرك سلوكنا ,فالعالم الخارجي – بما فيه المكافآت والعقوبات – يزودنا بالمعلومات فقط , ولا يجبرنا على فعل شيء(سولو, 2008: 16).

يرى جلاسر (Glasser) أن السلوك البشري هادف~ وينبع من داخل الفرد لا من قوى خارجية, على الرغم من أن تأثير القوى الخارجية على قراراتنا كبيرة, ولكنه ليس ناتجا من مثل هذه العوامل, بل أن سلوكنا مدفوع بدوافع داخلية,, وكل سلوكنا هو محاولة افضل للحصول على ما نريد وذلك لاكتساب سيطرة فاعلة على حياتنا, ثم ان سلوكنا موجه في الاساس لإشباع حاجاتنا وأن الفرد يسعى للاستفادة من طاقته الشخصية في التعلم, والنمو ويمتلك التصميم النفسي بكامل ابعاده على قرارات اكثر من اعتماده على الموقف (Patall, E, 2012:10).

المفاهيم الاساسية لنظرية الاختيار لويليام جلاسر:

1- الدافعية Motivation

يرى جلاسر أن على جميع الناس أن يعرفوا أنفسهم كأفراد لهم أهمية واستقلالية وفردية,% واطلق على هذه الحاجة الاساسية "الهوية " Identity ويرى أن هناك نوعين منها هما:

أ-هوية النجاح : وتتحقق حينما يرى الفرد نفسه على انه ماهر ومقتدر ولديه قدرات وله أهمية .

ب-هوية الفشـــل : وتتكون لدى الافراد الذين ليس لهم علاقات وثيقة بالآخرين, والذين لالا يتصـــرفون بمسـؤولية, والذين يشـعرون بالقنوط وعدم المسـؤولية, وقد فسّـر جلاسـر" الهوية " على أنها اعلى حاجة نفسـية للفرد ,فاذا كان الشـخص غير قادر على تكوين هوية من خلال طريقي الحب والاهمية الذاتية فإنه ييسـلك طرق اخرى ,مثل الانسـحاب .وسـينتهي في هذه الحالة الى هوية الفشـل ,ويمكن تغيير الهوية< ولكن عن طريق تغيير السـلوك فقط بطريقة يمكن معها اشـباع الحاجة للحب والحاجة الى الاهمية .وهذه يمكن تحقيقها بالقيام بما يمثل المســؤولية والواقع والحق, وقد رمز جلاســر لهذه الجوانب الثلاثة بـــــ((Reality, Responibility, Right ,(R ,Assimilation) الخاصة بالعلاج الواقعي (منسي ,2004: 64).

2- المسؤولية Responibility :

يرى جلاسـر بأنها " قدرة الفرد على تحقيق حاجاته واهدافه بطريقة لا تحرم الآخرين من قدرتهم على تحقيق أهدافهم وحاجاتهم ". وان الشـخص المسؤول هو شـخص مستقل فردياً, ولديه الدعم النفسي الداخلي الكافي لتحديد ماذا يريد من الحياة ويبع حاجاته بطريقة مســؤولة تلبي حاجاته وأهدافه . وان جوهرر العلاج الواقعي يقوم على تعليم الناس هذه المســؤولية ,وكيف يصــلون الى تحقيق أهدافهم وغاياتهم دون إيذاء الآخرين, ويشـير جلاسـر أنه من الضـروري أن نُعّلم المتعلمين كيف يصـيغون أهدافهم ويشـبعون حاجاتهم بطريقة مسسؤولة دون أن يحرموا الاخرين من ذلك (Gorey,2001:12).

3- الواقع Reality:

يرى جلاســر أن مصــطلح الواقع يدل على كل ما هو موجود, ويتضــمن الظروف الخارجية التيي تحيط بالفرد, والتي يكون عليه أن يتكيف معها,! فهو يشمل الفرد والظروف المحيطة به في علاقة تفاعلية وبذلك فان الواقع يتضمن التصرفات الحالية للفرد .

ومن هذا المنطلق فان نظرية العلاج الواقعي ترفض مصـطلح المرض النفسـي, وتحل محله مصـطلح اختيار سلوكي غير سلليم, وترى أن المشكلة التي يعانيها الفرد مرتبطة باللواقع, فالخوف هو تشويه للواقع, والاكتئاب هو هروب من الواقع, والفصـــام هو إنكار للواقع, وذهان الشـــيخوخة هو عزلة عن الواقع .....وهكذا, وعليه فإن العلاج بالواقع يســـاعد الناس على ان على يواجهوا الواقع, بحيث يمكنهم أن يحلوا مشكلاتهم الشخصية عن طريق القيام بسلوك اكثر مسؤولية.

4- الصواب Right

ترى نظرية العلاج الواقعي أن معايير الصـواب والخطأ ممسـتمدة من قيم الفرد, ومن الثقافة والمجتمع والدين والتقاليد, وهي متفاوتة في شـــدتها وفي الآثار المترتبة على مدى الالتزام بها , فمثلا إذا كان احترام القانون سـلوكاً صـحيحاً وانتهاكه سـلوكا خااطئاً, فإن انتهاكه في موقف معين قد يترتب عليه عقابب بسـيط جدا ,بينما في موقف آخر قد يترتب عليه عقوبة شديدة جداً.

5- الاندماج Assimilation

يرتبط مفهوم الاندماج بالعلاقات الودية والحميمة بين فردين او اكثر,~وتبدأ أشـكال الاندماج الاولى مع بدايات الحياة, حيث يندمج الطفل مع والديه, ثم مع الاصـــدقاء ثم مع زملاء العمل ثم الزواج والابناء .....الخ, ويعد الاندماج ضروريا لإشباع الحاجات, ويبدو ان كثير من الذين يعانون مشـشـكلات نفسية لا يرتبطون بعلاقات ودية مع احد, ويمكن لأمثال هؤلاء ان يصبحوا أسوياء إذا اندمجوا مع غييرهم وتصرفوا بمسؤولية وواقعية وصواب (الخطيب,2003: 61- 64).

ويشـير جلاسـر(Glasser)g إلى أن المتعلمين يمكنهم الاسـتفادة من طاقتتهم الشـخصـية في التعلم ورغبتهم في التصـميم النفسـي وامتلاكهم لهُ بكامل أبعاده على قراراتهم, اكثر من اعتمادهم على المواقف, فهدف الواقققعية هو تعليم الافراد(المتعلمين) أفضـــل الطرق وأكثرها فعالية للحصـــول على ما يريدون من الحياة مع أنهم يعيشون في العالم الخارجي إلا أنهم يحاوولون التحكم به ليكون أقرب ما يمكن للعالم الداخلي

لهم. ويظهر التعللم من خلال الحياة الواقعية فنحن نتعلم ما نفعلهُ ويمكنن دمج الســـلوكيات المتعلمة وغير المتعلمةّ, وأن المفتاح الكليَ للســـلوك هو في اختيار ما نفعلهُ وما نفكُر في فعله, وعندهاا ســـوف تتغير حاجاتنُا ورغباتُنا نحو الافضل.

دراسات تناولت الرغبة في التعلم :

1- دراسة Wistoft, K, 2012 بعنوان: (The desire to learn as a kind of love: gardening, ooking, and passion in outdoor eduation) , وهدفت هذه الدراسةالى التعرف على دور التعلم خارج الصف في تحسين الرغبة في التعلم, وتم تطبيق هذه الدراسة باجراء مقابلات شـخصية مع عينة مكونة من (98) معلما وطالباً وعدد(6) مربين وعدد(18) ولي امر طالب, كما تم تطبيق استبيان على عينة مكونة من(135), وكشفت نتائج هذه الدراسة عن أن التعلم خارج الصــف يُحســن من الرغبة في التعلم والدافعية نحو التعلم, كما انه يُنمّي المهارات الحركية ويُحسن من الكفاءءات الاجتماعية للطلاب(Wistoft,K,2012:1-17).

2- دراسة (Piechurska- Kuceil, E, 2016) بعنوان: (Polish Adolescent' Perception of English and Their Desire to Learn it in : Galajda ,D et al. (Eds), Researching Second Language Learning and Teaching from a Psycholinguistic Perspective) , وهدفت هذه الدراســة الى التعرف على العلاقة بين إدراك الطالب للغة الانكليزية والرغبة في التعلم , كذلك الكشـف عن دور الإدراك الإيجابي للغة الانكليزية في التحصـيل الدراسـي , وقد طُبقت هذه الدراسـة على عينة مكونة من (609), طالب وطالبة بالصـف الثاني الثانوي في بولندا, بواقع (225) طالباً وعدد (384) طالبةً بمتوسـط عمر زمني (17.5) عاماً , وكشـفت نتائج هذه الدراسـة عن انه توجد علاقة دالة إحصـــائياً بين الإدراك الإيجابي للغة الانكليزية والرغبة في التعلم لدى طلاب

الصـف الثاني الثانوي, كما وجدت علاقة دالة إحصـائياً بين الإدراك الإيجابي للغة الانكليزية والتحصـيل الدراسي لها (Piechurska- Kuciel, E, 2016: 37-52).

3-دراســة نور اســتخارة 2018 بعنوان: (العلاقة بين البيئة اللغوية ورغبة في التعلم اللغة العربية لدى طلاب مدرسة المعارف المتوسطة الاسلامية سنجاساري مالانج) وهدفت هذه الدراسة التعرف العلاقة بين البيئة اللغوية والرغبة في تعلم اللغة العربية لدى طلبة المرحلة المتوســطة في ســنجاســاري مالانج في إندونيســيا الاســلامية , وقد طبقت هذه الدراســة على عينة مكونة (50) طالب في فصــلين بواقع (28)طالب في الفصل الثامن I وعدد (22) طالب في الفصل الثامن, وكشفت نتائج هذه الدراسة وجود علاقة دالة إحصائياً بين البيئة اللغوية والرغبة في تعلم اللغة العربية لدى طلاب المدرسة سنجاساري مالا نج(استخارة ,2018: 7-101).

الفصل الثالث: اجراءات البحث (Procedures of the Research)

تعرض الباحثة في هذا الفصــل الخطوات والإجراءات التي تمت في الجانب الميداني من هذه الدراســة, من حيث المنهجية المتبعة, مجتمع البحث, وعينة البحث, والأدوات التي اســتعملتها في الدراســة من حيث وصفها, وطريقة تطبيقها, وتصحيحها, كما يوضح المعالجات الإحصائية التي استعملت في تحليل البيانات وعلى النحو التالي :

اولاً: منهجية البحث (Approach of the Research):

اعتمدت الباحثة على المنهج الوصـفي الارتباطي في دراسـتها الحالية, وهو اكثر مناهج البحث اسـتعمالاً وأوسـعها انتشـاراً, إذ لا يمكن الاسـتغناء عنه, لأننا عندما نريد دراسـة أي ظاهرة لابد من توافر وصـف وقيمة للظاهرة المدروسـة (دواد وعبد الرحمن ,1990: 159), فالباحثة تسـعى الى تحديد طبيعة الظاهرة المراد دراستها ومن ثم وصفها, وقد تم استخدامه من خلال تطبيق استبانة للتعرف على مستوى الرغبة في التعلم لدى طلاب المدارس الثانوية.

ثانياً: إجراءات البحث:

مجتمع البحث (Population of the Research):

يشـــمل مجتمع البحث الحالي على طلاب المدارس الثانوية في بغداد للعام الدراســـي (2024-2025) البالغ عددها(24) مدرسـة, حيث يتكون المجتمع الاحصـائي من (53928) طالب وطالبة, موزعين بحســـب الجنس والتخصـــص, حيث بلغ عدد الطلبة في التخصـــص العلمي(32984) طالب وطالبة, بواقع(14642) من الذكور, و(18342) من الإناث, اما عدد الطلبة في التخصـــص الإدبي بلغ(20944) طالب وطالبة, بواقع (22047) من ذكور, و (31881) من أناث.

عينة البحث الاساسية (The Sample of the Research):

يتم اختيار عينة البحث على وفق قواعد ومعايير خاصة ومنطقية لكي تمثل المجتمع تمثيلاً صـحيحاً, وقد تم اختيـار العينـة بالطريقـة الطبقيـة العشـــوائيـة(Stratified random sample), حيـث تم اختيار(400) طالباً وطالبةً, إذ بلغ عدد طلبة التخصص العلمي(244) طالباً وطالبةً, وبنسبة(61%), في حين بلغ عدد طلبة التخصص الادبي(156) طالباً وطالبةً, وبنسبة(39%) .

أدوات البحث (Instruments of the Research) :

يتطلب تحقيق أهداف البحث الحالي توفير اداة لقياس الرغبة في التعلم لدى طلاب المدارس الثانوية, وبعد اطلاع الباحثة على الدراسات السابقة والبحوث والادبيات ذات العلاقة بموضوع البحث الحالي, وفي ضوء ذلك قامت الباحثة بتبني مقياس(الفيل ,2017), إذ تّعد الدراســـة من الدراســـات الحديثة التي تناولت طلاب المدارس الثانوية, وقد عرضـــت الباحثة المقياس على مجموعة من المحكمين المختصـــين في مجال علم النفس والقياس التربوي للتحقق من صلاحية فقراته في البيئة العراقية وعلى النحو الآتي.

وصف المقياس:

يتكون مقيـاس الرغبـة في التعلم من (38) فقرة, مقســـم إلى ثلاثـة محـددات, محـددات ذاتيـة تشـــمل على(13)فقرة, ومحددات اجتماعية وتشـــمل على (10) فقرة, ومحددات تعليمية وتشـــمل(15) فقرة,

وهذه الفقرات عبارة عن مجموعة من الاسئلة وعلى المستجيب الاجابة عنها, وامام كل فقرة خمس بدائل وهي(تنطبق عليّ دائماً, تنطبق عليّ غالباً, تنطبق عليّ أحياناً, تنطبق عليّ نادراً, لا تنطبق عليّ ابداً), حيث يختار الطالب البديل الذي يتفق ويعبر عن مشاعره, ويتم الاجابة عل واحدة من هذه الخيارات أو البدائل, وتقدر الدرجات التي تقابلها(1,2,3,4,5) بالنسبة للفقرات الإيجابية, والعكس للفقرات السلبية علما أن المقياس يحتوي على فقرات إيجابية وسلبية, كماهو مبين في الجدول (1)الاتي.

جدول(1) مقياس الرغبة في التعلم

ت	البعد	ارقام الفقرات	عدد الفقرات
1-	المحددات الذاتية للرغبة في التعلم.	13-1	13
2-	المحددات الاجتماعية للرغبة في التعلم.	23-14	10
3-	المحددات التعليمية للرغبة في التعلم.	38-24	15
إجمالي عدد الفقرات			38

- **التحليل الاحصائي للفقرات:**

يهدف التحليل الاحصائي لفقرات المقياس إلى التحقق من الخصائص السيكومترية للاختبار نفسه, إذ يجعله اكثر صدقاً وثباتاً(Chiselli et al,1981: 428), لأن الخصائص السيكومترية للاختبار تعتمد الى حد كبير على خصائص فقراته(Smith,1996: 60), لذا عمدت الباحثة لاستخراج القوة التمييزية ومعاملات الصدق وفق الاجراءات التالية:

- القوة التمييزية للفقرات(Discrimination Power of Items): تُشير القوة التميزية للفقرات الى قدرة المقياس على تمييز ذوي المستويات العليا من المستويات الدنيا للسمة المراد قياسها(الامام, 1990:140), حيث قامت الباحثة باستخراج القوة التميزية لكل محدد من محددات الرغبة في التعلم الثلاثة(الذاتية, الاجتماعية, التعليمية).

بعد تطبيق المقياس على عينة الدراسة والبالغ عددها(400) طالباً وطالبةً وتصحيح استمارات الإجابة, قامت الباحثة بترتيب درجات افراد العينة من اعلى درجة الى ادنى درجة لكل فقرات المقياس وحددت المجموعتين المتطرفتين بالدرجة الكلية وبنسبة(27%) لكل مجموعة, حيث اشتملت المجموعة العليا(108) من الطلبة وتضمنت المجموعة الدنيا(108) من الطلبة, ثم لجأت الباحثة الى تطبيق الاختبار التائي(T-test) لعينتين مستقلتين بهدف إيجاد الفروق بين متوسطي المجموعتين في درجات كل فقرة من فقرات المقياس, على أساس أن القيمة التائية المحسوبة تمثل القوة التمييزية للفقرة, حيث اظهرت النتائج ان جميع الفقرات مميزة لكونها دالة إحصائياً , وأن قيمتها التائية المحسوبة اكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة(1,96) بدرجة حرية(214) وعند مستوى دلالة(0,05), والجدول (2) يبين ذلك.

جدول(2) القوة التمييزية لفقرات مقياس الرغبة في التعلم

ت	المجموعة العليا		المجموعة الدنيا		القيمة التائية المحسوبة	مستوى الدلالة (0,05)
	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري		
1	3,16	1,688	2,64	0,920	2,802	دالة
2	4,87	0,388	3,59	1,160	10,850	دالة
3	4,91	0,338	3,98	1,085	8,551	دالة
4	4,62	0,637	3,18	1,060	12,057	دالة
5	4,96	0,189	3,49	0,971	15,456	دالة
6	4,59	0,670	2,95	1,097	13,248	دالة
7	4,49	0,716	2,25	1,390	14,828	دالة
8	4,75	0,429	2,97	1,122	15,447	دالة
9	5,00	0,000	3,41	1,200	13,705	دالة
10	4,49	0,802	3,25	1,105	9,367	دالة

11	4,89	0,303	3,31	1,196	13,324	دالة
12	4,93	0,282	3,43	1,154	13,118	دالة
13	4,82	0,543	2,83	1,009	18,044	دالة
14	4,88	0,344	3,10	1,101	16,090	دالة
15	4,80	0,633	2,89	1,433	12,648	دالة
16	3,89	1,570	2,78	1,192	5,856	دالة
17	4,87	0,354	2,93	0,997	19,083	دالة
18	4,82	0,543	3,38	1,150	11,719	دالة
19	4,96	0,189	,3,59	1,346	10,346	دالة
20	4,64	0,600	3,13	1,171	11,911	دالة
21	3,66	1,570	2,65	1,042	5,563	دالة
22	4,73	0,573	3,00	1,106	14,361	دالة
23	4,31	0,903	2,84	1,428	9,053	دالة
24	4,37	0,743	2,99	1,045	11,174	دالة
25	4,00	1,657	2,50	1,207	7,338	دالة
26	4,52	0,716	2,78	1,068	14,065	دالة
27	4,41	0,712	3,26	1,164	8,739	دالة
28	3,86	1,278	3,03	1,237	4,813	دالة
29	3,67	1,477	2,39	1,245	6,872	دالة
30	4,28	0,865	2,44	1,053	14,049	دالة
31	4,46	0,568	2,81	1,395	12,645	دالة
32	4,89	0,333	3,08	1,177	15,417	دالة

33	4,97	0,165	3,29	1,154	14,939	دالة
34	4,00	0,995	2,50	1,356	9,206	دالة
35	4,30	0,790	2,99	1,537	7,902	دالة
36	4,85	0,356	3,46	1,139	12,091	دالة
37	4,77	0,517	3,13	1,089	14,124	دالة
38	4,85	0,469	3,06	1,154	14,902	دالة

– الاتساق الداخلي(ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية للسمة التي تنتمي إليها):

ويعني الانسجام بين فقرات المقياس للتحقق من أداء الأفراد على مهام المقياس ككل واستقرار استجاباتهم عليه, وايضا مدى اتساق كل فقرة مع المجال الذي ينتمي إلية(أبو هاشم, 2006: 9), حيث تم حساب معامل الارتباط لبيرسون(Pearon Correlation) بين كل فقرة من فقرات المقياس والدرجة الكلية لـــ (400) طالباً وطالبةً,واتضح أن قيم معاملات الارتباط دالة إحصائياً لجميع الفقرات عند مقارنتها بالقيمة الحرجة لمعامل الارتباط البالغة(0,098) ودرجة حرية(398) وعند مستوى دلالة(0,05), والجدول(3) يبن ذلك.

جدول (3)

معاملات الارتباط بين الفقرة والدرجة الكلية(الاتساق الداخلي) لفقرات مقياس الرغبة في التعلم

رقم الفقرة	معامل ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية	رقم الفقرة	معامل ارتباط الفقرة بالدرجة الكلية
1	0,176	21	0,239
2	0,558	22	0,594
3	0,473	23	0,481
4	0,587	24	0,479

5	0,640	25	0,362
6	0,619	26	0,620
7	0,558	27	0,462
8	0,639	28	0,277
9	0,641	29	0,322
10	0,459	30	0,599
11	0,616	31	0,601
12	0,603	32	0,641
13	0,660	33	0,654
14	0,625	34	0,460
15	0,555	35	0,433
16	0,264	36	0,549
17	0,687	37	0,600
18	0,541	38	0,612
19	0,558		
20	0,551		

علاقة درجة الفقرة بدرجة المجال الذي ينتمي إليه: استخدمت الباحثة هذا الأسلوب لمعرفة معامل الارتباط بين درجة كل فقرة ومجموع درجات المجال الذي تنتمي إليه, وذلك لغرض التأكد من صدق فقرات مقياس الرغبة في التعلم في كل مجال, تم اعتماد الدرجة الكلية للمجال محكاً داخلياً, وبعد استخدام معامل ارتباط بيرسون اتضح إن جميع معاملات الارتباط دالةً إحصائياً عند مقارنتها بالقيمة الحرجة

البالغة(0,098) عند مستوى دلالة(0,05) وبدرجة حرية(398), ومن خلال هذا المؤشر اتضح أن فقرات المقياس تعبر عن مجالاتها والجدول(4) يوضح ذلك.

جدول (4) معاملات الارتباط بين كل فقرة والمجال الذي تنتمي إليه

المحددات الذاتية للرغبة في التعلم		المحددات الاجتماعية للرغبة في التعلم		المحددات التعليمية للرغبة في التعلم	
رقم الفقرة	معامل ارتباط الفقرة بالدرجة بالمكون	رقم الفقرة	معامل ارتباط الفقرة بالدرجة بالمكون	رقم الفقرة	معامل ارتباط الفقرة بالدرجة بالمكون
1	0,117	14	0,696	24	0,497
2	0,685	15	0,637	25	0,366
3	0,575	16	0,322	26	0,649
4	0,627	17	0,755	27	0,513
5	0,718	18	0,563	28	0,398
6	0,676	19	0,540	29	0,309
7	0,558	20	0,592	30	0,660
8	0,721	21	0,314	31	0,597
9	0,715	22	0,648	32	0,649
10	0,524	23	0,541	33	0,650
11	0,682			34	0,571
12	0,64			35	0,542

13	0,672			36	0,600
				37	0,635
				38	0,614

– مصـــفوفة الارتباطات الداخلية: لتحقيق ذلك فقد تم الاعتماد على عينة التحليل الإحصـــائي البالغ عددها(400) طالب وطالبة, وأشـــارت النتائج إلى أن جميع معاملات الارتباط لكل مجال بالمجالات الأخرى والدرجة الكلية ذات دلالة إحصـائية وهذا يدل على إن المجالات الثلاثة كلها تقيس شـيئاً واحداً هو الرغبة في التعلم, إذ كانت جميع معاملات الارتباط المحسـوبة أعلى من القيمة الحرجة البالغة(0,098) وهذا مؤشر جيد لصدق بناء المقياس, والجدول(5) يوضح ذلك.

جدول(5) مصفوفة الارتباطات الداخلية لمقياس الرغبة في التعلم

المجالات	الدرجة الكلية	المحـددات الـذاتيـة للرغبة في التعلم	المحددات الإجتماعية للرغبة في التعلم	المحـــــــددات التعليميـة للرغبـة في التعلم
الدرجة الكلية	**1**	**0,919**	**0,902**	**0,927**
المحـددات الـذاتيـة للرغبـة في التعلم		**1**	**0,780**	**0,752**
المحددات الاجتماعية للرغبة في التعلم			**1**	**0,755**
المحددات التعليمية للرغبة في التعلم				**1**

الخصائص القياسية(السيكو مترية) لمقياس الرغبة في التعلم:

1-**الصدق(Validity)**: قامت الباحثة باستخراج معامل الصدق لكل من الصدق الظاهري, وصدق البناء وكما يلي:

•**الصدق الظاهري(Face Validity)**: من خلال ما تقدم من الإجراءات السابقة التي قامت بها الباحثة من إتباع منطق نظري محدد في عرض الفقرات على خبراء متخصصين وكما مبين في التحليل المنطقي لفقرات مقياس الرغبة في التعلم, حيث تم عرض المقياس على عدد(15) خبيراً في العلوم التربوية والنفسية والقياس والتقويم, وأسفرت النتائج من خلال آرائهم ان جميع فقرات المقياس صادقة ظاهرياً عدا الفقرتين (11,9) من المحددات الذاتية تم حذفها كونها غير دالة لان قيمة مربع كأي المحسوبة لها أصغر من قيمة كأي الجدولية والجدول (14) يوضح ذلك.

•**صدق البناء(Construct Validity)**: ويقصد به مدى قدرة المقياس في قياس التكوين الفرضي المعين(Anastai, 1976: 151), حيث يتم التحقق عليه من خلال إيجاد معامل التمييز, وأن مؤشر صدق البناء الذي استخرجته الباحثة لفقرات مقياس الرغبة في التعلم وكما هو مبين في الجدول(16).

2-**معامل الثبات(Relibility)**: للتحقق من ثبات مقياس الرغبة في التعلم, اعتمدت الباحثة طريقة (الفاكرونباخ) لحساب الاتساق الداخلي حيث خضعت كل درجة من درجات عينة التحليل الاحصائية والتي بلغت(400) استمارة إلى معادلة ألفاكرونباخ, وبلغ معامل الثبات(0,85).

المؤشرات الاحصائية لعينة التحليل الاحصائي لمقياس الرغبة في التعلم:

قامت الباحثة بحساب المؤشرات الاحصائية كالأوساط الحسابية والانحرافات المعيارية والتباين فضلاً عن معاملات الالتواء ومعاملات التفرطح لدرجات الطلبة في مقياس الرغبة في التعلم والجدول(6).

جدول(6)

المؤشرات الاحصائية لعينة التحليل الاحصائي في مقياس الرغبة في التعلم

ت	المؤشرات الاحصائية	القيم
1	الوسط الفرضي	114
2	الوسط الحسابي	143,44
3	الوسيط	142,50
4	المنوال	142
5	الانحراف المعياري	22,40
6	التباين	502,01
7	الالتواء	0,062 -
8	التفرطح	0,558 -
9	اقل درجة	9
10	اعلى درجة	10
11	المدى	114

خامساً: الوسائل الاحصائية

استعانت الباحثة بالحقيبة الاحصائية للعلوم الاجتماعية(SPSS) في تحليل بيانات الدراسة, وقد استعملت الوسائل الإحصائية الاتية:

1-اختبار مربع كأي لمعرفة آراء المحكمين على مقاس الرغبة في التعلم.

2-الاختبار التائي لعينة واحدة(T- Test For One Sample) لإيجاد ومعرفة دلالة الفرق بين متوسط درجات العينة.

3-الاختبار التائي لعينتين مستقلتين(T- Test For Two Independent Samples) لإيجاد معامل التمييز لفقرات مقاس البحث.

4-معامل ارتباط بيرسون(Pearsone Cprrelation Coefficient) لحساب الارتباطات بين درجة الفقرةCoefficient والدرجة الكلية لمقياسي البحث وحساب الارتباطات بين درجة الفقرة والدرجة الكلية لكل مجال تنتمي إليه, كذلك في حساب مصفوفة الارتباطات الداخلية للمقياسين, كما استخدم للتعرف على العلاقة الارتباطية بين متغيرات البحث الحلي (الرغبة في التعلم.)

5-معادلة الفا كرونباخ(Alpha- Cronbach Formula) لحساب واستخراج الاتساق الداخلي للفقرات المقياس.

6-الاختبار الزائي للتعرف على الفروق في العلاقة بين متغيرات البحث وفقاً لمتغيري(الجنس, التخصص).

الفصل الرابع: عرض النتائج وتفسيرها ومناقشتها

يتضمن هذا الفصل عرضاً للنتائج التي تم التوصل إليها بناءً على الاهداف التي تم تحديدها وتفسير هذه النتائج ومناقشتها وفق الإطار النظري والدراسات السابقة وخصائص المجتمع الذي تمت دراسته في البحث الحالي, ومن ثم الخروج بمجموعة من الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات, ويمكن عرض النتائج كما يأتي:

الهدف الأول: التعرف على مستوى الرغبة في التعلم لدى طلاب المدارس الثانوية للعينة ككل ولمتغيري الجنس والتخصص:

للتحقق من هذا الهدف قامت الباحثة بتطبيق مقياس الرغبة في التعلم المتكون من(38) فقرة على عينة البحث المتكونة من(400) طالباً وطالبةً, وأظهرت نتائج البحث إلى أن المتوسط الحسابي لدرجات هذه العينة على المقياس قد بلغ(143,440) درجة وبانحراف معياري قدره(22,406) درجة, ولغرض معرفة دلالة الفرق بين المتوسط الحسابي والمتوسط الفرضي الذي بلغ(114) درجة, استخدمت الباحثة الاختبار التائي لعينة واحدة, وتبين أن الفرق دال إحصائياً إذ بلغت القيمة التائية المحسوبة(26,279) وهي أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة(1,96) عند مستوى دلالة(0,05) وبدرجة حرية(399), وهذا يعني أن عينة البحث يمتلكون الرغبة في التعلم بمستوى عالي والجدول(7) والشكل(1) يوضحان ذلك.

الجدول(7)

يوضح المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية لمقياس الرغبة في التعلم

المتغير	العينة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية t*		الدلالة (0,05)
					المحسوبة	الجدولية	
الرغبة في التعلم	400	143,440	22,406	114	26,279	1,96	دالة

الشكل(1) المتوسط الحسابي والفرضي لمقياس الرغبة في التعلم

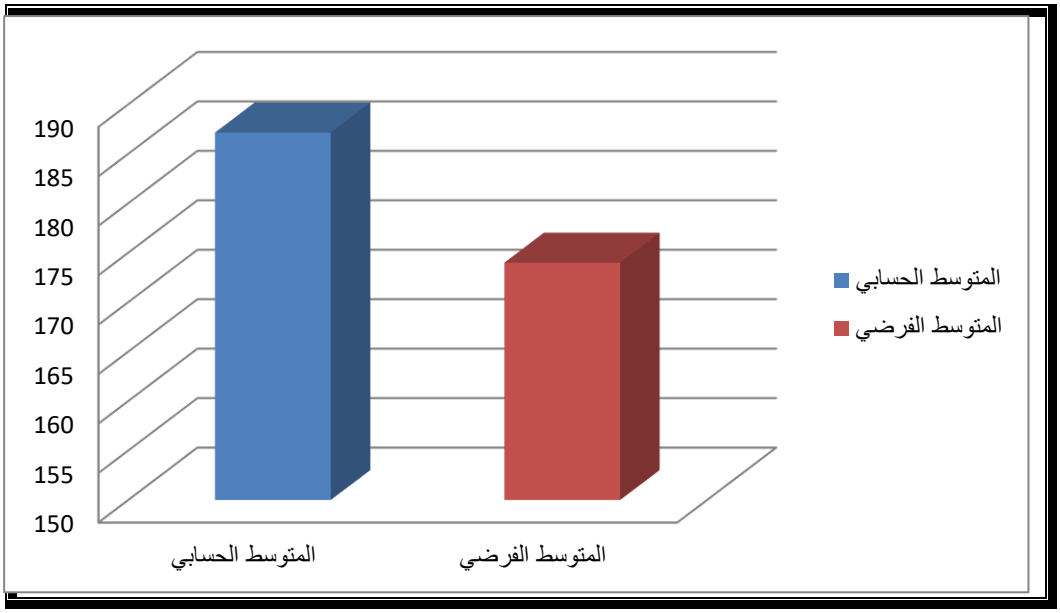

ثم قامت الباحثة بأجراء آخر وهو التعرف على مستوى الرغبة في التعلم تبعاً لمتغيري الجنس والتخصص وكما يأتي:

أ-تبعاً للجنس(ذكور – إناث): قامت الباحثة بأخذ استجابات الذكور والإناث على مقياس الرغبة في التعلم كلا على حدة, ولغرض التعرف على الفروق بين المتوسطات الحسابية والمتوسط الفرضي, استخدمت الباحثة الاختبار التائي لعينة واحدة, وتبين أن الفرق دال إحصائياً بمستوى دلالة(0,05), إذ كانت القيم التائية المحسوبة لهم هي أكبر من القيمة التائية الجدولية البالغة(1,96), وبدرجة حرية(196,202), وهذا يعني أن طلبة الجامعة من الذكور والإناث يمتلكون مستوى عالي من الرغبة في التعلم والجدول(8) والشكل(2) يوضح ذلك.

جدول(8)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والوسط الفرضي والقيمة التائية لمقياس

الجنس	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية*t		الدلالة (0,05)
					المحسوبة	الجدولية	
ذكور	203	143,695	22,461	114	18,842	1,96	دالة
إناث	197	143,178	22,403	114	18,282	1,96	دالة

الشكل(2)

المتوسط الحسابي والفرضي لمقياس الرغبة في التعلم تبعاً لمتغير الجنس

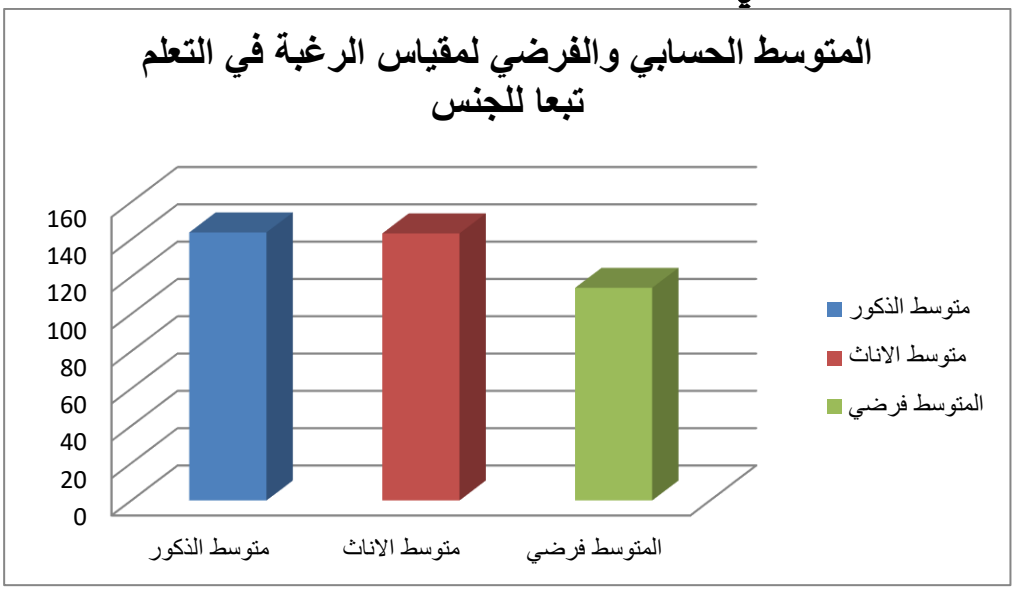

ب- تبعاً للتخصص(العلمي – الإدبي)

قامت الباحثة بأخذ استجابات الطلبة ذو التخصصين(العلمي والإدبي) على مقياس الرغبة في التعلم كلا على حدة, ولغرض التعرف على الفروق بين المتوسطات الحسابية والمتوسط الفرضي, استخدمت الباحثة الاختبار التائي لعينة واحدة, وتبين أن الفرق دال إحصائياً عند مستوى دلالة(0,05), إذ كانت القيمة التائية المحسوبة لهم هي أكبر من القيمة التائية الجدولية والبالغة(1,96), وبدرجة حرية(155,243), وهذا يعني أن طلبة الجامعة من التخصصين(العلمي والإدبي) يمتلكون مستوى عالي من الرغبة في التعلم والجدول(9) والشكل(3) يوضح ذلك.

جدول(9)

المتوسط الحسابي والانحراف المعياري والقيمة التائية لمقياس الرغبة في التعلم تبعاً للتخصص

التخصص	العدد	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	المتوسط الفرضي	القيمة التائية*t		الدلالة (0.05)
					المحسوبة	الجدولية	
العلمي	244	148,139	21,482	114	24,828	1,96	دالة
الإدبي	156	136,090	21,901	114	12,601	1,96	دالة

الشكل(20)

المتوسط الحسابي والفرضي لمقياس الرغبة في التعلم تبعاً لمتغير التخصص

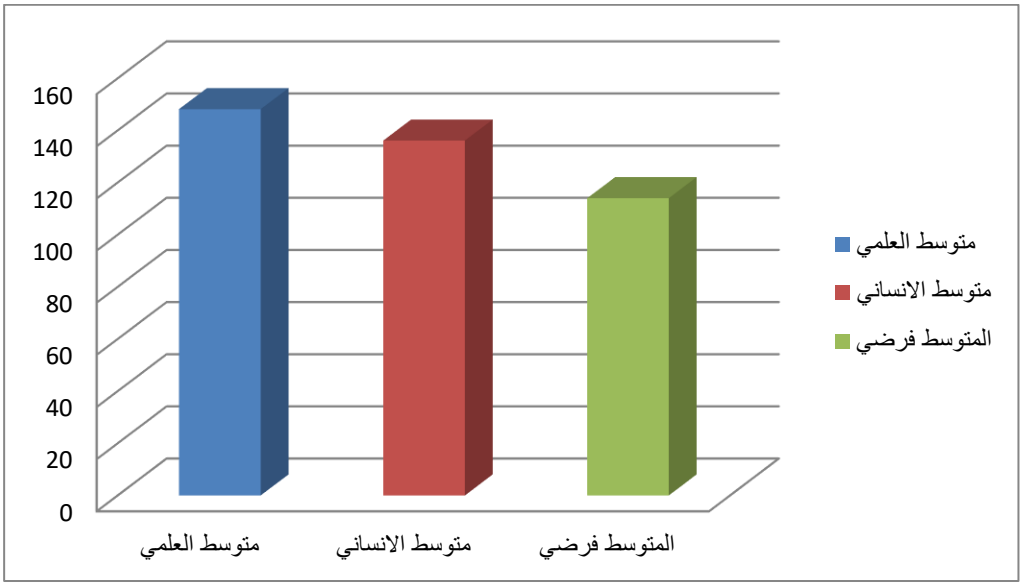

تتضح من النتائج السابقة اعلاه أن طلاب المدارس الثانوية يمتلكون مستوى عالي من الرغبة في التعلم, حيث كشفت النتائج ان عينة البحث من الذكور والإناث يمتلكون مستوى عالي من الرغبة في التعلم, أما نتائج عينة البحث وفق التخصص فكشفت أن كلا التخصصين (العلمي – الإدبي) يمتلكون مستوى عالي

من الرغبة في التعلم, وتتفق هذه النتيجة مع دراســـة (الفيل,2017), وهي نتيجة منطقية بســـبب عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية في الرغبة في التعلم تبعا متغيري الجنس والتخصص.

الاستنتاجات والتوصيات والمقترحات:

وفي ضوء النتائج التي توصل إليه البحث الحالي استنتجت الباحثة ما يلي:

أن طلاب المدارس الثانوية ككل يمتلكون مستوى عالي من الرغبة في التعلم بغض النظر عن متغيري الجنس والتخصص.

من خلال النتائج التي توصلت إليها الباحثة في البحث الحالي توصي بما يلي:

– اجراء برامج توعوية لطلاب المدارس الثانوية عن محتوى متغيرات الدراســـة الحالية لما لها من أثر في فهم هذه المتغيرات الحديثة.

– تشجيع المعلمون على استخدام وسائل وطرق لتنمية الرغبة في التعلم لدى الطلاب.

– تقديم دورات تدريبية وورش عمل لمساعدة الطلاب على تنمية الرغبة في التعلم.

– ضـــرورة البحث عن مدى تأثير المتغيرات التربوية الحديثة في نواتج التعلم وذلك لتطوير العملية التعليمية والارتقاء بها.

– تهيب الباحثة بالسادة المتخصصين والمعنيين بتأليف ووضع المناهج الدراسية للمراحل التعليمية المختلفة بضرورة الاخذ بالحسبان العديد من العوامل التي تؤثر في مستوى الرغبة في التعلم والمرتبطة بها مثل تصميم المناهج ووضوح اهدافها بشكل جيد, اضافة إلى قيمتها الموضوعية بالنسبة للطلبة, وتضمينها العديد من الامثلة التوضيحية الحياتية التي على تماس مباشر بالطلبة وتفعيل استعمال تكنولوجيا الوسائط المتعددة وبيئات التعلم الافتراضية.

وتقترح الباحثة في البحث الحالي ما يلي:

– إجراء المزيد من الدراســـات حول متغيرات البحث الحالي وعلاقتها بمتغيرات اخرى مثل: التحصـــيل الدراسي والتفكير الابداعي وعمق المعرفة وغيرها.

– إيجاد برامج تدريبية تهدف إلى تنمية الرغبة في التعلم لدى الطلبة.

– تقديم مقترح لإصلاح التعليم العام على وفق محددات معرفية تربوية ونفسية كمتغيرات البحث الحالي.

المراجع والمصادر

- علي, عبد الحميد محمد, ومحمد, رباب عادل, وعشماوي, أنس صلاح(2019): تحسين الرغبة في التعلم باستخدام برنامج قائم على التعليم خارج الفصل بمساعدة القرين لدى الاطفال ذوي صعوبات التعلم بفصول التعليم, مجلة كلية التربية, العدد(18), جامعة العريش, مصر.
- إستخارة, نور ,2018: العلاقة بين البيئة اللغوية والرغبة في تعلم اللغة العربية لدى طلبة مدرسة المعارف المتوسطة الاسلامية, رسالة ماجستير, كلية علوم التربية والتعليم, جامعة مولانا مالك ابراهيم الاسلامية مالانج, ماليزيا.
- الطريحي, فاهم حسين, حمادي, حسين ربيع(2013): مبادئ علم النفس التربوي, دار صفاء للنشر والتوزيع, عمان, ط1.
- العريفي, عمر بن سلمان(2009): شغف التعلم سر النجاح, مكتبة الملك فهد الوطنية, جدة, المملكة العربية السعودية.
- الفيل, حلمي محمد(2017): أثر التفاعل بين آنية المعلم اللفظية وغير اللفظية ومستوى الموثوقية في المعلم على الرغبة في التعلم لدى طلاب كلية التربية النوعية جامعة الاسكندرية, مجلة كلية التربية, المجلد(33), العدد(2), مصر.
- الفيل, محمد حلمي(2019):متغيرات تربوية حديثة على البيئة العربية تأهيل وتوطين, مكتبة الأنجلو
- حامد عمار وصفاء احمد(2015): المرشد الأمين لتعليم البنات والبنين في القرن الحادي والعشرون, القاهرة, الهيئة المصرية العامة للكتاب.مصرية, القاهرة, مصر.
- سولو, بوب(2008): تفعيل الرغبة في التعلم, ترجمة مركز ابن العماد للترجمة والتعريب, دار العربية للعلوم, بيروت.
- عبد الملاك, مريم موسى متى(2020): استخدام استراتيجية الرياضيات الواقعية لتنمية مستويات عمق المعرفة الرياضية وتحسين الرغبة في تعلم الرياضيات لدى طلاب المرحلة الاعدادية, مجلة جامعة الفيوم للعلوم التربوية, المجلد 14, الجزء الاول, مصر.

المصادر الاجنبية:

- Collins, M. A., & Amabila, T.M.(1999): Motivation and creativity. In R. J. Sternberg. Ed, Handbook of creativity, Cambridge University Press
- Pond, E,(2014): What's Love Got to Do with It? Reflections on the Connection of Heart and Mind in Adult Learning, 25(4.(
- Cameron, D., Kulick, D. (2003): Introduction: Language and desire in theory and practice. Language & Communication, (23), PP.93-105
- Glasser, W. (1998): Choice theory: a new psychology of personal freedom. New York. Harper Collins.
- Glasser, W.(1981): Stations of mind: new directions for reality therapy. New York: Harper& Row
- Glasser, W.(1985): Take effective control of your life. New York, [u. a.: Harper& Row.
- Glasser, W.(1990): Aresidential college preoaratory therapeutic high school: Adialogue with Tom Bratter, Journal of Counseling & Development, 68, PP. 582-585..
- Klein, M,(1968): Ia psychanalyse des enfants(trad: Boulanger J. B) Paris, 5 eme 'ed: PUF.
- Pintrich, P. R., De Groot, E. V.(1990): Motivational and Self- Regulated Learning Components of Classroom, Academic Performance, Journal of Educational Psychology, Vol.82, PP.33-40
- Ryan, R. & Deci, E.(2000): Self- determination theory and the facilitation of intrinsic motivation, social development and well- being, American Psychologist, 55,PP. 68-78.
- Ryan, R. (2012): The Oxford Handbook of Human Motivation. USA: Oxford University Press.
- Thayer- Bacon, B. (1996): Democratic Classroom Communities, Studies in Philosophy and Education,(15.(
- Tripathy, K.(2018): Need for activating the desire to learn among learners to raise the quality of education, Journal of Indian Education, xliv(3), 39-46.
- Joslin, G.(2002): Investigating the influence of rubric assessment practices on the student's desire to learn. Unpublished manuscript, San Diego State Univerity .
- Jubran, S., Samawi, F& Alshoubaki, N.(2014): The level of Students' Awareness of the Self- monitoring Strategy of Reading Comprechension Skills in Jordan and its Educational Sciences, 41,(1), PP624-637.

- Wistoft,K,(2012): The desire to learn as a kind of love: gardening, cooking, and passion in outdoor eduation. Journal of Adventure Eduation &Outdoor Learning,(1), pp.1-17.
- Ali, Abdel Al-Hamid Mohamed, Mohamed, Rabab Adel, and Ashmawi, Anas Salah (2019): Improving the desire to learn using a program based on education outside the classroom with the help of peers among children with learning difficulties for classrooms, Journal of the College of Education, Count (18), Al-Arish University , Egypt .
- Istikhara, Noor, 2018: The relationship between the linguistic environment and the desire to learn Arabic among students of the Islamic Intermediate School of Knowledge, Master's thesis, College of Education Sciences, Maulana Malik Ibrahim Islamic University Malage, Malaysia.
- Al-Tarihi, Fahim Hussein, Hammadi, Hussein Rabie (2013): Principles of Educational Psychology, Dar Safaa for Publishing and Distribution, Amman, I.
- Al-Arifi, Omar bin Salman (2006): The passion for learning is the secret of success, King Fahd National Library, Jeddah, Saudi Arabia.
- Al-fil, Helmy Muhammad (2017): The effect of the interaction between the verbal and non-verbal teacher containers and the level of reliability in the teacher on the desire to learn among students Faculty of Specific Education, Alexandria University, Journal of the Faculty of Education, Volume (33), Issue (2), Egypt.
- AL- fil, Helmy (2016): Modern educational variables on the Arab environment, rehabilitation and settlement,Egyption Anglo Library.
- Hamid, Ammar and Safa, Ahmed (2015): The faithful guide to education for girls and boys in the twenty-first century Cairo, The Egyptian General Book Organization, Cairo, Egypt.
- Solo, Bob (2008)): Activating the desire to learn, translated by Ibn Al-Imad Center for Translation and Arabization, Dar Al-Arabiya for Science, Beirut.
- Abdel Malak, Maryam Moussa Matta (2020) Using a realistic mathematics strategy to develop the levels of depth of mathematical knowledge and improve the desire to learn mathematics among preparatory stage students, AL-Fayoum University Journal of Educational Sciences, Volume 14, Part One, Egypt.

Visual and Phonological Factors Contributing to Dyslexia: An Analysis of the Orthographic Characteristics of the Arabic Language

Fouzia Badaoui
Scientific and Technical Research Center for the development of arabic language (CRSTDLA)
f.badaoui@crstdla.dz

Abstract:

This article aims to provide a critical review of the phonological deficit hypothesis, which has dominated the interpretation of developmental dyslexia for decades. Developed primarily within the context of research on Western languages, particularly English, this hypothesis assumes that reading difficulties stem mainly from impairments in processing the relationship between letters and sounds. However, the study is based on the premise that applying this explanatory framework to Arabic may not accurately reflect the nature of reading difficulties experienced by Arabic-speaking learners, given the distinctive orthographic and morphological characteristics of Arabic compared to the languages in which this hypothesis was originally developed.

Drawing on a critical review of recent literature in cognitive neuroscience, linguistics and reading sciences, the article proposes a conceptual framework for understanding dyslexia in Arabic. This framework is based on the interaction of two principal dimensions: the visual–orthographic dimension, which relates to processing the visual characteristics of the Arabic script; and the morphological dimension, which involves processing the derivational structure of words and extracting their roots, particularly in unvocalised texts.

Keywords : Developmental dyslexia ; phonological deficit ; Arabic script ; orthographic characteristics ; morphological processing ; the visual-orthographic dimension ; root extraction ; unvowelised texts.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ●09 -10-2026/07/11

المحددات البصرية والصرفية لعسر القراءة: قراءة في الخصائص الإملائية للغة العربية

فوزية بداوي

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية

f.badaoui@crstdla.dz

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى تقديم مراجعةٍ نقدية لفرضية العجز الصوتي التي هيمنت لعقود على تفسير عسر القراءة (الديسليكسيا)، والتي طُوِّرت أساسًا في سياق دراسة اللغات الغربية، ولا سيما الإنجليزية، حيث تفترض أن الصعوبة القرائية ترجع أساسًا إلى قصور في معالجة العلاقة بين الحرف والصوت. وتنطلق الدراسة من إشكالية مفادها أن تعميم هذا التفسير على اللغة العربية قد لا يعكس بدقة طبيعة الصعوبات القرائية لدى المتعلم العربي، نظرًا لما تتميز به العربية من خصائص إملائية وصرفية تختلف عن اللغات التي نشأت فيها هذه الفرضية .واستنادًا إلى مراجعة نقدية للأدبيات الحديثة في علم الأعصاب المعرفي واللسانيات وعلوم القراءة، يقترح هذا المقال إطارًا مفاهيميًا يفسر عسر القراءة في اللغة العربية من خلال تفاعل بُعدين رئيسين: البعد البصري–الخطي المرتبط بمعالجة الخصائص البصرية للخط العربي، والبعد الصرفي المرتبط بمعالجة البنية الاشتقاقية للكلمة واستخراج الجذر، ولا سيما في النصوص غير المشكلة

الكلمات المفتاحية: عسر القراءة النمائي؛ العجز الصوتي؛ الخط العربي؛ الخصائص الإملائية؛ المعالجة الصرفية؛ البعد البصري–الخطي؛ استخراج الجذر؛ النصوص غير المشكولة.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار ● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ●09 -10-2026/07/11

مقدمة

يُنظر إلى عسر القراءة النمائي بوصفه اضطرابًا نمائيًا يؤثر بصورة أساسية في اكتساب القراءة الدقيقة والطليقة، وقد ارتبط تفسيره، في جزء كبير من الأدبيات المعرفية، بصعوبات في المعالجة الفونولوجية. ويقصد بالعجز الفونولوجي هنا الصعوبة في تمثيل البنية الصوتية للكلمات والوحدات الصوتية ومعالجتها، بما قد ينعكس على تعلم العلاقات بين الوحدات الكتابية والصوتية وعلى فك الترميز. وقد ظل هذا المنظور من أكثر التفسيرات تأثيرًا في أدبيات عسر القراءة، مع ظهور نماذج لاحقة وسعت مجال التفسير ليشمل التسمية السريعة والذاكرة العاملة وعوامل معرفية ولغوية أخرى.

غير أن السؤال لا يمكن أن يُفصل عن اللغة التي تحدث فيها القراءة. فعملية القراءة ليست نشاطًا معرفيًا مجردًا يعمل بالطريقة نفسها في جميع الأنظمة الكتابية؛ إذ تتأثر الاستراتيجيات المستخدمة ودرجة سهولة فك الترميز بخصائص العلاقة بين الكتابة والصوت وبنية الكلمات وطبيعة النظام الإملائي. وقد أظهرت الدراسات العابرة للغات أن المعالجة الفونولوجية والتسمية السريعة تمثلان عوامل مشتركة في اكتساب القراءة وفي صعوبات القراءة، إلا أن وزن هذه العوامل ومظاهرها يتأثران بخصائص النظام الإملائي. وتُظهر المراجعات التحليلية العابرة للغات أن عمق النظام الإملائي يمكن أن يعدّل حجم بعض الفروق المرتبطة بعسر القراءة، ولا يلغي بذلك المكونات المعرفية المشتركة للاضطراب (Carioti et al., 2021) .

وتطرح العربية سياقًا مهمًا لهذه المسألة. فالنص العربي غير المشكول لا يمثل الحركات القصيرة عادةً، وتتغير أشكال بعض الحروف تبعًا لموقعها داخل الكلمة، وتؤدي النقاط دورًا تمييزيًا في تحديد هوية عدد من الحروف، في حين تقوم البنية الصرفية العربية على علاقات غنية بين الجذور والأوزان والزوائد والاشتقاق. ولا تعني هذه الخصائص أن القراءة العربية "بصرية" أو "صرفية" بدل أن تكون فونولوجية، وإنما تعني أن القارئ يتعامل مع مصادر متعددة للمعلومات أثناء بناء تمثيل الكلمة.

وتؤكد الدراسات التجريبية العربية أهمية هذا التمييز. فقد وجد Saiegh-Haddad و(2017) Taha، في دراسة شملت 160 طفلًا من الصفوف الأولى، أن الأطفال ذوي صعوبات القراءة أظهروا قصورًا في الوعي الفونولوجي والوعي الصرفي معًا، وأن الوعي الفونولوجي كان أقوى المتنبئات بالقراءة، في حين أضاف الوعي الصرفي تباينًا مستقلًا، وكان إسهامه أوضح في الإملاء.

ومن ثم، لا تتمثل مشكلة البحث في إثبات أن المعالجة الفونولوجية مهمة في القراءة العربية؛ فالأدلة المتاحة تدعم ذلك. وإنما تتمثل المشكلة في تحديد مدى كفاية فرضية العجز الفونولوجي بوصفها تفسيرًا شاملًا للصعوبات القرائية في العربية، وفي معرفة ما إذا كانت الخصائص الإملائية والصرفية والسياقية للغة العربية تعدّل طريقة ظهور هذه الصعوبات ووزن المكونات المعرفية المرتبطة بها.

وعليه، ينطلق المقال من السؤال المركزي الآتي:

إلى أي مدى تظل فرضية العجز الفونولوجي كافية لتفسير عسر القراءة في اللغة العربية، في ضوء الخصائص الإملائية والصرفية والازدواجية اللغوية التي تشكل سياق القراءة العربية؟

وبناء على ذلك نطرح الأسئلة التالية:

1. الدور التفسيري للمعالجة الفونولوجية في الدراسات العربية؟
2. إسهامات المعالجة الصرفية في تفسير القراءة العربية؟
3. كيفية تأثير الإملاء العربي في مظاهر الصعوبة القرائية في غياب وجود عجز بصري مستقل؟
4. المتغيرات التي يجب ضبطها لفصل الآثار الفونولوجية والإملائية والصرفية؟

1.من فرضية العجز الصوتي إلى النماذج متعددة العوامل

1.1 فرضية العجز الصوتي

تُعد فرضية العجز الفونولوجي من أكثر النماذج تأثيرًا في تفسير عسر القراءة. وتنطلق من أن الصعوبة الأساسية ترتبط بتمثيل الوحدات الصوتية للكلمات ومعالجتها، وهو ما يؤثر في اكتساب القراءة وفي فك الترميز. ولا يعني التركيز على الفونولوجيا أن القراءة تعتمد على الصوت وحده؛ بل إن النماذج المعرفية للقراءة، ومنها نموذج المسارين المتتابعين (Dual Route Cascaded Model)، تفترض تفاعل عمليات معجمية وتحت معجمية في التعرف إلى الكلمات (Coltheart et al., 2001)

وتشير الأدلة في مختلف اللغات أنّ الوعي الفونولوجي والتسمية السريعة يمثلان عاملين مهمين في تفسير صعوبات القراءة، إلا أن مظاهر عسر القراءة قد تختلف باختلاف خصائص النظام الإملائي. وفي هذا السياق، قارنت دراسة Landerl et al. (2013) عوامل التنبؤ بعسر القراءة في ستة أنظمة إملائية أوروبية متفاوتة التعقيد، وأكدت أهمية الوعي الفونيمي والتسمية السريعة، مع ظهور فروق في طبيعة الصعوبات تبعًا

لخصائص الإملاء. كما أظهرت الدراسة التجميعية لـ Carioti et al. (2021) أنّ عمق النظام الإملائي يرتبط بمظاهر مختلفة من عسر القراءة، ولا سيما فيما يتعلق بدقة القراءة وطلاقتها.

وفي اللغة العربية، لا تدعم الأدلة الحالية إقصاء الفرضية الفونولوجية، وإنما تشير إلى تفاعل العوامل الفونولوجية مع مكونات أخرى في أداء القراءة. فقد أظهرت دراسة Layes et al. (2015) أنّ الأطفال الناطقين بالعربية ذوي عسر القراءة كانوا أضعف من أقرانهم في دقة القراءة وسرعتها، كما ميزت بين نمط فونولوجي وآخر مختلط من عسر القراءة. وتدل هذه النتائج على أن صعوبات القراءة في العربية متعددة الأبعاد، وأنّ تقييمها ينبغي أن يراعي الدقة والطلاقة والمهارات الفونولوجية معًا.

2.1 فرضية العجز المزدوج

وسعت فرضية العجز المزدوج (Double-Deficit Hypothesis) مجال التفسير من خلال التركيز على التفاعل بين الوعي الفونولوجي والتسمية السريعة الآلية (RAN) وقد قدّم Wolf و Bowers (1999) لتفسير الحالات التي لا يمكن تفسير أدائها القرائي من خلال العجز الفونولوجي وحده.

ومن الدراسات التي تدعم أهمية هذا التوسع، نجد دراسة Gharaibeh et al. (2021) التي تناولت عيّنة تتكون من 615 تلميذًا في السنة الثالثة في خمس مدارس ابتدائية، وقد تمّ تقييم الوعي الفونولوجي والتسمية السريعة لدى المجموعة ذات الأداء القرائي المنخفض. وقد وجد الباحثون فروقًا في الأداء القرائي تبعًا لأنماط العجز في التسمية السريعة والوعي الفونولوجي.

وتأتي دراسة Abu Rabia و Darawshe (2024) لتدعم هذا الاتجاه، حيث أجريت الدراسة على 90 طفلًا عربيًا، وقارنت بين ثلاثة مجموعات: أطفال لديهم عسر قراءة، وأطفال من نفس العمر، وأطفال لديهم مستوى قراءة مشابه. وأظهرت النتائج أن الأطفال ذوي عسر القراءة أظهروا قصورًا في ثلاث مجالات معرفية أو أكثر، مع اختلاف هذا النمط بحسب شدة الصعوبة.

ومع ذلك، ينبغي النظر إلى هذه النتائج في ضوء حدودها المنهجية؛ فهي توضح أن صعوبات القراءة قد ترتبط بأكثر من مكوّن معرفي، لكنها لا تكفي لتحديد مدى إسهام كل مكوّن على حدة، أو توضيح طبيعة العلاقة بين المعالجة الفونولوجية والصرفية والإملائية. لذلك، تدعم هذه النتائج تبنّي منظور متعدد المكونات

لفهم عسر القراءة، لكنها لا تسمح وحدها بتحديد المكوّن الأكثر تأثيرًا أو تفسير كيفية تفاعل هذه المكونات معًا في ظهور صعوبات القراءة.

3. عمق النظام الإملائي وتباين مظاهر عسر القراءة عبر اللغات

يشير عمق النظام الإملائي إلى مدى وضوح العلاقة بين شكل الكلمة المكتوب وطريقة نطقها. ولا يُنظر إلى هذا المفهوم على أنه خاصية ثنائية تقتصر على وجود الاتساق أو غيابه، بل إن النظم الكتابية تختلف في درجة اتساقها وتقع على طيف متدرج. كما أن طبيعة هذه العلاقة قد تختلف تبعًا للوحدة اللغوية المدروسة، ونوع المهمة القرائية، والسياق الذي تظهر فيه.

فقد أظهرت دراسة Carioti et al. (2021)، وهي مراجعة تحليلية شملت 79 دراسة و14,947 مشاركًا، أن بعض مظاهر الفروق القرائية بين ذوي عسر القراءة والقراء العاديين تتأثر بالعمر وعمق النظام الإملائي. ولم تُظهر النتائج أن العمق الإملائي يلغي المكونات المعرفية المشتركة، بل أشارت إلى وجود تفاعل بين خصائص الإملاء والعمر في بعض مقاييس القراءة. ومن ثم، لا يمكن تصنيف العربية بشكل مباشر ضمن اللغات «الشفافة» أو «العميقة» دون مراعاة طبيعة الكتابة العربية نفسها. فدرجة وضوح العلاقة بين الحروف والأصوات تتغير بحسب ما إذا كان النص مشكولًا أو غير مشكول، وبحسب نوع الكلمة والسياق الذي ترد فيه. لذلك، تمثل العربية حالة مهمة لدراسة كيفية اعتماد القارئ على المعلومات الفونولوجية والإملائية والصرفية باختلاف مقدار المعلومات التي توفرها الكتابة.

4. خصائص العربية كنظام إملائي

1.4 الخصائص البصرية للخط العربي

تتضمن الكتابة العربية خصائص تجعل معالجة الهوية الإملائية للكلمة عملية ذات متطلبات خاصة، من بينها اتصال الحروف، وتغير شكل بعض الحروف بحسب موقعها، والنقط التي تميز بين عدد من الحروف ذات البنية الأساسية المتقاربة.

وتقدم دراسة Friedmann وHaddad-Hanna (2012) مثالًا واضحًا على أثر الخصائص الإملائية الخاصة باللغة العربية في معالجة الكلمات. فقد تناولت الدراسة حالات من عسر القراءة المرتبط بموضع

الحرف في الكلمة، وأظهرت أن اختلاف شكل الحرف تبعًا لموضعه داخل الكلمة يمكن أن يشكل عاملًا مؤثرًا في عملية القراءة لدى ناطقين بالعربية، وأظهرت أن أخطاء ترتيب الحروف تتأثر بمتطلبات تغيير الشكل الموضعي للحرف. وتشير هذه النتيجة إلى أن الأشكال الموضعية للحروف ليست مجرد سمة طباعية، وإنما تمثل جزءًا من المعلومات الإملائية التي يعتمد عليها القارئ في تحديد هوية الحرف وموقعه داخل الكلمة.

ومع ذلك، لا تبرر هذه النتيجة افتراض وجود «عجز بصري» لدى الأطفال ذوي عسر القراءة في اللغة العربية؛ فتعقّد المتطلبات البصرية والإملائية المرتبطة بمعالجة الحروف لا يعني بالضرورة وجود خلل بصري جوهري لدى القارئ. ومن ثمّ، ينبغي التمييز بين أثر الخصائص البصرية—الإملائية لنظام الكتابة وبين اعتبار العجز البصري سببًا مباشرًا لعسر القراءة، إذ لا توفر الأدلة الحالية أساسًا كافيًا لإثبات هذا الافتراض.

2.4 التشكيل والحركات القصيرة

يمثل التشكيل متغيرًا جوهريًا في القراءة العربية. ففي النص غير المشكول، لا تظهر الحركات القصيرة عادة في الكتابة، ولذلك يجب على القارئ استنتاج جزء من البنية الصوتية اعتمادًا على السياق والمعجم والصرف. وهذا يخلق علاقة معقدة بين:

التمثيل الإملائي ← التمثيل الصرفي ← التمثيل الصوتي.

وقد درس Abu-Rabia (2007) هذا الجانب بصورة مباشرة. ففي دراسة شملت قراءً عربًا عاديين وقراءً يعانون من عسر القراءة عبر الصفوف 3 و6 و9 و12، تبين وجود فروق واضحة بين المجموعتين في مجموعة من مقاييس القراءة، بينما أظهرت تحليلات الانحدار أن الصرف والإملاء كانا من أقوى المتنبئات بدقة القراءة والفهم القرائي.

وتدعم دراسة أخرى لـ Abu Rabia و Hijjazi (2020) أهمية التشكيل في الفهم القرائي؛ إذ درست أثر الحركات القصيرة في قراءة نصوص عربية مختلفة الأنواع والمستويات. ومن ثمّ، لا يمثل التشكيل مجرد إضافة تعليمية إلى النص، بل قد يؤثر في مقدار المعلومات المتاحة للقارئ أثناء بناء التمثيل الصوتي للكلمة.

5. الصرف والقراءة العربية

1.5 البنية الجذرية–الوزنية

تتميز العربية ببنية صرفية غنية تقوم على تفاعل الجذر والوزن والزوائد، بما يوفر للقارئ معلومات إضافية يمكن أن تسهم في التعرف إلى الكلمة وتوقع معناها وتمثيلها الصوتي. ولا يعني ذلك بالضرورة أن المعالجة تبدأ باستخراج الجذر، وإنما يشير إلى أن المعلومات الصرفية تمثل أحد مصادر المعلومات المتفاعلة أثناء القراءة .ومن ثم، فإن دراسة عسر القراءة في العربية تقتضي النظر في تفاعل المعالجة الفونولوجية مع البنية الصرفية، إلى جانب الخصائص الإملائية الأخرى، بدل حصر تفسير الصعوبة في عامل صوتي واحد..

2.5 الوعي الصرفي وعسر القراءة

تتميز العربية ببنية صرفية غنية تتضمن نظام الجذر والوزن والاشتقاق، إلى جانب الزوائد واللواصق. ومن الناحية النظرية، يمكن لهذه المعلومات أن تسهم في التعرف إلى الكلمات وفي الوصول إلى المعنى والصوت، خصوصًا عندما تكون العلاقات الصرفية بين الكلمات واضحة.

لكن ينبغي تجنب افتراض أن القارئ العربي "يستخرج الجذر أولًا" في كل عملية قراءة. فالدليل المتاح لا يبرر هذا التعميم. والأدق هو القول إن المعلومات الصرفية تمثل أحد مصادر المعلومات التي يمكن أن تتفاعل مع المعلومات الإملائية والفونولوجية أثناء القراءة.

وتقدم دراسة Saiegh-Haddad و(2017) Taha دليلًا مباشرًا على ذلك. فقد تناولت الوعي الصرفي والفونولوجي لدى الأطفال العرب في الصفوف 1–4، ووجدت أنّ الوعي الفونولوجي كان أقوى المتنبئات بالقراءة، بينما أضاف الوعي الصرفي تباينًا مستقلًا في القراءة، وكان إسهامه أكبر في الإملاء.

كما أظهرت دراسة Mahfoudhi et al. (2010) ارتباط الوعي الصرفي بالفهم القرائي لدى الناطقين بالعربية، بما يدعم إدخال المعالجة الصرفية ضمن النموذج التفسيري بدل حصر التحليل في الفونولوجيا.

إذن، الأدلة لا تسمح باستبدال "العجز الفونولوجي" بـ ‘‘العجز الصرفي"، وإنما تدعم نموذجًا أكثر تركيبًا يحتفظ بالفونولوجيا ويضيف إليها مكونات أخري

6. الصرف بين التسهيل والتعقيد

تؤدي البنية الصرفية في العربية دورًا مهمًا في معالجة الكلمات، إلا أن هذا الدور قد يختلف باختلاف طبيعة الكلمة والسياق القرائي. فقد تساعد المعلومات الصرفية القارئ على التعرف على الكلمة وفهم معناها، خاصة عندما تكون العلاقة بين الجذر والوزن والكلمات المشتقة واضحة. وفي المقابل، قد تزيد البنية الصرفية المعقدة من صعوبة المعالجة عندما تتطلب الكلمة تحليل عدد أكبر من الوحدات الصرفية وربطها للوصول إلى معناها. لذلك، لا يمكن اعتبار الصرف عاملًا مساعدًا أو عائقًا في حد ذاته، بل يتحدد أثره وفقًا لخصائص الكلمة ومستوى القارئ وطبيعة المهمة القرائية.

وتشير دراسة Asadi و Asli-Badarneh و Vaknin-Nusbaum (2024) إلى أهمية البنية الصرفية في فهم النصوص العربية. فقد شملت الدراسة 182 تلميذًا من الصف الخامس، وقارنت أداءهم في فهم نصوص تختلف في مستوى كثافتها الصرفية. وأظهرت النتائج أن مستوى الكثافة الصرفية كان مرتبطًا بأداء التلاميذ في الفهم القرائي، كما ظهر اختلاف في هذا الأثر باختلاف مستوى القراءة؛ إذ كان أداء التلاميذ ذوي صعوبات القراءة أفضل عند قراءة النصوص ذات الكثافة الصرفية المنخفضة.

ومع ذلك، لا تعني هذه النتيجة أن التعقيد الصرفي هو سبب عسر القراءة، لأن الدراسة ركزت على تأثير إحدى خصائص النص في الفهم القرائي، ولم تبحث في وجود علاقة سببية بين البنية الصرفية وعسر القراءة. والأدق هو القول إن كثافة المعلومات الصرفية قد تزيد من الجهد الذي يحتاجه القارئ لفهم النص، وقد يختلف هذا التأثير باختلاف مستوى مهاراته القرائية.

7. التفاعل بين المعالجة الفونولوجية والإملائية والصرفية

لا تتم قراءة الكلمة العربية من خلال المعالجة الفونولوجية وحدها، بل تتفاعل أثناء التعرف إليها معلومات بصرية–إملائية وفونولوجية وصرفية، إلى جانب السياق والمعنى. ولا يعني ذلك وجود مسار خطي ثابت، بل تفاعل هذه المصادر بحسب طبيعة الكلمة ومستوى التشكيل ومتطلبات المهمة.

ومن ثم، لا ينبغي تفسير عسر القراءة العربي باعتباره اضطرابًا بصريًا أو صرفيًا مستقلًا، وإنما باعتباره صعوبة قد تتشكل من تفاعل العوامل الفونولوجية مع المتطلبات الإملائية والصرفية الخاصة باللغة العربية .ويعزز هذا المنظور الانتقال من التفسير الأحادي إلى نموذج متعدد العوامل يراعي خصوصية النظام الكتابي العربي.

8. نحو نموذج تفسيري متعدد المكونات لعسر القراءة في العربية

يقترح المقال نموذجًا مفاهيميًا يقوم على ثلاث مكونات مترابطة.

أولًا: المعالجة البصرية–الإملائية

وتشمل هوية الحرف؛ موقع الحرف؛ الشكل الموضعي؛ اتصال الحروف؛ النقط؛ ترتيب الحروف؛ التعقيد البصري.

ثانيًا: المعالجة الصرفية

وتشمل تنشيط المعلومات المرتبطة بالجذر؛ التعرف إلى الوزن؛ تنشيط العائلة الصرفية؛ معالجة اللواصق؛ دمج المعلومات الصرفية مع المعلومات الإملائية والصوتية.

ثالثًا: المعالجة الفونولوجية

وتشمل الوعي الفونولوجي؛ الوصول إلى التمثيلات الصوتية؛ إعادة الترميز الفونولوجي؛ المعالجة اللازمة للربط بين التمثيل الكتابي والصوتي.

ولا تعمل هذه المكونات بوصفها "ثلاث مسارات متساوية" أو مستقلة؛ بل يُفترض أن تتفاعل، وأن يختلف وزن كل منها بحسب خصائص الكلمة والقارئ والمهمة. ويمكن تمثيل الإطار المفاهيمي على النحو الآتي:

خصائص الكلمة والسياق العربي

↓

المعالجة البصرية–الإملائية ↔ المعالجة الصرفية ↔ المعالجة الفونولوجية

↓

التعرف إلى الكلمة

↓

الدقة + الطلاقة + الفهم

وتعدل هذه العلاقة مجموعة من المتغيرات، من بينها:

التشكيل – التواتر – المألوفية – طول الكلمة – التعقيد البصري – التعقيد الصرفي – السياق.

9. العجز الصوتي و التخصص الإملائي

تُظهر المقارنة بين اللغات أن فهم دور الفونولوجيا في عسر القراءة لدى الأطفال العرب يتطلب تجاوز مجرد إثبات وجود صعوبات فونولوجية، إلى البحث في مدى إسهام هذه الصعوبات في تفسير مشكلات القراءة مقارنةً بالعوامل الإملائية والصرفية والبصرية. ويكتسب هذا الأمر أهمية خاصة في اللغة العربية، نظرًا إلى ما تتميز به من خصائص لغوية وطبيعة خاصة لنظامها الكتابي، مما قد يؤثر في كيفية ظهور هذه الصعوبات وتفاعلها أثناء عملية القراءة.

وتشير الدراسات التي تناولت القراءة لدى الناطقين بالعربية أنّ عسر القراءة لا يظهر في صورة ضعف في دقة القراءة فحسب، بل قد يمتد أيضًا إلى سرعة القراءة، مع تأثر الأداء بخصائص الكلمات. فقد أظهرت دراسة Layes et al. (2015) وجود صعوبات في سرعة القراءة لدى الأطفال ذوي عسر القراءة، إلى جانب قصور في الوعي الفونولوجي.

كما بينت دراسة Tarabya et al. (2025) إمكانية التمييز بين أنماط مختلفة من صعوبات القراءة لدى الناطقين بالعربية استنادًا إلى العلاقة بين دقة القراءة وسرعتها. وتشير هذه النتائج مجتمعة إلى أنّ خصوصية القراءة في العربية لا تتمثل بالضرورة في وجود نمط مستقل أو جذري من عسر القراءة، وإنما في أن خصائص نظام الكتابة والبنية اللغوية العربية توفر سياقًا خاصًا تتفاعل فيه المكونات الفونولوجية والإملائية والصرفية أثناء القراءة.

10. الازدواجية اللغوية في القراءة

لا يمكن دراسة القراءة العربية بمعزل عن ظاهرة الازدواجية اللغوية، إذ تختلف اللغة المستخدمة في التواصل اليومي عن العربية المعيارية المعتمدة في التعليم والقراءة، وقد تمتد هذه الفروق إلى المستويات الصوتية والصرفية والمعجمية. ومن ثم، تمثل الازدواجية عاملًا سياقيًا مهمًا في العلاقة بين اللغة المنطوقة والمكتوبة.

وتبرز أهمية هذا العامل في المراجعة الحديثة لـ Asadi و(2026) Asli-Badarneh، التي بحثت تفاعل الازدواجية مع التعقيد الإملائي في تعلم القراءة العربية من خلال مراجعة منهجية للدراسات المنشورة بين 2000 و2025 وفق معايير PRISMA. وتشير هذه المراجعة إلى أهمية النظر إلى الازدواجية بوصفها

متغيرًا مرتبطًا بالسياق قد يؤثر في حجم التحديات اللغوية التي يواجهها الطفل أثناء تعلم القراءة، وفي طبيعة العلاقة بين اللغة الشفوية واللغة المكتوبة، وليس باعتبارها سببًا مباشرًا لعسر القراءة.

11. المناقشة

تشير نتائج الدراسات السابقة إلى أن فهم عسر القراءة في اللغة العربية يستلزم اعتماد منظور شامل يقوم على مجموعة من العناصر المترابطة، مع مراعاة التفاعل بين العمليات الفونولوجية والصرفية والإملائية والمعرفية، بدلًا من تفسير صعوبات القراءة بالاعتماد على عجز معرفي واحد. وفي هذا الإطار، يتطلب تفسير عسر القراءة النظر إلى هذه العناصر بوصفها عوامل متداخلة، قد يؤثر تفاعلها في طبيعة صعوبات القراءة وشدتها لدى المتعلمين. وفي هذا السياق:

أولا: تظل المعالجة الفونولوجية عنصرًا مهمًا في تفسير الأداء القرائي، لكنها لا تفسر بمفردها جميع أوجه الصعوبة التي قد يواجهها القارئ العربي إذ تبرز أيضًا أهمية التسمية السريعة، والوعي الصرفي، والسرعة القرائية، إلى جانب جوانب معرفية أخرى.

ثانيًا: وتتأثر عملية القراءة في اللغة العربية بعدد من خصائص نظامها الإملائي، مثل التشكيل والنقط، واتصال الحروف وتغيّر شكلها بحسب موقعها في الكلمة، إلى جانب الاختلاف بين النصوص المشكولة وغير المشكولة. وقد أظهرت دراسة Friedmann و Haddad-Hanna (2012) أن تغيّر شكل الحرف تبعًا لموقعه في الكلمة قد يرتبط ببعض الأخطاء في تحديد مواضع الحروف، دون أن يدل ذلك بالضرورة على وجود عجز بصري عام لدى القارئ.

ثالثًا: للصرف دور مهم في القراءة، فكلما كان الطفل أكثر وعيًا ببنية الكلمات وتصريفاتها، كان ذلك مساعدًا له في القراءة والكتابة. لكن في الوقت ذاته، قد تجعل الكلمات ذات البنية الصرفية المعقدة عملية الفهم أكثر صعوبة، خاصة لدى الأطفال الذين يواجهون صعوبات في القراءة.

رابعًا: ينبغي تفسير هذه النتائج بحذر، نظرًا لاختلاف الدراسات في أعمار المشاركين، ومعايير تشخيص عسر القراءة، ونوعية المهام المستخدمة، ودرجة التشكيل، وطبيعة النصوص المقروءة. وقد يسهم هذا الاختلاف في تباين النتائج من دراسة إلى أخرى.

كما أن عدد الدراسات التي بحثت بشكل مباشر ومستقل في إسهام العوامل الفونولوجية والصرفية والإملائية لا يزال محدودًا. لذلك، تشير الأدلة المتاحة إلى أهمية اعتماد منظور متعدد المكونات لفهم عسر القراءة في اللغة العربية، إلا أنها لا تزال غير كافية لتحديد علاقة سببية واضحة بين هذه المكونات.

12. الآثار المنهجية والتطبيقية

إذا كان عسر القراءة في العربية يتأثر بتفاعل هذه المكونات، فإن لذلك آثارًا مباشرة على بناء أدوات التقييم. أولًا، لا ينبغي أن يقتصر التقييم على الوعي الفونولوجي، بل ينبغي أن يتضمن مقاييس للمعالجة الإملائية والصرفية.

ثانيًا، يجب التمييز بين القراءة في النصوص المشكلة وغير المشكلة.

ثالثًا، يمكن تصميم مهام تقارن الكلمات: عالية ومنخفضة التواتر؛ بسيطة ومعقدة صرفيًا؛ بسيطة ومعقدة بصريًا؛ مألوفة وغير مألوفة؛ مشكّلة وغير مشكّلة .

رابعًا، ينبغي عند تصميم الاختبارات التحكم في التشابه البصري بين الحروف، وعدد الحروف، ومواضع النقط، والبنية الصرفية.

خامسًا، يجب ألا تُفسر أخطاء القراءة العربية بالطريقة نفسها التي تفسر بها أخطاء القراءة في الإنجليزية؛ فبعض الأخطاء قد تكون ناتجة عن خصائص خاصة بالنظام الكتابي.

وفي هذا السياق، تظهر أهمية التمييز بين التشخيص اللغوي الحساس للنظام الإملائي وبين تطبيق اختبار مترجم من لغة أخرى.

13. آفاق البحث:

يتطلب التفسير متعدد العوامل لعسر القراءة في اللغة العربية التحقق من هذا الإطار من خلال دراسات تجريبية مباشرة. وفي هذا السياق، يمكن تحديد أبرز الاتجاهات التي ينبغي أن تحظى باهتمام الدراسات المستقبلية على النحو الآتي:

1. دراسة التعقيد البصري للكلمة العربية

تطوير مقاييس كمية تسمح بتحديد أثر الخصائص البصرية للكلمة، مثل عدد الحروف والنقاط ودرجة التشابه الشكلي وتغير شكل الحرف بحسب موقعه، مع التمييز بين هذه العوامل.

2. المقارنة بين الكلمات المشكّلة وغير المشكّلة

وتتم بفحص أثر التشكيل في أداء الأطفال ذوي عسر القراءة مقارنة بالقراء العاديين، مع ضبط أثر طول الكلمة وتواترها ودرجة مألوفيتها

3.دراسة أثر الجذر والوزن

ويتم بفحص مدى تأثير البنية الصرفية للكلمات بمقارنة كلمات تختلف في وضوح الجذر والوزن، مع التحكم في خصائصها الإملائية والفونولوجية.

4.التمييز بين أثر الصرف والفونولوجيا

دراسة مدى إسهام الوعي الصرفي في تفسير الأداء في القراءة، مع ضبط أثر الوعي الفونولوجي وسرعة التسمية.

5. التفاعل بين التشكيل والصرف

بحث ما إذا كان وجود العلامات التشكيلية، بما توفره من معلومات صوتية، يقلل اعتماد القارئ على المعلومات الصرفية أثناء التعرف إلى الكلمات.

6. الفصل بين السرعة والدقة في القراءة

عدم اقتصار دراسة عسر القراءة على دقة الأداء فقط، بل يجب أن تشمل أيضًا السرعة والطلاقة، ويسمح هذا بتحديد عدة أنماط من الصعوبة القرائية.

7. توظيف الدراسات العصبية

توسيع نطاق البحث العصبي باستخدام تقنيات مثل تخطيط كهربية الدماغ (EEG/ERP) والتصوير بالرنين المغناطيسي الوظيفي (fMRI)، بهدف مقارنة أنماط المعالجة العصبية للكلمات المشكلة وغير المشكلة، وكذلك للكلمات التي تختلف في درجة تعقيدها الصرفي، وربط المؤشرات العصبية بالأداء السلوكي في القراءة. وبذلك، يمكن أن تسهم هذه الاتجاهات في تحديد طبيعة التفاعل بين العوامل الفونولوجية والصرفية والإملائية والبصرية في القراءة العربية.

14. الخاتمة

تُظهر الدلائل العملية أن عسر القراءة في اللغة العربية لا يمكن إرجاعه إلى سبب واحد؛ سواء كان صوتيًا (فونولوجيًا)، أو بصريًا، أو صرفيًا. بل يتطلب فهمه النظر إلى كيفية تفاعل هذه العناصر معًا وتأثير كل منها في الأداء القرائي. ورغم أن المعالجة الصوتية تلعب دورًا محوريًا، إلا أنها ليست السبب الوحيد لهذه الصعوبات. فالبنية الصرفية تؤثر بشكل مباشر على القراءة والإملاء، بينما يغير التشكيل حجم المعلومات الصوتية التي يتلقاها القارئ. يُضاف إلى ذلك طبيعة الخط العربي وخصائصه البصرية والإملائية، والتي تتكامل مع التعقيد الصرفي لتضع تحديات إضافية أمام التعرف على الكلمات وفهمها. كما تشير الدراسات إلى وجود جوانب معرفية متنوعة تساهم في هذه الصعوبات لدى الأطفال. من هنا، يصبح من الضروري التعامل مع هذه العوامل كمنظومة واحدة متكاملة بدلاً من التركيز على عنصر منفرد.

وبناءً عليه، لا تكمن خصوصية عسر القراءة في العربية في أنه اضطراب مختلف كليًا عن بقية اللغات، بل في طريقة تفاعل النظام الكتابي والبنية اللغوية مع عملية القراءة نفسها. لذا، يُعد التبني المباشر لمنظور شمول يجمع بين المعالجات الصوتية والإملائية والصرفية، إلى جانب مراعاة خصائص الكلمة — كالتشكيل، والطول، والشيوع، والتعقيد الصرفي والبصري — المدخل الأنسب لفهم هذه الحالة.

ورغم هذه الرؤية المتوازنة، تظل هذه النتائج أفقًا أوليًا للبحث؛ إذ لا تزال الأدلة المتاحة غير كافية لصياغة نموذج سببي حاسم أو لتأسيس نظرية مستقلة تمامًا لعسر القراءة في العربية.

ختامًا، لا يكمن التحدي البحثي في المفاضلة بين الأسباب الصوتية أو البصرية أو الصرفية، بل في استكشاف كيفية تفاعلها معًا، وتحديد أثر خصائص اللغة العربية ونظامها الكتابي في تعديل دور كل عنصر منها. وبذلك، تظل الفرضية الصوتية قائمة ومهمة، لكن ضمن سياق أشمل يستوعب طبيعة اللغة العربية وتعدد العمليات المعقدة المكونة لعملية القراءة.

المراجع

1- Abu Rabia, S., & Darawshe, E. (2024). Evaluation of the multiple-deficit hypothesis among dyslexic Arabic-speaking children. *Dyslexia, 30*(2), e1759. https://doi.org/10.1002/dys.1759

2- Abu-Rabia, S. (2007). The role of morphology and short vowelization in reading Arabic among normal and dyslexic readers in grades 3, 6, 9, and 12. *Journal of Psycholinguistic Research, 36*(2), 89–106. https://doi.org/10.1007/s10936-006-9035-6

3- Abu Rabia, S., & Hijjazi, E. (2020). The role of vowelization in reading comprehension of different Arabic genres. *Journal of Psycholinguistic Research, 49*(6), 935–954. https://doi.org/10.1007/s10936-020-09696-6

4- Asadi, I. A., Asli-Badarneh, A., & Vaknin-Nusbaum, V. (2024). The impact of morphological density on reading comprehension in Arabic: A comparison between typically developing and children with reading disabilities. *Dyslexia, 30*(1), e1761. https://doi.org/10.1002/dys.1761

5- Asadi, I., & Asli-Badarneh, A. (2026). Diglossia and orthographic complexity as multiplicative but not additive challenges in Arabic: A critical review. *Journal of Psycholinguistic Research, 55*(3), 37. https://doi.org/10.1007/s10936-026-10214-3

6- Carioti, D., Masia, M. F., Travellini, S., & Berlingeri, M. (2021). Orthographic depth and developmental dyslexia: A meta-analytic study. *Annals of Dyslexia, 71*(3), 399–438. https://doi.org/10.1007/s11881-021-00226-0

7- Coltheart, M., Rastle, K., Perry, C., Langdon, R., & Ziegler, J. C. (2001). DRC: A dual route cascaded model of visual word recognition and reading aloud. *Psychological Review, 108*(1), 204–256. https://doi.org/10.1037/0033-295X.108.1.204

8- Friedmann, N., & Haddad-Hanna, M. (2012). Letter position dyslexia in Arabic: From form to position. *Behavioural Neurology, 25*(3), 193–203. https://doi.org/10.3233/BEN-2012-119004

9- Gharaibeh, M., Sartawi, A. A., Dodeen, H., & Alzyoudi, M. (2021). Effects of rapid automatized naming and phonological awareness deficits on the reading ability of Arabic-speaking elementary students. *Applied Neuropsychology: Child, 10*(1), 1–13. https://doi.org/10.1080/21622965.2019.1585247

10- Landerl et al. (2013) Predictors of developmental dyslexia in European orthographies with varying complexity. *Journal of Child Psychology and Psychiatry, 54*(6), 686–694. https://doi.org/10.1111/jcpp.12029

11- Layes, S., Lalonde, R., & Rebaï, M. (2015). Reading speed and phonological awareness deficits among Arabic-speaking children with dyslexia. *Dyslexia, 21*(1), 80–95. https://doi.org/10.1002/dys.1491

12- Mahfoudhi, A., Elbeheri, G., Al-Rashidi, M., & Everatt, J. (2010). The role of morphological awareness in reading comprehension among typical and learning disabled native Arabic speakers. *Journal of Learning Disabilities, 43*(6), 500–514. https://doi.org/10.1177/0022219409355478

13- Saiegh-Haddad, E., & Taha, H. (2017). The role of morphological and phonological awareness in the early development of word spelling and reading in typically developing and disabled Arabic readers. *Dyslexia, 23*, 345–371. https://doi.org/10.1002/dys.1572

14- Tarabya, B. M., Andria, S., & Khateb, A. (2025). Reading subtyping of Arabic-speaking university students: A contribution to the accuracy vs. rate model of dyslexia. *Annals of Dyslexia, 75*, 241–261. https://doi.org/10.1007/s11881-025-00323-4

15- Wolf, M., & Bowers, P. G. (1999). The double-deficit hypothesis for the developmental dyslexias. *Journal of Educational Psychology, 91*(3), 415–438. https://doi.org/10.1037/0022-0663.91.3.415

Mental Health and Alternative Medicine: An Integrative Psych-Anthropological Approach in Constantine, Algeria

BOUGUETTOUCHA Imene [1]
Faculty of Psychology and Education ciences, University of Constantine2 Abdelhamid Mehri, Algeria
imene.bouguettoucha@univ-constantine2.dz
LATRECHE Amina[2]
Centre of Scientific and Technical Research in Social and Cultural
anthropo2016@gmail.com

y.latreche@crasc.dz

Abstract:

This study explores the relationship between mental health and alternative medicine from a psycho-antropological perspective,in light of the growing reliance on alternative therapeutic practices to address psychological and neurological problems.It aims to examine the perceptions of alternative medicine practitioners and users regarding mental health and to identify the main therapeutic practices adopted in this field.The study employed a descriptive-analytical approach, using interviews and participant observation to collect data from alternative medicine practitioners and individuals seeking such practices.The findings identified three main therapeutic practices:herbal medicine, cupping therapy, and energy healing, alongside varying practitioners perceptions of psychological and neurological disorders.

Keywords: Mental Health; Alternative Medicine; Perceptions; Therapeutic Practices; Psycho-anthropological Approach.

الصحة النفسية والطب البديل :مقاربة تكاملية نفسية أنثروبولوجية بقسنطينة– الجزائر

ايمان بوقطوشة[1]

كلية علم النفس وعلوم التربية–جامعة قسنطينة2 عبد الحميد مهري– الجزائر

imene.bouguettoucha@univ-constantine2.dz

أمينة لطرش [2]

مركز البحث العلمي في علم الانسان الاجتماعي والثقافي TES/CRASC– الجزائر

anthropo2016@gmail.com

y.latreche@crasc.dz

ملخص:

تتناول هذه الدراسة استكشاف العلاقة بين الصحة النفسية والطب البديل من منظور نفسي انثروبولوجي انطلاقا من تنامي اللجوء الى الممارسات العلاجية البديلة في التعامل مع المشكلات النفسية والعصبية، وتهدف الى الكشف عن تصورات ممارسي الطب البديل والمقبلين عليه للصحة النفسية والتعرف على ابرز الممارسات العلاجية المعتمدة في هذا المجال.اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي والمقابلة والملاحظة بالمشاركة لجمع البيانات، شملت العينة على ممارسين للطب البديل وبعض المقبلين على هذه الممارسات العلاجية، وقد ابرزت النتائج ثلاث ممارسات علاجية رئيسية تمثلت في العلاج بالاعشاب والحجامة والطاقة مع اختلاف التصورات التي يقدمها الممارسون لطبيعة الاضطرابات النفسية والعصبية كما كشفت الدراسة عن دوافع اللجوءالى الطب البديل منها عدم الرضا عن نتائج العلاج الطبي والنفسي والخوف من الوصمة الاجتماعية، وتبرز النتائج اهمية دراسة هذه الممارسات ضمن سياقها الثقافي والاجتماعي مع ضرورة اخضاع فعاليتها لمزيد من البحث العلمي والتقييم الموضوعي.

الكلمات المفتاحية: الصحة النفسية، الطب البديل، التصورات، الممارسات العلاجية، المقاربة النفسية الانثروبولوجية.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعروة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مقدمة:

تعد الأنثروبولوجيا من العلوم الإنسانية التي تهتم بالإنسان في شموليته، سواء من حيث أصوله أو ممارساته أو تمثلاته للعالم. فهي تدرس البنى الاجتماعية والثقافية والبيولوجية والنفسية ضمن مسار تاريخي تطوري ومقارن، ما جعلها مجالاً خصبًا لفهم السلوك الإنساني وتنوعه بين المجتمعات البدائية والتقليدية والحديثة. ومن بين فروعها البارزة الأنثروبولوجيا الطبية أو أنثروبولوجيا الصحة، التي تبحث في العلاقة الجدلية بين الثقافة من جهة، والصحة والمرض من جهة أخرى، باعتبار أن الممارسات العلاجية وأنماط الرعاية الصحية تُبنى داخل سياقات ثقافية محددة. فالثقافة لا تؤثر فقط في تفسير أسباب المرض، بل أيضا في أشكال الاستشفاء وأنظمة الرعاية، سواء عبر الطب العلمي الحديث أو العلاجات التقليدية والشعبية والبديلة.

تعنى الأنثروبولوجيا الطبية بدراسة مختلف أنماط العلاج المنتشرة عالميا، من التطبيب الذاتي والمعالجين الشعبيين إلى ممارسي الطب البديل، والتصورات الثقافية للجسد والمرض والنفس. ويمثل الطب البديل أحد أهم مجالات اهتمام هذا الاختصاص، إذ ينظر إليه بوصفه فضاء تتقاطع فيه المنظورات العلمية والرمزية، خصوصا في ارتباطه بالصحة النفسية. فالعلاقة بين الطب البديل والصحة النفسية تعود جذورها إلى بدايات التاريخ الإنساني، حينما ربط لإنسان القديم الاضطرابات النفسية بقوى غيبية أو أرواح شريرة، كما في طقس ثقب الجمجمة لطرد الأرواح، أو الممارسات السحرية التي سادت في مصر القديمة لطرد الأرواح المؤذية. ومع التحول الإغريقي نحو التفكير العقلاني، فسّر أبقراط الاضطرابات النفسية بأسباب عضوية وبيئية، مؤكدًا أن اضطراب الجسد يؤدي إلى اضطراب العقل والسلوك، في حين دعم الرومان لاحقا هذا المنظور الطبيعي (القذافي،2011). غير أنّ العصور الوسطى شهدت تراجعا للروح العلمية وسيطرة الخرافة واللاهوت في معالجة الاضطرابات العقلية، إلى أن جاء عصر النهضة معلنا استعادة المنهج العلمي، وتطور الدراسة الحديثة للصحة النفسية، بمساهمة مدارس فكرية متعددة وأطباء عرب ومسلمين أسهموا في بناء معرفة علمية تشخص وتُعالج الاضطرابات النفسية والبدنية مع مراعاة التكامل بين النفس والجسد (أبو يوسف والناشري، 2009).

اليوم، يتقاطع الطب البديل مع قضايا الصحة النفسية مجددا في ظل التحولات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي تشهدها الجزائر، حيث عرف القطاع الصحي توسعا معتبًا في المستشفيات ومراكز العلاج

النفسي والعصبي والاجتماعي، إلى جانب انتشار العيادات الخاصة وارتفاع مستوى الوعي الصحي بفعل التعليم ووسائل الإعلام. ورغم ذلك، تبرز ظاهرة لافتة تتمثل في الإقبال المتزايد على الطب البديل في غياب إحصائيات رسمية دقيقة. فقد شهدت السنوات الأخيرة تنوعا كبيرا في أنماط العلاجات البديلة المستعملة، وفي مقدمتها الوخز بالإبر الصينية الذي استحدث لأول مرة في الجزائر بمستشفى الدويرة سنة 1997، ثم بمستشفى بن عكنون الذي أصبح مرجعا وطنيا في هذا النوع من العلاج. كما توسعت ممارسات الميزوتيرابي والعلاج بالطاقة والحجامة والرفلكسولوجي، رغم أن المنظومة الصحية الجزائرية لا تعترف رسميا بهذه العلاجات.

وفي هذا السياق، تبرز ولاية قسنطينة كمجال خصب لدراسة الظاهرة، إذ تشهد انتشارا متزايدا لأماكن العلاج بالطب البديل: من عيادات خاصة ومراكز متخصصة إلى محلات وقاعات علاج منزلية يمارس فيها الطب البديل بأشكاله المختلفة (الحجامة، الأعشاب، الوخز بالإبر، المعالجة الانعكاسية، التدليك...). وتُظهر الملاحظات الميدانية لجوء عدد كبير من الأفراد ممن يعانون اضطرابات عضوية ونفسية ووظيفية إلى هذه الممارسات بحثا عن علاج بديل أو مكمل للعلاج النفسي.

انطلاقًا من ذلك، تتمثل إشكالية هذه المداخلة في محاولة فهم العلاقة بين الطب البديل والصحة النفسية من منظور أنثروبولوجي، باستكشاف دوافع لجوء الأفراد إلى هذا النوع من العلاجات، وتمثلاتهم للمرض والشفاء، وآليات تشكل الثقة في هذه الممارسات ضمن السياق الاجتماعي والثقافي.

هذا ما جعلنا نتساءل:

كيف نفسر العلاقة بين الطب البديل و الصحة النفسية؟

أولا :الإجراءات المنهجية للدراسة:

المقاربة الأنثروبولوجية لموضوع الدراسة تتطلب منا تطبيق مناهج كيفية، étude qualitative، و قمنا بإجراء تحقيق ميداني في قسنطينة مع مجموعة من الأفراد الذين لهم علاقة مباشرة بالطب البديل وهم :

- المعالجون بالطب البديل (معالجين بالأعشاب، الحجامة، الطاقة)

- المقبلون على العلاج بالطب البديل.

لقد كانت لنا معهم مقابلات، كما اعتمدنا في دراستنا على الملاحظة المباشرة، واستعمال تقنية الملاحظة بالمشاركة كلما أمكن ذلك.

ثانيا:عرض ومناقشة نتائج البحث:

اجمعت الدراسات التي اهتمت بالصحة النفسية، على أنها تمثل قدرة الفرد على التعامل والتفاعل مع المحيط الاجتماعي، وذلك من خلال إيجاد طرق للتفاعل والاتصال والتواصل، لتحقيق الذات وممارسة السلوك الاجتماعي المقبول، حيث أن الوصول لحالة التوازن تتطلب الدعم من الأسرة بالشكل الأساسي ومن المجتمع، حيث " يتأثر الإنسان بالجوانب الثقافية والاجتماعية والاقتصادية والبيئية والدينية ويختلف تأثير هذه الجوانب على الفرد حسب طبيعته البيولوجية والوراثية والعمرية، فالفرد المتمتع بالصحة النفسية هو المتوافق مع نفسه ومجتمعه، والخالي من أعراض الاضطرابات الجسمية ذات المنشأ النفسي، ومن الأفراد من يصل إلى توازن مع ذاته والبيئة المحيطة به دون المرور بحالة نفسية، و منهم من يحتاج الى تدخل خارجي لمساعدته للوصول إلى توازن مع ذاته ومحيطة، سواء عن طريق العلاج النفسي أو الدوائي، أو علاجات أخرى مثل اللجوء إلى المعالجين بالطب البديل و لاحظناها خلال دراستنا الميدانية ان هناك ثلاث ممارسات يلجأ إليها هؤلاء وتعد لأكثر انتشارا وهي:

1 الأعشاب الطبية:

ازدهر طب الأعشاب بشكل ملحوظ في السنوات الأخيرة بعد غيابه لفترات طويلة، إذ عاد ليشكل أحد أبرز أساليب العلاج الطبيعي. فقد انتقلت الأعشاب من الأسواق والدكاكين التقليدية إلى المحلات المتخصصة والمعارض وحتى الصيدليات، حيث تُقدَّم بأشكال متنوعة كالكبسولات والزيوت والمستحضرات

السائلة. كما تنوعت طرق استخدامها مثل النقيع والمستحلب والتبخير، ما يعكس اندماجها في الثقافة العلاجية الحديثة. وتبقى جودة التحضيرات العشبية مرتبطة بجودة الأعشاب الخام المستعملة.

حسب المعالجين بالأعشاب الطبية الذين كانت لنا معهم مقابلات، فهناك من يربط الأمراض النفسية والعصبية حسب تصوره بالخلعة أو الكمارة العصب boule d'angoisse هي ملتقى الأعصاب تلتقي في مكان المعدة أو ما يطلق علية بالضفيرة الشمسية plexus solaire لما يصل الدم إلى ذلك المكان لا يستطيع التحرك ويسري بعنف ويصبح المكان مؤلم وتنبض وتنقبض ويقول أيضا الخلعة زلزال يدمر جسم الإنسان بشكل عام أو شيء يحطم الجهاز المناعي وبالتالي يصبح الجسم معرض للمشاكل منها أمراض الكبد، القلب، الرئتين، الكلى، وأمراض أخرى بالدرجة الأولى السرطانات التي أسبابها الخلعة أو التوترات العصبية وهي حالة نفسية عصبية تحولت إلى عضوية أي psychosomatique اضطرابات في النوم في الأكل اضطرابات في الجهاز المناعي، يضعف مباشرة الأجهزة الأخرى لأن الوظائف تفقد، نقص الوظائف يعني زيادة في ثاني أكسيد الكربون CO_2 على حساب الأكسجين يؤدي إلى استفحال كل الأمراض التي تلقى مبتغاها في هذا الجسم المتقهقر المنهك المتدهور ، كما يربطها أيضا بالدوران السيئ للدم في الجسم، في الوقت الذي كنا معه دخلت فتاة جاءت للمعالجة عنده بعد يأسها من العلاج عند الأطباء حسب قولها "***داويت عند الطبة شفت des neurologues; des généralistes, des psychologues مارتحتش حكاولي عليك جيت نشوف بلاك نلقى الحل عندك***" قال "***عندها خلعة ماشية في كل جسمها ماترقدش مليح، لا تصرف طاقة، لأن الطاقة تصرف بالأكسجين، و العضلة تعبانة لأن فيها ثاني أكسيد الكربون، إذن اليوم الثاني عملية مستحيلة لطلب الأكل لأن العضلة مشبعة بثاني أكسيد الكربون زي السيارة تحطلها البنزين تحطها في القراج مامشاتش زي الشابة الظريفة رقادها مش تمام ماتشبعش راحة اليوم الثاني الطاقة في جسمها ماتستهلكش الطاقة متى تستهلك الطاقة لما يكون الأكسجين متوفر في جسمها و الخلعة واش دير تبوشي العروق و تخلي دواران الدم سيء في***

الجسم تصبح ماهيش نافحة ما ترقدش مليح ما عيشاش ماشي في الدنيا دماغها يسطر عليها عندها خبطة في القلب ويديها ينملو ويديرلها بوعوايج في رجليها " أكدت له وقالت "***قالقة تا ع روحي ديما قلقانة مكتئبة***" قال "***يقولك الطبيب عندك les gaz في المصران و ulcère و dépression***" قالت "***نعم قالي المعدة مجروحة، من القلقة والأعصاب وراني نشرب في الدوا تع الأعصاب مادارلي والو***" قال لها "**عندك خلعة وهي كمارة عصبية من اضطراب الطاقة في الجسد وبإذن الله أعطيك علاج تشفين به**". فهذا العشاب يرجع أيضا أسباب الأمراض العضوية إلى عدم التوازن في الصحة النفسية، حيث أن الاضطرابات النفسية والعصبية تؤدي إلى لأمراض عضوية، أي ما يسمى بالأمراض نفسو جسدية، ومن خلال المقابلة معه تحدث عن الفرق بين الأمراض النفسو جسدية والهستيريا حسب تصوره في الهستيريا لا توجد أعراض عضوية لكن في الأمراض نفسو جسدية هناك خلل في وظيفة العضو، حسب محمد عثمان نجاتي " الاضطرابات السيكوسوماتية هي تلك الاضطرابات البدنية التي تنشأ عن أسباب نفسية، حيث يلعب العامل الانفعالي دورا هاما. وتختلف هذه الاضطرابات عن الاضطرابات الهستيرية من حيث أنه في الاضطرابات السيكوسوماتية يوجد بالفعل ضرر أو مرض عضوي يصيب أحد أعضاء الجسم أو أحد أجهزته، بينما لا يوجد في الاضطرابات الهستيرية ضرر أو مرض عضوي حقيقي. إن الأفراد الذين يعانون من الاضطرابات السيكوسوماتية يترددون عادة على الأطباء يشكون من أعراض بدنية مختلفة مثل ارتفاع ضغط الدم أو القرحة المعدية، ويبين الكشف الطبي فعلا وجود اضطرابات فسيولوجية تحتاج إلى علاج طبي. غير أن العلاج الطبي ليس هو كل ما يحتاج إليه هؤلاء المرضى، إذ أن اضطراباتهم الفيسيولوجية قد تنشأ في الأصل عن الصراع النفسي والقلق، لذلك فهم في حاجة أيضا إلى علاج نفسي" (أبو يوسف و الناشري، 2009). ويعتمد في علاجه لأي مرض سواء عضوي أو نفسي على تنشيط الدورة الدموية لأنها سبب كل الأمراض حسب تصوره وذلك من خلال دلك كل الجسم بزيت الزيتون من الأسفل إلى الأعلى يوم بعد يوم، شرب ملعقتين صغيرتين من خل التفاح مع كأس من الماء بعد الغذاء والعشاء، شرب ملعقة صغيرة

من مشروب الحلبة يوميا على الريق بعد صلاة الفجر، وأكل من 2إلى 3 وريقات من الكرفس كل ليلة، هذه الخطوات الأربعة تساعد على تنشط الدورة الدموية و إعادة تحريك مراكز الطاقة في الجسم وتصريفها، وإشباع الجسم بالأكسجين، ويعطي وصفة الأعشاب للمريض حسب تشخيصه للحالة، ولديه خلطة الأعشاب المهدئة التي تحتوي على الترنجان، الحبق، الينسون، الكروية تعالج القلق والكآبة والأرق حسب تعبيره أعطت نتائج جيدة مع المرضى، وخلال تواجدنا معه عند حضور حالات تعاني من اضطرابات نفسية أو صدمات لا ينصحهم بالذهاب إلى الأخصائي النفساني، أو حتى طبيب نفسي هو من يتولى علاجهم بنفسه، ومن المرضى من يقتنع به ويعالج عنده فقط، ومنهم من يعالج عند أكثر من مختص لأنه يريد الحصول على الشفاء بسرعة، فهنا نلاحظ اللجوء إلى الطب البديل بالموازاة مع العلاج بالطب الحديث فحسب Mayer Fortes "هذه الحالة في وطأة التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تمر بها المجتمعات المحلية بأنها أعراض درامية يواجهها أعضاء الثقافات التقليدية نتيجة لإحساسهم المتزايد بالافتقاد إلى الأمان الاجتماعي والشخصي" (ابراهيم واخرون.، 2005).

وهناك عشاب أخر درس سنتين علم نفس واعتمد فيما بعد على التكوين الذاتي بمساعدة الكتب واستشارة بعض الأساتذة ثم فتح عيادة للعلاجات النفسية لقيت إقبال كبير لكن فيما بعد غلق هذا الباب على نفسه حسب تعبيره لأنها متعبة، ولجأ للعلاج بالأعشاب الطبية ومن بين الأعشاب التي يستعملها حشيشة القطة، الخشخاش، الترنجان، الزعرور الشائك، لان لها تركيبات مثل العقاقير النفسية les psychotropes مثل كالسيبرونات، ترونكسان، سيلبريد، لكن هذه الأعشاب إن داوم عليها المريض تفقد مفعولها و يعطيها للشيوخ وبعض الشباب في النهائي(BAC ET BEM)، فهو كان يمارس حسب قوله العلاجات النفسية، حيث كان يستعمل الاسترخاء مع مرضاه، والإقبال عليه أكثر من المعالجين النفسانيين و المختصين في الأمراض العقلية، لأن المرضى يجدون الراحة والشفاء عنده أحسن طبعا حسب تصوره، لكن فيما بعد عرفنا أنه كان يستعمل الرقية أيضا لأنه إمام سابق ويحضر في رسالة الماجستير في

العلوم الشرعية، لكن عند مقابلتنا معه عندما أصبح حسب تعبيره طبيب أعشاب كان يحضر في رسالة الدكتوراه، وأصبح يعتمد على العلاج بالأعشاب الطبية، وأحيانا بعض العلاجات النفسية لبعض الحالات التي يراها تستلزم علاج نفسي بالإضافة إلى الأعشاب الطبية، تحدث لنا عن حالة جنسية مثلية قال أن له علاج نهائي لمثل هذه الحالات.

2 الحجامة:

عرفت الحجامة انتشارا واسعا في السنوات الأخيرة، حيث تُمارس اليوم في البيوت والمراكز وقاعات العلاج والعيادات الطبية بطرق حديثة تتلاءم مع احتياجات المجتمع المعاصر. يعتمد هذا الأسلوب على تنقية الدم من الشوائب والسموم عبر الجلد دون محاذير أو طقوس تقليدية، ويُنظر إليها كطريقة آمنة وغير مؤلمة تُسهم في الوقاية والعلاج معًا. وتُعد الحجامة ممارسة طبية قديمة عرفتها الشعوب منذ آلاف السنين، إذ استخدمت بعض القبائل قرون الحيوانات، في حين اعتمد الإغريق والرومان أكوابًا زجاجية تُسخَّن لخلق الضغط اللازم. أما الصينيون فاستعملوا أكواب البامبو مستخدمين النار في تطبيقها، وجعلوها من ركائز الطب الصيني التقليدي إلى اليوم. كما عرفها العرب القدماء وتوارثوها عن الحضارات المجاورة، وجاء الإسلام فأقرها وأكد مشروعيتها، إذ ورد في الصحيحين أن النبي محمد صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى الحجام أجره، مما عزز مكانتها العلاجية والاجتماعية في الثقافة الإسلامية.(عبد الباسط، 2010)، فما لاحظناه من خلال الدراسة الميدانية، وجود عدة أجهزة للحجامة منها الأكواب اليدوية ذات الصمام والتي يستعمل معها مسدس الشفط أو مضخة الامتصاص وتوجد على عدة أشكال، بالإضافة لجهاز الشفط الكهربائي أو ما يسمى بـl'appareil de ventouse magnétiques لكن تحدثوا عنه فقط المبحوثين لم نراه عندهم، و حسب بعض المبحوثين هناك معدات لازمة لعملية الحجامة لابد أن تتوفر عند كل من يقوم بهذه العملية، منها إبر الوخز، مجموعة الكؤوس ومضخة الامتصاص، قطن معقم، قفازات جراحية، ومواد مطهرة

تستخدم للتعقيم.

أما بالنسبة لعلاج الأمراض النفسية بالحجامة حسب المبحوثين ،أولا إقناع المريض بالعلاج سواء عند الطبيب النفسي psychiatre، أو الأخصائي النفسي psychologue، أو طبيب الأعصاب le neurologue، ولابد من أخذ الدواء بالنسبة للأشخاص الذين حالتهم النفسية تستلزم استعمال الدواء، والحجامة تكون بالتوازي مع هذا العلاج، رغم قول إحدى المبحوثات لا أحبذ استعمال العقاقير بل أعتمد على:

- ننزع الأفكار السلبية
- وزرع الأفكار الإيجابية
- التوازن في الجسد المادي والنفسي
- كسب ثقة المريض 50% علاج
- استخدام جلسات الحجامة والإبر الصينية، والعلاج بالطاقة يستجيب المريض للعلاج

كذلك تساعد الحجامة حسب المبحوثين في الوقاية من الأمراض العصبية مثلا اضطراب الكلام فنتائجها إيجابية وتختفي الاضطرابات بتكرار الحجامة عدة مرات، تستعمل في تحسين حالة التخلف العقلي بزيادة القدرات العقلية للطفل و اكتسابه المهارات، وكذلك تغير في تنظيم الدم الوارد إلى الدماغ، و تفيد في ضعف الذاكرة ونقص التركيز وضبط المشاعر والعواطف وتنظيمها، وتقلل من حدوث الآفات العصبية المناعية، فحسب تصورهم الحجامة تساعد في علاج الأمراض النفسية والعصبية مع علاجات أخرى حسب كل حالة.

3 العلاج بالطاقة:

يمكن تقسيم العلاجات المبنية على طب الطاقة إلى نوعين عريضين، وفق شكل الطاقة التي تمثل أساس تأثيراتها العلاجية. النوع الأول هو الطاقة التي توجد في أطوال موجة وترددات يمكن قياسها، مثل الضوء والصوت والمغناطيسية والإشعاع. أما النوع الثاني فيتضمن موجات طاقة خفية، تلك التي تعتقد أنظمة طبية قديمة أنها تتدفق أو تسري خلال الجسم وتحيط به. ولقد سميت "طاقة الحياة" هذه في ثقافات شتى بأسماء مختلفة. منها "كي" (في الصين) و برانا (في الهند). وقد توصف بأنها تتدفق أو تسري خلال قنوات تسمى خطوط المرديان méridiens أو مسارات الطاقة، أو تتركز في مراكز الطاقة تسمى شاكرا chakra (شرايبر، 2010)، فمن خلال الدراسة الميدانية تحت هذا الاسم العلاج بالطاقة الذي يعتبر غريب عن مجتمعنا الجزائري ولو مبدئيا في حين اجراء بحوث ممكن يكون هذا العلاج بتسميات أخرى هنا ثلاث أنواع الريكي، العلاج باللمس، وتقنية تحفيز مجال الطاقة للمشاكل النفسية والبدنية وتحرير العواطف EFT.

- **تقنية تحفيز مجال الطاقة للمشاكل النفسية والبدنية وتحرير العواطف EFT:**

مستعملي هذه التقنية يقولون أنها تعتمد على إعلان الاستقلال الذاتي ويعني التحرر من الانفعالات السلبية التي تجعل الفرد يترقى وبتخلص من أية حواجز تعويقه عن الأداء الذي يتناسب مع قدراته. و التحرر أيضا من المعاناة طيلة سنوات من الشكوك النفسية، أو الاشمئزاز، أو الحزن لفقدان حبيب أو الغضب، أو الجانب السلبي من الذاكرة الذي ينطوي على حادثة اغتصاب أو أي شكل من أشكال إساءة المعاملة أو الإيذاء الجسدي، و التحرر من القلق الذي يجعل الفرد أسير لتناول الحبوب، أو شرب الكحول، أو التدخين، الخوف الشديد، والتخلص من الفوبيا أو القلق أو نوبات الذعر، أو خلل الضغوط النفسية نتيجة التعرض لصدمة، أو التعاطي والإدمان، أو الاكتئاب ...، وهذه الطريقة حسبهم لا تعتمد على الحصص العلاجية

النفسية التي تكون مبرمجة كل أسبوع أو 15 يوم، أو حصص فحص عند طبيب عقلي أو طبيب مختص في الأمراض العصبية، ولا يصبح المريض يسمع حسبهم العبارة المملة "احكيلي قصة حياتك" ولن يتناول أية حبوب ولن يعاني مرة أخرى من أي أحداث صدمة مؤلمة ، ولن يستمر ذلك شهور أو سنوات كل ما يستغرقه هو جزئية بسيطة من والوقت وغالبا ما تكون دقائق، هذه التقنية يستعملونها أيضا بعض الأخصائيين النفسانيين بالإضافة إلى العلاج النفسي، لكن المعالجون بالطاقة يعتمدون على التقنية وحدها.

- **الريكي:**

ومعناه الطاقة الكونية، ري: تعني الكون، و كي: تعني الطاقة، ويعني هذا العلم إخراج طاقة من اليدين لغرض العلاج، وأهم مراكز الطاقة التي تسمى شاكرا و جمعها شاكرات ، التي توجد في جسم الإنسان العديد منها إنما في الريكي تستخدم الشكرات السبع الأساسية والتي بعلاجها بالإضافة للأعضاء يصل الإنسان للتوازن والشفاء الذاتي، وهذه الشاكرات هي التي تشحن لعلاج الأمراض النفسة والعضوية، حسب تشخيص كل حالة والعلاج سواء يكون مباشر أو عن بعد.

- **العلاج باللمس:**

العلاج يكون عن طريق الطاقة الموجودة في اليدين وهذه الطريقة تختلف في ممارستها عن الريكي، المعالجة بالطاقة التي كانت لنا معها مقابلة في مكتبها، هي تعالج كل الأمراض النفسية العضوية والروحية، لاحظنا في مكتبها البخور و القران، هي استاذة في اللغة الفرنسية عرفت أن لديها القدرة على العلاج بالطاقة واللمس، في البداية كانت تعالج عشوائيا ولم تجد تفسير لما تفعله مع المرضى، ثم قننت الممارسة العلاجية بذهابها إلى أمريكا اين تحصلت على ماستر في العلاج بالطاقة واللمس، و لاحظنا العلاج إقبال كبير للمرضى عليها من كلا الجنسين وكل المستويات خاصة الطبقة المثقفة، من بين الحالات التي عالجت عندها طالبة دكتوراه في البيولوجيا تعاني من اكتئاب كانت تتناول مضادات الاكتئاب والقلق، لكن عندما

بدأت العلاج عندها لات تحسن في حالتها من الحصة الثانية، حيث هذه طريقة العلاج عند هذه المعالجة توكن عن طريق خمسة حصص متتالية، وتكون إعادة هذه الحصص حسب حالة المريض، وحسب تصور المعالجة العلاج بالطاقة يهدف إلى إطلاق العواطف الحبيسة وإعادة الجسم إلى حالة من الصحة و الاتزان، من خلال أساليب تشجيع أفعال مثل البكاء والصراخ والركل، مصحوبه بأساليب استرخاء ولمسة لطيفة لتخفيف التوتر العضلي، ويساعد في علاج الأمراض النفسية والعصبية إذا ما داوم المريض على الحصص العلاجية المبرمجة له، كذلك يساعد على الوقاية من هذه الأمراض والحفاظ على الصحة النفسية.

من خلال العلاجات التي تطرقنا لها نلاحظ هؤلاء المعالجين رغم اختلاف ممارساتهم العلاجية إلا أنهم يشتركون في نقطة واحدة هي علاج الأسباب لا علاج الأعراض، ومعالجة الخلل في الطاقة، ونحن لا نستطيع الحكم على أن هذه العلاجات ناجعة مع الأمراض النفسية والعصبية أو لا لأن هذا الموضوع يحتاج دراسات أعمق، خصوصا العلاج بالطاقة الذي يبقى فيه الكثير من الغموض لأن المعالجين رفضوا حضورنا للحصص العلاجية بسب طبعا حسب تصورهم أن المرضى يعانون من طاقة سلبية والمعالج لديه طرق لحماية نفسه من هذه الطاقة، أما نحن ستؤذينا هذه الطاقة لحد الآن لا نعرف إن كان هناك تفسير علمي لهذا التبرير أم لا.

4. المقبلون على العلاج بالطب البديل:

الأشخاص الذين يعانون من اضطرابات ومشاكل نفسية وعصبية، تختلف مستوياتهم الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والتعليمة منهم من كان وجودهم في هذه الأماكن نتيجة يأسهم من الحصول الشفاء، ومنهم من يرفض فكرة الطبيب العقلي والمعالج النفسي، ومنهم من يرفض استعمال الأدوية les psychotropesلأن تعتبر مخدرات بالنسبة لهم ويفضلون الأعشاب لأن ليس لديها مضاعفات des complications، ومنهم من يتجنب نظرة الناس ويعتبر المرض النفسي أو العصبي والعقلي وصمة عار stigmatisation بالنسبة له، ومنهم من يجمع بين العلاج عند الطبيب العقلي والمختص في الأمراض

النفسية والعصبية، وعند المعالج النفسي وعند هؤلاء المعالجين، من بين هؤلاء حالة تعاني من الفوبيا والوسواس عالج عند أكثر من طبيب عقلي psychiatre، ومختص في الأعصاب neurologue، مختص نفساني psychologue، بالإضافة إلى العلاج بالأعشاب الطبية، الحجامة والعلاج بالطاقة.

من خلال هذه النتائج نجد انه رغم ان هناك اهتمام من المؤسسات النفسية والصحية والاجتماعية بالصحة النفسية، إلا أن هناك من يلجأ لبدائل أخرى أو ما يسمى الطب البديل، هذا الأخير الذي لا يهتم ممارسيه فقط بالصحة العضوية للفرد بل تعدى ذلك الاهتمام إلى الصحة النفسية والاجتماعية له، لأنه حسبهم في كل الممارسات سواء الأعشاب الطبية أو الحجامة، والعلاج بالطاقة يعتمد في علاجه على الوسائل الطبيعية التي تندرج في خانة الأدوية أو العلاج باللمس، مستندا إلى الطاقة الموجودة في جسم الإنسان، وهو شامل لأنه يقوم على مبدأ الاعتناء بجسم الإنسان بصفته وحدة متكاملة خلافا للطب الذي يتعاطى مع جسم الإنسان بشكل ميكانيكي ، ويفصل بين أعضائه في معاينتها، ويعتبر الطب البديل رابط بين جسم الإنسان وفكره وروحه واتصاله بالعالم الخارجي، أو بالأحرى مع محيطه، و يركز الطب البديل اهتمامه على رفع الطاقة في جسم الإنسان وتوجيهها نحو تحقيق الشفاء، فالطاقة الحيوية vital force بهذا المعنى ، هي محور جسم الإنسان: إذا انخفضت مرض هذا الجسم؛ و إذا ارتفعت تماثل إلى الشفاء. بالإضافة إلى ذلك لاحظنا هناك خلط بين الأمراض النفسية والعصبية والسحر والمس المقبلين على الطب البديل، رغم أن الممارسين للعلاج بالطب البديل حسب تصورهم يفرقون بينها فحسب دافيد لوبروتون فان المعتقدات والممارسات العلاجية الشعبية –والتي كان ينظر إليها على أنها ممارسات لا عقلانية أو سحرية وأنها ممارسات مقرونة بالشعوذة والمشعوذين– اصبحت تشمل على أنماط حديثة من المعالجة والمعالجين مثل المعالجة بالوخز بالإبر والمعالجة بالطاقة والمعالجة بالأعشاب الطبيعية و التداوي بالألوان والبلور وكذلك المعالجة الروحية والتي اصطلح عليها جميعا بالثقافات الطبية الفرعية حيث تتضمن كل منها طريقة خاصة في تفسير وعلاج المرض، ومن ثم فقد أصبحت تعطي للإنسان أملا جديدا في الشفاء من أمراض مستعصية وتقدم له صورة جديدة لمرضه وجسده وتكسبه بعدا رمزيا لوجوده كإنسان وتعطيه الحس الضروري بالأمان والبعد عن القلق

خاتمة:

اظهرت هذه الدراسة ان الصحة النفسية رغم الاهتمام المتزايد بها على المستوى الصحي والنفسي والاجتماعي ماتزال مجالا تتقاطع فيه انماط متعددة من التفسير والعلاج، وخلصت الى ان العلاقة بين الصحة النفسية والطب البديل تتداخل فيها ابعاد نفسية واجتماعية وثقافية وان الالجوء الى الممارسات العلاجية البديلة يمثل احد الممارسات التي يعتمدها بعض الافراد في التعامل مع المشكلات النفسية والعصبية وقد اظهرت الدراسة الميدانية بروز ثلاث ممارسات رئيسية تمثلت في العلاج بالاعشاب والطبية والحجامة والعلاج بالطاقة مع اختلاف تصورات الممارسين لطبيعة الاضطرابات زاسبابها وطرق التعامل معها ،كما بينت النتائج ان دوافع اللجوء الى هذه الممارسات تربط اساسا بالبحث عن الشفاء وعدم الرضا عن بعض نتائج العلاج الطبي ورفض الادوية و الخوف من الوصمة الاجتماعية، مع تسجيل حالات تجمع بين العلاج الطبي والطب البديل،و تُبرز هذه النتائج اهمية فهم هذه الممارسات ضمن سياقها الثقافي والاجتماعي مع عدم اعتبار انتشارها دليلا على فعاليتها العلاجية مما يستدعي مزيدا من البحث العلمي الموضوعي حولها .

وعلى ضوء ما أتت به الدراسة من نتائج، تم التوصل إلى التوصيات التالية:

- نشر ثقافة الصحة النفسية في المؤسسات: الصحية، التربوية، الاجتماعية، الثقافية، الدينية وغيرها.
- التكفل بتكوين أكاديمي وعلمي يتوافق مع المعايير العالمية للأخصائيين النفسانيين، والاهتمام بالتكوين في العلاج النفسي وفق ثقافة المجتمع الجزائري.
- القيام ببحوث أكاديمية عليمة في مجال العلاجات الموازية.
- تفعيل العمل الجماعي بين الأخصائي النفساني، المختص في الطب العقلي، المختص في طب الأعصاب وغيرهم من الفاعلين في مجال الصحة النفسية (travail de réseau).

CONCLUSION

This study has shown that, despite the growing attention devoted to mental health at the health,psychological,and social levels, it remains a field in which multiple approaches to explanation and treatment intersect.The study concludes that the relationship between mental health and alternative medicine involves interrelated psychological,social,and cultural dimensions and that resorting to alternative therapeutic practices represents one of the appoaches adopted by some individuals to cope with psychological and neurological problems.

The field sdudy revealed three main practices,namely herbal medicine, cupping therapy,and energy healing, alongside variations in practitioners perceptions of the nature of disorders,their causes and the ways of dealing with them.The findings also showed that the motives for resoting to these practices are primarily related to the search for healing, dissatisfaction with some outcomes of medical treatment, rejection of medication and fear of social stigma, with some cases combing conventional medical teatment and alternative medicine.

These findings highlight the importance of understanding such practices within their cultural and social contexts, while avoiding considering their prevalence as evidence of their therapeutic effectiveness, thereby underscoring the need for further objective scientific research into these practices.

قائمة المراجع:

1. المراجع باللغة العربية:

1. اسماعيل قيرة حميد دليمي، سليمان بومدين،(2007)،النسق القيمي والتصورات الاجتماعية، دار الأنيس، قسنطينة، الجزائر
2. إيفنز برتشارد،(1986)، الأناسة المجتمعية ديانة البدائيين في نظريات الأناسين. (ترجمة:حسن قبيسي)، دار الحداث،بيروت، لبنان
3. بيار و ميشال بونت و ايزار و اخرون،(2006)، معجم الأثنولوجيا والأنثربولوجي، (ترجمة: مصباح الصمد)، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع مجد، بيروت، لبنان

4. حسام أحمد محمد أحمد محمد أبو يوسف و الناشري، (2009)، الصحة النفسية، إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع.
5. دافيد لوبرتون، (د.ت)، أنثربولوجيا الجسد والحداثة، (ترجمة:محمد عرب صاصيلا)، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، بيروت
6. دافيد سيرفان شرايبر، (2010)، موسوعة الطب الحديث، مكتبة جرير، لبنان
7. محمد السيد عبد الباسط، (2010)، دورات في الطب البديل، MAS.
8. محمد رمضان القذافي، (2011)، أساسيات الصحة النفسية، المكتب الجامعي الحديث، مصر
9. مصطفى عوض ابراهيم واخرون، (2005)، الأنثربولوجيا الطبية، دار المعرف الجامعية، الاسكندرية

2. المراجع باللغة الفرنسية:

1. Beaud S, Weber F. Guide de l'enquête de terrain, produire et analyser des données de terrain, La Découverte, Parie
2. Boutefnouchet Mostapha(1984).système social et changement social en Algerie , O.P.U. , Alger
3. Copains Jean. (2002), L enquête ethnologique de terrain, Nathan, Parie

The Phonetic Impact of Repetition in the Holy Qur'an

A.M. Hussein Mohammed Abdul-Sada
University of Misan - College of Basic Education - Department of Islamic Education
hussinmohabd@uomisan.edu.iq
https://orcid.org/0009-0002-3071-2335

Abstract:

This research addresses the structure of repetition in the Qur'anic text as a primary manifestation of graphical inimitability (rhetorical miracle) and an intentional expressive style that completely distances itself from monotony or redundancy that might impair eloquence; and how repetition transforms into an emotional energy and an influential power aiming to attract the recipient's attention, entrench ideas in their mind, and direct their cognitive behavior. The scientific value of the study stands out in its integrated tracking of the types of repetition represented by the repetition of nouns, verbs, sounds, pronouns, and letters (particles), in addition to the repetition of verses, stories, and commas (verse-endings), while demonstrating how the Qur'anic context grants a renewed significance to each repeated word, thereby transcending the dry grammatical function into broad pragmatic and persuasive horizons. The research also reveals the precise cohesion between the phonetic, intellectual, and emotional levels, where the genius choice of letters, elongations (prolongations), and rhythmic verse-endings appears directly proportional to the psychological atmosphere of the verses, to perform eloquent semantic functions of grand impact in the listener's soul, such as intimidation, wonder, threat, prevention of illusion (misconception), glorification, and comprehensiveness, which ultimately proves that this quantitative artistic accumulation leads the recipient toward full conviction of the overall message of the text and achieves consistency and harmony in the miraculous Qur'anic weaving (texture)

Keywords: Qur'anic repetition, Graphical inimitability, Phonetic impact, The recipient, Stylistic rhythm**.**

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

الاثر الصوتي للتكرار في القرآن الكريم

م.م. حسين محمد عبدالساده
جامعة ميسان – كلية التربية الاساسية– قسم التربية الاسلامية
hussinmohabd@uomisan.edu.iq

الملخص:

يعالج هذا البحث بنية التكرار في النص القرآني بوصفها مظهراً رئيساً من مظاهر الإعجاز البياني وأسلوباً تعبيرياً مقصوداً يبتعد تماماً عن الرتابة أو الإطناب الذي قد يخل بالفصاحة، و كيف يتحول التكرار إلى طاقة انفعالية وقوة تأثيرية تهدف إلى جذب انتباه المتلقي وترسيخ الأفكار في ذهنه وتوجيه سلوكه الإدراكي. وتبرز القيمة العلمية للدراسة في تتبعها المتكامل لأنواع التكرار المتمثلة في تكرار الأسماء والأفعال والأصوات والضمائر والحروف، بالإضافة إلى تكرار الآيات والقصص والفواصل، مع بيان كيف يمنح السياق القرآني دلالة متجددة لكل لفظ مكرر، مما يتجاوز الوظيفة النحوية الجافة إلى آفاق تداولية وإقناعية رحبة. كما يكشف البحث عن التلاحم الدقيق بين المستويات الصوتية والفكرية والشعورية، حيث يظهر الاختيار العبقري للحروف والمدود والفواصل الإيقاعية متسقاً طردياً مع الجو النفسي للآيات، ليؤدي وظائف دلالية بليغة وجليلة الأثر في نفس السامع، كالترهيب، والتعجب، والتهديد، ودفع التوهم، والتعظيم، والشمول، وهو ما يثبت في النتيجة أن هذا التراكم الفني الكمي يقود المتلقي نحو الاقتناع التام بالرسالة الكلية للنص ويحقق التناسق والانسجام في السبك القرآني المعجز.

الكلمات المفتاحية: التكرار القرآني، الإعجاز البياني، الأثر الصوتي، المتلقي، الإيقاع الأسلوبي.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

توطئة:

التكرار أحد مظاهر الإعجاز في القرآن الكريم، وأسلوب من أساليب التعبير في التنزيل، شاع عند العرب منذ القدم، وحفل به شعرهم ونثرهم من زمن بعيد، فأن الشاعر أو الكاتب ليعمد أحياناً إلى تكرار اللفظة مرات عديدة إذا وجد في نفسه هوىً، وهو باب واسع في العربية، إذ ارتبط بالدرس النحوي وبالتوكيد اللفظي تحديداً، وهو عند البلاغيين مرتبط بالتوكيد لنكتة، كتأكيد الإنذار، أو زيادة البلاغة أو غيرها، فهو يعرض الخطاب عرضاً يبرز شدة حضور الفكرة المقصود إيصالها والتأثير بها، إذ يفيد في تأكيد وترسيخ الفكرة في ذهن المتلقي بعد تبليغه وإفهامه، فتكرار اللفظة ذاتها أكثر من مرة يعد أسلوباً من أساليب الإقناع، ويضيف انسجاماً في السبك وترابط بين أجزاء النص.

وقد غلط من ظن أن التكرار أحد وجوه الإطناب الذي ينزل بالكلام عن درجة البلاغة، ويخل بالفصاحة، ويكسو الكلام برودة وسماجة (مطني، 1993، صفحة 21) فهم يزعمون أن كلام البلغاء لا يتكرر، وهو ليس كذلك، بل هو من محاسنها، وذلك أن عادة العرب في خطاباتهم إذا همت بشيء أو قصدت الدعاء إليه كررته (الزركشي، 1998، صفحة 265)

ولا نرى كلمة أو آية تكررت في كلام الله إلا لحكمة، أو فائدة، أو لأمر يتطلبه المعنى، أو يدعو إليه مقتضى الحال؛ لذلك كان "آية في الحسن، لا تمله النفس ولا تصد عنه الإذن، لأنه اعتمد على أسباب جعلت كل مكرر جديد في موضعه" (فريد، 1980، صفحة 36)، فالصورة المكررة لا تحمل الدلالة السابقة، بل تأتي بدلالات جديدة بمجرد خضوعها لظاهرة التكرار الذي يؤدي رسالة دلالية فنية عبر التراكم الفني للحرف أو الكلمة أو الجملة، ومن هذا التراكم الكمي يلفت نظر المتلقي إلى غاية دلالية أرادها، وهو مؤشر أسلوبي يدل على أن هناك معانٍ بحاجة إلى الإشباع والتقويم، وبناءً على ما سبق فأن للتكرار أنواع فمنها:

أولاً– تكرار الاسم :

إن تكرار الاسم يحقق دلالة جديدة تتدفق حركة ونبضاً في فضاء النص، فضلاً عن خَلْق تأثير صوتي وإيقاعي، يسعى المتكلم من خلاله إلى استدراج المتلقي لغرض التأكيد أو أغراض أخرى، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اسْجُدُوا لِلرَّحْمَٰنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَٰنُ أَنَسْجُدُ لِمَا تَأْمُرُنَا وَزَادَهُمْ نُفُورًا﴾ (الفرقان، 60)،

إذ تكررت لفظة (الرحمن) في الآية الكريمة مرتين، مرة على لسان الرسل بقصد الإرشاد إلى الحق، ومرة على لسان المستكبرين فأفادت معنى الاستكبار الممزوج بالسخرية والتهكم من خلال استفهامهم الإنكاري (الطباطبايي، 1997، صفحة 234)، وأن تكرار هذه اللفظة ليس الهدف منها أخبار المتلقي، ولا تقديم المعلومات، بل السعي إلى التأثير به ودفعه لاتخاذ موقف ما من القضية التي تشكل موضوع النص، وهي بيان إعراض الكافرين واستهزائهم المستمر.

ثانياً– تكرار الفعل :

وقد تعددت مواضع تكرار الفعل بأنواعه، وتعددت معه أغراضه، نحو قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾ (آلعمران، 42)، فنلاحظ تكرر لفظة (اصطفاك) مرتين، يتعلق الأول بمريم منذ صغرها، أي أن الله اصطفاها منذ صغرها دون غيرها من النساء، والثاني يتعلق بمرحلة بلوغها وإنجابها لنبي الله عيسى(ع) (الجوزي، 1404هـ، صفحة 387) وقد أفاد هذا التكرار التخصيص والعناية والاهتمام بشخصها المبارك، فاستقل كل تكرار بمعنى جديد. وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ (البقرة، 286)

فقد وردت لفظة (كسبت) في الجملة الأولى أخف وأسهل لفظاً من لفظة (اكتسبت) التي وردت بعدها؛ والسبب في ذلك أن في اللفظة الأخيرة ما يدل على المشقة والضيق؛ لما في السيئة من أثر في حياة الإنسان وثقل على النفس (الزوبعي، 1996، صفحة 145)، وقيل أيضاً في تفسيرها أن "معنى كسب دون معنى اكتسب، لما فيها من زيادة وذلك أن كسب الحسنة، بالإضافة إلى اكتساب السيئة، أمر يسير ومستصغر، وذلك قال تعالى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا﴾ (الانعام، 160) أفلا ترى أن الحسنة تصغر بإضافتها إلى أجزائها، ضعف الواحد إلى العشرة (جني، 2003، صفحة 263)، فقد احتل هذا التكرار مركز الثقل الدلالي، ونقطة انطلاق تختزن فيها الفكرة المتسلطة على النص، فضلاً عن التدفقات الإيقاعية الناتجة عن هذا التكرار فخلقت قيماً صوتية مؤثرة.

ثالثاً– تكرار الصوت:

يشـــكل هذا النوع من التكرار بعداً مؤثراً في انفعالات المتلقي، ومحركاً للعملية الذهنية، ومكثفاً للطاقة الإقناعية؛ لأنه يقوي المعاني ويعمق الدلالة، ويرفع من قيمة النص لما يضـــفيه من أبعاد دلالية وموســـيقى مميزة؛ لأن الصـــوت المكرر يحمل دلالات جديدة يراد بها لفت انتباه المتلقي وتحقيق الغاية السياقية، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا﴾ (غافر، 64)، فقد خلق صوت الراء المكرر تناغم إيقاعي أطال من أمد التكرار الفكري، وجعل الفكرة تدور في ذهن المتلقي، فالأرض قارة أي ســاكنة مهيأة لخدمة الإنســان، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَـلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَـرْصَـرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَـاتٍ﴾ (فصـلت، 16)، والأصـل صـرير، إلا أنه كرر حرف الصـاد والراء ليخلق من الصـوت قوة ترهيبية تخيف المتلقي ما إن وقع وقعها في إذنه، فحمل هذا التكرار طاقة تأثيرية تتناسـب مع موسـيقى الطبيعة وأصـوات الرياح (السيد، 1986، صفحة 77)، مما أدى إلى تشخيص المعاني وتقريبها من إدراكنا الحسي.

وينبغي التأكيد في هذا السياق أنه لا توجد معانٍ جوهرية للحروف الصوتية المكررة، ولكن المرسل هو الذي يمنحها إياها، بناءً على التراكم وعلى الســياق العام والخاص (شــريم، 1987، صــفحة 36) بهدف تشكيل صورة متكاملة لصفات الموصوف، وهي صورة مجتلبة من الواقع المعيش.

رابعاً– تكرار الضمير :

الضـــمائر المكررة كثيرة في القرآن، فقد وردت في أماكن مختلفة، وكان لكل واحد معنى في موقعه يختلف عن الآخر، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ (سبأ، 35)، فتكرر الضـمير المنفصـل (نحن)، وفي الموضـعين أفاد الاسـتعلاء، فالمسـتكبر يسـتعمل الضـمير الدال على العظمة الموحية بالانفعال والقوة، ولاسـيما أن هذا الضـمير جاء زاخر بالأصـوات ذات الدلالة القوية التي منحت الخطاب مزية القوة من خلال تكرار صـوت النون (الرنانة) وهي من الأصـوات الانفجارية، فجاء هذا الصـوت مهيمناً على أسـلوبية التكرار (السـامرائي، 2001، الصـفحات 151-152)، وكان من الممكن الاسـتغناء عن هذا التكرار بيد أنه أفاد المعنى المضـمر في طيات النص، فاسـتدعى التكرار لتحفيز المتلقي ليغير نمط تفكيره، ويجدد همته ونشـاطه للوصـول إلى النتائج، فضـلاً عن التناغم الذي حققه بين أجزاء الخطاب.

إلى معرفتها والوصول إلى مراميها، وأن الطبيعة البشرية تميل إلى أن يعاد الشيء، فترسخ في أذهانهم، كما أنها ترويح للنبي ﷺ (مطني، 1993، صفحة 22) ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (هود، 120)، ولم يكن هذا التكرار مولد للرتابة أو ثقيل على السمع، بل هو تكرار متمايز عن الآخر يجعل القارئ لا يمل، ويحقق غايته في تأكيد المعنى في النفس، وتوضيح الصراع بين الحق والباطل (باحذق، 1994)، فتكررت قصص موسى وهود، وعاد وثمود، وهارون وشعيب؛ لتشبيب الصراع، وتأكيد على نهاية الظلم ليكون بمثابة البرهان أو الدليل الذي لا يُرد.

خامساً– تكرار الفاصلة :

نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا، يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا، وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَدًا﴾ (الجن، 1-2-3)، فنلاحظ تكرار فواصل الآيات جميعها (عجباً– أحداً– ولداً)، والألف صوت مد وللمد معان لغوية منها: الإنكار، والتعجب، والندبة، والتفجع، والتذكر، والنفي، والتعظيم، وانعكست هذه المعاني على المعاني النفسية العميقة (جني، 2003، صفحة 156)، فالتعجب مع الألف المد أفادت التعجب بقوة لهذا الشيء الخارق للعادة، فخلق صوت الألف استمرارية في النطق إلى ما لا نهاية وكأن العجب من هذه المعجزة مستمر إلى ما لا نهاية (محسن، 2007، صفحة 117)، ونستنتج من ذلك أن القرآن يعتني باختيار فواصله من حيث الجرس والإيقاع عنايته بالمعنى، وهو لذلك يتخير الألفاظ تخيراً لتحقيق

سادساً– تكرار الحرف :

يؤدي تكرار الأحرف على أنواعها جملة من الأغراض، إلا أن هذه الأغراض والوظائف في كنه الأمر مرهونة بالسياق الذي يرد فيه التكرار وما يلازمه من قرائن، نحو قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾ (هود، 60)، فتكررت (ألا) تهويلاً لأمرهم وتفظيعاً له، وباعثاً على الاعتبار والحذر من مثل أفعالهم (النسفي، 1998، صفحة 729)، فقد جعل النص أكثر يقيناً وتخويفاً، وجعله أكثر إقناعاً، فهو لا يؤكد كلامه إلا إذا كان المخاطب في حاجة إلى التوكيد؛ حتى ينقاد نحو التصديق بالنتيجة وهي ما سيؤول إليه الذين كفروا من السابقين واللاحقين.

وقد نجد تكرار حرف آخر، كتكرار حرف النداء في الآيتين: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ، يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (غافر، 38-39) فأعاد النداء عليهم للتنبيه والإنصات، لئلا يفتروا ويغفلوا عن تأملهم، فأفاد هذا التكرار الإيقاظ من الغفلة (الزمخشري، 2009، صفحة 554)، فشكل تكرار النداء ضغطاً ذهنياً على المتلقي ليقوده للأقناع من خلال استماله المنادى، فكرر الشكل وهو تكرار المكرر بذاته ليصحبه معه في صدق رأيه.

تكرار القصة (تكرار المعنى):"وهو إخراج المعنى الواحد في قوالب مختلفة؛ لإثبات المعنى وإقناع العقلاء بأنه ليس كلام بشر (داود، 2007، صفحة 183)"، وتكرار القصص من الأمور العظيمة التي تستأهل التكرار؛ لاشتمالها على عبر وعظة وأحداث غيبية تحتاج البشرية.

دلالات التكرار في القرآن الكريم:

يعد التكرار لوناً من ألوان إعجاز القرآن؛ لاشتماله في كل موضع على معانٍ تبرز مقاصد المرسل وتشكل مركز تأثير على المتلقي، ومن دلالات التكرار في القرآن:

الترهيب:

نحو قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ (فصلت، 13)، فهو سياق وعيدي لقريش حين اعرضوا عن الدعوة، فكرر لفظة الصاعقة عند الوعيد، فثمود أهلكهم بالصاعقة، إلا أن عاد أهلكهم بالرياح (الشربيني، 1285هـ، صفحة 609)، وهو من باب المجاز ليخلق وقع ترهيبي في ذهن المتلقي.

التعجب:

نحو قوله تعالى: ﴿فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ، ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ (المدثر، 19-20)، فأفاد التكرار المبالغة في التعجب (القاسمي، 1957، صفحة 354)، وهذا ما ينطق به العرب عند التعجب والاستعظام يقولون: قتله الله ما أشجعه، والمراد أنه قد بلغ المبلغ من الشقاءوالعناد فاستحق أن يدعى عليه، وكان الدعاء المكرر أبلغ من الأول وأشد أثراً عليهم (النيسابوري، 1416هـ، صفحة 391)

الاســـتبعاد: نحو قوله تعالى: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ (المؤمن، 36)، إذ تكررت (هيهات) لزيادة الاستبعاد (المصري)، لأنه اسم فعل ماضٍ بمعنى (بَعُدَ) فخلق تكراره استبعاداً زائداً.

التهديد والوعيد: نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (التكاثر، 3-4)، فالإنذار الثاني أبلغ من الإنذار الأول، وفيه تنبيه على تكرار ذلك مرة بعد مرة أخرى، وإن تعاقبت الأزمنة لا يتطرق إليه تغيير بل هو مستمر دائماً (باحذق، 1994، صفحة 270)، مما يشعر المتلقي أنهما تنطويان على نتيجة كلية، فكلا الآيتين توصلان إلى النتيجة الكبرى وهما الوعيد بجزاء أفعالهم.

قطع الاشـــتراك: نحو قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْـتَعِينُ﴾ (الفاتحة، 5)، إذ كررت (إياك) لقطع الاشتراك (آبادي، 1996، صفحة 130)، فأعطى تكرار ضمير النصب أثر في تكثيف الطاقة الإقناعية في الآية، مما يسهم في إيصال الرسالة إلى المتلقي، وتقرير كلامه في ذهنه وإزالة ما قد يعترضه من شك في إمكانية الاستعانة بغير الله.

دفع التوهم:

نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّـــمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (الزخرف، 84)، إذ عدل عن قوله: (وهو في الســـماء والأرض إله)، أي هو إله من في الســـماء، وإله من في الأرض، يعبده أهلهما وكلهم خاضعون له، أذلاء بين يديه (النيسابوري ع.، 1995، صفحة 83)، ولولا هذا التكرار يحصل احتمال أن في السماء إلهاً خاصاً بها وكذلك في الأرض إلهاً خاصاً بها، ولكن الإله المشترك فيها هو الله، ولا يمكن قبول هذا الاحتمال، لذلك نجده ألح في التعبير عن الغرض المراد إظهاره وهو الوحدانية، مؤكداً المعنى لاحتمالية أن يكون القارئ مشتتاً غير آبه، لكن لحظة التكرار هي التي تجذب المتلقي، فضلاً عن ما حققه من ترديد صوتي مؤثر.

التفخيم والتهويل:

نحو قوله تعالى: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ﴾ (المدثر، 26-27) ، فتكرر لفظ (سقر) للدلالة على التهويل والتفخيم، إذ أرفق التكرار الثاني بالاستفهام الحافل بالهول والاستعظام؛ لتفخيم أمرها

وبيان خطرها وعظم شأنها، وليوقع في الحس أن الأمر أعظم جداً وأهول من أن يحيط به إدراك البشر، فهو فوق كل تصور، وهذا التعبير كناية عن أمر الشيء وعلوه من أن يناله وصف واصف (الطباطبائي، 1997، صفحة 409).

التعويد:

نحو قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ (العلق، 1-2-3)، فتكرر أمر القراءة لأن النفس لا تكسبها إلا بالتكرار والتعود (المراغي، 1985، صفحة 199)، وبتردد القراءة تصبح ملكة وسلوكاً وعادة عند القراء بشكل عام وعند المخصوص بالذكر النبي الأكرم (ﷺ).

التعظيم:

نحو قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ * وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ﴾ (البلد، 1-2)فقد كرر (بهذا البلد) تعظيماً له، وهو البلد الحرام فـ"وضع الظاهر موضع الضمير في قوله- بهذا البلد- للدلالة على عظم شأنه والاعتناء بأمره، وهو البلد الحرام" (الطبرسي، 1979، صفحة 493).

الشمول:

نحو قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ (الفجر، 21)فكررت (دكاً) مرتين للشمول والاستيعاب، وكان الغرض من تكرار هذه المصادر بيان الحال وليس التأكيد (دروش، 1425هـ، صفحة 310)، أي كان تكسير الأرض شامل ومستوعب كل جزء فيها، وقد أعطى هذا التكرار للآية قيمة دلالية ترهيبية تنبههم من الغفلة، وتوقظهم من الغفوة.

الاستنتاجات

خلصت من خلال العرض السابق إلى جملة من النتائج، أوردها على النحو الآتي:

تأسيسًا على ما تقدم من طروحات ومقاربات أسلوبية، يخلص هذا البحث إلى أن بنية التكرار في النص القرآني تمثل ركيزة فنية بليغة وأداة إعجازية متكاملة، تتجاوز في جوهرها النفعي فكرة الإطناب اللفظي الجاف لتتحول إلى طاقة انفعالية وقوة تأثيرية موجهة؛ حيث أثبتت الدراسة أن التكرار القرآني بمختلف تجلياته—سواء أكان تكرارًا للاسم، أم الفعل، أم الصوت، أم الضمير، أم الفاصلة والقصة—لا

يرد في سياق الآيات اعتباطًا أو لمجرد التوكيد اللفظي، بل يعاد صياغته في قوالب متجددة تمنحه دلالات بكرًا تلائم مقتضى الحال والسياق التخاطبي. وقد كشفت الدراسة عن وجود تلاحم بنيوي وثيق بين المستويات الصوتية والدلالية، إذ يسهم التراكم الكمي للحروف والمدود الإيقاعية في خلق جرس موسيقي مهيمن يؤثر في الوجدان ويحرك العمليات الذهنية للمتلقي، مما يسهم بشكل فاعل في تكثيف الطاقة الإقناعية للنص وتوجيه سلوك السامع نحو تبني مواقف عقدية وفكرية محددة. كما بينت الخاتمة أن تنوع الوظائف الدلالية للتكرار—كالترهيب، والتعجب، والتهديد، ودفع التوهم، والتعظيم، والشمول والتعويد—ما هو إلا برهان ساطع على مرونة اللسان القرآني المعجز وقدرته الفائقة على ترويض الألفاظ لخدمة المقاصد الإلهية العليا، مما يمنح الخطاب إطارًا من التناسق والانسجام والسبك المتين الذي يشد أجزاء النص بعضها إلى بعض، ويضمن بقاء الرسالة حية ومستمرة في أذهان المتلقين على تعاقب الأزمنة والعصور.

المصادر والمراجع

1. ابن ابي الاصبع المصري. (بلا تاريخ). *بديع القران* . القاهرة: نهضة مصر.
2. ابو البركات عبدالله بن احمد النسفي. (1998). *مدارك التنزيل وحقاق التاويل*. بيروت: دار الكلم الطيب .
3. ابو الفتح عثمان بن جني. (2003). *الخصاص*. (تحقيق عبدالحميد هنداوي، المترجمون) بيروت: دار الكتب العلمية.
4. ابي القاسم محمود الزمخشري. (2009). *الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل* . دار المعرفة .
5. احمد مصطفى المراغي. (1985). *تفسير المراغي* (المجلد 2). بيروت: دار الاحياء التراث العربي.
6. ال عمران. (42).
7. الانعام. (160).
8. البقرة. (286).
9. البلد. (1-2).
10. التكاثر. (3-4).
11. الجن. (1-2-3).
12. الزخرف. (84).

13. الشيخ ابي علي الفضل بن الحسن الطبرسي. (1979). *مجمع البيان في تفسير القران*. بيروت: دار الاحياء للتراث.
14. العلق. (1-2-3).
15. آلعمران. (42).
16. الفاتحة. (5).
17. الفجر. (21).
18. الفرقان. (60).
19. المدثر. (19-20).
20. المدثر. (26-27).
21. المؤمن. (36).
22. بدر الدين الزركشي. (1998). *البرهان في علوم القران*. دار الاحياء الكتب العربية.
23. جوزيف ميشال شريم. (1987). *دليل الدراسة الاسلوبية* . مؤسسة الجامعة للدراسات والنر والتوزيع .
24. سبأ. (35).
25. طالب محمد اسماعيل الزوبعي. (1996). *من اسباب التغبير القراني* . بيروت: دار النهضة العربية.
26. عباس حميد السامرائي. (2001). *الصورة السمعية ودلالتها البلاغية في القران الكريم*. بغداد.
27. عبدالحمن بن علي بن محمد الجوزي. (1404ه). *زاد المسير في علم التفسير* . بيروت: المكتب الاسلامي .
28. عز الدين السيد. (1986). *التكرار بين المثير والتاثر* . عالم الكتب .
29. علي بن احمد النيسابوري. (1995). *الوسيط في تفسير القران المجيد*. بيروت: دار الكتب العلمية .
30. عمر محمد عمر باحذق. (1994). *اسلوب القران الكريم بين الهداية والاعجاز*. دار المامون للتراث.
31. غافر. (38-39).
32. غافر. (64).
33. فتحي عبدالقادر فريد. (1980). *فنون البلاغة بين القران وكلام العرب*. السعودية.
34. فصلت. (13).
35. فصلت. (16).
36. مجد الدين بن يعقوب الفيروز آبادي. (1996). *بصائر ذوي التميز في لطائف الكتاب العزيز*. المجلس الاعلى للشؤون الاسلامية .

37. محمد بن احمد الشربيني. (1285ه). *السراج المنير في الاعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير* . القاهرة: مطبعة بولاق الاميرية .

38. محمد جمال الدين القاسمي. (1957). *محاسن التأويل* (المجلد 1). ناشر الكتاب محمد فؤاد البابي الحلبي.

39. محمد حسين الطباطبائي. (1997). *الميزان في تفسير القران*. بيروت: مؤسسة الاعلمي للمطبوعات.

40. محمد داود. (2007). *كمال الغة العربية بين حقائق الاعجاز واوهام الخصوم نظرات فيما اثير من شبهات واوهام*. القاهرة: دار المنار.

41. محمد مطني. (1993). *من اسباب تكرار القصة في القرآن الكريم*. السعودية: الرسالة.

42. محيي الدين دروش. (1425ه). *اعراب القران الكريم وبيانه* (المجلد 1). النجف الاشرف.

43. نظام الدين الحسن بن محمد النيسابوري. (1416ه). *غرائب القران ورغائب الفرقان* . بيروت: دار الكتب العلمية .

44. هود. (120).

45. هود. (60).

46. ولاء صادق محسن. (2007). الاصوات المستمرة في اللغة العربية. *مجلة الاستاذ*، العدد63, صفحة 177.

كتاب وقائع المؤتمر الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-11/07/2026

The Universality of Religious Discourse in Combating Corruption (A Reading of Verses from the Bible and the Holy Quran)

Prof. Dr. Younis Abbas Al-Yassiri
University of Babylon / Babylon Center for Civilizational and Historical Studies
younisabbas255@gmail.com

Abstract:

Corruption, in its simplest form (the abuse of public power for private gain), is one of the most devastating issues affecting societies and a major cause of the decline and underdevelopment of countries. Therefore, many countries have sought various means to combat and combat it by enacting deterrent laws and legislation. However, many forms of corruption are widespread in these societies outside the scope and authority of the law. Since the subjective religious factor is one of the most important factors that can curb corruption in all its forms, it is important to study the means of confronting corruption in the Bible and the Holy Quran to clearly demonstrate the loftiness and sublimity of the divine books and their precedence over contemporary laws and legislation in combating corruption.

We need means to revive conscience and religious restraint, as social healing is the most powerful brake on corruption. The term corruption in the divine books is not limited to what is commonly understood in the minds of the general public, with regard to the subject of Sharia rulings only. The meaning presented, especially in the Holy Quran, is much broader than what is commonly understood and is characterized by a generality that keeps pace with the modern era.

Keywords: Islam, the Bible, the Holy Quran, land, corruption

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-11/07/2026

عالمية الخطاب الديني في مكافحة الفساد
(قراءة في آيات الكتاب المقدس والقرآن الكريم)

ا.د. يونس عباس الياسري
جامعة بابل/ مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية
younisabbas255@gmail.com

ملخص:

مصطلح الفساد بأبسط صوره (سوء استغلال السلطة العامة من أجل الحصول على مكاسب خاصة) ، وصنف من أشد الأمور التي تفتك بالمجتمعات ، و من أهم أسباب تراجع الدول وتخلفها ، ولذلك سعى الكثير منها بشتى الوسائل إلى مكافحته ومحاربته عن طريق سن القوانين والتشريعات الرادعة ، ومع ذلك تنتشر كثير من أشكاله في هذه المجتمعات خارج دائرة وسلطة القانون . عُد العامل الديني الذاتي من أهم العوامل التي يمكن أن تكبح جماح الفساد بشتى صوره لأنه العامل الوحيد الذي يوقظ الضمير ويدفعه للوقوف بوجه الفساد ، ولذلك تأتي أهمية دراسة سبل الوقوف بوجه الفساد في الكتاب المقدس والقرآن الكريم ، ليتضح بيان رفعة وسمو الكتب السماوية وأسبقيتها للقوانين والتشريعات المعاصرة في موضوع مكافحة الفساد ، نحن بحاجة إلى وسائل إحياء الضمير والوازع الديني، فالعلاج الاجتماعي هو الذي يمثل الكابح الأقوى للفساد ، فمصطلح الفساد في الكتب السماوية لا يقتصر على ما هو متعارف عليه في أذهان عامة الناس، فيما يتعلق بموضوع الأحكام الشرعية فقط ، فالمعنى الذي يطرح ولاسيما في القرآن الكريم أوسع بكثير مما هو متعارف عليه في أذهان عموم الناس ويتصف بالعمومية التي تواكب العصر الحديث .

الكلمات المفتاحية: الإسلام ، الكتاب المقدس ، القرآن الكريم ، الأرض ، الفساد

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مقدمة:

إذا كان البحث تطبيقيا فيجب ان تحتوي المقدمة على تمهيد الفساد ظاهرة معقدة يحدث على نطاقات مختلفة ، يتراوح بين امتيازات صغيرة بين عدد قليل من الناس ، وفساد يؤثر على الحكومة على نطاق واسع و يدمر مؤسساتها ، وفساد متفشٍ يمثل جزءاً من البنية اليومية للمجتمع ، وتحت عناوين الفساد تندرج كل ممارسات الاستغلال السيئ للوظيفة الحكومية أو الخاصة عندما يتعلق الأمر بالشركات الكبرى كالعمولات و الرشاوى والصفقات وذلك عندما يعرض وكلاء أو وسطاء الشركات تقديم الرشاوى للاستفادة من سياسات أو إجراءات عامة للتغلب على منافسين ، كما ويحدث الفساد عن طريق استغلال الوظيفة العامة دون اللجوء للرشوة وذلك عن طريق الوساطة و المحسوبية في الوظائف العامة أو سرقة أموال الدولة بشكل مباشر.

كثُرت الدراسات الأجنبية التي تطالب الحكومات بالتشجيع على نشر التعاليم الدينية التي تطالب الوقوف بوجه الفساد حتى يكون محركاً للضمير الإنساني للوقوف بوجه هذا الخطر الذي يهدد الدول ، وينخر المجتمعات من الداخل ويصيبها بالشلل اقتصادياً واجتماعياً وأخلاقياً ، قسم البحث وفق ثلاث مباحث : في الأول تم استعراض تعاريف الفساد ودور المؤسسات الدولية المختلفة في الوقوف بالضد من الفساد وفي المبحث الثاني مناقشة المفهوم في الكتاب المقدس والأشكال التي تبلور فيها وفي المبحث الثالث تناولنا الخطاب القرآني للحث على الوقوف بوجه الفساد عن طريق الآيات التي ربطت بين الفساد والأرض والتي تكررت في القرآن الكريم ومعرفة آراء المفسرين وفق الأقدم فالأحدث .

المبحث الأول : الفساد وأبعاده العالمية

مصطلح الفساد في القواميس الأجنبية

تعددت تعريفات الفساد واستخداماته ، على الرغم من أن معظم القواميس والأنظمة القانونية تتفق على معناه الأساسي . فقد عرفه قاموس كامبردج بأنه " السلوك غير القانوني أو السيئ أو غير النزيه، وخاصة من الأشخاص في مناصب السلطة وهذا السلوك غير أمين أو غير قانوني يتضمن قيام شخصاً في موقع سلطة من قبول المال مقابل القيام بشيء غير قانوني أو غير أخلاقي"(Cambridge University

(Press, 2026). وفي قاموس وبستر : " السلوك غير النزيه أو غير القانوني خاصة من قبل الأشخاص ذوي النفوذ مثل المسؤولين الحكوميين (Webster University Press, 2026)، وفي قاموس لونجمان : "سلوك غير أمين أو غير قانوني أو غير أخلاقي، وخاصة من شخص يتمتع بالسلطة"(Longman University Press, 2026)، وفي قاموس كولنيس " الفساد هو عدم الأمانة والسلوك غير القانوني من قبل الأشخاص في مناصب السلطة أو القوة" Collins University Press, 2026).

عُد الفساد في قاموس أكسفورد " بالسلوك غير النزيه أو الاحتيالي من قِبل أصحاب السلطة وخاصةً من قِبل ذوي النفوذ" وفي المفهوم الأعمق يبدأ التحول من النقاء إلى الانحطاط و الانحراف عن الأصل ليماثل المعنى القديم للمصطلحات المرادفة للفساد كالانحلال والتعفن وفي أصل المصطلح اللاتيني "corruptiō" و "corrumpere"نجد أشارة إلى عملية التحول هذه المتمثلة في الانحلال، حيث غالباً ما ترتبط بكلمة "تدمير ("destroy" or "destruction) في اللغة الإنجليزية. وبالتالي يشير الفساد في جوهره إلى نوع الانحلال الذي يؤدي إلى الدمار(Oxford University Press, n.d)

الفساد في موسوعة العلوم الاجتماعية : " استخدام النفوذ العام لتحقيق أرباح أو منافع خاصة ، وهذا يشمل جميع أنواع الرشاوى للمسؤولين المحليين أو السياسيين(عبد الله ، 2016: 93). و عرفه ستيفن د. موريس أستاذ العلوم السياسية بأنه " الاستخدام غير المشروع للسلطة العامة لتحقيق مصلحة خاصة " . وعرّفه الخبير الاقتصادي إيان سينيور " تقديم سلعة أو خدمة سراً لطرف ثالث للتأثير على إجراءات معينة تعود بالنفع على الفاسد، أو طرف ثالث، أو كليهما، ويكون للفاسد سلطة فيها ، ووسّع الخبير الاقتصادي في البنك الدولي، دانيال كوفمان نطاق المفهوم ليشمل الفساد القانوني ، حيث تُساء استغلال السلطة في حدود القانون فغالباً ما يمتلك أصحاب السلطة القدرة على سنّ قوانين لحمايته Anti-Corruption (Module). ومن هذه التعاريف نستنتج أن الفساد ظاهرة مركبة ، ويمكن أن يحدث على نطاقات مختلفة ، يتراوح بين امتيازات صغيرة بين عدد قليل من الناس ، وفساد يؤثر على الدولة على نطاق واسع ، وفساد متفشٍ لدرجة أنه أصبح من الصعب السيطرة عليه من الدولة(Senior, 2006:22).

ثانياً : مكافحة الفساد في المؤسسات الدولية

تعددت تعاريف الفساد بتعدد أنواعه في أروقة المؤسسات العالمية إلا أن التعريف المعتمد في جميع الكتابات قدم من قبل البنك الدولي سنة 1997الذي عرف الفساد على أنه " سوء استغلال السلطة العامة من اجل الحصول على مكاسب خاصة" ، وتحت هذا التعريف تندرج كل ممارسات الاستغلال السيئ للوظيفة الحكومية أو الخاصة عندما يتعلق الأمر بالشركات الكبرى كالعمولات ، الرشاوى ، التهرب الضريبي و الكمركي والغش الكمركي ، و إفشاء أسرار العقود والصفقات وذلك عندما يعرض وكلاء أو وسطاء الشركات أو أعمال خاصة تقديم الرشاوى للاستفادة من سياسات أو إجراءات عامة للتغلب على منافسين وتحقيق أرباح خارج حدود القوانين المرعية(الفتلي ، 2009: 7).

عدت منظمة التعاون الاقتصادي والتنمية (OECD) الفساد بأنه " إساءة استخدام منصب عام أو خاص لتحقيق منفعة شخصية " ، وعرفته منظمة الشفافية الدولية (TI) غير الحكومية بأنه " إساءة استخدام السلطة الموكلة لتحقيق منفعة خاصة " و قدمت الأمم المتحدة مشروع لمنع الفساد ، وعرفته " بالقيام بأعمال تمثل أداء غير سليم للواجب أو إساءة استغلال لموقع أو سلطة بما في ذلك أفعال الإغفال توقعاً لكسب امتياز أو سعياً للحصول على مزية يوعد بها أو تعرض أو تطلب بشكل مباشر أو غير مباشر أو أثر قبول مزية ممنوحة بشكل سواء للشخص ذاته، أو لصالح شخص آخر"(عبد السلام ،2009: 5) . وعلى الرغم من أن موضوع الفساد ليس من الموضوعات التي تعالجها الأمم المتحدة في العادة ، ولكنه فرض نفسه بعد أن شاعت صور الفساد وتعددت أشكاله بشكل كبير ، وتكمن خطورته على أمن الدول واستقرارها لما يترتب عليه من نزيف للموارد وتهريب للأموال وإخراجها من بلدانها الأصلية مما اقتضى تدخل المجتمع الدولي لوضع حد لهذا الأثر بالذات، فضلاً عن تهريب أموال الشعب وحرمانه من الاستفادة بها مما يؤثر تأثيراً كبيراً على التنمية والتقدم فيه(عبد السلام ،2009: 5) .

ورد في ديباجة مشروع الاتفاقية "إن الجمعية العامة إذ تقلقها خطورة المشكلات التي يطرحها الفساد والتي يمكن أن تهدد استقرار المجتمعات وأمنها... وتعرض التنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للخطر... وإذ يقلقها أن حالات الفساد ولاسيما الواسعة النطاق غالباً ما تنطوي على مبالغ مالية طائلة تمثل نسبة كبيرة من موارد البلدان المتأثرة، وأن تسريب تلك الأموال يلحق ضرراً بالغاً بالاستقرار السياسي لتلك البلدان

وتطورها الاقتصادي والاجتماعي". لذلك فقد نوهت الديباجة بالاتفاقات والوثائق السابقة التي اتخذت لمكافحة الفساد على النطاق الدولي مثل اتفاقية مجلس أوربا ، واتفاقية منظمة التعاون والتنمية في المجال الاقتصادي والاجتماعي ، ومنظمة الدول الأمريكية وأشارت إلى اتفاقية مكافحة رشوة الموظفين العموميين والأجانب في المعاملات التجارية الدولية عام ١٩٧٧م، والاتفاقية الأمريكية لمكافحة الفساد التي اعتمدت عام١٩٩٦م وغيرها(عبد السلام ، 2009: 6) .

هناك إجماعٌ يُعبِّر عنه القبول شبه العالمي لاتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد والتي ضمت حتى سنة 2019حوالي 186 دولةً. وتشير مراجعاتُ تقدُّم هذه الدول في تنفيذ الاتفاقية إلى تجريمٍ شبه عالمي لبعض أفعال الفساد المُعرَّفة فيها. وهذه الاتفاقية لمكافحة الفساد لا تُعرّف الفساد بحد ذاته، بل تُعرّف أفعال فساد مُحددة، وتحثّ الدول الأطراف على تجريمها في ولاياتها القضائية. يُعزى هذا القرار جزئياً إلى صعوبة تعريف الفساد، كما أنه يشير من أن الفساد يتراوح بين حالة رشوة واحدة لموظف حكومي بدخل محدود كحد أدنى، وتحويل الديمقراطية إلى نظام حكم لصوصي (أي حكم قادة فاسدين يستغلون الناس والموارد الطبيعية لزيادة ثرواتهم الشخصية وسلطتهم السياسية) كحد أعلى (Anti-Corruption Module – Baseline).

شملت الأفعال غير القانونية التي تُعرّفها اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد كجرائم فساد، الرشوة والاختلاس في القطاعين العام والخاص والمتاجرة بالنفوذ و إساءة استغلال الوظيفة و الإثراء غير المشروع وغسيل الأموال وعرقلة سير العدالة ، والصياغة القانونية الدقيقة لهذه الجرائم معقدة . فعلى سبيل المثال ، عرفت المادة (15) من اتفاقية الأمم المتحدة **الرشوة** بأنها "وعد موظف عمومي بمزية غير مستحقة ، أو عرضها عليه ، أو منحه إياها، بشكل مباشر أو غير مباشر، سواءً لصالحه أو لصالح شخص أو كيان آخر، لكي يقوم الموظف بفعل أو يمتنع عن القيام به في إطار ممارسة واجباته الرسمية". وينطبق الشيء نفسه على اختلاس الممتلكات وإساءة استخدامها. وبعيداً عن التعريف القانوني المعقد، فإن خلاصة القول هي أن شخصاً مؤتمناً على شيء ذي قيمة (مثل الممتلكات أو الأموال أو الاستثمارات) قد استولى عليه لنفسه أو حوله إلى طرف ثالث على حساب الآخرين ، إنه في الأساس مزيج من الخيانة والسرقة. وفي المادة (19) من اتفاقية الأمم المتحدة لمكافحة الفساد حددت جريمة إساءة استخدام الوظائف. ويمكن أن تنطبق هذه

الجريمة على مواقف مثل المحسوبية (استخدام موارد الدولة لمكافأة الأفراد على دعمهم الانتخابي) والمحسوبية (المعاملة التفضيلية للأقارب) والمحسوبية (منح الوظائف والمزايا الأخرى للأصدقاء أو الزملاء الموثوق بهم ، وكلها تُقوّض عملية صنع القرار المستقلة أو التمثيلية الديمقراطية، والعمليات العادلة والتنافسية في تشكيل الحكومات أو تعيين موظفيها. ومثل جرائم الرشوة والاختلاس، تُعدّ هذه الأشكال من الفساد مُدمّرة للغاية للشفافية والمساءلة وسيادة القانون. وهذا ليس تأثيرها فحسب، بل هو أيضاً هدفها وغايتها(Anti- Corruption Module - Baseline) .

مكافحة الفساد في سياق الكتاب المقدس

مصطلح الفساد في الكتاب المقدس، يُشير إلى الانحطاط الأخلاقي و الناتج عن الخطيئة ومخالفة أوامر الله ويتمثل بفساد القلب الداخلي ومظاهر السلوك الخاطئ . وكثيراً ما يتناول الكتاب المقدس الفساد كقضية جوهرية تؤثر على الأفراد والمجتمعات، بل وحتى على الخليقة نفسها. وأصل المصطلح في اللغة العبرية "مِشْحَث" و"مَشْحَث" و"مَشْحَث" ومرادفاتها اليونانية "فَثْرَة" و"ديافْثْرَة"، ولها الكثير من المشتقات والأفعال المتشابهة، و في المقام الأول يقصد بها الانحلال والتحلل الجسدي (الكتاب المقدس ، أيوب ١٧: ١٤) أما كلمة "شَحَث"، التي تُرجمت في ترجمة الملك جيمس بـ"فساد" فتُترجم إلى "حفرة" الكتاب المقدس ، المزامير ٣٠: ٩ ؛ ٣٥: ٧ ، بينما تعني كلمة "شَحَث بِلِي" "حفرة العدم"، أي "الهلاك" مجازياً الكتاب المقدس، إشعياء ٣٨: ١٧. وهذه الكلمات المذكورة أعلاه معناها غير الحرفي يدل على الانحطاط الأخلاقي والفساد الكتاب المقدس ، (تكوين ٦: ١١؛ خروج ٣٢) ، والذي ينتهي بهلاك أخلاقي تام ويأس، أي الموت الثاني. وقد طُرح سؤال حول إمكانية توسيع معنى هذه الكلمات ليشمل فكرة الهلاك النهائي وفناء الروح. ويمكن القول من خلال الاستعارات المستخدمة في الكتاب المقدس لتوضيح حالة "الفساد"، مثل "النار التي لا تُطفأ"(مرقس 9: 43، 18؛ قارن إشعياء 66: 24) ، و"النوم" (الكتاب المقدس ، دانيال 12: 2)، حيث يُفرّق بدقة بين حالة النعيم بعد موت الصالحين والعار الأبدي للكافرين ، كما أن اللاهوت اليهودي اللاحق متفق تماماً على هذه النقطة . وبالتالي، لا يمكن أن يتجاوز معنى الكلمات فكرة الانحطاط الأخلاقي والفساد المطلق.(Luering,2004). و تُستخدم كلمات عبرية عدة للإشارة إلى كلمة "مُفسد ."كلمة "lbx" المستخدمة في "Piel" تعني "يُخرب"، "يُدمر"، وفي "Qal" تعني "يُفسد ."كلمة

"qwm"تعني "يُبدد"، "يُسبب إهلاكًا"، أي يُدمر الآخرين تدريجياً بالقمع(Wilson, p97)كلمة "txv" تعني "يُفسد"، "يُدمر"، "يُفسد"، "يُفسد"،(, ,Warren, 2003, p.1124) تُفسد الحكمة، وتُحرّفها لغرض المكر والخداع (الكتاب المقدس ، حزقيال : ٢٨) .

أشكال الفساد في الكتاب المقدس

ذُكرت عدة أشكال للفساد في الكتاب المقدس ، ويمكن ملاحظة الإشارات الكتابية التالية وهي عينة من نصوص وردت في العهد القديم التي تُدين العديد من السلوكيات الفاسدة :

الرشوة – [dxv] مثال: خروج ٢٣: ٨؛ ١ صموئيل ٨: ٣مثال تثنية ١٠: ١٧؛ ١٦: ١٩؛ ٢ أخ ١٩: ٧ أمثال ١٧: ٢٣ ميخا ٣: ١١) ، **الغش** – [lth] مثال: تكوين ٣١: ٧ وخروج ٨: ٢٥) ،الطمع – [dmx]مثال: خروج ٢٠: ١٧ **الخداع** – [bq[] مثال: إرميا ١٧: ٩ ، **الكسب غير المشروع** – [cb]]مثال: ١ صموئيل ٨: ٣–٥ ، **ابتزاز** – [qv[] على سبيل المثال، لاويين 5:23 ، حزقيال 22:29، **شهادة الزور/الكذب** – [rqv] على سبيل المثال ، خروج 20: 16؛**الخداع** – [bng] على سبيل المثال، تك 31: 26؛ **الظلم** – [cxl] على سبيل المثال، خروج 22: 21؛ 23:9، **الجشع** – [cb]]أمثال 15:27؛ حزقيال 22:27؛ **الإكراه/السرقة** – [lzg] على سبيل المثال، تك 31: 31، مز 62: 10، إشعياء 61: 8؛ **التزييف** – [lx@] على سبيل المثال، لاويين 27: 10، **الظلم** – [lw[]على سبيل المثال،لاويين 19: 35)؛ **الاحتيال** – [qv[] مثال: ميخا ٢:٢، **الاكتناز** [sx!] –مثال: إشعياء ٢٣:١٨؛ التظاهر – [rkn] مثال: تكوين ٣١:٣٢، **فساد** (**انحراف** [tzl] (الشفاه – مثال: أمثال ٤:٢٤. و الفساد هو إفساد عمل الله (تكوين ٦: ١١–١٢) والتصرف خلافًا لأمره (خروج ٣٢:٧). ويشمل ذلك أي فعل يُعادل الابتعاد عن الله (تثنية ٩:١٢، ٣١:٢٩؛ ٣٢:٥، إشعياء ١:٤؛ مزمور ١٤:١). الفساد الأخلاقي يعني فقدان النزاهة والفضيلة(Yaw Adu,2020: 86–99) .

مكافحة الفساد في الكتاب المقدس (الرشوة أنموذجاً)

الرشوة هي ما يعطي لقضاء مصلحة، أو ما يعطي لإحقاق باطل أو إبطال حق، وقد ذكرت كثيرًا في العهد القديم الكتاب المقدس ، (صموئيل 8: 3 وأمثال 17: 23). والكتاب المقدس يحرّم الرشوة تحريماً قاطعاً، ويحثّ الناس أن يتعاملوا على أساس المحبة والصدق والإخلاص والأمانة وإحقاق الحق والابتعاد عن الباطل **"وَلاَ تَأْخُذْ رَشْوَةً، لأَنَّ الرَّشْوَةَ تُعْمِي الْمُبْصِرِينَ، وَتُعَوِّجُ كَلاَمَ الأَبْرَارِ " (الكتاب المقدس ، سفر الخروج 23: 8) .**

لاشك أن الرشوة فعل مشين ومستهجن، لمالها من خطر كبير على الأفراد والمجتمعات والدول، حيث تنطوي على أخطار كبيرة تهدد كيان المجتمع، فإذا ما انتشرت في مجتمع فإنها تؤذن بانهياره . وتجدر الإشارة إلى أن جريمة الرشوة تبدو واضحة ولكن على الرغم من العقوبات المقررة لجريمة الرشوة، سواء في الشرائع الدينية ، أو في مدونات العقوبات المختلفة، فإن التوقف عند مجرد رصد العقوبات فقط لا يوقف الرشوة كظاهرة اجتماعية، وإنما بحاجة إلى وسائل إحياء الضمير ، و من العوامل التي تؤثر في انتشار ظاهرة الرشوة العامل الأخلاقي المتمثل بانعدام الضمير المهني لدي الموظف ، وعدم التفاني في أداء العمل الملقي على عاتقه (محي ، ١٣٨).

والتعامل بالرشوة أمر محرّم في شريعة العهد القديم في الكتاب المقدس، أي في فترة ما قبل المسيح. فقد ورد في سفر التثنية : "لا تحرف القضاء ، ولا تنظر إلى الوجوه، ولا تأخذ رشوة ، لأن الرشوة تعمي أعين الحكماء وتعوج كلام الصديقين (الكتاب المقدس ، تثنية 16: 19) ورد في سفر المزامير : "السالك بالكمال والعالم بالحق.. فضّته لا يعطيها بالربا ولا يأخذ الرشوة على البريء الكتاب المقدس ، (مزمور 15: 2 و5) وورد في سفر إشعياء : "ويل للقائلين للشر خيراً وللخير شراً، الجاعلين الظلام نوراً والنور ظلاماً.. الذين يبررون الشرير من أجل الرشوة، وأما حق الصديقين فينزعونه منهم" (الكتاب المقدس ، إشعياء 5: 20 و23) ولم تكن الرشوة تُدفع قديماً لمجرد المواربة في الأحكام، بل كانت تُدفع أيضاً لأذية الآخرين وقتل الغرباء الأبرياء، وتعطيل القضاء، لذلك حذر الله تعالى من ذلك بقوله: "ملعون من يأخذ رشوة لكي يقتل نفس دم بريء(الكتاب المقدس ، تثنية 27: 25) ، وقد حذّر الله القضاة والولاة والحكام وذوي الجاه والسلطان

من أخذ الرشوة وحثّهم على اتباع الفضيلة والاستقامة وإحقاق الحق (الكتاب المقدس ، ميخا 3: 11 و7: 3).

يمكن القول أن موقف الدين المسيحي مستمد من أحكام الكتاب المقدس، ولوحظ حث الناس على المحبة والإخاء والاستقامة والصدق في المعاملة، والعدل في الأحكام، والأمانة في الكيل والميزان، وإعطاء كل ذي حق حقه، والسير حسب وصايا الله في كل مناحي الحياة، وإن استئصال الفساد بشكل شامل يتطلب اجراء مهماً يتمثل بتغيير في القلب وتعليم الناس في كل مكان خطورة الرشوة والفساد (الكتاب المقدس ، (روما ١٣:٤، ٥).

المبحث الثالث

مكافحة الفساد وفق الآيات القرآنية

اتفقت معاجم اللغة العربية في بيان ماهية مصطلح الفساد ولا توجد اختلافات في ما بينها عند الوقوف على تعريف المصطلح ، فالفساد نقيض الصلاح ، والمفسدة خلاف المصلحة والفساد أخذ المال ظلماً وهو خروج الشيء عن الاعتدال قليلا كان الخروج عنه أو كثيراً ويضاده الصلاح والمفسدة خلاف المصلحة ، والاستفساد خلاف الاستصلاح (الجبوري : 363) (الفراهيدي : 321) ، وكذلك يدل على الخروج عن الاستقامة(القرطبي : 306) و على الظلم (الفيروزآبادي : 306) .

ومن تعريفاته "كلّما يغيّر عن استقامة الحال (الطوسي : 179) ، و"خروج الشّيء عن حال استقامته وكونه مُنتفعاً به" (الزمخشري : 179) ، والتغيير عن حالة الاعتدال والاستقامة ، وهو اعتدال الحال واستواؤه على الحالة الحِسنة"(الجبوري : 363؛ الفراهيدي : 321؛ القرطبي : 306 ؛ الفيروزآبادي : 306 ؛ الطوسي : 179؛ الزمخشري : 179؛ أبو حيان الأندلسي : 191).

أجمع المفسرون على أن الأصل في خلق الإنسان والكون بكل عناصره الصلاح والنظام ، وهو التفسير الذي استخلص منه الأصوليون قاعدة هامة وهى أن الأصل في الإنسان السلامة والبراءة، كما استخلص الفقهاء قاعدة أخرى هي أن الأصل في الأشياء الإباحة وذلك على تفصيلات واسعة في اعتبار الاستصحاب من الأدلة في التشريع الإسلامي (محي : 879).

ومن هذا المنطلق لا ينبغي السكوت عن أي فساد يحدث في الأرض، وإنما ينبغي أن يتصدى

ولى الأمر والجماعة المسلمة له ويمنعونه، تماشياً مع قوله تعالى: (لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ، كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ) (المائدة:٧٨-٧٩) ، فالإسلام يدعو للتعامل بإيجابية كبيرة لمكافحة الفساد حتى يقضوا عليه ويوجب أن يجتمعوا على ذلك، بل يوجب أن يكون منهم أمة تأخذ على عاتقها هذا المنع (عبد السلام ، 12).

وقف القرآن الكريم ضد الفساد بطرق عدة منها النهي عن الفساد (البقرة : 60 والأعراف : 74، والشعراء : 183والعنكبوت : 36والقصص : 77) ، وذم المفسدين في آيات كثيرة منها (البقرة : 205ويونس : 81 والشعراء 151) والتوعد بالعقوبة في (سورة محمد : 22-23وسورة الرعد 25 وسورة المائدة : 33-34وسورة الفجر) وعن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في (سور الأنفال والنساء والأعراف وآل عمران) (سرور : 898- 902) .

كافح القرآن الكريم الفساد من خلال عدة أمور ففي موضوع الفساد الاداري الشغل الشاغل للمجتمع ، ، من أهمها الحث على تعيين الكفء والأمين (سورة يوسف : 55)، و إبراز القدوة الحسنة من القيادات الإدارية (الأحزاب : 21) و الأمر بالعدل والنهي عن الظلم(النحل : 90) و الأمر بأداء أمانة العمل(النساء : 58) وتحريم الرشوة (النساء : 29) ، البقرة : 188) ، و كافح القرآن الكريم الفساد السياسي من خلال عدة أمور، من أهمها ذم سلوك الفاسدين من الساسة (القصص: 4) والحث على الشورى بين الراعي والرعية (آل عمران : 159) ، و الحث على اللين والرحمة تجاه الرعية(آل عمران : 159) (سرور : 903) .

ورد ذكر أغلب ألفاظ الفساد والإفساد في القرآن الكريم متعلّقا بذكر الموضع حيث لوحظ الربط مع كلمة الأرض في ثمان وثلاثين آية من مجموع سبع وأربعين من مثل قوله تعالى : (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) وهذا يدلّ أن القرآن الكريم ينظر إلى الأرض في معالجته لملف الفساد كوحدة متكاملة لا تقبل التّجزئة ، فالفساد لا يعرف الحدود وإن تعدّدت مظاهره ، فهو واحد مهما كان الزّمان والمكان، ولهذا يُنْظَرُ

إليه مشكلة عالميّة لا تهمّ مجموعة بشريّة معيّنة بل تهمّ النّاس جميعا. وهكذا يعطي القرآن الكريم أهمّية أكبر لمحاربة الفساد الشّامل قبل حربه للفساد المحدود في الزّمان والمكان.(الجمل ، 2017)

أتضحت عظمة القرآن كدستور دنيوي في توسيعه لتعريف الفساد بحيث لا يقف عند حدود المعاصي الدينية وانحراف العقيدة، (مع أنه اعتبر هذا النوع من الفساد هو أساس كل فساد)، لكن القرآن أفاض في التحذير من الفساد الأمني والاجتماعي والاقتصادي ، حيث نهى صراحة عن التخريب والدمار: (وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد)(البقرة : 205)، كما نهى عن الغش والسرقة: (ما جئنا لنفسد في الأرض وما كنا سارقين)، (سورة يوسف : 73) وشدد على الأمانة في البيع، والصدق في العقود، والالتزام بشروط المعاملات الاقتصادية من بيع وشراء وتأجير وكافة أنواع المعاملات المالية (أوفوا الكيل ولا تكونوا من المخسرين، وزنوا بالقسطاس المستقيم، ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا في الأرض مفسدين)(الشعراء : 181) (الجمل ، 2017).

وردت آيات قرآنية تطالب في إصلاح الأرض وتجنب الإفساد ويمكن الإشارة أن لفظ الإصلاح يفهم من خلاله أن العالم تم وفق نظام صالح ، وهناك من سكان هذه الأرض من يكون عامل فساد ، ويمكن تفسير الآيات موضوع البحث بأن الفساد يعني الإسراف والهدر والاستخدام السيء للموارد المختلفة وكل عامل يؤدي الى تشويه الطبيعة وتدميرها تنطبق عليه صفة الإفساد(التيجاني ، 12) ، ويمكن القول أن دلالة الأرض متضمنة إشارة إلى نظام اجتماعي وسياسي مبني على العلاقات الإنسانية ، وبذلك يشير الإفساد في الأرض الى الاستحواذ عليها واحتكارها وحرمان الآخرين من الاستفادة منها .

أهتم القرآن الكريم بتقديم نموذج من السلوك لكي يستدل به على مفهوم الصالحين وتوضيح أدائهم الشخصي واعتقاداتهم وأهدافهم في الحياة وعملهم في الحياة اليومية وهم يؤمنون بالله واليوم الآخر ويقيمون الصلاة ولديهم رؤية عن المصير الانساني والحياة الخيرة ويتصفون بالحس الاجتماعي وإقامة الحق والعدل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفعل الخيرات وكل هذه السلوكيات تُعد تعريفاً إجرائياً مباشراً لمفهوم الصالحين (التيجاني ، 12) .ومن الآيات التي واجهت الفساد بكل أنواعه :(**وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي ٱلأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا**
(

وردت هذه الآية في سورة الأعراف الآية : 56 وتكررت الآية في نفس السورة الآية : 86 ، وفي تفسيرها **قال أبو جعفر الطبري**(ت : 310هـ) يعني تعالى ذكره بقوله : " ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها " ، لا تشركوا بالله في الأرض ولا تعصوه فيها، وذلك هو الفساد فيها(الطبري ، ج10: 249) . و المعصية لغة : الخروج عن الطاعة ومخالفة الأمر واصطلاحاً : ما يثاب على تركه ويعاقب على فعله ، ويرادفها : المحظور والحرام و الذنب ، وتُطلق في اللغة كذلك على ما يكون خلاف التقوى والاستقامة (الموسوعة الفقهية الكويتية ، 323) .

وذكر الطوسي (ت: 442هـ) في تفسيره (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) ومعناه النهي عن قتل المؤمنين، وإضلالهم، والعمل بالمعاصي في الأرض، بعد أن أصلحها الله بالكتب والرسل ، وقيل: بعد أن أمر الله بالإصلاح فيها، قال الحسن: واصلاحها: اتباع أوامر الله تعالى فيها، وروي عنه أيضا أنه قال: لا تفسدوها بقتل المؤمن بعد إصلاحها ببقائه. وقيل : لا تفسدوها بالظلم بعد إصلاحها بالعدل. وقيل: معناه لا تعصوا في الأرض، فيمسك الله المطر، ويهلك الحرث بمعاصيكم (الشيخ الطوسي ، ج4: 272) .

وذكر الحافظ البغوي (ت : 516هـ) في تفسيره : أي لا تفسدوا فيها بالمعاصي والدعاء إلى غير طاعة الله بعد إصلاح الله إياها ببعث الرسل وبيان الشريعة ، والدعاء إلى طاعة الله (البغوي ، ج9: 178) ، **وذكر فخر الدين الرازي(ت : 606)** قوله: { وَلاَ تُفْسِدُواْ فِى ٱلأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا } معناه ولا تفسدوا شيئاً في الأرض ، فيدخل فيه المنع من إفساد النفوس ، وإفساد الأموال ، وإفساد الأديان ، وإفساد الأنساب ، وإفساد العقول و هذه الآية تدل على أن الأصل في المضار الحرمة والمنع على الإطلاق(الرازي ، ج14 : 278) .

فيما ذهب القرطبي (ت: 671هـ) إن تفسير الآية فيه مسألة واحدة ، وهو أنه سبحانه نهى عن كل فساد قل أو كثر بعد صلاح قل أو كثر(القرطبي ، ج7: 226) . فيما ذكر ابن كثير (ت : 744) إن الله تعالى نهى عن الإفساد في الأرض ، وما أضره بعد الإصلاح ! فإنه إذا كانت الأمور ماشية على السداد، ثم وقع الإفساد بعد ذلك ، كان أضر ما يكون على العباد . فنهى الله تعالى عن ذلك(ابن كثير ، ج3: 384) .

وذكر السيوطي (ت: 911هـ) إن الله بعث محمداً إلى أهل الأرض وهم في فساد فأصلحهم الله بمحمد صلى الله عليه (و آله) وسلم، فمن دعا إلى خلاف ما جاء به محمد صلى الله عليه (وآله) وسلم فهو من المفسدين في الأرض . وأخرج أبو الشيخ عن أبي سنان في قوله (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) قال: أحللت حلالي، وحرمت حرامي، وحددت حدودي، فلا تعتدوها(السيوطي ، ج3 :476) .

وفي تفسير الآلوسي(ت : 1270هـ) إن الله تعالى نهى عن سائر أنواع الافساد كإفساد النفوس والأموال والأنساب والعقول والأديان { بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا } أي إصلاح الله تعالى لها وخلقها على الوجه الملائم لمنافع الخلق ومصالح المكلفين وبعث فيها الأنبياء بما شرعه من الأحكام (الألوسي ،ج4 : 379) ، وذكر السعدي (ت ١٣٧٦هـ) (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ) بعمل المعاصي (بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) بالطاعات، فإن المعاصي تفسد الأخلاق والأعمال والأرزاق، وأستدل بالآية الشريفة : (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) كما أن الطاعات تصلح بها الأخلاق والأعمال والأرزاق وأحوال الدنيا والآخرة (السعدي ، 291) .

وذكر ابن عاشور(**ت: 1393هـ**) **في تفسير الآية** : فذكَّرهم بترك الإفساد ليكون صلاحهم منزّهاً عن أن يخالطه فساد ، فإنّهم إن أفسدوا في الأرض أفسدوا مخلوقات كثيرة وأفسدوا أنفسهم في ضمن ذلك الإفساد ، فأشبه موقعَ الاحتراس ، والإفساد في كلّ جزء من الأرض هو إفساد لمجموع الأرض ، والبعدية في قوله : (بعد إصلاحها) بعديةٌ حقيقيةٌ ، لأنّ الأرض خلقت من أوّل أمرها على صلاح ، وعزّز ذلك النّظام بقوانين وضعها الله على ألْسِنَةِ المرسلين والصّالحين والحكماء من عباده ، الذين أيّدهم بالوحي والخطاب الإلهي ، أو بالإلهام والتّوفيق والحكمة ، فعلموا النّاس كيف يستعملون ما في الأرض على نظام يحصل به الانتفاع بنفع النّافع وإزالة ما في بعض النّافع من الضرّ وتجنّب ضرّ الضار ، فذلك النّظامُ الأصلي ، والقانُونُ المعزّزُ له ، كلاهما إصلاح في الأرض ، لأنّ الأوّل إيجاد الشّيء صالحاً ، والثّاني جعل الضّار صالحاً بالتّهذيب أو بالإزالة ، **و**الإفْسادُ في الأرْضِ ومِنهُ إفْسادُ الأنْظِمَةِ كالفِتَنِ والجَوْرِ، ومِنهُ إفْسادُ المَساعِي كَتَكْثِيرِ الجَهْلِ ومُناوَأةِ الصّالِحِينَ المُصْلِحِينَ (ابن عاشور ، ج8: 173).

وذكر العلامة الطباطبائي (ت: 1401هـ) وأما فيما بينهم وبين الناس فأن لا يفسدوا في الأرض بعد إصلاحها فليس حقيقة الدين فيما يرجع إلى حقوق الناس إلا أن يصلح شأنهم بارتفاع المظالم من بينهم و

معاملتهم بما يعينهم على التقوى، ويقربهم من سعادة الحياة في الدنيا والآخرة ثم كرر الدعوة إليه وأعاد البعث إلى دعائه بالجمع بين الطريقين الذين لم يزل البشر ، و إن مدلول الفساد في ألفاظ القرآن الكريم مدلول شامل لجميع أنواع الفساد وصوره، فالمعاصي كلّها فساد، وهي خروج وانحراف عن جادة الطريق المستقيم, سواء أكانت هذه الانحرافات في مجال السلوك أم في مجال الجرائم الجنائية أم الحقوق المدنية أم الحقوق العامة وذكر صاحب الميزان: الإفساد في الأرض بحسب الإطلاق معناه جميع المعاصي والذنوب مما يتعلق بحقوق الله أو بحقوق الناس وكل ما يتعلق بسلب الأمن العام في الأموال والأعراض والنفوس كقطع الطريق ونهب الأموال وهتك الأعراض وقتل النفوس المحترمة (الطباطبائي ، ج ٨ : 159) .

والآية الثانية :(وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ) البقرة (205)

ورد في تفسير الآية أنها نزلت في الأخنس بن شريق الثقفي، الذي ذكر السدي أن فيه نزلت هذه الآية، من إحراقه زرع المسلمين وقتله حُمرهم بعد خروجه من لقاءه بالنبي عليه وعلى آله الصلاة والتسليم ، فذكر الطبري ، أن معنى الآية : وإذا خرَج هذا المنافق من عندك يا محمد غضْبان، عَمل في الأرض بما حرَّم الله عليه، وحاول فيها معصيةَ الله، وقطعَ الطريق وإفسادَ السبيل على عباد الله ، واختلف أهل التأويل في معنى الإفساد هل هو مقتصر على فعل الأخنس أم هو عام وروي عن مجاهد : " قال : إذا تولى سعى في الأرض بالعدوان والظلم، فيحبس الله بذلك القطرَ، فيُهلك الحرثَ والنسلَ والله لا يحب الفساد (الطبري ، ج3: 580) .

وذهب الرازي في تفسير قوله : { وإذا تولى } وإذا صار والياً فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد في الأرض بإهلاك الحرث والنسل ، وقيل : يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل(الرازي ، ج5، ص343) ، ونقل القرطبي عن مجاهد : المراد أن الظالم يفسد في الأرض فيمسك الله المطر فيهلك الحرث والنسل ، وهذا لأن النفاق يؤدي إلى تفريق الكلمة ووقوع القتال ، وفيه هلاك الخلق ، وفي الحديث : إن الناس إذا رأوا الظالم ولم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده ، قلت : والآية بعمومها تعم كل فساد كان في أرض أو مال أو دين ، وهو الصحيح إن شاء الله تعالى(القرطبي ، ج3: 18) .

وذكر ابن كثير في تفسيره : هو أعوج المقال ، سيئ الفعال ، فذلك قوله ، وهذا فعله : كلامه كذب ، واعتقاده فاسد ، وأفعاله قبيحة . فهذا المنافق ليس له همة إلا الفساد في الأرض ، وإهلاك الحرث ، وهو : محل نماء الزروع والثمار والنسل وقال مجاهد : إذا سعى في الأرض فسادا ، منع الله القطر ، فهلك الحرث والنسل (ابن كثير ، ج1: 419) .

وجاء في تفسير ابن عاشور قوله تعالى : ومتعلق { تولى } محذوف تقديره تولى عنك ، والخطاب المقدر يجري على الوجهين المتقدمين وإما مشتق من الوَلاية : يقال وَلِيَ البلد وتولاه ، أي وإذا صار والياً أي إذا تزعم ورأس الناس سعى في الأرض بالفساد ، وقد كان الأخنس زعيم مواليه وهم بنو زهرة ، وإنما كان الفساد غير محبوب عند الله لأن في الفساد بالتفسير الذي ذكرناه تعطيلاً لما خلقه الله في هذا العالم لحكمة صلاح الناس فإن الحكيم لا يحب تعطيل ما تقتضيه الحكمة(ابن عاشور ، ج2: 256) .

وذكر العلامة الطباطبائي قوله تعالى: وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها (الخ) التولي هو تملك الولاية والسلطان، ويؤيده قوله تعالى في الآية التالية : (وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ)، الدال على أن له عزة مكتسبة بالإثم ، فالمعنى وإذا تمكن هذا المنافق الشديد الخصومة من العمل وأوتي سلطاناً وتولى أمر الناس سعى في الأرض ليفسد فيها، ويمكن ان يكون التولي بمعنى الاعراض عن المخاطبة والمواجهة . والذي يخالف ظاهر قوله باطن قلبه إذا سعى في الأرض بالفساد فإنما يفسد بما ظاهره الاصلاح بتحريف الكلمة عن موضعها، وتغيير حكم الله عما هو عليه، والتصرف في التعاليم الدينية، بما يؤدي إلى فساد الأخلاق واختلاف الكلمة، وفي ذلك موت الدين، وفناء الانسانية، وفساد الدنيا، وقد صدق هذه الآيات ما جرى عليه التاريخ من ولاية رجال وركوبهم أكتاف هذه الأمة الاسلامية، وتصرفهم في أمر الدين والدنيا بما لم يستعقب للدين الا وبالاً، وللمسلمين الا انحطاط، وللأمة الا اختلافاً (الطباطبائي ، ج ٢ : ٩٦).

الخاتمة

لا يمكن للقوانين التي شُرعت لمكافحة الفساد بالقضاء عليه بشكل تام لاسيما في مجتمعاتنا والعملية تتطلب اجراء مهم يتمثل بنشر الوعي الديني ، حتى يتعلم الناس في كل مكان ان يبغضوا الرشوة والفساد عندئذ فقط سيتم مكافحة الفساد .

قامت رؤية أتباع السيد المسيح إن المعركة ضد الفساد ادبية وأخلاقية ولا يمكن القضاء عليها بتشريع القوانين العقابية فقط. ويمكن لكلام الباري عز وجل أن يغرس الوعي في قلوب عباده لمكافحة الفساد. ولوحظ أن الكتاب المقدس تناول الموضوع من جوانب عدة منها كالرشوة والغش والخداع والكسب غير المشروع والجشع والظلم والانحراف.

إن رؤية القرآن الكريم بكل أبعادها تقوم على الإصلاح من منطلق قوله تعالى(وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ) ولذلك تردد مصطلح الصلاح كثيراً وهو المعاكس تماماً لمصطلح الفساد .

معظم التفاسير الإسلامية تنطلق من رؤية ضيقة في التعامل مع القول الإلهي (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) وتتمحور حول تفسير الطبري أن المقصود بالآية : لا تشركوا بالله في الأرض ولا تعصوه فيها. وهناك استثناء قليل كالذي جاء به صاحب تفسير الميزان السيد الطباطبائي أنه بتولية أمر البلاد من هو ليس أهلاً للمسؤولية تكون النتيجة موت الدين وفناء الانسانية وفساد الدنيا.

برهنت شمولية الآيات القرآنية لمصطلح الفساد وربطه بالأرض والتكرار في عشرات المواقع على عالمية الدعوة لمكافحة الفساد. فالفساد اليوم يعني الإسراف والهدر والاستخدام السيء للموارد المختلفة وكل عامل يؤدي الى تشويه الطبيعة وتدميرها تنطبق عليه صفة الإفساد .

إمكانية أن تكون دلالة الأرض متضمنة إشارة إلى نظام اجتماعي وسياسي مبني على العلاقات الإنسانية ، وبذلك يشير الإفساد في الأرض الى الاستحواذ عليها واحتكارها وحرمان الآخرين من الاستفادة منها .

الآية الكريمة (وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا) جديرة بأن تعلق في جميع مداخل المدن وفي بوابة كل مشروع يقام لخدمة المجتمع لكي تكون رادع من منطلق قوله تعالى (فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى)

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- الكتاب المقدس
- أبو حيان الأندلسي ، محمد بن يوسف الشهير ، 2010.البحر المحيط: دراسة وتحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض1998.، ط 3، دار الكتب العلمية، بيروت،
- ابن فارس ، احمد 1994.، معجم مقاييس اللغة ، دار الفكر ، بيروت ، ط2،
- ابن منظور ، محمد بن مكرم بن على ، دار صادر ، بيروت
- ابن عاشور ، محمد الطاهر بن محمد بن محمد (المتوفى : ١٣٩٣هـ) 1984) ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر ، تونس .
- ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) 1998، تفسير القرآن العظيم ، تحقيق : محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1.
- الأصفهاني ، الراغب 2002، مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، تحقيق : صفوان عدنان داوودي ، دار القلم ، دمشق ،
- الألوسي البغدادي ، أبو الفضل شهاب الدين السيد محمود (ت ١٢٧٠ هـ) 1994.روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، ضبطه وصححه: علي عبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود ، 1997.معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي ، حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ، عثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش ، دار طيبة للنشر والتوزيع ، الرياض

- الحمش ، منير 2006 ، الاقتصاد السياسي الفساد –الإصلاح – التنمية ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق .
- الرازي ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين 1989، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط3 ،
- السعدي ، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (ت ١٣٧٦هـ) 2000م، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، تحقيق : عبد الرحمن بن معلا اللويحق ، الرياض ، مؤسسة الرسالة .
- الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير ، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: د عبد الله بن عبد المحسن التركي ، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان ، القاهرة .
- الطوسي ، محمد بن الحسن ، التبيان في تفسير القرآن ، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

- الزمخشري ، جار الله محمود بن عُمَر 1998.، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: تحقيق وتعليق ود راسة: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوّض، مكتبة العبيكان، الرياض.
- السيوطي ، عبد الرحمن بن أبي بكر ، الدر المنثور ، دار الفكر ، بيروت .
- الطباطبائي ، السيد محمد حسين ، 1996.مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت ،
- الفراهيدي ، الخليل بن أحمد الفراهيدي ت 175 ه 2003، العين ، تحقيق: د. عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت ،
- الفيروزآبادي ، محمد بن يعقوب ، 2005.القاموس المحيط ، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط 8، مؤسسة الرسالة، بيروت،
- القرطبي ، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر 2006 ، الجامع لأحكام القرآن والمبيّن لما تضمنه من السُّنة وآي الفرقان ، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط 1، مؤسسة الرسالة، بيروت،
- محي ، اسامة حسين محي ، 2017.جريمة الرشوة ، العدد الأول ، السنة الثامنة والخمسون ،

- عبد السلام ، جعفر 2003، التعريف بالفساد وصوره من الوجهة الشرعية ، المؤتمر العربي الدولي لمكافحة الفساد ، الرياض ،
- النوايسة ، منتصر : ٢٠١٢ .، جريمة الرشوة في قانون العقوبات ، دراسة مقارنة ، دار الحامد للنشر والتوزيع ، الأردن ،

الرسائل و الاطاريح

- الفتلي ، إيثار عبود كاظم الفتلي ، 2009الفساد الإداري والمالي وآثاره الاقتصادية والاجتماعية في بلدان مختارة، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية الادارة والاقتصاد ، جامعة كربلاء .
- زمام ، علي رياض ، 2024.الآيات الدالة على الفساد والإفساد في القُرآن الكريم ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية العلوم الإسلامية ، جامعة كربلاء .

الصحف والمجلات

- التيجاني، عبد القادر حامد ، الإصلاح في القرآن : استكشاف المفهوم وبناء النظرية ، إسلامية المعرفة ، السنة السابعة عشرة ، العدد 66، 2011.

- الحسني ، إسماعيل 2015.، مفهوم الإصلاح في القرآن المجيد : دراسة في أسبابه ومظاهره ، مجلة إسلامية المعرفة ، السنة العشرون ، العدد 80.
- الجبوري ، محمد عباس نعمان ، 2012.مفهوم الفساد في القرآن الكريم ، مجلة كلية التربية الأساسية ، جامعة بابل ، العدد7 .
- الجمل ، جمال ، إن الله ل ايصلح عمل المفسدين ، المصري اليوم ،
- العش ، فيصل ، مفهوم الفساد والمفسدين في القرآن الكريم ، مجلة الإصلاح متوفر على الموقع https://alislahmag.com
- عبد الله ، محمد كريم 2006، الفساد الاقتصادي الأسباب والمعالجات، **مجلة الملتقى**، السنة (1) ، العدد 4 ،

الموسوعات

- المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، موسوعة المفاهيم الإسلامية العامة ، ص613.
- مجموعة من المؤلفين (1427)، الموسوعة الفقهية الكويتية ، دار الصفوة ، القاهرة ، ص323
- المصادر الاجنبية
- عبد السلام ، جعفر ، التعريف بالفساد وصوره من الوجهة الشرعية ، المؤتمر العربي الدولي، موسوعة الاقتصاد الإسلامي .

المصادر الاجنبية

- Cambridge Dictionary, https://dictionary.cambridge.org › dictionary corruption
- Merriam-Webster, https://www.merriam-webster.com › dictionary ›
- Longman Dictionary ,https://www.ldoceonline.com › dictionary › corruption
- Collins Dictionary, https://www.collinsdictionary.com › dictionary
- Merriam-Webster, https://www.merriam-webster.com › dictionary ›, Oxford dictionary,

- Anti-Corruption Module 1 Key Issues: Corruption - Baseline ...United Nations Office on Drugs and Crimehttps://www.unodc.org › anti-corruption: a baseline definition
- Senior, I. (2006), Corruption – The World's Big C., Institute of Economic Affairs, London
- Kaufmann, Daniel; Vicente, Pedro (2005). "Legal Corruption" (PDF). World Bank. Archived from the original (PDF) on 5 May 2015. Retrieved 25 September .
- Locatelli, Giorgio; Mariani, Giacomo; Sainati, Tristano; Greco, Marco (1 April 2017). "Corruption in public projects and megaprojects: There is an elephant in the room!". International Journal of Project Management. doi:10.1016/j.ijproman.2016.09.010.
- Minto, Andrea; Trincanato, Edoardo (2022). "The Policy and Regulatory Engagement with Corruption: Insights from Complexity Theory". European Journal of Risk Regulation. 13 (1): 21–44. doi:10.1017/err.2021.18. S2CID 236359959. Archived from the original on 27 May 2022. Retrieved 27 May 2022.
- Elliott, Kimberly Ann (1997). "Corruption as an international policy problem: overview and recommendations" (PDF). Washington, DC: Institute for International Economics. Archived (PDF) from the original on 9 October 2017. Retrieved 11 May 2017.
- Anti-Corruption Module 1 Key Issues: Corruption - Baseline ...United Nations Office on Drugs and Crimehttps://www.unodc.org › anti-corruption › corruption-Corruption: a baseline definition
- Anti-Corruption Module 1 Key Issues: Corruption - Baseline ...United Nations Office on Drugs and Crimehttps://www.unodc.org › anti-corruption : a baseline definition
- Anti-Corruption Module 1 Key Issues: Corruption - Baseline ...United Nations Office on Drugs and Crimehttps://www.unodc.org › anti-corruption: a baseline definition
- Bible Hub https://biblehub.com › topical
- H. L. E. Luering, Bible Study Tools, https://www.biblestudytools.com › dictionary ›
- Wilson, New Wilson’s Old Testament Word Studies, 97

- Warren Baker and Eugene Carpenter, The Complete Word Study Dictionary: Old Testament (Chattanooga, TN: AMG,
- 2003), 1124; see also Wilson, New Wilson's Old Testament Word Studies, 97; D. Vetter, "txv," in Theological Lexicon of the
- Old Testament, ed. Ernst Jenni and Claus Westermann, trans. Mark E. Biddle (Peabody, MA: Hendrickson, 1997), 3:1317.
- Corruption of the "Powerful" in Ancient Judah in Micah 2:1-11 and 3:1-12: An African Reflection, E-Journal of Humanities, Arts and Social Sciences (EHASS), Volume 1 Number 2 June 2020 pp. 86-99.

Fabricated Sects in Islam: Al-Hishāmiyya as a Case Study

Prof. Dr. Haider Amaar Al-Sultani
Babylon University / Babylon Center for Historical and Cultural Studies
pre663.haider.amaar@uobabylon.edu.iq

Abstract

This research paper, titled "Fabricated Sects in Islam: Al-Hishāmiyya as a Case Study," presents an analytical historical and theological study of the persona of Hisham ibn al-Hakam, one of the most prominent philosophers and theologians (mutakallimun) of the Imami school during the second century AH. The study examines the reality of the (Hishāmiyya) sect attributed to him, which the research posits as a prime example of sects that were fabricated and falsely ascribed to the Shi'a to intellectually vilify their school of thought and authentic creed.

The scholar and philosopher Hisham ibn al-Hakam lived in the second century AH—an era marked by widespread intellectual and doctrinal rivalries alongside significant engagement with foreign philosophies. Born in Kufa and raised in Wasit, he later relocated to Baghdad, where he worked as a bead merchant. His shop served as a hub for scholars, students, and intellectual debates. He studied directly under Imams Ja'far al-Sadiq and Musa al-Kadhim (peace be upon them), both of whom accorded him special attention and immense trust in defending Islamic theology. He mentored numerous prominent students who gained widespread renown, including Ibrahim ibn Sayyar al-Nazzam.

Hisham is considered a pioneer of scholastic theology (Kalam) within the Imami tradition, having laid the groundwork for systematic discourse on the Imamate (Imamah) and refined the school's doctrine through rational inquiry. He was distinguished by a rigorous rationalist methodology, an exceptional ability to refute opponents, and quick-witted argumentation in debates against the Mu'tazilites, heretics (Zanadiqa), and adherents of other faiths. He left behind a prolific scholarly legacy exceeding thirty works, addressing topics such as monotheism (Tawhid), the Imamate, refutations of Aristotle, and critiques of natural philosophers and heretics.

Hisham was subjected to an extensive smear campaign by his theological opponents (particularly the Mu'tazilites) and political authorities, who attributed anthropomorphic and corporealist views (tajsim and tashbih) to him—claims of which he is entirely innocent. Key factors behind this prejudice included the strength of his arguments, which silenced leading theologians and prompted them to accuse him of disbelief (kufr) and heresy (zandaqa) to denigrate his stature. Furthermore, Hisham's theological positions strictly advocated the necessity of divine designation (nass) and infallibility ('ismah) for the Imamate, a stance that inherently rendered Abbasid rule illegitimate in his view.

The study concludes that the term "the Hishāmiyya sect" refers to a fabricated entity with no historical reality in Islam, concocted by classical doxographers and adversaries to isolate and distort Hisham's ideas. Authentic historical traditions confirm his innocence of these corrupt assertions. The accusations of heresy and anthropomorphism leveled against him originated from contemporary and later opponents seeking to bolster their own theological schools and tarnish the reputation of Imami Shi'ism, whereas his extant works and debates attest to his pure monotheism.

Hisham ibn al-Hakam enjoyed a distinguished status and absolute endorsement from the Imams of the Ahl al-Bayt (peace be upon them); Imam al-Sadiq (peace be upon him) famously described him as "the leader of our truth and defender of our right with his heart, tongue, and hand testaments that completely dispel any charges of heresy or deviation. His intellectual influence extended even to his adversaries, whose doctrines visibly reflected his impact. The great scholar passed away after being entrapped by Yahya ibn Khalid al-Barmaki into a political debate that provoked the wrath of the Abbasid Caliph Harun al-Rashid, leading to his persecution and eventual death in hiding in Kufa in 179 AH.

Keywords: Fabricated sects, Al-Hishāmiyya, Hisham ibn al-Hakam, Sectarian bias.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

الفرق الموضوعة في الإسلام الهشامية إنموذجا

أ د. حيدر عامر السلطاني
جامعة بابل مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية
pre663.haider.amaar@uobabylon.edu.iq

ملخص:

يُقدّم هذا البحث الموسوم: (الفرق الموضوعة في الإسلام، الهشامية إنموذجاً) دراسة تاريخية وعقدية تحليلية حول شخصية هشام بن الحكم، أحد أبرز فلاسفة ومتكلمي المدرسة الإمامية في القرن الثاني الهجري، ويفحص حقيقة الفرقة الهشامية المنسوبة إليه، والتي يعتبرها البحث نموذجاً للفرق التي وُضعت ونُسبت زوراً إلى الشيعة لغرض التشويه الفكري لمذهبهم وعقائدهم الحقة.

عاش العالم والفيلسوف هشام بن الحكم في القرن الثاني الهجري، وهو عصر شهد صراعات فكرية ومذهبية واسعة وتفاعلاً كبيراً مع الفلسفات الأجنبية. وُلد هشام بن الحكم في الكوفة ونشأ في واسط، ثم انتقل إلى بغداد حيث امتهن تجارة الخرز، وكان حانوته مجمعاً لطلبة العلم والمناظرات.تتلمذ بشكل مباشر على يد الإمامين جعفر الصادق وموسى الكاظم (عليهما السلام)، واللذين أولياه عناية خاصة وثقة كبيرة في الدفاع عن العقيدة. وكان له عدد كبير من التلاميذ من ذاع لهم صيت كبير ومنهم إبراهيم بن سيار النظام.

يُعد هشام رائد علم الكلام في المدرسة الإمامية، وممن فتق الكلام في الإمامة وهذب المذهب بالنظر العقلي. وتميز بمنهج عقلاني رصين وقدرة استثنائية على الإفحام وقوة البديهة في المناظرات مع المعتزلة والزنادقة وأصحاب الديانات الأخرى. وخلّف نتاجاً علمياً غزيراً تجاوز الثلاثين مؤلفاً في التوحيد، والإمامة، والرد على أرسطو، والرد على أصحاب الطبائع والزنادقة.

تعرض هشام لحملة تشويه واسعة من قبل خصومه العقائديين (خاصة المعتزلة) والسلطات السياسية، حيث نُسبت إليه آراء في التجسيم والتشبيه ، وهو منها براء. من أسباب هذا التحامل إلى قوة حجته التي أفحمت كبار المتكلمين، مما دفعهم لرميه بالكفر والزندقة للحط من شأنه. ولأن آراء هشام بن الحكم

ارتبطت بقوله بوجوب النص والعصمة في الإمامة، وهو موقف جعل حكم السلطة العباسية غير شرعي في نظره.

وخلص البحث إلى أن مسمى (الفرقة الهشامية) هي فرقة موضوعة لا أصل لها في الإسلام وكان ذلك ضمن إطار وضعه كُتاب المقالات والخصوم لعزل أفكار هشام بن الحكم وتشويهها، بينما تثبت الروايات المعتبرة براءته من هذه المقالات الفاسدة. وأن ما نُسب لهشام من تهم الإلحاد أو التشبيه إنما جاء من جانب الخصوم المتأخرين أو المعاصرين له لنصرة مذاهبهم، وتشويه صورة مذهب الشيعة الإمامية، بينما تثبت مؤلفاته ومناظراته توحيده الخالص.

وكان هشام بن الحكم قد حظي بمكانة متميزة وبتوثيق مطلق من أئمة أهل البيت(عليهم السلام)، حيث وصفه الإمام الصادق(عليه السلام) بأنه "رائد حقنا وناصرنا بقلبه ولسانه ويده"، وهي شهادات تنفي عنه تهمة الابتداع أو الضلال. وامتد تأثير هشام ليشمل حتى خصومه، حيث يظهر أثره بوضوح في آراءهم. كانت وفاة العالم الكبير هشام بعد أن استُدرج من قبل يحيى بن خالد البرمكي لمناظرة سياسية أثارت حنق الخليفة هارون العباسي، مما أدى لمطاردته وموته متخفياً في الكوفة سنة (179هـ). يخلص البحث إلى أن مصطلح (الفرقة الهشامية) هو مصطلح موضوع ومختلق، أفرزته عصبيات المتكلمين وتحامل المؤرخين والخصوم المعتزلة وغيرهم. إن هشام بن الحكم لم يكن يوماً زعيماً لفرقة منشقة، بل كان عالماً فذاً، ومفكراً إسلامياً حراً، وفيلسوفاً متكلماً، قاد الحركة الفكرية الإسلامية في عصره، وسخّر طاقته الفكرية اللاهبة للدفاع عن العقيدة الإسلامية ومذهب أهل البيت أمام موجات الإلحاد والفلسفات الدخيلة.

الكلمات المفتاحية: الفرق المختلقة، الهشامية ، هشام بن الحاكم، الانحياز الطائفي

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مقدمة:

يُعدّ علم الكلام الإسلامي في القرن الثاني الهجري مسرحاً لصراعات فكرية ومذهبية واسعة، احتدمت فيها النقاشات الفلسفية والكلامية بين مختلف التيارات .وفي خضم هذا الحراك الفكري الثائر، برزت شخصية هشام بن الحكم كواحد من ألمع المتكلمين والمناظرين في المدرسة الإمامية، حيث تميز بقوة المنطق ودقة التفكير والقدرة الفذة على المحاورة وإفحام الخصوم، ورغم مكانته العلمية والروائية الرفيعة ودوره المحمود في الذب عن الإسلام وعن عقائد الشيعة، إلا أنه تعرض لحملات واسعة من التشويه والتعتيم من قبل خصومه العقائديين؛ إذ نسبوا إليه زوراً آراءً في التجسيم والتشبيه، جرى تأطيرها لاحقاً في كتب المقالات والفرق تحت مسمى الفرقة الهشامية. ويأتي هذا البحث الموسوم بـ (**الفرق الموضوعة في الإسلام الهشامية انموذجا**). ليميط اللثام عن هذه الشخصية الموهوبة، متتبعاً سيرته ومكانته، ومفككاً الشبهات التي أثيرت حوله .

وتتحدد مشكلة الدراسة في التعتيم والظلم الجارف اللذين تعرض لهما هشام بن الحكم من قبل مؤرخي المقالات والفرق الذين تداولت كتبهم اتهامات ظالمة تكفّره وتخرجه من الإسلام نتيجة الخصومات المذهبية والسياسية، مما حجب رؤية الباحثين عن حقيقة أفكاره ونزعاته وجعلهم مضطرين للاعتماد على مرويات خصومه بعد ضياع جلّ مؤلفاته بفعل تعسف السلطات .ويسعى البحث للإجابة عن تساؤل رئيس: ما حقيقة المذهب العقدي والآراء الفلسفية لهشام بن الحكم، وهل تمثل الهشامية فرقة واقعية مستقلة أم أنها مجرد افتراء وضعه الخصوم؟

وتكمن أهمية البحث في كونه يقدم مراجعة تاريخية ونقدية لسيرة أحد أعمدة الفكر الكلامي، مستنداً إلى التوثيق المطلق والشهادات الجليلة الصادرة بحقه من الأئمة المعصومين (عليهم السلام) الذين عاصروه أو جاؤوا بعده، ومقارنتها بدعاوى وتصنيفات كُتّاب المقالات .كما تظهر الأهمية في تسليط الضوء على آليات التوظيف السياسي والمذهبي لشيطنة الرموز الفكرية واختراع الفرق في التراث الإسلامي .

ويعتمد البحث على المنهج التاريخي والتحليلي النقدي؛ وذلك من خلال التنقيب في بطون أسفار المتكلمين وأهل العقائد، والاتكاء على الاستنباط والمقارنة التاريخية واستيقاظ منطق الحوادث والظروف لتتبع سيرة هشام وشيوخه وتلاميذه، مع تحليل مضامين مناظراته الشهيرة ومؤلفاته المتنوعة لتفنيد الشبهات المنسوبة إليه.

المبحث الأول: سيرة هشام بن الحكم وشيوخه وتلاميذه

تكتنف حياة هشام بن الحكم الكثير من الغموض، حيث لم تحظَ تفاصيل مراحله العمرية الأولى، ولا أسرته، بالعناية الكافية من قبل المترجمين وكُتّاب السير مقارنة بغيره من المفكرين في الإسلام وذلك بسبب موقف السلطات الحاكمة من الشيعة وعدائهم السافر لهم . مما يحتم على الباحث التنقيب الدقيق في بطون أسفار المتكلمين للاعتماد على الاستنباط والمقارنة التاريخية لترجمة حياته.

أولاً– اسمه، ونسبه، ونشأته:

في حياة هشام بن الحكم جوانب كثيرة غامضة، فلا نعرف عنها كثيرا كما لا نعلم تفاصيل مراحلها، ولا شيئا عن آباءه واسرته ، فالمترجمون لم يعطوه عنايتهم كما أعطوها لغيره من المفكرين في الإسلام. فكان على من يريد معرفة تاريخ حياته وظروفها أن ينقب جاهدا في بطون أسفار المتكلمين وأهل العقائد المعاصرين له أو المتأخرين عنه، أنه لا بد من ذلك للباحث ليظفر بنبذ هزيلة وعاها التاريخ فيما وعى، متفرقة هنا وهناك، لا تجدي كثيرا في وضع ترجمة لهشام، إلا بعد الاتكاء على الاستنباط والمقارنة، والاستناد إلى منطق الحوادث والظروف(نعمة، عبد الله، 1985م، ص39)

هو أبو محمد هشام بن الحكم الكندي مولاهم البغدادي(الطوسي ,1983ص 319).وكان ينزل في بني شيبان في الكوفة، وكذلك يلقب بالبغدادي التي قيل انه انتقل إليها في سنة (99هـ) (العاملي،1996 ، ص138) ولد في الكوفة ونشأ فيها، ثم انتقل إلى بغداد، وقيل الشيباني بالولاء .وقد عُرف بكنية أبو محمد وقيل أبو الحكم، ونُسب إلى الكوفة تارة وإلى بغداد تارة أخرى(السيد الخوئي، 1992، 299/20) .وقيل أنه ولد في واسط ونشأ فيها(الشبستري،1997 ، ص328) ويظهر من محاوراته العلمية أن كنية أبو محمد هي الغالبة عليه.

أما من الناحية الأسرية، لم تسعفنا النصوص بذكر تفاصيل عن والده .إلا أننا نعرف أن له أخاً يُدعى محمد بن الحكم وكان من رواة الحديث، وولداً اسمه الحكم بن هشام سكن البصرة واشتهر بعلم الكلام وله مجالس ومؤلفات في الإمامة ، وابنة تُدعى فاطمة خطبها منه شريكه عبد الله بن يزيد الأباضي فرفض تلبية طلب. وكما بينا سابقا فقد اتفق مترجموه على أنه من الموالي شأن أكثر أئمة العلم والكلام والفلسفة في

القرون الأولى الإسلامية لكن اختلفت المصادر في ولائه؛ فقال ابن النديم إنه مولى لبني شيبان، بينما رجح الكشي والنجاشي أنه مولى كِندة وربما هو كان مولى لاحد هذه القبائل ونزل في القبيلة الأخرى فظهر هذا التباين في الآراء. وفي المقابل، ذهب بعض الباحثين، كالسيد الصدر، إلى أنه عربي الأصل ينتمي لقبيلة خزاعة، ويؤيد ذلك الأسماء العربية الخالصة التي حملتها أسرته مثل (الحكم، هشام، محمد). فضلا عن غياب أي أثر أو نزعة شعوبية في آرائه، بل على العكس، ظهر منه الاعتداد بالعنصر العربي في مناظراته، كما يظهر ذلك من تقريره في تحديد صفة الإمام حين سأله عبد الله بن يزيد الأباضي، قال في أثناء كلامه: أنه ليس أبرز من جنس العرب، ولا من بيت هاشم ولا من أهل البيت(عليه السلام)(نعمة، 1985، ص 40)

نشأته:

من العسير تحديد سنة ولادة هشام بن الحكم بدقة وليس لدينا نص يعين ذلك غير أن المصادر تذكر مناظرته الشهيرة لزعيم المعتزلة عمرو بن عبيد المتوفى عام (144هـ) .فإذا افترضنا أن هذه المناظرة تمت في أواخر حياة عمرو، وأن هشاماً كان قد بلغ من النضج الفكري (حوالي العشرين عاماً) ما يؤهله لمقارعة زعماء المعتزلة، وفي دور نضجه الفكري فإن ولادته تُقدر بحدود عام (124هـ) إذا صح ما افترضناه. وهناك افتراض آخر بناءً على إشارة ابن النديم إلى أن هشاماً كان في بداياته من أصحاب الجهم بن صفوان المتوفى عام (128هـ)، فإذا صح ما يدل عليه تعبير أبن النديم بكلمة أصحاب من بلغ الخامسة عشرة من عمره ، بعد أن نفترض أن ابتداء صحبته له والأخذ عنه كان في نفس العام الذي قتل فيه الجهم مما يرجح ولادته في حدود عام (113هـ) ليكون في سن تسمح له بالتلقي والأخذ عنه., (نعمة، 1985، ص 40).

وكما بينا قيل بأنه كان يسكن في مدينة الكوفة، وذكر بأنه نتقل منها إلى بغداد سنة (199هـ) ونزل في محلة الكرخ في منطقة قصر وضاح، وجاء بأنه قد امتهن التجارة، وتحديداً تجارة الخرز، حيث كان مركز تجارته في بغداد وكان له شريكا في تجارته وحانوته وهو عبد الله بن يزيد الأباضي، ورغم التباين المذهبي الشديد بينهما، إلا أنهما كانا على غاية من الانسجام، وكان حانوتهما مَجْمَعاً لطلبة العلم.

وذكر الشيخ الطوسي عن الفضل بن شاذان:"هشام بن الحكم أصله كوفي، ومولده ومنشؤه بواسط، وقد رأيت داره بواسط، وتجارته ببغداد في الكرخ، وداره عند قصر وضاح في الطريق الذي يأخذ في بركة بني زرزر حيث تباع الطرايف والخلنج، وعلي بن منصور من أهل الكوفة، وهشام مولى كندة، مات سنة تسع وسبعين ومائة بالكوفة في أيام الرشيد"(الطوسي، 526/2)

وفي موضوع انتقاله الى بغداد وسكنه وعمله فيها قيل بأنه انتقل في أخريات أيامه إلى بغداد من الكوفة بعد أن كان يتردد إليها بحكم تجارته، وكان تحوله إليها في سنة(199هـ) وقيل في عام (179هـ). وفي الرواية الاولى أي انتقاله إلى بغداد سنة(199هـ) هناك ما يدعو إلى لان ابن النديم وغيره ، ذكر بأنه كان منقطعا وملازما ليحيى بن خالد، ويحضر بمجالس نظره وكلامه، وهذا بظاهره لا يستقيم مع تلك الرواية المذكورة، لأن القيام بهذه المهمة والتزعم لتلك الحركة الكلامية والمجالس النظرية يقضي عليه بالحضور في أغلب الأحيان ويتنافى مع بقائه في الكوفة نائيا عن بغداد، يأتي إليها عرضا وأحيانا، ولا بد أن يكون تحوله إلى بغداد قبل سنة(199 هـ) بحكم تجارته، ولا سيما أنه كان متخذا منزلا في بغداد في محلة الكرخ. وقد علمنا مما سبق أن نكبة البرامكة كانت في سنة(187 هـ) فإذن يتحتم أن يكون انتقل إلى بغداد في أثناء دولتهم وآبان سلطانهم وذلك لا يكون إلا قبل عام(187 هـ)الذي نكبوا فيه. ومن هنا أمكن أن تكون رواية انتقاله إلى بغداد عام(179 هـ) أقرب الروايتين وأدناهما إلى الصواب (نعمة، 1985، ص49)

وقيل ان هشام بن الحكم قد عاش فترة من حياته في مكانة رفيعة لدى البرامكة، وخصوصا عند يحيى بن خالد البرمكي، فقد احتضنه وآثره، وقربه منه وحاطه برعايته، فانقطع هو إليه، وولاه مجالس الكلام والنظر، وأخيرا أعجب هارون العباسي ومال إليه حين سمع كلامه في النبي (ص وآله) ولكن ذلك لم يدم حتى تنكر له هؤلاء، واشتعلت عليه نقمة هارون العباسي فطلبه ففر هاربا (الطوسي، 526/2)

من أولاده أبو محمّد، الحكم، قال عنه الشيخ النجاشي (قدس سره): كان مشهوراً بالكلام، كلّم الناس، وحكي عنه مجالس كثيرة، ذكر بعض أصحابنا رحمهم الله أنّه رأي له كتاباً في الإمامة.

وبصورة عامة فقد كانت هناك حالة من العداء مستمرة بين السلطات الحاكمة وبين مفكري الشيعة إذ كان من المميزات الواضحة أن الشيعة قد حملوا في اكثر عصورهم راية المعارضة للطبقات الحاكمة، وكانوا يسمون معاوية والأمويين بالكفر، وفي المبادئ التي اعتنقزها حافز كبير للثورة ضد أولئك الحكام من طريق

مباشر وغير مباشر .,تلك المبادئ كانت بمثابة الشرارة التي يمكن أن تلهب منها الثورة في كل حين. فنظريتهم بعصمة الإمام بالإضافة إلى أنها داخلة في صلب عقيدتهم، كانت تحمل في معناها الثورة على كل حاكم غير معصوم، وتقرر عدم شرعية حكمه وأوامره، وتنتهي إلى عدم الاعتراف بسلطانه ومن ذلك خلفاء بني العباس(.نعمة، 198هشام بن الحكم، ص 25)

وفي هذا المحيط الفكري الثائر، وفي حومة هذه النزعات العاتية ، وجد هشام بن الحكم طاقة فكرية لاهبة في وسط محيط لاهب. وهو يمثل روح هذه الفترة تمثيلا صادقا، وتبرز فيه خصائص هذا المجتمع الذي عاش فيه بوضوح ، من حرية التفكير ، وانطلاق التأمل، وحب المعرفة والمناظرة، ومن رواج سوق الجدل والمحاورة في الدين والعقيدة وما إليها ، ومن أثر التفكير الأجنبي على كثير من تلك الآراء، وما كان للروح الإسلامية من أثر بالغ في تسيير روح الجماهير والمتكلمين والعلماء. ويمثل أيضا كثيرا من آراء الشيعة الإمامية، وهي في حلل منطقية عقلية. كما تجد في آرائه ما يخالف مذهب الشيعة ونزعاتهم. كل ذلك يبرز في دراسة مناظرات هشام مع زعماء المعتزلة والخوارج وأصحاب النزعات الإلحادية ، وتبرز كذلك في دراسة آرائه الكلامية التي هي مثال صالح للثقافة التي كانت معروفة في عصره(نعمة، 1985 ، ص 37)

ثانيا– شيوخه:

شاع عند الناس وعند الكتاب بأن هشام بن الحكم كان قد تتلمذ على يد الإمام جعفر بن محمد الصادق(عليه السلام) في المسائل التي كان تعرض له، ويعوذ في جوابها به، فقد حدثوا: أن هشاما سأل الإمام الصادق عن خمسائة مسألة، والإمام أجابه على جميعها، وحدثوا أيضا أنه سأل الإمام الصادق(عليه السلام) عن أسماء الله واشتقاقاتها، والإمام(عليه السلام) أجابه عن ذلك كله، ثم قال له: أفهمت يا هشام فهما تدفع به وتنافر أعدائنا الملحدين في الله والمشركين مع الله عز وجل غيره؟، قال له:نعم، قال : نفعك الله به، وثبتك يا هشام. قال هشام: فوالله ما قهرني أحد في التوحيد حينئذ حتى قمت مقامي هذا (نعمة، 1985، ص 59)

كذلك ذكر بأن هشام بن الحكم قد تتلمذ على يد الإمام موسى بن جعفر(عليه السلام) و كان على اتصال وثيق به ومحل ثقته واهتمامه، حتى إن الإمام(عليه السلام) كان يوليه الأمور التي تهمه ويوكله في

قضائها. وبلغ من عناية الإمام(عليه السلام) به وحسن حاله عنده، أنه يهتم في تقوية اقتصادياته وتوسيع تجارته، فقد رووا: " أن الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) قد سرح إليه بخمسة عشر ألف درهم، وقال له اعمل بها وكل أرباحها ورد إلينا رأس المال، ففعل هشام ذلك"(الطوسي، 546/2)

ثالثاً– تلاميذه:

تخرج على يدي هشام بن الحكم وروى عنه رعيل من المتكلمين الذين حملوا لواء الدفاع عن العقيدة الإمامية وطوروا أدواتها الجدلية وأشتهر منهم ثلاثة عشر هم :

1- إبراهيم بن سيار النظام وذكر بأنه كان هناك علاقة بين هشام والنظام، وصلة مشهورة، لم تكن مقصورة على المناظرة والجدل فحسب، بل تجاوزت إلى أبعد من ذلك. والذي تفيده النصوص أن علاقة النظام بهشام علاقة تلميذ بأستاذ يأخذ عنه ويستفيد منه ويظهر أن تتلمذ ابراهيم بن سيار النظام بهشام بن الحكم قد أكسبته تجاوبا ثقافيا، لذلك نجد بين آراء كل منها شبها كاملا في كثير من المسائل والمواضيع، مما يرجح تأثير هشام على تفكير النظام (نعمة، ص101- 105)

2- الحكم بن هشام ابنه الذي سار على نهج أبيه في البصرة، وكان له مجلس عامر للمناظرة والكلام، وله مؤلفات في الإمامة ضاع أكثرها ولكن ذكره المترجمون كأحد وجوه هذا الفن. قال الطبرسي: "وكان مشهوراً بالكلام ، وحكى عنه مجالس كثيرة ، ذكر بعض أصحابنا أنّه رأى له كتاباً؛ ولذا عدّه في البلغة، والوجيزة من الممدوحين(الطبرسي، 1994، 305/7)

3- حماد بن عثمان بن زياد الرؤاسي الكوفي المعروف بالناب مولى بني غني وهو من أصحاب الإمام الصادق والإمام الكاظم والإمام الرضا (عليهم السلام) ومن أكابر الرواة وأعاظم الثقات توفي سنة (190هـ) وهو ممن أجمعت الطائفة على تصحيح ما يصح عنه من حديث لأنه لا يروي إلا عن ثقة، وصرح بذلك جماعة(الشاهرودي، 1991، 257/3؛ الشبستري، 1997 463/1)

4- أبو محمد صفوان بن يحيى البجلي الكوفي أوثق أهل زمانه وأعبدهم روى عن الإمام الرضا (عليه السّلام)، وكانت له عنده منزلة شريفة وكانت له منزلة من الزهد والعبادة وله كتب كثيرة (الجلالي، 2001، 244/1)

5- علي بن الحكم الأنباري صرح جماعة بوثاقته وهو كذلك تلميذ ابن أبي عمير(الطوسي، 840/2؛ التفريشي، 256/3)

6- علي بن معبد البغدادي من أصحاب الإمام علي الهادي(عليه السلام) ومن المؤلفين(الشاهرودي، 480/5؛ نعمة، ص66)

7- أبو الحسن علي بن منصور تلميذ هشام في الكلام وله كتاب التدبير وكتاب الإمامة، وله آراء مبثوثة في كتب الكلام (البحراني، 1996، 34/1؛ نعمة، هشام بن الحكم، ص67)

8- الفضل بن شاذان بن خليل الازدي النيسابوري ويعد من أعظم تلاميذ هشام بن الحكم المتأثرين بمنهجه، حيث قام بتنقية آراء أستاذه وتوضيح مقاصده، وكان المدافع الأول عنه ضد افتراءات الخصوم، وكان من الروات الثقات ومن اكابر متكلمي الإمامية وله مائة وثمانين كتاباً(السبحاني، 1992، ص293)

9- أبو أحمد محمد بن أبي عمير زياد بن عيسى المتوفى عام (217هـ) وهو من أكابر الرواة الثقات ومن وجوه الشيعة البارزين(الشبستري، 1997، 383/3)

10- نشيط بن صالح بن لفافة مولى بني عجل صرح جماعة بوثاقته ولم مؤلف (النجاشي، ص429)

11- . يعقوب بن يزيد (الشبستري، الفائق، 383/3)

12- يونس بن عبد الرحمن من أجلاء الإمامية الثقات، ولد في أيام هشام بن عبد الملك الأموي، وهو من المؤلفين . وصفه الإمام الرضا (عليه السلام) بأنه عالم آل محمد، وكان له دور كبير في تدوين المادة الكلامية التي وضع بذورها هشام بن الحكم(.التفريشي، نقد الرجال، 110-108/5)

13- يونس بن يعقوب بن قيس الدهني وثقة جماعة من مؤلفي الرجال كالطوسي والنجاشي وسواهما(نعمة، ص6649)

المبحث الثاني مكانة هشام بن الحكم عند الأئمة المعصومين وما قيل فيه

أولا– مكانته عند الأئمة المعصومين(عليهم السلام):

ذكرت المصادر بان العالم هشام بن الحكم قد حظي بمكانة استثنائية وجليلة لدى الإمامين جعفر الصادق وموسى الكاظم (عليهما السلام). وقد تواترت الروايات في كتب التراجم بتوثيقه توثيقاً مطلقا. ومن أعظم ما قيل فيه، قول الإمام الصادق (عليه السلام): "هشام بن الحكم رائد حقنا، وسائق قولنا، المؤيد لصدقنا، والدامغ لباطل أعدائنا، من تبعه واتبع أثره تبعنا، ومن خالفه وألحد فيه فقد عادانا وألحد فينا"((أبن شهر آشوب، ص163)وبهذا القول من الإمام المعصوم (عليه السلام) يكون قد رفع هشام بن الحكم إلى مرتبة الشيوخ العلماء وجعل له مكانة كبيرة بين الناس وجعله مصدر ثقة ومن الناطقين باسم مدرسة الإمامية.

وبلغ من تعظيم الإمام الصادق(عليه السلام) له أنه استقبله في مِنى وهو في ريعان شبابه وأجلسه في صدر المجلس متقدماً على شيوخ الشيعة وكبارهم، قائلاً: "هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده"(أبن شهر آشوب، ص163) ومن هذه الشهادات الصادرة من الإمام الصادق (عليه السلام) بحق هشام بن الحكم تنفي عنه تهمة تأسيس فرقة باسم الهشامية أو ان يكون مبتدعا أو ضالا كما روج لذلك اعداءه ومخالفيه.

ونقل ان هشام بن الحكم كان من أكبر العاملين على تنشيط الحجاج والمناظرة وتطويرهما، وخصوصا حول الإمامة، حتى كان الإمام الصادق يرشد إليه، ويحث الناس على لقائه ومناظرته(نعمة، ص 115)

كما شمله الإمام الكاظم (عليه السلام) بعنايته البالغة، حتى أنه كان يوكل إليه قضاء شؤونه، ودعمه اقتصادياً بأن سلّمه خمسة عشر ألف درهم ليتجر بها.وقال له: "اعمل بها وكل أرباحها ورد إلينا رأس المال، ففعل هشام ذلك"(الطوسي، 546/2.

وذكر بأن الإمام الصادق(عليه السلام) قد قال لهشام بن الحكم بعد انتهاء هشام من مناظرة مع أحد الشاميين " :يا هشام لا تكاد تقع تلوي رجليك، إذا هممت بالأرض طرت، مثلك فليكلم الناس، إتق الله الزلة، والشفاعة من ورائها ان شاء الله"(الفيض الكاشاني، 29/2) .وكذلك نقل عن هشام بن الحكم أنه قال لقد قال لي الإمام الصادق(عليه السلام) "يا هِشام، لا تزال مؤيّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك"(المفيد، ص 49)

وجاء ان الإمام الرضا(عليه السلام)قال فيه:رحمه الله، كان عبداً ناصحاً، أُوذي من قبل أصحابه حسداً منهم له"(الطوسي، 547/3).وهذا القول يدل على ان هشام بن الحكم قد تعرض للأذى كثيرا من خصومه ومن اصحابه كذلك لكن قول الإمام (عليه السلام) هذا قد انصفه وبين بأن ما قيل فيه من اقاويل هي ادعاءات باطلة للحط من مكانته وتنفير الناس منه. وكذلك قال الكشي: عند ذكره العالم الجليل هشام بن الحكم: انه مولى كندة، مات سنة تسع وسبعين ومائة بالكوفة في أيام هارون العباسي، وترحم عليه الإمام الرضا (عليه السلام)(الطهراني، الذريعة، 111/1)

وروى الكشي بسلسة سند معتبرة عن داود أبي هاشم الجعفري، قال : قلت لأبي جعفر (عليه السلام): ما تقول في هشام بن الحكم، فقال: "رحمه الله ما كان أذبه عن هذه الناحية(الحلي، 1996، ص289؛ الأردبيلي، 313/2)

ثانيا– ما قيل فيه

هشام بن الحكم كان ملتقى لرضا فريق من الناس وسخط فريق آخر، وكان الناس فيه فريقين: فريق له ومعه، يطري عليه في دينه وتقواه وطريقته ومواقفه المحمودة في الذب عن الإسلام ونصرة التوحيد ، ودفع الشبات عنه وفريق عليه انهالوا عليه بالتهم حتى اخرجوه من ملة الإسلام.

فشخصية علمية كبيرة مثل هشام بن الحكم كان المطلوب من التاريخ الإسلامي ان ينصفه ويحفظ علمه وفلسفته ويحفظ له مكانته لكن مما يؤسف له هو ان هذا العالم الكبير قد تعرض لحملات كبيرة لتشويه صورته والإساءة إليه؛ لانه كان له رأي يخالف آراء السلطات الحاكمة فشنوا عليه حملات التشويه والتضليل، ومع ذلك فإن هناك من انصفه وقال كلمة الحق بشخصه. فهشام بن الحكم كان ملتقى لرضا فريق من الناس وسخط فريق آخر من خصومه ومخالفيه في العقيدة والمذهب. ففريق أثنى على تقواه ودوره المحمود في الذب عن الإسلام ونصرة التوحيد .وفريق آخر من الخصوم صب عليه جام الغضب، فرماه بالكفر، والغلو، والزندقة.

وبصورة عامة فقد اعتدنا على ان اعداء علماء الشيعة وخصومهم كانوا شديدي النقد لهم والتنكيل بهم حتى وصل بهم الحال إلى تكفيرهم واخراجهم من ملة الإسلام، ومن الشخصيات العلمية ورموز الشيعة الاعلام الذين تعرضوا لهذه الحملات هو العالم والفيلسوف الكبير هشام بن الحكم فلم يترك مخالفيه في

العقيدة والمذهب تهمة إلا والصقوها به حتى جعلوه زنديقا وكافراً. ومن ذلك ادعاء ابن تيمية وابن الخياط بأن هشاماً نشأ في أحضان الزنديق أبي شاكر الديصاني، ورضع منه أفاويق الزندقة للطعن في الإسلام كما تحاملت عليه المعتزلة وأنكروا انتماءه للإسلام(نعمة، ص 10)

لذلك فقد تعرض هشام بن الحكم للغبن والظلم من قبل المؤلفون المؤرخون وغمضوا حقه فيما مضى، وبنوا من حوله جدارا سميكا من التقيم والاتهامات الكثيرة .الأمر الذي حجب رؤيته عن الباحث المجرد حول حياته ونزعاته وأفكاره، وحال دون وصوله إلى حقيقته إلا بعد جهد جهيد. وأكثر المؤلفين الذين عرضوا له، قد تشابهت أقوالهم حوله، من التحامل عليه، واتهامه بسيل جارف من الاتهامات الظالمة، من الحاد، وزندقة، وكفر، وخروج عن الإسلام، وإن اختلفوا في الصياغة والإخراج، مما أثار ضبابا ضاغطا على تفكير القارئ والباحث على سواء، وضاعت حقيقته في متاهات هذا التعتيم وهذه الاتهامات(نعمة، ص 10)

وما أكثر هؤلاء الموهوبين في تاريخنا العربي الاسلامي الذين عاشوا محرومين من الحياة والحرية، وحتى من النور والهواء، احتضنتهم غياهب الزوايا والطوامير، يطاردهم الرعب في كل شبر من هذا الأرض. خافوا أن يمسهم شواط نقمة الطبقة الحاكمة، ففروا بأنفسهم هاربين، لم تتسع لهم الدنيا بطولها وعرضها لينجو بأنفسهم من عسف الطغاة، وأوصدت في وجوههم جميع سبل الحياة، وضاقت عليهم الأرض برحبها، فلم يجدوا فيها شبرا واحدا يستطيعون أن يعيشوا فيه مطمئنين. ولكنهم بالرغم من كل ذلك فتحوا أبواب التاريخ(نعمة، ص 12)

ما قيل في ذم هشام بن الحكم من قبل مخالفيه:

كان المعتزلة من أبرز المتحاملين على هشام بن الحكم، فقد اشتدوا عليه وقذفوه بتهم كثيرة، وكان من أشدهم تحاملا عليه القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني المعتزلي في كتابه :(تثبيت دلائل النبوة). فهو لم يدع مناسبة إلا ويشتد عليه، ويرميه بكل كبيرة وصغيرة(نعمة، ص 11)

وكذلك صب عليه فريق آخر بالتشنيع ورموه في دينه، ونسبوه إلى الكفر والغلو والإلحاد والزندقة. فيقول فيه أبن حجر: "كان من الغلاة ويقول بالجبر الشديد، ويبالغ في ذلك، ويجوز المحال الذي لا يتردد في بطلانه ذو عقل" (ابن حجر، د ت، 194/6) ونقل الشيخ عبد الله نعمة ان ابن تيمية كان يقول في هشام بن الحكم: " نشأ في أحضان أبي شاكر الديصاني الزنديق، وكان من غلمانه، ومن بيئة أبي شاكر رضع أفاويق الزندقة والالحاد والتجسيم(نعمة، 1985، ص72)

ما قيل في مدح هشام بن الحكم:

وإزاء هذا التحامل فقد أطراه جماعة من حملة العلم والأثار ، فقال عنه الشيخ المفيد : إنه كان تقيا وروى حديثا كثيرا وأنه من أكبر أصحاب الإمام الصادق(عليه السلام) وبلغ من مرتبته وعلوه عند أبي عبد الله جعفر بن محمد أنه دخل عليه بمنى، وهو غلام أو ما اختط عارضاه، وفي مجلسه شيوخ الشيعة كحمران بن أعين وقيس الماصر ويونس بن يعقوب وأبي جعفر الأحول وغيرهم، فرفعه على جماعتهم، وليس فيه إلا من هو أكبر منه سنا ، فلما رأى أبو عبد الله أن ذلك قد كبر على أصحابه قال: هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده(المفيد، الفصول المختارة، ص52)

ونقل ان الشيخ المفيد قد وصفه ومجموعة من الرواة بأنّهم "فقهاء... الأعلام الرؤساء، المأخوذ عنهم الحلال والحرام، والفتيا والأحكام، الذين لا يطعن عليهم، ولا طريق إلى ذمّ واحد منهم، وهم أصحاب الأُصول المدوّنة، والمصنّفات المشهورة" (البهبهاني، 1882م 345/2)

وقال الشيخ الطوسي(قدس سره): «كان من خواص سيّدنا ومولانا موسى بن جعفر عليهما السلام، وكانت له مباحثات كثيرة مع المخالفين في الأُصول وغيرها، وكان له أصل... فيه مدايح له جليلة، وكان ممّن فتق الكلام في الإمامة، وهذّب المذهب بالنظر(نعمة، 1985م، ص39) .

وقال فيه الشيبستري: أبو محمد وأبو الحكم هشام بن الحكم الكندي وقيل الشيباني بالولاء، الكوفي ، البغدادي. من أعلام علماء وفقهاء ومحدثي الإمامية الثقات ، وكان في بادئ أمره يرى رأي الجهمية ، ثم استبصر ورجع إلى طريق الحق . اختص بالإمام الكاظم عليه السلام و روى عنه أيضا . كان رفيع المنزلة جليل القدر عند الأئمة عليهم السلام ، وكان متكلما حاذقا ، مناظرا سريع البديهة ، تقيا ، وله صولات

وجولات في محاججاته مع الخصوم والمعاندين ، وكان من جملة العلماء والفقهاء والأعلام الرؤساء المأخوذ منهم الحلال والحرام والفتيا والأحكام(الشبستري، 382/3)

وقال فيه البروجوردي: هشام بن الحكم الكندي الشيباني الكوفي البغدادي ، ثقة عدل امامي حسن الطريقة حاضر الجواب ، لم يكتحل بمثله حدقة الزمان. وكان ممن فتق الكلام في الإمامية ، وهذب المذهب بالنظر ، حاذقا بصناعة الكلام ، له كتب كثيرة وكان الحقيق بحاله أن يدون له رسالة منفردة في مكارم أخلاقه وسمو مرتبته وحذاقته ، الا أنا نقتصر هنا على القليل حذرا من الخروج عن أسلوب الكتاب (البروجردي، 1984، 556/2)

روى عن أبي عبد الله وأبي الحسن (عليهما السلام)، وكان ثقة في الروايات، حسن التحقيق بهذا الامر، ورويت مدائح له جليلة عن الإمامين الصادق والكاظم (عليهما السلام)، وكان ممن فتق الكلام في الإمامة، وهذب المذهب بالنظر، وكان حاذقا بصناعة الكلام حاضر الجواب أن هشاما كان أحد أعلام الفكر والمعرفة في عهده ، الذين دفعوا قافلة المعرفة الإسلامية إلى الإمام ، وأن تأثيره بين المتكلمين ظل طويلا من بعده ، وقد بقي جماعة يناظرون على مبادئه حتى عصور متأخرة(نعمة، 1985، ص239)

ومما يجدر بالذكر أن ما جاء في زيفه وإلحاده وسوى ذلك من أحاديث، إنما جاء من جانب خصوم، عرف عنهم التحامل عليه وعلى الشيعة خاصة، أو هو كلام خصوم أو غير خصوم متأخرين عنه، رموه بما فيه وبما ليس فيه، نصرة لنزعاتهم، ودفاعا عن مذاهبهم . لذلك يجب أن نتلقى مثل هذه الاتهامات بتردد كبير وحيطة كاملة ، ولا سيما وقد عرفنا أن الإمام الصادق(عليه السلام) أعظمه وأكبره وأرشد إليه ووثقه، وأن الإمامين الرضا والجواد(عليهما السلام) ترحما عليه. ومهما يكن من شئ فإن هناك حقيقة واقعية تسمو على قول المتخرصين، وتبدد التهم والظنون. أنه بدون ريب من الشخصيات الموهوبة بالفكر والعلم، قوي الشخصية واسع الخطوط، ذو أفق عقلي مترامي الأطراف، حاد الفطنة حاضر الجواب، وذو شهرة طائرة ونباهة لا تجحد، أو هو كما نعته الأستاذ أحمد أمين: " أكبر شخصية شيعية في علم الكلام ...وكان جدلا قوي الحجة، ناظر المعتزلة وناظروه، ونقلت له في كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرقة، تدل على حضور بديهته وقوة حجته(نعمة، 1985م، ص 75)

وذكره الشهرستاني بالقول: "وهذا هشام صاحب غور في الأصول ، لا ينبغي أن يغفل عن إلزاماته على المعتزلة ، فإن الرجل وراء ما يلزمه على الخصم ودون ما يظهره من التشبيه"(الشهرستاني، الملل والنحل، ص 97)

ويصفه ابن النديم فيقول: "هو من متكلمي الشيعة ممن فتق الكلام في الإمامة ، وهذب المذهب والنظر... وكان حاذقا بصناعة الكلام حاضر الجواب" (أبن النديم، 1982م، 224).

وقال فيه السيد الصدر: "هشام بن الحكم ، قال الصادق فيه : هذا ناصرنا بقلبه ولسانه ويده ، ناظر كل أهل الفرق وأفحمهم ، وله مجالس مع الخصوم صنف في الكلام ، وحسده الناس لشدة صولته وعلو درجته ، فرموه بالمقالات الفاسدة ، وهو بريء منها ومن كل فاسد"(الصدر، حسن، د.ت، ص 68)

أما على الصعيد السياسي، فقد عاش هشام فترة في كنف البرامكة متصلاً بيحيى بن خالد البرمكي الذي أوكل إليه إدارة مجالس الكلام والنظر. إلا أن تميز هشام الفائق وإعجاب هارون العباسي به أثار حفيظة يحيى بن خالد وحسده، خصوصاً بعد تصدي هشام للفلاسفة الذين كان البرامكة يعتمدون عليهم لنشر نزعتهم الشعوبية. فانتهز يحيى الفرصة وألّب عليه هارون العباسي عبر ترتيب مناظرة وراء الستر، أقر فيها هشام بوجوب حمل السيف مع الإمام المعصوم(عليه السلام) إذا أمره بذلك، مما أثار حنق هارون العباسي ودفعه لطلب رأس هشام، فانتهت علاقته بالسلطة بالمطاردة والفرار حتى وفاته.

وكانت لهشام بن الحكم نظرية في الإمامة والخلافة زادت من عداء السلطة العباسية له: إذ كانت نظريته ان الخلافة تقوم على أنها منصب ديني ، لا يخضع للاختيار أو الانتخاب ، والخليفة يتعين بنص من الله أو رسوله، وينص الإمام السابق على اللاحق، وأن الإمام يجب أن يكون معصوما، ولا تحل مخالفته ولا يجوز عزله(نعمة، 1985، ص206)

المبحث الثالث: مكانته العلمية ومؤلفاته ومناظراته

أولا– مكانته العلمية:

تميز عصر هشام بن الحكم باحتدام النقاشات الفلسفية والكلامية، وقد برز كأحد أعمدة الفكر الإسلامي بفضل ما وهبه الله من قدرة استثنائية على الحوار وإفحام الخصوم. وكما مر بنا فقد برع هشام بن الحكم في علم الكلام والجدل حتّى فاق جميع أصحابه، وكان الإمام الصادق(عليه السلام) يرجع بعض الناس إليه في المناظرة والكلام، ويشجّعه على ذلك له الكثير من المناظرات مع علماء عصره الذين عرفوا بقوّة المناظرة، فكان العلماء يقصدونه لذلك، وهو كذلك يقصد علماء الأمصار ورؤساء الحلقات العلمية للمناظرة؛ طلباً لإظهار الحق ودحضاً للباطل. وقد نقلت له في الكتب مناظرات كثيرة متفرّقة تدلّ على حضور بديهيته وقوّة حججه.

ويغلب على ثقافة هشام الجانب العقلي، على ما سواه من جوانب، لذلك تجد في رواياته عن الإمام الصادق والكاظم(عليهما السلام) كثيرا من الأحاديث في العقائد الإسلامية، وفي أدق المسائل الدينية، وأكثرها غموضا وأبعدها أثرا في العقيدة الإسلامية. فهو يروي أحاديث الزنادقة الذين كانوا يسألون الإمام الصادق (عليه السلام)، وما كانوا يناقضونه به، وأجوبته لهم، كأبي شاكر الديصاني وعبد الله الديصاني وعبد الكريم العوجاء وسواهم من أصحاب النزعة الإلحادية في الإسلام . مثال ذلك : قال هشام : سأل أبو شاكر الديصاني الإمام الصادق فقال له : " ما الدليل على أن لك صانعا ؟ فقال: وجدت نفسي لا تخلو من إحدى جهتين ، إما أن أكون صنعتها أنا ؟ أو صنعها غيري؟ فإن كنت صنعتها فلا أخلوا من أحد معنيين ، إما أن أكون صنعتها وكانت موجودة؟ أو صنعتها وكانت معدومة، فإن كنت صنعتها وكانت موجودة، فقد استغنت بوجودها عن صنعتها ، وإن كانت معدومة فإنك تعلم أن المعدوم لا يحدث شيئا. فقد ثبت المعنى الثالث إن لي صانعا وهو الله رب العالمين ، فقام وما أحار جواب" (الخراساني، د.ت ، 16/1)

وفي كتاب توحيد الصدوق كثير منها مثال ذلك : أنه سأل هشام بن الحكم الإمام الصادق(عليه السلام) فقال له: ما الدليل على أن الله واحد؟ فقال: اتصال التدبير وتمام الصنع كما قال الله عز وجل: "لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا"المجلسي، بحار الأنوار، 229/3.. وكما تبرز نزعته العقلية في أحاديثه

وسؤالاته كذلك تبرز واضحة في محاوراته ومناظراته ومؤلفاته أيضا ، فإنك تجد فيها جانبا كبيرا منها ، عالج فيها المواضيع العقلية

ويعد هشام بن الحكم من رواة الحديث في القرن الثاني الهجري، وقد وقع في إسناد كثير من الروايات تبلغ زهاء (١٦٧) مورداً، فقد روى أحاديث عن الإمامين الصادق والكاظم(عليهما السلام. إذ اعتنى هشام في الحديث فوضع له كتابه (الأخبار كيف يفتح) والأصل الذي ينسب إليه، وهو من الأصول الأربعماية، التي كانت الشيعة فيما بعد تعتمد عليها وترجع إليها، وقد ذكره الشيخ محمد بن الحسن الطوسي في كتابه الفهرست ورواه عنه بطريقين

وكان إلى جانب ذلك فقهيا من أولئك الذين حملوا الفقه والآثار، وألفوا فيها. وهو أيضا من أولئك العلماء الذين تناولوا في ثقافتهم أصول التشريع، وسبقوا إلى التصنيف فيه، فقد وضع لذلك كتاب الألفاظ، وممن سبقوا إلى هذا الموضوع (**نعمة، 1985، ص 59–67**)

وفي مناظراته شواهد كثيرة على عمق التفكير ونفوذ البصيرة مثال ذلك :إنه جاءه رجل ملحد، فقال أنا أقول بالاثنين، وقد عرفت إنصافك، فلست أخاف مشاغيتك، فقام هشام وهو مشغول بثوب ينشره، وقال حفظك الله، هل يقدر أحدها أن يخلق شيئا لا يستعين بصاحبه عليه؟ قال نعم .قال هشام :فما ترجو من اثنين وأحدهما خلق كل شئ أصح لك؟ فقال الرجل :لم يكلمني بهذا أحد قبلك" وفي هذه الكلمة القصيرة من قوة الحجة الممدودة بالفكر العميق، ما يغني عن شروح كثيرة في مثل هذا الموضوع، ذلك لأن افتراض إلهين إنما يكون لأجل الحاجة إليهما معا، أما إذا كان أحدهما يستطيع أن يصنع ويخلق كل شئ من غير أن يستعين بالثاني عليه، ومن دون أن يكون للثاني عمل فيه، فافتراض إلهين اثنين عبث ولغو(نعمة ، ص 114-115)

ثانيا – مؤلفاته:

ورد ان مؤلفته قد تجاوزت الثلاثين كتابا طمست اكثرها قد صنف كتبا في التوحيد والرد على الزنادقة والطبيعيين والمعتزلة، ومن هذه الكتب كتاب شيخ وغلام، وكتاب ثمانية أبواب، وكتاب الرد على أرسطاطاليس. وعد له الطوسي ثمانية وعشرين كتابا، في حين عد له النجاشي تسعة وعشرين كتابا . وأما ابن النديم فقد عد له ستة وعشرين كتابا وهي في مواضيع متنوعة، ويتحصل من كل ذلك واحد وثلاثون

كتابا. ونحن نذكرها على حسب ما رتبها ابن النديم ، ثم نذكر ما زاد على ذلك مما لم يذكره. وهي ما يلي:
(نعمة، 1985، 121-122)

1 – كتاب الإمامة.

2 – كتاب الدلالات على حدوث الأشياء.

3 – كتاب الرد على الزنادقة.

4 – كتاب الرد على أصحاب الاثنين.

5 – كتاب التوحيد.

6 – كتاب الرد على هشام الجواليقي.

7 – كتاب الرد على أصحاب الطبائع.

8 – كتاب الشيخ والغلام.

9 – كتاب التدبير في التوحيد .قال النجاشي : "ان هذا الكتاب جمعه على بن منصور من كلام هشام"(
الطهراني، 1983، 17/4)

10 – كتاب الميزان.

11 – كتاب الميدان.

12 – كتاب الرد على من قال بإمامة المفضول.

13 – كتاب اختلاف الناس في التوحيد والإمامة.

14 – كتاب الوصية والرد على من أنكرها.

15 – كتاب الجبر والقدر

16 – كتاب الحكمين.

17 – كتاب الرد على المعتزلة في أمر طلحة والزبير.

18 – كتاب القدر.

19 – كتاب الألفاظ .

20 – كتاب المعرفة.

21 – كتاب الاستطاعة.

22 – كتاب الثمانية أبواب.

23 – كتاب الرد على شيطان الطاق.

24 – كتاب الأخبار كيف يفتح.

25 – كتاب الرد على أرسطاطاليس.

26 – كتاب الرد على المعتزلة وهو كتاب آخر.

27 – كتاب الألطاف.

28 – كتاب المجالس في الإمامة.

29 – كتاب علل التحريم.

30 – كتاب الفرائض.

31 – كتاب أصل هشام رواه عنه الشيخ بطريقين.

ثالثاً– نماذج من مناظراته:

امتلك هشام بن الحكم قدرة فائقة على الجدل وسرعة البديهة، حيث تصدى بقوة للزنادقة والمعتزلة والخوارج وغيرهم من أصحاب الأفكار المنحرفة، وكان المدافع الأول عن الإمامة متسلحاً بالدليلين العقلي والنقلي .وقد هيمنت نزعة الجدل على شخصيته بشكل بارز فاصبح لا يضاهيه فيها أحد من أقرانه، مما دفع ابن النديم لوصفه بالقول: "كان حاذقاً بصناعة الكلام حاضر الجواب" (أبن النديم، 1971، 223) كما يرى الدكتور أحمد أمين أنه كان أكبر شخصية شيعية في الكلام، وكان جدلا قوي الحجة، ناظر المعتزلة وناظروه، ونقلت له في كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرقة تدل على حضور بديهته وقوة حجته (السبحاني، د.ت ، 313) لذلك فإن تفوقه في المناظرات جعله هدفاً لخصومه الذين عجزوا عن مقارعته بالحجة . وقد اعتمد منهجه على قوة المنطق، ودقة التفكير، والقدرة الفذة على استدراج الخصم وإلزامه بما لا يتوقعه، بأسلوب تنهار معه حجج المخالفين من حيث لا يشعرون.

وذكر بأن أبو الهذيل العلاف كان يخشى مناظرة هشام بن الحكم ويحسب لها ألف حساب، مما يدل على أن أطروحات هشام كانت تمثل المادة الخام التي يُبنى عليها النقاش الكلامي في ذلك العصر. بل ذكر بأن ابي الهذيل كان يخشى حتى من ناظرة ابراهيم بن سيار النظام وهو تلميذ هشام بن الحكم.

وكانت مناظرات العالم الكبير هشام بن الحكم تجري ضمن أطار الحركة الكلامية في الإسلام، وما له صلة مباشرة بالدين أو مشاكل العقائد ةالإسلامية، وكان هو وغيره من علماء الشيعة ومتكلميهم يمثلون روح الإسلام وتفكيره تمثيلا واضحا. وقد تناولوا أهم مشاكل الدين، من إثبات الخالق وحدوث العالم، والروح والادراك، وصفات الخالق الثبوتية والسلبية، ومسألة خلق القرآن، وأفعال العباد، والقضاء والقدر، والإمامة، والعصمة، وحكم مرتكب الكبيرة، والاستطاعة، وبقاء الجنة والنار وسوى ذلك من المشاكل الدينية. وعالجوا إلى جانب هذه مواضيع فلسفية لا صلة لها بالدين، أو أن علاقتها به ليست بذات بال . كموضوع الكمون والظهور والحركة والسكون والأجسام والأعراض وما يتبعها من التداخل والطفرة وحقيقة الإنسان، وما إلى ذلك من مواضيع فلسفية كثيرة. وتعد تلك الحقبة من أغزر حقب التاريخ بالفرق والمذاهب، فقد قامت فيها المعارك الدينية والنظرية في جدال وحجاج لا ينتهيان، وبرزت فيها الفرق والمدارس الكثيرة التي تفرعت من الشيعة والمعتزلة والصفاتية والخوارج، والجهمية والمرجئة وغيرهم وظهرت من جراء ذلك، المؤلفات الكلامية الكثيرة تقريرا أو حجاجا أو دفاعا، التي تكاد تملأ الطوامير(نعمة، 1985، ص19)

والظاهر ان مناظرات هشام بن الحكم وغيره من متكلمي الشيعة الإمامية كانت تجري بموافقة واشراف الائمة المعصومين(عليهم السلام) فورد عن هشام بن الحكم ان الإمام الكاظم (عليه السلام) بعث إليه، يقول: كف هذه الأيام عن الكلام .فإن الأمر شديد، قال هشام: فكففت عن الكلام حتى مات الخليفة المهدي العباسي، وسكن الأمر الذي من أجله ينهاني(المجلسي، 1983، 196/48)

ويظهر أن الأئمة من أهل البيت(عليه السلام) ولا سيما الإمام الصادق (عليه السلام) قد شجعوا في أصحابهم الحركة الكلامية ونشطوا النظر وحثوا عليه، كما يومي إلى ذلك أمر الإمام الصادق(عليه السلام) أصحابه بالمناظرة مع هشام والاستماع إليه، وقصة الشامي المتكلم الآتية شاهد صريح على ذلك. ونجد أيضا أن مجالس المناظرة كانت تعقد بين متكلمي الشيعة أنفسهم، كما نلحظ ذلك جليا في المناظرة بين هشام بن الحكم وبين زرارة بن أعين، والمناظرة بين هشام بن الحكم وبين هشام ابن سالم الجواليقي وغيرهما. والفارق بين المعتزلة والشيعة، أن السلطة كانت تؤيد في ذلك العهد المعتزلة وتساندهم، وأما الشيعة فكانت السلطة ضدهم وتطاردهم وتحبس أنفاسهم، كما هو معروف في التاريخ، لذلك برزت تلك واختفت هذه في أكثر الأدوار. وفارق آخر أن الإمامية كانوا يحاولون التوفيق بين العقل والنقل فيما إذا كان النقل يساند

العقل ولا يعارضه، كما يبدو؛ لأن الشيعة تمتاز بالقول بالإمام المعصوم منذ أقدم عصور التشيع، بل هو الطابع الوحيد الذي يفصلهم عن سواهم من الفرق الإسلامية(نعمة، 1985، ص 21-24) ولقد حفظت لنا المصادر المختلفة شواهد عديدة تدل على عبقرية هشام بن الحكم في المناظرات، ومن أبرزها:

1- **مناظرته حول تمام النعمة (النبوة والخلافة)** : قيل: أن هشام بن الحكم سأل يوما جماعة من المتكلمين فقال لهم: هل بعث الله محمداً (ص وآله) بنعمة تامة أم ناقصة؟ فأجابوا: بنعمة تامة. فاستدرجهم قائلاً: أيهما أتم، أن تكون النبوة والخلافة في أهل بيت واحد أم تنفصلا؟ فأقروا بأن اجتماع النبوة والخلافة أتم .فأوقعهم في مأزق الاستدلال قائلاً: فلماذا جعلتموها في غيرها؟ فإذا صارت في بني هاشم ضربتم وجوههم بالسيوف!، فبهتوا وأُفحموا(ابن شهر آشوب، 1956، 237/1) وهنا تجد قوة منطقة ودقة تفكيره وقدرته على إفحام خصومه بأسلوب استدراجي تنهار معه حجج خصومه من حيث لا يشعرون.

2- **مناظرته حول الإمامة وحادثة الغار** : ورد ان أحد المتكلمين سال يوما هشام بن الحكم مستنكراً تفضيله الإمام علي (عليه السلام) على أبي بكر، ومحتجاً عليه بآية الغار ((إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا)) فأجابه هشام بسؤال دقيق: أخبرني عن حزنه في ذلك الوقت يقصد الخليفة أبي بكر، أكان لله رضى أم غير رضى؟، فسكت الرجل. وأردف هشام محكماً طوق حجته: إن زعمت أنه كان لله رضى فلِمَ نهاه رسول الله؟ أينهاه عن طاعة الله ورضاه؟ وإن زعمت أنه غير رضى، فلِمَ تفتخر بشيء كان الله غير رضى؟، مذكراً إياه بأن الله قد أنزل سكينته على رسوله(ص وآله) وعلى المؤمنين، ولم يذكر الصاحب في نزول السكينة(التستري، 2001، 548/10)

3- **مناظرته مع أبي عبيدة المعتزلي حول الكثرة والقلة:** ذكر بأن أبي عبيدة المعتزلي قد احتج على الشيعة بأن معتقدهم هو الحق لمعيار الكثرة أي كثرة المعتزلة وقلة الشيعة فقلب هشام عليه الطاولة ببديهة حاضرة، مبدياً أن هذا المعيار إنما هو طعن في نبي الله نوح (عليه السلام) الذي لبث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم، ولم يؤمن معه إلا قليل، ويقصد بذلك قوله تعالى: ((وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ)) سورة هود، الآية 40.ونص الرواية يقول: قال أبو عبيدة المعتزلي لهشام بن الحكم: الدليل على صحة معتقدنا وبطلان معتقدكم كثرتنا وقلتكم مع كثرة أولاد علي وادعائهم،

فقال هشام: لست إيانا أردت بهذا القول إنما أردت الطعن على نوح حيث لبث في قومه الف سنة إلا خمسين عاما يدعوهم إلى النجاة ليلا ونهارا وما آمن معه إلا قليل(ابن شهر شوب، 1956، 226/1؛ عبد الله الحسن، ص161)

المبحث الرابع مذهب هشام بن الحكم والشبهات المنسوبة إليه وحقيقة الفرقة الهشامية ووفاته

أطلق أصحاب كتب المقالات وغيرهم من الكتاب والمؤرخين من الخصوم مصطلح الفرقة الهشامية بهدف تصنيف أتباع هشام بن الحكم وتلامذته في علم الكلام. ومع ذلك، فإنه من الناحية التاريخية والواقعية، لم يبتدع هشام بن الحكم فرقة مستقلة ذات كيان منفصل تُدعى الهشامية .فهشام لم يؤسس مذهباً منشقاً لكي يعتبر زعيم فرقة مستقلة، بل كانت له آراء كلامية فلسفية اندمجت في بوتقة التراث الشيعي الإمامي. لذلك فإن مقولة الفرقة الهشامية لا تعدو كونها مدرسة تعد تمثيلاً لمرحلة مبكرة وخصبة من مراحل تطور علم الكلام الإسلامي، لا فرقة عقائدية خارجة عن السياق كما سُطر في كتب المخالفين لهشام بن الحكم في العقيدة والمذهب.

أولا– مذهبه:

لقد اثير لغط كثير حول المذهب والمعتقد الذي كان يتعبد به ويدافع عنه هشام بن الحكم، وهذه حالة عامة لجميع علماء الشيعة فلم يسلم منهم أحدا فكلهم متهمون بانهم رافضة لذلك فقد كانت التهم تصب عليهم صبا من كل حدب وصوب وبمختلف الاحجام والاوان والروائح. فذكر خصوم هشام بأنه كان في بدء أمره من أصحاب أبي شاكر الديصاني الزنديق المعروف، صاحب النزعة الإلحادية التي تفشت في ذلك الدور فقيل: أن هشاما كان من غلمان أبي شاكر الديصاني وقيل: كان من اصحابه(الطوسي، 561/2) .وقيل: من الممكن أن يكون لهؤلاء الرواقيين أثر في تفكير هشام، جاءه عن طريق الديصانية الذي كانوا منتشرين في العراق، ومن دعاتها وزعمائها أبو شاكر الديصاني(نعمة، 1985، ص 57)

وقيل بأن هشام بن الحكم كان في فترة من حياته قد تأثر بمذهب الجهمية و ناظر على طريقتها(حسين الشاكري، 1417 :454/10) ونحن لا نعرف مبلغ تأثير الجهمية في تفكير هشام. وقيل انه بين بعض آرائه وبين بعض الآراء الجهمية شبها (نعمة، هشام بن الحكم، ص 58)

وجاء في الروايات ان هناك حادثة قد حدثت مع هشام بن الحكم جعلته يستبصر إلى المذهب الإمامي وفي ذلك جاء: ولهشام في شأن انتقاله إلى مذهب الإمامية واتباعه للإمام الصادق(عليه السلام) قصة طريفة يرويها عمر بن يزيد الكوفي السابري يقول: كان أبن أخي هشام بن الحكم يذهب في الدين مذهب الجهمية... فسألني أن أدخله على أبي عبد الله (عليه السلام) ليناظره، فأعلمته أني لا أفعل ما لم استأذنه، فدخلت على أبي عبد الله (عليه السلام)، فاستأذنته في إدخال هشام عليه فأذن لي، فقمت من عنده وخطيت خطوات فذكرت ردائته وخبثه، فقال لي أبو عبد الله(عليه السلام) : أتتخوف علي؟ فخجلت من قولي وعلمت إني قد عثرت، فخرجت مستحييا إلى هشام فسألته تأخير دخوله وأعلمته أنه قد سمح له بالدخول عليه، فبادر هشام فاستأذن ودخل، فدخلت معه، فلما تمكن من مجلسه سأله أبو عبد الله(عليه السلام) عن مسألة فحار فيها هشام وبقي ساكتا، فسأله هشام أن يؤجله فيها فأجله أبو عبد الله(عليه السلام) ، فذهب هشام فاضطرب في طلب الجواب أياما فلم يقف عليه، فرجع إلى أبي عبد الله(عليه السلام) فأخبره بها، وسأله عن مسائل أخرى فيها فساد أصله وعقد مذهبه، فخرج من عنده مغتما متحيرا، قال: فبقيت أياما لا أفيق من حيرتي. قال عمر بن يزيد: فسألني أن استأذن له على أبي عبد الله(عليه السلام) فاستأذنت له ، فقال أبو عبد الله(عليه السلام): لينتظرني في موضع، سماه بالحيرة لألتقي معه فيه غدا إن شاء الله إذا راح النهار، قال عمر فخرجت إلى هشام فأخبرته بمقالته وأمره، فسر بذلك هشام واستبشر وسبقه إلى الموضع الذي سماه، ثم رأيت هشاما بعد ذلك فسألته عما كان بينهما، فأخبرني أنه سبق الإمام الصادق(عليه السلام) إلى الموضع الذي كان سماه ، فبينما هو إذا بالإمام قد أقبل على بغلة، فلما بصرت به وقرب مني هالني منظره ، وأرعبني حتى بقيت لا أجد شيئا أتفوه به، ولا انطلق لساني لما أردت من مناطقته ، ووقف علي أبو عبد الله(عليه السلام) مليا ينظر ما أكلمه، وكان وقوفه علي لا يزيدني، إلا تهيبا وتحيرا، فلما رأى ذلك مني ضرب بغلته وسار حتى دخل في بعض السكك، وتيقنت أن ما أصابني من هيبته لم يكن إلا من قبل الله عز وجل، من عظم موقعه ومكانه من الرب الجليل . قال عمر: فانصرف هشام مذهب الشيعة الإمامية الله(عليه السلام) وترك مذهبه ودان بدين الحق، وفاق أصحاب الإمام الصادق(عليه السلام) كلهم(الطوسي، 527/2؛ المجلسي، 193/48) وبعد ان استبصر هشام بن الحكم

وأخذ إلى القول بالإمامة بالدلائل والنظر، دان بمذهب الشيعة الإمامية ، وتبع الإمام الصادق(عليه السلام) وانقطع إليه.

ذكر نعمة : اشتملت هذه القصة على الإشارة إلى قوة العنصر الجدلي في هشام ، فالمحدث لهذه القصة يعبر عنه أنه كان خبيثا في الجهمية. ثم هو يتخوف على الإمام الصادق(عليه السلام) أن ينقطع معه، ويبالغ في ردائته وخبثه، ويقصد بذلك طبعا شدة عارضة وقوة جدله. وعنصر آخر تجده فيها، هو تعطش هشام بن الحكم إلى المعرفة برغبة شديدة، يواصل إليها سيره، ويبذل لها جهده حتى يلتقي معها في صعيد . وما بقاؤه متحيرا أياما لا يفيق من حيرته على حسب تعبير بن يزيد، ومعاودته للاتصال بالإمام الصادق(عليه السلام) الذي انتهى به أمره إلى ترك مذهبه والتحاقه به وملازمته إياه، إلا صدى حيا لرغبته الملحة، وحبه للمعرفة والتماسها أينما كانت. وشئ ثالث تتناوله القصة، هو شخصية الإمام الصادق(عليه السلام) القوية التي تركت هشاما في ذهول وتهيب ورعب، والتي ذابت حيالها شخصية هشام، فلم يستطع معه الكلام. وفي مدرسة الإمام الصادق(عليه السلام) الجديدة نما عقل هشام، ونضج تفكيره، واتسعت معارفه، ولازم هذه المدرسة التي كانت غنية سمحة حقه، وأخذ عنها الشئ الكثير، وتتلمذ على الإمام الصادق(عليه السلام) في مجالسه التي كانت بمثابة ندوة للمحاضرات لما كانت تشتمل عليه من مناظرات وأبحاث في أكثر المواضيع الإسلامية، والتي كانت دائرة معارف في جميع أنواع المعارف الإسلامية في ذلك الحين (نعمة، 1985، ص 61-64)

وفي نهاية المطاف استبصر هشام بن الحكم واصبح شيعيا إماميا وفي ذلك ذكر الكاشاني: "قيل إن هشام بن الحكم كان قبل وصوله إلى خدمة الإمام الصادق (عليه السّلام) على رأى جهم بن صفوان فلما وصل إلى خدمته (عليه السّلام) تاب ورجع إلى الحق والله تعالى أعلم بسرائر عباده"(الكاشاني، الوافي، 393/1)

ثانيا– الشبهات المنسوبة إلى هشام بن الحكم

1– التشبيه والتجسيم:

من أعظم التهم التي لفقت للعالم الكبير هشام بن الحكم هي القول بالتجسيم. ويعود أصل هذه التهمة إلى استغلال المعتزلة لتفوق هشام عليهم في ساحة المناظرات، فتعمدوا تشويه سمعته باقتطاع كلامه من سياقه الأصلي. ووضعه في قوالب التشويه الخاصة بهم، فالواقع أن اختلاف المصطلحات لعب دوراً محورياً في هذه الأزمة؛ حيث استخدم هشام مصطلحات فلسفية معقدة في بيئة جدلية لم تكن مألوفة آنذاك، مما أدى إلى سوء فهم مقاصده، أو تحريفها عمداً، وحينما استعمل هشام تعبير جسم لا كالأجسام، لم يكن يقصد التجسيم المادي المكون من لحم ودم ذي الأبعاد الثلاثة . بل كان لفظ جسم عنده كناية عن الموجود، وما قصده تحديداً هو أن الله موجود لا كالموجودات.

ويؤكد هذا الفهم ما ذكر بأن هشاماً كان صاحب غور في الأصول، وأن إطلاقه لبعض العبارات كان من باب إلزاماته على الخصم، لا عن عقيدة يعتنقها في التشبيه .كما أن كبار تلامذته مثل الفضل بن شاذان صرحوا بأن مقصده كان إثبات أن الله شيء لا كالأشياء، ومن المعهود أن التلامذة يمثلون حقيقة آراء أستاذهم (الأندلسي، 2001 94/4)

ومن الذين يدفعون شبهة التجسيم عنه السيد المرتضى فيقول : " وأما حقيقة القول عنه أنه ذهب في الله تعالى أنه جسم له حقيقة الأجسام الحاضرة وحديث الأشياء المدعى عليه فليس نعرفه إلا من حكاية الجاحظ عن النظام، وما فيهما إلا متهم عليه، غير موثوق بقوله في مثله"(الشريف المرتضى، 1990، 84/1.) وقال قبل هذا : "وأكثر أصحابنا يقولون إنه ورد ذلك على سبيل المعارضة للمعتزلة وذكر أبن أبي الحديد بأن الشيعة يقولون أن هشام بن الحكم لم يقل بالتجسيم المعنوي، وإنما قال إنه جسم لا كالأجسام بالمعنى الذي ذكرنا عن يونس والسكاك وغيرهما "(أبن أبي الحديد، د.ت ، 228/3) .ويريد بالمعنى الذي ذكره عن يونس بن عبد الرحمن وغيره أنهم أطلقوا لفظة جسم لا كالأجسام لمعنى أنه شئ لا كالأشياء. (نعمة، 1985، ص 133)

وربما يمكن القول: أن هشاما كان يذهب إلى أن الله تعالى جسم لا كالأجسام، وذلك قبل أن يدين بمذهب الإمام الصادق(عليه السلام)، ولكنه بعد ذلك رجع عن القول بالجسم، وقد صح أنه قد أقر بخطيئة

وصحت توبته، فقد حدثوا: أنه قصد الإمام أبا عبد الله الصادق (ع) إلى المدينة فحجه ولم يدخله عليه، وأبلغه أنه لا يوصله إليه ما دام قائلا بالجسم، فقال والله ما قلت به إلا لأني ظننت أنه وفاق لقول إمامي . فأما إن أنكره علي فإنني تائب إلى الله منه، وحينئذ أوصله الإمام الصادق(عليه السلام) إليه وأدخله عليه ودعا له بخير(المجلسي، 290/3)

وذكر بان المعتزلة كانوا يقولون إن: الشيء لا بد أن يكون عرضاً أو جوهراً (جسماً). فكان هشام بن الحكم يقول لهم في المناظرة: إن نفيتم الجسمية نفيتم الوجود وفق مبانيكم، فقولوا إنه جسم لا كالأجسام (بمعنى شيء موجود لا كالأشياء) لكي تثبتوا وجوده ولا تعطلوا صفاته. لكن خصومه أخذوا هذا القول الإلزامي واقتطعوه من سياقه ونسبوه كعقيدة ثابتة له.

ونقل عن الأشعري في مقالاته يحكي عنه أنه يريد بقوله جسم لا كالأجسام، معنى أنه موجود. قال: فقال هشام بن الحكم: معنى الجسم أنه موجود، وكان يقول: إنما أريد بقولي: جسم، أنه موجود، وأنه شئ ، وأنه قائم بنفسه(الأمين، د.ت، 223/4) .وهذا يعني أن الجسم عند هشام ليس خاصا بما أنه له أبعاد ثلاثة، بل هو كناية عن الموجود، وعما هو قائم بنفسه، ويشمل كل موجود حتى الخالق. وبهذا الذي حكاه الأشعري عن هشام تسقط عنه تهمة التجسيم بمعناه المادي (نعمة، 1985، ص 90)

وأكد علماء الشيعة، وعلى رأسهم الشيخ المفيد والشريف المرتضى، أن هشاماً إن صح أنه نطق بكلمة جسم إنما قصد بها المعنى اللغوي الواسع وهو الموجود الثابت المستغني بنفسه، وليس المعنى الاصطلاحي المادي (المركب من أجزاء وأبعاد). وقد صرح الشريف المرتضى في كتابه الشافي في الإمامة بأن هشاماً أطلق لفظ الجسم على الله بمعنى الشيء الموجود، وهذا خلاف لفظي لا يُخرج صاحبه عن التوحيد الخالص. النقض والإلزام وبهذا فأن هشاماً لم يكن يعتقد بالتجسيم، بل كان يستخدم مقولة جسم لا كالأجسام في سياق الجدل والمناظرة على سبيل الإلزام لخصومه من المعتزلة والجهمية. فقد أراد أن يبين لهم أن الله شيء موجود وحقيقي وليس عدماً، فاستخدم مصطلحاتهم لنقض أدلتهم.

2- الجزء الذي لا يتجزأ:

ومن الآراء الفلسفية الآخرى المنسوبة إلى هشام بن الحكم هي: قوله بنفي الجزء الذي لا يتجزأ، وأن كل جزء يفرض هو قابل للقسمة إلى غير نهاية. ورأيه بأن الأعراض عدا الحركة كالرائحة والطعم واللون أجسام. وقوله في الإنسان أنه شئ قائم بنفسه لا حجم له ولا حيز، ولا يصح عليه الحركة والسكون والاجتماع والافتراق، وهو الشئ الذي كانت تسميه الفلاسفة بالجوهر البسيط (نعمة، 1985، س 93-95) .وحقيقة الأمر ان هذا الراي هو من الآراء الرائعة لهشام بن الحكم وقد سبق عصره بمئات السنين فيه لكن لقصور فهم مخالفيه عن اقواله تلك وعدم فهمه لما يقوله فقد كفروه وجعلوا قوله هذا بدعة.

3- الإمامة والعصمة:

من الآراء التي كان يقول بها العالم الكبير هشام بن الحكم وعدها خصومه من البدع التي جاء بها هي قوله بالنص والعصمة فكان يرى بأن الإمامة لا تكون بالاختيار والشورى، بل هي بالنص الإلهي والتعيين من النبي محمد (ص وآله)، والإمام يجب أن يكون معصوماً من الخطأ والزلل ليكون حجة الله على خلقه. و الأرض يجب لا تخلو من إمام حي، سواء كان ظاهراً مشهوراً أو غائباً مستوراً. واستخدم هشام القياس العقلي لإثبات الإمامة، مجادلاً بأنه كما أن الجسد يحتاج إلى قلب ليوجه الحواس ويصحح أخطاءها، فإن الأمة تحتاج إلى إمام عادل ليوجهها ويحل اختلافات الناس في الدين.

ثالثا- حقيقة وجود الفرقة الهشامية:

في كتب: الملل والنحل والمقالات مثل كتاب مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري، والملل والنحل للشهرستاني، تم وضع فرقة سُميت بالهشامية، ونُسبت إلى هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي وفي ذاك قال الشهرستاني: "أصحاب الهشامين هشام بن الحكم صاحب المقالة في التشبيه وهشام بن سالم الجواليقي الذي نسج على منواله في التشبيه وكان هشام بن الحكم من متكلمي الشيعة وجرت بينه وبين أبي الهذيل مناظرات في علم الكلام" (الشهرستاني، 148/1)

ونحن نجد بأن نسبة فرقة لهشام بن الحكم فهي تهمة ساقطة من اصلها ولا تصمد أمام الأدلة العقلية والنقلية مهما ادعى من قال ذلك وافترى وذلك لعدة اسباب منها:

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعروة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

1- التناقض مع عقيدة أئمته أهل البيت(عليه السلام) فمن المستحيل عقلاً وتاريخياً أن يكون هشام بن الحكم من أقرب المقربين للإمامين الصادق والكاظم(عليهما السلام)، والمحامي الأول عن مدرستهما، ثم يعتنق عقيدة التجسيم التي حاربها الأئمة بشدة.

2- ان أئمة أهل البيت(عليهم السلام) كفّروا المجسمة ولعنوهم، فكيف يترحمون على هشام ويزكونه لو كان مجسماً؟.

3- ان وضع فرقة ونسبتها إلى هشام بن الحكم يقف وراءه دوافع سياسية مذهبية للمفترين وذلك العداوة المذهبية بينهم وبين هشام فكان المعتزلة يسيطرون على الساحة الكلامية، وكان هشام يكسر شوكتهم في مجالس يحيى بن خالد البرمكي. لذلك، لجأ المعتزلة الذين صنفوا لاحقاً كتب المقالات إلى تشويه صورته لتنفير الناس منه.

4- خلو كتب الشيعة من هذه العقائد فلو كانت هناك فرقة هشامية قائمة وذات أصول تجسيمية، لكان لها امتداد أو أثر في التراث الشيعي الإمامي. لكن الواقع يثبت أن علماء الشيعة ومتكلميهم عبر التاريخ ينزهون الله عن التجسيم والتشبيه تنزيهاً مطلقاً، ويعتبرون ما نُسب لهشام مجرد افتراء.

5- كانت الحكومة العباسية ومن قبلها الدولة الأموية تحارب الشيعة محاربة فعالة ، حتى كان الرجل منهم لا يستطيع أن ينتسب إلى عقيدته، وإنه ليقال له زنديق أو كافر أحب إليه من أن يقال له شيعي ، كما يقول الصادق (عليه السلام)، لأن كلمة شيعي تعني أنه مباح الدم محكوم عليه بالإعدام بدون محاكمة على خلاف غيره . فأدى ذلك التعسف إلى اختفاء هؤلاء واستتارهم بستار التقية والمواراة ، وكان ذلك سببا في ضياع آثار مفكريهم ومؤلفاتهم . حتى أن صاحبنا هشام بن الحكم لم يسلم من هذا الشواظ المحموم . الأمر الذي جعل المؤرخ الباحث حتى الآن مضطرا إلى الرجوع في معرفة تاريخهم ومذاهبهم وألوان تفكيرهم إلى مؤلفات خصومهم، وإلى كتب قوم قد نظروا إليهم كما ينظرون إلى الزنادقة الملحدين والمنبوذين . والمشكلة التي يصطدم بها الباحث في آراء هشام هو أننا عرفنا آراءه عن طريق مؤرخي المقالات والفرق المتحاملين، الذين يحكونها في معرض التهجين في صورة مشوهة مشبوهة، وكثير منهم يدفعهم التعصب والخصومة إلى إرجاعها إلى عناصر مادية أو ثنوية (نعمة، هشام بن الحكم، ص 126)

6– كان دفاع هشام عن الإمامة قد شكل خطراً فكرياً على شرعية الخلافة العباسية لا سيما في عهد هارون العباسي فكان لا بد من اغتيال شخصيته علمياً لتبرير تصفيته جسدياً. وخاصة ان بعضهم قال بأن هشام بن الحكم هو واضع قواعد التشيع ومهندس بنائه الفكري، وأن النص على الإمام علي(عليه السلام) بالخلافة والوصية إليه بها لم يعرفا إلا في عهد الإمام الصادق(عليه السلام) وتلميذه هشام بن الحكم(نعمة، 1985، ص 201)

وبناء على ادعاءات خصوم الشيعة وجريا على عادتهم فقد اعتبر المعتزلة والأشاعرة وغيرهم بأن الهشامية فرقة مُجسمة مُشبهة, شنوا هجوماً عنيفاً على هشام بن الحكم، واعتبروه مبتدعاً ضالاً بسبب ما نُسب إليه من إطلاق لفظ الجسم على الذات الإلهية. أو ما اقتطع من كلامه وفسر حسب ما يهواه مخالفيه في العقيدة والمذهب.

لكن الحقيقة ان هشام بن الحكم وكما بينا سابقا لم يكن صاحب فرقة بل كان عالما وفيلسوفا كبيرا وصاحب مدرسة وعلماء الشيعة الإمامية الاثني عشرية ينظرون إلى هشام بن الحكم بإجلال كبير، ويرفضون بشدة الاتهامات الموجهة إليه بالتجسيم والتشبيه، ويفسرون ما نُسب إليه بكلمة جسم في لغة المتكلمين الأوائل كانت تعني الموجود القائم بنفسه وليس بالضرورة المركب من لحم ودم وأبعاد. فعندما قال جسم لا كالأجسام كان يقصد موجود لا كالموجودات. لكن أن خصوم هشام بن الحكم الذين كانوا يسيطرون على الساحة الثقافية والسياسية في العصر العباسي تعمدوا تشويه سمعته واقتطاع كلامه من سياقه بسبب تفوقه عليهم في مناظرات الإمامة.

ومن الاسباب الاخرى التي جعلت خصوم هشام بن الحكم يتحاملون عليه هو إنه كان يقول ما رأيت مثل مخالفينا، عمدوا إلى من ولاه الله من سمائه فعزلوه، وإلى من عزله الله من سمائه فولوه، ويذكر قصة مبلغ سورة براءة، ومرد أبي بكر، وإيراد علي (عليه السلام) بعد نزول جبرئيل(عليه السلام) قائلا لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن الله تعالى : إنه لا يؤديها عنك إلا أنت أو رجل منك، فرد أبا بكر، وأنفذ عليا (عليه السلام)"(نعمة، ص 108)

وجريا على عادة خصوم الشيعة ومخالفيهم في قذف علمائهم بشتى انواع التهم فلم يكن هشام بن الحكم استثناءا بل قيل فيه الكثير الكثير وجعلوه مبتدعا وضالا وكافرا ونسبوا له ابتداع فرقة ضالة اطلقوا

عليها اسم الهشامية وهو من ذلك براء وفي ذلك قالوا: الهشامية: وهي من هذه الفرق الغالية الكافرة، وقد اتفقنا من قبل أن الغلاة من كل فرقة كفار، وعليهم تتنزل النصوص المطلقة التي وردت في السنة، وفي آثار السلف رضي الله عنهم. وهؤلاء هم أصحاب هشام بن الحكم وهشام بن سالم الجواليقي، وقد زعموا أن الله تعالى جسد، واتفقوا على ذلك، ثم اختلفوا، أي :اتفقوا على أنه جسد، لكنهم اختلفوا في كنه هذا الجسد، فهم قد اتفقوا على الكفر، ثم تفرع وتغلغل كل منهما في كفره. يقول هشام بن الحكم :الله تعالى طويل، عريض، عميق، متساو طوله وعرضه وعمقه، وهو كالسبيكة البيضاء الصافية، ويتلألأ من كل جانب، وله لون وطعم ورائحة .

وفي النهاية نصل إلى نتيجة حاسمة وهي ان هشام بن الحكم لم يدّعِ تأسيس مذهب جديد، ولم يكن صاحب فرقة بل كان يدافع عن خط الأئمة من أهل البيت (عليهم السلام). وان مصطلح الفرقة الهشامية هو مصطلح أطلقه خصومه من أصحاب كتب المقالات لتصنيف أتباعه وتلامذته في علم الكلام. ومع مرور الزمن، اندمجت آراء هشام المنقحة والموافقة لأهل البيت(عليه السلام) ضمن التيار العام للشيعة الإمامية الاثني عشرية، بينما رُفضت أي آراء ظاهرها التجسيم أو التشبيه وفقاً لنصوص الأئمة التي تنفي التجسيم نفياً قاطعاً.

رابعاً– وفاة هشام بن الحكم:

جاء في وفاة العالم والفيلسوف الكبير هشام بن الحكم عدة روايات فقد قيل: بأنه توفي في الكوفة سنة(179هـ) وقيل: توفي بالكوفة سنة(199هـ)، وقيل: بأنه كان قد انتقل الى بغداد في سنة(199هـ) لكنه لم يمكث طويلا حتى توفي فيها ويُقال أنه مات في نفس السنة التي انتقل فيها إلى بغداد (الشبستري، 383/3)

وقد شاع ان وفة هشام بن الحكم كانت بسبب ظلم الخليفة هارون العباسي وكان ذلك بسبب بعض الآراء التي كان يتبناها؛ فقد غضب عليه الخليفة هارون العباسي إثر مناظرة عقدها يحيى بن خالد البرمكي تناول فيها هشام مسألة طاعة الإمام. مما اضطره للفرار متخفياً إلى المدائن ثم الكوفة، وقيل أصيب بسبب الخوف الشديد بعلة في القلب لازمته حتى توفي مختفياً. وتشير القرائن المتعلقة بتلامذته وتأثيره (مثل مناظراته مع النظّام الذي لم يكبر ويخالط العلماء إلا في وقت متأخر) إلى ترجيح رواية النجاشي بأن وفاته كانت

قرابة عام (199هـ). وهذه بطبيعة الحال روايات الخصوم ولا نستبعد ان تكون يد السلطة قد نالته بالسم أو بغيره فكانت السبب في اغتياله وقتله.

فقد علم الناس في ذلك الزمان بمحاولة العباسيون الفتك به(رضي الله عنه) بعد أن اشتهر بقوّته في المناظرة، وبروزه في الدفاع عن مذهب أهل البيت (عليهم السلام)، فقام يحيى بن خالد البرمكي بذكر عقيدة هشام حول أئمّة أهل البيت(عليهم السلام) أمام هارون العباسي؛ حتّى يثير غضبه ومن ثمّ يحصل منه الإجازة في قتله أو سجنه. فقال لهارون: إنّي قد استبطنت أمر هشام، فإذا هو يزعم أنّ لله في أرضه إماماً غيرك مفروض الطاعة، قال سبحان الله، قال: نعم، ويزعم أنّه لو أمره بالخروج لخرج فأمر هارون يحيى أن يجمع المتكلّمين ليناظروا هشام حول هذه المسألة، فجمع يحيى جمعاً من المتكلّمين وناظروا هشام أمام هارون، فلمّا سمع هارون منه هذه المقالات أمر يحيى بإلقاء القبض عليه، عندها خرج هشام إلى المدائن هارباً، ثمّ إلى الكوفة مختفياً فيها عند بشير النبّال حتّى تُوفّي(المجلسي، 189/48؛ الميانجي، 1995، 347/1)

وبسبب اصدار أمر قبض بحقه من قبل الخليفة هارون العباسي بسبب مقالة قالها ولم تعجب الخليفة(قل في سبب وفاته: أن يحيى بن خالد أرسل إليه يقول: قد أفسدت على الرافضة دينهم، يزعمون أن الدين لا يقوم إلا بإمام حي، وهم لا يدرون أن إمامهم اليوم حي أو ميت، فأجاب هشام: إنما علينا أن ندين بحياة الإمام أنه حي حاضرا كان عندنا أم متواريا، حتى يأتينا موته، فما لم يأتنا موته فنحن مقيمون على حياته، ومثل مثالا لذلك فقال: إن الرجل إذا جامع أهله وسافر إلي مكة أو توارى عنا ببعض الحيطان فعلينا أن نقيم على حياته حتى يأتينا خلاف ذلك فأخبر يحيى البرمكي الخليفة هارون العباسي بذلك، فأرسل من الغد في طلبه فطلب في منزله فلم يوجد، وبلغه الخبر فلم يلبث إلا شهرين أو أكثر حتى مات، فكانت هذه المقالة سببا في غضب هارون العباسي عليه. وهناك رواية أخرى طويلة جدا، خلاصتها: أن يحيى وجد على هشام لأسباب: أهمها طعن هشام على الفلاسفة، وميل هارون العباسي إليه حين سمع كلامه في النبي (ص وآله) وإعجابه به، فكان ذلك مما دعا يحيى إلى إبعاد هشام وإغراء هارون العباسي به، فجمع له المتكلمين بعد أن جلس هارون العباسي وراء الستر بحيث لا يعلم هشام به، وناظروه في الإمامة، وكان المتولي لمناظرته سليمان بن جرير متكلم الزيدية وبعد كلام طويل وأخذ ورد، وكانوا تآمروا على تقرير هشام في رأيه بالإمام، وعلى أن يحملوه على المجاهرة برأيه فيه، وهل إذا أمره بحمل السيف والخروج معه يفعل ذلك؟. وبعد محاورات

طويلة صرح هشام بأن الإمام إذا أمره بحمل السيف يمتثل أمره ويخرج معه، وهارون العباسي يسمعه من وراء الستر، فتغير وجه هارون العباسي وقال قد أفصح، وأمر يحيى بأن يقبض عليه وعلى أصحابه، وعلم هشام بما كان، فاغتنم فرصة خروج الناس فهرب على وجهه إلى المدائن ثم منها إلى الكوفة واعتل فمات فيها. ينظر: الطوسي، 534/2) فقد خاف الرجل على نفسه، ففر إلى المدائن. ويظهر أنه قبض عليه بعد ذلك وقدم لتضرب عنقه، فأفلت وهرب، وذهب إلى الكوفة مستترا إلا عن خلطائه، وقد أصابته من جراء ذلك العلة، ولازم فراشه من أجلها إلى أن توفي. وطبيعي والحالة هذه أن تكون سنة وفاته مجهولة(الطوسي، أختيار معرفة الرجال، 530/2)

فاعتل هشام بن الحكم علته التي قبض فيها، فامتنع من الاستعانة بالأطباء، فسألوه أن يفعل ذلك، فأجابهم إليه، فادخل عليه جماعة من الأطباء، فكان إذا دخل الطبيب عليه وأمره بشئ : سأله فقال يا هذا هل وقفت على علتي؟ فمن بين قائل يقول لا، وبين قائل يقول: نعم، فان استوصف ممن يقول نعم وصفها، فإذا أخبره كذبه ويقول علتي غير هذه، فيسأل عن علته، فيقول: علتي قرح القلب مما أصابني من الخوف، وقد كان قدم ليضرب عنقه فأقرح قلبه ذلك حتى مات رحمه الله(الطوسي، أ 530/2)

هنا نجد ان هشام بن الحكم قد تعرض للترهيب من قبل السلطة الحاكمة شأنه شأن كل الشيعة لا سيما العلماء منهم الذين كانوا يتعرضون للترهيب الفكري ومنعهم من حق الكلام.

كان هشام في حياته ينبوعا ثرا يهب ويعطي النور والخير، كذلك كان بعد موته ، فقد أبت عليه طبيعته الخيرة أن يصاب أحد بسببه بسوء بعد موته فقد حدثوا: أن هارون العباسي كان استمع إلى كلامه في الإمامة في حشد من المتكلمين ، وهو لا يعلم بذلك، فلما أنهى هشام حديثه، عض هارون العباسي على شفتيه وقال: مثل هذا حي، ويبقى ملكي ساعة واحدة، فوالله للسان هذا أبلغ في قلوب الناس من مائة ألف سيف. وأنذر هشام بذلك، فقام يريهم أنه يبول أو يقضي حاجته ، فلبس نعليه وانسل ومر ببنيه، وأمرهم بالتواري، ومر من فوره نحو الكوفة، ونزل على بشير النبال (وهو من جملة أصحاب الإمام الصادق ومن حملة الحديث) فأخبره الخبر، ثم اعتل علة شديدة. فلما حضر الموت قال لبشير إذا فرغت من جهازي احملني في جوف الليل وضعني بالكناسة واكتب رقعة، وقل هذا هشام بن الحكم الذي طلبه أمير المؤمنين، مات حتف أنفه، وكان هارون العباسي قد بعث إلى إخوانه وأصحابه فأخذ الخلق به، فلما أصبح أهل الكوفة رأوه، وحضر القاضي وصاحب المعونة والعامل والمعدلون بالكوفة، وكتب إلى هارون العباسي بذلك،

فقال الحمد لله الذي كفانا أمره وخلى عمن كان أخذ به كما كان هشام في حياته ينبوعا ثرا يهب ويعطي النور والخير، كذلك كان بعد موته، فقد أبت عليه طبيعته الخيرة أن يصاب أحد بسببه بسوء بعد موته(نعمة، هشام بن الحكم، ص241)

وعاش هشام فترة من حياته في مكانة رفيعة لدى بني برمك، وخصوصا عند يحي بن خالد ، فقد احتضنه وآثره ، وقربه منه وحاطه برعايته، فانقطع هو إليه، وولاه مجالس الكلام والنظر، وأخيرا أعجب هارون العباسي ومال إليه حين سمع كلامه في النبي(ص وآله). ولكن ذلك لم يدم حتى تنكر له هؤلاء، واشتعلت عليه نقمة هارون العباسي فطلبه ففر هاربا(الطوسي، اختيار معرفة الرجال، 526/2. وقيل في اسباب تغير يحي بن خالد البرمكي على هشام بن الحكم والكيد له عند السلطة الحاكمة هي أن هشاما أكثر من الطعن على الفلاسفة فوجد عليه يحي، بسبب حمل البرامكة لفكرة الشعوبية ويعملون لها، ويعتمدون لذلك على ركيزة كبرى، هي نشر آراء الفلاسفة وإكبارها والاعتماد عليها إضعافا للروح الإسلامية وحطا للفضائل العربية. وسبب آخر إعجاب هارون العباسي بهشام وميله إليه حين سمع كلامه في النبي(ص وآله). ومن الطبيعي أن يولد هذا في نفس يحي روح الكراهية والنقمة عليه، إذ أصبح منافسا له في مكانته لدى هارون العباسي، وقربه من قلبه، قد يؤدي ذلك يوما ما إلى انهيار مركزه عنده وضعف سلطانه ومكانه منه ، وقد كان يحي يحاول دون شك – الاستحواذ والاستئثار بكل ذلك ، وبالطبع وجود من يعجب الخليفة به ويميل إليه كهشام عائق كبير عن تحقيق هذه الغاية ، لذلك عمل يحي على إبعاد هشام وإغراء هارون العباسي به . وكذلك لأن آراء هشام في الإمام وفي صفاته من النزاهة والعفة والاخلاص وسواها تتناول بطريق غير مباشر انتقاد كل خليفة لم يتصف بتلك الصفات، وهي انتقاد صريح لتصرفات الخلفاء من بني العباس وسواهم المسرفين، ولسلبهم أرزاق الشعب واغتصابهم أموال الأمة والفقراء الكادحين. وتصريحه أخيرا بأنه إذا دعاه الإمام لحمل السيف والخروج معه خرج وفعل ذلك، وهو بمسمع من هارون العباسي من الأسباب الرئيسية في إثارة نقمة هارون العباسي عليه . وتراكمت هذه العناصر حتى دفعت بهارون العباسي إلى الانتقام منه والقبض عليه وتقديمه للإعدام. ولكنه فر ونجا منتقلا بين واسط والكوفة مختفيا حتى لقي حتفه ، وهو في علة لازمته أيامه). ينظر: نعمة، هشام بن الحكم، ص42-51)

الخاتمة

بعد دراسة مستفيضة وممنهجة لسيرة المتكلم الجليل هشام بن الحكم ومكانته ومذهبه، توصل البحث إلى حزمة من النتائج العلمية الهامة وهي الآتي:

1- أثبتت الدراسة من الناحية التاريخية والواقعية أن هشام بن الحكم لم يبتدع فرقة مستقلة ذات كيان منفصل تُدعى (الهشامية)، بل إن هذا المصطلح لا يعدو كونه لافتة وتصنيفاً أطلقه أصحاب كتب المقالات من الخصوم لتأطير أتباعه وتلامذته في علم الكلام، حيث اندمجت آراؤه المنقحة كلياً في بوتقة التراث الشيعي الإمامي .

2- كشف البحث زيف وتهافت تهمة التجسيم والتشبيه المنسوبة لهشام، وبيّن أن إطلاقه لعبارة (جسم لا كالأجسام) لم يكن يعبر عن عقيدة ثابتة بالتجسيم المادي المكون من أجزاء وأبعاد، بل كان استخداماً فلسفياً حجاجياً على سبيل الإلزام والنقض لخصومه من المعتزلة والجهمية، حيث قصد بكلمة جسم المعنى اللغوي الواسع وهو :الشيء الموجود الحقيقي القائم بنفسه. إثباتاً للوجود ونفياً للتعطيل لذلك تبين أن تهمة (التجسيم والتشبيه) التي أُلصقت بهشام هي تهمة سياسية وعقائدية ناتجة عن سوء فهم لمصطلحاته الفلسفية (مثل لفظ جسم) وعن رغبة الخصوم في تشويه مدرسته المتفوقة. فمقصود هشام بالجسم كان إثبات الوجود الفعلي للخالق لا المادية الجسمانية.

3- برهنت الدراسة على تهافت دعاوى المخالفين (أمثال ابن تيمية وابن الخياط والقاضي عبد الجبار وابن حجر) وغيرهم الذين رموا هشاماً بالغلو والزندقة والافتراء بأنه نشأ في أحضان أبي شاكر الديصاني، حيث ثبتت براءته التامة من كل مقالة فاسدة .

4- أظهر البحث المكانة الاستثنائية والتوثيق المطلق الذي حظي به هشام من قِبل الأئمة المعصومين (الصادق، والكاظم، والرضا، والجواد عليهم السلام)، حيث وصفوه بأنه (رائد حقهم، وسائق قولهم، والدامغ لباطل أعدائهم)، وهو ما ينفي عنه قطعاً تهمة الابتداع أو الضلال كذلك فإن توثيق الأئمة المعصومين (عليهم السلام) لهشام وتفويضهم له للقيام بالرد على الخصوم، هو أعظم دليل على سلامة معتقده وصحة مساره الفكري ومكانته السامية لديهم. وان الإجماع الشيعي، متمثلاً بأقوال الأئمة

وتصريحات كبار العلماء كالشيخ المفيد والمرتضى، يبرئ هشام بن الحكم من أي انحراف عقائدي، ويثبت استقامته المطلقة على نهج أهل البيت

5- أبرز البحث العبقرية العلمية الفذة لهشام بن الحكم في مجالات علم الكلام والحديث وأصول التشريع والفلسفة، حيث ترك إرثاً كبيراً تجاوز واحداً وثلاثين كتاباً، وتخرج على يديه رعيل من أكابر الرواة والمتكلمين الثقات (أمثال الفضل بن شاذان ويونس بن عبد الرحمن وصفوان بن يحيى) الذين طوروا أدوات المدرسة الإمامية الجدلية .وهشام بن الحكم لم يكن مجرد ناقل للأفكار، بل كان مفكراً مؤسساً لعلم الكلام الإمامي، استطاع نقل الحوار العقدي من طور الرواية إلى طور الاستدلال العقلي الرصين.

6- بيّنت الدراسة أن تعسف ومطاردة السلطات الحاكمة للشيعة ومفكريهم أديا إلى اختفائهم بستار التقية وضياع جلّ مؤلفاتهم وآثارهم، مما تسبب في غبنهم وتشويه تاريخهم وأجبر الباحثين على استقاء آرائهم من كتب خصومهم المتحاملين.

7- أوضحت الدراسة أن نظرية هشام بن الحكم في (الإمامة والعصمة) القائمة على النص والتعيين الديني شكلت خطراً فكرياً مباشراً على شرعية الخلافة العباسية، مما جعل السلطة (في عهد هارون الرشيد وبتأليب من يحيى البرمكي) تسعى لاغتيال شخصيته علمياً وتشويه مذهبه لتبرير تصفيتها ومطاردتها له حتى وفاته مكموداً بقرحة قلبه الناتجة عن الخوف والترهيب.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم**

أولاً– المصادر الأولية

- الأندلسي، أبن حيان،(ت:745ه). 2001م). تفسير البحر المحيط، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية، (بيروت–
- أبن حجر، أحمد بن علي العسقلاني (ت: 852ه). د.ت). لسان الميزان، دائرة المعارف النظامية، (الهند– ، دار الفكر،.(بيروت–
- أبن أبي الحديد، عز الدين عبد الحميد بن هبة الله، (ت:656ه). – د.ت). شرح نهج البلاغة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، (بيروت
- أبن شهر آشوب، أبو جعفر محمد بن علي (ت: 588ه). 1961.(معالم العلماء في فهرست كتب الشيعة وأسماء المصنفين قديماً وحديثاً، مطبعة فردين، (النجف الأشرف–
- الشريف المرتضى، علي بن الحسين الموسوي البغدادي، (ت:436ه). 1990مالشافي في الإمامة، ط2، مؤسسة إسماعيليان، (طهران–

الأردبيلي، محمد بن علي (ت: 1101ه). 1980).جامع الرواة وإزاحة الاشتباهات عن الطرق والأسناد، منشورات مكتبة آية الله المرعشي النجفي، (قم المقدسة–

- البحراني، السيد هاشم بن سليمان (ت: 1107ه). 1996).مدينة معاجز الأئمة الاثني عشر ودلائل الحجج على البشر، مؤسسة المعارف الإسلامية، (قم المقدسة–
- التفريشي، مير مصطفى بن الحسين (من أعلام القرن الحادي عشر). 1997م).نقد الرجال، تحقيق ونشر: مؤسسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، (قم المقدسة–
- الحلي، العلامة الحسن بن يوسف (ت: 726ه). 1996م,خلاصة الاقوال، تحقيق جواد الفيومي، مؤسسة النشر الاسلامي، (طهران–
- أبن شهر آشوب، مشير الدين أبي عبد الله محمد بن علي بن ابن أبي نصر بن أبي حبيشي السروي المازندراني، (ت:588ه). 1956م, مناقب آل ابي طالب تحقيق لجنة من أساتذة النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، (النجف الاشرف–
- الشهرستاني، محمد بن عبد الكريم بن احمد، (ت:548ه). 2005م الملل والنحل، أشرف على تعديله وقدم له صدقي جميل العطار، دار الفكر، (بيروت–

- الطوسي، أبو جعفر محمد بن الحسن (ت: 460هـ). 1983م, اختيار معرفة الرجال، تحقيق مهدي الرجائي، مطبعة بعثت، (قم المقدسة-
-رجال الطوسي، تحقيق: جواد القيومي الأصفهاني، مؤسسة النشر الإسلامي، (قم المقدسة- 1998).
- الفيض الكاشاني، المولى محسن (ت: 1091هـ). 1985م).الوافي، تحقيق ضياء الدين العلامة، مكتبة الإمام أمير المؤمنين (عليه السلام)، (أصفهان-
- المجلسي، محمد باقر، (ت: 1111هـ). 1983م).بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار، ط3، دار إحياء التراث العربي، (بيروت – لبنان-
- المفيد، الشيخ محمد بن محمد بن النعمان (ت: 413هـ). 1993م).الفصول المختارة من العيون والمحاسن، تحقيق: السيد مير علي عاشور، دار المفيد، (بيروت-
- النجاشي، أبو العباس أحمد بن علي بن أحمد بن العباس الأسدي الكوفي، (ت:450هـ). 1995م).فهرست اسماء مصنفي الشيعة، مؤسسة النشر الاسلامي، (قم-
- أبن النديم، محمد بن إسحاق (ت: 385هـ). 1971م).الفهرست، تحقيق: رضا تجدد، د.مط، (طهران-

ثانياً- المراجع الثانوية:

- الأمين، محسن. د.ت).مستدركات اعيان الشيعة، تحقيق وتخريج حسن الامين، دار التعارف للمطبوعات، (بيروت-
- البروجردي، المولى علي 1984)..طرائف المقال في معرفة طبقات الرجال، تحقيق: السيد مهدي الرجائي، مكتبة آية الله المرعشي النجفي، (قم المقدسة-
- البهبهاني، محمد باقر الوحيد. 1882م) الحاشية على مدارك الأحكام، مطبعة ستاره، (قم-
- التستري، محمد تقي. 2001م).قاموس الرجال، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، (قم المقدسة-
- الجلالي. 2001م).فهرست التراث، تحقيق محمد جواد الحسيني الجلالي، المطبعة نگارش، (قم المقدسة-
- حسين الشاكري. 1417هـ).موسوعة المصطفى والعترة(عليهم السلام)، مطبعة ستارة، (قم المقدسة-
- الخراساني، وحيد.منهاج الصالحين، د.مط، (د.ت- د.مك).
- الخوئي، ابو القاسم الموسوي. 1992م).معجم رجال الحديث وتفصيل طبقات الرواة، ط5، د. مط ، (د. مك-
- السبحاني، الشيخ جعفر. د.ت).أضواء على عقائد الشيعة الإمامية، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، (قم المقدسة-

رسائل ومقالات، مؤسسة الإمام الصادق (عليه السلام)، (قم المقدسة- د.ت).

- الصدر، السيد حسن. د.ت الشيعة وفنون الاسلام، د.مط، (– د.مك).
- الطهراني، الشيخ آقا بزرك. 1983م).الذريعة إلى تصانيف الشيعة، دار الأضواء، (بيروت–
- العاملي، أمين ترمس1996م)..ثلاثيات الكليني وقرب الإسناد، قدم له السيد أحمد المددي، دار الحديث، (قم المقدسة–
- عبد الله الحسن. 1994م).المناظرات في الإمامة، مطبعة مهر، (قم المقدسة–
- الشاهرودي، علي النمازي. 1991م).مستدركات علم رجال الحديث، شفق، (قم–
- الشبستري، عبد الحسين. 1997م).الفائق في رواة أصحاب الإمام الصادق(عليه السلام)، المطبعة مؤسسة النشر الإسلامي، (قم المقدسة–
- الطبرسي، الميرزا حسين النوري. 1994م).خاتمة المستدرك، تحقيق مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، مطبعة ستارة، (قم المقدسة–
- الميانجي، علي الأحمدي. 1995م).مواقف الشيعة، مؤسسة النشر الإسلامين (قم المقدسة–
- نعمة، عبد الله.1985 م هشام بن الحكم، دار الفكر اللبناني، (بيروت–

From Social Inequality to Linguistic Inequality: The Role of Pedagogical Action in the Reproduction of Inequalities in French Language Learning

Dr. Fatiha Ziani
Ziane Achour University of Djelfa, Algeria
zianifatiha1979@gmail.com

Abstract:

This study examines the reproduction of linguistic inequalities among pupils within the educational system, focusing on the role of social origin and pedagogical action. Drawing on Bourdieu and Passeron, it considers linguistic capital as a mediating factor between learners' social background and their academic performance in French language learning.

The study highlights the role of the curriculum, competency-based approach, assessment, and oral expression in reproducing linguistic and social inequalities.

Keywords: social reproduction ; social origin; pedagogical action; curriculum; competency-based approach; assessment; linguistic capital; linguistic inequalities.

من التفاوت الاجتماعي إلى التفاوت اللغوي : دور الفعل البيداغوجي في إعادة إنتاج الفوارق في تعلم اللغة الفرنسية

الدكتورة فتيحة زياني

جامعة زيان عاشور الجلفة، بلد الجزائر

zianifatiha1979@gmail.com

ملخص:

تتناول هذه الدراسة الكيفية التي يُعاد بها إنتاج التفاوت اللغوي بين التلاميذ داخل المنظومة التربوية، انطلاقًا من تباين الأصول الاجتماعية، وبوساطة الفعل البيداغوجي، بالاستناد إلى أطروحات بورديو وباسرون، يتم تحليل دور الرأسمال اللغوي بوصفه وسيطًا يربط بين الخلفية الاجتماعية للمتعلم ومستواه الدراسي، خاصة في مادة اللغة الفرنسية.

وتسلط الدراسة الضوء على آليات أساسية تُكرّس هذا التفاوت: المنهاج الدراسي، المقاربة بالكفاءات، التقويم والتعبير الشفهي وتُظهر كيف أن الفعل البيداغوجي، بدل أن يكون أداة لتحقيق الإنصاف، يصبح أداة لإعادة إنتاج الفوارق الطبقية من خلال التفاوت في الكفاءات اللغوية.

المصطلحات الأساسية: إعادة الإنتاج الاجتماعي؛ الأصل الاجتماعي ؛ الفعل البيداغوجيِ؛ المنهاج الدراسي؛ المقاربة بالكفاءات؛ التقويم.

لكتاب وقائع الحاوي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعروة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار ● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ●09-10-2026/07/11

مقدمة

يُعتبر التفاوت في التحصيل الدراسي بين التلاميذ من أبرز القضايا التي تشغل الباحثين في علم الاجتماع التربوي، لاسيما حين يتعلق الأمر بالفروق اللغوية التي تُعد من المؤشرات الأساسية على النجاح أو الفشل المدرسي. وفي هذا السياق، أشار كل من بيير بورديو وجان كلود باسرون إلى أن النجاح المدرسي لا يخضع لعلاقة ميكانيكية مباشرة مع الأصل الاجتماعي، بل يتحدد من خلال وسائط خفية، أبرزها **الرأسمال اللغوي** الذي يُوزَّع بشكل غير متكافئ بين الطبقات الاجتماعية.

فضمن هذا المنظور، يتدخل **الفعل البيداغوجي** كوسيط محوري يعيد إنتاج الفوارق اللغوية، من خلال أربعة محددات رئيسية: **المنهاج الدراسي** الذي لا يراعي الفوارق الاجتماعية والثقافية بين التلاميذ، **المقاربة بالكفاءات** التي تفترض تكافؤًا في الموارد اللغوية والمعرفية، **التقويم** الذي يرسّخ الفروق بدل تجاوزها وأخيرا التعبير الشفهي الذي يُعدّ أداة مركزية في التفاعل التعليمي، لكنه يتحوّل إلى عنصر إقصاء حين يُطلب من المتعلم استعمال لغة لا يملك مفاتيحها التداولية والنحوية، مما يؤدي إلى تعزيز الشعور بعدم الكفاءة والاغتراب داخل القسم.

ويكتسي هذا الطرح أهمية خاصة في النظم التربوية التي تعتمد على لغة تعليمية أجنبية أو غير متداولة بشكل كافٍ في الأوساط الاجتماعية الدنيا، كما هو الحال مع اللغة الفرنسية في العديد من السياقات. إذ تصبح اللغة، التي يُفترض أن تكون أداةً للتعلم، **عائقًا أمامه**، عندما لا يمتلك المتعلم الرأسمال اللغوي اللازم لمواكبة المحتويات التعليمية.

اولا: الاشكالية

" إن التوزيع اللامتكافيء للرأسمال اللغوي المدرسي، بين مختلف الطبقات الاجتماعية، يشكل إحدى التوسطات الأكثر انتقاء، والتي تتشيد بها العلاقة بين الأصل الاجتماعي والنجاح المدرسي" (**Bourdieu et Passeron ,1970 ,p 144)** ، هكذا بين **بورديو** و**باسرون** بوضوح أن الأصل الاجتماعي لا يتحكم بصورة ميكانيكية مباشرة في النجاح المدرسي بشكل عام، فالباحثان واعيان تمام الوعي بوجود توسطات خفية يتحقق من خلالها الارتباط بين المتغيرين، فتركيزهما على الرأسمال اللغوي كوسيط بين الأصل الاجتماعي وتحقيق النجاح المدرسي راجع إلى كون أن نسق النظام التعليمي يعيد إنتاج التفاوت الثقافي واللغوي ومنه

الطبقي وفق ديناميات الفعل البيداغوجي الذي يتخذ من اللغة قاعدة له، لا تكون مشتركة بالضرورة بين المرسل والمتلقي، أي بين المعلم والمتعلم.

لذلك ولأجل معرفة مدى مساهمة الأصل الاجتماعي في إعادة إنتاج تعلم اللغة الفرنسية، ارتأينا إلى اختبار هذا التأثير في وجود وسيط هو الفعل البيداغوجي الذي بدوره يكرس هذا التأثير للأصل الاجتماعي ويبرزه في صورة تباينات مدرسية لا اجتماعية. بناءً على ما سبق، تتحدد إشكالية هذا البحث في التساؤل التالي:

إلى أي مدى يساهم الفعل البيداغوجي، بمختلف مكوناته، في إعادة إنتاج التفاوت اللغوي بين التلاميذ، انطلاقًا من تباين الأصول الاجتماعية، خاصة في سياق تعلم اللغة الفرنسية؟

ثانيا: مفاهيم الدراسة

1– إعادة الإنتاج الاجتماعي: عرفه **انطوني غيدنز** على أنه تكرار نماذج نشاط متماثلة بواسطة فاعلين تفصل بينهم عوامل الزمان والمكان (**انطوني غيدنز، بدون سنة، ص 42**) ، وقادت بحوث **بيير بورديو** و**جان كلود باسرون** إلى تمديد هذا المفهوم إلى مجالات وحقول المجتمع المتعددة.

2– الأصل الاجتماعي: يُقصد بالأصل الاجتماعي الموقع الطبقي أو الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد نتيجة لانتماء أسرته إلى طبقة معينة (عمال، فلاحون، موظفون، مثقفون...). ويتحدد هذا الانتماء من خلال مجموعة من المؤشرات: المستوى التعليمي للوالدين، المهنة، الدخل، نمط العيش، رأس المال الثقافي، ورأس المال اللغوي.

3– الفعل البيداغوجي: يعرف بورديو الفعل البيداغوجي من خلال سمته الأساسية التي نستنتجها من قوله: " إن أي فعل بيداغوجي هو موضوعيا عنف رمزي، وذلك بوصفه فرضا من قبل سلطة متعسفة، لتعسف ثقافي"**(Bourdieu et Passeron,1970 , p 144)** و يتدخل من خلال عدة آليات.

4– المنهاج الدراسي: الوثيقة الرسمية التي تحدد الأهداف والمحتويات والمعارف والكفاءات التي يجب تعليمها، وطريقة تنظيمها وتوزيعها زمنيًا عبر السنوات الدراسي، وهو إحدى آليات الفعل البيداغوجي.

5– المقاربة بالكفاءات: نموذج تربوي يركز على إكساب المتعلم كفاءات (معرفية، مهارية، سلوكية) تؤهله لحل مشكلات واقعية في سياقات مختلفة، بدلاً من مجرد تلقين المعارف.

6- التقويم: عملية قياس وتقدير تعلم التلاميذ من خلال اختبارات وأنشطة، تهدف إلى الحكم على مستوى التحصيل واتخاذ قرارات تعليمية (نجاح، دعم، توجيه....).

ثالثا: المدرسة وآليات إعادة الإنتاج

يؤكد **بورديو** أن النظام التربوي يقوم بعملية " الانتقاء الاجتماعي" وفق معايير ثقافة الطبقة السائدة في المجتمع، وقد انطلق من فرضية سوسيولوجية أساسية، تتمثل في كون أن المتعلمين لا يملكون الحظوظ نفسها في تحقيق التحصيل الدراسي والتعلمات، ويرجع هذا الاختلاف إلى التراتبية الاجتماعية والتفاوت الطبقي، معنى ذلك أن إرث الثروة الثقافية الذي نمى وتراكم عبر العصور الماضية، إنما يخص فقط هؤلاء الذين امتلكوا وسائل استخلاصه لأنفسهم، فامتلاك الخبرات الثقافية واللغوية يعتبر متاحا فقط لأولئك الذين يمتلكون المفاتيح والأدوات التي تمكنهم من استخلاصه (**بدران والبيلاوي ، 2003، ص117**).

فأبناء الطبقات العليا لهم رأسمال ثقافي موروث من عائلاتهم ويتكون من رصيد ثقافي مستبطن في شكل أدوات فكرية، وبفضل التفاعلات التي تتم داخل أسرهم، فإنهم يبرهنون على مستوى من النمو العقلي المبكر وكذلك الشأن بالنسبة لنمط لغوي أكثر تلاؤما مع متطلبات المدرسة، علما أن هذا الرأسمال الثقافي واللغوي يوجد في شكل متموضع داخل بيئة هؤلاء الأطفال، أي على شكل كتب وأعمال فنية وسفريات وممارسات لغوية، كل هذه العناصر تشكل محيطا ملائما للتمرين والتدريب وتفسير النجاح المدرسي للمنحدرين من هذه الطبقة. وعلى هذا الأساس نجد أن الذين يفيدون من المدرسة التي تسودها ثقافة الطبقة المسيطرة، هم فقط أبناء تلك الطبقات، وبذلك تحافظ هذه المدرسة على بنية الثقافة القائمة وعلاقاتها بالقوى السائدة في المجتمع، لكن نجاح المدرسة في تحقيقها لهذه السمة يتوقف على حقيقة أساسية تتمثل في سيطرة ثقافة القوى الاجتماعية السائدة على المدرسة وعدم اعتراف هذه الأخيرة سوى بعلاقتها بثقافة الصفوة من جهة، ومن جهة أخرى تتمثل في طرق التدريس والتدريب التي تظل هي نفسها طريقة تعليم وغرس الثقافة السائدة. وهنا يؤكد **بوديو** أن النظام التعليمي يطلب من طلابه ما لم يعطهم إياه، بمعنى أن العلاقة باللغة والثقافة تنتج فقط من خلال طرائق معينة من التدريس أو التدريب، وأن التدريبات التي تعطيها

المدرسة لطلابها لا يمكن استيعابها بشكل كامل إلا من قبل الذين نالوا من قبل مثل هذه التدريبات في أسرهم.

وبذلك تحتفظ المؤسسة التعليمية بالهوة التي تفصل بين التلاميذ الحاصلين على رأسمال ثقافي موروث، والمحرومين منه. ولأن الفروق في الاستعدادات وثيقة الارتباط بالفروق الاجتماعية حسب رأسمال الموروث، تتجه المؤسسة التعليمية إلى الاحتفاظ بالفوارق الاجتماعية الموجودة (**بورديو،2004، ص 49**) ، وآليات إعادة الإنتاج المدرسي هي ذاتها آليات عمل وتدخل الفعل البيداغوجي المدرسي أو ما يسميه **بورديو** بالفعل البيداغوجي الثانوي ذلك أن الأولي يتعلق بالأسرة.

رابعا: مستوى التباين اللغوي بين الفئات الاجتماعية

يتحدد شكل اللغة ومستواها في إطار الظروف الاجتماعية السائدة لوسط اجتماعي محدد من خلال الإجابة على السؤال التالي: ما حدود التباين والاختلاف اللغوي الذي تقرره ظروف الحياة الاجتماعية؟ وكيف يمكن تقييم مستوى اللغة عند كل فئة اجتماعية؟

وتجد هذه الأسئلة إجابتها في اللغة الرسمية التي تشكل معيارا لتحديد مستوى تطور وفعالية الأنماط اللغوية الاجتماعية المختلفة. ومن أجل قياس ذلك، يتم حساب مدى التباين القائم بين اللغة الرسمية بوصفها النموذج المثالي لحركة اللغة ونموها وبين الأنماط اللغوية لمختلف الفئات الاجتماعية.

ومن أجل قياس مدى التقارب والتباعد بين الأنماط اللغوية السائدة في المجتمع واللغة الرسمية يمكن وضع مدرج لمستوى التقارب والتباعد اللغوي تحتل فيه كل لغة مكانها المحدد. وغالبا ما يتم اعتماد مؤشرات عديدة مثل مستوى الدلالات الرمزية القائمة في كل نموذج لغوي، ومدى التماسك المنطقي، وغنى المفردات، ومدى الانسجام مع البنى النحوية، ومعيار طول الجمل أو قصرها، وذلك لتحديد مستوى تطور كل نموذج لغوي محدد.

وتشير دراسات متعددة في هذا المضمار إلى أن لغة الفئات الاجتماعية الوسطى تتجانس إلى حد كبير مع طابع ومستوى اللغة الرسمية وذلك على خلاف الفئات الاجتماعية الأخرى كالفئات العمالية والفئات الفلاحية (**وطفة، جانفي 2013 ،ص 22**).

وأما التباين في مستوى تعلم اللغة الفرنسية في الجزائر هو تباين في المهارات المطلوبة، أي في التعبير الشفوي والكتابي والاستيعاب الشفوي والكتابي، ويعتبر التعبير الشفوي النقطة الأضعف في تعلم اللغات الحية وتعليمها، وبالتالي يظهر التباين بين الفئات الناطقة بالفرنسية في صعوبات وأخطاء يقع فيها الناطقون غير المتمكنون من هذه اللغة في مقابل الناطقين الذي يسترسلون في الحديث بتا باستخدام الروابط المنطقية والزمنية المناسبة، الجمل الطويلة، التعبير الرمزي المجرد، بينما تظهر لغة الفئة الأخرى حسية خالية من أدوات الربط، مختصرة ويواجه المتحدثون بتا صعوبات جمّة .

خامسا: الفعل البيداغوجي وإعادة إنتاج التباين في المستوى اللغوي بين التلاميذ

يرى **بورديو** أن الفعل التربوي الوالدي يأخذ تأثيره في تحديد المصير المدرسي المستقبلي للطفل، وهو الذي يحدد علاقة الطفل بالهابتوس المدرسي، كما يحدد المسافات التي يجب على الطفل تجاوزها والمضامين الثقافية واللغوية التي يجب عليه استيعابها،غير أنه لا يمكننا إدراك حقيقة هذا التأثير إلا من خلال تفحص آليات تدخل الفعل البيداغوجي المدرسي في تجاهل التباينات الثقافية واللغوية للمتعلمين، والناتجة عن الوسط الأسري الذي نشئوا فيه.

1- آليات عمل الفعل البيداغوجي:

باكتشاف **بورديو** لحقيقة السيطرة الثقافية من قبل الطبقات المهيمنة اجتماعيا على النظام التربوي، بمواصلة عملية التحليل لبنية العلاقات الثقافية داخل النظام التعليمي نفسه، استطاع **بورديو** أن يضع يده على آليات عمل الفعل البيداغوجي التي بها ومن خلالها يقوم النظام التعليمي بأداء وظيفته في المحافظة على بنية الثقافة ومنه اللغة القائمتين في المجتمع، ومن أهم هذه الآليات، والتي تعد في نظر أطراف العملية التعليمية التعلمية عبارة عن مكونات للفعل البيداغوجي، يتحدث **بورديو** عن علاقة الاتصال البيداغوجي والتي فصلناها إلى مقاربة التدريس والمنهاج، أسلوب التقويم واللغة الشفوية، كما يتحدث **بورديو** عن مكون ثان للفعل البيداغوجي يتمثل في الامتحانات، ومكون ثالث يتمثل في السلطة التربوية للمعلم لم نتطرق إليها في هذه الدراسة، لأنها قد تمثل متغيرا يشوش على أثر متغير الدراسة المستقل "الأصل الاجتماعي"، بالإضافة إلى أنها (سلطة المعلم) تستحق لوحدها دراسة مستقلة.

ا – المقاربة بالكفاءات كمقاربة تدريس

إن المقاربة الجديدة (المقاربة بالكفاءات)، تقتضي تصميم وضعيات تعلم ذات علاقة بالسياق الاجتماعي للمتعلم، غير انه في بيئتنا المحلية تكاد هذه الفرصة أن تنعدم أمام تعلم اللغات الأجنبية كاللغة الفرنسية التي لا تجد فرصا لاستعمالها إلا في بعض الأوساط الأسرية، أما بالنسبة للمتعلمين الذين يحيون في بيئات أسرية تتحدث اللغة الفرنسية كلغة ثانية فإنهم يجدونها ضرورة اجتماعية، ومبررات تعلمها حقيقية غير مصطنعة، ويصبح تصميم وضعية التعلم في الصف الدراسي كامتداد للسياق الاجتماعي واحتياجات المتعلم الحياتية حيث يتوقع **ليتلوود Littlewood** :" ان يزداد المتعلمون اندماجا في الوضعيات ذات العلاقة بالتفاعلات الصفية، أو الشلة، أو بما يعايشونه بالفعل في الحياة".(**بن عمر فقيه، 2009، ص27**)

* **بعض الإشكالات التي طرحها نظام التعليم بالكفايات:** رغم كل الإيجابيات التي يسوقها لها أنصار المقاربة بالكفايات إلا أن هناك العديد من الإشكاليات التي رصدناها من نتائج بعض الدراسات الأكاديمية التي تتناول موضوع المقاربة بالكفاءات في الجزائر من خلال تقييم هذه التجربة وتحديد التحديات والصعوبات التي تواجهها سواء على صعيد التخطيط او التنفيذ، من هذه الإشكاليات نذكر:

– **مسألة ضبط الكفاءات:** إن مسألة من يضبط الكفاءة، موضوع يطرح في الجوهر مشكلة المحتويات والغايات (محتويات برامج التعليم وغاياته) وهي مسألة تثير بشدة الأسئلة التالية: هل يحق لطرف واحد أن يحدد **ماذا نتعلم؟ ولماذا نتعلم؟ وبالتالي صياغة فكر وشخصية المتعلمين.**

– **مقاييس تحديد الكفاءات:** هل مرجعيتنا في ذلك مجتمعنا وإنسان مجتمعنا أم مجتمعات أخرى وإنسان آخر غير إنسان مجتمعنا؟ارتباطا بواقع مجتمعنا هل نحن بالفعل في حاجة إلى تعلم مهارات أكثر ومعارف أقل أم أن الأمر لا يعدو أن يكون مجرد نقل لمشاريع وقع إملاؤها؟هل بالفعل أصبح مجتمعنا اليوم مجتمع معرفة حتى يكون تعليمنا من أجل مهارات أكثر ومعارف أقل؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة لا شك ستجعلنا أكثر قناعة بضرورة مراجعة هذا النظام من التعليم لأنه في تعارض مع ما تطمح إليه الأغلبية في ميدان التربية لا بل موجه تحديدا ضد كل رهاناتها على التحكم بمصيرها.

– **مشكلة الوسائل:** مشكلة الوسائل في مدارسنا مشكلة مزمنة وقد أثرت سلبا على عملية التعّلم في كل الفترات السابقة وقد ازداد تأثيرها هذا في السنوات الأخيرة باقتصار الدولة وفي نطاق تنفيذ تعليم الكفايات على الجانب البيداغوجي وإهمال ما يتطلبه المشروع من تمويل.

– **مشكلة الفوارق داخل الفصل الواحد وقصور نظام الكفاءات على تحري التباينات الاجتماعية:** تعتبر مشكلة الفوارق بين التلاميذ داخل الفصل الواحد أحد أهم الإشكاليات التي طرحها نظام تعليم الكفايات وأظهرت إلى أي مدى هو عميق التناقض بين الشعارات حول نجاح منظومة تعليم الكفايات وحقيقة الأوضاع في مدارسنا.(**اسليماني ، 2006، ص 84**)، وهي ملاحظة تناولها **بورديو** في حديثه عن الاصطفاء التقني والاصطفاء الاجتماعي، أين يعمل نسق التعليم على تورية الوظيفة الاجتماعية التي تقضي بشرعنة التباينات الطبقية وراء وظيفته التقنية التي تقضي بإنتاج كفاءات بقدر ما لا يستطيع تجاهل مستلزمات سوق الشغل غير القابل للانضغاط، أين تنجح المجتمعات الحديثة في الحصول من المدرسة على أفراد مؤهلين ومتكيفين مع حاجات طلبات الاقتصاد، وهو ما يمس باستقلالية نسق التعليم المفترضة حيث تصبح هذه الاستقلالية شكلية أكثر مما هي واقعية بسبب الرفع من الحد الأدنى من الكفاءة التقنية التي تتطلبها ممارسة المهن، الشيء الذي يزيد من الفجوة بين الكفاءة التقنية التي يضمنها الامتحان والميزة الاجتماعية التي يكافأ بها نسق التعليم عبر ما يسمى بـ"أثر الإشهاد". (**بورديو وباسرون، 2007، ص311**)

وهنا نستأنس بدراسة **نور الدين بخنوفة** الموسومة ب ."**دور المقاربة بالكفايات في تثبيت الملكة اللغوية لدى طلبة المرحلة الثانوية**" والتي يتساءل فيها عن مقاييس تحديد الكفايات، أهي مقاييس مرتبطة بواقع المجتمع الجزائري أم بواقع مجتمعات أخرى، لنضيف تساؤلا حول مدى استجابة هذه الكفاءات المطلوبة لحاجيات المتعلمين من مختلف والفئات السوسيومهنية، هل تراعي التركيبة البنيوية العامة للمجتمع الجزائري من حيث العامل الاقتصادي والاجتماعي والثقافي واللغوي؟ هل يراعى فيها الخصوصيات الثقافية والمادية والبيئية لكل منطقة؟

ان تعليم الكفايات أرسى منظومة تقييم تلفيقيه تقوم على مقولة "**النجاح قاعدة والرسوب استثناء**": وهو شعار تُرجم في الواقع إلى ما يسمى بالارتقاء الآلي الذي تسبب في تراجع الدافعية لدى المتعلمين للتعّلم

والاجتهاد للنجاح وأدى إلى تدني المستوى. كما ان تعليم الكفايات ضرب مجانية التعليم فالأسرة أصبحت تتكبد نفقات كبيرة لتعليم أبنائها في العشر سنوات الأخيرة، وهو عبء ظل يكبر ويتضخم من سنة إلى أخرى. تعليم الكفايات عمق من واقع عدم التساوي في الحظوظ بين أبناء الفقراء وأبناء الأسر الميسورة ويمكن التدليل على ذلك بأن النسبة الغالبة من الذين لا يتمكنون من إنهاء تعليمهم.

ب– من المنهاج الدراسي إلى المنهاج الخفي

إن التربية المدرسية مهما حاولنا التحكم فيها أو ضبطها بخطط وتحديد مساراتها بمناهج مدروسة، فإن العارفين بعملية الاستثمار التعليمي يدركون جيدا أن العلبة السوداء في العملية الاستثمارية، سميت بهذا الاسم لأنها تشمل العديد من التفاعلات ما هو محدد ما هو غير محدد، ما هو متوقع ما هو غير متوقع. وهنا بدأ الحديث عن نوع جديد من الأهداف والمناهج التربوية ألا وهو المنهاج الذي لا يخطط له أي غير الرسمي أو المنهاج الخفي كما يحلو للبعض تسميته. فالمنهج الخفي هو فعالية رمزية يكمن دوره الحيوي في إقصاء أبناء الفئات الاجتماعية الهشة، عبر آواليات الإخفاق، وتنمية شعور الدونية والقصور لديه، وعلى هذا الأساس يمكن القول أن كثيرا مما تعلمه التلميذ في المدرسة ربما يتعدى محتويات الدروس والمقررات إلى عملية ترويض الطالب قيم ومعايير الطاعة والامتثال والقيمية والأيديولوجية السائدة في المجتمع، وبذلك فإن المدرسة وفقا لمناهجها الخفية لا تهدف إلى تحقيق المساواة بين التلاميذ، بل تهدف إلى ترسيخ مبدأ اللاتكافؤ بينهم (**وطفة، فبراير 2015، ص 70–71**).

ولتفادي هذا النوع من المناهج سعت الأنظمة التربوية جاهدة إلى بناء مناهج يراعى فيها مجموعة من الأسس الفلسفية والاجتماعية والنفسية والثقافية للمجتمع، وجسدتها الجزائر من خلال تبنيها لفلسفة التيار البنيوي الاجتماعي كأساس تفسيري لعملية التعلم، فقد عمدت رسميا سنة 2003 إلى تبني المقاربة بالكفاءات كمقاربة متفرعة عن المنهج البنائي، وتعتمد على منطق التعلم المتمركز حول المتعلم وأفعاله وردود أفعاله أمام وضعيات تمثل وضعيات حقيقية يعيشها المتعلم في حياته اليومية.

وعلى هذا الأساس، تسعى المنظومة التربوية في الجزائر إلى توظيف "**مبدأ المرونة**" في تعليم جميع المواد واللغات، ومن بينها اللغة الفرنسية، حتى يحدث تكاملا بين الغايات من تدريسها وإطار الممارسة التعليمية المناسبة لوسط يتميز بالتعدد اللغوي والتباين الاجتماعي الثقافي (**وزارة التربية الوطنية، 2009 ،ص38**)

، وهنا نتساءل عن مدى استجابة طرق التدريس بالكفاءات، بما تقتضيه من وضعيات حقيقية، ومضمون المنهاج، للواقع الاجتماعي الثقافي اللغوي للمتعلمين. والملاحظ في إطار هذا الوسط اللغوي متعدد اللغات واللهجات، إن المادة الرابعة من القانون التوجيهي للتربية رقم 08/04 المؤرخ في 23 جانفي 2008 ، لم تحدد أولوية مادة أجنبية بالنسبة لأخرى، ونقصد هنا اللغة الانجليزية، واكتفت بضرورة تمكين التلميذ من التحكم في لغتين أجنبيتين عند نهاية التعليم الأساسي، وأحالت ذلك على النصوص التنظيمية الداخلية لوزارة التربية، مع أنه قد تم تأكيد الموقف الواضح تجاه اللغة الفرنسية في عدة مرات في خطابات رئيس الجمهورية حيث صرح أثناء القمة التاسعة للفرانكفونية ببيروت أن للغة الفرنسية الدور الايجابي في تطور وتفتح الشباب **(Bencherfa et Derradji,2004, p168 Cherrad)**

وبالرغم من أهمية الكفاءة التواصلية في تعلم اللغات الأجنبية، إذ لا يقتصر مفهومها على معرفة النسق اللغوي وإنما يتجاوز ذلك إلى معرفة كيفية استعمال اللغة في السياق الاجتماعي، **(عمراني وآخرون، 2008، ص 13)** ، إلا أن الدليل المنهجي لإعداد المناهج في ظل المقاربة بالكفاءات، لم يؤكد إلا على اكتساب التلميذ للكفاءات اللغوية.

ج– الامتحانات وإعادة إنتاج التفاوت الاجتماعي:

تشير بعض النصوص القانونية والتنظيمية الجزائرية، مثل القانون 04/08 المؤرخ في 23جانفي 2008 المتضمن القانون التوجيهي للتربية الوطنية إلى مفهوم التقييم بدل التقويم، حيث تخصص له أحكام المادة 69 والمادة 40 من الفصل السابع. فتعرف المادة 69 التقييم على أنه:" عملية تربوية تندرج ضمن العمل المدرسي اليومي لمؤسسة التربية والتعليم". وتحدد المادة 70 منه آليات التقييم المتمثلة في العلامات العددية والتقديرات التي يمنحها المدرسون للتلاميذ بمناسبة المراقبة الدورية لأنشطتهم التربوية. **(الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، 27 يناير 2008، ص15)**

ونجد بعض النصوص التطبيقية كالدليل المنهجي لأعداد المنهاج، تستخدم مصطلح التقويم وتقدمه على أنه مسعى لجمع المعلومات قصد إصدار حكم أو تقديم توضيحات لاتخاذ قرارات. بمعنى أنه يتم وفق المراحل التالية: الملاحظة، القياس، التقدير، الحكم ثم القرار للوصول للعلاج. وبانتقال الجزائر إلى تطبيق

المقاربة الجديدة (المقاربة بالكفاءات) منذ سنة 2003 ، كان عليها تجديد مختلف الممارسات البيداغوجية حتى تظهر درجة الانسجام والعقلانية للاختيارات الجديدة، وأصبح التقويم البيداغوجي لأعمال التلاميذ يخضع منذ سنة 2005 لأحكام المنشور الإطار رقم 2039 المؤرخ في 13 مارس 2005 ، والمنشور التطبيقي رقم 26 المؤرخ في 15مارس 2005 المتعلق بالإجراءات الخاصة بتقويم أعمال التلاميذ وبوتيرة عمليات التقويم وطريقة حساب العلامات الداخلية، وقد عدلت بعض جوانب هاذين المنشورين بمقتضى منشور ثالث رقم 128 مؤرخ في 10 سبتمبر 2006. (**النشرة الرسمية لوزارة التربية الوطنية، مارس2010، ص04**)

ويبين المنشور رقم 2006/128 المؤرخ في 12 نوفمبر 2006 و المتعلق بتعديلات الخاصة بعمليات تقويم أعمال التلاميذ، كيفيات حساب معدل مادة اللغة الفرنسية، حيث تقوم أعمال التلاميذ من خلال المراقبة المستمرة والمنتظمة والتي تكون على شكل: استجوابات شفوية وكتابية، عروض، أعمال تطبيقية، أعمال موجهة، وظائف منزلية، ويكون تنظيم مدتها و وتيرتها ومدة إنجازها وفقا لأهداف المادة مع تكثيفها بالنسبة للفرنسية كلغة أساسية إلى جانب العربية، الرياضيات، الإنجليزية، ويُحسب المعدل الفصلي لهذه المادة بحساب معدل المراقبة المستمرة التي تشمل كل أعمال التلاميذ المنجزة في فترة ما قبل الاختبار والتي سبق الإشارة إليها، وعلامة الفرضين، ويضرب هذا المعدل في (2)، ثم تضرب العلامة المحصل عليها في الاختبار في(3) ، فيصبح المعدل الفصلي لمادة اللغة الفرنسية= ((**معدل المراقبة المستمرة× 2**) +(**علامة الاختبار× 3**))/**5**.(**النشرة الرسمية لوزارة التربية الوطنية، مارس2010، ص64**)

غير أنه ومع حلول السنة الدراسية 2017/2016 تم التعديل في استعمال الزمن البيداغوجي ومعاملات بعض المواد، كاللغة الفرنسية، اللغة العربية والرياضيات، بحيث أصبح معامل مادة اللغة الفرنسية يقدر بـ 2 في الطور الثاني (أي السنتين الثانية والثالثة) من التعليم المتوسط، وهو معامل مساو لمعامل مادة الرياضيات في السنة الثانية متوسط وأقل بواحد من معامل اللغة العربية في السنتين الثانية والثالثة وأكبر من معاملات كل المواد المتبقية باستثناء معامل اللغة الامازيغية الذي يماثله، وقد جاءت هذه التعديلات استجابة لمتطلبات المرحلة الجديدة المتميزة بالتنصيب التدريجي للمناهج المحسنة وللتوصيات المنبثقة عن الندوة الوطنية لتقييم مرحلة التعليم الإلزامي المنعقدة في شهر جويلية 2014، والندوة الوطنية للتقييم المرحلي للمنظومة

التربوية المنعقدة في جويلية 2015 (**المنشور الوزاري رقم 1547 لوزارة التربية الوطنية ، ص –01 03**) . هذا وتستدعي المخططات السنوية في إطار المنهاج المحسن تخصيص 32 أسبوعا للدراسة و4 أسابيع للتقويم. كما تم تخصيص نصف ساعة أسبوعيا بالنسبة لتلاميذ السنتين الثانية والثالثة متوسط للأعمال الموجهة بالأفواج في مادتي الفرنسية والانجليزية، الرياضيات واللغة العربية.

إذن تعد الامتحانات من منظور بورديوري ذات وظيفة اجتماعية، إذ تقوم بتعزيز عملية إعادة انتاج بنية العلاقات الطبقية السائدة في المجتمع، و يوجد ميل كبير في المجتمعات الحديثة تجاه تنوع أساليب الامتحانات والتوسع في دورها وتعميق وظائفها داخل النظام التعليمي، حيث تعمل على غرس و تكريس القيم المرتبطة بهذا النظام التعليمي، بل المرتبطة بكل نوع من أنواع المعرفة في حقل الثقافة وبالتالي على غرس وتكريس القيم المرتبطة بنمط الثقافة السائدة في المجتمع (**بدران والبيلاوي، 2003، ص 134**)، كما هو الشأن بالنسبة لقيم الانفتاح على اللغات الأجنبية لاسيما اللغة الفرنسية بوصفها لغة المجموعات اللسانية المتميزة؟

وبما أن المدرسة قد فوضتها الجماعة المسيطرة سلطة الفرض أي سلطة فرض المحتويات المطابقة فقط لمصالح هذه الجماعة، فإن الاختبارات تعد وسيلة انتقاء لفئة المتعلمين الذين استوعبوا هذه المحتويات، في حين أنها وسيلة إقصاء للذين لم يتكيفوا مع هذه المحتويات. وتتراوح هذه الاختبارات بين اختبارات شفوية واختبارات كتابية، حيث يمكن اعتبار الأولى كاختبارات حول الأسلوب، هدفها تقييم الشكل أكثر من المحتوى، فيركز المعلمون الممتحنون على دلائل حذقة خاصة بالاعتراف الاجتماعي كالمظهر والنبرة واللباقة والأسلوب الجيد، وهو ما تسميه لجنة التحكيم بـ "الحضور" حيث: " تتيح الملاحظة المنهجية لسلوك المترشحين اللساني والحركي بمناسبة امتحان شفهي ما إن نميط اللثام عن بعض العلامات الاجتماعية ، التي بها يهتدي، من غير وعي، الحكم الأستاذي، ومن بينها يتعين اعتماد مؤشرات عن منوال استعمال اللسان (التصويب، النبرة، رنة الصوت، ...)، وترتبط تلك المؤشرات عينها بمنوال العلاقة بالأستاذ وبوضعية الامتحان التي تعبر عن نفسها في الهيئة والحركات، واللباس والتجمل والإيماء".(**بورديو باسرون، 2007، ص 251**). بينما تتمثل الاختبارات الكتابية في تحرير المقالات أو الإنشاء وتخضع لنفس الاستعدادات في الأسلوب المستعمل.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعروة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ●09-10-2026/07/11

إن ما يعزز دور الامتحانات والتقويم في إعادة إنتاج التفاوت والتقسيم الاجتماعي داخل النظم التعليمية، هو تلك الأسطورة التي تولدت من حولها وأبرزها في صورة عملية تكنيكية وموضوعية، يتم من خلالها انتقاء الطلاب بطريقة محايدة وفقا لنظرية رأسمال الثقافي، فإن الامتحانات والتقويم واقعيا لا يلعبان دورا رئيسيا في منأى عن الأصل الاجتماعي، ذلك الجزء الأكبر من عملية استبعاد هؤلاء التلاميذ، إنما يتم بمحض اختيارهم لنوع التعليم والشعبة والتخصص، أو حتى اختيارهم الاستغناء عن التعليم نهائيا، وهنا يذكر **بورديو** أن معظم هؤلاء الذين طردوا من المدرسة قد استبعدوا أنفسهم قبل الامتحانات، وأن هؤلاء الذين كان استبعادهم عن طريق الانتقاء المباشر (الامتحانات) إنما يتوقف، أيضا، على مستوى طبقتهم.(**بدران و البيلاوي، 2003، ص 134–135**)

وفي الجزائر، يحدث ترسيخ تدريس التخصصات العلمية الجامعية باللغة الفرنسية ارتباكا واضحا في مستوى التحصيل الدراسي بهذه التخصصات، بل ويقف عائقا أحيانا أمام الطلبة للالتحاق بهذه التخصصات، ذلك أن الحصول على علامات متدنية في مادة اللغة الفرنسية يؤثر على المعدل العام للالتحاق بهذه الشعب.

إن إهمال الحديث عن المقاييس الاجتماعية للنجاح الدراسي، يظل أساسيا كي تضطلع المدرسة بوظيفتها الانتقائية والمتمثلة في شرعنة المقاييس المدرسية باعتمادها أيديولوجية الموهبة، و هنا يرى **بورديو** أن :"النسق التعليمي يواري الاصطفاء الاجتماعي تحت مظاهر الاصطفاء التقني، وشرعنة إعادة إنتاج التراتبيات الاجتماعية عبر تحويل التراتبيات الاجتماعية، تراتبيات مدرسية" (**بورديو وباسرون، 2007، ص 292**). فالمدرسة عندما تغض النظر عن التباين الاجتماعي والثقافي للأطفال، فهي تعزز مختلف أشكال التمييز التربوي فيما يتعلق بالنجاح وزيادة التعلمات، وهي أيضا عندما تركز على إعطاء التباين في القدرات الفردية أهمية قصوى، فهي تترجم اللامساواة الاجتماعية الثقافية لأسرة الانتماء إلى نوع من التباين في مستويات الذكاء والقدرات العقلية.

د- صعوبات التعبير الشفهي في اللغة الفرنسية:

لقد بينت **كورتيلون Courtillon** أن التعبير الشفوي يعتبر النقطة الأضعف في تعليم اللغات الحية، وهو الظاهرة الأكثر صعوبة، وأشارت إلى أن العلماء قد اختلفت آراؤهم في هذا الموضوع، فبعضهم يطالب بأن يتكلم الطلاب اللغة داخل الصف، وبعضهم الآخر يرى أنه لا يمكن أن يكون الصف مكانا للتعبير الشفوي، وذلك لأن المعلم يضع الطلاب في حالة من إنتاج الجمل التي يريدها ويتوقعها هو، ولا يكون فيها للطلاب قدر كافٍ من الحرية في التعبير. لذلك ومن أجل أن نساعد الطلاب على إنتاج اللغة، لا بد من أن يكون هناك اتصال حقيقي بين الأفراد، في صف اللغة، وأن يكون التبادل الكلامي به نوع من التلقائية، بحيث لا يكون الكلام موجهًا فقط إلى المعلم، بل يكون هناك تبادل كلامي بين الطلاب أنفسهم، عن طريق طرح مواضيع للنقاش تهم الطلاب، وتثير دافعيتهم، مما يحفزهم على الكلام بحرية وتلقائية.

ومن الصعوبات التي تواجه التلاميذ في التعبير الشفوي باللغة الفرنسية، نجد كذلك، أن الكلمات لا تلفظ بنفس صورتها الكتابية، فالتلميذ في البداية يحاول إنتاج الجمل من خلال تذكر الكلمات الموجودة في ذاكرته، ثم يحاول ترتيب الجمل، وفي البداية يركز في جمله على استعمال الضمير "أنا"، ثم يبدأ باستعمال الضمائر الأخرى عن طريق التفاعلات الصفية التي تتطلب اشتراك أشخاص آخرين، وهكذا تتطور مهارته اللغوية والثقافية والاجتماعية والخطابية والإستراتيجية التي تجتمع معا لتكون مهارة الاتصال لديه.

ومن مظاهر الصعوبة في إدراك النظام الصوتي للغة الفرنسية والقراءة، النطق بطريقة خاطئة لبعض الأصوات التي لا تتوافر في اللغة العربية، والخلط في الأصوات المتشابهة صوتيا مثل (p,b)، قلب الحروف وصعوبة تشفير الأصوات المركبة عند القراءة، مثل (d و t والمركبة مثل ph=f)، إهمال الحروف أو المقاطع الصوتية (كأن يقرأ كلمة panier يقرأها paner ويهمل الصوت ier)، إبدال حروف أو كلمات كاملة مثل (كلمة vélo يقرأها félo)، مشكل الإيقاع وعدم القدرة على إنتاج الترانيم الإيقاعية، عدم التمييز بين بعض الحروف مثل (p و b، v و f).ومن العوائق الصوتية الحروف الصامتة (Les lettres muettes)التي تثقل الكلمات ولا تنطق ككلمة (tapi**s**)التي لا تنطق سينها (s)، ونهايات الأفعال مثل (tu parle**s**) التي لا تنطق نهايتها وفي علامات الجمع أيضا فلا تنطق علامات جمعها، وفي الجانب الصرفي تتعدد اللواحق النهائية suffixes واللواحق الأولية préfixes كلواحق التضاد.

وأما في الجانب التركيبي فتمتاز الجمل الفرنسية بالتعقد خلافا للعربية التي تتشكل من أجزاء قصيرة مربوطة بحروف العطف، ويستخدم الأسلوب الفرنسي بكثرة الصيغ المبنية للمجهول وبتأخر الخبر إلى نهاية الجملة المطولة، وبتصدر الاسم أو الضمير الجملة الاسمية عكس الجملة العربية التي يتصدرها الفعل عادة.(**بن غزالة، جوان 2018 ،ص 352–353**). ويميز **بوديو** و **باسرون** بين نموذجين للعلاقة باللغة يحيلان إلى التناقض بين نمطين في اكتساب القدرة على التعبير الشفهي، أحدهما نمط الاكتساب المدرسي ويرصد علاقة مدرسية للتلميذ باللسان المدرسي، وثانيهما نمط اكتساب بالاستئناس غير المحسوس، الذي يتمكن فيه التلميذ بمفرده من الإتقان والتحكم العملي في اللسان والثقافة.

ويترتب على ذلك أن تجربة الفضاء المدرسي لأطفال الطبقات العليا تعد امتدادا لطفولة قضيت في فضاء عائلي يزخر بمفردات وعبارات اللغة المقصودة بالتعلم المدرسي، بينما يعاني أطفال الطبقات الشعبية قطيعة بين الاكتساب المدرسي للغة ولغة تنعتها الملاحظات بالمبتذلة أو البسيطة أو اللغة المضادة التي ليس للأبناء فيها أصيلي المناطق الريفية الذين يواجهون تجربة المثاقفة عنوة وتجربة المثاقفة المضادة السرية في آن واحد، خيارا بين الخيارين: الازدواج أو الإخلاد للإقصاء (**بن غزالة ، جوان 2018 ، ص 253–254**).

2– علاقة الفعل البيداغوجي بالتربية الأسرية الأولية:

إن معارف الطفل ومهاراته اللغوية المكتسبة في أسرته تشكل المنطلق الأول للعلاقة بين الأسرة والمدرسة، فهذه الأخيرة تمارس تأثيرها انطلاقا من معطيات أسرية سابقة، مما يعني أن تأثير المدرسة مرهون بحصاد الفعل الأسري السابق، وهذا الحصاد قد يعزز نجاح التلميذ ونماءه المعرفي واللغوي، أو قد يشكل عقبة في مسار التطلعات المدرسية، ذلك أن الطفل الذي نشأ في وسط أسري مثقف، وأُحيط بالرعاية قد يجد في المدرسة تشجيعا أكبر، خاصة إذا كان قد تعلم بعضا من مبادئ القراءة والكتابة والمشافهة في البيت، فيحقق تعلمات أكثر في المدرسة قياسا إلى الأطفال الذين لم تسنح لهم مثل هذه الفرص. (**وطفة والشهاب ،2004 ،ص137**) .

وفي نفس السياق دائما يقول **بيير بورديو** و**جون كلود باسرون**:" إن نجاح أي تربية مدرسية، وبصورة عامة نجاح كل عمل بيداغوجي ثانوي، يتوقف أساسا على التربية الأولى التي سبقته، وخاصة حينما ترفض

المدرسة هذه الأولوية في إيديولوجيتها وممارستها، وذلك بجعل التاريخ المدرسي تاريخ بدون ما قبل التاريخ") **Bourdieu et Passeron, 1970,p58–59**)

وهنا لا يتوقف الباحثان عند حدود تحديد دور نسق الاستعدادات المكتسبة أو الهابتوس الثانوي(المدرسي) الذي يرسخه النظام المدرسي، وإنما يحاولان توسيع دائرة التحليل الذي انطلقا منه في كتابيهما "الورثة" ، لإبراز أن هذا النسق (الهابتوس الثانوي) لا يمكن أن ينجح في عمله إلا إذا كان مقتربا من النسق (الهابتوس الأولي) الذي يرسخه العمل البيداغوجي الاولي للأسرة أو الهابتوس الموروث، وكلما تحقق هذا الاقتراب بين الهابتوس المدرسي الثانوي أو الهابتوس الأسري الأولي، كلما سهلت عملية التطبع وإعادة الإنتاج (**فاوبار، 2011، ص47**) . وهو ما يظهره الباحثان في قولهما: " حيث إن الهابتوس الأولي الذي يرسخه العمل البيداغوجي الأولي يعتبر بمثابة مبدأ بناء لأي هابتوس لاحق، فإن درجة إنتاجية أي عمل بيداغوجي ثانوي تقاس،في ظل هذه العلاقة، بدرجة تنظيم الوسائل الضرورية لإنجاز العمل البيداغوجي (نمط الترسيخ) بشكل يتناسب موضوعيا مع المسافة التي تفصل الهابتوس المنتظر ترسيخه عن الهابتوس الناتج عن الأعمال البيداغوجية السابقة" (**Bourdieu et Passeron, 1970, p60**).

فإذا أخذنا مثالا على هذا، فان أبناء الطبقات الدنيا يتعلمون الخبرات بصورة عملية، أي عن طريق التدريب العملي، ولا يمر هذا التعليم عن طريق الامتلاك الرمزي اللفظي، لذا فعند ولوجهم المدرسة يحسون بالإخفاق لأنهم يتلقون تعسفا ثقافيا مفروضا عن طريق الامتلاك الرمزي، وكنتيجة لذلك يعجزون عن تعلم اللغة المدرسية بمثل السرعة التي يتعلم بها أبناء الطبقات العليا، لأنهم امتلكوا خبرات ومهارات لغوية عن طريق الامتلاك الرمزي قبل دخولهم إلى المدرسة. والأمر نفسه ينطبق على أبناء الأسر الجزائرية التي تتداول باللغة الفرنسية، حيث يجدون تطابقا بين ما تنشئوا عليه في أسرهم وبين ما ترسخه المدرسة فيهم مما يسهل عليهم عملية الاندماج والنجاح المدرسي، على عكس أبناء الأسر التي تتداول بغير اللغة الفرنسية، الذين سيجدون لا محالة صعوبة في تعلم اللغة الفرنسية المدرسية وفي استدماج الهابتوس اللغوي تجاه هذه اللغة.

سادسا: التمكنات الثقافية واللغوية في علاقة الاتصال البيداغوجي:

لقد أوضح **بورديو** أن الآليات التي يعمل من خلالها النظام التعليمي على تثبيت إعادة إنتاج البنية الثقافة والمجتمع القائم، لا تكمن في محتوى العملية التربوية (أي المقررات الدراسية في ذاتها) فحسب، لكنها

تكمن كذلك في العلاقة الاجتماعية للاتصال البيداغوجي، أي في طريقة تدريس المحتوى الدراسي، لذلك نجد أن **بورديو** عندما أراد تحديد عوامل النجاح في العمل التربوي اتجه إلى تحليل التنوعات الاجتماعية للتلميذ، أي انطلق من فرضية تمايز وتباين الأصل الاجتماعي للتلميذ.

ويعني **بورديو** بعلاقة الاتصال البيداغوجي، مجموع التمكنات الثقافية واللغوية التي يتمتع بها التلميذ،وتمثل في الوقت ذاته الثقافة السائدة والمختارة لكونها جديرة بإعادة إنتاجها ونقلها من خلال العملية التربوية، ومجموعة علاقات القوى السائدة بين الجماعات الاجتماعية، كما تبدو في بنية الفرص النسبية لكل طبقة اجتماعية.

لقد حاول **بيير بورديو** و**جون كلود باسرون** في كتابهما "الورثة"، دراسة الميراث الثقافي الذي يرثه أبناء الطبقات العليا وكيف يساعدهم في تحقيق النجاح والتفوق في المجال المدرسي، ويؤكدان على أنه إذا كانت هناك اختلافات بين نمطي ثقافة الصفوة وثقافة الطبقات الدنيا، فإنه يوجد أيضا اختلافات بين طرق الحصول على كل نمط من أنماط الثقافة، فثقافة الطبقات الدنيا، تقليدية ميسورة ويمكن أن يتعلمها أبناء الطبقات الدنيا سواء من الكتب أو من المدارس، أما الثقافة الرفيعة فتظل حكرا على أبناء الصفوة ولو تمكن أبناء الطبقات الدنيا من الحصول على حصة متساوية من المعارف التجريدية بعد جهد ومعاناة، فإنه ستوجد دائما اختلافات في طرائق حصول كل منهما على هذه المعارف، وسيظل الفرق بينهم مثل الفرق بين من يشاهد مسرحية معينة ويناقش مؤلفيها وممثليها، وبين من يقرأ هذه المسرحية في كتاب.(**بدران والبيلاوي، 2003، ص 124–125**).

وينطبق ذلك في مجتمعنا المحلي على من يتداول باللغة الفرنسية في حياته اليومية،ومن يتعثر في قراءة نص محرر باللغة الفرنسية في صفه الدراسي أو في محاولة فهم تفاصيل فيلم سينمائي فرنسي من خلال إيماءات وحركات ممثليه أو من المعنى العام لقصة الفيلم.

وبما أن التمكنات اللغوية تحتل جزءا رئيسيا من الرأسمال الثقافي، أو ما يعرف برأسمال اللغوي، فإن لها أهمية خاصة في علاقة الاتصال البيداغوجي، كونها من الميكانيزمات المؤثرة في فعالية الاتصال التربوي، وخاصة في المراحل الأولى من النظام التعليمي، ذلك أن فهم اللغة واستعمالها من الأبعاد الأساسية التي تقوم عليها عملية تقييم المعلمين، فاللغة ليست مجرد أداة تواصل فحسب، وإنما توفر للتلميذ مفردات غنية أو

فقيرة، نسق من المقولات والمفاهيم، حيث أن:" قدرة الطفل على الفهم والتعامل مع المعاني المعقدة، سواء كانت منطقية أم جمالية، إنما يتوقف في جزء منها على تعقد الحصيلة اللغوية التي نقلت غليه من أسرته خلال عملية التنشئة الاجتماعية، ويتبع ذلك منطقيا أن معدل الهدر المدرسي يمكن فقط أن يتزايد كلما اتجهنا صوب الطبقات التي يتباعد نمط لغتها عن النمط اللغوي المدرسي...". (**Bourdieu et Passeron, 1970, P92**)

إذا يمكن القول أن التوزيع غي المتكافئ لرأسمال اللغوي بين أبناء الطبقات الاجتماعية المختلفة، يعتبر أحد المعوقات التربوية لديهم، ذلك أنه إذا كانت التمكنات اللغوية التي تسود النظام التعليمي والتي تعتبر شرطا لإنجاز العملية التعليمية تختلف أو بعيدة عن النمط اللغوي لمجموعة معينة من المتعلمين، فإن التمكنات اللغوية نفسها ستصبح عامل إقصاء لهؤلاء المتعلمين من العملية التعليمية، ولعلها الظاهرة التي أطلق عليها **بورديو** وصف " العنف الثقافي أو الرمزي". **(بدران و البيلاوي، 2003 ، ص 127)**

وخلافا للوهم التربوي الذي كان سائدا، والذي يعتبر عملية التواصل ضمن العلاقة البيداغوجية تقتصر على النقل البسيط للمعارف، يشدد **بورديو** على أن واقع كل فعل بيداغوجي هو عملية فرض ثقافية معينة بكل تجلياته الرمزية واللغوية، أي عملية فرض تعسفية.

خاتمة

يقول **بورديو** و**باسرون**: " إن الاعتقاد بأننا نعطي الجميع نفس الحظوظ للالتحاق بالتعليم الأكثر علوا، وبالثقافة الأكثر سموا حينما نضمن الوسائل الاقتصادية لكل أولئك الذين لهم المواهب الضرورية، فمعناه البقاء في نصف الطريق في تحليل العوائق مع الجهل بأن الكفاءات التي تقاس بالمقياس المدرسي صادرة عن أكثر من المواهب الطبيعية (التي تبقى مجرد افتراضات) لأن هناك تجانسا كبيرا بين العادات الثقافية لطبقة ما ومقتضيات النظام التعليمي أو المقاييس التي يحددها للنجاح" **(فاوبار، 2011، ص 17)**.

تنطبق مقولة الباحثان على ما تضمنته هذه الدراسة من إبراز لمفعول الفعل البيداغوجي في إنتاج ظاهرة لا تكافؤ الحظوظ وإعادة إنتاج الفئة المتمكنة من اللغة والثقافة المدرسية بدلالة الأصول الاجتماعية للمتعلمين، ذلك أن كل فعل بيداغوجي مدرسي يعمل على تورية الوظيفة الاجتماعية التي تقضي بشرعنة

التباينات الطبقية وراء وظيفته التقنية التي تقضي بإنتاج كفاءات تبدو بالنظرة السطحية أنها نتاج لفروق طبيعية وفطرية بين المتعلمين.

فليس للفعل البيداغوجي من مهمة سوى تعزيز وتأكيد هابتوس ورأسمال الفئات الاجتماعية السائدة والعمل على إعادة إنتاج العلاقات التراتبية بين الفئات السوسيومهنية على أساس اللغة، ثم إعطائها طابع الشرعية في آن واحد. فإذا كانت المدرسة بصفة عامة تكرس التفاوت الطبقي والإقصاء الاجتماعي عبر مناهجها وسلطة الاتصال البيداغوجي لمعلميها، حسب دراسة **بورديو**، فان آليات الفعل البيداغوجي المتمثلة في مقاربة التدريس وما تقتضيه من منهاج وتقويم وترميز أضحت الأداة المميزة في توسيع مدى التفاوت في التمكنات اللغوية من اللغة الأجنبية الأولى بين المتعلمين في دراستنا، بحيث يكون أبناء الفئات السوسيومهنية الدنيا معرضين للفشل أكثر من أبناء الفئات المحظوظة التي تتقن اللغة الفرنسية، والتي تجد في اللغة المدرسية امتدادا للغتها المنزلية لغة التداول اليومي، وهو ما يجعل أبناء الفئات الشعبية يجدون صعوبة في التعلم المدرسي والنجاح المهني لاحقا.

أما بالنسبة لمقاربة التدريس "**المقاربة بالكفاءات**" فقد طُرِحت بشأنها عدة إشكاليات منها ما يتعلق بالشخص المؤهل لضبط الكفاءة المطلوبة،ومنها ما يتعلق بمقاييس ومرجعيات تحديد الكفاءات، بالإضافة إلى مشكلة الوسائل اللازمة لتنفيذ هذه المقاربة وقصورها عن تحري الفوارق بين التلاميذ داخل الفصل الواحد نظرا لعامل الاكتظاظ، غياب الوسائل، وكثافة الموارد في المنهاج الذي تميز بالصعوبة والتعقيد من خلال بحثنا عن مكامنه ونسق فعالياته، ذلك أنه يمثل فعالية تربوية صامتة خفية غير منظورة وعلى الباحث أن يرصدها فيما بين السطور وما خلفها.

وبما أن المدرسة قد فوضتها الجماعة المسيطرة سلطة فرض محتويات المنهاج المطابقة فقط لمصالح الجماعة العليا المفرنسة، فإن التقويم أو الاختبارات اتضحت هي الأخرى كوسيلة انتقاء لفئة المتعلمين الذين استوعبوا هذه المحتويات، في حين أنها وسيلة إقصاء للذين لم يتكيفوا مع هذه المحتويات.

قائمة المراجع:

اولا– باللغة العربية:

ا.الوثائق الرسمية:

1- **الجريدة الرسمية** للجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية، (27يناير 2008)، العدد 04.

2- وزارة التربية الوطنية، اللجنة الوطنية للمناهج، ، (2009) ، الدليل المنهجي لإعداد المناهج، الجزائر .

3- وزارة التربية الوطنية، المنشور الوزاري رقم 1547 مؤرخ في 21 سبتمبر والمتعلق بتنصيب المنهاج المحسن للطور الثاني (السنتين الثانية والثالثة) من مرحلة التعليم المتوسط.

4- وزارة التربية الوطنية، النشرة الرسمية للتربية الوطنية، ،(مارس2010)، التقويم والقبول والتوجيه في النظام التربوي،الجزء الثاني، عدد خاص، الجزائر.

ب. الكتب:

1- العربي اسليماني، (2006)، في التعليم من اجل مقاربة شمولية، الدار البيضاء.

2- انطوني غيدنز، (دون سنة)، مقدمة نقدية في علم الاجتماع، ترجمة احمد زايد وآخرون، مكتبة الكتب العربية.

3- بيير بورديو، (2004)، أسباب عملية: إعادة النظر بالفلسفة، تعريب أنور مغيث، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان علي
المولا، ليبيا.

4- بيير بورديو وجان كلود باسرون، (2007)، إعادة الإنتاج في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم، ترجمة ماهر تريمش، المنظمة العربية للترجمة، بيروت،لبنان.

5- شبل بدران وحسن البيلاوي، (2003)، علم اجتماع التربية المعاصر، ط2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية.

6- عمراني مصطفى وآخرون، (2008) ، اللغة والتواصل التربوي والثقافي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء.

7- علي اسعد وطفة وجاسم الشهاب علي، (2004)، علم الاجتماع المدرسي: بنيوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان.

8- محمد فاوبار، (2011) ، المدرسة والمجتمع وإشكالية لا تكافؤ الحظوظ، تقديم عبد الكريم غريب، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء.

الأطروحات الجامعية:

1- خواجة بن عمر فقيه،(2009) ، مستوى تطوير إجراءات تدريس مهارة التحدث باللغة الإنجليزية وفق المقاربة التواصلية دراسة ميدانية على المدرسين المرسمين في السنة الرابعة متوسط بمدينة ورقلة ، رسالة ماجستير منشورة، جامعة قاصدي مرباح، قسم علم النفس، ورقلة.

المقالات :

1- علي أسعد وطفة، (فبراير 2015) ، الأداء الأيديولوجي للمدرسة في منظور بيير بورديو: العنف الرمزي بوصفه ممارسة طبقية في المدرسة، مجلة نقد وتنوير: مقاربات نقدية في التربية والمجتمع، إصدار خاص.

2- فتحي بن غزالة، (جوان 2018) ،تعليمية اللغة الفرنسية في المدرسة الجزائرية: الأهداف والعوائق التعليم الابتدائي انموذجا، مجلة كلية الآداب واللغات، العدد الثالث والعشرون، بسكرة.

المداخلات:

1- علي أسعد وطفة، (جانفي2013) ، اللغة والانتماء الاجتماعي: اللغة والانتماء الاجتماعي: رؤية نقدية في طروحات بازيل برنشتاين، مركز الرافدين للدراسات والبحوث الاستراتيجية، جامعة الكويت.

ثانيا– باللغة الاجنبية:

A-Livres **:**

1.Pierre Bourdieu et Jean -Claude Passeron, (1970),La reproduction : élément pour une théorie du système d'enseignement , les éditions de Minuit, Paris.

B-articles :

1.Yasmina Cherrad Bencherfa et Derradji Yacine ,(2004) , La politique linguistique en Algérie, Revue d'aménagement linguistique, N107.

The Values Underpinning National Identity

ALI GHENAM [1]
Research Professor-B- at The Research Center in Religious Sciences and Dialogue of Civilizations (DJAMAA EL DJAZAIR).
alitalib012@gmail.com

SALIHA BENACHOUR [2]
ISLAMIC FIQH AND THE NEW PROBLEMS LAB UNIVERSITY OF BATNA 1
saliha.benachour@univ-batna.dz

Abstract:

The contemporary world is witnessing profound transformations in which globalization has become intertwined with digital transformation. One of the defining features of this era is the instability of many states, along with the emergence of global citizenship that transcends national identities. As a result, the nation-state has become confronted with several risks, most notably sub-national identities, which have increasingly become tools of conflict, pathways toward extremism, and targets for various forces seeking to expand their control and influence.

In this context, the research paper seeks to address a central question relevant to the topic: What are the key values that shape national identity, and how do they contribute to building a national character that is free, independent, balanced, and open to others?

Keywords: Identity; Values; Inclusive Identity; Citizenship; Patriotism.

كتاب وقائع المؤتمر الدولي الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير
تحت شعار ● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-11/07/2026

القيم المؤطرة للهوية الوطنية

الدكتور علـــي غنـام[1]
أستاذ بحث قسم ب بمركز البحث في العلوم الدينية وحوار الحضارات (جامع الجزائر)
alitalib012@gmail.com
صليحة بن عاشور [2]
مخبر الفقه الإسلامي ومستجدات العصر جامعة باتنة1، الجزائر
Saliha.benachour@univ-batna.dz

ملخص:

يشهد العالم تحولات عميقة تشابكت فيها العولمة مع التحول الرقمي، ومن سماته عدم استقرار كثير من الدول، وبروز المواطنة العالمية التي تجاوزت الهويات الوطنية، فأصبحت الدولة الوطنية محاصرة بعدة مخاطر، أبرزها الهويات الفرعية التي صارت أداة للصراع، ومنزلقا نحو التطرف، وهدفا لعدة قوى لبسط السيطرة والنفوذ.

في هذا الإطار ستحاول الورقة البحثية الإجابة عن إشكالية محورية ذات الصلة بالموضوع مفادها: ماهي أهم القيم المؤطرة للهوية الوطنية؟ وكيف تساهم في بناء الشخصية الوطنية الحرة المستقلة المتوازنة والمنفتحة على الآخر؟

الكلمات المفتاحية: الهوية، القيم، الهوية الجامعة، المواطنة، الوطنية.

مقدمة:

يشهد العالم المعاصر تحولات عميقة تشابكت فيها العولمة مع التحول الرقمي، ومن سماته عدم استقرار كثير من الدول، وبروز المواطنة العالمية التي تجاوزت الهويات الوطنية، فأصبحت الدولة الوطنية محاصرة بعدة مخاطر، أبرزها الهويات الفرعية التي صارت أداة للصراع، ومنزلقا نحو التطرف، وهدفا لعدة قوى لبسط السيطرة والنفوذ.

في هذا الإطار ستحاول الورقة البحثية الإجابة عن إشكالية محورية ذات الصلة بالموضوع مفادها: ماهي أهم القيم المؤطرة للهوية الوطنية؟ وكيف تساهم في بناء الشخصية الوطنية الحرة المستقلة المتوازنة والمنفتحة على الآخر؟

لقد تناولت الورقة البحثية الموضوع ضمن خطة تتألف من مقدمة وخاتمة ومطلبين، تناولت المقدمة أهم العناصر المنهجية؛ كإشكالية البحث ومنهجه وأهميته وأهدافه، وتناول المطلب الأول ضبط مصطلحات البحث، وتكفل المطلب الثاني بتسليط الضوء على أهم القيم المؤطرة للهوية الوطنية، وتضمنت الخاتمة تلخيصا لما ورد في مضمون البحث، مع الإشارة إلى أبرز النتائج المتوصل إليها، وتقديم اقتراحات ذات الصلة بموضوع البحث.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية هذا البحث حول معالم القيم المؤطرة للهوية الوطنية من خلال التساؤل الآتي: ماهي أهم القيم المؤطرة للهوية الوطنية؟ وكيف تساهم في بناء الشخصية الوطنية الحرة المستقلة المتوازنة والمنفتحة على الآخر.

منهج البحث:

المنهج السائد في هذا البحث هو المنهج الوصفي والتاريخي بآلياته المختلفة؛ وذلك لكونهما يساعدان على حسن فهم الظواهر الانسانية والاجتماعية، والدقة في تحليلها.

أهمية البحث

— يسهم البحث في إثراء المعرفة العلمية حول العلاقة بين القيم المؤطرة للهوية الوطنية، والاستفرار والتماسك الاجتماعي.

– تقديم توصيات علمية لإثراء البرامج والمشاريع والمبادرات لدى صانع القرار، بالإضافة إلى تنوير الرأي العام.

أهداف البحث:

– ضبط المفاهيم المعرفية في البحث.

– تسليط الضوء على أهم القيم المؤطرة للهوية الوطنية.

– استشراف الرؤية المستقبلية للهوية الوطنية في ظل التحولات العالمية المتسارعة.

– بناء المواطن المعتز بهويته الوطنية، والفادر على التفاعل والمشاركة في الحضارة الإنسانية.

أولا: ضبط مصطلحات البحث

1 مفهوم الهوية الوطنية

1.1 مفهوم الهوية:

إن لفظ الهوية في أغلب معاجم اللغة العربية يدور حول معنى السقوط من علٍ، أو معنى القعر والبئر؛ لآنه مشتق من الفعل هوى، يهوي، مصدره: هوة، والهوية تصغير لهوة، فحسب ابن منظور "أنه قيل: هوية، أي: بئر بعيدة الهواة (ابن منظور، 1414 هـ، صفحة 375/15، والبوني، 1984).

كما أن اللفظ مركب صناعي يتكون من ضمير الغائب "هو"المعرف بأداة التعريف " **أل** "ومن اللاحقة المتمثلة في الياء المشددة وعلامة التأنيث، والهوية يقابلها في الإنجليزية **Identity** وفي الفرنسية **Identité**، ومعناه الشيء نفسه، أو الشيء ما هو عليه، أي الشيء له الطبيعة نفسها لا الشيء الآخر؛ ومعناه حقيقة الشيء من حيث تمييزها عن غيرها، وتسمى أيضا هوية الذات (بن–دادة، 2025، صفحة 409).

كما أن الهوية مصطلح متداول استخدمه العديد من علماء الاجتماع لشرح معتقدات وسلوك الفاعلين الاجتماعيين (Gérald, 2002, p. 263).

وأما الجرجاني في التعريفات، فقد ميز بين الماهية، والهوية، والذات، والحقيقة، والجوهر قي قوله: "الأمر المتعقل من حيث أنه مقول في جواب ما هو يسمى ماهية، ومن حيث ثبوته في الخارج يسمى حقيقة،

ومن حيث امتيازه عن الأغيار يسمى هوية، ومن حيث حمل اللوازم له يسمى ذاتا، ومن حيث يستنبط من اللفظ مدلولا، ومن حيث إنه محل الحوادث جوهرا"(الجرجاني، 2013، ص195)، وقد استقى فلاسفة العرب كلمة الهوية من الضمير "**هو**" ليكون مصطلحا فلسفيا يدل على ما به يكون الشيء هو نفسه (شريح، 2011م، ص24)

وتعليقا على ما سبق يمكن القول: فضّل مولود قاسم مصطلح **الإنّية** على مصطلح الهوية؛ لأنها من إنّي المؤكدة للذات المثبتة للشخصية (مولود-قاسم، 2007، ص366)، ثم بين قصده بها حينما قال: "أقصد بالإنية ذلك الوعي الحاد بالذاتية والشخصية، وهي تلك الإنية التي تكلم عنها ابن سينا، وخلاصتها: الوعي الحاد بوجوده، وشعوره بذاته المتميزة، القائمة بذاتها المستقلة عن غيرها، وهذا التصور لابن سينا كان الأصل في المقولة الديكارتية المعروفة: **أنا أفكر إذن أنا موجود** (مولود-قاسم، إنية وأصالة، 1971، ص9-10).

1.2 مفهوم الوطنية:

هي شعور الفرد بالانتماء والارتباط بوطنه، وتعبيره عن ذلك الانتماء بالولاء والالتزام بحمايته، واحترام قوانينه، والعمل من أجل تقدمه، كما أنها مجموعة من السلوكيات والاتجاهات التي تظهر محبة الوطن والافتخار به (الطريفي،، 2015م، ص22).

من خلال هذا التعريف يمكن إبراز أهم مظاهر الوطنية:

- حب الوطن والاعتزاز به.
- المحافظة على وحدته وأمنه
- احترام مؤسساته ورموزه
- المساهمة في تقدمه وتنميته

الحفاظ على التراث والهوية الوطنية

1.3 الهوية الوطنية:

الهوية الوطنية هي الخصائص والسمات التي يتميز بها المواطنون داخل كل دولة، وتبرز لديهم روح الانتماء، وتوظَّف في رفع معنوياتهم لغرض تقدم مجتمعاتهم وازدهارها، وتشمل على عناصر أساسية، بعضها مادي والآخر معنوي، ويتمتع أبناء الهوية الوطنية الواحدة بنفس الحقوق، ويشتركون في الواجبات التي ينبغي

عليهم القيام بها بالصفة الفردية أو الجماعية، في مؤسسات وطنية تحمل روح العمل الجماعي لخدمة الوطن والمواطن، وتتجلى أهمية الوعي بالهوية الوطنية والالتزام بها في آثارها العظيمة الظاهرة على الفرد والمجتمع والوطن (الخضر-عبد الباقي-محمد، 2023)

وعرّفها الجابري بأنها: بناء اجتماعي وثقافي يعكس مجوعة القيم والرموز والمرجعيات التاريخية واللغوية والدينية المشتركة التي يتقاسمها أفراد المجتمع داخل إطار الدولة، وتسهم في تشكيل وعيهم الجماعي وشعورهم بالانتماء للوطن، بما يعزز وحدة المجتمع واستقراره (الجابري،1995،، صفحة 19).

وتعليقا على ما سبق يمكن القول: بما أن مصطلح الهوية حضي بتعريفات كثيرة في مختلف الحقول والميادين المعرفية، فيمكن تصورها على أنها عدة دوائر متداخلة ومتوالية يحيط أكبرها بأصغرها؛ فالدائرة الكبرى تمثل الهوية الجامعة، والدوائر الأخرى تمثل الهويات الفرعية.

2- مفهوم القيم المؤطرة

1.2 مفهوم القيم لغة:

برجع المفهوم اللغوي لكلمة القيم للفعل "قيم" وما يتصل به من معاني ودلالات في سياقات مختلفة ومواقف متعددة يمكن إيجازها في:

- أن القيمة، مشتقة من الفعل الثلاثي " قوم" الذي له معاني مختلفة. و"كلمة القيم، جمع قيمة، وقيمة الشيء ما يقوم الشيء به، وقيامة الشيء ما يسدد ذلك الشيء ويجعله قائما، بحيث يمكن أن يقوم بغيره، أو يقوم غيره عليه أو يستند إليه، وهنا يصبح جذر الكلمة ذا شعب عديدة" (محمود-نادية-وآخرون، 2010، صفحة 103)، أي أن القيمة أو القيم هي كل مقياس للأشياء المادية، وكل حكم على ما هو معنوي.

- كما أن القيم "جمع مفردة القيمة، وأصله الواو، لأنه يقوم مقام الشيء، والاستقامة والاعتدال. يقال: استقام له الأمر (الجوهري، 1390 هـ، صفحة 173) أي حسن واستوى واعتدل واستمر، وصار يسير.

- وتعني أيضا " الثمن الذي يعادل المتاع، ودرجة لأهمية النسبية له" (جران، 1978، صفحة 1241). وهذا يعود إلى اتفاق طرفين حسب الحاجة والأهمية .

– وفي المعجم الوسيط: قيمة الشيء قدره وقيمة المتاع ثمنه، فيقال ما لفلان قيمة أي ما له ثبات أو دوام على الأمر" (أنيس–إبراهيم–وآخرون، 1979، صفحة 768). بمعنى القيمة تفيد الثبات والدوام على ذلك وعدم التبديل.

وفي اللغات الأجنبية له معان متعددة ففي قواميس اللغة الإنجليزية تعرّف كلمة (Value) بأنها مفهوم يعني الشيء الثمين ذو الأهمية، ويرجع في أصله الاشتقاقي إلى الفعل اللاتيني (Valeo) الذي يدل على القوة، ومعناه الأصلي «أانا قوي» أو« أنا أتمتع بصحة جيدة» فيشمل من هذه الناحية الشجاعة والصلابة والقوة، ومعاني أخرى كالتأثير في الأشياء، والقدرة على ترك بصمات قوية عليها كما تعني الوقوف والاستواء والاعتدال وبلوغ الغاية (العوا، 1987، صفحة 216).

2.2 مفهوم القيم اصطلاحا:

وأما اصطلاحا فكلمة قيمة لها معانٍ ودلالاتٍ مختلفة تمس عدة جوانب؛ روحية، ومادية، واجتماعية، يسعى الأفراد إلى تحقيق المنفعة، وتحصيل المصلحة، ذلك أن "القيم هي جملة المقاصد التي يسعى القوم لتحقيقها متى كان فيها صلاحهم، عاجلا أو آجلا، أو إزهاقها متى كان فيها فسادهم، عاجلا أو آجلا" (عبد الرحمان، 2006، صفحة 68).

كما تعني جملة الاحكام أو التفضيلات بين بدائل متاحة أو ممكنة تشبع الرغبات وتحقق الحاجات، وفق معايير سلوكية نالت الإجماع في المجتمع. ومنه فالقيم تجلي شعور يليه إدراك معرفي–عقلي لما هو موجود في الواقع عبر السعي إلى تحقيق غايات معينة، وفق معايير موضوعية وممارسات عينية، في مقابل ردود فعل اجتماعية تبرز كدعم وتعزيز أو رفض لهذا السلوك وتلك الأفعال في مواقف محددة. وهذا ما يكرس في المحصلة ما هو فردي وما هو جماعي، والمقبول والمرفوض (الجراري، 2002، صفحة 126).

كما أنها: "هي المبادئ والمعتقدات الأساسية، والمثل، والمقاييس أو أنماط الحياة التي تعمل مرشدا عاما للسلوك، أو نقاط تفضيل في صنع القرار، أو لتقيم الأفعال والمعتقدات والأفعال، والتي ترتبط ارتباطا وثيقا بالسمو الخلقي والذاتي للأشخاص" (Halstead–MJ–Taylor, 1996, p. 14).

3.2 القيم المؤطرة للهوية

القيم المؤطرة بصفة عامة هي مجموعة المبادئ الأساسية والمعايير السامية والمثل العليا التي تتحكم في أغلب سلوك الفرد والمجتمع وتوجهه نحو التصرف المناسب، وتحدد ما يعد صحيحا ومقبولا من الناحية الأخلاقية والاجتماعية والروحية،

وأما القيم الوطنية فهي مجموعة المبادئ والمعتقدات والمعايير التي تميز شخصية المجتمع عن غيره من المجتمعات، وتوجه سلوك أفراده، وتشمل حب الوطن، واحترام القانون، والمشاركة المجتمعية، والاعتزاز بالهوية (زيدان–علي، 2016، صفحة 221).

فالقيم الوطنية إذا مرتبطة بالوحدة الوطنية، والاعتزاز بالوطن، واحترام مؤسسات الدولة ورموزها، والتضامن والتعايش مع أفراد المجتمع، والتنوع الثقافي لدى مكونات الجماعة الوطنية.

وتكمن أهميتها في كونها ضرورة لتعزيز الهوية الوطنية، وتوجيه السلوك الايجابي، وبناء مجتمع مستقر ومتماسك، وتسهم في تحقيق الأمن الفكري والاجتماعي، وترسيخ المواطنة الايجابية لدى أفراد المجتمع.

ثانيا: أهم القيم المؤطرة للهوية الوطنية

من أهم القيم المؤطرة للهوية الوطنية ما يلي

1 القيم الروحية

إن عنوان هذه القيم هو الدين باعتباره فطرة في النفس البشرية، يسعى الانسان دوما للاستناد إلى قوة روحية عندما يتعرض للتحديات الصعبة.

عندما تعرض الشعب الجزائري للاستعمار الفرنسي حولت فرنسا مساجده إلى كنائس واسطبلات لخيولها، وحاولت فرض المسيحية كديانة رسمية في الجزائر، لم يجد الجزائريون أماكن يمارسون فيها عبادتهم سوى بيوتهم، ولم تكن لهم وسائل ليتفقهوا في دينهم سوى التي ورثوها عن أجدادهم، في ظل هذا البلاء الذي حل بالجزائر كان الدين هو موقظ النفوس من سباتها، والحافز على مقاومة الاستعمار.

يقول مولود قاسم: أثناء مقاومة الاستدمار الفرنسي ولاسيما في مرحلته الأخيرة – حرب التحرير الوطني – كان الإسلام بمثابة الحافز للطاقات والعقليات بهدف تحريك أبناء هذه الأمة الذين يرجع الحفاظ على شخصيتهم إلى مبدأ الجهاد في االإسلام (مولود-قاسم، أصالية أم انفصاليه، 2013، صفحة 5).

لقد أدركت فرنسا هذا الأمر، فعملت على تجميد الهيئات الإسلامية والجمعيات والزوايا، وحتى التي بقيت تمارس نشاطها في ذلك الوقت، فرضت عليها فرنسا تحفيظ القرآن دون تفسيره؛ حتى لا تتعرض لتلك الآيات القرآنية التي تحث على الجهاد ورفع الظلم واسترجاع الحقوق.

إن الإسلام كمنهج رباني يدعو إلى العدل والاستقامة، ونبذ الظلم والتطرف، يكون دوره في حياة الشعوب المؤمنة به بمثابة الروح الذي يقوي فيها الشخصية (مولود-قاسم، نفس-المرجع، صفحة 256).

وخلاصة القول: إن الإسلام الذي عزز الإحساس بالهوية الدينية لدى الشعب الجزائري، هو نفسه الذي كان الرافعة القوية للشعور بالهوية الوطنية التي جعلت من الفرد جزءًا من الكل، يشترك مع غيره من أبناء وطنه في الأرض واللغة والثقافة والتاريخ والمصير المشترك ويضحي في سبيل وطنه، بدليل شعار انطلاق الثورة التحريرية ليلة أول نوفمبر "**عقبة – خالد**".

2 القيم الثقافية

إن العنوان الرئيس للهوية الثقافية هي اللغة؛ لأنها وعاء حفظ التراث الثقافي والحضاري لأي مجتمع ونقله من جيل لآخر، فهي ظاهرة اجتماعية وثقافية، كما أنها نتاج للثقافة (Zhihong-pu-lue-Huang, 2018, p. 5).

وفي هذا السياق قال مولود قاسم: "إذا كانت أوربا قد قضت قرونا في العمل على التحرر من اللاتينية وتكوين لغات حديثة متفرعة عنها، فنحن لسنا بحاجة إلى هذا الجهد، فعربية ابن رشد والمويلحي، وأبي حمزة والأخضري وغيرهم صالحة التعبير عن نفس العلوم، مع إضافة الاصطلاحات المتعددة تبعا لحدوثها وتطور العلوم والآلات" (مولود-قاسم، إنّية وأصالية، 2007، صفحة 49).

فاللغة العربية حسب الباحث صالحة لكل زمان ومكان، وإذا حدث فيها التجديد فهو على مستوى المصطلحات، أما أصولها وقواعدها فتبقى ثابتة إلى الأبد.

لقد تفطنت فرنسا لهذا الأمر مبكرا فسنت قانونا مجحفا في حق الجزائريين سنة **1838** م

– أي بعد ست سنوات من الاحتلال – اعتبرت فيه أن اللغة العربية لغة أجنبية، واستبدلتها باللغة الفرنسية كلغة رسمية، وعملت على فرنسة كل المدارس، ولم تُمَارس العربية إلا في بعض الزوايا وبتحفظ، بل جعلتها لغة عامية للجزائريين الذين ما زالوا إلى اليوم تحت نير الاستعمار الثقافي الذي لن يتحرروا منه في حياتهم اليومية.

ومما تجدر الإشارة إليه في هذا السياق هو توجيه مولود قاسم رسالة نقدية صريحة فصيحة للمفرنسين الذين اعتبروا أن اللغة العربية لا تساير التطور والعلوم الحديثة، حينما قال: "نريد من البعض الإقلاع بأن العربية عاجزة عن التعبير عن العلوم الحديثة، فالعجز ليس عجز اللغة وإنما عجز الأدمغة عن التفكير"(مولود–قاسم، نفس المرجع، صفحة 51).

وخلاصة القول: أن الذي يفقد هويته اللغوية يمزق صلته بماضيه، فاللغة هي كيان الأمة التاريخي والحضاري، وبقدر أصالتها والمحافظة عليها، أو فقدانها تكون الأمة أصيلة أو مجرد أشتات، فاللغة روح الأمة، فهي ليست مجرد أداة للتعبير والتواصل، بل هي رمز وجودها واستمرارها.

3 القيم الأخلاقية

تعتبر القيم الأخلاقية مقوم للحضارات، وهي مرتبطة بالدين الإسلامي كدين يدعو إلى تأسيس القيم والسلام والخير، وأمة خالية من هذه القيم ستؤول إلى الزوال.

وأول هذه القيم **الحياء** الذي غاب عن كثير من المسلمين، فإذا " خرب الحياء، حياء أفراد الأسرة الواحدة بعضهم من بعض، حياء الأفراد في المجتمع، حياء الأمة، فسلام على الرادع الأول من ارتكاب جميع أنواع الرذائل، من الانحلال الخلقي بالمعنى الضيق، حتى السرقة والغش، وحتى الخيانة.. الزوجية منها والوطنية.. وسلام على قيم المجتمعات، وسلام على المجتمعات نفسها" (مولود–قاسم، أصالية أم انفصاليه، مرجع سابق ، صفحة 15).

إن الانحلال الخلقي في المجتمعات العربية عموما والمجتمع الجزائري خصوصا، يعيق أي تقدم أو تطور أو إقلاع حضاري، وإذا بقي الصراع بين أفراد الأمة الواحدة مهما كان شكله، فسيصنع العنصرية والطبقية وسيشتت الهوية الوطنية، كما أن مصير الهوية مرتبط بمنظومة القيم؛ فمن "الإخلال ينجم الاختلال، ومن التحلل يأتي الانحلال أبو الاحتلال" (مولود–قاسم، مرجع سابق، صفحة 15).

لقد عملت فرنسا على تجريد الشعب الجزائري من جميع قيمه، ونشر الانحلال الخلقي فيه، ومن مظاهر ذلك الفساد العقدي المتمثل في ضعف الوازع الديني، والقيام بممارسات لا أصل لها بالإسلام؛ كالتبرك بالأضرحة والقبور، والقول بأن المستعمر قضاء وقدر محتوم يجب تقبله، مما يؤدي إلى تجميد العقل، وعدم التفكير في الجهاد ومقاومة المستدمر الفرنسي.

4- الوفاء لتاريخ الوطن

إن حب الأوطان من الإيمان، والتشبع بالوطنية يدفع المرء إلى خدمة وطنه وإصلاحه من الفساد والظلم والجور، والمساهمة في تنميته وازدهاره ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا، وهذا ما فعله الكثيرون من أحرار وأخيار أبناء الجزائر؛ كمبارك الميلي، وعبد القادر الجيلالي، وأبو القاسم سعد الله، ومولود قاسم، وغيرهم ممن انبروا لهذا الواجب النبيل، فسلخوا الكثير من أعمارهم لكتابة تاريخ الجزائر؛ لأن التاريخ بالنسبة إليهم ذاكرة الأمم، وكتاب مقدس، إنه "مرآة للماضي، ومنهاج لاستخلاص التجارب، ووسيلة لغرس حب الوطن لدى الشباب، وهو الإسمنت الروحي إذ فيه الدين أيضا والإيديولوجي والسياسي، لتقوية وحدة الأمة، وتعزيز تماسكها وتوطيد أركانها، وتعميق الوعي بتلك الوحدة، وإذكاء الإحساس بذلك التماسك، مما يعطيها في الداخل تصورا واحدا للحياة، ويجنّدها ويبرزها للخارج كرجل واحد". (مولود-قاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830، 2007، صفحة 27/1)

إن تاريخ كل أمة متوقف على ماضيها، وفرنسا قطعت ماضي الجزائر، بل وجعلت الجزائر جزءا منها، كأن كل تلك الحضارات والفتوحات لم تسجل في التاريخ، وكأن الجزائر أرض بلا شعب خالية من التجارب والبطولات والإنجازات.

لقد تعرّض تاريخ الجزائر إلى التشويه والنسخ والفسخ والمسخ من طرف المستدمر الفرنسي، وإحياؤه فريضة شرعية وحتمية وطنية، فانبرى أصحاب الكعب العالي إلى التأليف؛ كأبي القاسم سعد الله في موسوعته الرائعة تاريخ الجزائر الثقافي، ومولود قاسم في كتابه شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830.

إن الإستدمار الفرنسي حسب مولود قاسم: "قد بالغ في تزوير الأحداث والوقائع التاريخية، قاصدا بذلك تعقيدنا، أي جعلنا نشعر بعقدة النقص، وإلى إظهارنا بمظهر يتامى التاريخ، دون ماض، أو

وجود كدولة وأمة، كانت لها مساهمة في الحضارة الإنسانية" (مولود–قاسم، أصالية أم انفصاليه، مرجع سابق، صفحة 268)

إن الدولة بلا تاريخ كالجسد بلا روح؛ لذا يجب على النخبة المثقفة والوطنية المسؤولة عن إدارة الشأن العام للدولة الوطنية إعادة كتابة التاريخ الوطني؛ لأن الاحتلال الفرنسي كتب تاريخ الجزائر من وجهة نظره ليبرر احتلاله.

خامسا: المواطنة

المواطنة هي علاقة عاطفية وقانونية تربط أفراد المجتمع بالدولة، وتقوم على مبدأين أساسين هما: الحقوق والواجبات، وفي سياق المصالحة والسلم الاجتماعي تعمل المواطنة الفاعلة على الآتي:

أ/ **تحقيق المساواة أمام القانون:** بضمان شعور الجميع، بغض النظر عن انتمائهم وخلفياتهم، بأنهم متساوون في الحقوق والفرص والمساءلة.

ب/تحقيق التنوع ضمن الوحدة: بالتأكيد على أن التنوع مصدر قوة وثراء للوطن وليس سببا للانقسام وأن الجامع الأكبر هو الانتماء للكيان الوطني الواحد.

وفي سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ما يؤيد اعتماد المواطنة أساسا لمعايير العيش المشترك بين مكوّنات المجتمع المختلفة؛ وذلك بتحقيق المساواة بين المواطنين في اكتساب الهوية الوطنية، التي كانت مصدرًا للحقوق، وهذا ما ظهر في وثيقة المدينة المنوَّرة التي عقدَها النبيُّ عليه الصلاة والسلام مع مكوّنات المجتمع المختلفة في بداية العهد الجديد، وإقامة الدولة وتنظيم شؤونها.

لقد كانت الهوية الدينية في المدينة مختلفة ما بين المسلمين وغير المسلمين من يهود ومشركين وغيرهم، ولكن الهوية الوطنية كانت الجامع المشترك فيما بينهم، وقد ضمنت هذه الوثيقةُ للجميع؛ من مهاجرين وأنصار وأوس وخزرج ويهود وغيرهم حقوقهم. فالوثيقةُ عَقدٌ اجتماعي أرسى قواعد الأخوَّة بين المهاجرين والأنصار، وحافظ على العيش المشترك مع غير المسلمين من اليهود وغيرهم من العرب الذين لم يؤمنوا بالرسالة بعد. وأعطتهم الوثيقةُ المساواة مع المسلمين في المصالح العامَّة، وكفَلَت لهم حقوقهم على

قاعدة التعايش مع الشريك في الوطن، المستفادة من قوله تعالى: {لا يَنهاكُمُ اللهُ عنِ الذينَ لم يُقاتِلوكُم في الدِّين ولم يُخرِجُوكُم من دِيارِكُم أن تَبَرُّوهُم وتُقْسِطُوا إليهم إنَّ الله يحبُّ المُقْسِطِين}. (الممتحنة، الآية:8)

ويؤيِّد هذا المعنى الذي تقدّم من المساواة، ما ورد في السنَّة النبوية الشريفة عن رسول الله، عليه أزكى الصلاة والسلام: « يا أيها الناس، ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ، ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على أسود، ولا أسود على أحمر، إلا بالتقوى» (الإمام-أحمد، 2001، صفحة 450/38).

إن المواطنين قد يختلفون في أعراقهم وانتماءاتهم لكن المشترك بينهم في الوطن الواحد هو المواطَنة التي تضمن للجميع حقوقهم على حدٍّ سواء.

خاتمة:

تناول البحث موضوع القيم المؤطرة للهوية الوطنية، فضبط المفاهيم المعرفية ذات الصلة بالبحث، ثم سلط الضوء على أهم القيم المؤطرة للهوية وهي:القيم الروحية والأخلاقية والثقافية والمواطنة والوفاء لتاريخ الوطن، مبرزا نموذج الشخصية الوطنية الحرة والمنفتحة على الآخر، والمعتزة بهويتها الوطنية، وخلص البحث إلى أهم النتائج المتوصل إليها وتقديم الاقتراحات، وهي كالآتي:

1- النتائج

- مصطلح الهوية له تعريفات كثيرة حسب الحقول والميادين المعرفية، لذا يمكن تصورها على أنها عدة دوائر متداخلة ومتوالية يحيط أكبرها بأصغرها، فالدائرة الكبرى تمثل الهوية الجامعة، وبقية الدوائر تمثل الهويات الفرعية.

- تكمن أهمية القيم في كونها ضرورة لتعزيز الهوية الوطنية، وتوجيه السلوك الايجابي، وبناء مجتمع مستقر ومتماسك، وتسهم في تحقيق الأمن الفكري والاجتماعي، وترسيخ المواطنة الايجابية لدى أفراد المجتمع.

- إن الهوية مرتبطة بمنظومة القيم؛ فمن الإخلال بالقيم ينجم الاختلال، ومن التحلّل منها يأتي الانحلال الذي يؤدي إلى الاحتلال.

– قد يختلف المواطنون في أعراقهم وانتماءاتهم وثقافتهم، لكن المشترك بينهم في الوطن الواحد هو المواطنة، وهي علاقة عاطفية وقانونية تربط أفراد المجتمع بالدولة، وتقوم على مبدأين أساسين هما: الحقوق والواجبات، مع ضمان الحقوق للجميع على حد سواء.

– اللغة العربية صالحة لكل زمان ومكان، وإذا حدث فيها التجديد فهو على مستوى المصطلحات، وهي ليست عاجزة عن مسايرة التطور والعلوم الحديثة، ولكن الخلل في عجز الأدمغة عن التفكير.

2– الاقترحات

– يجب على النخبة الوطنية المثقفة، ولاسيما المسؤولة عن إدارة الشأن العام، إعادة كتابة التاريخ الوطني؛ لأن الاحتلال كتب التاريخ من وجهة نظره لتبرير احتلاله وسرديته.

– العمل على تعايش وتساند الهويات الفرعية لا تزاحمها وتصارعها؛ من خلال خطة شاملة، وسردية موحدة، ورؤية مشتركة، وجعل تنوع المكونات الوطنية مصدر قوة وثراء للوطن ضمن مظلة الهوية الوطنية الجامعة.

التوثيق:

قائمة المراجع: مرتبة ومرقمة

الكتب:

1- ابن مظور محمد بن مكرم بن على أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (ت. 711هـ)، 1414 هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3،.

2- أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (ت 241هـ)، مسند الإمام أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط، وآخرون،1421 هـ - 2001 م، مؤسسة الرسالة، ط1، رقم 23489، 475/38.

3- ابراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط، ط 2، مجمع اللغة العربية، القاهرة مصر، 1979.

4- الجرجاني أبي حسن علي بن محمد، 2013م التعريفات، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط.

5- زيدان علي الاجتماع السياسي، 2016، دار المعرفة الجامعية.

6- عادل العوا، الفكر العربي المعاصر الأصول والمبادئ، المنظمة العربية للثقافة والإعلام، إدارة البحوث التربوية، تونس.

7- عباس الجراري، 2002 ، مفهوم القيم وفلسفتها وإشكالية الواقع والمثال في منظور الاسلام، من أعمال ندوة أزمة القيم و دور الأسر ة في تطور المجتمع المعاصر، الدورة الربيعية لسنة 2002 ، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة مطبعة المعارف الجديدة، الرباط.

8- الطريفي محمد، 2015م، الوطنية ومفهوم الانتماء في الفكر التربوي، مكتبة الشروق، جدة، السعودية.

9- طه عبد الرحمان، 2006، الحق العربي في الاختلاف الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 2.

10- محمد عابد لجابري،2001، مسألة الهوية: العروبة والإسلام والغرب، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبتان.

11- محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي دراسة تحليلية نقدية لنظم القيم في الثقافة العربية،نقد– العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان .

12- محمود نادية وآخرون، 2010، القيم في الظاهرة الاجتماعية، دار النشر للثقافة والعلوم، مركز الحضارة للدراسات– السياسية، أعمال الدورة المنهجية في كيفية تفعيل القيم في البحوث والدراسات الاجتماعية من 3 إلى 02/11/ 2010، جامعة القاهرة.

13- مسعود جران، 1978، الرائد، دار العلم للملايين، بيروت لبنان ج 2، ط 3.

14- مولود قاسم نايت بلقاسم، 2007، شخصية الجزائر الدولية وهينها العالمية قيل 1830، دار الأمة، الجزائر. ط2.

15- مولود قاسم نايت بلقاسم، 2013، أصاليه أم انفصاليه، ج2، دار الأمة، الجزائر، ط1.

16- مولود قاسم نايت بلقاسم،2007، إنّية وأصالية، دار الأمة، الجزائر، ط2.

17- نصر إسماعيل بن حماد الجوهري، 1390هـ، تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 2.

18- شريح محمد عادل، 2011م إشكالية الهوية في الفكر الإسلامي الحديث، دار المنهل، د.ط.

الكتب باللغة الأجنبية:

19- Gérald berthoud, histoire, philosophie et sociologie des science, librairie Droz Genève, paris, 2002, p.263.

20- Mark Halstead and Monica J. Taylor , Values in Education and Education in Values, Eric The Falmer Press, , London,1996.

21- Zhihong pu, lue Huang.l enociation de l autre et du nous dans un manuel chinois influent de français, une analyse de discours, archives contemporaines, 2018

المقالات: المؤلف(ة)، السنة، عنوان المقال، اسم المجلة، المجلد، العدد

22- البوني عفيف ،1984م، دراسات في القومية العربية والوحدة، مجلة المستقبل العربي، العدد 5، 6

23- لخضر بن دادة، 2023، تحليل سياسات الهوية الوطنية في الجزائر، المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، مجلد09 ، العدد 2.

24- الخضر عبد الباقي محمد، التطرّف وصناعة الهويات الهوية الوطنية هي الحل، المركز النيجيري للبحوث الغربية.

25- مولود قاسم نايت بلقاسم ،1971، إنية وأصالية، مجلة الأصالة، العدد1.

Treating Wet Books and Paper Documents Between Air-Drying and Freeze-Drying

Asma Karima Djamila BOUSSEDI[1]
Institute of Archaeology, University of Algiers 2, Algiers, Algeria
asma.karima.djamila.boussedi@univ-alger2.dz
Fatma BENCHABA [2]
Institute of Archaeology, University of Algiers 2, Algiers, Algeria.
fatma.benchaba@univ-alger2.dz

Abstract:

Books and paper documents are exposed to wetness caused by flood incidents and disasters, whether natural or due to technical deffect, water still among the most dangerous factors that affect libraries and archives centers, and as the effects of wetting on paper cultural resources, if not dealt with immediately, lead to the physical and chemical changes in their material components.

This research paper aims to explain the effects of water on the books and paper documents, and the signs of the damage caused, and to present methods for treating wettness. These interventions include air-drying and freeze-drying, with the aim of salvaging the items and preventing the post-water damage from worsening—which often leads to the complete loss of the material—and in an attempt to recover and preserve these cultural resources.

Keywords: books and paper documents; wetting; water effects; air-drying; freeze-drying.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

معالجة الكتب والوثائق الورقية المبتلة
ما بين التجفيف بالهواء والتجفيف بالتجميد

أسماء كريمة جميلة بوسدي[1]
معهد الآثار –جامعة الجزائر2 "أبو القاسم سعد الله"
asma.karima.djamila.boussedi@univ-alger2.dz
فاطمة بن شعبة[2]
معهد الآثار –جامعة الجزائر2 "أبو القاسم سعد الله"
fatma.benchaba@univ-alger2.dz

ملخص:

تتعرض الكتب والوثائق الورقية إلى الابتلال بفعل حوادث أو كوارث الفيضانات سواءً كانت طبيعية أم بفعل عطل فني في دور المياه أو تسربات أو مياه إطفاء الحرائق؛ ويُعد عامل المياه أخطر العوامل التي قد تصيب المكتبات ومراكز المحفوظات، إذ تؤدي تأثيرات الابتلال على الموارد الثقافية الورقية، في حال عدم التكفل بها بالمعالجة الفورية، إلى تغيرات فيزيائية وكيميائية للمكونات المادية.

تتناول هذه الورقة البحثية توضيح تأثيرات الابتلال على مكونات الكتب والوثائق الورقية ومظاهر تلفها، وعرض طرق معالجة الابتلال سواءً في حال الأعداد الصغيرة أو الكبيرة من الكتب والوثائق الورقية، وتتمثل هذه التدخلات، حسب معاينة حالة ومتطلباتها، في التجفيف بالهواء الطلق وأخرى التجفيف بالتجميد لهدف إنقاذها وتفادي تفاقم الأوضاع ما بعد الابتلال التي غالبا ما تحول إلى فقدان كلي للمادة، وسعيا لاستعادة سلامة هذه الموارد الثقافية والحفاظ عليها.

الكلمات المفتاحية: الكتب والوثائق الورقية؛ ابتلال؛ تأثيرات الماء؛ التجفيف بالهواء؛ التجفيف بالتجميد؛

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مقدمة:

يقال عن الموارد المادية الثقافية مبتلة عندما تكون قد امتصت أو تشربت بمياه، عادة ما تكون مصدرها الرئيسي فيضانات تسببها الأمطار الغزيرة عالية المنسوب وتأثيرها على منسوب الأنهار وسوء نظام تصريف مياه الأمطار أو نظام تصريف لم يتحمل المنسوب العالي من المياه، وأخرى مصدرها حادث انهيار غالبًا ما تحدث تسربات في الأنابيب أو انكسارات في شبكات تزويد المياه أو الصرف الصحي، أو تسربات مياه الأمطار، او مياه إطفاء الحرائق؛ كل هذه العوامل تصيب وبشكل مباشر الرصيد المخزن في غالب الأحيان في الطوابق السفلية أو تحت مستوى بنايات المكتبات ودور المحفوظات.

ويُعد التخطيط لحالات الطوارئ والمخاطر جزءًا أساسيًا من إدارة المخاطر لأي مؤسسة لمجموعاتها أو محفوظاتها، إذ تسلط هذه الورقة البحثية الضوء على طرق استعادة ومعالجة حالات الابتلال التي تتعرض لها الكتب والوثائق الورقية، ولقد تم اختيار — الورق– المادة الأساسية المكونة لهذه الفئة من المحفوظات كونها الأكثر استعمالا وحساسية في نفس الوقت، لذا إدراكا لأهمية وجدية الموضوع من ناحية حماية وحفظ هذا المورد الثقافي الحساس من حوادث عامل المياه الذي غالبا ما يكون الضرر قد أصاب مجموعات وأعداد كبيرة من الرصيد الكائن في أي مؤسسة.

وعلى هذا، نتناول في هذا البحث توضيح تأثيرات الأضرار المتوقعة من ابتلال الكتب والوثائق الورقية، وأهم مظاهر التلف والإجراءات المسبقة فور وقوع الحادثة مع التركيز على طرق استعادة ومعالجة الأوضاع قبل تفاقمها وذلك بتدخلات التجفيف بالهواء أو التجفيف بالتجميد حسب الحالات بغية توضيح أي تدخل الأنفع والأنسب لإنقاذ المجموعات؛ وربّما تقديم هذه الطرق ليست إلا حلول عملية آنية لأي ظرف حادثة أو كارثة طبيعية إلا أنها تبقى ضرورية، ويمكن لأي مؤسسة أن تتبناها في مخططها الاستعجالي استعدادا لمخاطر الفيضانات و/أو تسرب المياه.

أولا: تأثيرات الماء على ورق الكتب والوثائق:

1. عنصر الماء في مكونات الكتب والوثائق الورقية:

إنّ معظم مكونات الكتب والوثائق الورقية عبارة عن مواد مسترطبة (Hygroscopic)، وبما أن مادة الورق هي بنسبة عالية المكون الأساسي لها، فمن الضروري إدراك أن عنصر الماء في مكونات ورق يكون في ثلاثة أشكال:

- **ماء التشكيل:** تكون مرتبطة بالمادة بفعل روابط كيميائية قوية، بحيث لا يمكن ازالتها دون احداث تغير جذري في الكتب والوثائق؛
- **ماء المثبت:** تواجدها في الشعيرات الدقيقة لمركبات الألياف يتسبب في انتفاخها؛
- **ماء الحر:** وهو الماء الفائض الذي تحتفظ به المادة الليفية بعد تشبعها بماء الألياف، وتكون مجزأة في الفراغات الخلوية (Flieder (F), 1999, p 99.).

2. تفاعلات الورق مع الماء ومظاهر التلف:

- **الامتصاص والانتفاخ:**

يظهر انتفاخ الكتب بشكل أساسي خلال الساعات الثماني الأولى التي تلي الفيضان، ونظرًا لأن جسم الكتاب والغلافين ينتفخان أكثر من مادة التغليف، فإن التوترات الناتجة عن ذلك تجعل ظهر الكتاب مقعرًا وحافة الغلاف محدبة إلى أن ينفصل الغلاف جزئيًا أو كليًا بسبب هذا التوتر (McClearly (J-M), 1987, p 2.)؛ كما أن الورق في حال تعرضه للرطوبة المفرطة، خاصة في حالة تبلّل، تتعرض أليافه في نفس الوقت لانكماش وتراجع طولي وعرضي ليصبح بنيويا وشكليا يتميز بملمس متلبد ناعم وصوفي (الشكل: 1)، فالورق عندما يتأثر بالرطوبة، يمكن أن يتدهور إلى درجة تجعله يبدو مثل قماش اللباد عند لمسه لذا أطلق على هذا النوع من مظهر تلف الورق بظاهرة اللبادة (Felting) (Van der Most (P) & al., 2010, p 124.).

- **تلاصق الأوراق:**

عندما يجف كتاب أو وثيقة، فإنه يفقد الماء من خلال سطحه؛ ثم ينتقل الماء صعوداً نحو السطح، حاملاً معه مواد مذابة مثل الأصباغ والأحماض، ويؤدي ذلك إلى جعل حواف الصفحات هشة والتصاقها

لبعضها البعض، كما أن ترك الكتاب على هذه الحالة يؤدي إلى تفاقم تدهور حالة الورق (McClearly (J-M), 1987, p 3.)، وأحيانا التلف يكون مضاعف إذ ان الكتاب كله يلتصق ويصبح كتلة واحدة (Stuck sheets) (الشكل: 1)، وتُعد من أخطر عواقب إصابة الكتب والوثائق الورقية بالماء (Van der Most (P) & al., 2010, p 134.)

الشكل 1: مظاهر تلف الكتب المبتلة: ظاهرة اللبادة وتلاصق الأورق



ظاهرة اللبادة



أوراق ملتصقة في كتلة واحدة

المصدر: Van der Most (P) & al., 2010, Archives damage atlas, Metamorfose, pp 126, **هجرة** 136.

الأحبار والألوان:

تحتوي بعض الأحبار المخصصة لأقلام الحبر السائل على كبريتات الحديد وحمض التانيك، مما يجعلها ثابتة وغير قابلة للمحو، إلا أنها قد تتلطخ أو تسيل عند تعرضها للماء قبل أن تكتمل عملية أكسدتها؛ وفي المقابل هناك أحبار أخرى ليست سوى محاليل مخففة من الملونات الاصطناعية؛ وتجدر الإشارة إلى أن معظم الكتب والوثائق المحفوظة في مراكز المحفوظات (الأرشيف) مصنوعة من ورق غير ملون، بينما تحتوي الوثائق الحديثة على ملونات لتحسين مظهرها، وتتمثل هذه الملونات أساساً في أصباغ ملونة ومواد تلوين قابلة للذوبان في الماء (McClearly (J-M), 1987, p 4.).

- **إصابة ميكروبيولوجية:**

يبدأ العفن بالنمو والانتشار على الكتب والوثائق المبتلة أو الرطبة في غضون 72 ساعة (أحيانا أقل) من تضررها بالمياه، وفور توفر الظروف الملائمة من وسط مغذي (ورق، جلد)، درجة حرارة مناسبة (عموما

أعلى من 24م°)، ونسبة رطوبة مرتفعة (عموما أكثر من 65 %)، وعلى الرغم من أن الورق يحتوي أحيانا على مواد راتنجية وأصباغ تضاف خلال مراحل الإنتاج، بالإضافة إلى شوائب متنوعة يمكن أن تتغذى عليها الكائنات الدقيقة (McClearly (J-M), 1987, pp 2, 3.)، إلا أن سليلوز الورق يُعد وسطاً غذائياً ممتازاً لأنواع معينة من الفطريات، إذ تنمو العديد منها على سطح الورق، خاصة إذا كان السطح حمضيا نوعاً ما، وبمجرد تأثر السطح، يسهل نمو الفطريات، مما يؤدي إلى تلف الورق تلفاً لا يمكن إصلاحه في غالب الأحيان، فمن بقع صغيرة وتغيرات اللون، تشبه البقع البنية المعروفة بـ Foxing، وبقع ذات ألوان خافتة؛ إلى ظهور ثقوب (الشكل: 2) أو انفصال أجزاء من الورق وتلبده وتكتله نتيجة تحلّل السليلوز (Van der Most (P) & al., 2010, pp 128, 129.).

الشكل 2: تغيرات لونية وبقع وثقوب بسبب نمو العفن على ورق تعرض للابتلال



المصدر: Van der Most (P) & al., 2010, Archives damage atlas, Metamorfose, pp 130, 132.

- **آثار التبليل:**

هي عبارة عن آثار التبليل تظهر من جراء تشرب سطحي أو جزئي للورق، فتظهر غالبا على شكل بقع تحددها هالات ((Auréoles (fr) / Water ring (en) ، تأخذ اللون أصفر قاتم إلى بني عن الورق المصاب.

- **عامل الزمن:**

تتسبب الفيضانات في إلحاق أضرار بالكتب والوثائق الورقية، مثل تشرب المياه ونمو العفن، والانتفاخ، وانتقال الأحبار، وتتفاقم هذه الآثار بمرور الوقت، مما يجعل عمليات الإنقاذ أكثر صعوبة وتكلفة؛ وتُعد

عملية التثبيت بالتبريد حلاً فعالاً لإطالة الفترة الزمنية المتاحة للتعامل مع الموقف (McClearly (J-M), 1987, p 4.).

- **انتفاخ التجليد:**

هذا العنصر ينبغي إضافته كون العديد من الكتب يتعرض تجليدها للضر بفعل الماء، فانتفاخ جلد أو كرتون (ورق مقوى) التجليد من جراء تشربه للرطوبة حتى التشبع، وفي حال امتزاز تلك الرطوبة في ظروف تجفيف عفوي (غير مراقب علميا) فإنها تحدث تشوهات: اعوجاج، تحدُّب، و/أو تجعُّد.

3. درجة إصابة الكتب والوثائق الورقية بالابتلال:

علميا يكون تصنيف درجة الضرر تعرض الموارد الثقافية المادية للابتلال بسبب المياه حسب حجم الإصابة، فالمبتلة تعني من رطبة إلى مبتلة جزئيا إلى مبتلة حتى التشبع والسيلان.

وعموما، تصنف أضرار الكتب والوثائق الورقية التي تتعرض للابتلال إلى أربعة أصناف، نذكرها حسب درجة خطورة إصابتها:

- كتب ووثائق رطبة تعرضت لتشريب جزئي أو سطحي، وتظهر عليها أثار التبليل على الأطراف والحواف؛ مما يفسر إمكانية مناولة الورق؛
- كتب ووثائق مبتلة لدرجة سيلان الماء منها، فتصبح ثقيلة الوزن، والأوراق ملتصقة ببعضها البعض؛
- كتب ووثائق ملطخة بوحل جاف؛
- كتب ووثائق رطبة أو مبتلة ملطخة بوحل (BnF, 2007, p 5.).

وسوف نركز على فئة الكتب والوثائق الورقية الرطبة والمبتلة لخصوصية طرق معالجتها، أما الفئة التي تتعرض للمياه الملطخة والمخلوطة بالوحل، فيتم شطف الكتب الملوثة بالوحل باستخدام ماء نظيف، ويُعد حوضان مائيّان للغسل، يُحافظ على الكتاب مغلقًا، ويُغمس في الماء النظيف، ثم يُضغط بين المناشف لإزالة الرطوبة الزائدة (Striegel (M. F), 2020, p 2)، وبعدها يمكن معالجتها مثل فئة الرطبة أو المبتلة حسب حجم الضرر.

ثانيا: معالجة الكتب والوثائق الورقية المبتلة:

تتمثل معالجة الكتب والوثائق الورقية المبتلة في عملية التجفيف لإزالة الماء والرطوبة التي تعرضت لها أثناء تعرضها للغمر أو الامتصاص بفعل خاصيتها االمسترطبة، وتشمل بعض التدخلات التي من خلالها سوف نحدد أهميتها وضرورتها حسب الحالات، في تدخلات مسبقة وضرورية.

1. **التدخلات المسبقة لعملية معالجة الابتلال:**

الماء عامل تلف يسبب أضرارًا كبيرة، وغالبًا ما يتعين إلى التدخل فور إتاحة الأمن والسلامة لموظفين وسؤولين إدارة المتاحف ودور المحفوظات والمكتبات قبل اللجوء إلى معالجات مكثفة لتجفيف الموارد التي تعرضت لغمر المياه أو إزالة الرطوبة من تلك التي في حالة سيئة، وتشمل عملية إنقاذ المجموعات فور وقوع الحادثة إجراءات أولية، واحتياطات، وإجراءات الإخلاء، نوضحها في النقاط التالية:

- الإجراءات الأولية: كإجراء أولي، ينبغي تأمين المنطقة المتضررة من الفيضان ومراقبة وتسجيل أي تحركات للموظفين في المنطقة المتضررة، كما ينبغي استشارة مهندس إنشائي بسبب التغيرات التي طرأت على الاستقرار الهيكلي للمبنى، وإجراء عمليات مناولة ومعالجة الموارد المادية تحت إشراف أخصائي حفظ وترميم؛
- الاحتياطات: توقيف تشغيل الأجهزة، وعدم دخول الغرف إلى بعد الحصول على إذن من فرق الطوارئ مع توخي الحذر في الغرف التي غمرتها المياه بسبب وجود الكابلات الكهربائية، وفي حال وجود العفن ينبغي استخدام القفازات والقناع، وتهوية المكان قبل البدء في التنظيف باستخدام مكنسة كهربائية مزودة بمرشح HEPA؛
- إجراءات إخلاء الموارد المتضررة: التقاط صور للمكان قبل نقل المعدات، وإزالة المياه الموجودة في القاعات وإخلاء ممرات المرور وطرق الوصول، ثم المباشرة في استرجاع المواد ذات الأولوية أولا، لتليها الأكثر ضررا وذلك بإحضار صناديق النقل بالقرب منها، ونقلها إلى منطقة انتقالية، مكان للفرز أو مكان احتياطي، ليتم اختيار المعالجة المناسبة تحت إشراف أخصائي حفظ وترميم (Dal Falco (M), Mercantini (J. C), 2018, pp 07.).

2. المعالجة بالتجميد:

التجميد هو أول خطوة ينبغي اتخاذها لضمان الاستقرار للكتب والوثائق المبتلة هو المباشرة بالتجميد خاصة إذا لم تتوفر الظروف المناسبة والمعدات اللازمة للتجفيف، هذه الخطوة تعدّ وقائية مؤقتة، بحيث تهدف لتحقيق استقرار فوري وسريع للمجموعات الورقية المبتلة لإبطال و/ أو إيقاف أي تشوه فيزيائي وأي انتشار للعفن.

وحدث أن هناك بعض التجارب التي استعملت فيها هذه الطريقة لإنقاذ العديد من الكتب من الزوال والاندثار في حالات حوادث عامل المياه، وما شد انتباهنا هو أن معظم التدخلات كانت خارج أي خطة استعجالية للمؤسسة المتضررة، لكن تظافر جهود المجتمع المدني والسلطات والهيئات المتخصصة مع مساعدة مؤسسات تجارية بخزانات وحاويات التجميد جعلت المؤسسات المتضررة تباشر في نقل الكتب أو الوثائق المبلّلة بالمياه، سواء كانت مياه تسريب أو مياه اخماد النيران، إلى المجمدات ووضعها في درجة الحرارة – 30 م° (McCleary (J. M), 1987, p 22).

كما يمكن للمجمدات الخالية من الجليد – وهي المجمدات التي تحتوي على دورات تذويب تلقائية منتظمة – تجفيف الكتب المبللة بنفس العملية التي تسبب «حروق التجميد» في الأطعمة المجمدة؛ ولهذه الحالة، يجب عدم لف الكتاب بالبلاستيك، للسماح للماء بالتبخر، فقد تستغرق عملية التجفيف أسابيع إلى ما يزيد عن عام بكثير، اعتمادًا على سماكة الكتاب ومدى رطوبته؛ ويمكن أن يساعد ترك الكتب شديدة الرطوبة لتصريف الماء منها قبل تجميدها في تسريع هذه العملية.

3. معالجة الوثائق الورقية الرطبة والمبتلة:

في كلتا الحالتين، تشمل هذه الفئتين الوثائق الورقية التي تعرضت لابتلال جزئي أو سطحي حتى أصبحت رطبة، ولابتلال بتشبع لتصبح مبتلة، وبالتالي فإنها تتطلب عناية خاصة تتمثل في المباشرة بعملية التجفيف وفق خطوات مدروسة التالية:

- **الحد الزمني للتدخل:** ينبغي أن يكون التدخل فوري لمنع نمو العفن وظهور الحشرات؛

- **تحفظات المناولة**: نظرا لحساسيتها وثقل وزنها بسب الابتلال والرطوبة الزائدة، فيستحسن عدم مناولتها بين إصبعين من الزوايا العلوية كما جرت العادة؛ وينبغي استخدام مواد ماصة بيضاء (ورق نشاف) أو قماش بوليستر غير منسوج؛
- **التدخلات الأولية في الموقع**: يجب تهوية المكان، ثم المباشرة في إخراج الوثائق من أغلفتها (العلب، الأغلفة الورقية أو المصنوعة من البوليستر، المجلدات الخ)، ثم توضع الوثائق بشكل مسطح بين مواد ماصة بيضاء، أو ورق نشاف (الشكل: 3)، أو قماش بوليستر غير منسوج، وتجنب تكديس أكثر من عشرة وثائق.
- **التحضير للتحويل والنقل**: توضع الوثائق بشكل مسطح مع دعامتها الماصة البيضاء على رفوف تجفيف متحركة، أو طاولات متحركة (الشكل: 3) أو عربات لا يتجاوز عرضها الأبواب لتسهيل التنقل، ويمكن إنشاء رزما صغيرة إذا كان عدد الوثائق كبيرا؛ كما يمكن استخدام صفائح داعمة من البولي بروبيلين (Polypropylene).
- **الترتيبات الأولية**: يستبدل ورق النشاف، ثم يوضع بين الألواح مشكلا رزما صغيرة، ولتسهيل إعادة تسوية الوثائق (إذا لم تكون منقوشة)، وتوضع بعض الأوزان الخفيفة فوق كل رزمة مع استبدال ورق النشاف يوميا لمدة ثمانية أيام تقريبا (BnF, 2007, p 12.).

الشكل 3: طريقة تجفيف الوثائق الورقية مسطحة أو معلقة (نشر الغسيل) مع ادراج بين الورقتين ورق النشاف



المصدر: Bouvet (F), Quenèsière (A), 2007, Le Séchage à l'air, BnF, p 3.

4. معالجة الكتب المبتلة والرطبة:

الماء عامل تلف يسبب أضرارًا كبيرة. وغالبًا ما يتعين اللجوء إلى معالجات مكثفة لتجفيف الكتب التي تعرضت لغمر المياه أو إزالة الرطوبة من تلك التي في حالة سيئة.

معالجة الكتب الرطبة بالتجفيف بالهواء:

يتم اللجوء لهذه التقنية كتدخل استعجالي وفوري لمعالجة الكتب الرطبة والمبتلة جزئيا، وتتم العملية مباشرة بعد اجلاء المجموعات المتضررة، مع توفير بيئة مستقرة تتمثل في درجة حرارة ما بين 18 و20 م° ورطوبة نسبية أقل من 55 %، كما يمنع استعمال هواء ساخن إذ يؤدي إلى التجفيف السريع وبالتالي اعوجاج؛ توضع الكتب عشوائيا لتفادي السقوط، وتفتح بزاوية لا تتعدى الزاوية 45°؛ ثم يدرج ورق النشاف (Blotting paper) بالتناوب بين الصفحات بسمك ما بين 5 ملم إلى 10 ملم (الشكل: 4)، بتجاوز حواف الورق لحواف الكتاب على مستوى الحافة الأمامية حتى يتمكن من امتصاص الماء ويسهل تصريف وإفراغ الماء المنقول بالخاصية الشعرية؛ لذا يستحسن استعمال أوراق النشاف نظرا لمتانتها المعتبرة مما يساعد على إبقاء الكتاب مفتوح وقائم أثناء التدخل مع استبدالها على الأقل كل 12 ساعة، تجفيفها وبسطها لإعادة استعمالها ثانية خاصة إذا كانت نظيفة؛ كما ينبغي تغيير وقلب وضعية الكتاب مرة على مرة على حافة الرأس لتفادي اعوجاج أثناء التجفيف؛ وتوضع المروحة (جهاز التهوية) أو مراوح (الشكل: 5) على بعد 80 سم من أول صف للكتب قيد العلاج، وتُبَدَّدُ الكتب بتدفق هوائي من أعلى إلى أسفل (Bouvet (S), Quensière (A),, 2007, p 2.).

الشكل 4: تجفيف الكتب المبتلة جزئيا بالهواء الطلق: الوضعية – زاوية الفتح – ادراج الورق النشاف

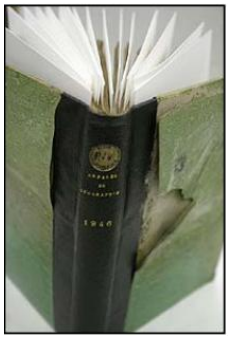



المصدر: Bouvet (S), Quensière (A), 2007, Le Séchage à l'air, BnF, pp 1, 2.

الشكل 5: توضيح الكيفية الصحيحة لاستعمال المراوح للتجفيف بالهواء الطلق

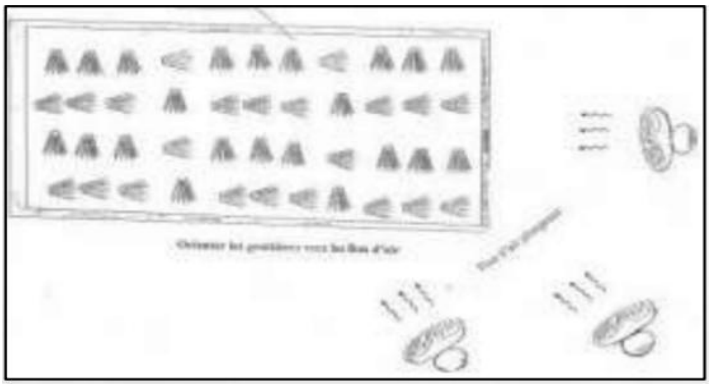

المصدر: Parchas (M. D), 2014, Plan de sauvegarde et d'urgence des fonds d'archives, BnF, p 15.

وحتى عام 1970 من

القرن الماضي إلى يومنا، استخدمت طرق تقليدية لتجفيف الكتب والوثائق الورقية المبتلة مثل وضع أوراق النشاف بين الصفحات، ورش التلك، والأشعة تحت الحمراء لتجفيف الوثائق، حسب الإمكانيات المتوفرة، ولكن كانت هذه التقنيات بطيئة وغير فعالة، بحيث تبقى الوثائق رطبة لأسابيع؛ مما أدى ذلك إلى تلف الكتب والوثائق، واختفاء الحبر، وظهور بقع ناتجة عن الرطوبة والكائنات الدقيقة؛ ولذلك كان من الضروري إيجاد طريقة تجفيف أسرع لحماية الوثائق (Flieder (F), Duchein (M), 1986, p 69.).

التجفيف بالتجميد:

يمكن للمجمدات الخالية من الجليد – وهي المجمدات التي تحتوي على دورات تذويب تلقائية منتظمة – تجفيف الكتب المبللة بنفس العملية التي تسبب «حروق التجميد» في الأطعمة المجمدة. يجب عدم لف الكتاب بالبلاستيك، للسماح للماء بالتبخر. قد تستغرق عملية التجفيف أسابيع إلى ما يزيد عن عام بكثير، اعتمادًا على سماكة الكتاب ومدى رطوبته؛ ويمكن أن يساعد ترك الكتب شديدة الرطوبة لتصريف الماء منها قبل تجميدها في تسريع هذه العملية.

يشمل التجفيف بالتجميد عدة طرق لتجفيف المواد المبتلة عن طريق نزع الماء، ويمثل التسامي/ التبخر دورا في هذه العملية، حيث يرتفع ضغط البخار، مما يجذب جزيئات الماء نحو وحدة التجميد.

كما يمكن من خلال استخدام هذه الطريقة الحصول عل نتائج تجفيف الكتب نظرا أن التجميد علميا يسعى بمرور الزمن إلى افقاد الماء من المادة، وبالتالي تصبح المادة المبتلة جافة بالتبريد؛ إلا أن التجفيد أو ما يعرف بالتجفيف بالتجميد (Lyophilisation) هو التدخل الأنسب لتجفيف المواد المبتلة، المشبعة بالماء، بحيث يمكن التحكم في العملية تقنيا وزمنيا للحصول على نتائج مرضية لا تمس بسلامة وأصالة المورد الثقافي.

معالجة الكتب المبتلة بالتجفيف–التجميد (التجفيد):

تعدّ عملية معالجة التجفيف بالتجميد (التجفيد) (Lyophilization/ Freeze-Drying) – مصطلح تقني مركب من دمج كلمتين: تجفيف وتجميد، وهي تقنية تستعمل كثيرا في مجال المحضرات الغذائية Agri-Food كالحليب، والقهوة سريعة الذوبان، وعصائر الفواكه الطازجة، والفواكه، ومجال الصيدلة...الخ.– تدخل علاجي مميز وعملي في حالة الكتب المبتلة كليا إلى درجة سيلان الماء منها. ويشمل التجفيف بالتجميد عدة طرق لتجفيف المواد المبتلة عن طريق نزع الماء، ويمثل التسامي/ التبخر دورا في هذه العملية، حيث يرتفع ضغط البخار، مما يجذب جزيئات الماء نحو وحدة التجميد. (بخار الماء) ..

الشكل 3: مراحل التجفيف بالتجميد لمواد مبتلة

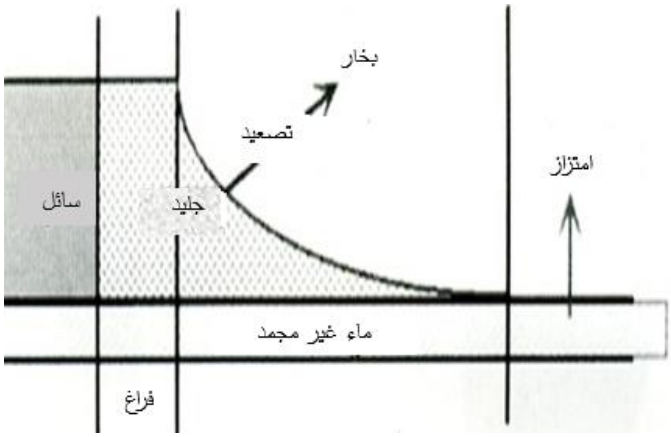

المصدر: Flieder (F), Capderou (C) (1999), Le sauvetage des livres et documents d'archives inondés, CNRS EDITIONS, p. 101.

خطوات ومراحل دورة التجفيف–التجميد (التجفيد):

لفهم ما يحدث للكتب والوثائق الورقية المبتلة بالماء عند اخضاعها للتجفيد، يجب إدراك ما تتضمن عملية التجفيف، وهي على ثلاث مراحل أساسية (الشكل: 3):

- **مرحلة التجميد:** يتم، في ضغط جوي، تجميد المواد بسرعة في درجة حرارة بين –30 و–40 م°؛ هذه السرعة جد مهمة لتفادي تشكل بلورات كبيرة داخل تركيبة الورق التي تتسبب في اتلاف مكونات المخطوط؛
- **مرحلة التجفيف الأولي:** هي مرحلة تصعيد الجليد، ولكي يحدث هذا التصعيد يجب أن يكون الضغط الجزئي لبخار الماء المحاط بالعينة أقل من ضغط التوازن جماد–بخار، في درجة حرارة معينة؛

مرحلة التجفيف الثانوي: هي عملية امتزاز(Adsorption) لماء التشكيل في المرحلة الأخيرة من التجفيد أين تكون العينة خالية من الجليد، ولكي يحدث هذا يجب، من جهة أن ترفع درجة الحرارة

ضمن نطاق المعالجة، ومن جهة أخرى يكون الفرق بين ضغط بخار ماء التشكيل للعينة والضغط الجزئي لبخار ماء المناخ كافيا (Flieder (F), Capderou (C), 1999, pp 99, 100.).

تتمثل معالجة الكتب المبتلة في تدخلات معالجة فورية حسب الحالات والظروف والامكانيات المتوفرة (الشكل: 6)؛ وعلى هذا فإن التجفيف بالهواء يعدّ من أول تدخلات أي مؤسسة تسعى لإنقاذ مجموعاتها من خطر التصاق الصفحات وتشوه الورق والتجليد.

الشكل 5: المراحل الثلاث للتجفيف بالتجميد (التجفيد)

الشكل 6: جهاز التجفيد (التجفيف بالتجميد) ومجموعة من الكتب قيد المعالجة





المصدر: Anonym, 2006, Préparation des documents à la lyophilisation, Cosadoca, sp.

الشكل 7: رسم بياني يوضح مراحل التجفيف بالتجميد لمادة مبتلة

خطوات ومراحل دورة التجفيف–التجميد (التجفيد):

لفهم ما يحدث للكتب والوثائق الورقية المبتلة بالماء عند اخضاعها للتجفيد، يجب إدراك ما تتضمن عملية التجفيف، وهي على ثلاث مراحل أساسية (الشكل: 8):

- **مرحلة التجميد:** يتم، في ضغط جوي، تجميد المواد بسرعة في درجة حرارة بين -30 و-40 م°؛ هذه السرعة جد مهمة لتفادي تشكل بلورات كبيرة داخل تركيبة الورق التي تتسبب في اتلاف مكونات المخطوط؛
- **مرحلة التجفيف الأولي:** هي مرحلة تصعيد الجليد، ولكي يحدث هذا التصعيد يجب أن يكون الضغط الجزئي لبخار الماء المحاط بالعينة أقل من ضغط التوازن جماد-بخار، في درجة حرارة معينة؛
- **مرحلة التجفيف الثانوي:** هي عملية امتزاز(Adsorption) لماء التشكيل في المرحلة الأخيرة من التجفيد أين تكون العينة خالية من الجليد، ولكي يحدث هذا يجب، من جهة أن ترفع درجة الحرارة ضمن نطاق المعالجة، ومن جهة أخرى يكون الفرق بين ضغط بخار ماء التشكيل للعينة والضغط الجزئي لبخار ماء المناخ كافيا (.Flieder (F), Capderou (C), 1999, pp 99, 100).

الشكل 8: المراحل الثلاث للتجفيف بالتجميد (التجفيد)

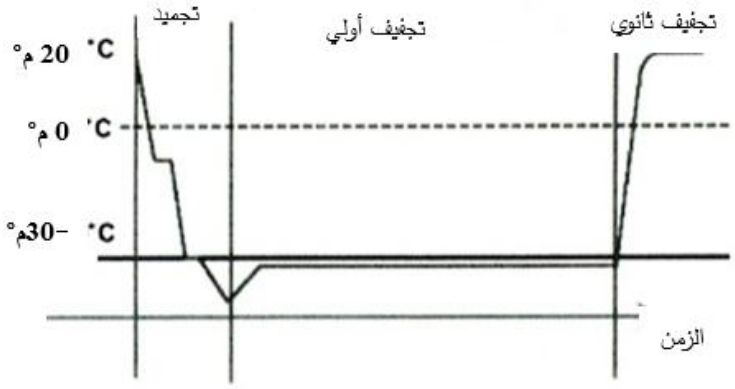

المصدر: Flieder (F), Capderou (C) (1999), Le sauvetage des livres et documents d'archives inondés, CNRS Editions, p 101.

تهدف هذه الطريقة إلى تجفيف الكتب و/أو الوثائق الورقية دون تغيير في التركيبة، على الرغم من فعالياتها في معالجة الكتب المبتلة من الورق، إلا أن جلد التجليد قد يتأثر سلباً خلال التجفيف، وعلى هذا ينبغي

مراقبة ارتفاع درجة الحرارة في المرحلة الثالثة من التجفيد وإيقافها عن درجة 0°، تغليف الكتاب بورق البولي إثيلين مع احداث فتحات لخروج بخار الماء، أو تشريب جلد التجليد غير المدبوغ بمادة تحافظ على الرطوبة وتقلل تشكل بلورات الجليد وذلك باستخدام محلول مائي لبولي إيثيلين الجليكول (PEG 200) بنسبة 30% (Flieder (F), Capderou (C), 1999, p 101.).

ويوضح (الشكل: 9) التالي الفرق بين التجفيف بالهواء وبالتجفيد لكتابين كلاهما تعرضا للغمر بالمياه:

الشكل 9: الفرق بين التجفيف بالهواء الطلق والتجفيف بالتجفيد (التجفيف–التجميد)

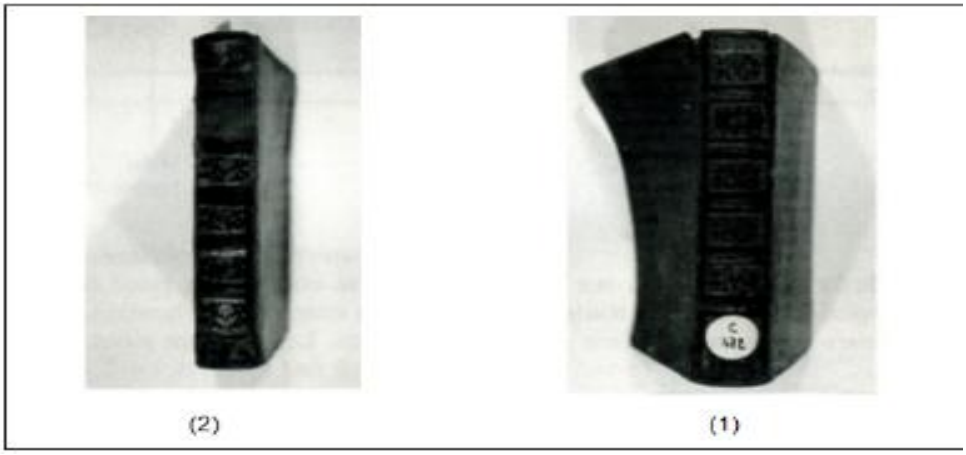

المصدر: Flieder, (F), Capderou (C), 1999, Le sauvetage des livres et documents d'archives inondés, CNRS EDITIONS, p 102.

(1) أدى التجفيف في الهواء بانتفاخ الورق وتشوه التجليد، مما تسبب في اتلاف عام للكتاب.

(2) التجفيف بطريقة التجفيد، مع تشريب التجليد بمادة PEG، سمح للكتاب اكتساب حالته الأولية.

ومع ذلك، فإن انخفاض درجة الحرارة يتسبب في انخفاض ضغط بخار الجليد، مما يقلل من قدرته على التسامي، وبالتالي يبطئ عملية التجفيف بالتجميد (الاجتفاف)، لذا نجد أن عملية التجفيف بالتجميد الفراغي (Vaccum freeze-Drying) تتغلب على هذه المشكلة باستخدام مضخة تفريغ لسحب الهواء

وبخار الماء من حاوية الجهاز مما يؤدي إلى خفض ضغط الهواء في الداخل، وعندما يقترب الضغط داخل الحاوية من ضغط بخار الجليد يزداد التسامي ويبدأ التجفيف (Cook (C), 2002, p 1.).

خاتمة:

من خلال دراسة الخيارات المتاحة لاستعادة الحالة الفيزيائية الأولية للكتب والوثائق الورقية المتضررة من الابتلال، ينبغي ألاّ تُعْرَض للتجفيف المباشر والسريع، لتفادي احداث انكسارات في الألياف وبالتالي تقصف الأوراق وهجرة الأحبار؛ وفي نفس الوقت تركها مبتلة سوف يؤدي إلى التصاق الأوراق وانتشار الفطريات والبكتريا؛ لذا يستحسن المباشرة في التجميد انتظارا لاختيار طريقة التجفيف الملائمة بطريقة التجفيف الهوائي، أو التجفيف بالتجميد (التجفيد /الاجتفاف).

كما أن التجفيف بالهواء يناسب أكثر للكميات القليلة من الكتب والوثائق الورقية الرطبة إلى مبتلة جزئيا، واستعادتها على دفعات، وقد يتسبب في تجعد الورق وتشوه الغلاف، وتعرضها لخطر العفن مرتفع جدا إذا لم تجف في غضون 48 ساعة، وأيضا احتمال سيلان الحبر نتيجة تحرك الماء السائل داخل الورق؛ كما أن العملية هذه تتطلب عمالة ومراقبة مستمرة، ولكنها منخفضة التكلفة. في حين، التدخل بالتجفيف–التجميد، فهو يناسب أكثر الكميات الكبيرة المتضررة بالابتلال الكلي، ويحافظ على شكل الكتاب بحيث التجميد يمنع تمدد الورق ويوقف نمو العفن، وفيما يخص هجرة الأحبار فهي جد نادرة لأن عملية التجفيف–التجميد في حد ذاته يحول الماء من جليد إلى بخار مباشرة، إلا أنها عملية عالية التكلفة وتحتاج أجهزة متخصصة ووقت أطول.

ونُتْبِع هذه النتائج بمجموعة من الاقتراحات نأمل تجسيدها في أرض الواقع في مؤسستنا، خاصة منها ذات إمكانيات ومهارات نوعا ما ناقصة في مجال حفظ وحماية الإرث المادي من الكوارث والحوادث، وعلى هذا نعرض المقترحات في النقاط التالية:

- إدراك إدارة المخاطر وذلك بتحديد المخاطر وتقييمها وترتيبها حسب الأولوية، ثم تخصيص الموارد بشكل منسق من أجل القضاء على/ أو التقليل من احتمالية وقوع الأحداث غير المرغوب فيها، أو تأثيرها، ومراقبتها والسيطرة عليها.

- إن اليقظة المستمرة، والصيانة الدورية المنتظمة، والتخطيط الفعال من أجل التدخل والإنقاذ السريعين سيحدان من العواقب الوخيمة للكوارث الطبيعية والحوادث التقنية، وبالتالي تفادي الحاق الضرر بالمجموعات والموارد الثقافية المحفوظة.
- ضرورة عمل شراكات مع مؤسسات الصناعات الغذائية أو أخرى التي تعمل على استعمال التجفيف بالتجميد (Lyophilization) ووضع خطة احتياطية لحالات طوارئ حدوث فيضانات أو تسربات للمياه.

وفي الأخير، نأمل أننا ساهمنا، ولو بالقليل، من خلال توضيح طرق معالجة الكتب والوثائق المبتلة إلى تسليط الضوء على أهمية وضع خطط تدخلات التجفيف في مخطط إدارة الأزمات والكوارث لمؤسسات حفظ الموارد الثقافية والتراثية.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. Bibliothèque Nationale de France (BnF), 2007, Plan d'urgence pour le sauvetage des collections en cas de sinistre, Dégâts des eaux, département de la conservation, France.
2. Flieder Françoise, Capderou (C.), 1999, Le sauvetage des livres et documents d'archives inondés, in: Sauvegarde des collections du patrimoine, CNRS EDITIONS, France.
3. Flieder Françoise, Duchein Michelin, 1986, Livres et documents d'archives : sauvegarde et conservation, Unesco, France.
4. McClearly John.M, 1987, La Lyophilisation appliquée au sauvetage des livres et documents endommagés par l'eau, Une étude RAMP accompagnée de principes directeurs, Unesco, France.
5. Parchas marie Dominique, 2014, plan de sauvegarde et d'urgence des fonds d'archives, Service interministériel des Archives de France, France.
6. Van der Most Peter, Defize Peter, Havermans John, 2010, Archives damage atlas, Metamorfose, Netherlands.

المقالات:

7. Cook Clifford, 2007, La lyophilisation des artefacts archéologiques, Notes de l'ICC 4/2, Canada.

مواقع الإنترنت:

8. Anonym (2006), Préparation de documents à la lyophilisation, Fiche technique, CosaDoca, file:///C:/Users/Crash/Downloads/Cosadoca_Consortium_de_sauvetage_du_patr.pdf (consulté: 26/08/2026)
9. Bouvet Stéphane, Quensière Anne (2007), La congelation/ La lyophilisation, Documents papier mouillés, Fiche pratique, BnF, France. https://www.bnf.fr/sites/default/files/2019-03/congelation.pdf (consulté: 26/08/2026)
10. Bouvet Stéphane, Quensière Anne (2007), Le Séchage à l'air, Fiche pratique, BnF. https://www.bnf.fr/sites/default/files/2019-03/sechage_air_0.pdf
11. Dal Falco Marie, Jean Marc Mercantini (2018), plan de sauvegarde des biens culturels-le risque d'inondation-, Institut canadien de conservation, Canada. file:///C:/Users/Crash/Downloads/guide_musees_plan_de_sauvegarde_inondation_2018.pdf (Consulté: 26/08/2026).
12. Quensière Anne (2007), L'Evacuation des documents papier, Fiche pratique, BnF, France. https://www.bnf.fr/sites/default/files/2019-03/evacuation_doc.pdf
13. Striegel Marie F (2020), Preservation in practice: Disasters: Saving wet books after flood, NCPTT, USA. (Pdf) https://www.nps.gov/articles/000/preservation-matters-disasters-saving-wet-books-after-a-flood.htm (consulté: 06/09/2026).

The Position of the Uqaylid Emirate in Mosul Towards Buyid Hegemony (380–437 AH / 990–1045 CE)

Dr. Sundus Bandar Khazaal
University of Basra / Center for Basra and Arabian Gulf Studies
Sndsbndr520@gmail.com

Abstract:

"This study examines the stance of the Uqaylid Emirate after it successfully established its rule in Mosul following a period of political instability that swept the region, which had a profound impact on their success, stability, and foundational development. The Uqaylid emirs played a pivotal role in defending their realm, undertaking the responsibility of confronting the Buyids, who had extended their control over Mosul after entering Baghdad in 334 AH / 945 CE. The Buyids sought to impose their hegemony over Mosul to expand their influence—having already controlled Persia and Kerman—and to dominate Mosul's commerce, given its strategic location overlooking major trade routes. Consequently, the Uqaylids fiercely resisted the Buyids, leading to a prolonged conflict between the two powers."

Keywords: The Uqaylid Emirate, Buyid Hegemony , Political Relations , Mosul, The Abbasid Era.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-2026/07/11

موقف الامارة العقيلية في الموصل من التسلط البويهي
(380 – 437هـ /990 – 1045م))

م.د.سندس بندر خزعل
جامعة البصرة /مركز دراسات البصرة والخليج العربي
Sndsbndr520@gmail.com

ملخص:

تناولت الدراسة موقف الإمارة العقيلية بعد أن استطاعت أن تقيم امارتها في الموصل بعد فترة من الاضطرابات السياسية التي شهدها البلد أثرت في نجاحهم واستقرارهم بالمنطقة وتأسيس إمارتهم، لعب الأمراء العقيليين دور مهم في الدفاع عن إمارتهم بعد أن أخذوا على عاتقهم التصدي للبويهيين لأنهم سيطروا على الموصل بعد أن دخلوا بغداد في سنة (334هـ/ 945م)، وقد حاول البويهيون من فرض سيطرتهم على الموصل من أجل توسيع نفوذهم بعد أن سيطروا على بلاد فارس وكرمان من جهة، ومن جهة أخرى ظهرت رغبتهم في الحصول على تجارة الموصل وذلك بسبب موقعها المطل على طرق التجارة لذلك تصدوا للبويهيين بكل قوة واستطاعة لذلك نشب صراع طويل بينهما.

الكلمات المفتاحية: الإمارة العقيلية، التسلط البويهي، العلاقات السياسية، الموصل، العصر العباسي.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-2026/07/11

المقدمة:

شهد العراق في فترة دخول البويهيون الى بغداد (334هـ / 945م) اضطرابات سياسية إذ دخلوا إلى البلاد وسيطروا على بغداد واستحوذوا على مقاليد الحكم ونجحوا في ذلك، وهذا أدى الى ضعف الخلافة العباسية وظهور عدة إمارات مستقلة عنها(مسكويه ، 2003 ، ص436). كالإمارة المزيدية في الحلة (ابن خلكان، 1994 ، ص22) والإمارة الحمدانية في الموصل وأسست هذه الامارة من قبل الحسن بن أبي الهجاء ابو محمد بعد ضعف الخلافة العباسية (333هـ /944م) وكان لدخول البويهيون إلى العراق حدوث تنافس على السلطة مع بني حمدان لسنوات طويلة انتصر فيها البويهيون اذ ضعفت الإمارة الحمدانية بعد وفاة ناصر الدولة الحمداني في سنة (358هـ / 968م) بسبب الصراعات والخلافات التي نشأت بين أبناء الإمارة الحمدانية، وقد استغل البويهيون هذا الضعف والارتباك في الدولة الحمدانية (ابن الاثير، 2006 ، ص366-400)، للقيام بالهجوم على الموصل مما دفع الأمير الحمداني أبا تغلب الغضنفر (360هـ/970م) إلى التوجه نحو دمشق والاستعانة بالعقيليين الذين كانوا يقيمون فيها وأصبحوا من أتباع الدولة الحمدانية، وقد كانت نهاية هذه المعركة هو انتصار البويهيين على الحمدانيين ودخول الموصل سنة (367هـ / 977م) (الروذواري،2003 ، ص88)، لكن هذا الانتصار لم يدم طويلاً فما أن نشبت صراعات داخلية من أجل تولي السلطة فضعفت السلطة المركزية للبويهيين في بغداد وكان أثر ذلك في ظهور الأكراد في محاولة للهجوم على الموصل والسيطرة عليها (ابن الاثير، 2006، ص402). وقد جرت على اساس ذلك معارك عديدة بين الأكراد والبويهيين، وفي سنة (377هـ/ 987م) قرر والي الموصل ابو نصر (خواشاذه) (الخطيب البغدادي، 2002، ص102)، الاستعانة بالقبائل العربية من أجل القضاء على خطر الأكراد وهنا برز دور العقيليين في الساحة السياسية بالاعتراف بهم والاستعانة بهم (الروذواري، 2003، ص88). وكان ذلك دافعاً لبروز العقيليون في التصدي للبويهين والوقوف ضد توسع حدود نفوذهم وظهور الإمارة العقيلية وظلت قائمة حتى بعد زوال التسلط والنفوذ البويهي.

شملت الدراسة على مقدمة ومبحثين وخاتمة وملاحق، تضمن **المبحث الأول:** نشوء الإمارة العقيلية ونفوذ البويهيون، وشمل **المبحث الثاني:** موقف العقيليين من التسلط البويهي

المبحث الاول : نشأة الإمارة العقيلية .

يرجع بني عقيل في نسبهم الى بني عامر وهي إحدى القبائل العربية ويعود نسب الجد الأكبر لبني عقيل نسبة الى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوزان بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان (السمعاني، 1988، ص218، المعاضيدي، 1968، ص25) . وكانت هذه القبائل تسكن في البحرين وهناك قبائل أخرى كانت معهم مثل قبيلة بني سليم وبني تغلب وكانت على صراعات مستمرة إذ لم تكن على وفاق وكانت نهاية هذه الصراعات خروج بني عقيل من البحرين والتوجه نحو العراق فدخلوا الكوفة ووسط البلاد والتوجه نحو الموصل(القلقشندي، 1980، ص213) هناك بعض الظروف والعوامل التي شهدها العراق لاسيما الاضطرابات السياسية أثرت في نجاح العقيليين وتوجههم واستقرارهم في المنطقة وساعدت أيضاً على تأسيس إمارتهم، ففي سنة (334هـ/ 945م) دخل البويهيون إلى بغداد من أجل السيطرة على زمام الأمور والتحكم في مقدرات السلطة العباسية مما أدى ذلك إلى ضعف الخلافة العباسية وظهور عدة إمارات مستقلة عنها منها المزيدية في الحلة (ابن الاثير، 2006، ص401)، والإمارة الحمدانية في الموصل اذ يرجع نسبها الى قبيلة تغلب العربية وقد استطاع أميرها (ابي الهيجاء) بعد أن ضعفت الخلافة العباسية سنة (333هـ/944م) ودخول بني بويه الى العراق وحدث تنافس شديد على السلطة بين بني حمدان والبويهيون واستمر ذلك لسنوات طويلة وكان الانتصار فيها الى جانب السلطة البويهية، اذ ضعف الإمارة الحمدانية بعد وفاة ناصر الدولة الحمداني في سنة (358هـ/968م) بسبب الصراعات والخلافات التي قامت بين أفراد الأسرة كل من حمدان وأبو تغلب الغضنفر أولاد ناصر الدولة الحمداني مما أدى الى حدوث حرب بين الطرفين انتهت بانتصار أبي تغلب الغضنفر في سنة (360هـ/970م) (مسكويه، 2003، ص436) .

وما أن دب الضعف والارتباك في الإمارة الحمدانية حتى استغل بني بويه ذلك وقاموا بالهجوم على الموصل مما دفع ابا تغلب الحمداني الى نحو دمشق و الاستعانة بالعقيليين الذي كانوا يقيمون فيها وأصبحوا من أتباع الدولة الحمدانية، وبعد انتصار بني بويه على الحمدانيين في هذه المعركه دخلوا البويهيين الى الموصل سنة (367هـ/977م) (الروذواري، 2003، ص88) . ولكن نشبت صراعات داخلية بين امراء بني بويه من أجل تولي

السلطة المركزية في بغداد مما أدى الى ضعفهم وظهور دور الاكراد وبعد أن أنتصر البويهيون في عدة معارك على الاكراد لجأ أحد ولاه مدينة الموصل للاستعانة بالقبائل العربية من أجل القضاء على خطر الأكراد وهنا بدأ دور بارز للعقيليين في التصدي للأكراد (المسعودي، 1968، ص48-50) وظهورهم والاعتراف بهم كقبيلة عربية يمكن الاعتماد عليها والاستعانة بها، وكما تجددت الفرصة مرة أخرى أمام العقيليين بالتدخل واثبات وجودهم في سنة (379هـ/989م) عندما تقاتل ابناء ناصر الدولة الحمداني لإعادة ملك دولتهم بعد دخولهم في صراع مع الأكراد بعد أن أعدوا الأكراد جيشاً كبيراً للمواجهة واستطاع كسب تعاطف أهل الموصل معهم، مما اضطر أولاد ناصر الدولة الحمداني الى طلب العون والمساعدة العسكرية من العقيليين الذين بادروا بالقبول لكن كان تقديم العون مشروط بحصول بني عقيل على بعض الأراضي في الجزيرة، وجرت المعركة سنة (380هـ 990م) وانتهت بهزيمة الاكراد (ابن الوردي، 1996، ص298).

وكانت نهاية المعركة هي خسارة الحمدانيين ونهاية إمارتهم هرب آخر أمرائهم إلى مدينة نصيبين (الحموي، ياقوت،1995،ج5، ص289)، وتم أسره وقتله من قبل أبو الذؤاد محمد بن المسيب العقيلي سنة (380هـ/991م)، وتمكن من السيطرة على بلد والموصل إليه ونصبه البويهيين والياً عليها حتى تم عزل سنة (382هـ/992م) (الحموي، 1995، ص358) . لكن بعد أن عزل من الولاية أبو الذؤاد تمكن أخوه المعروف بالمقلد بن المسيب من استعادة الموصل وتأسيس امارتهم فيها (ابن الوردي، 1996، ص299). حصل أمراء بني عقيل على السلطة بالقوة وكان ذلك يتم غالباً، ثم يحصلون على القرار الرسمي من الخليفة العباسي أو أحد الأمراء البويهيين لما تمكن أبو الذؤاد محمد بن المسيب العقيلي من انتزاع السلطة من بني حمدان عام (380هـ/991م) وأسس إمارة بني عقيل، بعد حصوله على الاعتراف الرسمي من الخليفة العباسي والسلطة البويهية التي كانت تتقلد أمور الخلافة مقابل دفع الضرائب إلى السلطة المركزية (الماوردي، د.ت ، ص27-30) .

لكن السؤال المطروح هل استطاعت الإمارة العقيلية أن تستقل تماماً عن الخلافة العباسية؟ لم تنعم الإمارة العقيلية بالاستقلال التام اذ كانت علاقاتها متفاوتة بكل من الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الفاطمية في القاهرة وتتفاوت علاقتها بين الولاء والاستقلال وذلك تبعاً لقوة وضعف الأمير العقيلي نفسه، فكلما ازدادت النزاعات

الداخلية، زاد نفوذ وتدخل القوى الخارجية بالإمارة مما جعل من الإمارة العقيلية تكون خاضعة لتأثير أما العباسيين أو الفاطميين في بعض الفترات (ابن خلدون، 1988، ص220).

ويعد أبو الذؤاد محمد بن المسيب المؤسس الحقيقي للدولة العقيلية (380- 386هـ/990- 996م) فقد لعب دوراً كبيراً في الصراعات الداخلية والسياسية والعسكرية بعد أن تمكن من القضاء على سلطة الحمدانيين في الموصل، وسعى إلى أن يكون حكمه شرعياً من خلال مطالبته للامير البويهي (بهاء الدولة) بتقليد رسمي الذي أجابه على ذلك نظراً لكثرة انشغاله بالصراع مع أخيه (صمصام الدولة) وعلى الرغم من ذلك الاعتراف على أن أرسل بهاء الدولة نائباً عنه في الموصل للإشراف على الحكم بأسم البويهيين، لكن الأمير العقيلي أبو الذؤاد تجاهل دور نائب البويهيين مما أثار استياء الأمير البويهي بهاء الدولة (ابن كثير،2005، ص3220)، وعلى أثر ذلك جهز الاخير حمل عسكرية في أواخر (381هـ/991م) وكلف عليها أبا جعفر الحجاج بن هرمز لقيادتها والتوجه نحو الموصل وإخراج بني عقيل منها (ابن الاثير، 2006، ج7، ص446) .

وحالما وصل خبر هذه الحملة الى بني عقيل استعدوا للمواجهة ودارت المعركة بين الطرفين وانتهت دون تحقيق أي طرف منها انتصاراً حاسماً، وأمام ذلك الوضع اضطر كلاهما الى عقد صلح يقضي بتقسيم السيطرة على الموصل فيكون محيطها تحت سيطرة بنو عقيل، بينما تبقى المدينة ذاتها تحت ادارة أبي جعفر الحجاج نائب البويهيين (الروذواري، 2003، ص145) .

ثانياً: أصول البويهيين والوصول الى السلطة:

البويهيون من سكان الدليم إذا استوطنوا المنطقة الواقعة بين طبرستان والجبال والجيلان وبحر الخزر وجزء من أذربيجان وبلاد الران من جهة الغرب (الاصطخري، 2004، ص121) . وكان يدينون بالوثنية في بادئ امرهم، ثم انتشر الإسلام بينهم في بداية القرن الرابع الهجري (ابن الاثير، 2006 ، ص142). وقد أرجع بعض المؤرخين نسب البويهيين الى سابور ذي الاكتاف (ابن الجوزي، 1995، ص270) ، في حين نسبهم البعض الأخر إلى قبيلة ضبة العربية، والواقع أن البويهيين هم قبائل فارسية تتكلم اللغة الفارسية بلهجة محلية، ولا صلة لهم بالعرب، ويبدو

أن هؤلاء المؤرخين اضافوا على البويهين نسباً عريقاً لرفع مكانتهم بعد أن تم لهم السيطرة على أجزاء كبيرة من العالم الإسلامي وبسطوا نفوذهم على دار الخلافة (الشيال، د.ت ، ص48) .

وتكونت الأسرة البويهية من ثلاثة اخوه علي والحسن وأحمد وهم أبناء أبي شجاع بويه بن فناخسرو، وكان الأب من عامة الناس يعيش من صيد الأسماك بناحيه بحر قزوين من بلاد الديلم (القزويني،1960، ص221)، وعمل ابناؤه جنوداً في جيش القائد الديلمي الذي يدعى (ماكان بن كاكي)، وقد أتاحت لهم مواهبهم العسكرية الوصول الى مراكز مهمة في الجيش الديلمي، وكان ولاء الجند في مثل هذا النظام للقائد الذي يتولى الإنفاق عليهم وجرت العادة أن ينتقل هؤلاء الجند من خدمة رئيس إلى آخر، حسب الظروف الاقتصادية المرتبطة بكثرة الغنائم، فلما ضعف خدمة أمر القائد (ماكان) على اثر هزيمته أمام القائد (مرداويج الديلمي) (كان مرداويج قد فتح طبرستان في سنة 314هـ وأسس الإمارة التي امتد نفوذها من غربي ايران الى الأحواز . الدوري، 1945، ص243) .

وعجز عن ضمان الأرزاق للجند تفرق عنه الكثير من أتباعه ومنهم علي بن بويه وأخوانه، وطلبوا السماح لهم بالانتقال إلى خدمة (مرداويج) فتم لهم ذلك ورحب بهم القائد الجديد وأغدق عليهم الاموال وولى الاخ الاكبر علي بن بويه حكم بلاد الكرج الواقعة بين همدان وأصبهان (ابن الاثير، 2006، ص267) وما لبث أن ندم مردويج على تولية (علي بن بويه) بلاد الكرج، فكتب إلى أخيه في الري وإلى أحد قادته ابي عبد الله الحسين الملقب بالعميد يأمرهم بصرف أولاد بويه ومنعهم من الوصول الى بلاد الكرج، الا أن رغبة مردويج لن تتحقق إذ تمكن علي بن بويه من الوصول إلى مقر عمله بمساعدة (أبي عبد الله الحسين) نفسه واستقر في حكم البلاد وأظهر كفاءة ومقدرة في تصريف الأموال، وأحسن إلى أهلها فحظي بتأييد الجند ومال الناس إليه (الزبيدي ، د.ت ، ص313) .

وتمكن علي بن بويه من جبي الضرائب في بلاد الكرج لمدة عام كامل ثم سار نحو الجنوب واستولى على اصبهان سنة (321هـ) بعد أن انتصر على عامل العباسيين الذي كان في المدينة (مسكويه، 2003، ص296). وما أن زادت تحركات ابن بويه هذه حتى زادت مخاوف مرداويج منه فصمم بالقضاء عليه، وأنفذ إليه جيشاً بقيادة أخيه (وشكمير) وكانت سياسة علي بن بويه تقضي بعدم اشتباكه مع قوات مرداويج والابتعاد عنها، ولذلك ما أن

سمع بتحرك قوات مرداويج نحو حتى انسحب من أصبهان متجهاً نحو أرجان فدخلها في ذي الحجة (321هـ) من غير حرب بعد أن هرب أميرها، وشرع بجباية ضرائبها التي بلغت الفي ألف درهم، ثم تركها خوفاً من الاصطدام مع قوات مرداويج وأخيه، وتوجه الى مدينة اصطخر وانتصر فيها، وتمكن بعد ذلك من الاستيلاء على مدينة شيراز بعد أن خاض معركة عنيفة في سنة 322هـ (ابن الجوزي، 1995، ص271) .

أجل علي بن بوي بعض طموحاته كي لا يزداد الموقف حرجاً مع مرداويج وتوصل مع الى إتفاق على أن يدين له بالولاء ويقرأ اسمه في الخطبة، وأرسل أخيه الحسن كرهينة مقابل الوفاء بتلك التعهدات (مسكويه، 2003، ص297).

غير أن مرداويج أغتيل في سنة (323هـ/ 935م) من قبل حراسه الأتراك، وهنا ما وفر الفرصة أمام الأسرة البويهية عندما تمكن الحسن بن بويه ليس في تدبير أمر هروبه من حبس مرداويج الذي كان يحتفظ به كرهينة، بل شرع في حملات عسكرية وتمكن في غضون خمس سنوات بعد احتلاله لأصفهان أن يصبح في وضع يهدد الري مقر حكومة مرداويج (ابن الجوزي، 1995، ص272).

أما احمد الأخ الثالث والأصغر فقد كان نجاحه أكثر إثارة، لا سيما أن الظروف غير مستقرة التي كانت تمر بها الخلافة تميل إلى صالحه في ذلك الوقت، بسبب تدهور المواد المالية من الولايات، ووجد وزراء الخليفة أنه من المستحيل إدارة الدولة بنجاح لذلك وافق الخليفة الراضي في سنة (324هـ/ 936م) العرض الذي تقدم به المتنفذ وملتزم الجباية آنذاك بث رائق لاستلام الادارة واستدعائه إلى بغداد ومنح صلاحيات واسعة على الجيش والمالية فضلاً عن منصب أمير الامراء (التنوخي، د.ت ، ص387) .

وفي ظل هذا الوضع المضطرب كان أحمد بن بويه يخطط لتوسيع نفوذه وتعزيز سلطته، ففي إمارة ابن رائق تمكن من احتلال الاهواز بالتحالف مع البريدين وتمكن من الاحتفاظ بها لنفسه (مسكويه، 2003، ص298) .

ففي الوقت الذي حصل صراع بين البريدين والحمدانيين فانتهز أحمد بن بويه الفرصة وتقدم من الاهواز الى واسط بهدف الاستيلاء على بغداد نفسها سنة (332 هـ/ 944م)، وبعد احتلاله لواسط نال حاجبه (الصميري) على رضا الناس بالغائه للضرائب الغير العادلة، وما ان توصل توزون التركي الى سلام مع الحمدانيين

سارع لمواجهة أحمد بن بويه في معركة بالقرب من ديالى انسحب على أثرها أحمد بن بويه، وجاءت الفرصة الذي طالما انتظرها أحمد حينما توفى توزون سنة (334هـ/ 946م) وقام حاكم واسط بدعوه أحمد بن بويه للمجيء الى بغداد ليحل محله لذلك دخلها في 11 جمادي الثاني (334هـ/ 946م) دون معارضة (ابن الجوزي، 1995، ج6، ص272) ، وبعد ان غادر الجند الأتراك الى الموصل ظهر الخليفة المستكفي معرباً عن سروره لدخول أحمد بن بويه إلى بغداد وخلع عليه لقب معز الدولة ولقب عماد الدولة وركن الدولة على كل من شقيقيه علي والحسن على التوالي وسمح لهم فيما بعد باستعمال هذه الألقاب (ابن الاثير، 2006، ص267) . وبعد إحدى عشر يوم من دخول بغداد أزاح معز الدولة فجأة الخليفة المستكفي بالله مدعياً ان الاخير يتآمر عليه والمجيء بابن عمه الخليفة المقتدر الملقب المطيع لله بدلاً عنه (مسكويه، 2003، ج5، ص300) .

المبحث الثاني/ موقف العقيليين من التسلط البويهي.

لقد خاض بني عقيل صراع مرير ضد البويهيين بعد أن سقط الحمدانيون في سنة (380هـ/ 990م) وكان سقوطهم تمهيداً لظهور بني عقيل كقوة سياسية جديدة على مسرح الأحداث وبذلك اصطدموا مع بني بويه لأنهم تسلطوا على مقدرات الخلافة العباسية وجردوا الخليفة العباسي من كل صلاحياته، بل هم من اسقطوا امارة بني حمدان في الموصل وسعوا للسيطرة عليه.

ومن الأسباب التي ساعدت على ظهور العقيليين هو انشغال السلطة البويهية مع حرصهم على الأكراد، وصراعهم مع أولاد ناصر الدولة الحمداني سنة (379هـ/ 990م)، بالإضافة إلى انتشار الفقر والعوز في صفوف قبائل بني عقيل من جانب، ومحاولات البويهيين للسيطرة على الموصل من جانب آخر (الصابي، هلال، 2003، ص87) .

أن موقف بني عقيل تمثل في البداية بتقديم العون والمساعدة بعد أن طلبها منهم والي الموصل (أبو نصر خواشاذه) من القبائل العربية للقضاء على خطر الأكراد وهنا بدأ دور بني عقيل واعترف بهم كقبيلة عربية والاستعانة بها (الخطيب البغدادي، 2002، ص105) . وعندما قدموا المساعدة اقطعهم البلاد من أجل الدفاع عن

السلطة البويهية إذ كان نائباً عنهم في الموصل، وقد استفاد (أبو نصر خواشاذه) من قوة العقيليين في رد خط الاكراد واستثمر ذلك حتى تصل اليه امدادات من الأمير (شرف الدولة) البويهي (377هـ/ 987م) ولكن توفى شرف الدولة وتطلع أولاد ناصر الدولة الحمداني لاستعادة نفوذها على الموصل (المعاضيدي، 1968، ص51) . ولكن فشل الحمدانيين في استعادة نفوذهم ولجأوا الى العقيليين للوقوف بوجه الأكراد واستطاع أبو الذؤاد محمد بن المسيب طرد الأكراد ونصره الحمدانيين مقابل السيطرة على نصيبين وبلد وثم تقدم للسيطرة على الموصل سنة (380هـ/ 990م) (الروذواري، 2003، ص108).

وما أن استطاع أبو الذؤاد محمد بن المسيب من الاستحواذ على الموصل، وما جاورها من المناطق واستقر الأمر إلى بني عقيل، اضطر الأمير البويهي بهاء الدولة إلى الاعتراف بسيادة العقيليين في الموصل، وما أن أرسل البويهيين ممثلاً يمثلهم في الموصل ولكن الأمير العقيلي تجاهل ممثل البويهيين وليس له من الأمر شيء في الموصل، وهذه تمثل موقف العقيليين بأنهم عاقدين الأمل على تأسيس امارتهم والاستقلال عن البويهيين (ابن الاثير، 2006، ص123) . هذا كان موقفهم منذ البداية رفض للتسلط البويهي.

كان للأمير البويهي تصرف آخر من الأمير العقيلي (أبو الذؤاد محمد) بسبب تجاهله لممثله، لذا قام بارسال قوه عسكرية للاستيلاء على الموصل، ودارت بينهم حرب انتهت بخسارة الجيش البويهي مما جعل ممثلهم يطلب المساعدة من بغداد وبالفعل بعث بهاء الدولة قوة مضاعفة إلا أن ذلك لم يأت بنتيجة محمودة حتى استقر الأمر للعقيليين وجرى بعدها الاتفاق مع بهاء الدولة البويهي المناصفة على أعمال الموصل كان ذلك سنة (381هـ/ 991م)، وكان العقيليين مصرين على الاستمرار في مقاومة التسلط البويهي في الجزيرة الفراتية (ابن كثير، 2005، ص3220) .

وظلت الإمارة العقيلية تقاوم ممثل البويهيين حتى وفاة أبي الذؤاد سنة (386هـ/ 996م) وما أن تولى بعده أخوه المقلد بن المسيب على أثر خلاف بينه وبين أخوه الأكبر لكن المقلد الذي تقلد الحكم ولقب بـ (حسام الدولة) أعاد التطلع من جديد لاستعادة المدينة (الموصل) من السلطة البويهية مباشرة بعد أن تدهورت الاوضاع في بغداد بسبب ضعف الخلفاء العباسيين، وصراع بين الأمراء البويهيين، وامتداد نفوذ الدولة الفاطمية (358-

567هـ/ 968-,1711م)، الى بلاد الشام فقد كان المقلد يتقرب اليهم لكي يأمن جانبهم (الروذواري، 2003، ص170) ، بينما كان يجامل البويهيين مرة ويحاربهم مرة أخرى هذا ما جعله يتطلع إلى أن يطمح بالسيطرة على العاصمة بغداد والاستئثار بالسلطة (المعاضيدي، 1968، ص95) . استطاع (المقلد العقيلي) بحنكته السياسية من استمالة بعض اتباع نائب البويهيين أبو جعفر الحجاج وكسب البعض منهم الى جانبة، ثم خرج على رأس جيش الى الموصل وتمكن من الانتصار على الجيش البويهي وفشل أبو جعفر الحجاج في مقاومة الجيش العقيلي ولذلك طلب الأمان من المقلد العقيلي وخرج من الموصل الى بغداد وهنا دخلت العساكر العقيلية الموصل وأعلنت سيطرتها في سنة (385هـ/ 995م) (ابن الاثير، 2006، ص486) .

ان عدم مقاومة نائب البويهي والتصدي للجيش العقيلي هذه دلاله على ضعف الجيش البويهي وتصاعد قوة العقيليين فقد تمكنوا من استعادة المدينة بأكملها من الجيش البويهي واستمرت هذه الاوضاع حتى سنة (386هـ/ 996م)، وكان المقلد يتطلع إلى أكثر من ذلك بعد هذا الانتصار لوضع حد للتسلط البويهي في الخلافة العباسية، وكان المقلد العقيلي قد تولى حماية القصر (القصر ويقصد به قصر شيرين الذي يقع على نهر حلوان غرب الفرات. ياقوت الحموي، 1995، ج5، ص181) ، وجعل نائباً له يتولى شؤون الحماية في بغداد، إلا أن نائبه دخل في صراعات وقساوات مع العباس بن المرزبان (نائب بهاء الدولة) ويعتقد أن هذه المشادات كانت من تدبير الأمير العقيلي نفسه لكي يأخذ منها حجة ليقود قوة عسكرية لمساعدة نائبه وهزم الجيش البويهي، وقبض على نائب بهاء الدولة ثم أمر بقتله واستولى على مناطق التي تقع في اطراف بغداد غرب الفرات وكتب إلى بهاء الدولة يطلب منه ابرام عقد على إدارة هذه المناطق (الصابي، 2003، ص33) .

في هذا الوقت بالتحديد كان (بهاء الدولة البويهي مشغولاً) في قتال مع (صمام الدولة) تضطر الى عدم المبالاة لما حققه المقلد العقيلي وهذا جعل المقلد يتصرف في وضع أموال هذه البلاد تحت تصرفه، وقد أغضب بعمله هذا نائب بهاء الدولة الجديد مما اضطره الى ترك موقعه في بغداد والتوجه الى قتال المقلد (الروذواري، 2003، ص168) . وهنا يبرز الدور الذي لعبه المقلد في الدفاع عن الأراضي الذي استولى عليها وعندما علم بتوجه النائب البويهي تمكن من ايصال أصحابه ليلاً وانتصروا على الجيش البويهي، ولما استنفر الدليم كان أصحاب

المقلد العقيلي قد اقتوا قطع الجسر ورجعوا الى المقلد ووصلت الأخبار بتقدم الجيش العقيلي الى بغداد لمسامع بهاء الدولة، فأرسل قوة عسكرية بقيادة أبا جعفر الحجاج وأمره بالقبض على النائب البويهي الموجود ومصالحة المقلد العقيلي على أن يخلع للمقلد الخلع السلطانية ويلقبه بلقب حسام الدولة، ويعطي للمقلد كل من الموصل والكوفة والقصر (قصر شيرين) والجامعيين، وعلى المقلد أن يخطب بأسم بهاء الدولة في الأماكن التابعة للعقيليين، ويقدم المقلد جزية سنوية قدرها مليون درهم واعتبرت هذه كتسويه مع العقيليين وعلى المقلد ان يلتزم بها، الا أنه لم يلتزم وبدأ يتوسع في نفوذه دون الرجوع للبويهيين واطلق يده في البلاد وعظم شأنه (ابن الاثير، 2006، ص487) .

إن البويهيين كانت لهم غايه من هذا الاتفاق الا وهو إبعاد خطر العقيليين عن سلطتهم في بغداد، وتأجيج الصراع بين القوى العربية في المنطقة، وذلك لإعطائهم المقلد المناطق المذكورة اعلاه حسب الاتفاق لاسيما أن هذه المناطق كانت تعد ذات نفوذ مشتركة بين العقيليين والمزيدين (أبو الفدا، 1997، ص485) .

وما أن سيطر المقلد وتطلع بمد نفوذه للوصول الى بغداد الا أن ذلك لم يتحقق بسبب اغتياله من قبل الأتراك سنة (391هـ/1000م) في الانبار وعلى أثر اغتياله كان ابنه (قرواش) متواجداً في تكريت وأثار نائب المقلد قلقاً بعد الاغتيال خشية من تمرد الجيش العقيلي ومحاولة استيلائهم على ممتلكات المقلد، فحاول السيطرة على الأوضاع بعد أن طلب المساعدة من صاحب السندية (ياقوت الحموي، 1995، ص181)، وذلك لمساندته في حماية المدينة والوقوف معه ضد (عم المقلد الحسن بن المسيب) الذي نازعه على السلطه، ولكن عند وصول قرواش ابن المقلد انتهى الأمر وقدم الأخير مكافأة مالية إلى صاحب السندية لعدم سماحه (لعم المقلد يتولى الأمر) وأصبح قرواش ابن المقلد هو الامير الجديد (ابن الاثير، 2006، ص16-17) ، واستعداده لدخول الى بغداد.

وما أن تولى قرواش ابن المقلد الإمارة ولقب بلقب بـ (معتمد الدولة) من قبل الخليفة العباسي القادر بالله الى جانب لقبه (أبو المنيع) سنة (441هـ/1001م) لقد كانت سياسة قرواش بن المقلد مع البويهيين وموقفه منهم على نفس موقف والده في التصدي للبويهيين.

قرر (قرواش العقيلي) من توسيع سيطرته وذلك بطرد بني خفاجة وإخراجهم من الجزيرة الفراتية بعد أن كانوا جزءاً من جيشه فقاد حملة عسكريه على ديارهم وغنم ممتلكاتهم وأخذ أموالهم مما أدى الى نزوحهم نحو الشام والدافع من ذلك المنافسة التقليدية بين بني عقيل وبني خفاجة وتوسيع نفوذه (القلقشندي، 1980، ص379) .

وفي هذه الاثناء ارسل (قرواش العقيلي) جيشاً من الموصل لمحاصرة المدائن فأرسلت السلطة البويهية جيشاً بقيادة (أبو جعفر الحجاج) الذي كان يحمل الضغينة لبني عقيل بسبب طردهم له من الموصل، وأتخذ أيضاً من نزاع بني عقيل مع بني خفاجة فرصة للانتقام من العقيليين فسارع الى مراسلة بني خفاجة ووعدهم بمساعدتهم بالعودة إلى الجزيرة الفراتية مقابل دعمهم العسكري، وعلى رغم الجمع الذي كان مع أبو جعفر الحجاج من الدليم وبني خفاجة والأتراك إلا أن انهزم الجيش البويهي ووقع العديد منهم في الأسر (الصابي، 2003، ج7، ص50) . وكان ذلك في (392هـ/ 1001م) وأسفرت الحرب عن هزيمة قاسية لجيش أبي جعفر، ولكن تمكن أبو جعفر الحجاج من أن يجمع جيشه ثانية وبمساعدة بني خفاجة واشتبك مع الجيش العقيلي وحلفائهم من بني مزيد، وقد تغيرت الموازين وتمكن أبو جعفر من تحقيق انتقامه من بني عقيل وبني مزيد وانتصاره وإلحاق خسائر فادحة بهم في الأرواح والأموال (ابن خلدون، 1988، ص536) .

وبعد الانتصار، واصل أبو جعفر الحجاج حملته ضد المزيديين فتمكن من هزيمتهم والسيطرة على ممتلكاتهم، وعندما علم قرواش بنواياه حشد جيشاً قوامه سبعة الاف مقاتل من العرب والأكراد وانطلق نحو الكوفة، أثار هذا العدد قلق بني خفاجة فحاولوا الفرار لكن أبا جعفر الحجاج حفزهم على القتال

مقابل منحهم الحرية في السلب والنهب لتعويض ما فقدوه من الأموال، فخاض بنو خفاجة المعركة ببسالة وحققوا نصراً كبيراً على بني عقيل والمزايدين (الصابي، 2003، ص53) .

وعلى الرغم من الخسارة التي تكبدها بني عقيل في هذه المعركة إلا أن أهمية هذه المعركة تتجلى في توحيد القوات العقيلية والمزيدية والأكراد ضد السلطة البويهية في العراق وتعد هذه دلالة واضحة في التنسيق والاتفاق بين هذه الأطراف لمواجهة التسلط البويهي والتصدي له.

أن انشغال أبي جعفر الحجاج بالحروب خارج بغداد سبباً في تدهور الأمن في المدينة وانتشار أعمال السلب والنهب مما دفع بهاء الدولة إلى عزل أبي جعفر الحجاج وعين بدلاً منه (عميد الجيوش أبو علي بن أستاذ هرمز) (ابن الاثير، 2006، ج8، ص64) مما جعل أبا جعفر يتمرد على السلطة وجمع جيشاً وواجه عميد الجيوش حتى وصل إلى الكوفة (ابن خلدون، 1988، 537) ، أما قرواش العقيلي في سنة (397هـ/ 1006م) جُرد من مناصبه وأوكلت ولايته إلى أبي الحسن علي بن مزيد الذي أصبح مقرب من السلطة ونال الالقاب والهدايا، أدى هذا التهميش الى لجوء قرواش العقيلي الى خصوم الخلافة العباسية حيث أعلن في سنة (410هـ/1019م) ولاءه للخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله، وعندما بلغ الأمر الخليفة العباسي القادر بالله، استاء مع استياء بهاء الدولة فأمر عميد الجيوش بالتحرك لمواجهته، عندئذ تراجع قرواش واعتذر للخلافة العباسية كما قطع الخطبة باسم الخليفة الفاطمي وأعاد ولاءه للعباسيين (ابن الجوزي، 1995، ص54) .

وهذا يوضح لنا أن الفاطميين كانوا يمارسون نشاطاً واسعاً في المنطقة لاستمالة العقيليين الى جانبهم، كما انه يؤكد على دور الفاطميين في الصراع الذي يدور بين العقيليين والبويهين.

ورغم ذلك لم تتوقف الخلافة العباسية من دعم خصوم قرواش حين تحالف غريب بن مقن (ابن الاثير، 2006، ص438) ، ونور الدولة دبيس بن علي من مزيد لمواجهته سنة (411هـ) اذ ارسلت لهم الخلافة دعماً عسكرياً لمساندتهم مما أدى الى هزيمته (الذهبي، 1985، ص557) .

وأجار قرواش العقيلي الوزير ابن سهلان عندما اختلف مع الأمير البويهي وأخذ مهمة حمايته على عاتقه وعمل على القبض على الوزير البويهي الجديد ابو القاسم المغربي، وأبي علي بن سليمان بن فهد، ومع أنه أطلق الوزير الاول بعد ان انتحر الثاني، وهذا دلالة على تحدي العقيليين للتسلط البويهي (ابن الاثير، 2006، ص489) .

وفي عام (417هـ/ 1026م) تحالف بنو مزيد وبنو خفاجة ضد قرواش لاخراجه من الكوفة وهو ما دفع جلال الدولة الى التدخل اذ أرسل قوات من بغداد لدعمهم، وإدراكاً منه لعجزه عن مقاومة هذا التحالف، فر قرواش الى الانبار (ابن تغري بردي، 1992، ج5، ص34). وعلى الرغم من عداء قرواش العقيلي مع جلال الدولة لجأ اليه طلباً للدعم العسكري في مواجهة قبائل الغز التي دخلت الى الموصل عام (420هـ/ 1029م) غير أن جلال

الدولة لم يكن قادراً على تقديم العون بسبب ضعف سيطرته على جيشه، لكن دبيس بن مزيد قدم على مساعدة بني عقيل في صد هجوم قبائل الغز وإبعاد خطرهم (ابن الاثير، 2006، ص490) .

وتجدد تهديد الغز عام (432هـ/ 1040م) حين عادوا لمهاجمة الموصل وأسروا عائلة قرواش وأفراد حاشيته، مما دفع دبيس مرة أخرى للتدخل وخاض معركة حاسمة قتل فيها عدد كبير من الغز، على أن هذه المواجهات أضعفت سلطة قرواش وأدت إلى تصاعد الصراع داخل الأسرة العقيلية، ففي عام (442هـ/ 1050م) دخل في صراع مع أخيه (أبي كامل بركة بن المقلد) انتهى الأمر بإلقاء القبض عليه وسجنه، مما أدى الى تراجع نفوذه السياسي، لكن أخو قرواش بركة لم يدم طويلاً في الحكم إذ توفي في عام (443هـ/ 1051م) (ابن خلكان، 1994، ص267) ، مما دفع بني عقيل إلى تعيين قريش بن بدران أميراً لهم، لقب (بعلم الدين أبي المعالي) (ابن الجوزي، 1995، ص287) .

عاد الصراع بين الأمير قرواش وجلال الدولة البويهي سنة (432هـ/1040م) لأن قرواش العقيلي كان قد بعث سرية عسكرية لمقاتلة خميس بن تغلب صاحب تكريت، وجرت بينهما حروب قاسية، اضطر خميس صاحب تكريت طلب العون من جلال الدولة البويهي ليمنع عنه الجيش العقيلي، وقد وعد جلال الدولة على بعض الأموال مقابل ذلك لذا ساعده جلال الدولة، وأرسل الى قرواش يطلب منه عدم التعرض الى خميس بن تغلب لكن قرواش رفض ذلك، ووسع دائرة الخلاف ليشمل به السلطة البويهية بشكل مباشر، إذ راسل الأتراك في بغداد وحرضهم على إعلان الثورة ضد جلال الدولة، وعلم جلال الدولة بذلك فأرسل البساسيري مقدم الأتراك في بغداد في سنة (432هـ) وأمر أن يقبض على نائب قرواش، ثم تطور الموقف إلى أن جلال الدولة جهز جيشاً وقاده بنفسه للسيطرة على الأنبار، فلما وصلها أحكمت حصونها واغلقت ابوابها، بينما قرواش قاد جيشه متوجهاً من تكريت الى الانبار لمواجهة الجيش البويهي، فالتقى الجيشان والتحمت المعركة بينهما وكانت الخسارة في البداية للقوات البويهية إلا أن سرعان ما تغيرت الأحوال وحسمت لصالح البويهي، بسبب النزاع الذي حصل بين العقيليين، فاضطر قرواش إلى طلب الصلح ووافق جلال الدولة عليه وانتهت الحرب (ابن تغري بردي، 1992، ص34) .

أن المواجهات العسكرية أضعفه الأمير العقيلي قرواش وبعد أن حصل على الصلح مع جلال الدولة تصاعدت الخلافات داخل الأسرة الحاكمة ففي عام (442هـ/ 1050م) دخل في صراع مع أخيه (أبي كامل بركة بن المقلد)، انتهى بإلقاء القبض عليه وسجنه،لكن (تركه أبي كامل) لم يدم طويلاً في الحكم إذ توفي عام (443هـ) (ابن خلكان، 1994، ص267)، وبما أن حكمه لم يطل ففي سنة (441هـ/,1049م) توجه جمع من بني عقيل إلى بلاد العجم من أعمال العراق ونهبوها وصادروا أموالهم وقد حاول البساسيري استعادة الاموال فجوبه بمقاومة من قبل الأمير أبو كامل بن المقلد واقتتل الطرفان، واظهر كلا الطرفان مقاومة كبيرة ولم يستطع البساسيري من استعادة الأموال (ابن الاثير، 2006، ص156) .

وبعد وفاة (أبو كامل بركة) عين قريش بن بدران أميراً لهم لكن الأمير قرواش الذي كان بالحبس لم يكن راضياً عن ذلك وفر من حبسه وسعى لاستعادة مكانته وواجه ابن أخيه إلا انه لقي حتفه في عام (444هـ/1052م) وانتهت بذلك مسيرته السياسية نهائياً (ابن الجوزي، 1995، ص287) .

النهاية للإمارة العقيلية في الموصل عام (489هـ) إثر زحف السلاجقة للسيطرة على شمال العراق، حيث أسقط القائد السلجوقي (قوام الدولة كربوقا) (قوام الدولة كربوقا: هو لقب الأمير أبو سعيد كربوقا بن عبدالله الجلالي، قائد عسكري تركماني وأتابك (حاكم) سلجوقي، وهو أول والٍ سلجوقي على الموصل، وبدا كأحد المماليك التابعين للسلطان ملكشاه بن الب أرسلان وبرز في الصراعات السياسية التي تلت وفاة الأخير. خليل، عماد الدين، 1974 ، العدد 5؛ ابن الاثير، 2006، ص64-65) . الامارة وكان النزاع المستمر بين الاخوين علي ومحمد أبناء مسلم بن قريش حول حكم بني عقيل وتدهور العلاقات ما بين علي العقيلي مع السلطان بكربوقا السلجوقي، اذ شن الأخير حملة عسكرية تمكن خلالها من الاستيلاء على نصيبين عام (489هـ/1096م) وقتل الأمير العقيلي وواصل تقدمه نحو الموصل وفرض حصاراً عليها استمر تسعة أشهر، مما دفع الأمير العقيلي باللجوء الى حاكم الحلة (صدقة بن مزيد) وبذلك استولى الجيش السلجوقي على الموصل ومناطقها وانهى حكم الإمارة العقيلية عام (489هـ) وأصبحت أراضيهم تابعة الى الدولة السلجوقية (أبو شامة، د.ت ، ص162) .

الخاتمة:

لقد توصلت الدراسة الى بعض النتائج منها:

1- تمكن بنو عقيل من إقامة إمارتهم بعد انتهاء حكم الإمارة الحمدانية وحاولوا التوسع الى خارج حدود مدينة الموصل.

2- يمكن القول أن موقف أمراء بني عقيل من البويهين كان يتميز بالحزم والوقوف بوجههم وطالما كانت العلاقات معهم تشوبها التوتر والصراعات المستمرة.

3- وبما أن العقيليين اقاموا امارتهم في الموصل بعد اسقاط وانهاء حكم الحمدانين اذ ان البويهيين بدخولهم الى بغداد لم يكتف بذلك فقط وانما أرادوا اسقاط وانهاء حكم بني عقيل والسيطرة عليها والاستيلاء على مقدراتها، لذلك لطالما كان للعقيليون دور مميز ومشرف للتصدي لتوسع البويهيين.

4- كانت العلاقات بين الطرفين علاقات يسودها الاضطراب في عهد امرائها الأقوياء الذين حافظوا على إمارتهم العقيلية ودافعوا عنها ضد التسلط القوى البويهية التي كانت تتحكم بمقدرات الخلافة العباسية.

5- ظلت الإمارة العقيلية صامدة أمام التحديات الصعبة ومقاتلة البويهيين ولم تنهار عكس سقوط الحمدانيين وبقاء السلطة البويهية لذلك صار لكل من العقيليين والبويهيين إصرار لكل منها هدف القضاء على الآخر.

6- أراد البويهيون الاستيلاء على الخلافة العباسية بكل مناطقها وأقاليمها، في الوقت نفسه اراد العقيليين الانفراد بالسلطة والاستقلال بحكم الموصل وأعمالها والتوسع لاكثر من ذلك وضرب التسلط البويهي والوقوف بوجه بقوة.

المصادر:

1- ابن الاثير، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد، 2006، الكامل في التاريخ (تحقيق محمد يوسف الدقاق، ط4، بيروت، دار الكتب.

2- ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي بن محمد، 1995، المنتظم في تاريخ الملوك والأمم (تحقيق محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا)، بيروت، دار الكتب العلمية.
3- ابن الوردي، زين الدين عمر بن مظفر، 1996، تاريخ ابن الوردي، بيروت، دار الكتب.
4- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف، 1992، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق محمد حسين شمس الدين، بيروت، دار الكتب العلمية.
5- التنوخي، نشوار المحاضرة ، د.ت .
6- ابن خلدون، عبد الرحمن، 1988، تاريخ ابن خلدون، ط3، بيروت: دار الفكر.
7- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد، 1994، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، بيروت، دار صادر.
8- خليل، عماد الدين، قوام الدولة أول وال سلجوقي على الموصل (489-495هـ/1095-1101م)، المجلد العدد 5، تاريخ الإصدار، 1974، بحث منشور .
9- ابن كثير، إسماعيل بن عمر، 2005، البداية والنهاية، تحقيق سهيل زكار، بيروت، دار صادر.
10- أبو الفداء، عماد الدين إسماعيل، 1997، المختصر في أخبار البشر، تحقيق محمود ديوب، بيروت، دار الكتب الإسلامية.
11- الاصطخري، أبو إسحاق إبراهيم، المسالك والممالك، الناشر، دار صادر، 2004، بيروت.
12- الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت، 2002، تاريخ بغداد، تحقيق بشار عواد معروف، ط1، بيروت، دار الكتاب العربي.
13- الدوري، عبد العزيز، دراسات في العصور العباسية المتأخرة، 1945، بغداد، مطبعة السريان.
14- الذهبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان، 1985، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، ط3، بيروت، مؤسسة الرسالة.

15- الروذراوري، محمد بن الحسين بن عبد الله، 2003، ذيل تجارب الأمم، تحقيق سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب.
16- الزبيدي ، العراق في العصر البويهي ، د.ت .
17- السمعاني، أبو سعيد عبد الكريم بن محمد، 1988، الأنساب، تقديم عبد الله عمر البارودي، ط1، بيروت، دار الجنان.
18- أبو شامة، الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية، د.ت .
19- الشيال، جمال الدين، تاريخ الدولة العباسية، ط2، القاهرة، دار الفكر العربي.
20- الصابي، هلال بن المحسن بن إبراهيم، 2003، تاريخ الصابي، تحقيق سيد حسن كسروي، بيروت، دار الكتب الإسلامية.
21- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود، 1960، آثار البلاد وأخبار العباد، تحقيق فؤاد سزكين، ط1، فرانكفورت، معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية.
22- القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي، 1980، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق إبراهيم الأبياري، ط2، بيروت.
23- الماوردي، علي البصري البغدادي، (د.ت)، الاحكام السلطانية، مصر، المطبعة المحمودية.
24- المسعودي، علي بن الحسين بن علي، 1968، مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق محيي الدين عبد الحميد، ط2، القاهرة، دار الأندلس.
25- مسكويه، أحمد بن محمد بن يعقوب، 2003، تجارب الأمم وتعاقب الهمم، تحقيق سيد كسروي حسن، بيروت، دار الكتب.
26- المعاضيدي، خاشع، 1968، دولة بني عقيل في الموصل، ط1، بغداد، مطبعة شفيق.
27- اقوت الحموي، شهاب الدين ياقوت بن عبد الله، 1995، معجم البلدان، ط2، بيروت، دار صادر.

The efforts of Dr. Tawfiq Sultan Al-Yuzbeki in writing Islamic history

Prof. Dr. Hind Youssef Majeed[1]
University of Samarra / College of Arts
hywsf4078@gmail.com

Prof. Dr. Thawra Khattab Ali[2]
Tikrit University / College of Education
thawra99@mohesr.gov.iq

Abstract:

Dr. Tawfiq Al-Yozbaki is considered one of the distinguished Iraqi scientific figures who, during his scientific career, made many achievements in the field of serving history in general and Islamic history in particular, and the evidence is the books that the doctor (may God have mercy on him) produced in Islamic history and modern history in addition to research. He also has many scientific studies related to Islamic history, and he also has many research papers related to modern history. These scientific results were completed during his work at the University of Mosul, and this matter is clearly visible through the census and collection of his various books.

Keywords: Tawfiq Al-Yuzbeki; Islamic History; Modern History; University of Mosul; Historical Writings.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

جهود الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي في كتابة التاريخ الإسلامي

أ.د .هند يوسف مجيد[1]
جامعة سامراء /كلية الآداب
hywsf4078@gmail.com

أ.د .ثورة خطاب علي[2]
جامعة تكريت /كلية التربية
thawra99@mohesr.gov.iq

ملخص

يُعد الدكتور توفيق اليوزبكي من الشخصيات العلمية العراقية المرموقة التي قدمت خلال مسيرتها العلمية العديد من الإنجازات في مجال خدمة التاريخ بشكل عام والتاريخ الإسلامي بصورة خاصة، والدليل ما أنتجه الدكتور)رحمه الله (من كتب في التاريخ الإسلامي والتاريخ الحديث بالإضافة إلى البحوث العلمية التي تخص التاريخ الإسلامي، وكذلك لديه العديد من البحوث التي تخص التاريخ الحديث، وهذه النتاجات العلمية أكملها خلال فترة عمله في جامعة الموصل ويتبين هذا الأمر واضحاً للعيان من خلال إحصاء وجمع كتبه المتنوعة.

الكلمات المفتاحية :توفيق اليوزبكي؛ التاريخ الإسلامي؛ التاريخ الحديث؛ جامعة الموصل؛ النتاجات العلمية.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

عدت كثير من الشخصيات العلمية في العراق محط اهتمام للباحثين، وقد اخترنا في بحثنا هذا دراسة جهود الدكتور اليوزبكي في كتابة التاريخ العربي الإسلامي، وهو من مجموعة المؤرخين المحدثين الذين زخرت المكتبات العراقية والعربية بمؤلفاتهم، حيث كتب اليوزبكي في التاريخ الإسلامي والتاريخ الحديث بالإضافة إلى البحوث العلمية التي تخص التاريخ الإسلامي، وكذلك لديه العديد من البحوث التي تخص التاريخ الحديث، وهذه النتاجات العلمية أكملها خلال فترة عمله في جامعة الموصل، ويتبين هذا الأمر واضحاً للعيان من خلال إحصاء وجمع كتبه المتنوعة.

المبحث الأول :سيرة مختصرة عن اليوزبكي

ولد الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي في الموصل سنة 1933م .وعن لقب اليوزبكي :بائع مواد الزينة ،الشخصية وتعني)مئة بيك (وأصل الكلمة تركية، أي مئة سلعة، وفي المصطلحات العسكرية تعني قائد مئة .أي آمر السرية)العبيدي، 2001م، ص76(

نشأ الدكتور توفيق سلطان اليوزبكي في بيت أبيه وأجداده في محلة السوق الصغير في الجانب الأيمن من مدينة الموصل، وكان والده يمتهن التجارة في المحلة نفسها مع أجداده، إذ استطاع أن يكمل دراسته الابتدائية في هذه المحلة، وكذلك أكمل دراسته الثانوية في الثانوية الشرقية وتحديداً سنة 1953م، وكان ما يزال والده .يتعهده بالرعاية والاهتمام مع أمه السيدة حمدية محمد آل قبع)العبيدي، 2001م، ص78(

وعندما التحق في دراسة البكالوريوس في سنة)1953م – 1954م (في قسم التاريخ كلية الآداب والعلوم جامعة بغداد، توفي والده سلطان عبد الرحمن مما أثر سلباً فيه من الناحية المالية وانقطع عنه ما كان يحصل عليه من والده، فلجأ إلى تمويل نفسه عن طريق إعطاء محاضرات في معسكرات الجيش)محو الأمية (لغرض الحصول على مبلغ من المال يعينه على مواصلة دراسته، وبقي على هذا الحال حتى تخرج عام 1957م .(شهادة الابن الأكبر لليوزبكي، 2019م؛ العبيدي، 2001م، ص54)

وفي عام 1959م تزوج من السيدة ساجدة إسماعيل محمد سعيد بنت العلامة السيد إسماعيل بن السيد محمد سعيد البغدادي بن السيد أحمد، وهو من أحفاد السيد عبد الفتاح المدرس، وأجيز إجازة علمية على

يد)علي أفندي الخوجة (أمين الفتوى ببغداد في خمسينيات القرن الماضي، إذ أنجبت له خمسة أطفال)ثلاثة :(ذكور واثنتان من الإناث

- **قتيبة** :من مواليد عام)1961م (أستاذ مساعد دكتوراه في الجيولوجيا، يعمل في مركز بحوث السدود والموارد المائية في جامعة الموصل منذ عام 1992م.
- **عتبة** :من مواليد عام)1965م (بكالوريوس علوم فيزياء من جامعة الكويت، ويعمل في وزارة الصناعة.
- **،عقبة** :من مواليد عام)1968م (حاصل على شهادة دبلوم فني وهو حالياً كاسب)العبيدي (م، ص200165.
- **قبية** :من مواليد عام)1962م (دكتوراه في الأدب العربي، أستاذة مساعدة في قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الموصل.
- **انتصار** :من مواليد عام)1963م (تحمل شهادة ماجستير من قسم إدارة الأعمال جامعة الملك سعود الرياض)العبيدي، 2001م، ص76(.

توفي الدكتور توفيق اليوزبكي في)10 /10 /2003م (- الموافق)14 /8 /1424هـ (- عن عمر / ناهز السبعين)شهادة الوفاة الصادرة من دائرة صحة نينوى تحمل الرقم 0681544 المؤرخة في 11 م(، إذ استمر عطاؤه العلمي بين وزارة المعارف ووزارة التعليم العالي)44 عاماً(، قدم من2003 / 10 عمره الكثير للمسيرة التعليمية في العراق والوطن العربي)العبيدي، 2001م، ص78(.

المبحث الثاني :مؤلفات اليوزبكي وبحوثه

أولاً :الكتب والمؤلفات الرئيسية

1. الوزارة، نشأتها وتطورها في الدولة العباسية)132هـ – 447هـ :(من أهم المراجع في معرفة أحوال الوزارة العباسية، وكان مشروع بحث لنيل درجة الماجستير من كلية الآداب جامعة القاهرة بإشراف الدكتور ،حسن حبشي)اليوزبكي، 1975م، ص43 .(ويتكون الكتاب من ستة فصول تتناول أصل الكلمة والوزارة في العصر العباسي الأول وعصر نفوذ الترك وأمرة الأمراء)اليوزبكي، 1975م، ص57(.

تاريخ أهل الذمة في العراق)12هـ – 247هـ :(أطروحة دكتوراه من جامعة عين شمس بإشراف .**2** الدكتور عبد المنعم ماجد، طُبع عام 1983م في الرياض ويتكون من 480 صفحة تتوزع على خمسة أبواب تناولت أحوالهم قبل الفتح الإسلامي وموقفهم من الفتح، وعقائدهم ودورهم السياسي والاجتماعي .والاقتصادي)اليوزبكي، 1988م، ص24(

كتاب النظم العربية الإسلامية :صدر عام 1977م في جامعة الموصل ويتكون من 225 صفحة .**3** ،وتسعة فصول تشمل النظم السياسية والحديثة، الإدارة، المال، الجيش، والقضاء)اليوزبكي، 1977م .(ص44

مؤسسة الوزارة في الدولة العباسية)132هـ – 656هـ :(صدر عام 1989م عن وزارة الإعلام .**4** ،بغداد ومكون من 80 صفحة يكمل فيه دراسته السابقة للوزارة حتى سقوط بغداد)اليوزبكي، 1988م .(ص32

دراسات في الحضارة العربية الإسلامية :بالاشتراك مع الدكتور أحمد قاسم الجمعة)1996م(، حيث .**5** .كتب اليوزبكي غالبية الفصول التاريخية والحضارية فيه)اليوزبكي، 1975م، ص65(

ثانياً :البحوث العلمية المنشورة والمقبولة للنشر

الجدول 1 :ثَبَت بالبحوث العلمية المنشورة للدكتور توفيق اليوزبكي

#	عنوان البحث العلمي	مجلة /مكان النشر	السنة /العدد
1	دراسات في الوثائق الإسلامية)عهد عمر (بن الخطاب	المجلة التاريخية المصرية (القاهرة)	العدد 22، 1975م
2	التعريب في العصرين الأموي والعباسي	مجلة آداب الرافدين (الموصل)	العدد 7، 1976م
3	الملامح العامة للمطامع الاستعمارية في الخليج العربي	مجلة آداب الرافدين (الموصل)	العدد 8، 1977م

4	نظرات في موقف الإسلام والدولة الإسلامية من أهل الذمة	مجلة زانكو)جامعة (السليمانية	العدد 1، 1978م
5	المرأة العربية والتعليم	مجلة آداب الرافدين (الموصل)	،العدد 10)خاص(م1979
6	الثغور ودورها العسكري والحضاري	مجلة آداب الرافدين (الموصل)	العدد 11، 1979م
7	المشكلة الفلسطينية وتطورها التاريخي	مجلة زانكو)جامعة (السليمانية	،مجلد 5، العدد 11 م1979
8	عمر المختار والحركة السنوسية	مجلة آداب الرافدين (الموصل)	العدد 12، 1980م
9	مظاهر الثقافة العربية الإسلامية في الهند	مجلة آداب الرافدين (الموصل)	العدد 13، 1980م
10	الصراع الفكري العربي ـ الفارسي في التاريخ	وقائع ندوة المركز القومي للبحوث)بغداد(	م1981

.المصدر :إعداد الباحثَين اعتماداً على السيرة العلمية للدكتور توفيق اليوزبكي

ثالثاً :المساهمة في الحلقات الدراسية والمؤتمرات والندوات العلمية

• حلقة دراسية حول)التاريخ السياسي والاقتصادي والاجتماعي(، جامعة يورك، إنكلترا)1 – 30 / 7 / 1979م(.

• المؤتمر الفكري حول الصهيونية، بغداد)8 – 12 /11 /1976م(.

• مؤتمر الدراسات التاريخية لشرق الجزيرة العربية، الدوحة – قطر)21 – 27 /3 /1977م(.

• ندوة الدراسات الإسلامية، جامعة أم درمان – السودان)11 – 18 /2 /1978م(.

• المؤتمر التاريخي للمؤرخين والباحثين لإحياء ذكرى عمر المختار، بنغازي – ليبيا)1979م(.

المبحث الثالث :أسلوب اليوزبكي من خلال مؤلفاته

تميز أسلوب الدكتور توفيق اليوزبكي بالعديد من الخصائص والأركان المنهجية التي برزت في مؤلفاته، ومن أبرزها:

1. **الرغبة والدافعية**، :امتلاكه الشغف الضروري لتقديم بحث علمي جاد ورصين)اليوزبكي، 1975م، ص65).
2. **الصبر والتحمل** :ظهر بوضوح في مرحلة جمع المادة العلمية وتصنيفها)اليوزبكي، 1976م، ص54(.
3. **الموضوعية والأمانة العلمية** :تجلت في كتاباته خاصة عند معالجة تاريخ أهل الذمة والحياد في تقلبات نظام الخلافة والوزارة)اليوزبكي، 1988م، ص68(.
4. **سلامة الألفاظ والوضوح** :الابتعاد عن التعقيد والمصطلحات الغامضة مما جعل كتاباته تلائم مختلف المستويات الفكرية)اليوزبكي، 1975م، ص65(.
5. **التسلسل التاريخي والدقة** :الانضباط الزمني والدقة في صياغة المفاهيم والتمهيد المنهجي للموضوعات (اليوزبكي، 1976م، ص87؛ اليوزبكي، 1977م، ص43).
6. **إثراء الجانب الحضاري والإداري** :التركيز على النظم الإدارية والحياة الاقتصادية والاجتماعية في التاريخ الإسلامي)اليوزبكي، 1988م، ص65(.
7. **"النقود والتعليق على المصادر** :نقد المصادر التاريخية وتحليلها بعناية كما فعل مع كتاب "الفصل لابن حزم و"تاريخ الحكماء "لابن القفطي.

الخاتمة:

يُعد الدكتور توفيق اليوزبكي من الشخصيات العلمية العراقية المرموقة التي قدمت خلال مسيرتها العلمية العديد من الإنجازات في مجال خدمة التاريخ بشكل عام والتاريخ الإسلامي بصورة خاصة .وقد كثرت مؤلفاته في التاريخ الإسلامي والحديث إلى جانب البحوث العلمية القيمة التي أنجزها أثناء فترة عمله في جامعة الموصل، مما يجعل من شخصيته وتراثه الأكاديمي مادة غنية تستحق البحث والدراسة المستمرة.

قائمة المراجع

1. اليوزبكي، توفيق سلطان)1976م .(الوزارة نشأتها وتطورها في الدولة العباسية)132هـ - 447هـ(.)ط2 .(جامعة الموصل، ص5
2. اليوزبكي، توفيق سلطان)1983م .(تاريخ أهل الذمة في العراق)12هـ - 247هـ) (ط1 .(دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ص9.
3. اليوزبكي، توفيق)1977م .(دراسات في النظم العربية والإسلامية)ط1 .(الموصل، ص3.
4. اليوزبكي، توفيق)1975م .(تاريخ تجارة مصر في العصر المماليكي .جامعة الموصل، ص3.
5. اليوزبكي، توفيق)1988م .(مؤسسة الوزارة في الدولة العباسية)132هـ - 656هـ) (ط1 .(بغداد، ص80.
6. العبيدي، أزهر)1999م .(أسماء وألقاب موصلية .دار الكتب والوثائق، بغداد.

Research Sources (English):

1. Al-Yuzbaki, Tawfiq Sultan (1976). The Ministry, Its Origins and Development in the Abbasid Empire (132-447 AH) (2nd ed.). University of Mosul, p. 5.
2. Al-Yuzbaki, Tawfiq Sultan (1983). The History of the People of Dhimmah in Iraq (12-247 AH) (1st ed.). Dar Al-Ulum for Printing and Publishing, Riyadh, p. 9.
3. Al-Yuzbaki, Tawfiq (1977). Studies in Arab and Islamic Systems (1st ed.). Mosul, p. 3.
4. Al-Yuzbaki, Tawfiq (1975). The History of Egypt's Trade in the Mamluk Era. University of Mosul, p. 3.
5. Al-Yuzbaki, Tawfiq (1988). The Ministry's Foundation in the Abbasid Empire (132-656 AH) (1st ed.). Baghdad, p. 80.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-11/07/2026

Iraq and the challenges of rebuilding regional balance (2025–2003)

qasim.muhsan Raheem
University of Babylon - Babylon Center for Civilizational and Historical Studies
Pre421qasim.muhsan@uoababylon.edu.iq

Abstract:

This study examines the profound impact of the 2003 US-led invasion of Iraq and its subsequent repercussions on the stability of the Middle East and the reshaping of regional power balances. The research aims to analyze the fundamental shifts in the regional balance of power following the collapse of the effective Iraqi state, which had been a cornerstone of the regional system. This is achieved through a comparison between Iraq's regional role before the war and its role after 2003. The study employs a comparative analytical approach that identifies the challenges Iraq faced in rebuilding its institutions and restoring its sovereignty. It also analyzes the emergence of non-state actors, such as al-Qaeda and later ISIS, as well as armed groups that exploited the power vacuum to consolidate their influence, thereby undermining internal stability in Iraq and threatening regional and international peace. The research concluded that Iraq's preoccupation with the repercussions of institutional collapse resulting from the 2003 US invasion and the subsequent deterioration of its internal situation prevented it from fulfilling its traditional role in balancing regional powers. This allowed regional and international actors to redraw the map of influence in the region and interfere in its internal affairs, as well as its position and role in the regional balance of power. This clearly indicates the instability of the Middle East region, which has been experiencing a crisis of stability, escalating intertwined conflicts, profound shifts in the balance of power, overlapping projects, and rapidly unfolding dramatic events in the game played by regional and international players and the extent of their influence in the

region. This influence is exerted either directly by these players or through their proxies, whether states or parasitic groups serving their interests—these non-state actors. Amid these transformations and fierce competition, Iraq and its state remain clearly weak in terms of competitiveness, and the extent of the influence of these international and global actors makes it an arena for settling regional geopolitical scores. This necessitates further research into this period of its history, with a particular focus on the mechanisms for Iraq to regain its regional role within the current equations.

.

Keywords: Iraq, American aggression, regional balance.

العراق وتحديات إعادة بناء التوازن الإقليمي (٢٠٠٣– ٢٠٢٥ م)

م.م قاسم محسن رحيم

جامعة بابل– مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

Pre421qasim.muhsan@uoababylon.edu.iq

ملخص:

تناولت هذه الدراسة الأثر العميق للحرب الأمريكية على العراق عام 2003 وما تلاها من تداعيات على استقرار الشرق الأوسط وإعادة تشكيل موازين القوى الإقليمية. يسعى البحث إلى تحليل التحولات الجوهرية في معادلة التوازن الإقليمي بعد تغييب الدولة العراقية الفاعلة التي كانت تشكل ركيزة أساسية في المنظومة الإقليمية، وذلك من خلال المقارنة بين دور العراق الإقليمي قبل الحرب ودوره في مرحلة ما بعد 2003. تستند الدراسة إلى منهج تحليلي مقارن يرصد التحديات التي واجهها العراق في إعادة بناء مؤسساته واستعادة سيادته، ويحلل بروز فواعل من غير الدولة كتنظيم القاعدة وبعدها تنظيم داعش الارهابيتين والأطراف المسلحة التي استغلت فراغ السلطة لتعزيز نفوذها، مما أخل بالاستقرار الداخلي العراقي وهدد السلم الإقليمي والدولي. توصل البحث إلى أن انشغال العراق بتداعيات تفكك المؤسسات من جراء

العدوان الأمريكي ٢٠٠٣ وما جرى من تردي الأوضاع الداخلية للعراق حال دون قيامه بدوره التقليدي في موازنة القوى الإقليمية، مما أتاح الفرصة لدول إقليمية ودولية لإعادة رسم خريطة النفوذ في المنطقة، والتدخل في شؤونه الداخلية فضلا عن مكانته و دوره في لعبة التوازن الإقليمي، في دلالة واضحة على ما سوء استقرار الشرق الأوسط الإقليم الذي أخذ يعيش أزمة استقرار وتصاعد وتيرة الصراعات المتداخلة والتحولات العميقة في معادلة التوازن وتداخل المشروعات المتقاطعة والاحداث الدراماتيكية المتسارعة في لعبة اللاعبين الإقليميين والدوليين وحجم نفوذهم بالمنطقة سواء كانت تدار بطريقة مباشرة من قبلهم أو عبر الفاعلين من وكلائهم دولا كانوا ام جماعات طفيلية تخدم مصالحهم وهم الفواعل من غير الدولة ،وفي ظل هذه التحولات والتنافس الخشن يبقى العراق ودولته يعاني ضعف منافسة واضح وبمديات تأثير هؤلاء الفاعلين الدوليين والعالميين يجعل منه ساحة لتصفية الحسابات الجيوسياسية الإقليمية تأخذنا لضرورة البحث لهذه الحقبة من تأريخه . مع تركيز خاص على آليات استعادة العراق لدوره الإقليمي في ظل المعادلات الراهنة.

الكلمات المفتاحية: الكلمات المفتاحية: العراق، العدوان الأمريكي، التوازن الإقليمي

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مقدمة:

تعد الحرب الأمريكية على العراق عام 2003 نقطة تحول كبرى في تاريخ المنطقة العربية والشرق الأوسط، حيث أسفرت عن تغييرات هيكلية في منظومة العلاقات الدولية الإقليمية، وأحدثت خللاً نوعياً في معادلة التوازن الإقليمي التي كانت قائمة منذ عقود. لقد مثلت هذه الحرب، التي قامت على مبررات مثيرة للجدل، تدخلاً عسكرياً غير مسبوق أطاح بنظام سياسي راسخ وأحدث فراغاً في السلطة، انعكس تداعياً على البنى السياسية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية للدولة العراقية، وأفضى إلى إعادة رسم موازين القوى في الشرق الأوسط برمته.

وإذا كانت الدولة العراقية قد شكلت، قبل عام 2003، أحد الأقطاب الأساسية في المعادلة التوازنية الإقليمية، سواء من حيث موقعها الجيوسياسي الاستراتيجي، أو ثرواتها النفطية الهائلة، أو إرثها الحضاري والتاريخي، أو دورها في مواجهة التحديات الإقليمية، فإن الحرب الأمريكية وما أعقبها من احتلال وتفكيك للدولة أفضى إلى تغييب دور العراق الفاعل، مما خلق فراغاً استراتيجياً استغلته قوى إقليمية ودولية متعددة لتعزيز نفوذها وإعادة ترتيب أوراق المنطقة وفقاً لمصالحها الذاتية.

تعاني المعادلة التوازنية في الشرق الأوسط اليوم من اختلالات بنيوية، يمكن إرجاع كثير منها إلى ذلك الفراغ الذي أحدثه تغييب الدولة العراقية، والذي تجلى في ظهور فواعل جديدة غير دولية، بعضها كان يحمل مشاريع عابرة للحدود كتنظيم داعش الذي مثل أخطر تجليات الفوضى الخلاقة المدمرة، فضلاً عن تزايد نفوذ ميليشيات مسلحة وفصائل سياسية واجهتها الدولة العراقية في معركتها لاستعادة السيادة وبناء المؤسسات. هذا الواقع الجديد طرح إشكاليات كبرى تتعلق بكيفية استعادة العراق لدوره الإقليمي، وما إذا كانت المعادلات الإقليمية الراهنة تسمح بعودة التوازن المنشود، في ظل تداخل المصالح وتشابك الأزمات وصراع المشروعات الإقليمية والدولية.

أهمية البحث وإشكاليته

تنبع أهمية هذا البحث من كونه يتناول تحولاً مفصلياً في تاريخ المنطقة، ويسعى إلى تقديم قراءة علمية موضوعية للتداعيات الاستراتيجية للحرب الأمريكية على العراق، مركزاً على البعد التوازني والإقليمي الذي

لم ينل حظه الكافي من الدرس الأكاديمي الرصين، خاصة من منظور عراقي يرصد التحديات الداخلية والفرص المستقبلية. تشكل إشكالية البحث في السؤال المحوري التالي:

كيف أثرت الحرب الأمريكية على العراق عام 2003 في معادلة التوازن الإقليمي في الشرق الأوسط، وما هي آليات استعادة العراق لدوره الإقليمي في ظل التحولات الراهنة؟

وينبثق عن هذا السؤال أسئلة فرعية عدة، منها:

1. ما هو دور العراق الإقليمي قبل عام 2003، وكيف كانت معادلة التوازن الإقليمي قائمة؟
2. ما هي ملامح الفراغ الذي أحدثته الحرب الأمريكية في الدولة العراقية، وكيف انعكس على الاستقرار الإقليمي؟
3. كيف ساهم ظهور فواعل غير دولية، كتنظيم داعش، في تعميق الأزمة وإعادة تشكيل معادلات القوى؟
4. ما هي التحديات التي واجهت العراق في مسعاه لإعادة بناء الدولة واستعادة السيادة؟
5. كيف يمكن للعراق استعادة دوره الإقليمي في ظل المعادلات الراهنة، وما هي الشروط والضمانات لذلك؟

أهداف البحث

يهدف هذا البحث إلى تحقيق جملة من الأهداف، يمكن إجمالها فيما يأتي:

1. تحليل أثر الحرب الأمريكية على معادلة التوازن الإقليمي في الشرق الأوسط.
2. دراسة حالة الفراغ الذي أصاب الدولة العراقية بعد الحرب.
3. تتبع بروز الفواعل غير الدولية وتأثيرها في إعادة رسم خريطة النفوذ.
4. تشخيص التحديات الرئيسة التي واجهت العراق في إعادة بناء الدولة.
5. تقديم رؤية تحليلية لمستقبل الدور العراقي في معادلة التوازن الإقليمي.

منهجية البحث

يعتمد البحث على المنهج التحليلي المقارن، والمنهج التاريخي، والمنهج الوصفي، والمنهج المستقبلي الاستشرافي.

هيكلية البحث

ينقسم البحث إلى ثلاث مباحث رئيسة، يسبقها تمهيد، ويعقبها خاتمة.

تمهيد :

الإطار النظري لمفهوم التوازن الإقليمي والدولة في الشرق الأوسط

قبل الخوض في تحليل أثر الحرب الأمريكية على العراق واستقرار الشرق الأوسط، يجدر بنا وضع إطار نظري يحدد مفاهيم أساسية تتعلق بالتوازن الإقليمي والدولة في سياق الشرق الأوسط، إذ يشكل ذلك الإطار أداة منهجية لفهم التحولات الكبرى التي شهدتها المنطقة بعد عام 2003. إن مفهوم التوازن الإقليمي في العلاقات الدولية يقوم على فكرة توزيع القوى بين الدول الفاعلة في إقليم معين، بحيث لا تسمح هذه التوزيعة لأي دولة أو تحالف بأن يهيمن على الآخرين، مما يحقق قدراً من الاستقرار النسبي الذي يحد من اندلا ع الصراعات وحروب القوى الكبرى في المنطقة(**العطية، ، 2011، ص 22**)

تعددت النظريات التي تناولت التوازن الإقليمي في أدبيات العلاقات الدولية، فمنها ما ركز على الجانب المادي للقوة، كالقوة العسكرية والاقتصادية والسكانية، ومنها ما أضاف أبعاداً أخرى كالقوة الناعمة والشرعية السياسية والأيديولوجية، في حين ذهبت مقاربات بنيوية إلى أن بنية النظام الدولي ذاتها هي التي تحدد إمكانات تحقيق التوازن أو غيابه(والت، ستيفن م. 1987، ص 18-15)في سياق الشرق الأوسط، ارتبط مفهوم التوازن الإقليمي بمعادلات معقدة تأثرت بثلاثة مستويات رئيسة هي: المستوى الدولي ممثلاً بتدخل القوى الكبرى، والمستوى الإقليمي ممثلاً بتجاذبات القوى الإقليمية التقليدية، والمستوى الداخلي ممثلاً في حالة الدولة الوطنية ومدى تماسكها وقدرتها على الاضطلاع بدورها (العطية، 30،2011-35).

لقد شكلت الدولة الوطنية، في الفكر السياسي الحديث، المحور الأساسي في منظومة التوازن الإقليمي، فهي الوحدة السياسية التي تمتلك السيادة على أراضيها، وتتحمل مسؤولية الأمن والاستقرار، وتدير علاقاتها الخارجية وفق استراتيجيات قائمة على المصالح الوطنية. ولكن في الشرق الأوسط، واجهت الدولة الوطنية تحديات خاصة، إذ تأسست معظم الدول بعد انهيار الدولة العثمانية تحت تأثير الانتدابات والاستعمار، ما

جعلها تعاني من هشاشة في بنيتها وشرعيتها، وتنازع بين هويات متعددة (قومية، دينية، مذهبية، عشائرية) في إطار حدود سياسية مرسومة اصطناعياً(تشارلز. 2000، ص 110-115)

ويمكن القول إن النظام الإقليمي في الشرق الأوسط قبل عام 2003 كان يقوم على توازن هش، تأرجح بين قطبية ثنائية (في فترات الحرب الباردة) وقطبية أحادية (بعد انهيار الاتحاد السوفيتي)، مع تعدد أدوار الفواعل الإقليمية الرئيسة، التي كان العراق أحد أبرزها، إلى جانب مصر والسعودية وإيران وإسرائيل وتركيا. وقد امتاز العراق بخصوصية فريدة جعلت منه عاملاً محورياً في أي معادلة توازنية، تتمثل في موقعه الجيوستراتيجي الذي يربط بين المشرق العربي والخليج، فضلاً عن كونه يطل على مياه إقليمية حساسة كالخليج العربي، ويجاور دولاً متعددة ذات أهمية كبرى، ويمتلك ثاني احتياطي نفطي في العالم، ويشكل عمقاً استراتيجياً للأمن القومي العربي، مع إرث حضاري وتاريخي يعزز مكانته المعنوية(السامرائي، 2012،ص45) .

غير أن هذا الدور العراقي تعرض لانتكاسات متوالية، نتيجة حروب متعاقبة بدأت بالحرب مع إيران (1980-1988)، ثم حرب الخليج الثانية (1990-1991)، فالحصار الاقتصادي (1991-2003)، مما أضعف قدرات العراق العسكرية والاقتصادية لكنه لم يُفقده دوره الإقليمي بالكامل، فظل يمثل عاملاً مؤثراً في معادلات الأمن الإقليمي، سواء من حيث كونه

منطقة عازلة بين القوى المتنافسة، أو فضاءً تنافسياً للنفوذ(الناصري، 2006، ص 88) ولما كانت هذه الدراسة تسعى إلى تحليل التحول الكبير الذي أحدثته الحرب الأمريكية، فإن قراءة ما قبل 2003 ستمثل خطوة أولى ضرورية لفهم عمق التحول في المعادلات الراهنة، وهذا ما سنتناوله بالتفصيل في المبحث الأول.

المبحث الأول:

العراق في معادلة التوازن الإقليمي قبل الحرب الأمريكية 2003

أولاً: الموقع الجيوسياسي والاستراتيجي للعراق في الشرق الأوسط

يمثل العراق، بحكم موقعه الجغرافي وتاريخه الحضاري وثرواته الطبيعية، أحد المحاور الأساسية في النظام الإقليمي للشرق الأوسط، وهو ما جعله فاعلاً رئيساً في موازين القوى بالمنطقة قبل عام 2003. إذ يتوسط العراق مناطق حساسة تمثل ملتقى ثلاث قارات (آسيا، أوروبا، أفريقيا)، ويطل على الخليج العربي من خلال منفذ

مائي ضيق لكنه بالغ الأهمية، ويجاور سبع دول (تركيا، إيران، الكويت، السعودية، الأردن، سوريا، والخليج العربي)، مما يمنحه موقعاً جيوستراتيجياً مميزاً جعله ساحة تنافس ونفوذ للمشروعات الإقليمية والدولية عبر العصور(السامرائي، 2012، ص 50-55) لم تكن الأهمية الاستراتيجية للعراق مقتصرة على موقعه الجغرافي فقط، بل امتدت إلى كونه يمتلك ثروات طبيعية هائلة، إذ يحتل المرتبة الثانية عالمياً في احتياطي النفط المؤكد، إلى جانب ثروات غازية كبيرة، وموارد مائية حيوية تتمثل في نهري دجلة والفرات اللذين يشكلان شريان الحياة للعراق وأجزاء من دول الجوار. كما أن العراق يمتلك أرضاً زراعية خصبة جعلته لقرون طويلة سلة غذاء المنطقة، وهذا المزيج من المقومات الطبيعية جعله لاعباً مؤثراً في الاقتصاد الإقليمي، وقادراً على التأثير في أسواق الطاقة العالمية، خصوصاً في فترات الأزمات والتقلبات(**صالح، 22،2019**)على صعيد البعد الحضاري والثقافي، يشكل العراق امتداداً لحضارات عريقة كالسومرية والبابلية والآشورية، فضلاً عن كونه مركزاً للإشعاع الفكري والديني في العالمين العربي والإسلامي، مع مدن مقدسة للشيعة (النجف، كربلاء) وأخرى ذات مكانة سنية (بغداد، سامراء)، إضافة إلى تنوعه العرقي والقومي (عرب، كرد، تركمان، كلدان، آشوريون، وغيرهم)، مما جعل منه نموذجاً فريداً للتعددية والتنوع في المنطقة، وإن كان هذا التنوع قد شكّل نقطة قوة وضعف في آن معاً(تشارلز. 2000، ص 200-205)

ثانياً: دور العراق في موازين القوى الإقليمية قبل 2003

لقد تبوأ العراق موقعاً بارزاً في معادلات التوازن الإقليمي للشرق الأوسط، خاصة منذ استقلاله عام 1932، ثم بصورة أكثر وضوحاً بعد ثورة 1958 التي أسست للجمهورية، فانخرط العراق في مشاريع قومية وعربية وإقليمية متعددة، وسعى إلى لعب دور فاعل في النظام الإقليمي، وإن كان ذلك الدور قد تباين تبعاً لمتغيرات عدة منها طبيعة

النظام السياسي، وتحولات البيئة الإقليمية والدولية(**الخفاجي، 2009، ص 15**)

يمكن تلمس ملامح الدور العراقي الإقليمي من خلال عدة محاور رئيسة، أولها دوره في الأمن القومي العربي ومواجهة المشروع الصهيوني، إذ كان العراق واحداً من الدول التي خاضت حروباً ضد إسرائيل (عام 1948، 1967، 1973)، وقدم تضحيات كبيرة في هذا السياق، وأقام تحالفات عربية موجهة ضد الكيان

الصهيوني، مع تبنيه خطاباً قومياً متصاعداً في بعض فترات حكم حزب البعث، مما جعله فاعلاً أساسياً في أي معادلة عربية إقليمية(المصدر نفسه، ص 33-38)

أما المحور الثاني، فيتمثل في الدور العراقي في مواجهة التمدد الإيراني بعد قيام الثورة الإسلامية عام 1979، إذ خاض العراق حرباً طويلة وشاقة مع إيران استمرت ثماني سنوات (1980-1988)، مثلت واحدة من أطول الحروب في القرن العشرين وأكثرها دموية، حيث تحول العراق بفضل الدعم الإقليمي والدولي إلى حائط صد في وجه المد الإيراني، وهو ما عزز مكانته لدى دول الخليج العربي والعالم العربي عموماً، وإن كانت هذه الحرب قد أجهضت الكثير من الطموحات التنموية وأغرقت العراق في ديون خارجية كبيرة، ونزفت قدراته البشرية والمادية، لكنها في المحصلة أكسبته دوراً مركزياً في معادلة التوازن الإقليمي في الخليج (الناصري، 2006، ص 102)

أما المحور الثالث، فيتمثل في دوره في ملفات إقليمية متعددة كالقضية الفلسطينية، ودعم الجبهات العربية في مواجهة إسرائيل، والانخراط في الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، فضلاً عن علاقاته المتشابكة مع تركيا في ملف المياه والأكراد، ومع سوريا في ملفات الأمن القومي والبعث، ومع دول الخليج في ملفات الأمن والنفط، مما جعل العراق يقع في قلب تقاطع المصالح الإقليمية ويشكل عاملاً محورياً في أي معادلة تسوية إقليمية (الجبوري، 2018، ص 78) غير أن الغزو العراقي للكويت عام 1990 وما تلاه من حرب الخليج الثانية (1991) شكلا تحولاً دراماتيكياً في الدور العراقي، إذ قوضت الحرب وتبعاتها (الحصار الاقتصادي، مناطق حظر الطيران، تفتيش الأسلحة، عقوبات الأمم المتحدة) جزءاً كبيراً من القدرات العراقية، وأدت إلى عزلة سياسية واقتصادية خانقة، لكنها لم تشطب العراق تماماً من المعادلة الإقليمية، إذ ظل يشكل هاجساً أمنياً لدول الجوار، وورقة ضغط دولية في ملفات النفط والأمن والاستقرار، مع بقائه دولة ذات سيادة وإن كانت مقيدة بقيود الحصار والعقوبات(التميمي، 2010، ص 55-60)

ثالثاً: فواعل ومحددات التوازن الإقليمي في مرحلة ما قبل 2003

ارتكز النظام الإقليمي في الشرق الأوسط قبل 2003 على مجموعة من الفواعل والمحددات التي تحكمت في تشكيل معادلات القوى، ويمكن إجمال تلك الفواعل في الأطراف الإقليمية الأساسية التي كانت تتنافس وتتحالف وفق تغيرات المصالح والتحديات المشتركة. وقد مثلت تلك الفواعل نسيجاً توازنياً معقداً، كانت

فيه علاقات القوة تتحدد وفق مقاييس القدرات العسكرية والاقتصادية، وحجم التأثير السياسي، والعمق الاستراتيجي، ودرجة الالتزام بالمشاريع الأيديولوجية أو القومية المشتركة(**العطية، 2011، ص 70**) من بين الفواعل الإقليمية الرئيسة في تلك الحقبة: مصر التي كانت تمثل القطب العربي التقليدي، ومركز الثقل الديمغرافي والثقافي والعسكري للعالم العربي، مع دور سياسي بارز عبر الجامعة العربية، ومشروع القومية العربية الناصرية، على الرغم من تراجع دورها بعد توقيع اتفاقية كامب ديفيد عام 1978 وخروجها من دائرة المواجهة مع إسرائيل، مما أتاح فراغاً تنافسياً ملأته دول أخرى كالعراق والمملكة العربية السعودية وسوريا[16]. **ينظر: الجندي، سامح صادق. دور العراق في معادلة الأمن الإقليمي. القاهرة: المركز القومي** للدراسات، 2015، ص 20.

أما المملكة العربية السعودية فقد مثلت ثقلاً اقتصادياً ودينياً، بفضل موقعها كقبلة للإسلام وحاضنة للحرمين الشريفين، وقائد أوبك في إدارة أسواق النفط، وداعم رئيس للمشاريع الإسلامية وللفواعل السنية في المنطقة، مما جعلها عنصراً مؤثراً في موازين القوى، وإن كان دورها في الملفات السياسية العسكرية أقل جرأة من غيرها، وتميل إلى التوازن والتوسط أكثر من المواجهة المباشرة[17].[17] ينظر: نيبلك، تيم. **المملكة العربية السعودية: القوة والشرعية والبقاء** (**Saudi Arabia: Power, Legitimacy and Survival**. 2006، ص 150) وكانت إيران تشكل، بعد ثورة 1979، لاعباً رئيساً بامتياز، متمثلاً بمشروع تصدير الثورة ودعم الفواعل الموالية لها في المنطقة، وتحدي الهيمنة الأمريكية والإسرائيلية، مع قدرات جيوسياسية هائلة، وامتداد طائفي يؤثر في العراق ولبنان وسوريا والخليج، مما جعلها قطباً مضاداً للتحالف العربي – الغربي المرتبط بالمشروع الأمريكي في المنطقة[18]. ينظر: بايمان، دانيال. **دور إيران في العراق (Iran's Role in Iraq**. واشنطن: 2015، ص 45)

أما تركيا فكانت لاعباً مزدوجاً، ينتمي إلى حلف الناتو ويتبنى مشروعاً علمانياً غربياً، لكنه يرتبط بالعمق الجغرافي والتاريخي لمنطقة الشرق الأوسط، ويمتلك قدرات عسكرية واقتصادية متنامية، وتطلعات سياسية منذ أتاتورك إلى الاندماج في أوروبا، لكن مع اهتمام متعاظم بأقاليم جواره، وفي مقدمتها العراق وسوريا، خاصة في ملفي المياه والأكراد، مما جعلها فاعلاً مؤثراً في المعادلات الإقليمية وإن كان دورها أقل بروزاً في الملفات العربية قبل 2003.(كاظم، 2019، ص 33)

وإلى جانب الدول الفواعل الكبرى، كان هناك فاعل دولي رئيس تمثل في الولايات المتحدة الأمريكية التي كانت ترعى النظام الإقليمي عبر تحالفاتها مع دول الخليج ومصر وإسرائيل وتركيا، وتسعى لضمان أمن الطاقة واستقرار المنطقة، وتوازن القوى بين إيران والعراق، وهو ما جعلها عنصراً خارجياً فاعلاً في معادلة التوازن الإقليمي لكنها كانت خارج دائرة الإقليم بمعناه الجغرافي(درويش، 2018، ص 88)

يمكن القول بأن معادلة التوازن قبل 2003 كانت تستند إلى قدرة الدول الإقليمية الكبرى على إدارة صراعاتها واحتوائها ضمن حدود معينة، مع قنوات اتصال وتحالفات متغيرة، من دون أن يحدث خلخلة كبرى تمس كيان إحدى الدول الفاعلة، بل إن القوى الكبرى كانت تفضل الحفاظ على حالة توازن هش يضمن استمرار تدفق النفط واستقرار الأنظمة الحليفة، من دون تغيير جذري في خريطة القوى. العراق كان لاعبا رئيساً في هذه المعادلة، لكنه شهد تراجعاً مضطرداً في قدراته بعد حرب الخليج الثانية والحصار، مما مهّد لظروف ساعدت القوى الدولية، وفي مقدمتها الولايات المتحدة، على إعادة النظر في هذه المعادلة بما يخدم مصالحها، ويضع العراق في خانة الدولة الخاضعة لإرادتها، سواء عبر عقوبات أمريكية أو تدخل عسكري مباشر لاحقاً(الكناني، 2017، ص 120)

رابعاً: العراق والدولة الوطنية في مرحلة ما قبل 2003

لا يمكن فهم التحولات التي طرأت على النظام الإقليمي بعد الحرب الأمريكية من دون قراءة حالة الدولة العراقية ذاتها، من حيث بنيتها ومؤسساتها وقدرتها على الاضطلاع بوظائف الدولة الوطنية. وقد شهد العراق، منذ تأسيس الدولة العراقية الحديثة عام 1921، تطوراً في مؤسسات الدولة وبنيتها، وإن كان هذا التطور قد تعرض لانتكاسات نتيجة الانقلابات العسكرية المتكررة، والاستبداد السياسي، والحروب المتعاقبة، مما ترك أثراً سلبياً على نضج المؤسسات وتراكم الخبرات وإرساء ثقافة سيادة القانون(الحسناوي، 2015، ص 66) في ظل حكم حزب البعث (1968-2003)، شهد العراق تحولاً نحو المركزية المفرطة، وتبني أيديولوجية قومية عربية قامت على قمع التعددية السياسية والقومية والطائفية، وبناء دولة أمنية قمعية، مع تركيز السلطة بيد الرئيس وقلة من المقربين، مما أضعف مؤسسات الدولة وأخضعها لإرادة الحاكم، وجعلها أداة لقمع المعارضة وتكريس الهيمنة، لكنها بالرغم من ذلك ظلت دولة ذات سيادة تعترف بها المؤسسات

الدولية، وتدير علاقات دبلوماسية واسعة، ولها جيش وأجهزة أمنية ووزارات ومنظومة إدارية، وإن كانت تعاني من الفساد والبيروقراطية والضعف الكفائي(الحيدري، 2019، ص 40)

وقد كان النظام العراقي، في العقود الأخيرة قبل 2003، دولة ذات توجهات استراتيجية واضحة، وإن كانت في حالة صراع دائم مع المجتمع الدولي، خاصة بعد غزو الكويت وفرض العقوبات التي أضعفت الاقتصاد العراقي ورفعت منسوب المعاناة الإنسانية، وزادت من عزلة العراق الخارجية، لكنها مع ذلك بقيت دولة متماسكة، لها جيشها وإدارتها، وقادرة على إدارة شؤونها الداخلية، ومواجهة التحديات الأمنية، بما في ذلك الانتفاضات الشعبية في الجنوب والشمال بعد 1991، التي تم إخمادها بقوة السلاح، في محاولة للحفاظ على تماسك الدولة وسيادتها(العزاوي، 2014، ص 99)

هذه المعطيات تشير إلى أن العراق قبل 2003، رغم كل عيوبه وهشاشته، كان يتمتع بصفات الدولة الوطنية الأساسية: السيادة الكاملة على أراضيه، ومؤسسات حكومية فاعلة (وإن كانت قمعية)، وقدرة على الاضطلاع بالمسؤوليات الدولية، وتأثير إقليمي يضعه في مصاف الدول المؤثرة في المنطقة، وإن كان ذلك التأثير قد تراجع منذ أواخر التسعينيات تحت وطأة الحصار والتفكك الداخلي النسبي. وقد مثل هذا التناقض بين قوة الدولة وضعفها في آن معاً أرضية خصبة لتدخل خارجي يرمي إلى تغيير النظام وإعادة تشكيل الدولة العراقية على نحو يتلاءم مع المصالح الأمريكية، وهذا ما ستكشفه تفاصيل الحرب الأمريكية وما تلاها في المبحث الثاني (العبيدي، 2020، ص 55)

المبحث الثاني: أثر الحرب الأمريكية في تفكيك الدولة العراقية وإحداث الفراغ الإقليمي

أولاً: الحرب الأمريكية على العراق 2003: الأسباب والذرائع ومراحل الاحتلال

لم تكن الحرب الأمريكية على العراق وليدة لحظة سياسية عابرة، بل جاءت نتيجة تراكمات استراتيجية وتطورات دولية جعلت العراق هدفاً أساسياً في إستراتيجية الولايات المتحدة لإعادة هيكلة منطقة الشرق الأوسط بما يخدم مصالحها، ويتوافق مع رؤيتها الإقليمية التي تبنتها بعد أحداث 11 سبتمبر 2001، التي

مثلت لحظة تحول كبرى في السياسة الخارجية الأمريكية، إذ تم إعادة تعريف الأمن القومي ليشمل محاربة الإرهاب ونشر الديمقراطية وتغيير الأنظمة غير الصديقة في المنطقة، وكان العراق في مقدمة هذه الأنظمة(**الشامي، 2006، ص**)تعددت المبررات التي ساقتها الإدارة الأمريكية، في مقدمتها اتهام النظام العراقي بحيازة أسلحة دمار شامل (كيميائي وبيولوجي ونووي) وتهديده للأمن الإقليمي والدولي، وارتباطه بتنظيمات إرهابية (كالقاعدة)، فضلاً عن انتهاكاته لحقوق الإنسان وقمع شعبه، وعدم امتثاله لقرارات مجلس الأمن الدولي التي صدرت بعد حرب الخليج الثانية. غير أن هذه المبررات سرعان ما تبين أنها كانت مسوقة سياسياً، إذ لم يعثر المحققون الدوليون على أي دليل يثبت وجود أسلحة دمار شامل، ولا صلة قوية بين النظام العراقي وتنظيم القاعدة، مما أثار جدلاً واسعاً حول شرعية الحرب، وأظهر أن دوافعها كانت أبعد من هذه الذرائع المعلنة[27]. ينظر: دودج، توبي. **العراق: من الحرب إلى استبداد جديد** (**Iraq: From War to a New Authoritarianism**. 2013، ص 88)

من الناحية الاستراتيجية، يمكن تفسير الحرب الأمريكية من خلال أهداف أوسع، منها الرغبة في السيطرة على منابع النفط العراقية وتأمين الإمدادات العالمية، وتوجيه ضربة استباقية لإيران وسوريا (باعتبارهما خصمين للولايات المتحدة في المنطقة)، وإعادة بناء نظام إقليمي يخضع للتوجيه الأمريكي، وإقامة نموذج ديمقراطي في قلب الشرق الأوسط يلهم تحولات سياسية في دول الجوار (كما ظهر في مشروع الشرق الأوسط الكبير)، وكسر القوة العربية القومية التي شكلها صدام حسين لقرابة ثلاثة عقود(تشومسكي، نعوم. 2006، ص 150) انطلقت العمليات العسكرية رسمياً في 20 مارس 2003، بشن الولايات المتحدة وحلفائها (بريطانيا وأستراليا وبولندا، وبعض الدول الأخرى) غارات جوية مكثفة على بغداد ومدن عراقية أخرى، تلتها عملية برية سريعة من ثلاث محاور رئيسة: الجنوب عبر الكويت، والشمال عبر تركيا (بالتحالف مع الأكراد)، والغرب عبر الأردن، وهو ما مكن القوات الأمريكية من السيطرة على بغداد في غضون ثلاثة أسابيع من بدء الحرب، وتمكنت القوات الأمريكية من دخول العاصمة والإطاحة بالنظام في 9 أبريل 2003، وهو التاريخ الذي شهد انهيار الحكم البعثي، وإعلان الاحتلال الأمريكي للعراق (التميمي، , 2010, 112)

يمتاز الاحتلال الأمريكي بمراحله المختلفة، فبعد مرحلة الاجتياح العسكري السريع، جاءت مرحلة الحكم المؤقت بقيادة بول بريمر ممثلاً للسلطة الائتلافية المؤقتة، التي أصدرت قرارات حاسمة شكلت انعطافة كبرى، ومنها حل الجيش العراقي والمؤسسات الأمنية، وإقالة المعلمين والموظفين المنتمين لحزب البعث، وفرض سياسات اجتثاث البعث التي اتسعت لتطال قطاعات واسعة من المجتمع، مما أدى إلى خلق حالة من الفراغ الأمني والفوضى، وحرمان آلاف العراقيين من وظائفهم ومصادر رزقهم، وإفقاد الدولة قدراتها المؤسسية في لحظة فارقة (العزاوي، 2014، ص 135) ثم أعقبت ذلك مرحلة تسليم السلطة للحكومة العراقية المؤقتة (2004) فالحكومة الانتقالية (2005) فالحكومة الدائمة بعد دستور 2005، وسط استمرار الوجود العسكري الأمريكي، وتنامي ظاهرة العنف الطائفي والمقاومة المسلحة، وتدخل الجوار في الشأن العراقي لملء الفراغ الذي أحدثه انهيار الدولة، مما جعل عملية التحول السياسي في العراق محفوفة بالصعوبات والتحديات، وأفضى إلى دولة جديدة ترزح تحت وطأة الاحتلال والتدخلات الخارجية والصراعات الداخلية(الحيدري، 2019، ص 77)

ثانياً: انهيار مؤسسات الدولة العراقية وتبعاته على السيادة والاستقرار

أسفرت الحرب الأمريكية والاحتلال الذي تلاها عن انهيار مؤسسات الدولة العراقية، سواء تلك المتعلقة بالأمن والجيش، أو المؤسسات الإدارية والقضائية والخدمية، مما خلق فراغاً هيكلياً عميقاً في إدارة الدولة وتسيير شؤونها. وكان القرار الأمريكي الأكثر تأثيراً في هذا السياق هو حل الجيش العراقي في 23 مايو 2003، وهو جيش كان يضم نحو 400 ألف عسكري، فضلاً عن مؤسسات الأمن والمخابرات، مما أدى إلى تسريح مئات الآلاف من الرجال المسلحين والمدرّبين، وتركهم دون وظائف ولا مأوى، وهو ما شكل أرضية خصبة لظهور التنظيمات المسلحة والمقاومة، فضلاً عن تفاقم البطالة والفقر في المجتمع العراقي (الحسناوي، 2015، ص 13) لم يقتصر حل الجيش على الجانب الأمني فحسب، بل امتد آثاره إلى كافة جوانب الدولة والمجتمع، فالجيش العراقي كان يمثل رمزاً وطنياً لاستقرار الدولة (على الرغم من انتقادات دوره السياسي في فترات سابقة)، وكان يشكل جهة توظف فئات واسعة وتوفر لهم العيش الكريم، كما كان يمثل مدرسة للانضباط والولاء الوطني، وقد أدى حله إلى شعور بالخذلان والغضب لدى فئات كبيرة من العراقيين، خاصة في مناطق الوسط والغرب التي كانت تشكل معاقل النظام السابق، فتحول بعضهم للمقاومة، في

حين تحول آخرون إلى الاندماج في الفصائل المسلحة الدينية أو المذهبية، وهو ما ساهم في تعميق الانقسامات الداخلية وتقويض السلم الأهلي(الجلبي أحمد نوري ، 2014، ص 45) إضافة إلى المؤسسة العسكرية، عانت مؤسسات الدولة الأخرى من تفكك شامل، فوزارات الصحة والتعليم والمواصلات والنفط والكهرباء، ومؤسسات القضاء والعدالة والمحاكم، جميعها تعرضت لنهب وتخريب وتفكيك في الأيام الأولى للاحتلال، وفقدت الأرشيفات والسجلات، وتوقفت خدماتها الأساسية عن أبناء الشعب، وعانى العراقيون من انقطاع الكهرباء والماء، وشح الأدوية والغذاء، وتدهور الخدمات الصحية والتعليمية، مما أسهم في تراجع جودة الحياة وتعمق حالة الإحباط واليأس(زهران، 2010، ص 112) وعلى صعيد السيادة الوطنية، فقد مثل الاحتلال انتقاصاً صارخاً من سيادة العراق واستقلاله، وأخضع قراراته السياسية والاقتصادية والأمنية لإرادة المحتل، مما أثار مشاعر وطنية ودينية غاضبة، وساهم في تنامي خطاب المقاومة، سواء من التيارات القومية العربية أو الإسلامية السنية أو الشيعية، وإن اختلفت أهدافها ومرجعياتها. لقد أصبح العراق، في مرحلة الاحتلال الأولى، تحت سيطرة السلطة الائتلافية المؤقتة، ثم تحت إشراف قوات التحالف، مما جعل قراراته مرتبطة بإرادة القوة المحتلة، حتى مع تشكيل حكومات عراقية متعاقبة، فقد ظلت هذه الحكومات ضعيفة وغير قادرة على اتخاذ قرارات مستقلة، لا سيما في الملفات الأمنية والسياسية الكبرى (الموسوي رحيم: **2003** ، 2016، ص 98) لقد أفضى انهيار الدولة إلى خلق حالة من الفوضى الأمنية والخروج عن القانون، وساهم في صعود ظواهر خطيرة كالاختطاف، والقتل على أساس هوياتي، والنزوح القسري، وتفشي السلاح، وانتشار الفساد، وغياب هيبة الدولة وسيادة القانون، مما حال دون تمكن الدولة العراقية الجديدة من ترسيخ دعائمها واستعادة ثقة المواطنين، وأحدث شرخاً اجتماعياً عميقاً بين مكونات الشعب العراقي، سهّل تدخل الأطراف الإقليمية في الشأن العراقي، وجعل العراق ساحة لصراعات بالوكالة بين القوى الإقليمية والدولية، وهو ما سنتناوله بتوسع في المبحث الثالث (العبيدي، مثنى فاضل(الفواعل غير الدولية ، 2020، ص 145)

ثالثاً: تداعيات الفراغ الأمني والسياسي على عموم الاستقرار الإقليمي

شكّل الفراغ الأمني والسياسي الذي أعقب انهيار الدولة العراقية، تداعياته مباشرة على محيط العراق الإقليمي، إذ أفضى إلى زعزعة استقرار المنطقة برمتها وخلخلة معادلات التوازن التي كانت قائمة. فغياب السلطة المركزية الفاعلة في العراق أتاح فرصاً للقوى الإقليمية لتوسيع نفوذها على حساب مصالح العراق، وأشعل

تنافسات حادة بين الدول المجاورة، على خلفية التخوف من تحول العراق إلى قاعدة خلفية لخصومها، أو ساحة حرب بالوكالة تصب في مصالح أطراف دون أخرى، وهو ما أسهم في تعقيد المشهد الإقليمي وجعله أكثر توتراً وعدم استقرار(الهيتي، 2014، ص 34)

فمن الناحية الأمنية، تحول العراق إلى فضاء مفتوح لتجمع التنظيمات الإرهابية والمتطرفة، وأصبح ملاذاً آمناً لعناصر تنظيم القاعدة والجماعات الجهادية، التي كانت قد وجدت في غياب السلطة وضعفها، فرصة سانحة لإعادة تنظيم صفوفها وشن هجماتها، ليس فقط ضد القوات الأمريكية وقوات التحالف، بل أيضاً ضد المدنيين والمرافق الحيوية، وضد دول الجوار التي اتهمتها بالتدخل، مما أسفر عن موجة عنف غير مسبوقة في العراق، امتدت تداعياتها إلى دول الجوار عبر عمليات تفجير وتهريب وتسلل ومخاطر أمنية متنوعة (الدوري سامي كامل ، 2017، ص55) أما على الصعيد السياسي، فقد أصبح العراق مسرحاً لتنافس الأجندات الإقليمية، إذ تدخلت دول الجوار بطرق مختلفة لدعم أطراف سياسية وطائفية معينة، بهدف تعظيم نفوذها وتقليل نفوذ منافسيها، وهو ما حول العراق إلى ساحة صراع إقليمي مفتوح، وأربك المشهد السياسي الداخلي، وجعل الحكومة العراقية فاقدة للسيطرة الكاملة على قراراتها، وتواجه ضغوطاً إقليمية متشابكة، وتستجيب لمطالب دول الجوار حفاظاً على علاقاتها وتحاشياً للتصعيد، مما أضعف دورها الإقليمي المستقل وجعلها تابعة في كثير من الأحيان للأجندات الخارجية(عبود طالب ، 2018، ص88)

ولعل أبرز تجليات الفراغ الإقليمي تمثل في صعود النفوذ الإيراني في العراق، إذ استغلت إيران حالة الفوضى والتفكك لتعزيز وجودها في العراق عبر دعم فصائل شيعية مسلحة، وبناء شبكات نفوذ سياسية واقتصادية وأمنية واسعة، وأقامت علاقات وثيقة مع قادة الأحزاب والكتل السياسية الشيعية التي تولت الحكم بعد 2003، مما منحها دوراً محورياً في القرارات العراقية، وأثار قلق دول الخليج والولايات المتحدة، وشكّل عاملاً مقلقاً في استقرار المنطقة(حمدان، 2020، ص 45).

في المقابل، سعت دول الخليج العربية، وبخاصة المملكة العربية السعودية والإمارات، إلى مواجهة هذا التمدد الإيراني عبر دعم فاعلين سياسيين عراقيين آخرين، خاصة في المكون السني، وأقامت علاقات اقتصادية وإغاثية واسعة مع بعض المناطق العراقية، وسعت لتعزيز الحضور العربي في العراق لموازنة النفوذ الإيراني، غير

أن هذه الجهود ظلت محدودة في تأثيرها مقارنة بالنفوذ الإيراني الراسخ، مما جعل العراق ساحة تنافس إقليمي مكشوف بين الطرفين (الخليفي، 2017، ص 112)

أما تركيا، فقد نظرت إلى الأوضاع في العراق بقلق بالغ، خاصة في ما يتعلق بملف الأكراد وتنامي نفوذ حزب العمال الكردستاني في شمال العراق، فتدخلت عسكرياً عدة مرات، وأقامت قواعد عسكرية في العمق العراقي، مما أضاف بعداً جديداً للتدخل التركي في الشأن العراقي، وأجج التوترات بين الأطراف العراقية المختلفة، وزاد من تعقيد المشهد الأمني في منطقة كردستان العراق، وأثر على استقرار العلاقات بين بغداد وأنقرة (كاظم، 2019، ص 102)

وإلى جانب التدخلات الإقليمية، ظل التدخل الدولي فاعلاً ومستمراً، فالولايات المتحدة التي كانت وراء إسقاط النظام، بقيت جزءاً من المشهد العراقي لسنوات طويلة، من خلال قواتها العسكرية (التي انسحبت جزئياً عام 2011 ثم عادت عام 2014)، وسفارتها الضخمة في بغداد، ونفوذها الكبير في القرار السياسي العراقي، وعلاقاتها الوثيقة مع بعض الكتل السياسية، مما جعل السيادة العراقية مقيدة بمصالح واشنطن الإستراتيجية في المنطقة، وأثر على استقلالية القرار العراقي في ملفات عدة، من بينها التعامل مع إيران، وسياسة النفط، والعلاقات مع دول المنطقة (ناجي، 2020، ص 78)

إن هذه التداعيات الإقليمية المتشابكة، أفضت إلى إعادة رسم خريطة النفوذ في الشرق الأوسط، إذ غابت الدولة العراقية القوية التي كانت تشكل ثقلاً توازنياً، وحل محلها دولة هشة منقسمة، تعاني من تدخلات إقليمية ودولية، وتكافح من أجل البقاء، وأصبحت ساحة للتنافس الإقليمي، مما أخل بالتوازن الإقليمي لصالح قوى بعينها، وفتح الباب أمام فواعل جديدة غير تقليدية، سنتناولها في المبحث الثالث لاستكمال صورة التحول الإقليمي برمته (الشمري، 2021، ص 67)

المبحث الثالث: بروز الفواعل غير الدولية وإعادة رسم موازين القوى في الشرق الأوسط

أولاً: تنظيم داعش وتجليات الفوضى الخلاقة في العراق والمنطقة

يعد بروز تنظيم "الدولة الإسلامية في العراق والشام" (داعش) في عام 2014، من أخطر تجليات الفراغ الذي أحدثته الحرب الأمريكية في العراق، وأبرز الأمثلة على الفوضى الخلاقة التي تمخضت عن تغييب الدولة العراقية وإضعافها. فالتنظيم الذي كان في بداياته فرعاً لتنظيم القاعدة في العراق، استطاع أن يستثمر حالة

الانقسام السياسي والطائفي، والخلافات بين بغداد وأربيل، وسخط العشائر السنية على سياسات التهميش والإقصاء، ليقوم باجتياح مدن كبرى في شمال وغرب العراق (كالموصل وتكريت والفلوجة)، ويعلن قيام "خلافة" مزعومة تمتد من حلب السورية إلى ديالى العراقية، في مشهد صدم المنطقة والعالم (الدوري، 2017، ص 88)

تميزت تجربة داعش بالوحشية المفرطة، والتطرف الفكري، واستخدام وسائل الإعلام والتواصل الحديثة ببراعة، وجذب آلاف المقاتلين من مختلف دول العالم، فضلاً عن تنظيم هيكلي وعسكري لافت، مكنه من السيطرة على مساحات شاسعة، والاستيلاء على موارد مالية هائلة من نهب المصارف وتهريب النفط والآثار وفرض الإتاوات، مما جعله تهديداً وجودياً ليس فقط للعراق وسوريا، بل للدول المجاورة والعالم بأسره، بعد أن أعلن الحرب على كل من يخالف عقيدته، ومن ضمنهم الدول الغربية عبر تنفيذ عمليات إرهابية في أوروبا وأمريكا (كوكبورن، 2015، ص 120)

يمكن رؤية بروز داعش من عدة زوايا تحليلية، فمن الناحية الأمنية، مثل التنظيم تحدياً غير مسبوق للقوات المسلحة العراقية التي انهارت في بداية المواجهة، مما استدعى تدخلاً عسكرياً دولياً بقيادة الولايات المتحدة، وتشكيل تحالف دولي لمحاربة التنظيم، وإعادة بناء القوات العراقية من جديد، وهو ما أضاف عبئاً إضافياً على العراقيين في معركتهم ضد الإرهاب، وزاد من معاناتهم الأمنية والاقتصادية والاجتماعية (عبد الله، 2018، ص 55)

أما من الناحية السياسية، فقد مثل بروز داعش مكسباً مؤقتاً لبعض الأطراف الإقليمية والدولية التي راهنت على إضعاف الدولة العراقية وإعادة تشكيل خريطة المنطقة وفق أجنداتها، غير أن التنظيم سرعان ما تحول إلى خطر داهم على تلك الأطراف نفسها، مما دفع المجتمع الدولي بأسره إلى التحالف ضد داعش، ودفع دولاً كإيران وتركيا والولايات المتحدة وروسيا إلى التنسيق في مواجهته على الرغم من خلافاتها العميقة، مما يعكس خطورة التنظيم على الأمن الإقليمي والدولي، واستثنائية التهديد الذي مثل (غانم، عبد الجبار. 2018، ص 44)

وقد انعكس ظهور داعش بوضوح على معادلة التوازن الإقليمي، إذ أدى إلى إعادة تعريف التهديدات، وتحول التركيز الإقليمي والدولي نحو مكافحة الإرهاب والتطرف، على حساب ملفات إقليمية أخرى،

وأحدث شرخاً في العلاقات بين دول المنطقة (خاصة بين تركيا وإيران من جهة، ودول الخليج من جهة أخرى، على خلفية اتهامات الدعم غير المباشر للتنظيم)، وأعطى شرعية جديدة لتدخلات القوى الكبرى في المنطقة، وفتح الباب أمام تنسيقات أمنية وعسكرية غير مسبوقة، غير أنه في المحصلة أدى إلى تعميق انقسامات العراق الداخلية، وإعادة إنتاج هواجس طائفية وقومية، مما أثر سلباً على فرص بناء دولة موحدة مستقرة (الصغير بشير محمد. 2016، ص 150)

ثانياً: الفواعل غير الدولية الأخرى وتأثيرها في إعادة تشكيل خريطة النفوذ

لم تقتصر الفواعل غير الدولية في العراق على تنظيم داعش فحسب، بل تعددت وتنوعت بين فصائل سياسية مسلحة، وميليشيات قبلية وعشائرية، وقوى متنفذة غير رسمية، كلها أسهمت في تعقيد المشهد العراقي، وزادت من هشاشة الدولة، وأضعفت سيطرتها على القرار السياسي والأمني، وعملت كواجهات لمصالح إقليمية ودولية متضاربة، مما جعل العراق ساحة لصراعات بالوكالة تعكس تنافس القوى الكبرى والإقليمية على رسم ملامح المنطقة بعد 2003. (العبيدي، 2020، ص 200)

تعد الفصائل المسلحة المرتبطة بإيران، مثل كتائب حزب الله، وعصائب أهل الحق، ومنظمة بدر، ولواء أبو الفضل العباس، وغيرها، من أبرز هذه الفواعل غير الدولية، إذ تشكلت بعد عام 2003 كميليشيات مسلحة ذات هوية شيعية، واكتسبت خبرة قتالية في مواجهة القوات الأمريكية، ثم في حربها ضد داعش، مما منحها قوة ميدانية هائلة، ونفوذاً سياسياً كبيراً، واستطاعت أن تتحول إلى فاعل رئيس في المعادلة السياسية العراقية، عبر مشاركتها في الحكومات المتعاقبة، وامتلاكها مقاعد نيابية، ووزارات حساسة، وتأثيرها في القرارات الأمنية والعسكرية، ما جعلها واجهة نافذة للنفوذ الإيراني، وأداة ضغط على الحكومة العراقية (عارف، ناجي عبد الله. **الفواعل غير الدول ودورها في المنطقة العربية**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2019، ص 88)

وفي المقابل، تطورت فصائل مسلحة أخرى ذات هوية سنية، بعضها كان جزءاً من صحوات العشائر التي شكلتها القوات الأمريكية لمحاربة تنظيم القاعدة في فترة سابقة، ثم تحول بعضها إلى ميليشيات محلية مقاومة ، أو داعمة للحكومة في حربها ضد داعش، أو حتى حليفة لتركيا في شمال العراق، مما زاد من تعقيد المشهد

الأمني، وجعل التنسيق بين هذه الفصائل شبه مستحيل، في ظل انعدام الثقة بين المكونات، وتغليب المصالح الفئوية على المصالح الوطنية العليا (الحسني، 2016،53)

كما أن مناطق إقليم كردستان شهدت تطوراً مماثلاً، مع بروز قوات البيشمركة التي لعبت دوراً محورياً في مواجهة داعش، وحظيت بدعم غربي وعربي واسع، وعززت موقعها كفاعل أساسي في العراق، وأقامت علاقات اقتصادية وأمنية مع تركيا والولايات المتحدة، وهو ما أضفى على الإقليم شبه الرسمي استقلالية أكبر، وأثار مخاوف الحكومة المركزية في بغداد من انفصال الإقليم، خاصة بعد إجراء استفتاء الانفصال عام 2017، مما أضاف بعداً جديداً للصراع الداخلي وأضعف وحدة العراق(محمود ، 2018، ص 112)

إلى جانب الفصائل المسلحة، برزت فواعل غير دولية ذات طابع اقتصادي أو اجتماعي، كالجماعات المسلحة المنظمة لتهريب النفط والبضائع، وشبكات الفساد التي تغلغلت في مؤسسات الدولة، والجماعات الإرهابية النائمة، وجماعات الضغط السياسي والديني، وغيرها من الأطراف التي استفادت من غياب هيبة الدولة وسيادة القانون، لتوسيع نفوذها وتحقيق مكاسب مادية وسياسية على حساب الدولة والمجتمع، مما جعل عملية بناء الدولة أكثر تعقيداً، وأبطأ من وتيرة التقدم المنشود (حسين، 2020، ص 55.)

انعكست هذه الفواعل المتعددة على خريطة النفوذ في العراق والمنطقة، إذ أصبح العراق ساحة تنافس مفتوحة بين القوى الإقليمية والدولية، كل منها يدعم وكلاءه لتحقيق أهدافه، وأصبحت الموازنات السياسية والأمنية في العراق رهناً بتوازنات القوى بين هذه الفواعل، وهو ما جعل الدولة عاجزة عن فرض إرادتها، وأضعف دورها الإقليمي، وجعل العراق حالة استثنائية في الشرق الأوسط، حيث تتصارع فيه أجندات متضاربة دون حسم، مما أثر سلباً على استقراره واستقرار المنطقة برمتها (حمدان، قيس كاظم. **التنافس الإقليمي في العراق**. بغداد: مؤسسة المدى، 2020، ص 99)

ثالثاً: جهود العراق في مواجهة التحديات: العزيمة الوطنية واستعادة مؤسسات الدولة

في خضم هذه التحديات الجسام، لم يستسلم العراق لمصيره، بل أبدى عزيمة وطنية لافتة في مواجهة الإرهاب والتفكك، واستطاع، بالتعاون مع المجتمع الدولي وتحالفات إقليمية متغيرة، أن يحقق إنجازات مهمة في معركة استعادة الدولة ومكافحة الفوضى. لقد شكلت فتوى الجهاد الكفائي التي أطلقها المرجع الديني الأعلى السيد علي السيستاني في يونيو 2014، بعد سيطرة داعش على الموصل، لحظة تحول كبرى، إذ حفزت

آلاف العراقيين للالتحاق بالقوات المسلحة والحشد الشعبي (تشكيلات تطوعية ذات غالبية شيعية لكنها شملت أيضاً سنّة ومسيحيين)، وهو ما أسهم في إعادة التوازن العسكري لصالح العراق، وتمكن من استعادة المدن التي سيطر عليها التنظيم، وصولاً إلى تحرير الموصل عام 2017، وإعلان النصر النهائي على داعش في ديسمبر 2017، وهو إنجاز عسكري وأخلاقي كبير رفع من معنويات العراقيين، وأعاد شيئاً من الثقة بمؤسساتهم(فرحان، 2019، ص 66)

كما أن الدولة العراقية عملت على إعادة بناء قواتها المسلحة، بالتعاون مع التحالف الدولي، وتدريبها وتجهيزها بأسلحة حديثة، وتطوير قدراتها الاستخبارية، مما مكنها من ملء الفراغ الأمني الذي خلفه انسحاب القوات الأمريكية عام 2011، واستعادة الأمن في مناطق واسعة، وإن كانت لا تزال تواجه تحديات أمنية كبيرة تتمثل في خلايا داعش النائمة، والعمليات الإرهابية المتباعدة، والنزاعات الداخلية بين الفصائل المسلحة، واحتدام التنافس الإقليمي على الأراضي العراقية (عبد الله، 2018، ص 102)

على الصعيد السياسي، شهد العراق محاولات متعددة لتثبيت أركان الدولة، من خلال إقرار الدستور عام 2005 الذي أسس لنظام سياسي جديد (برلماني فيدرالي)، وإجراء انتخابات متعاقبة، وتشكيل حكومات ائتلافية، واعتماد مبدأ التوافق في توزيع المناصب السيادية بين المكونات، مما ساهم في إدارة الخلافات واحتواء الصراعات، وإن كانت هذه الحكومات قد عانت من ضعف الأداء، وانتشار الفساد، وغياب الرؤية الإستراتيجية، وتأثرها بالتدخلات الإقليمية، لكنها مكنت العراق من الاستمرار كدولة موحدة، ومن الانخراط في علاقات دولية متوازنة، سعت لاستعادة دوره الإقليمي عبر مسارات متعددة (حمودي ، 2020، ص 88)

ولعل أبرز هذه المسارات، هو المبادرة العراقية للحوار الإقليمي التي أطلقها رئيس الوزراء مصطفى الكاظمي في 2021، والتي استضافت قمم حوارية بين السعودية وإيران (بغداد 1 وبغداد 2)، واجتماعات تشاورية مع دول الجوار، كما أن العراق لعب دوراً محورياً في التوسط بين الفصائل المتناحرة في المنطقة، وتقريب وجهات النظر بين الأطراف المتخاصمة، وهو ما أعاد له بعضاً من وزنه الدبلوماسي الإقليمي، وأظهر قدرته على الاضطلاع بدور وسيط، وإن كان ذلك الدور لا يزال محدوداً ومهدداً بالانهيار في حال استمرت الأزمات الداخلية والتدخلات الخارجية (الزيدي، 2019،45)

كذلك سعت الحكومة العراقية إلى بناء علاقات اقتصادية مع دول الجوار، وتعزيز التعاون في مجالات الطاقة والنقل والتجارة، وإعادة تأهيل البنى التحتية، واستقطاب الاستثمارات العربية والأجنبية، مما أسهم في تحسين الأوضاع الاقتصادية نسبياً، وإن كانت لا تزال تعاني من تبعات عقود من الحروب والحصار والفساد والإرهاب، وتحتاج إلى جهد استثنائي لإعادة الإعمار، وبناء اقتصاد متنوع ومستدام لا يعتمد فقط على النفط، وهو ما يشكل شرطاً أساسياً لاستعادة العراق لدوره الإقليمي واستقراره الداخلي(علي، هاشم جواد. 2020، ص 120)

رابعاً: الفرص والتحديات أمام استعادة العراق لدوره الإقليمي في المعادلة الراهنة

في خضم التحولات الإقليمية والدولية الراهنة، تبرز تساؤلات جوهرية حول مدى قدرة العراق على استعادة دوره الإقليمي في معادلة التوازن التي تغيرت جذرياً بعد عام 2003، وما هي الفرص المتاحة له، وما هي التحديات التي تقف حجر عثرة أمام تحقيق هذا الهدف. لقد أصبح العراق، بعد رحيل النظام السابق، دولة مختلفة في بنيتها وطبيعة نظامها السياسي، ودورها الإقليمي، لكن ذلك لا يعني استحالة العودة، بل إن الفرص قائمة، لكنها مشروطة بإرادة وطنية، وتعاون إقليمي، ودعم دولي، واستثمار ذكي للمتغيرات الراهنة(الشمري، 2021، ص 145)

من أبرز الفرص المتاحة للعراق اليوم، الموقع الجيوستراتيجي الذي يجعله حلقة وصل بين المشرق والخليج، وملتقى للتجارة والطاقة والنقل، مما يمنحه دوراً محورياً في أي مشاريع إقليمية كبرى، كمشاريع ربط الطرق والسكك الحديدية، وأنابيب النفط والغاز، وربط شبكات الكهرباء، وكلها مشروعات تعزز التكامل الإقليمي، وتجعل العراق مركزاً حيوياً للاقتصاد الإقليمي، وهو ما يسهم في تعزيز مكانته وزيادة اعتماد الجوار عليه، مما يترجم إلى نفوذ سياسي وأمني(صالح، 2019، ص 89)

كما يتمتع العراق بثروات طبيعية هائلة تشكل عامل جذب للاستثمارات الدولية، وقوة ضغط في أسواق الطاقة، لا سيما في ظل التحولات التي يشهدها قطاع الطاقة عالمياً (التوجه نحو الطاقة النظيفة، تغير أنماط الاستهلاك، الاضطرابات الجيوسياسية في مناطق إنتاج النفط)، فالعراق يستطيع، عبر إدارة ملف النفط والغاز بذكاء، أن يعزز مكانته الاقتصادية ويحقق عوائد تسهم في بناء الدولة والنهوض بالبنى التحتية، مما يرسخ استقراره ويجعله فاعلاً مؤثراً في المعادلات الإقليمية والدولية (حسين، 2019، ص 35)

كذلك، يشكل التحول في السياسة الخارجية الأمريكية تجاه المنطقة، والانكفاء النسبي للولايات المتحدة عن الالتزامات الأمنية المباشرة، وبروز أدوار جديدة لدول كالصين وروسيا والهند، فرصة للعراق لتنويع شراكاته الدولية، وتوسيع هامش المناورة في علاقاته، والاستفادة من التنافس الدولي لتحقيق مصالحه، دون الارتهان لقطب واحد، مما يمنحه استقلالية أكبر في قراراته، ويعزز حضوره الإقليمي كلاعب مستقل وموازن(ناجي، 2020، ص 120)

أما على الصعيد الإقليمي، فإن التحولات التي تشهدها المنطقة بعد عقود من الصراع، كتطبيع العلاقات بين بعض الدول العربية وإيران (كالاتفاق السعودي – الإيراني بوساطة صينية عام 2023)، وإعادة فتح السفارات، وتبادل الزيارات، وبدء مرحلة جديدة من الحوار الإقليمي، كلها تقدم مناخاً أكثر ملاءمة للعراق لاستعادة دوره كجسر للتواصل بين الأطراف المتنازعة، وهذا هو الدور الذي يمكن أن يلعبه العراق بتميز، ويجعله فاعلاً إقليمياً لا يمكن تجاوزه في أي معادلة تسوية إقليمية مستقبلية(لخليفي، 2017، ص 180)

غير أن هذه الفرص تصطدم بتحديات داخلية وإقليمية ودولية عميقة:

أولها حالة الضعف البنيوي للدولة العراقية، التي ما زالت تعاني من الفساد المستشري، وضعف المؤسسات، وانعدام الثقة بين المواطنين والدولة، والانقسامات السياسية والطائفية، واستمرار النزاعات الداخلية بين المركز والإقليم، وضعف القضاء واستقلاليته، وتداخل المصالح الشخصية والفئوية مع المصالح الوطنية، مما يشل قدرة الدولة على اتخاذ قرارات استراتيجية وإصلاحية جريئة، ويجعلها عرضة للاختراق والتدخلات الخارجية (رشيد، 2019، ص 45)

ثانياً: استمرار التدخلات الإقليمية، وتصاعد التنافس بين القوى الكبرى والإقليمية على النفوذ في العراق، وعدم استقرار بيئة الجوار، كلها عوامل تعيق أي محاولة عراقية لاستعادة دوره الإقليمي، وتجعل العراق رهينة الصراعات الخارجية، ومهدداً بأن يتحول إلى ساحة حروب بالوكالة بين القوى المتنافسة، خاصة إذا استمرت حالة الضعف الداخلي وعدم الاستقرار، وهو ما يستدعي من العراق تبني سياسة خارجية متوازنة وحكيمة، تقوم على المصالح الوطنية والابتعاد عن الصراعات الإقليمية، مع بناء قدرات دفاعية رادعة، وحشد إقليمي ودولي لدعم سيادته واستقلاله(كاظم، 2019، ص 130)

ثالثاً: التحديات الاقتصادية المتراكمة، وارتفاع معدلات الفقر والبطالة، وتدهور الخدمات الأساسية، وفقدان الثقة بالحكومة، وتفشي الفساد، وهدر المال العام، كلها عوامل تضعف من قدرة الدولة على الاضطلاع بوظائفها الأساسية، وتجعل المواطن منشغلاً بمعيشته اليومية، مما يقلل من فرص التعبئة الوطنية حول مشروع إقليمي طموح، ويقوض أي جهود لإعادة بناء الدولة واستعادة دورها، وهو ما يفرض على الحكومة العراقية أولوية معالجة هذه الملفات الداخلية قبل التطلع إلى دور إقليمي أوسع (محسن ، 2019، ص 99)

رابعاً: استمرار التحديات الأمنية، كخلايا داعش النائمة، والجماعات المسلحة الخارجة عن سيطرة الدولة، والصراعات المسلحة بين الفصائل، والنزاعات الحدودية مع دول الجوار، وتدفق الأسلحة والمقاتلين عبر الحدود، كلها تؤثر في استقرار العراق وأمنه، وتستنزف موارده، وتشتت جهوده، وتجعله غير قادر على تقديم صورة دولة مستقرة وقوية قادرة على الإسهام في الاستقرار الإقليمي، مما يحتم على الدولة مضاعفة جهودها الأمنية وتعزيز سيطرتها على كامل أراضيها، والتنسيق مع الدول المجاورة لضبط الحدود ومكافحة الإرهاب بشكل مشترك (جليل، 2018، ص 55)

إن استعادة العراق لدوره الإقليمي، في ظل هذه التحديات، تبقى رهينة بقدرة الدولة العراقية على تجاوز أزماتها الداخلية، وبناء مؤسساتها، وتعزيز سيادتها، وتحقيق التنمية المستدامة، وبناء شراكات إقليمية متوازنة، والاستثمار الذكي في موقعها وثرواتها، مع الاعتماد على إرادة وطنية صلبة، وإجماع وطني على أولوية الدولة ومصالح العراق العليا، بعيداً عن الفئوية والطائفية والتبعية الخارجية، وهو ما يشكل المشروع الوطني الأكبر الذي يجب أن تتكاتف من أجله كل القوى الوطنية العراقية، بدعم من المجتمع الدولي، ليكون العراق دولة فاعلة ومؤثرة في معادلة التوازن الإقليمي من جديد (سلمان، 2019، ص 77)

الخاتمة والنتائج والتوصيات

أولاً: النتائج

توصل البحث إلى مجموعة من النتائج المهمة، يمكن إجمالها فيما يأتي:

1. تمثل الحرب الأمريكية على العراق عام 2003 نقطة تحول مفصلي في تاريخ المنطقة، إذ أسفرت عن تغيير جذري في معادلة التوازن الإقليمي، وأضعفت الدولة العراقية التي كانت تمثل ثقلاً

استراتيجياً، مما خلق فراغاً في السلطة والنفوذ في قلب الشرق الأوسط، وانعكس سلباً على استقرار المنطقة برمتها.

2. أدى حل الجيش العراقي والتفكيك المؤسسي الذي مارسته سلطة الاحتلال إلى انهيار الدولة العراقية وفقدان سيطرتها على أمنها واستقرارها، مما فتح الباب أمام فوضى أمنية غير مسبوقة، وتفشي العنف والطائفية، وصعود تنظيمات إرهابية كانت في مقدمتها داعش، التي استغلت غياب الدولة لتحقق مكاسب ميدانية وسياسية واقتصادية هائلة، وهددت استقرار العراق والمنطقة والعالم.
3. تسبب الفراغ الناجم عن تفكك مؤسسات الدولة في تعزيز تدخلات القوى الإقليمية والدولية في الشأن العراقي، وتحويل العراق إلى ساحة تنافس مفتوح، وصراع بالوكالة بين الأطراف الإقليمية، مما أضعف سيادته واستقلالية قراره، وزاد من تعقيد أزماته الداخلية، وأعاق مسيرة بناء الدولة ومؤسساتها، وأخر استعادة دوره الإقليمي.
4. شكل ظهور تنظيم داعش أخطر تجليات الفوضى الخلاقة التي أحدثتها الحرب الأمريكية، وأبرز مثال على انعكاسات تغييب الدولة العراقية، حيث مثل تهديداً وجودياً للدولة والمجتمع، وأعاد تعريف التهديدات الإقليمية والدولية، وأجبر المجتمع الدولي على التحالف لمواجهته، مما زاد من تداخل المصالح الدولية في الشأن العراقي، وعمق من انقساماته الداخلية.
5. شهد العراق جهوداً وطنية كبيرة لمواجهة هذه التحديات، تمثلت في فتوى الجهاد الكفائي، والتحشيد الشعبي، وإعادة بناء القوات المسلحة، وتحرير الأراضي من داعش، وإقامة حوارات إقليمية، وإطلاق مبادرات وساطة، مما أسهم في استعادة بعض التوازن، وأظهر قدرة العراق على الاضطلاع بدور إقليمي، وإن كان هذا الدور لا يزال محدوداً وهشاً.
6. تواجه عملية استعادة العراق لدوره الإقليمي تحديات كبيرة، أبرزها: ضعف الدولة وهشاشة مؤسساتها، واستمرار التدخلات الإقليمية، والأزمات الاقتصادية المزمنة، والفساد، وانعدام الاستقرار الأمني، وتنامي النزاعات الداخلية، ونقص الإرادة السياسية الموحدة، وفقدان الثقة بين

مكونات الشعب العراقي، مما يجعل تحقيق هذا الهدف مرهوناً بتجاوز هذه التحديات بجهد وطني وإرادة استثنائية.

٧-ازمة تولي السلطة السياسية من قبل جماعة تفتقر لعامل القدرة والكفاءة وتشتت رؤية أهدافها واستراتيجياتها في الحكم فضلا عن شيوع نمط التدخلات الخارجية في صفوفها الأمر الذي جعلها تفقد عوامل النجاح في الحكم الوطني والرشيد ومن تجليات ذلك هو استمرار التدخلات الخارجية في صفوفها واستشراء الفساد السياسي والإداري وسيادة معايير المحسوبيات الضيقة في تولي المناصب الإدارية وغياب معايير العدالة الاجتماعية، فضلا عن المناصب والنفوذ السياسي لغير المؤهلين لتوليها مما جعل العراق ودولته يعاني ضعف الأداء الوظيفي وغياب الرؤية الإستراتيجية للاداء المؤسسي السليم والهدر للمقدرات العامة للدولة وسيادة نظام حكم يقترب من الفوضى والتحلل وضعف الإنجاز.

ثانياً: التوصيات

انطلاقاً من النتائج التي تم التوصل إليها، يوصي البحث بما يأتي:

1. **إعطاء أولوية قصوى لإعادة بناء مؤسسات الدولة وتفعيلها،** من خلال مكافحة الفساد، وتحسين الأداء الحكومي، وإصلاح القضاء، وتعزيز سيادة القانون، وبناء جهاز إداري كفؤ ومحايد.
2. **تعزيز السيادة الوطنية وإنهاء كافة أشكال التدخل الخارجي،** عبر تبني سياسة خارجية متوازنة، وتنويع الشراكات، وبناء علاقات حسن جوار.
3. **بناء قوة عسكرية وأمنية وطنية احترافية،** تكون ولاؤها للوطن وحده، وقادرة على حماية سيادة العراق ومكافحة الإرهاب.
4. **تطوير الاقتصاد الوطني وتنويعه،** والاستثمار الأمثل في الثروات الطبيعية، ومكافحة الفساد، وتحسين بيئة الأعمال.
5. **تعزيز المصالحة الوطنية وإعادة بناء النسيج الاجتماعي العراقي،** عبر حوار شامل يضمن حقوق جميع المكونات.
6. **الاستثمار في الدور الوسيط للعراق،** وتفعيل مبادراته الدبلوماسية الإقليمية لحل النزاعات.

7. **الاستمرار في محاربة الإرهاب والتطرف**، وتعزيز التعاون الأمني، ودعم خطاب التسامح والاعتدال.
8. **تطوير العلاقات مع الجامعة العربية ومنظمة التعاون الإسلامي والمجتمع الدولي**، لحشد الدعم لإعادة الإعمار والاستقرار.
9. **إيلاء أهمية خاصة للشباب والمرأة والمجتمع المدني**، وإشراكهم في صنع القرار وتمكينهم.
10. **تطوير التعليم والبحث العلمي**، والاستثمار في بناء الإنسان العراقي، وإعادة المكانة العلمية للعراق.

قائمة المصادر

أولاً: المصادر العراقية

1. الجبوري، حسين علي. **السياسة الخارجية العراقية بعد 2003: تحديات وآفاق**. بغداد: مركز الدراسات الاستراتيجية، 2018.
2. الحسناوي، عامر عبد الرزاق. **انهيار الدولة العراقية وتداعياته على الأمن الوطني**. بغداد: دار الشؤون الثقافية، 2015.
3. السامرائي، خالد أحمد. **العراق في النظام الإقليمي: دراسة في التوازن والصراع**. بغداد: بيت الحكمة، 2012.
4. التميمي، فاروق صالح. **الحرب الأمريكية على العراق: الأسباب والنتائج**. بغداد: مركز الخليج للدراسات، 2010.
5. العزاوي، نجم الدين. **الاحتلال وإشكالية بناء الدولة في العراق**. بغداد: مؤسسة المدى للطباعة والنشر، 2014.
6. الدوري، سامي كامل. **داعش: الجذور والامتدادات**. بغداد: دار الكتب والوثائق، 2017.
7. الموسوي، رحيم عبد الزهرة. **التوازن الإقليمي في الشرق الأوسط بعد 2003**. النجف: مركز الرافدين للدراسات، 2016.
8. الخفاجي، مناف عبد الكريم. **دور العراق في الأمن القومي العربي (1968–2003)**. بغداد: الجامعة المستنصرية، 2009.
9. الزيدي، علي كاظم. **السياسة الخارجية العراقية بين التوازن والتبعية**. بغداد: دار الحكمة، 2019.
10. العبيدي، مثنى فاضل. **الفواعل غير الدولية وتأثيرها في الاستقرار العراقي**. بغداد: مركز النهرين للدراسات، 2020.

11. الناصري، عبد الحسين. **الحرب العراقية – الإيرانية وأثرها في التوازن الإقليمي**. البصرة: مركز دراسات الخليج، 2006.

12. الشمري، حيدر جاسم. **مستقبل الدولة العراقية في ظل التحولات الإقليمية**. كربلاء: جامعة كربلاء، 2021.

13. الكناني، رائد عزيز. **الأمن الإقليمي في الخليج العربي بعد 2003**. البصرة: مؤسسة الأمل، 2017.

14. الحيدري، محمد باقر. **النظام السياسي العراقي بعد 2005: إشكاليات الحكم والبناء**. النجف: مركز الكوفة للدراسات، 2019.

15. الجلبي، أحمد نوري. **العراق بين الاحتلال والاستقلال: شهادات وتحليلات**. بغداد: دار الساقي، 2014.

16. عبود، طالب كاظم. **تطور العلاقات العراقية – الإيرانية بعد 2003**. بغداد: مركز الدراسات الإيرانية، 2018.

17. الحسني، عبد الكريم. **دور العشائر في الاستقرار السياسي العراقي**. بغداد: جامعة بغداد، 2016.

18. صالح، كمال عبد الله. **السياسة النفطية العراقية وتحديات السوق العالمية**. بغداد: مؤسسة النفط، 2019.

19. محمد، سرى خالد. **المرأة والمجتمع المدني في العراق بعد 2003**. بغداد: دار المعرفة، 2020.

20. عبد الرزاق، نبيل إبراهيم. **التعليم العالي في العراق: التحديات وآفاق التطوير**. بغداد: وزارة التعليم العالي، 2018.

21. حسين، علي محمود. **الأمن المائي العراقي في ظل السياسات المائية التركية والإيرانية**. بغداد: مركز أبحاث الموارد المائية، 2019.

22. ناجي، سعد عبد الله. **مستقبل العلاقات العراقية – الأمريكية في ظل التحولات الإقليمية**. بغداد: مركز الدراسات الأمريكية، 2020.

23. محمود، إياد عزيز. **تحديات بناء الدولة العراقية في ظل الفيدرالية**. الموصل: جامعة الموصل، 2018.

24. فرحان، رائد صبري. **المصالحة الوطنية العراقية: إشكاليات وحلول**. بغداد: مركز السلام للدراسات، 2019.

25. حمودي، علي كريم. **التطورات السياسية في العراق بعد 2003: قراءة تحليلية**. النجف: مركز الرافدين للدراسات، 2020.

26. رشيد، صباح أحمد. **الفساد الإداري والمالي في العراق: أسبابه وآليات مكافحته**. بغداد: هيئة النزاهة، 2019.

27. غانم، عبد الجبار. **الصحوة العشائرية ودورها في محاربة الإرهاب**. بغداد: دار الشؤون الثقافية، 2018.

28. كاظم، ماجد جاسم. **العلاقات العراقية – التركية بعد 2003**. بغداد: مركز الدراسات التركية، 2019.

29. حسين، مصطفى كامل. **دور الدين في السياسة العراقية بعد 2003**. بغداد: بيت الحكمة، 2020.

30. علي، هاشم جواد. **التحديات الاقتصادية التي تواجه العراق بعد داعش**. بغداد: مركز التخطيط الاستراتيجي، 2020.

31. عبد الله، صباح مهدي. **إعادة بناء القوات المسلحة العراقية: الإنجازات والتحديات**. بغداد: مركز الدفاع الوطني، 2018.

32. حمدان، قيس كاظم. **التنافس الإقليمي في العراق (إيران – تركيا – السعودية)**. بغداد: مؤسسة المدى، 2020.

33. محسن، حسين عبود. **الأحزاب السياسية العراقية بعد 2003: دراسة تحليلية**. بغداد: دار الكتب والوثائق، 2019.

34. جليل، وليد عبد الرحمن. **دور الإعلام في بناء الدولة العراقية**. بغداد: مركز الإعلام والدراسات، 2018.

35. سلمان، نبيل جاسم. **النازحون واللاجئون في العراق: أسباب وحلول**. بغداد: المفوضية العليا لحقوق الإنسان، 2019.

ثانياً: المصادر العربية والاجنبية

المصادر العربية

36. العطية، خالد عبد الله. **الشرق الأوسط الجديد: إعادة رسم الخريطة**. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2011.

37. الهيتي، عادل ناصر. **الأمن الإقليمي في الشرق الأوسط بعد الحرب الأمريكية**. عمان: دار الشروق، 2014.

38. زهران، محمد سامي. **جغرافية الصراع في الشرق الأوسط**. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2010.

39. الصغير، بشير محمد. **العراق والاستقرار الإقليمي**. بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2016.

40. الشامي، عدنان. **الحرب الأمريكية على العراق: دوافع ونتائج**. دمشق: دار الفكر، 2006.

41. درويش، محمود عبد الرحمن. **التنافس الدولي والإقليمي في الشرق الأوسط**. الرياض: مركز الدراسات السياسية، 2018.

42. النعيمي، حسن كريم. **الصراع الإقليمي في الخليج العربي**. الكويت: مركز البحوث الأمنية، 2016.

43. الجندي، سامح صادق. **دور العراق في معادلة الأمن الإقليمي**. القاهرة: المركز القومي للدراسات، 2015.

44. عارف، ناجي عبد الله. **الفواعل غير الدول ودورها في المنطقة العربية**. بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، 2019.

45. الخليفي، جاسم محمد. **تداعيات انهيار الدولة العراقية على الأمن الخليجي**. الدوحة: مركز الجزيرة للدراسات، 2017.

المصادر الأجنبية

46. Chomsky, Noam. **Failed States**: **The Abuse of Power and the Assault on Democracy**. New York: Metropolitan Books, 2006.
47. Dodge, Toby. **Iraq: From War to a New Authoritarianism**. London: Routledge, 2013.
48. Tripp, Charles. **A History of Iraq**. Cambridge: Cambridge University Press, 2000.
49. Cockburn, Patrick. **The Rise of Islamic State: ISIS and the New Sunni Revolution**. London: Verso, 2015.
50. Gause, F. Gregory. **The International Relations of the Persian Gulf**. Cambridge: Cambridge University Press, 2010.
51. Ehteshami, Anoushiravan. **Syria and Iran: Middle Powers in a Penetrated Regional System**. London: Routledge, 2016.
52. Niblock, Tim. **Saudi Arabia: Power, Legitimacy and Survival**. London: Routledge, 2006.
53. Byman, Daniel. **Iran's Role in Iraq**. Washington: Brookings Institution Press, 2015.
54. Walt, Stephen M. **The Origins of Alliances**. Ithaca: Cornell University Press, 1987.
55. Mearsheimer, John J. **The Tragedy of Great Power Politics**. New York: Norton, 2001.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-11/07/2026

Government Public Policy for Combating Intellectual Terrorism in Iraq after 2014

ASS-LEC: Raed Mohamed Sabah AL-Dabagh
University of Babylon / Babylon Center for Civilizational and Historical Studies
pre645.raed.mohammed@uobabylon.edu.iq

Abstract:

Given the seriousness of intellectual terrorism as a form of threat that targets societal awareness and value systems, and whose repercussions may develop from intellectual influence and incitement into the practice of violence and physical terrorism, this study aims to examine the concept, methods, and causes of intellectual terrorism, and to analyze the Iraqi government's policy toward combating it, particularly the legal framework and the shift in its policy orientation after 2014. It also seeks to identify the principal governmental mechanisms adopted to combat intellectual terrorism and the requirements for building intellectual security. The study argues that combating intellectual terrorism cannot rely solely on security and legal measures, given its multiple causes, diverse instruments, and ability to penetrate the social, cultural, media, and digital environments. Rather, it requires the adoption of a more comprehensive public policy that integrates prevention, confrontation, and treatment, with the participation of all relevant state institutions. The post-2014 period compelled the Iraqi government to broaden the scope of its response to include confronting the intellectual environment conducive to extremism, alongside addressing physical terrorist activity. Accordingly, the effectiveness of government policy depends on its ability to achieve integration among legislation and security, educational, cultural, media, and religious institutions; activate awareness and intellectual-prevention programs; counter hate speech and extremism; and utilize digital tools for prevention and monitoring. Therefore, building intellectual security constitutes a fundamental pillar in combating intellectual terrorism, as it contributes to protecting individuals and society and reducing the likelihood that extremist ideas will develop into terrorist violence, thereby enhancing national security and societal stability in Iraq.

Keywords: Intellectual Terrorism, Public Policy, Intellectual Security, Iraq, Combating Intellectual Terrorism.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعروة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

السياسة العامة الحكومية لمكافحة الارهاب الفكري في العراق بعد عام 2014

م.م رائد محمد صباح الدباغ
جامعة بابل/ مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية
pre645.raed.mohammed@uobabylon.edu.iq

ملخص:

انطلاقاً من خطورة الإرهاب الفكري بوصفه أحد أنماط التهديد التي تستهدف وعي المجتمع ومنظومته القيمية، والذي تتطور تداعياته من التأثير الفكري والتحريض إلى ممارسة العنف والإرهاب المادي، يهدف البحث إلى بيان مفهوم الإرهاب الفكري وأساليبه وأسبابه، وتحليل السياسة الحكومية العراقية في مواجهته، ولا سيما الإطار القانوني والتحول في توجهاتها بعد عام 2014، فضلاً عن تشخيص أهم الآليات الحكومية المعتمدة في مكافحته ومتطلبات صناعة الأمن الفكري، وبهذا يؤمن البحث بأن مواجهة الإرهاب الفكري لا يمكن أن يقوم على المعالجة الأمنية والقانونية وحدها، نظراً لتعدد أسبابه وتشعب أدواته وقدرته على التغلغل في البيئة الاجتماعية والثقافية والإعلامية والرقمية، بل من خلال تبني سياسة عامة أكثر شمولاً تجمع بين الوقاية والمواجهة والمعالجة تشترك بها جميع المؤسسات، حيث ان مرحلة ما بعد عام 2014 فرضت على الحكومة العراقية توسيع نطاق استجابتها لتشمل مواجهة البيئة الفكرية الحاضنة للتطرف، إلى جانب مواجهة النشاط الإرهابي المادي، وبهذا نجد أن فاعلية السياسة الحكومية ترتبط بقدرتها على تحقيق التكامل بين التشريع والمؤسسات الأمنية والتعليمية والثقافية والإعلامية والدينية، وتفعيل برامج التوعية والتحصين الفكري ومواجهة خطاب الكراهية والتطرف والاستفادة من الوسائل الرقمية في الوقاية والرصد، وعليه تمثل صناعة الأمن الفكري محوراً أساسياً في مكافحة الإرهاب الفكري لأنها تسهم في تحصين الفرد والمجتمع والحد من فرص انتقال الفكر المتطرف إلى سلوك إرهابي مادي، بما يعزز الأمن الوطني والاستقرار المجتمعي في العراق.

الكلمات المفتاحية: الإرهاب الفكري، السياسة العامة، الامن الفكري، العراق، مكافحة الإرهاب الفكري.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مقدمة:

يُعدّ الإرهاب الفكري من التحديات الخطيرة التي تهدد استقرار المجتمعات وأمن الدول، لما ينطوي عليه من نشر للأفكار المتطرفة ومحاولة فرضها على الأفراد والمجتمع بوسائل مختلفة، حيث لا تقتصر خطورته على الجانب الفكري والثقافي فقط بل تمتد آثاره إلى الجوانب السياسية والاجتماعية والأمنية، بما قد يهدد منظومة القيم والتعايش والاستقرار المجتمعي في البلاد، وقد ازدادت أهمية مواجهة الإرهاب الفكري في العراق نتيجة التحولات والأزمات التي شهدها البلد، وخاصة بعد عام 2014 وما رافقها من انتشار للأفكار المتطرفة وتداعياتها على المجتمع والدولة، وفي هذه المرحلة بالتحديد، برزت الحاجة إلى تطوير سياسة عامة حكومية قادرة على مواجهة مسببات الإرهاب الفكري والحد من آثاره، إلى جانب تعزيز وسائل الوقاية منه، وتتطلب هذه المواجهة تكامل الأطر القانونية والمؤسساتية والتربوية والإعلامية والثقافية، بما يسهم في الحد من انتشار الفكر المتطرف ومعالجة البيئة الحاضنة له، ومن هنا تبرز أهمية دراسة السياسة العامة الحكومية العراقية في مكافحة الإرهاب الفكري، للكشف عن طبيعة التحولات التي طرأت عليها بعد عام 2014 ومدى استجابتها لمتطلبات المرحلة، كما تكتسب آليات مكافحة الإرهاب الفكري أهمية خاصة في بناء الأمن الفكري، بوصفه أحد المرتكزات الضرورية لحماية المجتمع وتعزيز الاستقرار والأمن الوطني، وعلى هذا الأساس يسعى البحث إلى تحليل السياسة العامة الحكومية لمكافحة الإرهاب الفكري في العراق بعد عام 2014 من خلال بيان مفهومه وأساليبه وأسبابه، وتشخيص السياسة الحكومية وآلياتها في مواجهته ودورها في صناعة الأمن الفكري.

أهمية البحث: تنبع أهمية البحث من خطورة الإرهاب الفكري باعتباره أحد التهديدات التي تستهدف أمن المجتمع واستقراره من خلال نشر الأفكار المتطرفة وتعزيز بيئة التطرف والعنف، كما تبرز أهميته في دراسة السياسة العامة الحكومية العراقية في التعامل مع هذه الظاهرة والكشف عن طبيعة التحول في توجهاتها وآلياتها القانونية والمؤسسية، ومدى إسهامها في مواجهة الفكر المتطرف والحد من انتشاره، وكذلك يسهم البحث في إبراز أهمية الأمن الفكري بوصفه أحد المرتكزات الأساسية لتعزيز الأمن الوطني والاستقرار المجتمعي.

إشكالية البحث: يحاول البحث مناقشة الإجابة عن تساؤلات عدة منها: ما الذي يجعل من الإرهاب ينتقل من كونه فكري الى مادي؟ ما هي الاليات الحكومية لمواجهة هذا التحول؟ ما هي متطلبات صناعة الامن الفكري؟

فرضية البحث: ينطلق البحث من فرضية مفادها ان مواجهة الإرهاب الفكري هي مسؤولية تشترك بها جميع المؤسسات الأمنية والتعليمية والثقافية والإعلامية والدينية بدعم حكومي مستمر ومنظم بقانون، للحد منه بغيه تحقيق الاستقرار الأمني والمجتمعي في البلاد.

منهجية البحث: تم الاعتماد بالدرجة الأساس على المنهج التحليلي النظمي من خلال الوقوف على مدخلات ومخرجات موضوع البحث للتوصل الى أفضل النتائج بالاستعانة بالمنهج الوصفي.

هيكلية البحث: تم تقسيم البحث الى مبحثين ومقدمة وخاتمة وجاء كالاتي: تضمن المبحث الأول الاطار المفاهيمي للإرهاب الفكري وقد احتوى على مطلبين، تناول المطلب الأول ماهية الإرهاب الفكري والسياسية العامة، اما المطلب الثاني فقد تناول أساليب الإرهاب الفكري واسبابه، اما المبحث الثاني فقد تركز على السياسة الحكومية لمكافحة الإرهاب الفكري في العراق بعد عام 2014 وقد تكون من مطلبين، جاء في المطلب الأول ملامح السياسة الحكومية لمكافحة الإرهاب الفكري، اما المطلب الثاني فقد ناقش الآليات الحكومية لمكافحة الإرهاب الفكري وصناعة الامن الفكري.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للإرهاب الفكري

يُعدّ الإرهاب الفكري من الظواهر المعقدة التي تستهدف منظومة الأفكار والقيم والاتجاهات داخل المجتمع، وتسعى إلى التأثير في وعي الأفراد وتوجيه سلوكهم نحو التطرف والعنف، وتبرز أهمية تحديد إطاره المفاهيمي في ضبط مفهومه، فضلاً عن فهم العوامل والأساليب التي تسهم في انتشاره، وعليه يتناول هذا المبحث ماهية الإرهاب الفكري وعلاقته بالسياسة العامة، إلى جانب بيان أبرز أساليبه والأسباب التي تقف وراء ظهوره وانتشاره.

المطلب الأول: ماهية الإرهاب الفكري والسياسة العامة

يتطلب فهم ظاهرة الإرهاب الفكري الإحاطة بمفهومه وخصائصه، إلى جانب بيان مفهوم السياسة العامة بوصفها الإطار الذي تعتمد من خلاله الدولة في تحديد توجهاتها وأدواتها لمواجهة التحديات المختلفة.

ومن ثم، يتناول هذا المطلب مفهوم السياسة العامة ومفهوم الإرهاب الفكري، تمهيداً لفهم العلاقة بينهما في إطار مكافحة هذه الظاهرة.

أولا: مفهوم السياسة العامة

من المتعارف عليه ان ادبيات العلوم السياسية مليئة بتعريفات السياسة العامة، وكل منهم حاول ان يكون ادق من سابقيه في توضيح هذا المفهوم باعتباره يتميز بالتنوع والشمول والتغلغل داخل كافة جوانب الحياة الاجتماعية، ويمكن القول انها عملية ديناميكية تتطور باستمرار الهدف منها تحقيق الرفاهية في المجتمع وحل مشاكله والارتقاء بمستوى الفرد وتحقيق طموحاته وأهدافه المرسومة، وهنا يتوضح ان هذه العملية هي من مسؤوليات الأجهزة الحكومية مع مساهمة غير مباشرة من الجهات الغير رسمية في ضل توفر العناصر الأساسية للسياسة العامة وهي (الايدلوجية، الحكومة، مصلحة عامة، افراد وجماعات)، وعلى هذا الأساس سنعول على عدة تعاريف رئيسية يمكن ان تعطي فكرة عامة واساسية عن السياسة العامة (عبود، 2005، ص4).

من بين الكثير من التعريفات التي قدمت نجد ان (جيمس اندرسون) قد عرفها على انها "برنامج عمل هادف يعقبه أداء فردي او جماعي في التصدي لمشكلة او لمواجهة قضية او موضوع" وبهذا نجد ان هذا التعريف يركز على جعل السياسة العامة هي ليست خيار بين البدائل وانما هي الصورة الأمثل للسياسة، من جهة اخرى عرفها (رجارد روز) على انها "سلسلة من الأنشطة المترابطة قليلا او كثيرا" وهذا التعريف يركز على الفكرة المهمة القائلة بان السياسة العامة ليست مجرد قرار وانما هي برنامج متكامل يضم أنشطة غير محدودة، بينما عرفها (كارل فريدريك) على انها "برنامج عمل مقترح لشخص او لجماعة او لحكومة في نطاق بيئة محددة لتوضيح الفرص المستهدفة والمحددات المراد تجاوزها سعيا للوصول الى هدف او لتحقيق غرض مقصود" وفق هذا التعريف نجد كارل يحاول ان يجعل السياسة العامة موجهة نحو اهداف معينة مبتعدة عن كونها افتراض او مقترح يمكن الاخذ به او لا (اندرسون،2007، ص15). بينما (روبرت ايستون) فقد عرفها على انها "العلاقة بين الوحدة الحكومية وبيئتها" وهنا نجد التعريف يركز علة ان السياسة العامة عبارة عن استجابة لمتطلبات المجتمع وما يحدث من تفاعل بينه وبين الحكومة، اما (ريتشارد هوفيرت) فقد ذهب في تعريفه لها على انها "مجموعة قرارات يتخذها فاعلون معروفون بهدف تحقيق غرض عام" وهذا التعريف

يوضع ان السياسة العامة هي مجموعة من القرارات تتخذ من قبل صانعيها لتحقيق الأهداف العامة للمجتمع (الساعدي، 203، ص3).

وفق التعريفات السابقة يمكن تعريف السياسة العامة على انها ببساطة مشكلة تحتاج الى حل، أي انها مجموعة الخطط والبرامج التي تضعها الحكومة لحل مشكلات المجتمع بمختلف قطاعاته عبر توظيف الموارد المادية والطبيعية والبشرية لتحقيق الأهداف العامة سواء كانت اجتماعية او سياسية او اقتصادية.

ثانيا: مفهوم الإرهاب الفكري

تناول الكثير من الباحثين والكُتاب الإرهاب الفكري ونظروا اليه من زوايا مختلفة سواء كانت تشريعية او فقهية او إسلامية او قانونية، الا اننا سنحاول التعريج على جملة من التفسيرات التي من دورها ان توضح مفهوم الإرهاب الفكري، حيث يمكن القول ان الإرهاب الفكري هو محاولة فرد او مجموعة من الافراد فرض رأي او فكر او مذهب او دين او موقف معين من قضية من القضايا بالقوة والأساليب العنيفة موجهة ضد أناس او شعب او دولة بدلاً من اللجوء الى الحوار والوسائل الحضارية المشروعة، الجدير بالذكر ان هذه المجاميع ترى نفسها انها الوحيدة على صواب والاغلبية الباقين على ضلال وتعطي نفسها وضع الوصاية عليها تحت أي مبرر، وبهذا نجد ان هذا الإرهاب هو إرهاب معنوي وليس مادي بل المراحل الأولى للإرهاب المادي أي انه لا يستعمل الوسائل المادية بل يركز على الأساليب المعنوية مثل الغزو الفكري الهدام او الحروب الإعلامية لتعبئة الرأي العام ضد نظام معين او شخص معين بغير حق، وبهذا نجد ان الإرهاب الفكري بطبيعته لا يقبل الرأي الاخر ويصادر الحريات معتمد على تكميم الافواه والحجر على القول وينظر لمن يخالفه ضال ويجب محاربته وربما قتله وبهذا تحول الإرهاب من فكر الى فعل ، فهنالك علاقة بين الإرهاب والفكر فكلما كان الفكر مستقيماً منسجماً مع الفكر الإنساني السوي انعدم الإرهاب، بينما يكون الإرهاب موجوداً حينما يكون الفكر منحرفاً يحمل رؤى اجتماعية مخالفة لحقوق الانسان وحرياته (الخالدي، 2024، ص524-525).

وبالنظر للقانون العراق نجد ان المشرع العراقي لم يتطرق الى الإرهاب الفكري صراحة بل ركز على الإرهاب التقليدي في توجيه البنان له سواء قبل عام (2003) او بعده، ولنقل وفق قانون العقوبات العراقي رقم (111) لسنة (1996) المعدل لم تكن في ذلك الوقت صورة واضحة عن العمليات الإرهابية لعدم انتشارها في ذلك الوقت، الا انها أصبحت واضحة بعد عام (2003) لكثرة العمليات الإرهابية بعد هذا

العام، وبهذا سعى المشرع الجنائي العراقي لسد النقص التشريعي بإصدار قانون مكافحة الإرهاب رقم (13) لسنة (2005) الذي أورد تعريفاً للإرهاب على انه "كل فعل اجرامي يقوم به فرد او جماعة منظمة استهدف فرد او مجموعة افراد او جماع او مؤسسات رسمية او غير رسمية أوقعت اضرار بالممتلكات العامة او الخاصة بغية الاخلال بالوضع الأمني او الاستقرار او الوحدة الوطنية او ادخال الرعب والفزع بين الناس او اثارة الفوضى تحقيقاً لغايات إرهابية"، ووفق هذا التعريف نجد ان النظرة عامة تستهدف الأفعال وليس الاقوال بعبارة (كل فعل اجرامي) وحتى اذا اردنا ان نقول بان هذه الأفعال سببها أفكار منحرفة متطرفة والمشرع كان يقصد الفكر والنتيجة المؤدية للفكر أي الفعل، الا اننا عندما نطلع على الواقع نجد في بعض الأحيان ان صاحب الفكر الإرهابي ليس بالضرورة ان ينتقل من القول الى الفعل بل هو ينشر هذه السموم بين أبناء الشعب الواحد والتأثير الناتج عن هذه السموم يؤدي الى أفعال إرهابية ليس بالضرورة صادرة منه بل من الاخرين متأثرين بأفكاره الإرهابية (الخالدي، 2024، ص524-525).

المطلب الثاني: اساليب الإرهاب الفكري واسبابه

يتخذ الإرهاب الفكري أساليب متعددة تهدف إلى نشر الأفكار المتطرفة والتأثير في وعي الأفراد والمجتمع، مستفيداً من مختلف الوسائل التقليدية والحديثة, كما تقف وراء هذه الظاهرة جملة من الأسباب والعوامل المتداخلة، الأمر الذي يستدعي التعرف على أبرز أساليبها وتشخيص الأسباب المؤدية إلى ظهورها وانتشارها.

أولا: اساليب الإرهاب الفكري: للإرهاب الفكري عدة صورة وطريقة للتجلي من خلال استخدام عدة أساليب التي من دورها التأثير على الافراد فكرياً كمراحل أولية للإرهاب المادي، يمكن ان نحصرها بعدة نقاط هي (علي، 2021، ص247-250):

1. **استخدام الأفكار المتطرفة:** والمقصود بالتطرف هو اعتناق الأفكار بتعصب أي الابتعاد عن الوسطية في التعامل مع القناعات وهي مرادفة لكلمة الـ(غُلوَ) أي تجاوز الحدَ، وبهذا تعتمد الجماعات المتطرفة على استخدام هذا النمط تجاه جماعات او فئات من الافراد مما ينتج عنه الإرهاب وهذا ما يجعل حياة هذه الفئات او الجماعات المستهدفة يشوبها الخطر نتيجة اعتناقهم مثل هذه الأفكار.

2. **التحريض على العنف:** بمعنى دفع الغير او حثه على ارتكاب الجريمة سواء عن طريق خلق فكرة الجريمة لديه ودفعه اليها او اقتياده لتنفيذ فكرة إجرامية موجودة في ذهنه من قبل، والعنف هنا يعني كل فعل متعمد يُقصد به الحاق الضرر بالناس او تخريب ممتلكات خاصة او عامة عن طريق استخدام القوة، مما يوحي الى وجود خلل في سياق تفكير صانعها، وهنا يعتبر المحرض فاعلاً اصلياً في الجريمة.
3. **القمع الفكري وحرية التعبير:** ان الحرية الفكرية او حرية التعبير عن الرأي هي حق يتمتع به كل انسان في إبداء رأيه وتلقي المعلومات والأفكار دون التدخل القسري من الجانب الاخر، وذلك لان تنمية وتقدم المجتمع ينطلق من حرية التعبير عن الأفكار سواء كانت شفهية او مكتوبة وحرية تلقيها واذاعتها بأي وسيلة كانت، وان هذه التنمية لا تتجسد من دون وجود رقابة فعلية وتشجيع الجمهور على الوعي وأدراك المسؤولية أي ان حرية الرأي هي السياج الحامي لكافة الحقوق والحريات العامة وهذا ما نصت عليه الدساتير والقوانين الدولية.
4. **الإساءة الى الأديان والمذاهب والرموز الدينية:** بطبيعة الحال ان الاختلاف والتنوع يُعد شيء طبيعي بين المجتمعات سواء كان الاختلاف بطريقة التفكير او الدين او المعتقد او الاتباع، وان حرية الاختيار هي المرتكز الأساسي الذي ينبع منه هذا الاختلاف، فبالتالي تبرز ضرورة احترام هذا التنوع من خلال عدم اجبار الاخر على اختيار عقيدة معينة او دين معين هو غير مقتنع به، او محاول التقليل من شأن أي دين او مذهب بحجة الاختلاف معه، وبهذا فلكل انسان الحق في حرية الدين او المعتقد التي يجدها مقنعة له، وله الحق في ممارستها ضمن حدود احترام حرية الاخرين.
5. **الخطاب الديني:** للخطاب الديني أهمية كبيرة لما له من تأثير في نفوس الافراد، ولكي يُرتقى بالخطاب الديني لابد من تزويده بعدة وسائل كطرائق التدريس ووسائل الاتصال والفنون والاعلام مما يمنحه قدرة كبيرة على التأثير، وبما ان الفرد يعتبر الدين المنظومة الأساسية التي تنظم شؤون الناس ناهيك عن الارتباط الروحي بالدين والمقدسات، فبهذا يعتبر الدين من أفضل المنافذ التي يدخل من خلالها حامل الإرهاب الفكري لتمرير القناعات المتطرفة وزرع الأفكار الطائفية التي تؤدي الى الحقد والعداء بين طوائف وافراد المجتمع.

6. **مناهج التعليم**: يعتبر التعليم حق لكل انسان بغض النظر عن عمره او تحصيله الدراسي فهو حق ممنوح للكل من غير شروط، وهذا ما نصت عليه الدساتير والمواثيق الوطنية والدولية، لما للتعليم من أهمية في تحديد أنماط سلوك الافراد وتكوين آرائهم واتجاهاتهم وطريقة تعاطيهم مع الاحداث التي تدور في المجتمع، وبهذا فأن هذا الركن الحساس اذا تم توجيهه باتجاه معين يخدم مصلحة خاصة فقد يؤدي ذلك الى خلق أفكار متطرفة او طائفية تفتح المجال لضهور الصراعات والاحقاد بين طبقات وفئات المجتمع مما ينتج مجتمع مضطرب متخلف تسوده الفوضى وانعدام الامن.

ثانيا: أسباب الإرهاب الفكري: للإرهاب الفكرة أسباب مختلفة ساهمت في صياغته وضهوره بشكل واضح متغلغلاً في المجتمعات لكن بنسب مختلفة تبعاً لطبيعة المجتمع والفكر السائد فيه، أي ان هذا التغلغل لم يأتي من فراغ بل هُيئت له الظروف والأسباب المناسبة التي ساعدت على انتشاره، ومن هذه الأسباب (مطر، 2016، ص182-185):

1. **الفهم الخاطئ للنص**: وبمعناه تناول او تفسير النصوص الدينية وفق فهمهم ورؤيتهم الخاصة او بما يخدم مصالحهم وتسويقها على انها نصوص الهية واجبة الاخذ بها، أي هنالك خلط بين ما انزله الخالق وبين ما وضعه المخلوق لأنتاج نص يخدم أهدافهم، فأما ان تقبلها فتكون مؤمناً ناجياً او ترفضها فتكون كافراً، وبهذا فقد جعلوا أنفسهم من خلال هذه النصوص اوصياء على الدين، ناهيك عن تحريف ما ورد في الكتب المقدسة خدمة لقضيتهم ولتسيير امورهم سياسياً او اجتماعياً او اقتصادياً او دينياً.
2. **الفراغ الفكري للمجتمع**: كلها توسعت الفجوة الفكرية داخل المجتمع كلما انتشرت الأفكار المتطرفة بشكل أوسع، بعبارة أخرى ان المجتمعات التي عانت من أزمات سياسية واقتصادية وثقافية وطائفية فأنها تكون بيئة خصبة لانتشار الإرهاب الفكري، وبهذا يمكن القول ان قلة ثقافة المجتمع سواء كانت دينية او سياسية او اقتصادية فأن الأفكار المنحرفة ستجد حواضن جاهزة لتنمو وتنتشر فيه وتتحول من مجرد إرهاب فكري الى إرهاب مادي يتمثل بأفعال إرهابية تؤدي الى قتل الاف الأبرياء، الامر الذي ينتج صراع في المجتمع بين من يرفض النقد والمراجعة واستخدام العقل

في مواجهة التراث وبين من يوجب النقد والمراجعة واستخدام العقل وجعله هو الحاكم على الأفكار، وهنا انتقلنا من الحوار الى استخدام العنف في فرض الأفكار.

3. **سلوك المؤسسات الدينية:** من ضمن الأسباب التي تؤدي الى انتشار الإرهاب الفكري هو الأساليب المتبعة من قبل المؤسسات داخل إطار الدولة فقد تكون أساليب متعلقة بالقمع الفكري الذي يؤدي الى قوقعة الجماعات التي تؤمن بفكرة معينة وسيؤول بها الامر ان تعمل خارج إطار القانون، فتعصب بعض المؤسسات الدينية وعدم تقبل الرأي الاخر وعدم التشجيع على اللحمة والانسجام مع مخالفيها يقود الامر الى بروز العزلة الاجتماعية التي تحدث بين فئات المجتمع وتؤدي الى انتشار مثل هكذا أفكار منحرفة.
4. **سلوك المؤسسات السياسية،** من ضمن الأسباب التي تؤدي الى تغذية الإرهاب الفكري هو ممارسة السياسة بالاعتماد على أسس طائفية تساهم في خلق حدود وفواصل بين طوائف المجتمع وصعود الانتماءات الفرعية على حساب الوحدة الوطنية، ناهيك عن ان غياب القانون الذي من دوره السيطرة على الجماعات المسلحة التي تفرض افكارها بالقوة يعد من أسباب صعود وانتشار الإرهاب الفكري، إضافة الى الصراعات السياسية وعدم الاستقرار وضعف الثقافة الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة ولا نغفل الاقصاء والتهميش السياسي الذي يؤدي الى ان تشعر الجماعات انها مستبعدة من مراكز صنع القرار ومحرومة من حقوقها السياسية، والنقطة الأهم هي ضعف شرعية النظام السياسي فعندما يفقد النظام ثقة المواطن بسبب ضعف الانجام وغياب التمثيل الحقيقي فأن ذلك سيؤدي الى وجود بيئات خصب لظهور جماعات يسعون لفرض أفكارهم باعتبارها البديل الشرعي مستخدمي أساليب الاقصاء والتخوين.
5. **الأسباب الاجتماعية:** من ضمن الأسباب التي تشجع على انتشار الإرهاب الفكري هي البيئة التي عاش فيها الفرد ابتداءً من الاسرة التي تعد البيئة الأولى التي احتضنته حيث تساهم الاسرة في سقل اتجاهات وسلوك الفرد من خلال ما تغذيه للفرد من أفكار ومعتقدات تفضي الى بناء شخصيته استناداً على ما املي عليه في بيئته العائلية، اما المرحلة الثانية هي المؤسسات التعليمية التي يتلقى فيها الفرد جميع الأفكار التي تحدد اتجاهاته في جوانب مختلفة سياسية او اقتصادية او اجتماعية او دينية، ناهيك عن دور جماعة الرفاق (الأصدقاء) في التأثير على سلوك الفرد وتبني

آرائه تبعاً لنوع الجماعة والبيئات التي جاءوا منها، في المرحلة التالية يأتي دور وسائل الاعلام في التأثير على أفكار الفرد وتوجيهه بالاتجاه الذي تريده ليؤيد فكرة معينة ويرفض أخرى، ايضاً لمؤسسات الدولة الأخرى دور مهم في تحديد سلون الفرد سواء كان هذه المؤسسات سياسية او دينية او اجتماعية، وبهذا نصل الى نقطة مهمة وهي لو كانت هذه العوامل المذكورة انفاً و التي تحيط بالفرد وتؤثر به تحمل أفكار سامة ومتطرفة ماذا سيكون الفرد؟ بالتأكيد سيحمل أفكار متطرفة منحرفة لا يقبلها العقل، اذن الفرد هو انعكاس للبيئة التي يعيش فيها وهي التي تحدد ما ان يصبح فرد صالح ام لا (الوائلي، 2003، ص25).

المبحث الثاني: السياسة الحكومية لمكافحة الإرهاب الفكري في العراق بعد 2014

فرضت التحولات التي شهدها العراق بعد عام 2014 تحديات جديدة أمام الدولة، حيث لم تقتصر على مواجهة الإرهاب بصورته المادية فقط، وإنما امتدت إلى مواجهة الأفكار المتطرفة التي تشكل بيئة حاضنة له، وفي هذا السياق، اتجهت السياسة الحكومية نحو تطوير استجابات قانونية ومؤسسية وفكرية للحد من انتشار الإرهاب الفكري ومعالجة آثاره، ويتناول هذا المبحث أبرز ملامح السياسة الحكومية العراقية في هذا المجال، فضلاً عن أهم الآليات المعتمدة في مكافحة الإرهاب الفكري ودورها في تعزيز وصناعة الأمن الفكري.

المطلب الأول: ملامح السياسة الحكومية لمكافحة الإرهاب الفكري

تتحدد ملامح السياسة الحكومية لمكافحة الإرهاب الفكري من خلال مجموعة من الإجراءات والتوجهات القانونية والمؤسسية التي اعتمدتها الدولة للحد من انتشار الفكر المتطرف ومواجهة تداعياته، وعلى هذا الأساس، يستعرض هذا المطلب الإطار القانوني لمكافحة الإرهاب الفكري، إلى جانب التحول في توجهات السياسة الحكومية العراقية بعد عام 2014.

أولا: مكافحة الإرهاب الفكري في الدستور العراقي والقوانين الوطنية

ان الإرهاب الفكري يعد ظاهرة من الظواهر التي لابد للتشريعات من معالجتها وذلك للسيطرة عليها ومكافحتها والحد من انتشارها، وهنالك عدة تشريعات عالجت جريمة الإرهاب الفكري منها الدستور العراقي النافذ لسنة (2005) وقانون مكافحة الإرهاب رقم (13) لسنة (2005) وقانون العقوبات رقم (111) لسنة (1969)، وبهذا عندما نتصفح هذه التشريعات نجد ان المشرع لم يتطرق صراحة الى جريمة

او مصطلح الإرهاب الفكري مباشرتاً بل عالج الأفعال التي تندرج تحت هذا العنوان آملاً في تحقيق الغاية العليا الا وهي مكافحة الإرهاب الفكري، فعندما نتصفح الدستور العراقي النافذ لسنة (2005) نجد عدة شواهد تواجه وتعالج ظاهرة الإرهاب الفكري بمضمونه مثل المادة (7/اولاً) "يحظر كل كيان أو نهج يتبنى العنصرية أو الإرهاب أو التكفير أو التطهير الطائفي، أو يحرض أو يمهد أو يمجد أو يروج أو يبرر له..." (دستور جمهورية العراق، 2005، المادة 7/اولاً). وايضاً جاء في المادة (37/ثانياً) "تكفل الدولة حماية الفرد من الاكراه الفكري والسياسي والديني" إضافة الى تأكيده في العديد من النصوص على حرية الفكر وحرية التعبير وحرية ممارسة الشعائر
الدينية كما في المواد (38/ اولاً) والمادة (42) دستور العراق الدائم لسنة 2005.
اذ انفرد الدستور العراقي عن الدساتير التي سبقته بخصوص الاليات التي تنظم حرية الفكر وبهذا نجد ان موقف المشرع واضح من هذه الظاهرة وحرص على معالجتها ومكافحتها على اختلاف صورها وانماطها (الصقلي، 2025، ص474-475).

اما قانون مكافحة الإرهاب رقم (13) لسنة (2005) فلم يغفل مواجهة الإرهاب الفكري لكن بصورة غير مباشرة أي انه لم يتعامل مع الظاهرة كجريمة مستقلة الا انه قدم صور للإرهاب الفكري التي أكد على مكافحتها والسيطرة عليها كما في المادة (2/ رابعاً) التي نصت على "تعد الأفعال الاتية من الأفعال الإرهابية 4- العمل بالعنف والتهديد على إثارة فتنة طائفية أو حرب أهلية أو اقتتال طائفي وذلك بتسليح المواطنين أو حملهم على تسليح بعضهم بعضاً وبالتحريض أو التمويل" (قانون مكافحة الإرهاب، 2005، المادة 2/رابعاً. ومن خلال استقراء هذه المادة نجد ان المشرع قد عالج ظاهرة الإرهاب الفكري بالنص على صور الأفعال الإرهابية (الإرهاب المادي) ووضع العقوبات على مرتكب هذه الأفعال، وبهذا نجد من الضروري دعوة المشرع الى تشريع القوانين التي تواجه هذه الظاهرة بصورة مباشرة ولا يكتفي بمادة واحدة تندرج ضمن المواد التي تشير الى حواف الإرهاب الفكري ولا تستهدفه بالصميم (الصقلي، 2025، ص477).

اما قانون العقوبات رقم (111) لسنة (1969) فمن خلال تتبع نصوص بعض مواده نجدها تفرض عقوبات صارمة على من يقوم بأثارة كل فعل يمكن ان يعد إرهاب فكري منطلقاً من فكرة ان الافعال الإرهابية المادية تكون دائماً مسبوقة بأرهاب فكري، كما ورد في المادة (195) التي نصت على " يعاقب

بالسجن المؤبد من استهدف إثارة حرب أهلية أو اقتتال طائفي وذلك بتسليح المواطنين أو بحملهم على التسلح بعضهم ضد البعض الآخر أو بالحث على الاقتتال" (قانون العقوبات، 1969، المادة 159). ومن خلال استقراء المادة المذكورة نجد ان المشرع يلوح بفكرة ان اثارة حرب أهلية او اقتتال طائفي انما كانت بسبب فكرة إرهابية تحولت الى فعل إرهابي، أي ان ما تطرق له المشرع هو النتيجة وليس السبب الذي أنتج هذه الأفعال، ايضاً عندما نتصفح المادة (372) التي نصت على " يعاقب بالحبس مدة لا تزيد على ثلاث سنوات او بغرامة لا تزيد عن ثلاثمائة دينار":

1. "من اعتدى بإحدى طرق العلانية على معتقد لإحدى الطوائف الدينية أو حقر من شعائرها.
2. من تعمد التشويش على إقامة شعائر طائفة دينية أو على حفل أو اجتماع ديني أو تعمد منع أو تعطيل إقامة شيء من ذلك."
3. "من خرب أو أتلف أو شوه أو دنس بناءً معداً لإقامة شعائر طائفة دينية أو رمزاً أو شيئاً آخر له حرمة دينية."
4. "من طبع أو نشر كتاباً مقدساً عند طائفة دينية إذا حرف نصه عمداً تحريفاً يغير من معناه أو إذا استخف بحكم من أحكامه أو شيء من تعاليمه."
5. "من أهان علناً رمزاً أو شخصاً هو موضع تقديس أو تمجيد أو احترام لدى طائفة دينية.
6. من قلد علناً نسكاً أو حفلاً دينياً بقصد السخرية منه."

وبهذا نجد ان المشرع استهدف الأفعال وليس الاقوال او الأفكار الا في بعض النقاط التي عالج من خلالها بعض صور الإرهاب الفكري وفرض على مرتكبيها عقوبة الحبس والغرامة للحد من انتشار هذه الظاهرة التي تعد من الظواهر الخطيرة التي تهدد امن واستقرار البلد (علي، 2021، ص253-254).

ثانيا: التحول في توجهات السياسة العامة الحكومية بعد عام 2014

تعتبر فترة ما بعد عام 2014 من الفترات المفصلية المهمة التي تحتاج تغيير ملحوظ في السياسات العامة للدولة في التعاطي مع الاحداث التي تجري في البلد وخاصة بعد سيطرة تنظيم الدولة (داعش) على العديد من مناطق العراق وما انتجه من تحديات سياسية واقتصادية وامنية، فبرزت الحاجة الملحة لخلق نظام سياسي قادر على التعامل مع الازمات وتعبئة الموارد لاستيعاب الصراعات داخل المجتمع بدرجة تحول دون وقوع العنف، والتوجه لمعالجة الصراعات السياسية ومحاولة القضاء على الفساد وإيجاد نظام انتخابي يضمن مشاركة

حقيقية وعادلة وتحقيق المصالحة الوطنية والعمل على معالجة المشاكل الاقتصادية والأمنية وإصلاح القضاء ومواجهة انتهاك السيادة للدولة (محسن، 2024، ص759).

وبهذا نجد ان من ابرز التحديات التي تواجه الدولة بعد العام المذكور هو التحدي الأمني وتحول الإرهاب الفكري الى إرهاب مادي يشكل خطر على المجتمع ككل، فعملت الدولة على اتخاذ الإجراءات اللازمة وتغيير أولوياتها والانتقال من التركيز على الامن التقليدي الى الامن الشامل، وهنا نعني انتقال الحكومة العراقية من سياسات تتمحور حول إدارة العملية السياسية والخدمات العامة الى سياسات أعطت أولوية لمكافحة الإرهاب عسكرياً ومواجهة التطرف والإرهاب الفكري عبر التعليم والاعلام والخطاب الديني وإعادة بناء المؤسسات الأمنية، وأصبح مواجهة الإرهاب الفكري مسؤولية مشتركة بين المؤسسات الأمنية والتربوية والثقافية والدينية والإعلامية وليس مسؤولية الأجهزة الأمنية وحدها، حيث اصبح الاتجاه نحو مكافحة خطاب الكراهية وتعزيز الاعتدال وتأهيل المناطق المحررة ومعالجة ظروفها الاجتماعية والاقتصادية، والانتقال الى البعد الدولي من خلال التعاون مع المنظمات الدولية في مجال مكافحة الإرهاب وبناء القدرات وتبادل المعلومات التي تساهم في مواجهة الإرهاب الفكري والتطرف، وهنا نجد ضرورة عدم الاكتفاء بأنهاء الازمة المتمثلة بهزيمة التنظيمات الإرهابية بل العمل على بناء مجتمع ومؤسسات اكثر قدرة على منع عودة الفكر المتطرف وتسعى لترسيخ الامن الفكري (الياس، 2023، ص110-120).

المطلب الثاني: آليات مكافحة الإرهاب الفكري وصناعة الامن الفكري

تتطلب مواجهة الإرهاب الفكري اعتماد آليات حكومية متكاملة تتجاوز المعالجة الأمنية المباشرة إلى الوقاية والتحصين الفكري والحد من مسببات التطرف وانتشاره. ومن هنا، يتناول هذا المطلب أبرز آليات مكافحة الإرهاب الفكري، ودورها في صناعة الأمن الفكري وتعزيز قدرة المجتمع على مواجهة الأفكار المتطرفة.

أولا: الآليات الدولية والوطنية لمكافحة الإرهاب الفكري

يشكل الإرهاب الفكري تهديداً عالمياً متزايداً يمس امن واستقرار المجتمعات في مختلف انحاء العالم، ولذلك على الحكومات اتباع الاليات المناسبة والفعالة لمواجهة هذه الظاهرة وتوجيه فكر الفرد بالاتجاه الصحيح لضمان عدم انحراف سلوكه المتأثر بأفكاره، والعراق كسائر الدول بعد عام 2003 تعرض الى حالة عدم الاستقرار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والأمني، حيث استغلت الجماعات الإرهابية حالة الارباك في المجتمع ووجدت بيئة خصبة لنشر مثل هكذا ظاهرة وخلق الفوضى وان هذه البيئة كُونت لأسباب

عدة منا الفراغ الأمني والسياسي واعتماد الطبقة الحاكمة على تكريس الولاءات القائمة على الانتماءات الفرعية على حساب الهوية الوطنية العليا نتيجة المحاصصة، واستشراء ظاهرة الفساد والصراعات السياسية والتدخلات الخارجية والأزمات الاقتصادية وارتفاع معدلات البطالة والفقر والفشل الملحوظ في التعامل مع المكونات الاجتماعية، هذه كلها أسباب تغذي الإرهاب الفكري وتجعله ينمو وينتشر وتظهر آثاره على شكل عدوانية نحو الاخرين والتعصب والعنف الجمعي سواء كان سياسي او اقتصادي او ثقافي او اجتماعي او قومي (الخالدي، 2024، ص533-539).

وعلى هذا الأساس يمكن التطرق للآليات الدولية في مكافحة الإرهاب الفكري والأفكار المتطرفة التي تؤدي الى الإرهاب من خلال الاطلاع على دور الأمم المتحدة في مواجهة هذه الظواهر من خلال تركيزها على الإجراءات الأمنية المتمثلة بمكافحة تمويل الإرهاب ومنع استخدام الانترنت لغايات إرهابية وبناء قدرات الدول الأعضاء من خلال توفير المساعدات وتبادل الخبرات وضمان احترام حقوق الانسان وضرورة توافق تدابير مكافحة الإرهاب مع القانون الدولي لحقوق الانسان، كما أصدرت عام (2016) قراراً يرحب بمبادرة الأمين العام بتقديمه خطة عمل لمنع التطرف، حيث تضمنت الخطة اتباع نهج شامل من الإجراءات الأمنية على أساسه عقد مؤتمر جنيف لمنع التطرف عام (2016) وقد اعتمدت الجمعية العامة الاستراتيجية العالمية لمكافحة التطرف والإرهاب استناداً لخطة الأمين العام وحددت الجمعية العامة يوم (12 شباط) من كل عام كيوم دولي لمكافحة التطرف من اجل التوعية بخطورة هذه الظاهرة، اما مجلس الامن فقد عمل ايضاً على حفظ الامن والسلم الدوليين من خلال اصدار العديد من القرارات منها قرار رقم (1624 لسنو 2005) الذي اكد فيه على أهمية محاربة الإرهاب بشتى انواعه واشكاله وايضاً قرار رقم (2242 لسنة 2015) الذي حث فيه الدول الأعضاء والأمم المتحدة على ضرورة اشراك النساء والشباب في استراتيجيات مكافحة التطرف العنيف، اما القرار رقم (2354 لسنة 2017) وهو المهم لبحثنا باعتباره يتناول البعد الفكري للإرهاب فقد اعتمد الإطار الدولي الشامل لمواجهة السرديات الإرهابية، ودعا الدول إلى تطوير سياسات واستراتيجيات لمواجهة الخطاب المتطرف والدعاية الإرهابية، وتعزيز الاليات القائمة على قيم التسامح والاعتدال واحترام حقوق الإنسان، كما أكد أن مكافحة الإرهاب تتطلب معالجة الجوانب الفكرية والأيديولوجية إلى جانب التدابير الأمنية، بما يجعله مرجعاً دولياً مهماً في بناء السياسات العامة الرامية إلى

مكافحة الإرهاب الفكري (حسن، 2025، ص769-774). اما آليات مكافحة الإرهاب الفكري على المستوى الوطني فتتمثل بالتالي (التميمي، 2025، ص249-250):

1. بناء القدرات المؤسساتية والأجهزة الحكومية الأمنية للتعامل مع الإرهاب الفكري من خلال التدريب المتخصص ورصد المعلومات الاستخباراتية وتحليلها وتصميم إجراءات وقاية.
2. اتباع برامج التوعية التثقيفية من خلال المؤسسات التعليمية لترسيخ ثقافة التسامح والقيم الإنسانية من خلال الحملات الإعلامية والمؤتمرات والدورات وتصحيح أخطاء المناهج الدراسية.
3. برامج دعم الحوار بين الثقافات والأديان لتجنب الفهم الخاطئ والتعصب، وتهدف هذه الأنشطة الى التعرف على ثقافة الاخرين وقبولها وهنا تعلب المؤسسات الدينية دور مهم في هذا الجانب.
4. تكثيف مشاريع البحث العلمي والدراسات التي تتناول أسباب ومعالجات الإرهاب الفكري والتوصل لتوصيات حول كيفية التعامل مع هذه الظاهرة، حيث تساهم الأبحاث في تطوير الاستراتيجيات الوقائية للحد من انتشارها.
5. تكثيف دور المؤسسات الاعلامية وتفعيل دور وسائل التواصل الاجتماعي لنشر الوعي حول هذه الظاهرة ومناهضتها ونشر الخطاب المضاد القائم على الحوار والتسامح.
6. دعم المشاريع المتعلقة بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية التي تهدف الى معالجة الأسباب الجذرية للتطرف كالفقر والبطالة والتهميش الاجتماعي وذلك من خلال توفير فرص العمل والتعليم ودعم المشاريع الصغيرة مما يخلق بيئة طاردة للأفكار المنحرفة.
7. انشاء برامج إعادة تأهيل ودمج الاشخاص الذين شاركوا في أنشطة متطرفة من خلال اتباع وسائل تعليمية ونفسية وتربوية تساعد على تنقيتهم وإعادة دمجهم بالمجتمع.
8. تطوير الأدوات التقنية التي تساعد على مراقبة ورصد المحتوى المتطرف على شبكة الانترنت ومكافحته وترويج بدائل إيجابية تروج للتسامح والحوار وقبول الاخر.

ثانيا: صناعة الامن الفكري

ان أكثر ما يهمنا في بحثنا هذا هو إيصال المجتمع الى مرحلة الامن الفكري الذي يؤدي الى حماية المجتمع من الانحرافات الفكرية المؤدية الى زعزعة امن واستقرار البلد، والامن الفكري كما يعرفه كثيرون هو

"حالة الشعور بالأمان والاطمئنان والسلام النفسي والعقلي في اعلى درجاته المادية والمعنوية والقضاء على مشاعر الخوف لدى افراد المجتمع لتحفيزهم للعمل والإنتاج بشكل مستمر لتوفر مناخ من الاستقرار الذي يقود نحو التقدم والازدهار" ويعرفه اخرون من زاوية أخرى على انه "جميع الأنشطة والتدابير المشتركة بين السلطة والمجتمع لحماية الجميع من أي انحراف فكري او عقائدي او نفسي او انحراف السلوك والأفكار بعيداً عن الثوابت القيمية التي من شأنها ان تقود الى تهديد الحياة الإنسانية او تشويه طبيعتها الفطرية او كلاهما" وبهذا وفق التعريفات السابقة يتضح ان الامن الفكري يهدف الى حماية فكر الانسان وعقله وفهمه من الانحراف والخروج عن الاعتدال في فهمه للأمور الدينية والسياسية وتصوره للكون منعاً لحدوث الاختلال الاجتماعي وحماية المنظومة العقائدية والثقافية والأخلاقية عبر تأمين وتمكين قدرات الفرد العقلية والنفسية للتصدي بقوة لتلك الأفكار المشبوهة (شاكر، 2019، ص125-126). ولتحقيق الغايات المذكورة انفاً لابد من المرور بمراحل معينة تبدأ بالآتي (التميمي، 2025، ص253):

1. الوقاية من الانحراف وتشخيص مستوى الأفكار الموجودة في المجتمع لاتخاذ جميع الإجراءات الممكنة لمنع انتشار الأفكار المنحرفة.
2. المناقشة والحوار وتحديد استراتيجيات تعديل هذه الأفكار من خلال تدخل قادة الفكر والرأي من العلماء والمفكرين للتصدي لها وبيان ما يترتب عليها من مخاطر على المجتمع.
3. تقييم ما يحمله هؤلاء من أفكار منحرفة وتقييم مخاطرها وما يترتب عليها من اعمال تخريبية واستدعاء المؤسسات المعنية في معالجة هذا الخطر وفق اليات وخطط مدروسة.
4. المسائلة والمحاسبة من خلال مواجهة أصحاب الفكر المنحرف ومساءلتهم عما يحملونه من أفكار وهذا دور الأجهزة الأمنية والقضاء.
5. العلاج والإصلاح من خلال وسائل متعددة قد تكون مؤسسات إصلاحية علاجية او حوارية نفسية من قبل متخصصين لإعادة تأهيلهم ودمجهم مرة اخرى بالمجتمع كما ذكرنا سابقاً.

وتأسيساً لما تقدم نجد من الضرورة الاطلاع على بعض آليات صناعة الامن الفكري التي تتمثل بالآتي (التميمي، 2025، ص254):

1. القضاء على الامية وهنا لا نقصد فقط عدم القدرة على الكتابة والقراءة بل امية المواطن في فهم حقوقه وواجباته كمواطن ينتمي لهذا البلد وعقيدته وقيمه الاجتماعية والأخلاقية.

2. القضاء على تعدد الفتاوى والابتعاد عن اهل الفكر والعقل المتخصصين بهذه الجوانب كالمراجع الدينية ومعالجة ظاهرة تعدد منبر الخطاب غير المتزن ونشر والأفكار والروايات المنافية للعقل ومحاسبة بعض رجال الدين ممن يروجون للأفكار الطائفية التي تسبب الفرقة بين أبناء الشعب الواحد.

3. تعزيز الهوية الوطنية وجعلها الهوية الام الجامعة لجميع الهويات الفرعية الأخرى كأن تكون قومية، مذهبية، مناطقية، عشائرية، حزبية وغيرها من الهويات، وذلك لان حب الوطن والانتماء اليه يعد من اهم عوامل بناء الامن الفكري لدى الفرد.

4. الحفاض على الموروث الثقافي من أفكار ومعارف وآراء وقيم وانماط وسلوك يرضيها المجتمع والحرص على نقلها من جيل الى جيل من خلال عملية التنشئة الاجتماعية.

5. إشاعة روح المحبة والتعاون والتسامح بين افراد المجتمع وابعادهم عن أسباب التفرقة والاختلاف.

6. ترسيخ الإحساس بالمسؤولية تجاه الوطن والحفاض على مقدراته ومكتسباته، اما دور الحكومة فهو الحفاض على حقوق المواطن وتوفير سبل العيش وضمان الحياة الكريمة له وذلك لأبعاده عن الوسائل الأخرى في تغطية النقص .

الخاتمة

خلص البحث إلى أن الإرهاب الفكري يمثل تهديداً خطيراً للدولة والمجتمع، لأنه يستهدف منظومة الأفكار والقيم والوعي الجمعي ويمهد للتطرف والعنف ورفض الآخر، حيث لا ينشأ هذا النوع من الإرهاب عن عامل واحد بل نتيجة تداخل أسباب سياسية واجتماعية واقتصادية وثقافية وفكرية، فضلاً عن استغلال وسائل الإعلام والفضاء الرقمي في نشر الأفكار المتطرفة واستقطاب الأفراد، وأظهر البحث أن مواجهة الإرهاب الفكري في العراق بعد عام 2014، لا يمكن أن تقتصر على الإجراءات الأمنية والعقابية، بل تتطلب سياسة حكومية متكاملة تجمع بين الوقاية والمواجهة والمعالجة، وعلى الرغم من أن القانون العراقي وفر أساساً تشريعياً لمكافحة الإرهاب والتحريض والعنف الفكري وان لم تكن موجهة للإرهاب الفكري صراحة الا ان فإن فاعلية هذه النصوص ترتبط بقدرة مؤسسات الدولة على تطبيقها ضمن برامج وسياسات واضحة ومنسقة، كما يتبين أن مكافحة الإرهاب الفكري تستلزم التعاون بين المؤسسات الأمنية والتعليمية والثقافية والإعلامية والدينية، ونشر ثقافة الاعتدال وقبول الآخر، ومواجهة خطاب الكراهية، وخاصة فئة

الشباب، من الأفكار المتطرفة. ويُعد توظيف الوسائل الرقمية أمراً ضرورياً لمواجهة المحتوى المتطرف، في ظل اعتماد التنظيمات الإرهابية على التكنولوجيا ووسائل التواصل الاجتماعي في نشر خطابها واستقطاب المؤيدين، وخلص البحث إلى أن مكافحة الإرهاب الفكري وصناعة الأمن الفكري يمثلان مسارين متلازمين، فالأمن الفكري لا يتحقق بمنع الأفكار المتطرفة فقط، بل ببناء وعي مجتمعي قائم على

الاعتدال والانتماء الوطني والتسامح والثقة بالمؤسسات والقدرة على التمييز بين الفكر المعتدل والمتطرف، ولهذا ينبغي للسياسة الحكومية العراقية أن تنتقل من رد الفعل إلى العمل الاستباقي، من خلال رصد مؤشرات التطرف مبكراً ومعالجة أسبابه، وتطوير الخطاب التعليمي والثقافي والإعلامي، بما يسهم في تعزيز الأمن الفكري والأمن الوطني والاستقرار الاجتماعي.

المصادر والمراجع

اولاً: التقارير والوثائق والاصدارات الرسمية

1. دستور العراق الدائم لسنة 2005.
2. قانون العقوبات رقم (111) لسنة 1969.
3. قانون مكافحة الإرهاب رقم (13) لسنة 2005.

ثانياً: الرسائل والاطاريح الجامعية

1. علي حسين حسن سفيح الساعدي2013.، آلية صنع السياسة العامة في النظام السياسي البرلماني (دراسة حالة العراق بعد 2003)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية
2. نور قيس عبود، مقومات رسم السياسة العامة في إسرائيل مع نموذج تطبيقي (السياسة الخارجية الإسرائيلية)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة النهرين، كلية العلوم السياسية، 2005.

ثالثاً: الكتب العربية والمعربة

1. جيمس اندرسون2007، صنع السياسة العامة، ط6، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، تكساس، جامعة هيوستن،.

رابعاً: المقالات والبحوث والصحف

1. احمد جابر محسن2024.، السياسات العامة الأمنية في العراق بعد العام 2014 (المحددات والمحفزات)، مجلة دراسات دولية، العدد 98،
2. اياد يونس الصقلي2025.، الإرهاب الفكري ودور الاليات القانونية في معالجته (دراسة قانونية)، مجلة آشور للعلوم القانونية والسياسية، المجلد 2، العدد 1،
3. حيدر عبد الرضا عبد علي، 2021.مكافحة الإرهاب الفكري في دستور جمهورية العراق لسنة 2005، مجلة معهد العلمين للدراسات العليا، العدد 7،
4. رنا مولود شاكر، 2019.الامن الفكري والإرهاب: العراق انموذجا، مجلة المستنصرية للدراسات العربية والدولية، العدد 8،
5. زهراء محمد كامل حسن، آليات مواجهة التطرف العنيف المؤدي الى للارهاب (العراق انموذجا)، مجلة المثنى للعلوم القانونية والسياسية، عدد خاص بوقائع المؤتمر الدولي الخامس (المواجهة القانونية للتطرف العنيف)، 2025.
6. شهباء حكمت الياس2023.، الإصلاح السياسي في العراق بعد عام 2014: الفرص والتحديات، مجلة دراسات إقليمية، مجلد 17، العدد 56،
7. صفاء عباس عبد الحسين الوائلي2025.، مكافحة التطرف العنصري المؤدي للإرهاب على السياسات الوطنية في العراق بعد عام 2003، مجلة لارك، مجلد 17، العدد 2.
8. علاء شنون مطر2016.، مفهوم الإرهاب الفكري في الفكر الإسلامي والعقلية الغربية، مجلة مركز دراسات الكوفة، العدد 41.
9. علي جاسم محمد التميمي2025.، مكافحة التطرف وصناعة الامن الفكري في العراق، مجلة العلوم القانونية والسياسية، عدد خاص.
10. نوال احمد سارو الخالدي، 2024.الإرهاب الفكري والآثار المترتبة عليه (دراسة مقارنة)، مجلة كلية القانون للعلوم القانونية والسياسية، المجلد 13، العدد 51.

References

First: Official Reports, Documents, and Publications

1. The Permanent Constitution of Iraq of 2005.
2. Penal Code No. (111) of 1969.
3. Anti-Terrorism Law No. (13) of 2005.

Second: University Theses and Dissertations

1. Ali Hussein Hassan Sufaih Al-Saadi, *The Mechanism of Public Policy-Making in the Parliamentary Political System: A Case Study of Iraq after 2003*, Unpublished Master's Thesis, Al-Nahrain University, College of Political Science, 2013.

For the spatial and functional distribution of asphalt plants in Babil Governorate

Assistant Lecturer Dhamia Hassan Gharib
Babil Center for Civilizational and Historical Studies
adress gdsrtyug223@gmail.c om

Abstract:

This research aims to explore the current state of the asphalt industry in Babylon Governorate, focusing on the spatial distribution of asphalt plants and their numbers. The study highlights the significance of petrochemical industries, particularly in light of the increasing demand due to ongoing developmental challenges. These include ambitious plans for reopening and constructing new roads, maintaining old routes, and rehabilitating urban streets, especially with the growing number of vehicles and the increased traffic density in recent years. The research emphasizes that the governorate possesses essential factors for the localization of this industry, particularly given its utilization of locally available raw materials. Alongside an overview of these foundational factors, the study presents the main obstacles and challenges hindering the development and productivity of the industry. This is particularly pressing given the anticipated future needs over the next decade.The paper also underlines key proposals for the industry's development and reaffirms the governorate's potential role in creating employment opportunities and contributing to sustainable development. Despite the asphalt industry's environmental impact, the study suggests the possibility of mitigating such effects in the future. Field studies played a crucial role in enriching the research and providing specific, relevant data.

Keywords : Asphalt , Babel Factory. The impact of geographical factors on the localization of the asphalt industry.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

التوزيع المكاني والوظيفي لمعامل الاسفلت في محافظة بابل

مدرس مساعد ضمياء حسن غريب

مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

adress gdsrtyug223@gmail.c om

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن واقع صناعة الاسفلت في محافظة بابل من حيث التوزيع المكاني للمصانع من حيث عددها، كون ان الصناعات البتروكيماوية المهمة في ظل زيادة الطلب عليها بالتزامن مع التحديات المتمثلة بارتفاع خطط التنمية لإعادة فتح طرق ومسارات جديدة لها مع صيانه الطرق القديمة، واعادة تأهيل الشوارع داخل المدن في ظل زيادة عدد المركبات في السنوات الاخيرة وارتفاع الكثافة النقلية لهذه الطرق، وان هناك مقومات لتوطنها داخل المحافظة خاصة وانها تستثمر المواد الاولية المتوفرة في المحافظة، كذلك عرضت المعوقات والمشكلات التي تعتري تطورها وانتاجها خاصة وان هناك حاجه مستقبلية وخلال العشر سنوات القادمة، وتم التأكيد على اهم المقترحات لتطويرها او ثبات مكانتها المحافظة لان تلعب دوراً في تشغيل العمالة ومساهمتها في عملية التنمية المستدامة في المحافظة مع انها من الصناعات الملوثة للبيئة وامكانيه تقليل هذه الاثار مستقبلا ، وكان للدراسة الميدانية اهمية في اذكاء البحث والحصول على البيانات الخاصة به.

الكلمات المفتاحية: الاسفلت , معامل بابل . تأثير العوامل الجغرافية في توطن صناعة الإسفلت.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مقدمة:

إذا كان البحث تطبيقيا فيجب ان تحتوي المقدمة على تمهيد تُعد دراسة القطاع الصناعي من الركائز الأساسية في بناء اقتصاد متكامل، لما له من دور محوري في تعزيز قوة الدولة اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً، سواء بصورة مباشرة أم غير مباشرة. إذ تمثل الصناعة نقطة الانطلاق نحو تحقيق التنمية الاقتصادية من خلال استثمار الموارد الطبيعية والبشرية، وبناء قاعدة راسخة للتقدم والتنمية المستدامة.

وتندرج صناعة الإسفلت ضمن الصناعات البتروكيمياوية وفق التصنيف الدولي(ISIC) ، وتُعد من الصناعات الحيوية في الاقتصاد الوطني، لما لها من إسهام مباشر في دعم مشاريع الإعمار والبناء. وقد شهدت هذه الصناعة نمواً ملحوظاً خلال السنوات الأخيرة، سواء من حيث حجم الإنتاج أو عدد المنشآت، نتيجة التوسع العمراني وزيادة مشاريع الإسكان وإعادة الإعمار في العراق بشكل عام، ولاسيما بعد التحسن النسبي في الأوضاع الأمنية والاقتصادية بعد عام 2009. وقد أسهم ذلك في إعادة تشغيل العديد من المصانع المتوقفة، فضلاً عن إنشاء مشاريع صناعية جديدة لتلبية الطلب المتزايد على المنتجات الإسفلتية.

وتشير الدراسة إلى وجود علاقة مكانية واضحة بين توطن صناعة الإسفلت والصناعات النفطية في محافظة بابل، وذلك لاعتماد معامل الإسفلت على توفر المادة الأولية (الزفت)، فضلاً عن قربها من مصادر المواد الإنشائية كالرمل والحصى المتوفرة في أطراف المحافظة.

مشكلة البحث(Research Problem)

1. ما مدى تأثير العوامل الجغرافية في توطن صناعة الإسفلت؟
2. هل تتسم مواقع معامل الإسفلت الحالية بالكفاءة المكانية؟

فرضية البحث (Research Hypothesis)

1. تتمتع صناعة الإسفلت في محافظة بابل بأهمية اقتصادية كبيرة، ويرتبط قيامها بتوفر المواد الأولية بكميات مناسبة، فضلاً عن محدودية الصناعات المنافسة في المناطق المجاورة .
2. تعود أغلب مواقع معامل الإسفلت الحالية إلى فترات سابقة (ثمانينيات القرن الماضي)، ولم تُراعِ التوسعات العمرانية المستقبلية، إلا أن هناك مواقع بديلة يمكن استغلالها مستقبلاً .

هدف البحث(Research Aim)

1. تحليل أثر المقومات الجغرافية (الطبيعية والبشرية) في قيام صناعة الإسفلت في محافظة بابل، ودراسة توزيعها المكاني .

حدود البحث (Research Boundaries)

1- **البعد المكاني:**

تتمثل منطقة الدراسة بمحافظة بابل ضمن حدودها الإدارية، وتبلغ مساحة محافظة بابل 5,119 كم2 والتي تضم عدداً من الأقضية والنواحي، مع التركيز على المناطق التي تنتشر فيها معامل الإسفلت وهي ناحية الكفل , الحلة , الهاشمية , المسيب , المحاويل .

2- **البعد الزماني:**

- دراسة واقع صناعة الإسفلت في محافظة بابل للمدة 2020-2025.

منهجية البحث(Research Methodology)

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي والتحليلي، من خلال جمع البيانات المتعلقة بصناعة الإسفلت في محافظة بابل وتحليلها للوصول إلى نتائج علمية دقيقة، باستخدام الأساليب الإحصائية والبرامج التحليلية المناسبة.

مصادر البيانات (Data Sources)

1. **المصادر المكتبية** :الكتب، الرسائل الجامعية، الدوريات العلمية، والمراجع ذات العلاقة .
2. **الدراسة الميدانية** :زيارات ميدانية لمعامل الإسفلت في القطاعين العام والخاص، وإجراء مقابلات مع الجهات المختصة .
3. **التحليل الإحصائي** :باستخدام برامج التحليل الاحصائي بالإضافة إلى الخرائط .

الدراسات السابقة (Previous Studies)

تشير المعطيات إلى قلة الدراسات التي تناولت توطن صناعة الإسفلت في محافظة بابل من منظور جغرافي– اقتصادي، مما يبرز أهمية هذه الدراسة في سد هذا الفراغ العلمي.

1- اسراء سليم حميد علاوي، صناعة الاسفلت في محافظه بغداد، دراسة في جغرافية الصناعة رسالة ماجستير، كليه الآداب ، جامعة بغداد، 2015.

2- صادق علي العبادي، واقع صناعة الاسفلت في محافظة ذي قار واثارها في التلوث البيئي ، مجلية نسق ، مجلد ٤٠ ، عدد 7 ، الجمعية العراقية للدراسات التربوية والنفسية، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ٢٠١٤.

3– خديجة صباح عبد الحمزة الجبوري، التنظيم الصناعي لمعمل الاسفلت في بلدية الديوانية، دراسة في جغرافية الصناعة، كلية الآداب، جامعة القادسية، 2018.

عوامل توطن صناعة الإسفلت في محافظة بابل

تمهيد

تُعرَّف الصناعة بأنها مجموعة العمليات التحويلية التي تُجرى على مادة أولية واحدة أو أكثر بهدف إنتاج سلع ذات قيمة اقتصادية أعلى، وتشمل بذلك الصناعات الحرفية والإنتاج الصناعي داخل المصانع. ويعتمد قيام النشاط الصناعي على توفر مجموعة من المقومات الجغرافية الطبيعية والبشرية، والتي تختلف في أهميتها وتأثيرها من مكان إلى آخر ومن فترة زمنية إلى أخرى. **(فضيل، 1989، صفحة 7)**

وقد تتركز الصناعات في مناطق معينة نتيجة توافر هذه المقومات بشكل متكامل أو جزئي، في حين قد تفتقر مناطق أخرى إلى النشاط الصناعي رغم امتلاكها مساحات واسعة، فتُستغل غالباً في الأنشطة الزراعية. ومع التطور الملحوظ في وسائل النقل والمواصلات، تراجع تأثير بعض العوامل التقليدية في تحديد مواقع الصناعات، إذ أصبح بالإمكان نقل المواد الأولية ومصادر الطاقة من مناطق بعيدة إلى مواقع الإنتاج بسهولة. **(حبيب، 1976، صفحة 34)**

وعلى الرغم من الأهمية الكبيرة لعملية التوطن الصناعي، إلا أنها لم تحظَ بالاهتمام الكافي في بعض الدراسات، مما أدى إلى وقوع أخطاء في اختيار مواقع المشاريع الصناعية. لذلك أصبح من الضروري اعتماد أساليب حديثة في تخطيط المواقع الصناعية لتجنب الآثار السلبية الناتجة عن سوء التوطن. (**الفلاحي، 2004، صفحة 74**)

وتنقسم مقومات صناعة الإسفلت إلى قسمين رئيسين:

- **المقومات الطبيعية** :وتشمل الموقع الجغرافي، السطح، المناخ، التربة، والمياه .
- **المقومات البشرية والاقتصادية**:وتشمل ، السكان والقوى العاملة، رأس المال، أسعار الأراضي، المواد الأولية، الأيدي العاملة، الطاقة والوقود، النقل، والسوق .

العوامل الطبيعية للتوطن:

1- الموقع الجغرافي(Geographical Location)

تقع محافظة بابل في الجزء الأوسط من العراق، وتتمتع بموقع جغرافي مهم أسهم في تعزيز مكانتها الاقتصادية، وجعلها من المناطق الملائمة لقيام الأنشطة الصناعية، ومن بينها صناعة الإسفلت. إذ يمثل موقعها حلقة وصل بين عدد من المحافظات، الأمر الذي يسهّل حركة النقل والتبادل التجاري.

تحد محافظة بابل من الشمال محافظة بغداد، ومن الشرق محافظة واسط، ومن الجنوب محافظة القادسية، ومن الغرب محافظة الأنبار، وهو ما يمنحها موقعاً استراتيجياً بين عدة أقاليم جغرافية.وتقع المحافظة ضمن نطاق السهل الرسوبي الذي يتميز بسطحه المنبسط وانحداره التدريجي، الأمر الذي يسهم في سهولة إنشاء المشاريع الصناعية وشبكات النقل. كما يجري فيها نهر الفرات، والذي يُعد من الموارد المائية المهمة التي تدعم الأنشطة الاقتصادية المختلفة

(الهيتي و الهيتي، 1986، صفحة 24)

وتبلغ مساحة محافظة بابل نحو(5119 كم2 تقريباً) (**مديرية بلدية بابل، بيانات غير منشورة لعام 2025**)، وتضم عدداً من الأقضية والنواحي، التي تتباين في خصائصها الجغرافية، مما ينعكس على توزيع الأنشطة الصناعية فيها، حيث تميل معامل الإسفلت إلى التركز بالقرب من الطرق الرئيسة ومصادر المواد الأولية.

وبناءً على ما تقدم، فإن الموقع الجغرافي لمحافظة بابل، إلى جانب توفر الموارد الطبيعية وسهولة الاتصال بالمناطق المجاورة، يعد من العوامل الأساسية التي تسهم في توطن صناعة الإسفلت وتطورها داخل المحافظة (**التميمي، 1985، صفحة 231**).

يتضح من خلال البيانات الإدارية أن محافظة بابل تضم عدداً من الوحدات الإدارية المتمثلة بالأقضية والنواحي، إذ تتوزع هذه الوحدات بشكل يعكس الخصائص الجغرافية والاقتصادية للمحافظة. وتُعد هذه التقسيمات عاملاً مهماً في دراسة التوزيع المكاني للأنشطة الصناعية، ومنها صناعة الإسفلت. وتختلف محافظة بابل عن محافظة بغداد في كونها لا تعتمد نظام البلديات بالشكل نفسه، بل يتركز التقسيم الإداري فيها على الأقضية والنواحي، حيث تضم (5) أقضية رئيسة وعدداً من النواحي التابعة لها. ويؤثر هذا التنظيم الإداري في نمط توزيع الأنشطة الصناعية، إذ تميل معامل الإسفلت إلى التركز في الأقضية التي تتوافر فيها مقومات الصناعة، مثل شبكات النقل والطرق الرئيسة، وقربها من مصادر المواد الأولية(**مديرية بلدية بابل، بيانات غير منشورة لعام 2025**)

كما يُلاحظ أن التباين في المساحات بين الأقضية يسهم في اختلاف كثافة الأنشطة الصناعية, (**الجنابي، 2013، صفحة 29**)، حيث تزداد فرص التوطن الصناعي في المناطق ذات المساحات الأكبر والإمكانات الاقتصادية الأفضل.

.2025–2024

ثانياً: الأقضية في محافظة بابل

ملاحظة: تم توزيع المساحات اعتماداً على الدراسات التخطيطية والتقسيم النسبي لمساحة المحافظة.

ثالثاً: النواحي التابعة للأقضية

1- **قضاء الحلة (مركز الحلة , ناحية ابي غرق , ناحية الكفل)**
2- **قضاء المحاويل (مركز المحاويل , ناحية الاسكندرية , ناحية النيل)**
3- **قضاء الهاشمية (مركز الهاشمية , ناحية المدحتية , ناحية الشوملي)**

4- قضاء المسيب (مركز المسيب , ناحية جرف النصر , ناحية سدة الهندية)

يتضح من التقسيم الإداري في محافظة بابل أنها تتكون من (4) أقضية رئيسة وعدد من النواحي التابعة لها، ويبلغ مجموع مساحتها نحو (5307 كم^2) (**وزارة التخطيط والتعاون الانمائي، بيانات غير منشورة لعام 2025**)، الأمر الذي يعكس تبايناً مكانياً واضحاً في توزيع الوحدات الإدارية داخل المحافظة. وتُعد أقضية القاسم والمسيب من أكبر الأقضية من حيث المساحة، في حين يشغل قضاء الحلة موقعاً مركزياً باعتباره مركز المحافظة.

ويؤثر هذا التباين في المساحة على توزيع الأنشطة الاقتصادية، ولاسيما الصناعية منها، حيث تميل الصناعات – ومنها صناعة الإسفلت – إلى التركز في الأقضية التي تتمتع بموقع استراتيجي وشبكة نقل متطورة، مثل الحلة والمسيب.

وتختلف محافظة بابل عن محافظة بغداد في كونها لا تعتمد نظام البلديات بالشكل نفسه، بل يتركز التقسيم الإداري فيها على الأقضية والنواحي، حيث تضم (4) أقضية رئيسة وعدداً من النواحي التابعة لها. ويؤثر هذا التنظيم الإداري في نمط توزيع الأنشطة الصناعية، إذ تميل معامل الإسفلت إلى التركز في الأقضية التي تتوافر فيها مقومات الصناعة، مثل شبكات النقل والطرق الرئيسة، وقربها من مصادر المواد الأولية. كما يُلاحظ أن التباين في المساحات بين الأقضية يسهم في اختلاف كثافة الأنشطة الصناعية، حيث تزداد فرص التوطن الصناعي في المناطق ذات المساحات الأكبر والإمكانات الاقتصادية الأفضل.

وتتجلى العلاقة بين الموقع الجغرافي والنشاط الصناعي، ولاسيما صناعة الإسفلت في محافظة بابل، من خلال مجموعة من العوامل الأساسية، من أبرزها:

1- حاجة الصناعة إلى موقع يسهل فيه الحصول على المواد الأولية والمواد المساعدة الداخلة في العملية الإنتاجية، فضلاً عن قربه من مناطق الاستهلاك والأسواق الرئيسة.
2- ضرورة اختيار موقع صناعي ملائم من الناحية العمرانية، بحيث لا يشكل مصدراً للتلوث أو يؤثر سلباً في البيئة الحضرية.

وقد أسهم الموقع الجغرافي لمحافظة بابل في قيام وتطور العديد من الصناعات، ومنها صناعة الإسفلت، نتيجة ارتباطها بشبكة من الطرق التي تربطها بالمحافظات المجاورة، الأمر الذي يسهل عملية نقل المواد الأولية وتوزيع

المنتجات. كما أن ارتفاع الكثافة السكانية في المحافظة أدى إلى زيادة الضغط على البنية التحتية، ولاسيما الطرق، مما رفع الطلب على أعمال التبليط والإكساء، وبالتالي التوسع في إنشاء معامل الإسفلت.

وتضم محافظة بابل عدداً من معامل الإسفلت التابعة للقطاعين العام والخاص، والتي تتوزع في مواقع مختلفة داخل المحافظة، لاسيما بالقرب من الطرق الرئيسة ومصادر المواد الأولية، وذلك لتحقيق الكفاءة الاقتصادية وتقليل كلف النقل.

2- السطح (Surface)

يُعد السطح من العوامل الطبيعية المؤثرة في توطن الأنشطة الاقتصادية، إذ يرتبط بشكل مباشر بشبكات النقل وإمكانية الوصول إلى مواقع الإنتاج. فالمناطق ذات التضرس الشديد تفرض قيوداً على إقامة المشاريع الصناعية، في حين تسهم الأراضي المستوية في تسهيل إنشاء المصانع وخفض كلف النقل. (**السيد، 1990، الصفحات 288–289**)

وتؤثر خصائص السطح، مثل درجة الانحدار واستواء الأرض، في تحديد مواقع المنشآت الصناعية، حيث تُعد الأراضي المنبسطة والمستقرة جيولوجياً أكثر ملاءمة لإقامة المشاريع الصناعية، لما توفره من قدرة على تحمل الأوزان الثقيلة للآلات والمعدات (**الجنابي ع.، 2013، ص29**).

تقع محافظة بابل ضمن نطاق السهل الرسوبي في منطقة وادي الرافدين، وهو سهل يتميز بانبساطه وامتداده الواسع، وتكوينه من ترسبات نهرية تعود إلى العصر الرباعي، وتشمل الحصى والرمل والغرين. ويُعد هذا السهل من المناطق الملائمة لقيام الأنشطة الصناعية، نظراً لسهولة الحركة فيه وانخفاض تكاليف الإنشاء.

ويخترق المحافظة نهر الفرات، مما أسهم في تكوين سهول فيضية ذات تربة رسوبية منبسطة. وتتراوح ارتفاعات سطح المحافظة بشكل عام بين (20–40) متراً فوق مستوى سطح البحر تقريباً، مع وجود بعض الارتفاعات المحدودة الناتجة عن السدود أو الترسبات أو الكثبان النهرية. (**السامرائي ق.، 2008، صفحة 27**)

وبصورة عامة، يتميز سطح محافظة بابل بالاستواء النسبي، مع وجود ارتفاعات طفيفة في مناطق كتوف الأنهار والجداول، حيث ترتفع عن الأراضي المجاورة بعدة أمتار. ويسهم هذا الطابع السطحي في تسهيل إقامة المشاريع الصناعية، ومنها صناعة الإسفلت.

ونستنتج مما تقدم أن للسطح دوراً مهماً في اختيار مواقع معامل الإسفلت، وذلك لأن هذه الصناعة تعتمد على مواد أولية ثقيلة وتتطلب معدات كبيرة ذات أوزان عالية، فضلاً عن حاجتها إلى أرض مستقرة تتحمل الاهتزازات الناتجة عن العمليات الإنتاجية.خريطة(2).

المصدر: صباح محمود محمد ، مدينة الحلة الكبرى ووظائفها وعلاقتها الاقليمية،2007.

3-التربة (Soil)

تُعد التربة من المقومات الطبيعية الأساسية المؤثرة في توطن الصناعات، إذ تمثل الطبقة السطحية الهشة من القشرة الأرضية التي تتكون نتيجة تفاعل العوامل المناخية والجيولوجية والبيولوجية عبر الزمن، وتختلف خصائصها من حيث القوام والتركيب والقدرة على التحمل، الأمر الذي ينعكس بشكل مباشر على صلاحية إقامة المشاريع الصناعية، ولا سيما معامل الإسفلت. (**شلش، 1981، صفحة 12**)

وتُعد تربة محافظة بابل جزءاً من السهل الرسوبي في وسط العراق، حيث تمتاز بخصائص فيزيائية وكيميائية جيدة نسبياً، إذ تحتوي على نسب ملحوظة من المواد الجيرية، الأمر الذي يساعد على تصريف المياه بشكل طبيعي داخل التربة. كما تتسم هذه التربة بملاءمة تراكيبها من حيث المسامية والكثافة والتركيب الحبيبي، مما يجعلها صالحة لمختلف الاستخدامات.ومع ذلك، فإن تربة مراكز المدن في المحافظة لا تؤدي دوراً أساسياً في تزويد صناعة الإسفلت بالمواد الأولية اللازمة، مثل الحصى والرمل، وذلك بسبب محدودية المساحات المتاحة وارتفاع كثافة استعمالات الأرض. لذا تعتمد صناعة الإسفلت في محافظة بابل على استيراد المواد الأولية من مناطق ومحافظات أخرى تتوفر فيها مكامن هذه الموارد، مثل مناطق المقالع في المحافظات المجاورة (**حسين ي.، 2000، الصفحات 1-2**).

3- المياه (Water)

يُعد الماء من المقومات الأساسية لجميع الأنشطة الصناعية، إذ تختلف حاجة الصناعات إليه تبعاً لطبيعة العملية الإنتاجية، فهناك صناعات يدخل الماء فيها كمادة أولية، كما في الصناعات الغذائية، في حين تستخدمه صناعات أخرى لأغراض ثانوية مثل التبريد والتنظيف. (**Buringh, 1960, p. 151**)

ونظراً لأهمية المياه في دعم العمليات الصناعية، تتجه العديد من المنشآت الصناعية إلى اختيار مواقعها بالقرب من الموارد المائية، لما توفره من كميات كافية تلبي متطلبات الإنتاج. ويظهر هذا الارتباط بشكل

واضح في الصناعات التي تتطلب كميات كبيرة من المياه، مثل محطات توليد الطاقة الكهربائية والصناعات البتروكيمياوية.

وفي هذا السياق، تُعد محافظة بابل من المناطق الغنية نسبياً بالموارد المائية، إذ يخترقها نهر الفرات، الذي يُعد المصدر الرئيس للمياه في المحافظة، حيث يرفد مختلف الأنشطة الاقتصادية والصناعية بالمياه اللازمة.

وتستفيد صناعة الإسفلت من توفر المياه في عمليات متعددة، مثل تبريد المعدات، وتقليل انبعاث الغبار، وتنظيف الآلات، إلا أن دور المياه في هذه الصناعة يكون ثانوياً مقارنة بالصناعات الأخرى التي تعتمد عليه بشكل مباشر. ومع ذلك، فإن توفر مصدر مائي قريب يُعد عاملاً مساعداً في استقرار واستمرارية العمل في معامل الإسفلت. **(فضيل و رسول، جغرافية العراق الصناعية، 1984، صفحة 127)**

وتخترق محافظة بابل شبكة مائية مهمة يتقدمها نهر الفرات الذي يجري عبر أراضيها، ويُعد المصدر الرئيس للمياه السطحية فيها، إذ تعتمد عليه مختلف الأنشطة الاقتصادية والخدمية.

وتُعد المياه السطحية عاملاً أساسياً في دعم الأنشطة الصناعية، ومن بينها صناعة الإسفلت، حيث تدخل المياه في عدد من الاستخدامات التشغيلية المهمة، مثل تبريد المكائن والآلات، وخفض درجات الحرارة داخل الأفران عندما تتجاوز الحدود المطلوبة للإنتاج، فضلاً عن تلبية احتياجات الأيدي العاملة.

كما تُستخدم المياه في معامل الإسفلت الحديثة ضمن أنظمة الفلترة لمعالجة الغازات والأبخرة والدخان المنبعث من العمليات الإنتاجية، وذلك بهدف تقليل التلوث البيئي وتحسين نوعية الهواء في المناطق المحيطة بالمعامل). **(يونس، 1976، الصفحات 109–110)**

المقومات البشرية والاقتصادية ودورها في صناعة الإسفلت في محافظة بابل

1– السكان والقوى العاملة (Population and Labour Forces)

تُعد القوى العاملة من أهم الركائز الأساسية لقيام الصناعة الحديثة، إذ يرتبط حجمها بالخصائص الديموغرافية والاجتماعية، كما تعتمد كفاءتها على مستوى التعليم والتدريب والخبرة المكتسبة.(**التميمي، النمو الصناعي في الوطن العربي ، ،المصدر السابق، ص29**)، وتتطلب الصناعات المختلفة أعداداً متفاوتة من الأيدي العاملة، فضلاً عن الحاجة إلى كوادر إدارية وفنية تمتلك الخبرة في إدارة المشاريع الصناعية والتعامل مع

متطلبات السوق. أما صناعة الإسفلت فتُعد من الصناعات التي تعتمد بدرجة كبيرة على الآلات والمكائن في مراحل الإنتاج، مما يقلل نسبياً من اعتمادها على الأيدي العاملة مقارنة ببعض الصناعات الأخرى (**حبيب، 1976، صفحة 26**)

وتشمل تكاليف العمل ليس فقط الأجور، بل أيضاً النفقات المرتبطة بالتأمينات الاجتماعية والخدمات الصحية والنقل، فضلاً عن توفير بعض الخدمات المعيشية للعاملين.

ويرتبط تأثير القوى العاملة في الموقع الصناعي بعاملين رئيسين:

- توفر الأيدي العاملة من حيث العدد.
- توفر المهارات والخبرات الفنية.

وفي هذا السياق، تتميز محافظة بابل بتوفر نسبي للأيدي العاملة نتيجة نموها السكاني وتنوع نشاطها الاقتصادي، إذ تشكل الفئة العمرية النشطة اقتصادياً (15–64 سنة) نسبة مهمة من السكان، مما يوفر قاعدة بشرية مناسبة لدعم الأنشطة الصناعية، ومنها صناعة الإسفلت. ويوضح الجدول ادناه اعداد الايدي العاملة في معامل الاسفلت في محافظة بابل حيث يعكس مدى تباين حجم القوى العاملة المختلفة تبعا لاختلاف الطاقة الانتاجية لكل معمل وطبيعة عملياته التشغيلية (**الدراسة الميدانية للباحثة لمعمل اسفلت بابل2025**).

جدول(2)

معامل صناعة الاسمنت في محافظة بابل

اسم المعمل	عدد العاملين
معمل اسفلت الحجاز	23
معمل اسفلت الاحسان	23
معمل اسفلت الغدير المؤكسد	26
معمل اسفلت الاسراء المؤكسد	25
معمل اسفلت بلدية الحلة	23
معمل اسفلت قمة الحسام	12

معمل اسفلت صرح بابل	11
معمل اسفلت شركة العنبر	48

المصدر: 1- الدراسة الميدانية لدائرة احصاء بابل (الاحصاء الصناعي) .

2- الدراسة الميدانية لغرفة صناعة بابل ، بيانات غير منشورة

شكل(1)

معامل صناعة الاسفلت في محافظة با



المصدر : من عمل الباحثة بالاعتماد على جدول(2).

رأس المال (Capital)

يُعرف رأس المال بأنه الثروة**فلت** الناتجة عن عمل سابق والمستخدمة في إنتاج ثروة جديدة، ولا يقتصر على النقود فقط، بل يشمل جميع الوسائل الإنتاجية مثل الآلات والمعدات والبنى التحتية. ويتطلب إنشاء المشاريع الصناعية، ومنها معامل الإسفلت في محافظة بابل، توفر نوعين من رأس المال: (**جمهورية العراق، وزارة التخطيط، المعهد القومي للتخطط، 1988، صفحة 40**)

- رأس المال الثابت :مثل الأرض والمباني والمكائن
- رأس المال المتغير مثل المواد الأولية، الوقود، وأجور العمال

ويُعد رأس المال عنصراً حاسماً في نجاح المشاريع الصناعية، إذ يحدد حجم الإنتاج وكفاءته. وغالباً ما تواجه المشاريع الصناعية في الدول النامية تحديات تتعلق بضعف التمويل، مما يدفعها إلى الاعتماد على الادخار أو القروض، سواء الداخلية أو الخارجية (**السماك م.، 2008، صفحة 115**)

وتتطلب صناعة الإسفلت استثمارات مالية كبيرة قبل بدء التشغيل، تشمل تجهيز الموقع، وإنشاء البنى التحتية، وشراء المعدات والأفران والخزانات، فضلاً عن توفير المواد الأولية والطاقة، مما يجعل تدخل الدولة أو الدعم الحكومي عاملاً مهماً في قيام هذه الصناعة. (**فضيل، دراسات في جغرافية الصناعية، 1989، صفحة 57**)

سعر الأرض (Land Price)

تُعد الأرض من العوامل المكانية الأساسية في توطن الصناعة، ويؤثر سعرها وتوفرها بشكل كبير في اختيار مواقع المشاريع الصناعية. وتحتاج صناعة الإسفلت إلى مساحات واسعة من الأراضي، وذلك لأغراض: (**محمود ص.، 1976، صفحة 199**)

- خزن المواد الأولية
- إقامة وحدات الإنتاج
- إنشاء المخازن والمرافق الخدمية
- التوسع المستقبلي

ولذلك تميل هذه الصناعة في محافظة بابل إلى التوطن في أطراف المدن والمناطق المفتوحة، حيث تتوفر الأراضي بأسعار أقل ومساحات أكبر، فضلاً عن بعدها عن المناطق السكنية نظراً لطبيعتها الملوثة نسبياً.

المواد الأولية (Raw Materials)

تُعد المواد الأولية من المقومات الأساسية للصناعة، وتشمل جميع المواد التي تدخل في إنتاج السلع، سواء كانت زراعية أو معدنية أو صناعية نصف مصنعة.ولا يعتمد قيام الصناعة على توفر المواد الأولية فقط، بل يتطلب توافر مجموعة من العوامل الأخرى، إلا أن قرب المواد الأولية من موقع الصناعة يقلل من تكاليف النقل ويزيد من كفاءة الإنتاج. (**محجوب، 1985، صفحة 241**)

وتتكون الخلطة الإسفلتية في محافظة بابل من عدة مواد أساسية، منها:

- الرمل النهري
- الرمل المجروش
- الحصى المكسر بمقاسات مختلفة
- الزفت (القار)
- الماء
- المواد المستحلبة والمذيبات

وتختلف نسب ومكونات هذه المواد بحسب نوع الإسفلت المستخدم، سواء كان إسفلتاً ساخناً أو بارداً. فعلى سبيل المثال، يدخل في تركيب الإسفلت البارد مواد مثل الزفت والماء والمواد المستحلبة(مثل البنتونايت)، مما يجعله مناسباً لبعض الاستخدامات الخاصة. ويُعد توفر هذه المواد بكميات كافية وبأسعار مناسبة شرطاً أساسياً لاستمرارية الإنتاج، إذ إن أي نقص أو تأخير في توفيرها يؤدي إلى تعطيل العمل داخل المعمل (**الدراسة الميدانية للباحثة، كانون الثاني، شباط، 2025**).

ويتضح أن نجاح صناعة الإسفلت في محافظة بابل لعام 2024 يعتمد على تكامل مجموعة من المقومات الطبيعية والبشرية والاقتصادية، حيث تتداخل عوامل المياه، والقوى العاملة، ورأس المال، وسعر الأرض، والمواد الأولية لتشكّل منظومة متكاملة تؤثر بشكل مباشر في كفاءة الإنتاج واستدامته. (**السلامي، 2008، صفحة 64**)

وتختلف المواد الأولية المستخدمة في صناعة الإسفلت تبعاً لنوعه، إذ يختلف تركيب الإسفلت البارد عن الإسفلت الساخن (إسفلت التبليط). فعلى سبيل المثال، يتكون الإسفلت المعروف بقير التسطيح البارد من مواد مثل الزفت(القار)، والبنتونايت، والماء بوصفه عاملاً للاستحلاب، فضلاً عن كاربونات الصوديوم والسيليكات. في حين يتكون إسفلت التبليط من الرمل النهري، والرمل المجروش، والحصى المكسر بمقاسات مختلفة، بالإضافة إلى الزفت والمواد المالئة (الفلر).

وفي محافظة بابل، تتنوع مصادر تزويد معامل الإسفلت بالمواد الأولية، إذ يتم الحصول على مادة الزفت من المصافي النفطية داخل العراق مثل مصفى الدورة ومصفى بيجي، في حين يتم تجهيز الرمل والحصى من مناطق المقالع القريبة في المحافظات المجاورة، مثل مناطق ديالى وكربلاء وواسط. أما المواد المضافة كالمواد

البوليمرية والمستحلبات، فيتم استيرادها من دول صناعية متقدمة مثل إيطاليا والصين وبلجيكا والمملكة العربية السعودية، وذلك لتحسين خصائص الخلطات الإسفلتية وزيادة مقاومتها للظروف المناخية .

وقد أظهرت الدراسة الميدانية أن صناعة الإسفلت لا تُعد من الصناعات الفاقدة للوزن أثناء التصنيع، إلا أنها تُصنف ضمن الصناعات الحساسة للظروف الحرارية، إذ تتعرض للتلف السريع في حال انخفاض درجات الحرارة عن المستوى المطلوب، الأمر الذي يجعل من الأفضل توطن هذه الصناعة بالقرب من الأسواق ومناطق الاستهلاك لتقليل زمن النقل والحفاظ على جودة المنتج.

مصادر الطاقة والوقود: (Fuel and Energy Resources)

يُعرف الوقود بأنه أي مادة قابلة للاحتراق تولد طاقة حرارية، مثل النفط والغاز والفحم، في حين تُعرف الطاقة بأنها القدرة الكامنة في المادة على إنجاز عمل معين. وتنقسم مصادر الطاقة إلى نوعين رئيسين **(حبيب، مبادئ الجغرافية الصناعية ، المصدر السابق، ص34–35)**

- طاقة ناضبة :مثل النفط والغاز الطبيعي، وهي محدودة وقابلة للنفاد
- طاقة متجددة :مثل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح والمياه

وتبرز أهمية الطاقة والوقود في تحديد مواقع الصناعات، ولا سيما الصناعات التي تعتمد عليها بشكل مباشر، مثل صناعة الإسفلت التي تستخدم الوقود كمصدر للطاقة الحرارية وكعنصر أساسي في الإنتاج الزفت الناتج من تكرير النفط.وفي محافظة بابل، يعتمد تشغيل معامل الإسفلت على مصادر الطاقة التقليدية، ولا سيما النفط ومشتقاته، فضلاً عن الطاقة الكهربائية المجهزة عبر الشبكة الوطنية. كما تتأثر تكاليف الإنتاج بتقلبات أسعار النفط العالمية، مما ينعكس على كلفة الإنتاج النهائية. وتُعد الطاقة الكهربائية من المتطلبات الأساسية لتشغيل المكائن والآلات داخل المعامل، حيث يتم تزويد هذه المنشآت بالطاقة من الشبكة العامة، الأمر الذي يسهم في استمرارية العملية الإنتاجية. تمثل الطاقة والوقود عاملاً حاسماً في توطن صناعة الإسفلت، إذ تدخل كمادة أولية في الإنتاج (الزفت)، فضلاً عن كونها المصدر الرئيس لتشغيل المعدات، مما يستوجب توفرها بشكل مستمر لضمان استدامة الإنتاج. **(فضيل و رسول، المصدر السابق، ص34–35)**

يُعد النقل أحد الركائز الأساسية في دعم الأنشطة الصناعية، إذ يشمل الوسائل والتقنيات التي تُستخدم لنقل المواد الخام والمنتجات والأفراد من مكان إلى آخر. كما يمثل حلقة الوصل بين مناطق الإنتاج ومناطق الاستهلاك، مما يجعله عاملاً مهماً في نجاح وتطور الصناعة.

وتتجلى أهمية النقل في تأثيره المباشر على تكاليف الإنتاج، إذ إن توفر شبكة نقل متطورة ومنخفضة الكلفة يسهم في تسهيل تدفق المواد الأولية والمنتجات، وبالتالي تعزيز النمو الصناعي (**شبع، 2010، الصفحات 2–3**).

وفي محافظة بابل، يعتمد قطاع صناعة الإسفلت بشكل كبير على النقل البري، ولا سيما الشاحنات، نظراً لمرونتها العالية وقدرتها على نقل المواد من وإلى المعامل مباشرة (من الباب إلى الباب)، مما يقلل من الزمن والكلفة ويحد من تلف المنتجات.

كما تتمتع المحافظة بارتباط جيد بشبكة الطرق التي تربطها بالمحافظات المجاورة، الأمر الذي يسهل عملية استيراد المواد الأولية وتسويق المنتجات. في حين لا يلعب النقل بالسكك الحديد دوراً كبيراً في هذه الصناعة بسبب محدودية مرونته مقارنة بالنقل البري.

أما وسائل الاتصالات، فتُعد من العوامل الداعمة للصناعة، إذ تشمل شبكات الاتصال الحديثة مثل الهاتف والإنترنت، والتي تسهم في تسهيل عمليات التنسيق والتوريد والتسويق، فضلاً عن توفير المعلومات اللازمة لتطوير العمليات الإنتاجية.

كما تساعد وسائل الإعلام والاتصال الحديثة في الترويج للمنتجات الإسفلتية والتعريف بمواصفاتها، مما يعزز من قدرتها التنافسية في الأسواق. ويتضح أن نجاح صناعة الإسفلت في محافظة بابل لعام 2024 يعتمد على تكامل عدة عوامل، منها توفر المواد الأولية، ومصادر الطاقة، وشبكات النقل، ووسائل الاتصالات، حيث تشكل هذه العناصر منظومة متكاملة تؤثر بشكل مباشر في كفاءة الإنتاج واستمراريته. (**حسن و أخرون، 1996، صفحة 54**)

7- السوق (Market)

يُعرف السوق بأنه المكان أو الإطار الذي تتم من خلاله عمليات بيع وشراء المواد الأولية والمواد نصف المصنعة والسلع الجاهزة، كما يُعرّفه بعض الاقتصاديين بأنه مجموعة من الأفراد أو الجهات التي ترتبط فيما بينها بعلاقات تبادل تجاري. (**فضيل و رسول، المصدر السابق، صفحة 134**).

ويُعد السوق من أهم المقومات الأساسية لقيام الصناعة وتطورها، إذ إن الهدف الرئيس من النشاط الصناعي يتمثل في إنتاج السلع لتلبية الطلب، سواء للاستهلاك النهائي أو كمدخلات في عمليات إنتاجية أخرى. لذلك يمثل توفر سوق مناسب عاملاً حاسماً في نجاح أي مشروع صناعي. (**التميمي، النمو الصناعي في الوطن العربي، المصدر السابق ،ص28**)

كما يُعد السوق عاملاً جاذباً لبعض الصناعات، ولا سيما تلك التي تشكل فيها تكاليف النقل نسبة مرتفعة من إجمالي التكاليف، إذ تميل هذه الصناعات إلى التوطن بالقرب من مراكز الاستهلاك لتقليل النفقات وضمان سرعة تصريف المنتجات.

وعلى الرغم من توفر بعض مقومات الصناعة الأخرى، مثل المواد الأولية والقوى العاملة ورأس المال، إلا أن غياب السوق الملائم قد يشكل عائقاً رئيساً أمام قيام الصناعة أو استمرارها. وتختلف الصناعات من حيث حجم أسواقها، فبعضها يقتصر على السوق المحلية، في حين يمتد البعض الآخر ليشمل الأسواق الإقليمية أو حتى الدولية.

وفي هذا السياق، تعتمد قوة السوق في محافظة بابل على عدة عوامل، من أبرزها حجم السكان، ومستوى الدخل، والنشاط الاقتصادي السائد في المحافظة. إذ تتميز بابل بوجود سوق محلي متوسط إلى جيد، مدعوم بنشاط اقتصادي متنوع، فضلاً عن قربها الجغرافي من بغداد، الأمر الذي يعزز من فرص تسويق المنتجات الصناعية، ومنها منتجات الإسفلت.

كما يبرز تأثير السوق في توطن صناعة الإسفلت من خلال الطلب المتزايد على مشاريع البنية التحتية، مثل إنشاء الطرق وصيانتها، والتي تشهد توسعاً مستمراً في المحافظة، مما يوفر سوقاً مستقرة نسبياً لهذه الصناعة (**حبيب، دراسات في جغرافية العراق الصناعية، 1975**).تتنوع الأنشطة الصناعية التي تتأثر بعامل السوق

داخل محافظة بابل تبعاً لطبيعة منتجاتها وحجمها ومدى ارتباطها بالمستهلك النهائي (**محمد، 1978، الصفحات 1168–169**):

وتُعد صناعة الإسفلت من الصناعات التي تعتمد بدرجة كبيرة على قربها من السوق المحلي، وذلك بسبب ارتفاع تكاليف النقل مقارنة بإجمالي التكاليف، فضلاً عن كون المنتج سريع التأثر بالظروف الزمنية، إذ يفقد الإسفلت خصائصه الفنية تدريجياً بعد مدة محدودة من الإنتاج.

وفي هذا الإطار، تحتاج صناعة الإسفلت في محافظة بابل إلى سوق واسع ونشط، يتوفر عادة في المناطق التي تشهد توسعاً عمرانياً وتطوراً في مشاريع البنية التحتية، مثل إنشاء الطرق وصيانتها. كما أن الموقع الجغرافي للمحافظة وقربها من بغداد يعزز من فرص تسويق المنتجات الإسفلتية، إذ يمكن تزويد الأسواق المحلية والمحافظات المجاورة بالكميات المطلوبة بكفاءة نسبية.

وقد أظهرت الدراسة الميدانية أن تسويق منتجات الإسفلت يتم بشكل رئيس إلى البلديات والدوائر الخدمية داخل محافظة بابل، فضلاً عن تجهيز المحافظات القريبة، مما يعكس أهمية السوق المحلي والإقليمي في استمرارية هذه الصناعة.

ويتبين أن السوق يُعد عاملاً حاسماً في توطن صناعة الإسفلت في محافظة بابل لعام 2024، إذ يحدد حجم الإنتاج واتجاهه، كما أن القرب من مناطق الطلب يسهم في تقليل الكلف التشغيلية والحفاظ على جودة المنتج، مما يعزز من كفاءة الأداء الصناعي.

المبحث الثالث

مراحل صناعة إسفلت التبليط في محافظة بابل

تمر صناعة إسفلت التبليط بعدة مراحل إنتاجية داخل معامل بابل، ويمكن تلخيصها بما يأتي:

1- مرحلة التحضير

يتم تجهيز المواد الأولية مثل الحصى (¼، ½، ¾ إنج)، الرمل النهري، الرمل المجروش، مادة القير، والفلر[*]، حيث تُنقل إلى الهوبرات داخل المعامل المنتشرة في أطراف محافظة بابل) (الدراسة الميدانية للباحثة لمعمل اسفلت بابل، 2025).

2- مرحلة التسخين

تُسخن المواد داخل جهاز المجفف (Dryer) إلى درجة حرارة تقارب 160 درجة مئوية لضمان جفافها التام. (**الدراسة الميدانية للباحثة لمعمل اسفلت بابل، 2025**)

الصورة (1)

جهاز المجفف (درایر)



المصدر: الدراسة الميدانية، معمل اسفلت ، بتاريخ . 2026/4/2

* **فلر: وهي مادة تضاف للخلطة الاسفلتية لتزيد شدة تماسك بين الجزيئات تضاف بنسبة 60 كغم بالنسبة للطن الواحد.**

3- **مرحلة الغربلة والعزل**

تُرفع المواد بواسطة السيور الناقلة إلى المناخل العلوية لفصلها حسب الحجم والتدرج الحبيبي.

الصورة (3)

المناخل



المصدر: الدراسة الميدانية، معمل اسفلت ، بتاريخ 2026.

4- **مرحلة الوزن**

تُوزن المواد وفق نسب محددة لإنتاج طن واحد من الخلطة الإسفلتية، ويتم ذلك باستخدام أجهزة إلكترونية دقيقة داخل معامل بابل (**الدراسة الميدانية للباحثة لمعامل الاسفلت في محافظة بابل، كانون الثاني، شباط، 2025**).

5- **مرحلة الخلط**

تُخلط المواد مع القير داخل الخلاطة المركزية، وتستغرق العملية حوالي 20 ثانية، ويتم الحفاظ على حرارة الخلطة لضمان جودتها.

6-**مرحلة التفريغ**

تُفرغ الخلطة مباشرة في الشاحنات لنقلها إلى مواقع المشاريع في محافظة بابل والمحافظات المجاورة، نظراً لسرعة تصلب الإسفلت عند انخفاض الحرارة.

مراحل إنتاج اللباد الإسفلتي في محافظة بابل

تُعد صناعة اللباد الإسفلتي من الصناعات المكملة لقطاع العزل والبناء في محافظة بابل، وتتم عبر المراحل الآتية (**الدراسة الميدانية للباحثة لمعامل الاسفلت في محافظة بابل، كانون الثاني، شباط، 2025**):

1- مرحلة التسخين:

يتم تسخين المواد باستخدام بويلر يعمل بالزيت الحراري بدرجة حرارة تصل إلى 220 درجة مئوية.

2- **مرحلة الخلط**

يُخلط الإسفلت مع مواد إضافية مثل كاربونات الكالسيوم والزيوت الصناعية لتحسين المرونة.

3- **مرحلة الفحص**

تُؤخذ عينات من الخلطة لفحصها في مختبرات السيطرة النوعية داخل معامل بابل.

4- **مرحلة التجانس**

تُضخ الخلطة إلى الخلاطات الأفقية لضمان تجانسها واستقرار حرارتها.

5- **مرحلة التغطيس**

يُغمر شريط البوليستر في الخلطة الإسفلتية ثم يُغطى بطبقات حماية إضافية.

6- **مرحلة التبريد**

تُبرد المنتجات في أحواض مائية مخصصة داخل المصنع.

7- **مرحلة اللف**

تُلف المادة على شكل رولات جاهزة للاستخدام في مشاريع العزل.

8- مرحلة الوزن والتعبئة

تُوزن اللفات وفق السماكات المختلفة(2–4 ملم) وتُجهز للتسويق داخل محافظة بابل وخارجها.

التوزيع الجغرافي لمعامل صناعة الاسفلت في محافظة بابل:

تعد فكرة التوزيع احد اسس بناء المنهج الجغرافي، وهو مهم جدا في الجغرافية كجزء من المنهج الجغرافي، ويعد اساسا لها، فتوزيع الظاهرة الجغرافية يرشد الباحث إلى التباين والتشابه لهذا التوزيع طبقا لمعايير محددة، وتمكن الاستفادة منها في توزيع الظاهرة ، او امكانية اجراء تغيير في سلوك تلك الظاهرة ، وعند توزيع اي ظاهرة جغرافية لابد من دراسة العوامل الموقعية التي اثرت في توزيعها وخاصة في جغرافية الصناعة (**مراد، 1989، صفحة 161**).

تتوزع معامل الاسفلت في محافظة بابل في الاقضية وخارج مركز المدينة وتتركز اغلب المعامل في قضاء الكفل قرب زيد بن علي في منطقة ابو سميج وأن عدد العمال في المعمل الواحد يتراوح 12-15 عاملاً، وهذه المعامل تكون أهلية وحكومية ومن اهم المعامل الموجودة في محافظة بابل لصناعة الاسمنت هي خريطة(3):

1- **معمل اسفلت بلدية الحلة** : هو معمل حكومي عدد العمال فيه 149 عامل ومساحة المعمل 25,000م2، تأسس المعمل سنة 2007 ، ويقع في الحلة قرب قرية المعيميرة طريق حلة ديوانية وأن عدد ساعات العمل هو 7 ساعات.

خريطة(3)

التوزيع الجغرافي لمعامل اسفلت بابل

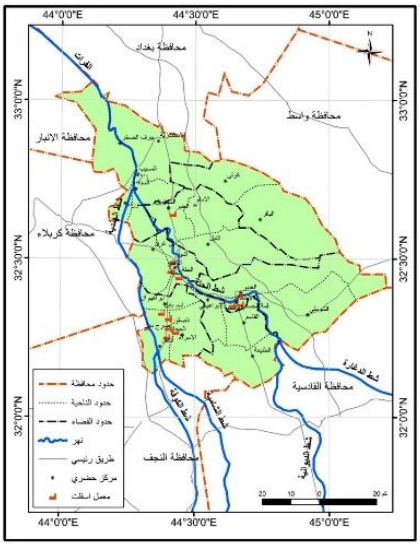

المصدر: جمهورية العراق، الهيئة العامة للمساحة، قسم انتاج خرائط محافظة بابل.

2- معمل اسفلت قمة الحسام:

هو أحد معامل انتاج الخرسانة الاسفلتية في محافظة بابل قرب قضاء الهاشمية جنوب مدينة الحلة. ويعمل على تجهيز مادة الاسمنت المستخدمة في تعبيد الطرق وصيانة الشوارع والمشاريع الانشائية. ويقع المعمل قرب قضاء الهاشمية جنوب مدينة الحلة ، عدد العمال (12) وأن راسمال المشروع 555مليون دينار عراقي، حسب تصنيف اتحاد الصناعات العراقي صنف أول وأن صاحب المعمل هو هادي مرزوك وأن المعمل حاصل على اجازة المديرية العامة للتنمية الصناعية.

طبيعة عمل المعمل:

1- أنتاج الخلطات الاسفلتية المستخدمة في رصف الطرق.

2- تجهيز المشاريع الحكومية والاهلية بمادة الاسفلت.

3- اجراء الفحوصات والتحاليل الفنية للمواد لضمان جودة الخلطة الاسفلتية.

أهمية المعمل:

1- يساهم في تطوير البنى التحتية للطرق في محافظة بابل والمناطق المجاورة .

2- يوفر فرص عمل للمهندسين والفنيين والعمال .

3- يدعم مشاريع البلديات والطرق والجسور.

صورة(4)

معمل قمة الحسام



المصدر : الدراسة الميدانية للباحثة بتاريخ2026/4/7

3- **معمل اسفلت الحجاز:** يقع المعمل في قضاء الهاشمية جنوب مدينة الحلة قرب طريق الهاشمية، يقع ضمن منطقة تركز الصناعات الانشائية .

4-معمل اسفلت الاحسان: يقع في ناحية الكفل قرب طريق الحلة – كربلاء ويستفيد من قربه من شبكة النقل.

5- **معمل اسفلت الغدير**: يقع في قضاء الهاشمية ضمن المنطقة الصناعية جنوب المحافظة قرب تجمع معامل الاسفلت

6- **معمل اسفلت الاسراء المؤكسد**: يقع في قضاء الهاشمية جنوب الحلة ضمن المناطق الصناعية يعتمد على سهولة النقل البري.

7- **معمل اسفلت صرح بابل**: يقع في ناحية الكفل في أطراف الحلة قرب الطريق الرابط بين الحلة والمحافظات المجاورة يخدم مشاريع الطرق المحلية.

8- معمل اسفلت باسم الحميري.

9- معمل اسفلت الوفاق.

صورة(5)



المصدر: **الدراسة الميدانية بتاريخ2026/4/7**

وتوجد معامل قيد الانشاء وهي:

1-**معمل اسفلت سامح محمود رضا حمزه** وشريكة لإنتاج الاسفلت وتبليط الشوارع ويقع في الكفل- ابو سميج

2- معمل اسفلت الصقور

3- معمل اسفلت حسن جاسم.

وهنالك معامل متوقفة عن الانتاج مثل:

1- معمل امير فالح 2- معمل موسى الجنابي. و معمل ظاهر حبيب.ومعمل البغدادي. ومعمل رعد حمزة. ومعمل ابو شهد المسعوديو معمل بشار الجنابي

يتضح من أن معامل صناعة الاسفلت تتركز بصورة رئيسية في قضاء الهاشمية وناحية الكفل وأطراف مدينة الحلة ويرجع ذلك الى توافر شبكة طرق برية جيدة واتساع المساحات الملائمة لإقامة الصناعات الانشائية ، فضلاً عن قربها من مراكز الطلب المتمثلة بالمشروعات العمرانية وشبكات الطرق داخل المحافظة والمحافظات المجاورة الامر الذي اسهم في تعزيز التوطن الصناعي بهذه المعامل في تلك المناطق.

من خلال تحليل معطيات الجدول(3)الذي يوضح التوزيع المكاني لمصانع الاسفلت في محافظة بابل، إذ بلغ عدد المصانع في المحافظة) مصنع ، تتوزع بصورة متباينة بين الوحدات الادارية، وتراوحت بين وحدات خالية من هذه الصناعة ومصانع للإسفلت وذلك لتوفر مقومات الصناعة كما في هذا القضاء من حيث المادة الأولية الاسفلت ومقالع الحصو او الرمل والكسارات للحصى وهي ذات اهمية كبيرة لإنتاج الاسفلت ومن معطيات الجدول(3) والخريطة(4) .

جدول(3)

التوزيع المكاني لصناعة الاسفلت في محافظة بابل

الوحدات الادارية	عدد المصانع
قضاء الحلة	2
قضاء المحاويل	4
قضاء الهاشمية والكفل	20
قضاء المسيب	2
المجموع الكلي	28

المصدر: الدراسة الميدانية للباحثة .

3- التوزيع المكاني لصناعة الاسفلت بحسب عدد العاملين فيها:

من خلال تحليل معطيات الجدول(4)الذي يبين عدد العاملين في صناعة الاسفلت، إذ بلغ عدد العاملين(191) عاملا، موزعين بصورة متباينة جدول(4) يوضح التوزيع المكاني للعاملين في لصناعة الاسفلت في محافظة بابل لعام

جدول(4)

معامل صناعة الاسفلت في محافظة بابل

اسم المعمل	عدد العاملين
معمل اسفلت الحجاز	23
معمل اسفلت الاحسان	23
معمل اسفلت الغدير المؤكسد	26
معمل اسفلت الاسراء المؤكسد	25
معمل اسفلت بلدية الحلة	23
معمل اسفلت قمة الحسام	12
معمل اسفلت صرح بابل	11
معمل اسفلت شركة العنبر	48
المجموع الكلي	191

المصدر: الدراسة الميدانية للباحثة بالاعتماد دائرة احصاء محافظة بابل.

جدول (5)

قيمة الانتاج المحلي

أسم المعمل	قيمة الانتاج
معمل اسفلت الحجاز 9120	646100
معمل اسفلت الامان 9121	620200
معمل اسفلت الغدير المؤكسد	172733140
معمل اسفلت الاسراء المؤكسد 90087	16626920
معمل بلدية الحلة	2330980

المصدر: الباحثة بالاعتماد على الدراسة الميدانية.

شكل(4)

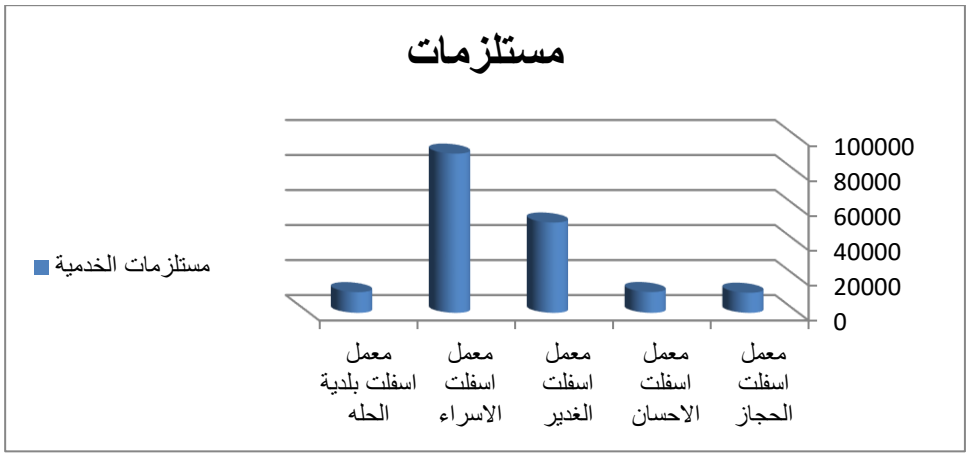

المصدر : المصدر: باعتماد على جدول(7)

شكل(4آ)

قيم المستلزمات الخدمية

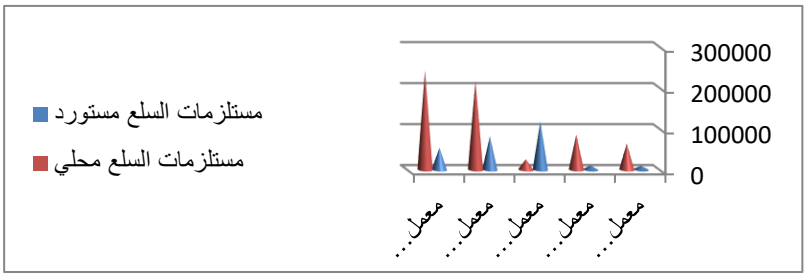

المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد جدول(7).

يوضح الشكل (5) أن الأيدي العاملة الذكورية تمثل النسبة الأكبر بصورة واضحة في جميع معامل الأسفلت، في حين تكاد مشاركة الإناث تكون معدومة باستثناء معمل اسفلت بلدية الحلة الذي سجل عددًا محدودًا جدًا من العاملات. كما يتبين أن معمل اسفلت الغدير المؤكد سجل أعلى عدد من العاملين الذكور، يليه معمل اسفلت الاسراء المؤكد ثم معمل الأمان والحجاز، وهو ما يعكس اتساع حجم النشاط الإنتاجي

والحاجة إلى أعداد أكبر من العمالة لتشغيل خطوط الإنتاج. وتشير النتائج إلى أن طبيعة صناعة الأسفلت تعتمد بصورة رئيسة على الجهد الفني والبدني، الأمر الذي يفسر ارتفاع نسبة العمالة الذكورية مقارنة بالإناث، فضلًا عن محدودية إشراك النساء في هذا النوع من الأنشطة الصناعية الثقيلة.

.شكل(5)

عدد الايدي العاملة



المصدر: من عمل الباحثة بالاعتماد على جدول(7).

شكل (6)

اجور الايدي العاملة

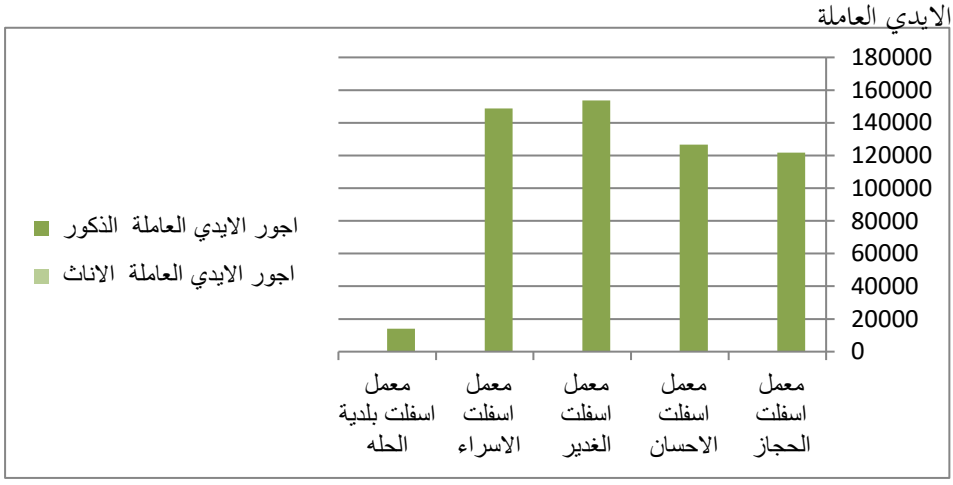

الاستنتاجات :

1- تعد صناعة الاسفلت في محافظة بابل من إحدى الصناعات البتروكيميائية المهمة، لاعتمادها بصورة رئيسة على مادة الزفت(القار) المستخرجة من النفط الخام، إذ يتم الحصول عليها أما من عمليات تكرير النفط أو من المصادر الطبيعية كالعيون والبحيرات القيرية.

2- يتميز الاسفلت بخصائص فيزيائية وكيميائية جعلته واسع الاستعمال في المجالات الصناعية والانشائية أذ يمتاز بدرجة عالية من الخمول الكيميائي عالٍ وتطايرية قليلة أو معدومة في الظروف الاعتيادية الامر الذي أسهم في زيادة أهميته الاقتصادية.

3- تنوع أنواع الإسفلت تبعاً لطبيعة الاستخدام فبعضها تستعمل بصورة مباشرة وهناك انواع تستعمل كمواد اولية داخلة في صناعة انواع اخرى من الاسفلت، وكذلك يدخل الاسفلت في اغراض مختلفة كتبليط الشوارع وفي تثبيت التربة وفي تغليف السدود والمسابح وقنوات الري ويستعمل في طلاء اسفل السيارات وفي صناعة بعض انواع الاصباغ السوداء وفي صناعة الاحبار.

4- أظهرت الدراسة انتشار العديد من التشوهات والتصدعات في شوارع المحافظة نتيجة للظروف البيئية القاسية واهمها حرارة الجو العالية ،وكذلك تدني نوعية المواد المستعملة وضعف السيطرة على عمليات الإنشاء من حيث الآليات والمعدات فضلاً عن زيادة نسبة الشاحنات ذات الحمولة الثقيلة وارتفاع معدلات اعداد المركبات بنسب كبيرة.

5- اسهم الموقع الجغرافي لمحافظة بابل في توطن صناعة الاسفلت وتوزيعها المكاني بسبب ارتباط المحافظة بشبكة طرق تربطها بالمحافظات المجاورة وساعد هذا الارتباط على تزويد المحافظة بالمواد الاولية اللازمة ،وأن للرياح تأثير في أختيار مواقع معامل الاسفلت كونها وسيلة ناقلة للملوثات الهوائية ولاسيما الدخان والابخرة والغازات الضارة الناتجة من عمليات صناعة الاسفلت.

6- يعد رأس المال من أهم العوامل المؤثرة في قيام صناعة الاسفلت لكونها من الصناعات التي تحتاج استثمارات مالية كبيرة تشمل شراء الارض وتكاليف انشاء المعمل من

البنايات وشراء المكائن والآلات فضلاً عن مواد الوقود والكهرباء والمواد الاولية وخزانات وافران التسخين .

7- تبين أن اغلب معامل الاسفلت المتوطنة في المحافظة تكون تابعة للقطاع الخاص في حين يقتصر القطاع العام على عدد محدود من المعامل من ابرزها معمل أسفلت بلدية الحلة المرتبطة ببلدية الحلة التابعة لوزارة الاعمار والاسكان والبلديات والاشغال العامة.

8- تحتاج صناعة الاسفلت مساحات واسعة من الاراضي لإقامة العمليات الانتاجية وعمليات الشحن والتفريغ والعمليات الخاصة بالتصنيع (مراحل الانتاج) وكذلك تحتاج صناعة الاسفلت الى توفر الايدي العاملة الماهرة إذ كلما زادت مهارة الايدي العاملة كلما ادى الى استثمار افضل للمكائن والمعدات الموجودة في المعمل فضلاً عن أنتاج نوعية جيدة من المنتجات وبكلف منخفضة .

9- يعتمد انتاج الاسفلت على مجموعة من المواد الاولية وتختلف هذه المواد ونسبها حسب نوع الاسفلت الا انه اتضح من خلال الدراسة الميدانية انه لايوجد فاقد بالوزن في هذه الصناعة الا انها من الصناعات سريعة التلف فعندئذ يكون المكان المفضل لقيام هذه الصناعة بالقرب من السوق .

10- يحتل النقل البري المرتبة الاولى في خدمة صناعة الاسفلت في محافظة بابل سواء عبر السيارات أو السكك الحديد ولعل طرق النقل بالسيارات اكثر تماساً واتصالاً بصناعة الاسفلت سواء في نقل المواد الخام والوقود الى المعمل او نقل المنتج الى الاسواق.

11- تواجه صناعة الاسفلت في محافظة بابل عدداً من المشاكلات، أبرزها نقص المادة الخام (الزفت) وارتفاع اسعارها ونقص في مصادر الطاقة الكهربائية واغلب اعتمادهم على المولدات الخاصة، الأمر الذي أدى الى عمل العديد من المعامل بأقل من طاقتها التصميمية بسبب قلة تجهيزها بمصادر الطاقة والوقود من قبل الدولة وارتفاع اسعارها وكثرة التوقفات التي تحدث في المكائن والآلات.

التوصيات:

1- ضرورة العمل على اعادة التوزيع المكاني لمعامل الاسفلت في محافظة بابل بما يحقق التوازن بين الوحدات الادارية، والحد من تركز المعامل في مناطق محددة، لتقليل الضغط البيئي والخدمي وتحقيق كفاءة أفضل في تلبية احتياجات مشاريع الطرق والبنى لتحتية.

2- تشجيع انشاء معامل اسفلت حدثة في المواقع التي تعاني نقصاً في الخدمات الصناعية ، ولاسيما الأقضية والنواحي البعيدة عن مراكز الانتاج الحالية. بما يسهم في تقلل تكاليف النقل وسرعة تجهيز المشاريع الانشائية. .

3- الاهتمام بتطوير البنية التحتية الداعمة لصناعة الاسفلت من خلال تحسين شبكة الطرق وتوفير الطاقة الكهربائية والوقود بشكل مستمر، لما لذلك من أثر مباشر في رفع كفاءة الانتاج وتقليل التوقفات التشغيلية.

4- دعم الكوادر الفنية والعاملين في معامل الاسفلت عبر اقامة الدورات التدريبية والتأهيلية، بهدف رفع مستوى المهارة الفنية وتحسين جودة الانتاج وزيادة الكفاءة التشغيلية.

5- اعتماد المعايير البيئية الحديثة في تشغيل معامل الاسفلت، وإلزام المعامل باستخدام وسائل الحد من الانبعاثات الغازية والغبار، حفاظاً على صحة السكان وتقليل الآثار البيئية السلبية الناتجة عن العمليات الصناعية.

6- تشجيع استخدام التقنيات الحدثة في صناعة الاسفلت، مثل الاسفلت المؤكسد والاسفلت المحسن، لما تمتاز به من جودة عالية ومقاومة أفضل للظروف المناخية والاستخدام المكثف.

7- تشجيع الاستثمار الصناعي في قطاع الاسفلت لما له من اهمية اقتصادية وتنموية ودوره في دعم مشاريع الاعمار وتطوير شبكة النقل والطرق داخل المحافظة.

8- اجراء دراسات جغرافية وصناعية مستقبلية تتداول أثر التوسع العمراني والزيادة السكانية في الطلب على منتجات الاسفلت، ومدى قدرة المعامل الحالية على تلبة الاحتياجات المستقبلية.

المصادر:.

أولاً الكتب العربية والمعربة

1. احمد حبيب, (1976) مبادئ الجغرافية الصناعية، , الجزء الأول, مطبعة دار السلام ,بغداد.
2. احمد حبيب،(1975) دراسات في جغرافية العراق الصناعية، مطبعة العاني، بغداد.
3. بسمان فيصل محجوب وآخرون،(1985)، ادارة المنشآت الصناعية، جامعة الموصل،
4. سعد جاسم محمد حسن واخرون،(1996.)، جغرافية الصناعة "اسس وتطبيقات وتوزيعات مكانية"، دار شموع الثقافية، ليبيا،
5. صبري فارس الهيتي, صالح فليح حسن الهيتي،(1986)،,جغرافية المدن, مديرية دار الكتب, الموصل.
6. عباس علي التميمي,(1985) النمو الصناعي في الوطن العربي ,مطبعة جامعة الموصل, الموصل .
7. عبد الزهرة علي الجنابي،(2013.) الجغرافية الصناعية, دار صفاء للنشر والتوزيع, الطبعة الأولى, عمان,
8. عبد الغفور يونس،(1976) ،اقتصاديات الصناعة وإدارة الانتاج، مؤسسة شباب الجامعة للطباعة والنشر، الاسكندرية.
9. عبد خليل فضيل, (1989)، دراسات في الجغرافية الصناعية, مطبعة التعليم العالي, جامعة بغداد, كلية التربية .
10. علي حسين الشلش،(1981)، جغرافية التربة،الطبعة الاولى،مطبعة جامعة البصرة.
11. قاسم شاكر الفلاحي,(2014)، الجغرافيا والجغرافيا الصناعية, الطبعة الأولى, دار الكتب العلمية للطباعة والنشر, بغداد.
12. قصي عبد المجيد السامرائي،(2008),المناخ والاقاليم المناخية ،دار اليازوري العلمية للنشر،الطبعة العربية،الاردن.
13. محسن حرفش السيد،(1990)، التخطيط الصناعي، مطبعة دار الحكمة للطباعة والنشر، جامعة البصرة،.
14. محمد ازهر سعيد السماك وآخرونن(1981) ،جغرافية النفط والطاقة، مطبعة دار الكتب، جامعة الموصل
15. منير البعلبكي،(2008)، قاموس المورد الحديث، دار العلم للملايين، لبنان.

16. نامق حويز احمد،(1990)، ومحمد حبيب رسول، هندسة التبليط الاسفلتي، الجزء الاول، الطبعة الثانية، وزارة الاعمار والاسكان، بغداد،
17. يحيى عباس حسين،(2000)، مبادئ الجغرافيا الطبيعية، الطبعة الاولى، الجامعة المفتوحة، طرابلس .

ثانياً: الرسائل والاطاريح

1. انتصار حسون رضا السلامي،(2008)، التحليل المكاني لصناعة الاسمنت في العراق، اطروحة دكتوراه، كلية التربية، جامعة بغداد،
2. ايمان جبار عبد الحسن الكعبي(2003.) ،مستقبل الصناعات البتروكيمياوية في العراق في ظل المتغيرات العالمية(دراسة تحليلية احصائية)،رسالة ماجستير (غير منشورة)،الجامعة المستنصرية– المعهد العالي للدراسات السياسية والدولية،
3. صباح محمود،(1976) ،التحليل المكاني للمواقع الصناعية في مدينة بغداد،أطروحة دكتوراه(غير منشورة)،جامعة بغداد ،كلية الآداب، قسم الجغرافية.
4. طه حسين،(2005)،، تحوير المواصفات الريولوجية للاسفلت بالمعالجة مع الشمع البارافيني والكبريت،رسالة ماجستير (غير منشورة)،جامعة الموصل، كلية العلوم–قسم الكيمياء،
5. عمران بندر مراد،(1989)، التوطن الصناعي في محافظة واسط، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة بغداد .
6. قصي محمد سعيد السامرائي،(1995)، القياس المحاسبي لتلوث البيئة وأثرهُ على تكلفة المنتج لصناعة تكرير النفط، رسالة ماجستير(غير منشورة)،الجامعة المستنصرية، كلية الادارة والاقتصاد– قسم المحاسبة،.

ثالثاً : البحوث والمجلات العلمية

1. بشار عبد العزيز محمود،(2009)، تحسين مواصفات قير هيت كمادة تسطيح باستعمال مسحوق مطاط الاطارات المستهلكة، مجلة جامعة الانبار للعلوم الصرفة، المجلد الثالث ،العدد الثالث.
2. خالد احمد الاعظمي وصبيحة محمد،(1990–1989.)، ديمومة المواد القيرية ومجالات استعمالها في ابنية وادي الرافدين ، مجلة سومر مجلد 46،

3. محمد جواد عباس شبع ،(2010)،واقع النقل البري في مدينة النجف الاشرف، بحث منشور في مجلة "اداب الكوفة" العلمية، العدد السادس.

رابعاً: الدوائر الحكومية

1 مديرية بلديات بابل ,قسم التخطيط العمراني ،يانات غير منشورة لعام 2025.

2– وزارة التخطيط والتعاون الانمائي ،الجهاز المركزي للإحصاء وتكنولوجيا المعلومات، المجموعة الإحصائية السنوية ، ،بيانات غير منشورة لعام 2025.

لكتاب وقائع الحاوي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

The Value Dimension in the Poetic Experience of Imam Al-Hasan ibn Ali (peace be upon him)

Dr. Khalid Majeed Farhan Abdullah
-Department of Arabic Language - College of Education for Humanities
University of AL- Hamdaniya, Iraq
Khalid-majeed-1993@uohamdaniya.edu.iq

Abstract

This study aimed to reveal the ethical dimension in the poetry of Imam al-Hasan ibn Ali (peace be upon him) through a comprehensive analysis and highlighting these values and their artistic and semantic manifestations. His poetry embodied a complete human system based on the values of generosity, courage, wisdom, asceticism, loyalty, contentment, discretion, taking knowledge for consideration and neighborliness. These values were not merely slogans; rather, he saw in them a social responsibility towards others, directly linked to the ethical and political conflicts of his era. This gave discourse a functional dimension alongside its ethical function. Because his life (peace be upon him) represents a humanistic approach, which his followers have consistently emulated in word, deed, and example, we deemed it our ethical and intellectual duty to examine these ethical dimensions and shed light on the lesser-known aspects of his literature and creative art. Thus, it became a must for us to read his poetry with the contemplative eye of a seeker searching for hidden gems in the depths of the sea. Given his significant contributions to guidance, mentorship, and course correction, highlighting the values and principles he adopted became essential for study, analysis, and scholarly research.

Keywords: Values, Imam Hasan ibn Ali (peace be upon him), Poetic Experience.

البعد القيمي في التجربة الشعرية للإمام الحسن بن علي(عليه السلام)

م.د. خالد مجيد فرحان عبد الله

قسم اللغة العربية – كلية التربية للعلوم الإنسانية – جامعة الحمدانية – العراق

Khalid-majeed-1993@uohamdaniya.edu.iq

ملخص الدراسة

هدفت الدراسة إلى إظهار البعد القيمي في شعر الإمام الحسن بن علي (عليه السلام) من خلال تحليله تحليلا وافيًا، وإبراز تلك القيم وتجلياتها الفنية والدلالية، فقد جسّد شعره (عليه السلام) منظومة إنسانية متكاملة قوامها قيم الكرمِ، والشجاعةِ، والحكمةِ، والزهدِ، والوفاء، والقناعة، وكتمان السر، والاهتمام بالمعرفة، والجوار؛ ولم تكن هذه القيم شعارات فحسب، بل رأى فيها مسؤولية اجتماعيّة تجاه الآخر، وارتبطت ارتباطاً مباشراً بالصراع القيمي والسياسي في عصر الإمام (عليه السلام)، وهذا ما منح الخطاب بُعدا وظيفياً إلى جانب الوظيفة الأخلاقيّة.

ولأن سيرته (عليه السلام) تمثل منهجا إنسانياً، درج المقلدون على الامتثال له قولاً وفعلاً واقتداءً؛ ورأينا من الواجب الأخلاقي والمعرفي أن نقف على الأبعاد القيمية تلك، ونسلط الضوء على المغمور من أدبه وفنه الإبداعي؛ فصار لزاما علينا أن نقرأ شعره قراءة المتأمل الباحث عن مكامن الدرر في أعماق البحر؛ لما له من مساهمات في فعالة في التوجيه والإرشاد وتقويم المسار، فكان تسليط الضوء على ما تبنّاه من قيم ومبادئ أمر لا مناص من تناوله بالدرس والتحليل والبحث العلمي.

الكلمات المفتاحية: البعد القيم، الإمام الحسن بن علي(عليه السلام)، تجربة شعرية

لكتاب وقائع الحاوي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار ● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

1. المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين نبينا محمد الصادق الأمين، وعلى آله، وأصحابه الغر الميامين، وبعد:

إنَّ التراث العربي بعصوره وميادينه كافة مادة ثرّة، وكيان زاخر بمحطات الوقوف والدراسة، ومع كثرة هذه الدراسات التي كتبت في مجالات كثيرة، كالإنسانية والاجتماعية، والنفسية، إلا أن هناك جوانب بقيت مهمّشة تستحق الدراسة والوقوف عليها، وبخاصة تلك التي تمس الحياة الاجتماعية للإنسان؛ مع أهميّتها في إظهار هذا التراث وإبرازه، والاستفادة منها في الحياة اليومية للمجتمعات.

ونظرا لأهمية التراث الأدبي في العصر الإسلامي وما اشتمل عليه من موضوعاتٍ تخص الحياة الإنسانية وعلاقات الأفراد بعضهم ببعض، رأينا من الضروري الوقوف على جانب مهم من جوانب هذا التراث المتمثل بشعر الإمام الحسن المجتبى (عليه السلام)، ولمّا كان شعره ميدانًا خصبًا للدراسة والبحث من جوانب عِدّة، كان من الضروري تحديد جانب الدراسة، فوقع الاختيار على البعد القيميّ من شعره، وبدا جليّا تمظهر القيم في شعره بأشكالها المختلفة؛ إذ برز فيها كرمُهُ، وشجاعتُه، وعفتُه، وصبرُه، وقناعتُه وزهدُه، وحكمتُه، وموعظتُه، ووفاؤه .

وقد اقتضت طبيعة المادة العلمية تقسيم الدراسة على محورين، تمثل المحور الأول بالجانب النظري، تناولنا فيه حدود القيمة في اللغة والاصطلاح، وكذلك علاقة القيم بالأخلاق، وأهمية تلك القيم للفرد والجماعة، وأيضًا خصائصها الإسلامية التي تمثلت في شعر الإمام.

وكان المحور الثاني في الجانب التطبيقي، محلّلين النماذج الشعرية عند الإمام (عليه السلام) وما فيها من أشكال القيم، كالكرم، والشجاعة، والصبر، والزهد، والحكمة، وغيرها، محاولين الربط بين البنية اللغوية للقيمة مع الدلالة الأخلاقية لها، مع بيان الأهمية الفعلية لهذه القيم خدمة للمجتمع تارة، وتوجيها للآخر غير الملتزم من ناحية أخرى.

ولا بُدّ من الإشارة إلى المنهج الذي استندت إليه في الدراسة وهو المنهج التحليلي الوصفي الذي يقوم على تحليل الأبيات الشعرية واستقرائها بشكل أساس للوقوف على القيمة ومقاربتها دلاليًا وأخلاقيًا.

2. المبحث الأول: المهاد النظري

القيمة لغة:

وردت لفظة القيمة في المعاجم اللغوية العربية بدلالات ومعانٍ متقاربة، فالقيمة عندهم: ((واحدة من القيم، وقوّم السلعة تقويماً، وأهل مكة يقولون استقام السلعة وهما بمعنى واحد)) (الرازي، 1995م، (مادة: قوم)، ج 1، ص560)، وهي بمعنى الاستقامة والاعتدال، وقوّم الشيء: أزال اعوجاجه وأقامه عدّله، ويقال: ما أقومه: أي ما أشد اعتداله (ينظر: ابن منظور، 1414هـ: (مادة: قوم)، ج 5، ص3782) ويقال: ((أقمت الشيء وقومته فقام بمعنى استقام، والاستقامة: اعتدال الشيء واستواؤه(ينظر: ابن منظور، 1414 (مادة: قوم)، ج 5، ص4782) ، والقيمة: ثمن الشيء، وقيل أيضاً أنها: التقدير والتخمين والتثمين والتسعير(ينظر: رينهارت دوزي، 1991م ، ج8، (ف–ق)، حرف القاف، (مادة: قوم)، ص422).

القيمة اصطلاحاً:

لا يختلف مفهوم القيم في معناها الاصطلاحي عن معناها في اللغة كثيراً إذ عُرِّفت على أنها: ((معايير اجتماعية ذات صبغة انفعالية قوية عامة، تتصل بالمستويات الخُلُقية التي تقدسها الجماعة، ويمتصها الفرد من بيئته الخارجية الاجتماعية ويقيم منها موازين يزن بها أفعاله، ويتخذها هادياً ومرشداً، نحو ما ترغب به صدقاً لا عوج فيه ولا التواء، وتنأى به بعيداً عن كل جنوح تحرمه الجماعة)) (السيد، عبد الرحمن، 1999م، ص 294) ، وقريبا من هذا المعنى عُرّف على أنه: ((مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية ينشرها الفرد من خلال أفعاله

وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة، ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولاً من جماعة اجتماعية معينة حتى تتجذر في سياقات الفرد السلوكية أو اللفظية أو اتجاهاته واهتماماته)) (زاهر، 1984م، ص24)

والقيم في حقيقتها عبارة عن: ((عمليات انتقاء أو اختيار يقوم بها الإنسان في ميادين الحياة أو مجالاتها التي تضم اتجاهاته الأساسية، وميوله العميقة الجذور، والأشياء التي تحظى منه بالاحترام والتقديس)) (خليفة، 1992م، ص37) .

وفي ضوء ما ذكر من معانٍ للقيم نستطيع القول أيضاً: إنها القيام بأعمال من شأنها أن تسهم في تحقيق التوازن والتكامل بين أفراد المجتمع.

أهمية القيم:

للقيم أهمية بالغة في حياة الأفراد على مختلف العصور والأزمان، بدءاً من العصر الجاهلي حيث كانت القيم وسيلة الضبط الاجتماعي للأفراد؛ لغياب السلطة الحاكمة آنذاك، وصولاً إلى الوقت الحاضر مروراً بالعصر الإسلامي إذ أصبح الالتزام القيمي واجباً دينياً؛ كون الدين الإسلامي أمر بالالتزام الخلقي بمختلف أشكاله، مرورًا بالعصور التي تلت هذين العصرين، إذ لم تقل أهمية عن العصور التي سبقته، ونستطيع تلخيص أهمية القيم الأخلاقية على المستويين الفردي والجماعي بالآتي:

أولاً: على المستوى الفردي(ينظر: أبو العينين، ص34- 35، الجلاد، 2002م، ص40- 44)

إن القيم تهيئ للفرد اختيارات محددة للسلوك الصادر عنه، وبمعنى آخر فهي تحدد شكل الاستجابة الفردية فيما يواجه من مواقف وأشخاص.

1. من خلال ما يظهر على الفرد من قيم والتزام بها يمكن التنبؤ بسلوك الفرد المستقبلي وأخلاقياته تجاه الآخرين في المواقف المختلفة.

2. بالقيم يستطيع الفرد أن يحقق لذاته قدراً كبيراً من الإحساس بالأمان، ومن خلالها يعبر عن ذاته بأبهى صورة يريدها، ويفهم كذلك المحيط، ويتعامل معه وفق ما تمليه عليه مقتضيات المصلحة الذاتية في دائرة الأمانة.

3. يستطيع الفرد من خلالها تحقيق ما هو مطلوب منه ويمنحه قدراً كبيراً من المساحة للتكيف والتوافق مع الجماعة المحيطة، وتحقيق نسبة كبيرة من الرضا عن النفس من خلال الالتزام بما يلتزم به الجماعة من مبادئ وعقائد.

ثانياً: على المستوى الجماعي(ينظر: أبو العينين، ص286، الجلاد، 2002م، ص45، الحازمي، 2000م ، ص135-136):

1. إن الالتزام القيمي لدى الفرد من شأنه أن يحافظ على تماسك المجتمع من خلال التحلي بما هو إيجابي ونافع ويخدم الحياة الاجتماعية السليمة.

2. من شأن الالتزام الأخلاقي وقاية المجتمع من أمور سيئة كثيرة، كالأنانية والنزعات الشهوانية والعدوان غير المبرر وهتك حرمة الجار.

3. بالقيم تترابط ثقافات المجتمع الواحد والمجتمعات المختلفة حتى تظهر وكأنها متناسقة متشابكة تقوي العلاقات بعضها ببعض.

4. يمكن اتخاذ الالتزام القيمي لدى الأفراد ميزاناً تقاس به الأعمال ويقيم بمقتضاها السلوك، وبالتالي تأخذ دور الضابط الاجتماعي، يمكن أيضا استخدامها بصورة مباشرة أو غير مباشرة في مجال التوجيه الإرشادي النفسي، وكذلك بمقدار الالتزام الخلقي يكون اختيار الأفراد في بعض المهن التي تستوجب قدراً كبيراً من الالتزام مثل: علماء الدين ومختصي التربية والتعليم.

– خصائص القيم:

للقيم الإنسانية خصائص معينة تختلف من عصر إلى عصر، ولما كانت عينة الدراسة شعر الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، نرى من الضروري بيان خصائص القيم الأخلاقية في المنظور الإسلامي ونستطيع إيجازها بالآتي:

1- الربانية:

ونقصد أنها ربانية المصدر أي مستقاة ونابعة من القرآن الكريم والسنة النبوية، فهي لم تأتِ نتيجة أهواء أفراد أو مجتمع أو حتى طبقة معينة، فالالتزام بها نتيجة توجيه من الله سبحانه وتعالى، لها فيض هداية ونور وبيان(ينظر: القرضاوي، 1982م، ص9-10) ، قال تعالى{ **وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ**}(سورة النحل، الآية: 89) ، فالإسلام يجعل غايته الأولى والأخيرة هي حسن الصلة بالله عن طريق غايته الإنسانية التي من خلالها يرضى العبد ربه فمن ملامح ((ربانية المنبع القيمي... ربط القيمة الإنسانية العلمية الحركية... بالمنبع العلوي، وهو الله – سبحانه وتعالى- يكسب القيمة سموا من ناحية، ويمنحها قوة ورسوخاً من ناحية أخرى)) (جابر قميحة، 1984م ، ص13) .

2- الوسطية والتوازن والاعتدال:

إن القيم في ظل الدين الإسلامي تكون استمرار القواعد والاستقرار فيها استقراراً متكاملاً متوازناً بين الماديات والمعنويات، إذ إنها تقوم على تنمية جانب على حساب آخر بل تقوم على نظرة متكاملة للطبيعة الإنسانية(ينظر: السعدي، 2013م، ص 116) ، يقول سبحانه وتعالى: **{ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً}**(سورة الإسراء: الآية: 29).

ووسطية القيم في ظل الدين الإسلامي وسطية انتقائية لا تلفيقية، فالإسلام عمد إلى القيم الجيدة عند العرب في فجر ما قبل الإسلام فأبقاها وهذبها، وأضاف إليها، ليعيش الإنسان عالم المادية والروح في توازن دقيق، فهناك قيم تهتم بالفرد، كما تهتم بالجماعة، كما هناك موازنة بين قيم الدنيا والآخرة، والرحمة والقوة، وكذلك الجود والبخل، وفي ضوء هذا كانت القيم تعبيراً صادقاً عن الفطرة البشرية والطبيعة الإنسانية في واقعية تامة(ينظر: دراز، 1980م، ص127)

3 –الشمولية والعمومية والتكامل:

إن القيم في الإسلام ((لم تدع جانباً من جوانب الحياة الإنسانية إلا ورسمت له الطريق الأمثل للسلوك الرفيع)) (مانع بن محمد،2005م، ص 156) ، وذلك واضح من حديث الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم): ((بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا أولادكم ولا تأتوا ببهتان تفترونه بين أيدكم وأرجلكم ولا تعصوا في معروف فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً ثم ستره الله فهو إلى الله إن شاء عفا عنه وإن شاء عاقبه، فبايعناه على ذلك)) (البخاري، ج1، ص11) ، وهكذا فالقيم لدى الفرد المسلم قيم شاملة صالحة لكل الأزمان والأماكن، وهذه الشمولية مستمدة من شمولية الدين الإسلامي الحنيف ومبادئه.

4– الواقعية والإيجابية:

من الخصائص الأساسية للقيم الإسلامية أنها ليست قيماً مثالية موضوعة دون أفق، وإنما هي خلاصة شريعة وفق واقع وأحداث واجهت الناس في حياتهم، ومع إيجابياتها، فهي واقعية كذلك في أهدافها ومقاصدها، وبالجانب هذا كله إنها غير محفزة للسلوك البشري، إذ يرغب الإنسان السليم بفطرته، فالإنسان السليم يحب العدل والأمانة والمروءة بأشكالها(ينظر: كليب، 1434هـ ، ص 70) ، **فجاء في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ ۚ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا بَصِيرًا}**(سورة النساء، الآية:58) ، فالعبادات واقعية، والقيم واقعية ((فالمنهج الإسلامي ... يتعامل مع الحقائق الموضوعية ذات الوجود الحقيقي المؤكد، والأثر الواقعي الإيجابي، لا مع تصورات عقلية مجردة، ولا مع مثاليات لا مقابل لها في عالم الواقع... ولا مع خيالات وأوهام (أحمد المهد،2002م، ص26) .

5– الإنسانية:

عنيت القيم الأخلاقية في الفكر الإسلامي بتكريم الإنسان، ففي القرآن الكريم تصريح واضح بأن الإنسان أكرم مخلوقات الله تعالى، فكل الموجودات سخرت له، يقول سبحانه وتعالى: **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ**

وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا}(سورة الاسراء، الآية: 70) ، فالقيم الأخلاقية حققت المساواة بين كافة الناس، إذ إنّ الأخلاق من شأنها ألا تفرق بين غني وفقير، وبين ضعيف وقوي، ولا بين عربي، وأعجمي(ينظر: ينظر: السعدي، 2013م، ص 119).

6 –الاستدامة والخلود:

إن ما ميز القيم الأخلاقية الإسلامية الخلود، إذ اكتسبت خلودها من خلود مصدرها المتمثل بالقرآن الكريم والسنة النبوية، ((فالمبادئ والقيم التربوية الإنسانية خالدة حية متجددة، خلافاً لمبادئ النظريات التربوية الوضعية التي تحكم بزمن معين ومكان محدد، فهي مستمدة من الوحي الخالد، الذي لم يأتِ لأمة معينة أو لفترة محددة أو لمكان مخصص، وإنما هو صالح لكل زمان ومكان وشعب)) (خياط، 1996م ، ص82) .

7– المرونة والثبات:

خلافاً للقيم التربوية في النظريات الوضعية، فإن القيم الإسلامية جمعت ما بين الثبات والمرونة: ثبات في الأصول والأهداف، ومرونة في الفروع والوسائل، فهناك قيم عليا ثابته لا تقبل الاجتهاد أو التغيير أو التبديل، كالقيم العقدية، وقيم العبادات، وقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أما القيم الأخرى فهي نسبية ...، فإن مجال الاختيار فيها واسع، وهي مرنة مرونة كافية لمواجهة ما يتولد في حياة الناس من مواقف وحوادث، وما تصير إليه الأمور في المجتمعات، وهي ما تحتاج إلى نظر وتأمل واستنباط)) (شهوان، 2010م ، ص32) .

8 –مبدأ التوحيد:

وذلك باعتبار التوحيد ((النواة التي تجتمع حولها اتجاهات المسلم وسلوكياته حتى يصل لأهدافه، وبهذا تجعل لحياة الإنسان معنى ووظيفة)) (شهوان، 2010م ، ص32) ، وهو بهذا يكون مرتبطاً بالجزاءات الدنيوية والأخروية، ومن أجل هذا أوجد الله سبحانه وتعالى الوعد والوعيد، والترهيب، والوعد والترغيب(ينظر: خياط، 1996م ،ص75)

مصادر القيم الإسلامية:

لا يختلف اثنان على أن مصادر القيم تختلف من عصر لآخر، ومن مجتمع إلى مجتمع آخر، وإذا كانت القيم الجاهلية مصدرها الفطرة الإنسانية وضوابط المجتمع القبلي آنذاك، فمن الطبيعي أن تختلف مصادر القيم بعد ظهور الدين الإسلامي الحنيف وانتشاره انتشاراً سريعاً لما كان في هذا الدين من تأثير مباشر على الأصعدة جميعها، والإمام (عليه السلام) إضافة إلى فطرته السليمة، ونشأته نشأةً صالحة من نسل طاهر أورثه صلاحاً في التكوين النفسي والسلوكي، كان من الطبيعي أن يجبل سلوكه القويم بالقرآن الكريم والسنة النبوية. ولعل أهم مصادر القيم تلك هي:

1- القرآن الكريم:

يُعد القرآن الكريم المصدر الأساس في تقبل كل فعل إنساني والأخذ به، أو رفضه، وهذا ما يقول تعالى: **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ}**(سورة النحل، الآية: 89) ، فللقرآن الكريم أسلوب فريد في تربية المرء على الإيمان بوحدانية الله واليوم الآخر،... إذ إنه يفرض الإقناع العقلي مقترناً بإثارة العواطف والانفعالات الإنسانية، فهو بذلك يربي العقل والعاطفة جميعاً متماشياً مع فطرة الإنسان في البساطة وعدم التكلف، وطرق باب العقل مع القلب مباشرة... وهذه... أفضل طريقة اهتدى إليها علم النفس لتربية العاطفة، إنها تكرار إثارة الانفعالات مع تجارب سلوكية مشحونة بهذه الانفعالات مصحوبة بموضوع معين، حتى يصبح للمرء استعداد لاستيقاظ هذه الانفعالات كلما أثير الموضوع)) (النحلاوي، 2007م، ص24-25)، فالقرآن يربي على فضائل الأخلاق، وهذا واضح من تأكيد الله سبحانه وتعالى: **{إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ}**(سورة النحل، الآية: 90) ، ويوجه على المعاملة الحسنة مع الآخر فعلاً كان أو قولاً، قال تعالى: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ}**(سورة آل عمران، الآية: 159).

ويربي كذلك على العواطف الربانية والتي من شأنها أبعاد الإنسان إلى ما فيه الشر، قال تعالى: **{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ}**(الرحمن، الآية: 46) ، وقال تعالى: **{فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ}**(الرحمن، الآية:55)، هذه الآيات نماذج من التوجيه القرآني ومصدرية القيم لدى الفرد المسلم، حيث بدا جلياً أثره على الالتزام القيمي عند الإمام (عليه السلام)

2- السنة النبوية:

تُعد السنة النبوية المحور الرئيس الثاني الذي تستقى منه التربية والأخلاق الإسلامية الحميدة، فأحاديث الرسول الكريم بمجملها توجيه وتعليم وتربية، و السنة بمعناها الأساس ((ما نُقل بالسند الصحيح من أقوال الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأفعاله وتركه ووصفه، وإقراره ونهيه، وما أحب، وما كره، وغزواته وأحوال وحياته)) (النحلاوي، 2007م، ص26) ، فهي جاءت في الأصل لإيضاح ما ورد في القرآن الكريم، وبيان لآداب وتشريعات(ينظر: النحلاوي، 2007م ، ص26) ، كما يقول تعالى: **{ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ}**(سورة الجمعة، الآية: 2) ، فالرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) نموذج خلقي وتربوي كامل، وأدرك العلماء ذلك جلياً حين صنفوا بعض أحاديثه تصنيفاً تربوياً مثل كتاب "الترغيب والترهيب" والذي في مجملها أحاديث تربي في النفس دوافع عمل الخير، وروادع عمل الشر، إذ شملت كافة أمور الحياة الإنسانية، المادية، والمالية، والروحية والاجتماعية، والجسدية، والفكرية، وكذلك اشتقاقهم من حياة الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وأحاديثه موضوعات تربوية وأخلاقية، ك "الأدب المفرد" للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، والذي اشتمل على توجيهات تربوية حول معاملة الأبناء، والأيتام وتربيتهم، وآداب اجتماعية كثيرة، وهذا كله يؤكد بوضوح أهمية السنة النبوية بوصفها مصدرًا رئيسيًا للقيم الإنسانية(ينظر: النحلاوي، 2007م، ص 27) ، ومكملاً للفطرة الإنسانية السليمة، والخلق المتوارث من النسب بيولوجيا وحضارياً.

3. المبحث الثاني: التطبيق الإجرائي

1 –الكرم:

يجيء الحديث عن الكرم في شعر الإمام الحسن (عليه السلام) أغزر وأعمق من القيم الأخرى بكثير، وهذا الأمر معقول في مثل حال الإمام (عليه السلام)، فالأكثر وروداً على لسان الإنسان هي الأكثر دوراناً في خاطره في أغلب الأحيان، ولعل إحساس الإمام (عليه السلام) بقسوة الحياة الاجتماعية والفقر الذي يعاني منه أغلب أفراد المجتمع آنذاك جعله يرى في الكرم واجباً أخلاقياً لا بد من الالتزام به، فهو عنده وكما عند الكثير وجه من وجوه العدالة في الأرض، لدرجة أن الحاجة مقرونة ((بالحياة والموت بشكل مباشر، ومن ثم توظيف فعل الكرم ودوره في إبعاد شبح الموت من خلال ممارسة قيمة الكرم بوصفها قيمة إنسانية لا تخلو من آثار اجتماعية بشكل عام، وآثار ذاتية بشكل خاص، في إطار علاقة اجتماعية لها ضوابط محددة تتجاوز طرفي العلاقة – العاطي والآخذ – لتشمل المجتمع بعمومه)) (الجبوري،2018م، ص27)

ومن جانب آخر كان الإمام (عليه السلام) يرى في ذاته أهلاً لكل فقير، بل ويعتقد أنه تقع عليه مسؤولية إعانة الفقراء والمعدمين، إعانة دون حدود إيماناً بمسؤوليته الأخلاقية الإنسانية أولاً، ومحافظاً على أصله الشريف وما كان عليه أهل بيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ثانياً.

وما تقدم جعل الإمام (عليه السلام) واهبا ما يملك بابه مفتوح لأي محتاج، وطريق العطاء والبذل عنده سالك لا مسدود في كل الأوقات والأزمان، بل تسابق مع ذاته والآخرين في الاتصاف بالكرم، وكان انعكاس هذا التسابق الكرمي واضح في أشعاره، فكانت أشعاره ((تمثل جملة استجابات لواقعه الاجتماعي المعاش مؤثراً فيهم ومتأثراً به على السواء)) (النعيمي، 2010م، ص142) ، ولعل هذا ما جعلنا نقف على نماذج كثيرة في شعره جوداً وإيثاراً في مواضع أخرى بكثير، فيقول في ذاته الكريمة (الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 96-97)

مَـنْ رَدَّ ســـائـلَـهُ مـن أنْ يُـلِـمَّ بـهِ فـقـرٌ فـإني بحـمـدِ اللهِ أُعـطـيـهِ
أو كـانَ يـبـلـغـهُ مـا يُـبَـلِّـغُـهُ شـــيـئـاً فـإني أُعـطـيـهِ وأُرضـــيـهِ
أعطى السّـــؤول الـذي قـد كـان يبعثـه ومـا يـؤمـلـه فـيـه ســـيـجـزيـه

إن صيحة الكرم واضحة في أبيات الإمام (عليه السلام)، وكأنه ينادي الآخر بأن يمتثل لهذه القيمة، فهو آمن باحتياج الإنسان لأخيه الإنسان إذ لا يكتفي بمجرد الإكرام القليل بل حدد الإكرام حتى الرضى ((فإني أعطيه وأرضيه))، وهذا العطاء نابع من إيمان تام بهذا الفعل أخلاقياً كان أو مسؤولية اجتماعية في ذمته، فللسائل عند الإمام حق في نظره، ((كمن يطالب بحق له في ذمة المسؤول، الذي سرعان ما يستجيب للضيف، استجابة المدين للدائن)) (أبو علي ، 2004م، ص 469)، وعلى اختلاف العرف الجاهلي حين كان يرى أن الكرم ((يتبدى بشكل سند مالي مؤخر استحقاقه)) (أبو علي ، 2004م، ص 469)، فالإمام (عليه السلام) يرى فيها الجزاء الحسن عند الله سبحانه وتعالى، فالعطاء عند الإمام عطاء استثمار أخلاقي لا انفعال عاطفي نابع من خوف مستقبلي من الفقر والحاجة.

ويؤكد هذه الفكرة في موضع آخر حين جاءه رجل يشكو فقره إليه، فنادى غلامه وأمره بإعطاء ما تبقى من المال للسائل، آمناً إيماناً تاماً بأن الله سيخلفه إياه، وسيجازيه خير الجزاء مالاً في الدنيا وحسنات في الآخرة، فأعطى الغلام المال لذلك الرجل واعتذر الإمام من عطائه الذي كان قدر الوسع، إذ قال(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 153) :

عـاجـلـتَـنـا فـأتاكَ وابـلُ بِـرّنا طَـلَّاً ولـو أمـهـلـتَـنـا لم نُـقصّـــرِ
فـخُـذِ الـقـلـيـلَ وكُـنْ كـأنـكَ لم تَـبِـعْ مـا صُـــنـتَـهُ وكـأنـنـا لم نَشـــتَرِ

فالإمام في بيته يعتذر للسائل حين يرى أن عطاءه قليل، إلا أن هذا القليل كل ما يملك وقت السؤال، فعطاؤه وابل حين يملك، وعوض حين لا يملك، يؤثر السائل على ذاته ويعطيه ما بين يديه ويعتذر عذر السائل لا المعطي. وكثيرة

هي أبيات الكرم عند الإمام في شعره(ينظر: (الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 94-95، 167، 56، 88) ، ألا أن الملاحظ في أغلب الأبيات هو حرصه على حفظ ماء وجه السائل، والعطاء قبل السؤال، فيقول في أبيات له حين أكرم بعض الأعراب قبل سؤالهم إياه(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص170- 171) :

نحـــنُ أناسٌ نـــوالُـــنـــا خَضِـــــلُ ... يـــرتـــعُ فـــيـــهِ الـــرجـــاءُ والأمـــلُ
تَجـودُ قـبـلَ الســـــؤالِ أنـفُسُـــــنـا ... خـوفـاً عـلـى مـاءِ وجـهِ مَـن يَسَـــــلُ
لـو يَـعـلـمُ الـبـحـرُ فضـــــلَ نائـلِـنـا ... لـغـاضَ مِـن بَـعـدِ فَـيـضِـــــهِ خَـجَـلُ

والإمام (عليه السلام) في الأبيات السابقة يفتخر بذاته من خلال الجماعة، فالكرم لا يقتصر عليه وإنما يتعدى إلى جماعته (أهل بيته)، فهم كرماء يرتع فيهم الرجاء والأمل، فالعطاء عندهم وعند من ينتمي إليهم عطاء قبل السؤال، عطاء بالذات قبل المال (تجود... أنفسنا)، والعطاء قبل السؤال هذا نابع من وعي قيمي عميق نابع من الخوف على كرامة الآخر، وفي هذا كله التزام أخلاقي تجاه الذات والأهل حفاظاً على النسب الشريف الطاهر من جهة، وتجاه الآخر المعدم من جهة أخرى.

إن رؤية الإمام (عليه السلام) للكرم تختلف عما كان عليه الفرد العربي في العصر الجاهلي، إذ كانت تكمن في أنها ضابط اجتماعي يحقق من خلاله الكرم أهدافاً طالما سعى إلى تحقيقها تتعلق بموقعه الاجتماعي والسياسي فضلاً عن جانبها الإنساني)) (الجبوري،2018م، ص 30)، والاختلاف يكمن في أن الإمام (عليه السلام) نظر إلى قيمة الكرم نظرة دينية خالصة إلى جانب كونها التزام أخلاقي، فهو يرى أن السخاء فريضة وعلى المسلم الالتزام بها امتثالاً لما جاء في القرآن الكريم، فبه يشتري نعيم الآخرة، ويبعد عن ذاته نار جهنم، بل ويرى في البخل الخروج عن تعاليم الإسلام، إذ يقول(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 181):

إِنَّ السَّـــخَـاءَ عَلَى الْعِبَـادِ فَرِيضَـــةٌ لِلَّهِ يُـــقْـــرَأُ فِي كِـــتَـــابٍ مُحْـــكَـــمِ
وَعَـدَ الْـعِـبَـادَ الأَسْـــخِـيَـاءَ جِـنَـانَـهُ وَأَعَـــدَّ لِـــلْـــبُـــخَـــلاءِ نَارَ جَـــهَـــنَّـــمِ
مَـــنْ كَـــانَ لا تَـــنْـــدَى يَـــدَاهُ بِـــنَـــائِـــلٍ لِـــلـــرَّاغِـــبِـــينَ فَـــلَـــيْـــسَ ذَاكَ بِمُسْـــــلِـــمِ

وهكذا نجد الإمام (عليه السلام) يجود بما يملك، ولا يجد السائل عنده عذراً أبداً، بل ونراه يعطي قبل السؤال حفاظاً على ماء وجه من يسأل، وأخيراً نراه يرى في الإكرام فريضة يشتري بها المسلم الجنة ويقي ذاته عذابات النار.

2- الحكمة

الحكمة: جاءت الحكمة في المعاجم اللغوية مرتبطة بالمعرفة بأصول الإنسان ما يترتب له في حياته، إذ جاء في لسان العرب: (الحكيم ذو الحكمة، والحكمة: عبارة عن معرفة أفضل الأشياء بأفضل العلوم، ويقال لمن يحسن دقائق الصناعات ويتقنها: حكيم)) (ابن منظور، 1414: (مادة: حكم)،ج 2، ص952)، والحكيم: العالم بالشيء والمتقن للأمور، وأحكم الأمر: أي أتقنه، ويقال للرجل إذا كان حكيماً قد أحكمته التجارب(ابن منظورن، 1414: (مادة: حكم)، ج 2، ص952-995).

أما في الاصطلاح فلا يختلف مفهوم الحكمة عن المعنى اللغوي، فقيل إنها: ((القول السديد، والنيل المفيد، ومعرفة أسرار الموجودات والعمل بمقتضى العلم، فهي بذلك تجمع بين القيمة الفكرية والعلمية أو بين العلم والعمل بموجبه)) (يالجن، علي، 1992م ، ص335) ، وقالوا إنها: ((اقتران العلم بالفهم، مصروفًا إلى كل ما هو بطبعه أعجب وأسمى)) (أرسطو طاليس ، 1924م، ج2، ص 131) ، وهي في ضوء هذا العمل بالعلم في المواقف الحياتية في جميع الأحوال والمواقف سواء كان عملاً أو قولاً، وبهذا يكون باباً للحياة وما فيها، ولهذا عدّها القرآن الكريم خيراً كثيراً كما جاء في محكم كتابه: **{يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ}**(سورة البقرة، الآية: 269) .

وعُرّفت الحكمة في الأدب على أنها: ((تجربة حيوية شخصية كانت أم إنسانية... تكون تأملات في الكون)) (إليا القس، 2017، ص 76) ، أو هي أبيات أو مقاطع متفككة متفرقة يقولها الشاعر عن اختيار لا عن تعمّق وتفكير(ينظر: حنا الفاخوري، ص62).

ولأهمية الحكمة في مختلف المجتمعات وباختلاف الأزمان نرى أنها جُعلت من صفات الفحولة، إذ كانت ((العرب لا تعدّ الشاعر فحلًا حتى يأتي ببعض الحكمة في شعره)) (الغلاييني، 1998م، ص 261) ، فهي إظهار لما يمتلكه الإنسان من عاطفة والتزام ديني وأخلاقي، وتزداد أهميتها وخصوصيتها أكثر حين يصدر من لسان الإمام الحسن (عليه السلام)، فالحكمة كما ذكرنا أشار إليها القرآن الكريم ووصفها بالخير الكثير، فكانت أداة بيد الإمام للدعوة والحوار مع الآخر، إذ كانت عنده ضرورة وجودية وأداة لتحقيق الاستجابة الإيمانية، فالشعر عنده كان أداة ضبط أخلاقي ووريث نبوة في زمن الانتكاس، وهذا كله جعلنا نقف على نماذج كثيرة من شعر الحكمة عنده، إذ يقول فيما يواجه الإنسان من متاعب حياتية(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 122) :

وَمَـا مِنْ شِـــدَّةٍ إِلاَّ سَـــتُفْضِـــي بِصَـــاحِـبِـهَـا إِلَى فَـرَجٍ قَـرِيـبِ

إنّ الحكمة واضحة في البيت، فالإمام (عليه السلام) يقرّ بقانون لحياة الإنسان حين يمر تحت ضغوطات الحياة القاسية، إذ يؤكد على أن الشدة على الإنسان مؤقتة وأن الفرج نتيجة حتمية مهما كان مدة الشدة، وذلك واضح حين يؤكد كلامه بلفظة (ستفضي)، دون المفردات الأخرى التي لا تؤكد معنى الانتقال والتحول.

ويؤكد تقلبات الحياة في موضع حكمي آخر حين يقول(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 137) :

ذَرِي كَـدَرَ الأَيَّامِ إِنَّ صَـــفَـاءَهَـا تَـوَلَّى بِأَيَّامِ السُّـــرُورِ الـذَّوَاهِـبِ

وَكَيْفَ يَغُرُّ الـدَّهْرُ مَنْ كَـانَ بَيْنَـهُ وَبَيْنَ اللَّيَـالِي مُحْكَمَـاتُ التَّجَـارِبِ!

لكتاب وقائع الحاوي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار ● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-2026/07/11

يبرز جلياً في البيتين حقيقة تبدل الحال صفاءً وسروراً، فالسرور لا يدوم كما أن الشدة لا تدوم، إذ يتعجب الإمام (عليه السلام) ممن يغتر بالدهر بحال واحدة، ففي هذا توجيه واضح للآخر والذات إلى الاستعداد الدائم لمصائب الدهر وتقلباته، فالحكيم والعاقل هو الذي لا يثق بالدهر، بل يتعامل معه تعامل العارف لمتقلباته.

ومع تقلبات الحياة واستحالة دوام الحال على حزن أو فرح، يؤكد في حكمة أخرى له حتمية الموت على الإنسان مهما طالت به الحياة فرحاً كان أو حزناً، إذ يقول(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 140):

قُـلْ لِـلْـمُـقِـيـمِ بِـغَـيْرِ دَارِ إِقَـامَـةٍ حَـانَ الـرَّحِـيـلُ فَـوَدِّعِ الأَحْـبَـابَا

إِنَّ الَّـذِيـنَ لَقِيتَـهُـمْ وَصَـحِـبْـتَـهُـمْ صَـارُوا جَمِيعـاً فِي الْقُبُورِ تُـرَابَا

إن حتمية الخلود واضحة في بيتي الإمام (عليه السلام)، ففي خطابه تصريح واضح بأن الرحيل عن الدنيا أمر لا مفر منه، فالإنسان مهما ظن بخلوده فهو واهم، والدليل واضح في البيت الثاني حين يؤكد رحيل من يعرف الإنسان إذ صاروا جميعاً تراباً في قبورهم، فقضاء الله سبحانه وتعالى أمر لا يحتمل الظن والوهم.

ويؤكد الفكرة في موضع آخر بعقل الحكيم الفاهم لأمور الدنيا وما فيها(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص130):

قَـدِّمْ لِنَفْسِـكَ مَـا اسْـتَطَعْـتَ مِنَ الـتُّـقَـى إِنَّ الْـمَـنِـيَّـةَ نَازِلٌ بِـكَ يَا فَـتَى

أَصْـبَحْـتَ ذَا فَرَحٍ كَـأَنَّـكَ لا تَرَى أَحْبَـابَ قَلْبِـكَ فِي الْمَقَـابِرِ وَالْبِلَى

وبنظرة إيمانية وإحساس صادق بالآخرة وما فيها من حساب لجزاء الأعمال الدنيوية، يؤكد حتمية الموت، وأنها واجبة الحدوث إيماناً بالله واليوم الآخر، إذ يقول في ترك اللذات والعمل لدار البقاء(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 161) :

يَا أَهْلَ لَذَّاتِ دُنْيَا لا بَقَاءَ لَهَا إِنَّ الْمُقَامَ بِظِلٍّ زَائِلٍ خُمُقُ

وكثيرة هي أبيات الحكمة عند الإمام (عليه السلام) (ينظر: شعره : 81، 110-111، 121، 134) ، إذ كانت نابعة ثقافته وعاطفته والتزامه الأخلاقي والديني، وخير ما ننهي به الكلام في الحكمة ما قاله في حسن الظن بالخالق، وأن الغنى عنده وليس عند الآخرين والذات، إذ يقول(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص163):

اغْنَ عَنِ الْمَخْلُوقِ بِالْخَالِقِ تَغْنَ عَنِ الْكَاذِبِ وَالصَّادِقِ
وَاسْتَرْزِقِ الرَّحْمَنَ مِنْ فَضْلِهِ فَلَيْسَ غَيْرُ اللهِ مِنْ رَازِقِ
مَنْ ظَنَّ أَنَّ النَّاسَ يُغْنُونَهُ فَلَيْسَ بِالرَّحْمَنِ بِالْوَاثِقِ
أَوْ ظَنَّ أَنَّ الرِّزْقَ مِنْ كَسْبِهِ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلانِ مِنْ حَالِقِ

في الأبيات توجيه صريح وحكمة عملية سلوكية واضحة، فمن يعلق مصيره على الناس يخسر، لأن التقلب من صفات البشر، فالاتكال على غير الله سذاجة، فالأمور الدنيوية وأولها الرزق بيد الله وحده لا من كسب الفرد ذاته، ولا في الاعتماد على الناس، فالأبيات بمجملها توجيه للإنسان وتضعه موضعه الحقيقي، فاعلا لا متحكما، وتُنهي وهم من يعتمد ويظن الخير بيد الذات والآخر لا بيد الله وتوفيقه.

3: الشجاعة: جاءت مفردة الشجاعة في لسان العرب بمعنى الاستواء عند البأس، فالشجاعة من ((شَجُعَ بالضم شجاعة: اشتد عند البأسِ، والشجاعة: شدة القلب في البأس)) (ابن منظور، 1414هـ: (مادة: شجع)،ج 4، ص2200) ، ويقال لمن يتصف بهذه القيمة: شَجاعٌ، وشِجاعٌ، وشُجاع، ويجمع على شُجعان، وشِجعان، ورجل مشجوع: مغلوب بالشجاعة)) (ينظر: ابن منظور، 1414هـ: (مادة: شجع)، ج 4، ص2200) .

أما في الاصطلاح فقيل أنها: ((سعة الصدر بالإقدام على الأمور المتلفة)) (النويري، 2004م ،ج 3، ص208)، وقالوا كذلك إنها النفس الأبية والصبر عند الساعات الشداد(ينظر: النويري، 2004م، ج3، ص208) ، وقال أهل التجارب: ((الرجال ثلاثة: فارس، وشجاع، وبطل، فالفارس: الذي يشد إذا شدوا، والشجاع: الداعي إلى البراز والمجيب داعيه، والبطل: الحامي لظهور القوم إذا ولوا)) (النويري، 2004م ،ج 3، ص208).

وفي ضوء هذا المعنى فإن الشجاعة من العناصر الجوهرية للبطولة داخل المجتمعات على اختلاف العصور، فهي قيمة متميزة ((لا تحدد انعكاساتها الفعلية بنطاق ساحات المعارك فحسب، بل تتجاوز ذلك إلى إطار الحياة الاجتماعية الواسعة في السلم)) (اليوزبكي ، 2008م ، ص234)، وفي ضوء هذا تكون الشجاعة .... الكرم في الأهمية، بل وأحياناً كثيرة قُدّم الكرم على الشجاعة؛ وذلك لأن ((الشجاعة ترتبط بإرادة الفعل، وإذا لم تتحقق إرادة الفعل فليس هناك كرم؛ لأن الكرم لا يتطلب إقداماً وتضحية وشجاعة على الأداء والتنفيذ، فكيف يكون كريماً، أو عادلاً، أو وفياً أو صادقاً من لم يكن قادراً مسيطراً على الذات مانعاً عنها التخلخل والتردد، بل يتجاوز الإهمال ويسعى إلى القول والفعل، وهذه الأفعال لا يمكن أن تتحقق عند من تخونه الشجاعة)) (إيليا القس، 2017، ص 140-141).

والحياة الاجتماعية والسياسية في عصر الإمام الحسن (عليه السلام) جعلته يعشق الشجاعة يتباهى بها دفاعاً عن الذات والمستضعفين، وأخذت الشجاعة عنده مظاهر كثيرة منها: الأنفة والحمية، وإباء الضيم والذل، والدفاع عن الحق قولاً وفعلاً، وثباتاً على القيم المعصومية، وبإيمانه بالله وقضائه، وتوارثاً عن أبيه وجده ساعدًا عن ساعد، إذ يقول اعتداداً بالذات شجاعة(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 97-98):

وَإِنْ دُعِيتُ إِلَى جُلَّى وَمُعْظَمَةٍ ... يَوْماً أَجَيبُ إِلَيْهِ مَنْ يُنَادِيهِ
أَرْعى ذِمَارِي بِنَفْسِي لا أَضَنُّ بِهَا ... وَالْمُسْتَجِيرُ مِنَ الأَيَّامِ أَكْفِيهِ
فَلا يَطُورُ بِهِ شَيْءٌ يُجَاذِرُهُ ... فَيُصْبِحُ الدَّهْرُ طَوْعاً قَدْ يُؤَاتِيهِ

في الأبيات اعتداد واضح بالشجاعة، فالإمام (عليه السلام) يصرح واضحاً بأنّه على استعداد تام حين يُدعى للأمور العظام، فشجاعته هذه فعلية عملية لا قولية، وذلك واضح حين يقول (أجيب إليه)، وإجابته نابعة من شجاعة عظيمة، فالأمر العظيم والخطر لا يدخله إلا الشجاع المقدام والمستعد في كل الأوقات، ويؤكد هذه الشجاعة حين يقول (أرعى ذماري)، ولا يكتفي بالذمار وحسب، بل يضيف إليه حماية المستجير، فهو لا يدافع عن نفسه وحسب، وإنما هو ملجأ لكل خائف مستجير، وحيث أراد إثبات الشجاعة أكثر صرح بأن المستجير عند وصوله إليه لا يخاف تقلبات الحياة؛ لأن مجرد الوصول إليه كافٍ بأن يحول الخوف إلى أمان، والقلق إلى طمأنينة.

وفي موضع آخر يؤكد الإمام (عليه السلام) شجاعته حين يصرح بأنه يصول ويقود المعركة عند اشتدادها وبلوغ ذروتها، فشجاعته نابعة من أصل بيته، إذ يقول(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 76):

إِنِّي إِذَا الـــتـــظَـــتِ الْحَـــرْ ... بُ بِـكَـبْشِـــهَـا الخَـنشَـــلـيْـلُ
عِـــلـــيّ مَـــنْ كُـــلِّ خُـــلُـــقٍ ... فِي الْـــمُـــؤْمِـــنِـــينَ قُـــبُـــولُ
بِجِـــــــدَّتِي وَبِجَـــــــدِّي ... عَـــلَـــى الأَمَـــانِ أُصُـــــولُ

الملاحظ على الأبيات التصريح بالشجاعة حين يرسم الإمام (عليه السلام) لذاته صورة القائد البطل، فهو شجاع عند ذروة الحرب قائد فيها، مقبول أخلاقيًا يستند إلى أصل كريم يحتم عليه تحمل المسؤولية في جميع الأوقات، فالإمام (عليه السلام) لم يذكر (التظت الحرب بكبشها) ولا (بجدتي وبجدي) اعتباطاً، وكأنه أراد ضمناً أن يقول: أنا شجاع عند الذروة حامل للمسؤولية، وهذا لزام عليّ لأني من أصل كريم، ومسؤوليتي امتداد لمسؤولية هذا النسب الطاهر الشجاع المتحل للشدائد والمخاطر بكلّ أشكالها.

وكثيرة هي مواضع الافتخار بالشجاعة عند الإمام في نفس موضع آخر يؤكد الذات من خلال الجماعة حين يقول(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 147) :

فِيمَ الْمِرَاءُ وَقَدْ سَبَقْتَ مُبَرِّزاً ... سَبَقَ الْجَوَادِ مِنَ الْمَدَى الْمُتبَاعِدِ؟!
نَحْنُ الَّذِينَ إِذَا الْقُرُومُ تَخَاطَرُوا ... قُرْنَا عَلَى رَغْمِ الْعَدُوِّ الْحَاسِدِ
دَانَتْ لَنَا رَغْماً بِفَضْلِ قَدِيمِنَا ... مُضَرٌ وَقَوّمنَا طَرِيقُ الْخَائِدِ

يصرح الإمام (عليه السلام) بكل وضوح أن من يمتلك الشجاعة فعلاً لا يحتاج إلى المجادلة لإبرازها، فترك (المراء) لذاتها شجاعة ودلالة على الفعل لا القول، فالجبان هو الذي يحاول أن يغطي جبنه بالمجادلة، والشجاعة واضحة من التشبيه (سبق الجواد من المدى المتباعد)، ويؤكدها حين يصرح بالثبات عند اللقاء والانتصار على العدو مهما كان قوته، ويؤكد الشجاعة والقيادة أكثر باعتراف الآخرين وخضوعهم (دانت لنا)، وفي هذا إبراز للتفوق على المستوى الذاتي والاجتماعي على الآخرين.

ويؤكد الإمام (عليه السلام) شجاعته في موضع الدفاع عن الأعراض حين يصرح علناً بالبخل بالعرض، والكرم في غيره من الأشياء، إذ يقول(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 121):

بَخِلْنَا بِأَعْرَاضٍ وَجُدْنَا بَنَائِلٍ ... وَصُنَّا نُفُوساً عَنْ ذَلِيلِ الْمَطَامِعِ

في البيت اعتداد واضح بالشجاعة والحفاظ على العرض؛ وذلك لأن العرض أغلى من الروح والمال، فالبخل في العرض ليس نقصاً كما في الكرم، بل هو حزم وأخلاق وشجاعة لا تعادلها شجاعة، ويؤكد هذه الشجاعة أكثر حين يقول بصونهم النفوس عن ذليل المطامع، حيث تكون النفس بحاجة لأشياء كثيرة، لكنها تفضل الحرمان بدل الذل الدائم، وتقول: لا حين يكون قول: نعم أسهل بكثير.

ويعتد في موضع آخر بشجاعته، إذ يقول(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص75) :

أَنَا الْـــبَرُوزُ لِـــبَـــاغـــي رِفـــدِي الْـعَـطُـوفُ الْـوُصُـــولُ

تظهر شجاعة الإمام (عليه السلام) واضحة حين المواجهة للظالم والمعتدي (البروز لباغي)، فهو لا يختبئ ولا يؤجل المواجهة كما يفعل الكثيرون، فهو جريء وشجاع أمام المعتدي، ولين وسهل أمام غير الظالم، ومن هنا هذا التصرف بالقوة يكمن جوهر القوة ومعناها الأخلاقي والمجتمعي.

4 – الزهد والقناعة: جاء الزهد في اللغة ضد الرغبة، ((والزهد ضد الرغبة والحرص على الدنيا، والزهادة في الأشياء كلها ضد الرغبة)) (ابن منظور، 1414 (مادة: زهد)، ج 3، ص1876) ، ويقال الزهد في الدين خاصة، والزهادة في أمور الدنيا (ينظر الزبيدي، (مادة: زهد)، ج 8، ص150) ، و((زهد... والتزهيد في الشيء وعن الشيء خلاف الترغيب فيه، وزهّده في الأمر: رغّبه عنه)) (ابن منظور، 1414:(مادة: زهد)، ج 3، ص1876) وزهد فيه وعنه: كمنع، بمعنى ترك وأعرض عنه(ينظر: الزبيدي، (مادة: زهد)، ج 8، ص151) .

أما في الاصطلاح الإسلامي فهو: ((الانصراف عن الدنيا ومفاتنها والتمسك بالتقوى والعمل الصالح مع الكسب والعمل)) (مجدي وهبة، ص 192)، وعرّف أيضاً على أنه: ((حنين الروح إلى مصدرها الأول والمعرفة بالخالق عن طريق الزهد في الدنيا ومتاعها والرغبة عن نعيمها، وتفضيل نعيم الآخرة عليها)) (محمد، ص 5).

أما القناعة فقد جاءت في لسان العرب بمعنى الرضا بالقليل، و((القناعة... الرضا بالقِسمِ... والقنوع يكون بمعنى الرضا، والقانع بمعنى الراضي))(ابن منظور، 1414هـ، ج 5، ص3754)، وقيل القانع من الأضداد ((يقال: رجل قانع، إذ كان راضياً بما هو فيه لا يسأل أحداً، ورجل مانع إذا كان سائلاً)) (ابن الأنباري، 1980م، ص 66) ، أما في الاصطلاح العام فالقناعة تعني ((التساهل في المأكل والمشارب والزينة)) (ابن مسكويه، ص 59) ، وقالوا أيضاً أنها: ((الرضا بما دون الكفاية)) (السيوطي، 2004م، ص 205) ، وقريب من هذه المعاني قيل أنها: ((ترك الشوف إلى المفقود والاستغناء بالموجود)) (ابن الأنباري، 1980م، ص 217)

، وفي ضوء هذه المعاني فإنّ الزهد والقناعة متقاربان في المعنى، فالقناعة ((الرضا بما دون الكفاية، والزهد الاقتصار على الزهيد، أي بالقليل، لكن القناعة تقال اعتباراً برضا النفس، والزهد يقال: اعتباراً بالمتناول لحظ النفس، وكل زاهد حصل لا عن قناعة فهو تزهد لا زهد... القناعة أول الزهد)) (الراغب الأصفهاني، 2007م، ص 225)، ومن ضوء هذه المعاني للزهد والقناعة فمن الطبيعي أن يكون هناك أشعار ترجم من خلاله الإمام (عليه السلام) صفتاه المتلازمتان إذ كانت القناعة والزهد الصفتان المتلازمتان لسيرة أهل البيت (عليهم السلام)، ومن نماذج ما جاء تمثلاً على لسان الإمام الحسن (عليه السلام) قوله (الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص3185):

لَكِسْـــرَةٌ مِنْ خَسِـــيسِ الْخُبْزِ تُشْـــبِعُنِي وَشَـــرْبَـةٌ مِـنْ قَـرَاحِ الْـمَـاءِ تَـكْـفِـيـنِي
وَطِـرَّةٌ مِـنْ رَقِـيـقِ الـثَّـوْبِ تَسْـــتُرُنِي حَـيّـاً وَإِنْ مِـتُّ تَـكْـفِـيـنِي لِـتَـكْـفِـيـنِي

يظهر زهد الإمام (عليه السلام) في البيتين بوضوح، فهو لا يشكو الفقر ولا يتباكى القليل والحرمان، بل يعلن صراحة اكتفائه عن فائض الدنيا، وقناعته ب((كسرة من خسيس الخبز، وشربة من قراح الماء))، فحاجته الدنيوية تُسد بهذا القليل من المأكل والمشرب، وتكتمل قناعته وزهده بما يلبس، إذ لا يرى كغيره اللباس زينة وتميزاً عن الآخرين، بل يكفيه منها ما يستر جسده حياً وتكفي كفنه ميتاً.

ويقول في موضع آخر في التأكيد على الزهد وترك ملذات الدنيا(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 161):

يَا أَهْـلَ لَـذَّاتِ دُنْـيَـا لا بَـقَـاءَ لَهَـا إِنَّ الْـمُـقَـامَ بِـظِـلٍّ زَائِـلٍ حُمُـقُ

يظهر وعي الإمام (عليه السلام) جلياً بحقيقة الدنيا إذ يخاطب أهل لذات الدنيا والمستغرقين فيها بأن هذه اللذات غير دائمة، وأن على الانسان أن يتعامل مع الحياة كوسيلة لا غاية، فمن يجعل من الزائل مقراً مخطأ في حسابه

العقلي قبل الديني، وهذا ما يؤكد عليه في موضع آخر حين يوجه بالرضى بالقليل وعدم الانجرار وراء لذات الحياة، إذ يقول(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 123) :

قَـنَّـعِ الـنَّـفْـسُ بِالـقَـلِـيـلِ وَإِلَّا ... طَـلَـبَـتْ مِـنْـكَ فَـوْقَ مَـا يَـكْـفِـيـهَـا
لَـيْـسَ فِـيـمَـا مَـضَـــى وَلَا فِي الَّـذِي لَمْ ... يَأْتِ مِـنْ لَـذَّةٍ لِـمُـسْـــتَـحْـلِـيـهَـا
إِنَّـمَـا أَنْـتَ طُـولَ عُـمْـرِكَ مَـا عُـ ... ـــــمَرْتَ فِي السَّـــاعَةِ الَّتِي أَنْتَ فِيهَا

يوجه الإمام (عليه السلام) توجيهاً مباشراً للذات والآخر أن السعادة لا تنال بطلب الكثير وإنما بالقناعة والرضا بالقليل، فالنفس الإنسانية جشعة بطبيعتها، فإن لم تضبط طلبت ما لا نهاية له، ووفق هذا المنطق على الإنسان أن يعيش يومه بقناعة ورضا لا يفكر في ماضٍ، ولا مستقبل، فالفرد هو المسؤول عن شقائه وسعادته من خلال ما يفكر فيه مادياً كان أو معنوياً.

ولما كان الهمّ الأول للإنسان غير الزاهد والقنوع متاع الدنيا ولذاتها، والعيش عيش اللحظة السعيدة بأي شكل من الأشكال، يكون هم الإمام (عليه السلام) في هذا الوقت تحديداً العمل للآخرة وترك أثر جميل، إذ يقول(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 81) :

مَـنْ كَـانَـتِ الـدُّنْـيَـا لَـهُ هِمَّـةً ... فـهـمّـتي فـيـهـا اصْـــطِـنَـاعُ الجَـمِـيـلِ
إلى قَـلِـيـلَ الحَـظِّ مَـبْـخُـوسُـــهُ ... وَحَسْـــبُـنَـا اللهُ وَنِـعْـمَ الـوَكِـيـلُ

وفي موضع آخر يؤكد فكرة الزهد والقناعة في الحياة والعمل للآخرة، حيث يقول مذكراً الآخر بحتمية الفناء(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 129):

قَدِّمْ لِنَفْسِـــكَ مَا اسْـــتَطَعْتَ مِنَ التُّقَى ... إِنَّ الـمَـنِـيَّـــةَ نَازِلٌ بِـــكَ يَافَـتَى
أَصْـــبَـحْـتَ ذا فـرحٍ كَـأَنَّـكَ لَا تَـرَى ... أَحْـبَـابَ قَـلْـبِـكَ فِي الـمَـقَـابِـرِ وَالـبِـلَـى

في البيتين توجيه واضح للزهد والعمل للآخرة وترك متاع الحياة، فالموت حقيقة لا بد منه، فالإنسان مهما فرح في الدنيا فهذه الأفراح مؤقتة، والدليل على ذلك ما فقد الإنسان من أحبة لقلبه وهم الآن في المقابر والبلى، فالموت منية، ولكن الإنسان باستطاعته الفوز بنعيم وفرح دائم من خلال تقواه وعمله الصالح في الدنيا، وذلك بالزهد وتقليل الطلب، أو القناعة وضبط طلب ما تشتهيه النفس من أمور دنيوية.

5. قيم اخرى متفرقة:

إنّ المتمعن لشعر الإمام الحسن (عليه السلام) يرى فيه منظومة أخلاقية متكاملة متوارثة متأصلة في نفسه، إذ لم يقتصر قيم الإمام والتزامه الخُلقي على قيم محددة معينة كالكرم، والشجاعة، والزهد، والحكمة، بل نرى أنه التزم بقيم أخرى كثيرة كانت من شأنها أن تُعلي مكانه وتحافظ على طهارة نسبه وشرفه ، فكما هي معروفة أهمية الجار والحفاظ عليه في الإسلام، بل وحتى في العصر الجاهلي كان من الطبيعي أن نرى تمثلاً لهذه القيمة عند الإمام (عليه السلام)، إذ كان يرى كما رأى الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته حقّ الجوار أمانة عظيمة، وهذا ما جعلنا أن نقف على نماذج يفصح فيها عن افتخاره بحماية الجار والوفاء بحق الإجارة، إذ يقول معتداً بعفة نفسه وحفظه لحق الجيرة والمستضيف وحمايته(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 97-98) :

وَجَارَةُ البَيْتِ أُقْفِيهَا وَأُكْرِمُهَا ... وَالمُسْتضيفُ أَقِيهِ ثُمَّ أَحْمِيهِ

.....

أَرْعَى ذِمَارِي بِنَفْسِي لَا أَضَنُّ بِهَا ... وَالمُسْتَجِيرُ مِنَ الأَيَّامِ أَكْفِيهِ

إنّ تحمل المسؤولية الأخلاقية واضحة في الأبيات، فالإمام (عليه السلام) بالتزامه القيمي في حفظ حق الإجارة يعلنها صراحة بأنه لا يكتفي بإكرام الجار، بل يقول (أقفيها) أي: أصرف بصري عنها وأصونها، فهو في قمة الشرف حيث يعلن السيطرة على الغريزة تجاه الجارة، فهو في الوقت الذي يكرم، يحافظ كذلك ويصون عرض الجار سواء من الذات أو الآخر، ويؤكد الحماية أكثر في البيت الثاني حين يقول: (والمستجير من الأيام أكفيه)، فهو لا يحمي من الإنسان وحسب، بل من الأيام بكل ما يشتمل فقراً كان، أو خوفاً، أو قهراً، وهذه المنزلة لا يصلها إلا القليل، وكل هذا

إيماناً منه وإدراكاً أنَّ ((الحماية مسؤولية إنسانية وأخلاقية، وهي وسيلته في التميّز عن الآخر في علوّ الشأن؛ وهذا ما يفسر ربطه مصيره بمصير الجار، وعدّ كل اعتداء عليه إهانة له يهون في سبيل عزتها أن يضحي بحياته)) (الجبوري،2018م ، ص 132).

ومن القيم الأخرى التي تمسّك بها الإمام (عليه السلام) قيمة كتمان السر، إذ رأى فيها حفظاً للآخر، وجزءاً من المروءة، والتزاماً بالدين ومبادئه، ولا يليق أن يضيعها الكرام مهما امتدّ الزمن عليها، بل مهما تشجع في حفظها الصعاب هذا ما جعله يعتد قائلاً في حفظه(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 97) :

وَالسِّـــرُّ أَحْـفَـظُـهُ حِـفْـظـاً يَمُـوتُ بِـهِ وَلَا أُذِيـعُ بِـهِ يَـوْمـاً وَأُبْـدِيـهِ

وكانت العفة من القيم الأخرى التي جاء في شعر الإمام (عليه السلام)، وكان الالتزام بها واضحاً، إذ تسامى الإمام (عليه السلام) عن الدنايا والزلات؛ وذلك لأن ((مغالبة النفس وصد الأهواء تؤسس للفرد منزلة تشفع له لكي يسود قومه)) (إيليا القس، 2017م، ص 187) ، ومع هذا كان الحفاظ على النسب الشريف يحتم على الإمام (عليه السلام) الالتزام أكثر من غيره بهذه القيمة فهي من أكثر القيم التصاقاً بالأخلاق الإنسانية على اختلاف موضوعاته وفي أوقات السلم والحرب، ومن تمثلاته ما قاله في تعامله وصدقه في المعاملة وعدم تبدل وجهه وثبات موقفه والتزامه الأخلاقي مهما كان خُلق الطرف الآخر، فالعفو والتسامح يندرجان تحت خيمة العفة، إذ يقول(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 71):

أَرَى قَـوْمـاً وُجُـوهُـهُـمْ صِـــبَـاحُ إِذَا وَقَـعَـتْ حَـوَائِـجُـهُـمْ إِلَـيْـنَـا
فَـإِنْ وَقَـعَـتْ حَـوَائِـجُـنَـا إِلَـيْـهِـمْ تَـغَـيَّرَ حُسْـــنُ أَوْجُـهِـهِـمْ عَـلَـيْـنَـا
فَـإِمّـا نَجْـزِهِـمْ مِـنْـكَ بِمِـثْـلٍ عَـلَـى أَفْـعَـالِهِـمْ فَـقَـدِ اسْـــتَـوَيْـنَـا

ويؤكد فكرته في موضع آخر حين يمتنع من اتخاذ أي موقف سلبي تجاه الآخر مهما كان فعله خارجاً عن السلوك القويم، إذ يقول(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 158):

أُجَـامِـلُ أَقْـوَامـاً حَـيَـاءً وَقَـدْ أَرَى قُـلُـوبَهُـمْ تَـغْـلِـي عَـلِـيّ مِـرَاضُـــهـا

في البيت يظهر سمو الإمام واضحاً في التعامل مع الآخر، فهو على الرغم من إيمانه التام بعداوة الآخر له، إلا أنه يجامل ولا يهاجم ولا يرد، ولا يفضح، يكظم اضطراراً خوف القطيعة أو المصدام.

ومن القيم الأخرى التي جاءت في ديوان الإمام (عليه السلام) قيمة الصبر، وكان الالتزام بها ضرورة لازمة في فترة الإمام الزمنية؛ لما كانت تشهد هذه الفترة من مشاكل سياسية واجتماعية وحربية كثيرة، وكانت شأنها أن تؤدي إلى هلاك كل مَن لا يتحلى به، ومن نماذجه في ديوان الإمام (عليه السلام)، التزامه الصبر أمام نوائب الدهر وعدم الاكتراث به وبحوادثه الكثيرة المختلفة،إذ يقول(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 149):

لَـئِـنْ سَـــاءَنِي دَهْـرٌ عَـزَمْـتُ تَصَـــبُّراً وَكُـــلُّ بَـــلَاءٍ لَا يَـــدُومُ يَسِـــيرُ

ويؤكد أهمية الصبر ودوره الرئيس في الحفاظ على الاستقرار النفسي للنفس البشرية حين يصرح أن الشدة ستنقضي، وأن الصبر مفتاح يليه الفرج دون أدنى شك، إذ يقول (الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 122):

وَمَـا مِـنْ شِـــدَّةٍ إِلَّا سَـــتَـفْضـــي بصـــاحـبـهـا إِلَى فَـرَجٍ قَـرِيـبِ

وفي الصبر الخير الكثير، إذ يقول في رجل شكا الفقر(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 153)

عَـاجَـلْـتَـنَـا فَـأَتَاكَ وَابِـلُ بِـرِّنَا طَـلّاً وَلَـوْ أَمْـهَـلْـتَـنَـا لَمْ نَـقْصُـــرِ

إن الإمام (عليه السلام) يحدد واضحاً أهمية الصبر في نيل المراد، فعلى الرغم من حصول الرجل على المال، إلا أن هذا الحصول لم يكن كاملاً، وذلك واضح في تحول مقدار الكرم عند الإمام (عليه السلام) من الوابل إلى الطّلّ .

وكراهية الحرب قيمة أخرى من القيم التي آمن بها الإمام (عليه السلام) وعرف أهميتها في الحفاظ على الحياة البشرية، فكان راغباً بالسلام واجتناب الحرب مؤمناً بها جاء في القرآن الكريم من توجيهات باجتناب الحرب

وعدم خوضها إلا لضرورة ووسيلة لغاية السلام، إذ ترجم هذا الإيمان شعراً حين قال صراحة ببشاعة الحرب وما تؤديه إليه(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 160):

وَالسّـــلْمُ تَأْخُـذُ مِنْـهُ مَـا رَضِـــيـتَ بِـهِ وَالحَرْبُ يَكْفِيـكَ مِنْ أَنْفَـاسِـــهَـا جُزعُ

في البيت توجيه واضح للالتزام بالسلم والابتعاد عن الحرب، فالسلم تأخذ فيه ما تحب وتريد، فإذا جاءت الحرب قطعتك وهشمتك بنفسك وأهلكتك، فعاقبة الحرب وخيمة، وفيها تهديد للحياة، وهذا كله جعل الإمام عليه السلام ينأى بنفسه ورعيته عنه، وأكد ذلك واضحاً حين تجنب الحرب واختار الهدنة مع الجانب الآخر، إذ قال(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 89):

وَأَرَى مَـعْشَـــراً يَـعِـيـبُـونَ فِـعْـلِـي وَيَـقُـولُـونَ: بـئـس فـعـل الإمـام

لَـوْ دَرَوْا أَنَّـنِي حَـقَـنْـتُ دِمَـاءً مِـنْ رِجَـالٍ وَصِـــبْـيَـةٍ أَيْـتَـامِ

مَـا ازْدَرَوْهَـا فِـعْـلَـتِي وَلَا قَـدَرُوا أَنْـ ـــــنِي عَـيـيّ نـبـوتُ بَـنُـو الـكَـهَـام

كَـيْـفَ يَـنـبـو مَـنْ لَمْ يَخُـتْـهُ فَـخَـارُ مِـنْ قَـدِيمِ الـفَـخَـارِ وَالأَعْـمَـامِ

وخير ما ننهي الكلام به عن البعد القيمي في تجربة الإمام (عليه السلام) الشعرية: قيمة العلم هذه القيمة التي أولى لها الإسلام أهمية بالغة، ومنها نزلت أول الآيات على الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ تحمل في طياتها كل ما فيه من صلاح الطريق للإنسان، ولأهميته ربط بالإيمان، إذ قال تعالى: **{يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}**(سورة المجادلة، الآية: 11) ، ولمكانته خاطب الله تعالى نبيه (صلى الله عليه وسلم) بطلبه مع ما يمتلكه من علم، إذ قال تعالى: **{ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا }**(سورة طه، الآية: 114) ، وهذا التوجيه القرآني جعل العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، وتوالت التوجيهات بطلب العلم من بعد القرآن الكريم من قبل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، ومن بعده آل بيته وأصحابه، وهذا ما نادى به الإمام (عليه السلام)، إذ قال في مدح العلم وأهله(الإمام الحسن (عليه السلام)، 2019م، شعره، ص 133- 134) :

مَـا الـفَـخْـرُ إِلَّا لِأَهْـلِ الـعِـلْـمِ أَنَّهُـمْ عَـلَى الهُـدَى لِـمَـنِ اسْـتَـهْـدَى أَدِلَّاءُ
وَوَزْنُ كُـلِّ امْـرِئٍ مَـا كَـانَ يُحْسِـنُـهُ وَالجَـاهِـلُـونَ لِأَهْـلِ الـعِـلْـمِ أَعْـدَ
فَـفُـزْ بِـعِـلْـمٍ تَـزِدْ فِي الخَـيْرِ مَـأْثَـرَةً فَالنَّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ العِلْمِ أَحْيَاء

4. الخاتمة

1. كان ورود القيم في شعر الامام حتمية فرضتها عليه أخلاقيات القدوة والمثال الأعلى التي استقاها من تعاليم الإسلام المتمثلة بالقرآن الكريم وتوجيهات الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) وبيئة آل البيت التي حملت كل معاني الخير والفضل.
2. مثل الكرم في سيرته قيمة سامية امتدّت من عادات العرب في جاهليتهم؛ غير أنها جاءت مهذبة وفق قواعد الدين الجديد، فكان الإمام خير من مثّلها بوصفه قدوة يُحتذى بها في كل معاني الخير والرفعة والسمو؛ فلم يكتف بالعطاء لمن طلب، بل كان يبادر حتى قبل السؤال؛ حفظا لماء وجه السائل وإبعادا له عن كل موجبات التذلل والخضوع.
3. انعكست الحكمة التي عرفناها عن الإمام (عليه السلام) في سيرته على معاني شعره؛ فجاء شعره حاملا لها، ومبرزا لمضامينها، حتى جرت بعض أبياته مجرى الحكم الثابتة والأمثال السائرة.
4. لم يكن الإمام (عليه السلام) بمنأى عن الشجاعة التي عُرف بها أبوه علي (عليه السلام) وجدّه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؛ بل وجدناها جلية في قوله وفعله في المواقف الحاسمة، فبرزت آراؤه وأفعاله وكانت حاسمة في دفع الشر وجلب مضامين الخير.
5. دعت معاني شعره إلى الزهد والقناعة ونبذ التمسك بماديات الحياة، فكان الفضل عنده صورة سلوكية إجرائية تحيد به عن الرغبة بالسلطة والمال وزخارف الحياة، إلى معاني الخلود الأخروي الاثر الطيب القويم.

6. إن معرفة الإمام بموقعه المتمثل بالصدارة والقدوة جعله يولي القيم المتعارف عليها اهتماما عاليا، ولم يقتصر اهتمامه على القيم القديمة، بل اهتم بقيم أخرى تحمل معاني الإنسانية والتعايش السلمي: كالحث على السلام، وحفظ السر، ورعاية الجوار، وحسن العشرة، وطلب العلم.

5. المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: الكتب:

1. أحمد المهد، (2002م)، التربية الإسلامية، دار أشبيليا، ط2.
2. أرسطو طاليس، (1924م)، علم الأخلاق إلى نيقوماخوس، ، ترجمة: أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، د.ط.
3. الإمام الحسن (عليه السلام) ، (2019م)، شعر الإمام الحسن بن علي (عليه السلام)، جمعه د. أبي الحسن بن علي بن محمد الهذلي، حققه واستدرك عليه الشيخ قيس بهجة العطار، مركز الإمام الحسن (عليه السلام) للدراسات التخصصية، ط1.
4. ابن الأنباري، (1980م)، الأضداد، ، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، د.ط ، بيروت، لبنان.
5. إيليا القس، صباح، (2017م)، شعر الشعراء المسيحية في العصر الجاهلي ، دار غيداء للنشر والتوزيع، ط1
6. البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، (1422هـ)، صحيح البخاري. الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، ، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط1.
7. جابر قميحة، (1984م)، المدخل إلى القيم الإسلامية، ، دار الكتب الإسلامية، دار الكتاب المصري، دار الكتاب اللبناني، ط1.
8. الجبوري، توفيق إبراهيم صالح، (2018م)، القيم في الشعر الجاهلي ضابطًا اجتماعيًا، دار غيداء للنشر والتوزع، عمان، ط1.
9. الجرجاني، علي بن محمد الجرجاني (1983م)، كتاب التعريفات، تحقيق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1.

10. الجلاد، ماجد زكي الجلاد، (2002م)، تعلم القيم وتعليمها – تصور نظري وتطبيقي لطرائق واستراتيجيات تدريس القيم، دار المسيرة، د.ط.
11. الحازمي، خالد بن حامد، (2000م)، أصول التربية الإسلامية، ، دار عالم الكتب، ط1.
12. حنا الفاخوري، (د.ت) تاريخ الأدب العربي، ، دار اليوسف، ط1، بيروت.
13. خليفة، عبد اللطيف، (1992م)، سيكولوجية القيم الإنسانية، القاهرة، دار الغريب للطباعة والنشر والتوزيع، ط1.
14. خياط، محمد جميل بن علي، (1996م)، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، مكتبة الملك فهد الوطنية، ط2.
15. دراز، محمد عبد الله، (1980م)، دراسات إسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية، دار القلم، القاهرة، د.ط.
16. الرازي، محمد أبي بكر بن عبد القادر ، (1995م)، مختار الصحاح، تحقيق: محمود خاطر ، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، د.ط،.
17. الراغب الأصفهاني، (2007م)، الذريعة إلى مكارم الشريعة، تحقيق: أبو اليزيد أبو زيد العجمي، دار السلام، د.ط، القاهرة.
18. الراغب الأصفهاني، (د.ت)، مفردات ألفاظ القرآن واشتقاقها، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، بيروت، ط1.
19. رينهارت دوزي، (1991م)، تكملة المعاجم العربية، الجزء الثامن (ف – ق)، ترجمة: محمد سليم النعيمي، مراجعة: جمال الخياط، دار الشؤون الثقافية العامة، د.ط.
20. زاهر، ضياء، (1984م)، القيم في العملية التربوية ،كلية التربية، جامعة عين شمس، مؤسسة الخليج العربي، القاهرة، مصر، د.ط.
21. الزبيدي، محمد بن محمد بن مرتضى، (د. ت) تاج العروس من جواهر القاموس، ، مجموعة محققين، دار الهداية، د.ط.
22. السعدي، حاتم جاسم عزيز،(2013م)، القيم التربوية في فكر الإمام الحسين، دراسة تحليلية، إصدارات العتبة الحسينية المقدسة، قسم الشؤون الفكرية، كربلاء، ط1.

23. السيد، فؤاد البهى، عبد الرحمن ، سعد، (1999م)، علم النفس الاجتماعي، رؤية معاصرة، دار الفكر العربي، القاهرة، د.ط.
24. السيوطي، جلال الدين، (2004م)، معجم مقاليد العلوم في الحدود والرسوم، ، تحقيق: محمد إبراهيم عبادة، مكتبة الآداب، ط1، القاهرة.
25. شهوان، أسامة أبو العباس، (2010م) منظومة القيم الإسلامية وأثرها في تأكيد التعايش في المجتمع المعاصر، د.ط، حقوق النشر للمؤلف دون دار
26. ابن علي، مانع بن محمد ، (2005م)، القيم بين الإسلام والغرب – دراسة تأصيلية مقارنة، دار الفضيلة للنشر والتوزيع، ط1.
27. .أبو علي، محمد توفيق ، (2004م)، صورة العادات والقيم والتقاليد الجاهلية في كتب الأمثال العربية، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، ط2.
28. . أبو العينين، علي خليل، (د. ت)، القيم الإسلامية والتربية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت.
29. الغلاييني، مصطفى،(1998م)، رجال المعلقات العشر، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، د. ط.
30. القرضاوي، يوسف، (1982م)، الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة، ط4.
31. مجدي وهبة، (د. ت) معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، كامل المهندس، مكتبة لبنان، ط1، بيروت، د.ت.
32. محمد، سراج الدين، (د.ت) الزهد في الشعر العربي، موسوعة مبدعون، دار الكتب الجامعية، د. ط.
33. ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد (د.ت)،تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تحقيق: ابن الخطيب، مكتبة الثقافة الدينية، ط1.
34. مقداد يالجن، (1423هـ)، التربية الأخلاقية الإسلامية، دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط2.
35. مقداد يالجن، (1992م)، علم الأخلاق الإسلامي، محمد علي، دار عالم الكتب للطباعة والنشر، ط1، الرياض.
36. ابن منظور، (1414هـ)، لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي كبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، د.ط.

37. الميداني، عبد الرحمن حسن حنبكة، (1999م) الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، ط5، دمشق.
38. النحلاوي، عبد الرحمن، (2007م) أصول التربية الإسلامية وأساليبها في البيت والمدرسة والمجتمع، ، دار الفكر، ط5.
39. النعيمي، أحمد إسماعيل ، (2010م)، الإبداعية الشعر الجاهلي منطلقاته الفكرية وآفاقه ، الدار العربية للموسوعات، ط1.
40. النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (2004م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قميحة وجماعة، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
41. اليوزبكي، مؤيد، (2008م)، البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، بغداد.

الرسائل والأطاريح:

1. كليب، منيرة عايش سعود، (1434هـ)، القيم الإسلامية المتضمنة في شعر كعب بن زهير والأساليب التربوية المقترحة لتنميتها لدى الطلبة، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية التربية ، قسم التربية الإسلامية، السعودية.

Cognitive Integration in Analyzing Cultural Identity Representations An Interpretive Approach to Najib Al-Kilani's Novel "Layali Turkistan"

Torki Qamar
Echahid Cheikh Larbi Tebessi University – Tebessa, Algeria
Kamar.tourki@univ-tebessa.dz

Abstract
This paper examines representations of cultural identity in Najib Al-Kilani's Layali Turkistan through cognitive integration and an interpretive approach. It argues that the novel reconstructs the Turkistan tragedy as a narrative space where memory, belonging, and resistance are tested. Drawing on literary criticism, cultural studies, and historical context, the analysis traces identity through religion, language, place, and collective memory. It shows that identity emerges as a troubled consciousness transformed into symbolic resistance, while place becomes a bearer of memory. Cognitive integration thus preserves the novel's aesthetic specificity and reveals its civilizational vision.

Keywords: cognitive integration; cultural identity; interpretive approach; Layali Turkistan; Najib Al-Kilani.

التكامل المعرفي في تحليل تمثلات الهوية الثقافية
مقاربة تأويلية لرواية «ليالي تركستان» لنجيب الكيلاني

الدكتورة تركي قمر
جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي –تبسة– الجزائر
Kamar.tourki@univ-tebessa.dz

الملخص

تتناول هذه المداخلة تمثلات الهوية الثقافية في رواية *ليالي تركستان* لنجيب الكيلاني، من منظور يقوم على التكامل المعرفي والمقاربة التأويلية.

وتنطلق من فرضية مفادها أن الرواية لا تستعيد محنة تركستان تاريخيًا فقط، بل تعيد بناءها سرديًا بوصفها مجالًا لاختبار الذاكرة والانتماء والمقاومة. وتستثمر الدراسة معطيات النقد الأدبي والدراسات الثقافية والسياق التاريخي والحضاري للكشف عن تشكل الهوية عبر الدين واللغة والمكان والذاكرة الجماعية.

وتبيّن أن الهوية في النص ليست معطى ثابتًا، بل وعيًا مأزومًا يتولد تحت ضغط التهديد ومحاولات المحو، ثم يتحول إلى فعل رمزي مقاوم.

كما تكشف أن المكان الروائي لا يؤدي وظيفة وصفية محايدة، بل يغدو حاملًا للذاكرة ومجالًا للصراع على المعنى. وتخلص إلى أن التكامل المعرفي يتيح قراءة أعمق للرواية، تحفظ أدبيتها وتكشف بعدها الحضاري في تأويل المصير الجماعي.

الكلمات المفتاحية :التكامل المعرفي؛ الهوية الثقافية؛ المقاربة التأويلية؛ ليالي تركستان؛ نجيب الكيلاني.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مقدمة

في منعطفات التحول الحضاري الكبرى، لا تعود الرواية مجرد بنية تخييليه تستعيد الوقائع أو تعيد ترتيبها داخل حبكة سردية مغلقة، بل تغدو مجالًا رمزيًا تتنازع داخله الذاكرة والهوية والتاريخ واللغة، وتنكشف من خلاله صورة الإنسان وهو يواجه محاولات الاقتلاع من جذوره الأولى، ومن هذا الأفق تحديدًا، تنبثق أهمية قراءة رواية ليالي تركستان لنجيب الكيلاني، لا بوصفها حكاية عن فضاء جغرافي بعيد فحسب، وإنما بوصفها نصًا روائيًا يستبطن سؤال الهوية الثقافية حين تتعرض للتهديد، ويعيد تشكيله عبر شبكة من العلامات السردية التي تتداخل فيها المرجعية الدينية، والذاكرة التاريخية، والانتماء الحضاري، وتمثلات المكان. ولئن بدت الرواية، في ظاهرها، مشدودة إلى سياق تركستان وما ارتبط به من صراعات سياسية وثقافية خلال النصف الأول من القرن العشرين، فإن قيمتها الأدبية لا تنحصر في تسجيل الواقعة أو استعادة الحدث، بل تتجاوز ذلك إلى بناء تخييل روائي يجعل من التاريخ مادة قابلة للتأويل، ومن الهوية سؤالًا مفتوحًا على التوتر والمقاومة والانكسار وإعادة التشكل، فالنص الروائي هنا لا يكتفي بإخبار القارئ عما وقع، وإنما يدفعه إلى مساءلة الكيفية التي تتحول بها الجماعة إلى ذات ثقافية واعية بخصوصيتها، حين تصبح اللغة والدين والمكان والذاكرة عناصر مهددة، لا معطيات مستقرة، وهنا يكمن جوهر الإشكال.

وتأسيسًا على هذا المعطى، تتوخى هذه المداخلة مساءلة تمثلات الهوية الثقافية في رواية ليالي تركستان من منظور يقوم على التكامل المعرفي، أي من منظور لا يفصل القراءة الأدبية عن روافدها التاريخية والحضارية والدينية والثقافية، ولا يسمح، في المقابل، بأن تبتلع هذه الروافد خصوصية النص الروائي وجمالياته، فالرهان المنهجي لا يتمثل في تحويل الرواية إلى وثيقة تاريخية، ولا في اختزالها ضمن خطاب أيديولوجي مباشر، وإنما في استجلاء الطريقة التي ينهض بها المتخيل السردي بتمثيل الهوية وهي تتحرك داخل فضاء مأزوم، حيث يصبح الانتماء الثقافي فعلًا سرديًا مركبًا، لا شعارًا جاهزًا أو معطى نهائيًا.

من هنا، تفرض رواية *ليالي تركستان* نفسها نصًا صالحًا لاختبار جدوى المقاربة التأويلية في قراءة الهوية الثقافية، ذلك أن التأويل لا يقف عند حدود المعنى المباشر، بل ينفذ إلى ما يتوارى خلف البنية الحكائية من أنساق رمزية عميقة، فالشخصيات، وهي تتحرك داخل عالم الرواية، لا تمثل ذواتًا فردية معزولة بقدر ما تحمل آثار جماعة كاملة، بما تختزنه من ذاكرة دينية ولغوية وحضارية، أما المكان، بدوره، فلا يظهر باعتباره

إطارًا محايدًا للأحداث، بل يتشكل بوصفه حاملًا للهوية، ومجالًا للصراع على المعنى، ووعاءً تتراكم فيه إشارات الانتماء والتهديد والحنين، وأما الحدث التاريخي، فليس مجرد خلفية خارجية، بل عنصر بنائي يضبط إيقاع السرد، ويزحزح مصائر الشخصيات من مستوى التجربة الفردية إلى مستوى المصير الثقافي العام.

ومن اللافت أن نجيب الكيلاني، وهو يكتب هذه الرواية، يندرج ضمن تجربة روائية عربية جعلت من قضايا الشعوب الإسلامية خارج المركز العربي مادة للتخييل الأدبي، الأمر الذي يمنح النص خصوصيته داخل مدونة الرواية العربية ذات الحس الحضاري، وقد أشارت بعض العروض التعريفية بالرواية إلى أنها ترصد أحداثًا مرتبطة بتركستان في الفترة الممتدة تقريبًا بين 1930 و1950، وهي فترة مشحونة بتحولات سياسية وثقافية عميقة جعلت سؤال الهوية في قلب التجربة السردية، غير أن استحضار هذا السياق لا ينبغي أن يقود القراءة إلى استبدال التحليل الأدبي بسرد تاريخي موازٍ، لأن مناط البحث هو الكيفية التي تمثل بها الرواية ذلك السياق، لا السياق في ذاته.

وعلى هذا الأساس، تتمحور إشكالية هذه المداخلة حول السؤال الآتي: كيف يسهم التكامل المعرفي، في ضوء المقاربة التأويلية، في الكشف عن تمثلات الهوية الثقافية داخل رواية ليالي تركستان لنجيب الكيلاني؟ ويتفرع عن هذا السؤال المركزي عدد من الأسئلة الجزئية: ما طبيعة العلاقة بين الهوية الثقافية والبناء السردي في الرواية؟ وكيف تتجلى الهوية الدينية واللغوية والحضارية داخل النص؟ وبأي معنى يتحول المكان الروائي إلى حامل للذاكرة والانتماء؟ ثم إلى أي حد تسمح القراءة التكاملية بتجاوز المعنى الأدبي المباشر نحو قراءة حضارية أوسع، دون إلغاء أدبية النص؟

وتكمن أهمية هذه المداخلة في كونها تقارب الرواية من زاوية تتجاوز القراءة الأحادية، فالهوية الثقافية، في هذا النص، لا يمكن اختزالها في بعد واحد، لأنها تتشكل عند ملتقى عناصر متعددة تتمثل في الدين، واللغة، والتاريخ، والمكان، والذاكرة الجماعية، وتجربة التهديد، ومن ثم، فإن اعتماد التكامل المعرفي لا يمثل ترفًا منهجيًا، بل ضرورة تأويلية يفرضها النص ذاته، فكل قراءة تكتفي بالبنية الفنية وحدها ستفقد جزءًا من كثافة الدلالة، وكل قراءة تنصرف إلى التاريخ أو الخطاب الحضاري وحده ستغامر بإفقار البعد الجمالي للرواية، وبين هذين الحدين، يتحدد مسار هذه الدراسة.

أما المنهج المعتمد، فيقوم على مقاربة تأويلية تستند إلى تحليل المكونات السردية والدلالية في الرواية، مع الإفادة من معطيات النقد الثقافي، والدراسات الهوياتية، والتاريخ الحضاري، ضمن تصور تكاملي لا يخلط بين الحقول المعرفية ولا يعزلها عن بعضها، وبذلك، تنتقل القراءة من رصد المفاهيم إلى مساءلة اشتغالها داخل النسيج الروائي، كيف تُبنى الهوية؟ وكيف تُهدد؟ وكيف تُستعاد رمزيًا؟ وكيف تتحول من انتماء موروث إلى وعي مقاوم يتشكل عبر اللغة والسرد والذاكرة؟

وللإحاطة بهذه الإشكالية، تنتظم المداخلة في أربعة مباحث مترابطة، يتناول الأول الإطار المفاهيمي والمنهجي للدراسة، من خلال ضبط مفهوم التكامل المعرفي، والهوية الثقافية، والمقاربة التأويلية، وينصرف الثاني إلى رواية *ليالي تركستان* وسياق تشكل الهوية الثقافية فيها، بينما يخصص الثالث لتحليل تمثلات الهوية الدينية واللغوية والثقافية بين المقاومة والتهديد، قبل أن ينتقل المبحث الرابع إلى مساءلة مظاهر التكامل المعرفي في تأويل الهوية داخل الرواية، من خلال تداخل الأدبي والتاريخي، والديني والثقافي، وصولًا إلى أفق القراءة الحضارية.

وبذلك، لا تروم هذه المداخلة تقديم قراءة وصفية للرواية، بل تسعى إلى تفكيك بنيتها الدلالية العميقة، واستجلاء ما تنطوي عليه من تصور للهوية بوصفها بناءً ثقافيًا يتشكل في قلب المحنة، فرواية *ليالي تركستان* ليست مجرد رواية عن الاضطهاد أو الصراع، بل نص عن الذاكرة حين تقاوم النسيان، وعن الثقافة حين تتحول إلى شرط للوجود، وعن الأدب حين يغدو أداة لتأويل المصير الإنساني والجماعي في آن واحد.

تهدف هذه المداخلة إلى الكشف عن تمثلات الهوية الثقافية في رواية «ليالي تركستان»، وبيان فاعلية التكامل المعرفي والمقاربة التأويلية في الربط بين البناء السردي والسياق التاريخي والثقافي والحضاري. وتنطلق من فرضية مفادها أن هذه التمثلات لا تنكشف كاملة من خلال قراءة أدبية أحادية، بل تستوجب تكامل التحليل السردي مع المعطيات التاريخية والثقافية والحضارية.

أولا: الإطار المفاهيمي والمنهجي للدراسة

قبل الولوج إلى العالم الروائي في ليالي تركستان، يبدو من المتعين ضبط الجهاز المفاهيمي الذي ستنهض عليه القراءة، ذلك أن الحديث عن الهوية الثقافية داخل النص الروائي لا يستقيم إذا ظل محصورًا في مستوى الانطباع العام أو التلقي العاطفي المباشر، فالرواية، ولا سيما الرواية ذات النفس التاريخي والحضاري، لا تمنح

دلالتها كاملة من سطح الحكاية، بل تودعها في طبقات متداخلة من اللغة، والمكان، والذاكرة، والرمز، والشخصيات، وأنماط الصراع، وهنا، يصبح المفهوم أداة كشف لا زينة اصطلاحية. (جنيت، جيرار، 1997، صفحة 15)

وتأسيسًا على هذا المعطى، ينصرف هذا المبحث إلى تحديد ثلاثة مفاهيم كبرى تؤطر المسار التحليلي للمداخلة، هي التكامل المعرفي بوصفه أفقًا منهجيًا يسمح بقراءة النص في ضوء تضافر الأدبي والتاريخي والثقافي، والهوية الثقافية بوصفها بنية دلالية تتشكل داخل الخطاب الروائي لا خارجه، ثم المقاربة التأويلية بوصفها آلية للكشف عن المعاني العميقة التي تتجاوز ظاهر السرد.

1. مفهوم التكامل المعرفي وأهميته في الدراسات الأدبية

في سياق الدراسات الإنسانية المعاصرة، لم يعد ممكنًا التعامل مع الظاهرة الأدبية كما لو كانت كيانًا مغلقًا، مكتفيًا بذاته، منفصلًا عن شروط إنتاجه وتمثلاته التاريخية والثقافية والرمزية، فالنص الأدبي، في أحد وجوهه العميقة، بنية جمالية، غير أنه، في الوقت ذاته، مخزن للخبرة الإنسانية، وفضاء لتقاطع الذاكرة الجماعية، ومجال لاشتغال التصورات الدينية واللغوية والحضارية، ومن ثمّ، فإن مقاربة رواية مثل ليالي تركستان بأدوات أدبية صرفة قد تكشف عن بعض آليات السرد، لكنها ستظل عاجزة عن استيعاب كثافة السؤال الهوياتي الذي يتخلل النص، وتلك هي العقدة المنهجية الأولى. (جمري، كوثر، ورسول بلاوي.، 2023، صفحة 67)

يقوم التكامل المعرفي، في جوهره، على مبدأ الإفادة المنظمة من أكثر من حقل معرفي، دون إسقاط خصوصية أحدها على الآخر، فهو لا يعني تكديس المعارف، ولا نقل المصطلحات من مجال إلى مجال، بل يعني بناء أفق قرائي تتساند فيه الأدوات المفهومية والمنهجية من أجل فهم الظاهرة المدروسة في تعدد أبعادها، وقد عرّف تقرير الأكاديميات الوطنية الأمريكية البحث البيني بأنه نمط من البحث يدمج المعلومات، أو البيانات، أو التقنيات، أو الأدوات، أو المنظورات، أو المفاهيم، أو النظريات من تخصصين أو أكثر، بغرض معالجة أسئلة لا يقدر تخصص واحد على استيعابها وحده، ومع أن هذا التعريف صادر في سياق عام للبحث العلمي، فإنه يمنح الدراسات الأدبية إمكانًا منهجيًا معتبرًا، لأن النص الروائي، حين ينفتح على التاريخ

والذاكرة والهوية، يغدو أكثر تعقيدًا من أن يستوعبه منظور نقدي واحد. (الطاهر، خالد كمال.، 2025، الصفحات 1419-1440)

غير أن التكامل المعرفي في الأدب لا ينبغي أن يتحول إلى تفريط في أدبية النص، فثمة بون واضح بين قراءة تستثمر التاريخ لفهم الرواية، وقراءة تجعل الرواية مجرد وثيقة تابعة للتاريخ، الأولى قراءة منتجة، والثانية قراءة اختزالية، وتبعًا لذلك، فإن التعامل مع ليالي تركستان يقتضي أن نقرأ التاريخ داخل النص، لا أن نستبدل النص بالتاريخ، وأن نستثمر الخلفية الحضارية لفهم التوترات السردية، لا أن نفرض على الرواية خطابًا جاهزًا من خارجها، فالرواية لا تقول التاريخ كما تقوله الوثيقة، ولا تصوغ الهوية كما تصوغها الأطروحة الفكرية، بل تعيد تخييلهما عبر الشخصيات، والحبكة، والفضاء، واللغة، والإيقاع العاطفي للصراع. (د. عبد الباسط طلحة، 2020، الصفحات 107-108)

يُبرز التكامل المعرفي في الدراسات الأدبية قدرته على توسيع مجال القراءة، بحيث لا تُختزل الشخصية أو الحدث في بعدهما الفني الخالص، كما يسهم في تعميق الدلالة الروائية عبر ربط النص بمرجعياته الثقافية والدينية والتاريخية، ومن ثمّ، فهو يحمي القراءة من الأحادية، فلا تنغلق على الشكل وحده، ولا تذيب الأدب في سياقه الخارجي.

وانطلاقًا من ذلك، لا يكون التكامل المعرفي في هذه المداخلة مجرد اختيار منهجي خارجي، بل ضرورة يفرضها موضوع الرواية نفسها، ذلك أن ليالي تركستان تنبني على صراع تتشابك فيه السلطة واللغة والدين والمكان والذاكرة، بما يجعل الهوية الثقافية داخلها بنية مركبة لا تقبل التحليل الجزئي المبتسر، فحين تحضر تركستان في النص، فإنها لا تحضر كموضع جغرافي خالص، بل كفضاء رمزي تتكاثف فيه علامات الانتماء والتهديد، وحين تحضر الشخصيات، فإنها لا تتحرك في فراغ حكائي، بل داخل ضغط تاريخي يزحزح وجودها الفردي نحو سؤال الجماعة والمصير، ومن هنا، يغدو التكامل المعرفي شرطًا لإضاءة البنية الدلالية للرواية، لا مجرد إضافة خارجية إليها. (د. عبد الباسط طلحة، 2020، الصفحات 103-104)

ويقين القول هنا أن القراءة الأدبية التي تنشد فهم تمثلات الهوية الثقافية في *ليالي تركستان* مطالبة بأن تتخذ موقعًا وسطًا بين الانغلاق النصاني والانفلات السياقي، فالأول يحصر الرواية في آليات شكلية قد لا تكفي

لتفسير كثافة موضوعها، والثاني يحولها إلى شاهد تاريخي لا أكثر، وبين هذين الطرفين، تتأسس القراءة التكاملية بوصفها مسلكًا نقديًا يقرأ النص في أدبيته، لكنه لا يغفل ما يتخلله من ذاكرة وثقافة وتاريخ.

2. الهوية الثقافية وتمثلاتها في الخطاب الروائي

حين تُطرح الهوية الثقافية داخل الخطاب الروائي، فإنها لا تُطرح باعتبارها تعريفًا ثابتًا أو جوهرًا مكتملًا، بل باعتبارها سيرورة تشكل وتمثيل وصراع، فالهوية، في النصوص الروائية الكبرى، لا تُعلن نفسها دائمًا في صيغة مباشرة، وإنما تتسرب إلى النسيج السردي عبر أسماء الشخصيات، وأنماط القول، وذاكرة المكان، وصور الآخر، وعلاقة الفرد بجماعته، ومظاهر الانتماء أو الاغتراب، ولهذا، فإن سؤال الهوية في الرواية لا يُقرأ عبر ما تقوله الشخصيات صراحة فحسب، بل عبر ما تكشفه بنيات السرد من توتر بين الذات وما يهددها. (زغيلط، عبد العالي، 2024، الصفحات 49-50)

أسهمت الدراسات الثقافية في تجاوز النظر إلى الهوية بوصفها جوهرًا ثابتًا، لتعدّها بناءً تاريخيًا وتمثيليًا يتشكل عبر الذاكرة والاختلاف والتحول، ويفيد تصور ستيوارت هول في قراءة ليالي تركستان، لأن الهوية داخل الرواية لا تظهر كأصل مستقر، بل كوعي مأزوم يتشكل تحت ضغط الاقتلاع، ومن ثمّ، تغدو الهوية في النص سيرورة مقاومة تعيد تعريف ذاتها كلما اشتدت شروط المحو والتهديد.

على هذا النحو، لا تظهر الهوية الثقافية داخل الخطاب الروائي باعتبارها مضمونًا فكريًا معزولًا عن البنية الفنية، بل تتجسد في طرائق التشكيل السردي، فالشخصية الروائية قد تحمل هوية جماعة كاملة، لا لأن الكاتب يجعلها ناطقًا رسميًا باسم الجماعة، بل لأن مصيرها الفردي يصبح ممرًا لتأويل المصير الجماعي، وقد يتحول المكان من حيز للأحداث إلى ذاكرة متجسدة، فالأرض، والبيت، والمدينة، والمعلم الديني، والفضاء الطبيعي، كلها تكتسب داخل الرواية قيمة رمزية تتجاوز حدود الوصف، أما اللغة، فليست مجرد وسيلة تعبير، بل علامة انتماء ومجال صراع، إذ تنطوي على الذاكرة والسلطة والخصوصية الثقافية. (نكزيو، آسيا، ومعاشي إبتسام، 2025، صفحة 62)

وتأسيسًا على ذلك، يمكن النظر إلى تمثلات الهوية الثقافية في الرواية من خلال ثلاثة مستويات متداخلة، يتمثل المستوى الأول في التمثيل الديني، حيث يغدو الدين مكونًا من مكونات الوعي الجماعي، لا بوصفه خطابًا وعظيًا مباشرًا، بل بوصفه ذاكرة ومصدرًا للتماسك الرمزي في مواجهة التهديد، ويتمثل المستوى الثاني

في التمثيل اللغوي والثقافي، إذ تكشف اللغة عن علاقة الجماعة بذاتها وبالآخر، وعن حدود المقاومة أو الذوبان، أما المستوى الثالث، فيتجسد في التمثيل المكاني، حيث لا يعود المكان إطارًا صامتًا، بل يتحول إلى حامل للهوية، ومسرح لانكشاف الصراع بين الانتماء والمحو. (بريوة، نضيرة، ورحمة بنت أحمد، 2022، الصفحات 254-256)

لا يعني تحليل الهوية الثقافية في الرواية إخضاع النص لتصور أيديولوجي مسبق، بل مساءلة الكيفية التي ينتج بها الهوية عبر أدواته السردية والجمالية، فالرواية قد تقدم الهوية في صورة مأزومة ومتوترة، لا بوصفها معطى ثابتًا أو جاهزًا، ومن هذه المرونة تحديدًا، تستمد الهوية قيمتها الروائية، لأنها تنكشف بين التمسك بالموروث والانفتاح على التحول.

ومن ثم، فإن الهوية الثقافية في *ليالي تركستان* لا ينبغي أن تُقرأ كما لو كانت شعارًا فوقيًا يعلو على السرد، بل بوصفها بنية تتخلل السرد من داخله، فهي تظهر في الخوف على الدين، وفي التمسك باللغة، وفي استحضار الذاكرة، وفي بناء صورة العدو، وفي العلاقة بالمكان، وفي انفعال الشخصيات إزاء ما يتهدد وجودها، وبذلك، تصبح الرواية مجالًا لتجسيد الهوية وهي تنتقل من الحالة الموروثة إلى الحالة الواعية، أي من الانتماء الطبيعي إلى الانتماء المقاوم. (حامدي، سامية، 2022، الصفحات 270-276)

ومن هذه الزاوية تحديدًا، تكتسب ليالي تركستان أهميتها داخل الرواية العربية ذات المنحى الحضاري، لأنها لا تتعامل مع الهوية بوصفها مسألة محلية محدودة، بل بوصفها أفقًا إنسانيًا وجماعيًا يتصل بسؤال الوجود الثقافي حين يتعرض للطمس، غير أن القيمة الأدبية للنص لا تكمن في الموضوع وحده، وإنما في قدرته على تحويل هذا الموضوع إلى بناء سردي قابل للتأويل، فليست كل رواية تتناول الهوية قادرة على إنتاج وعي هوياتي مركب، إذ تكمن العبرة في الكيفية الفنية التي تُبنى بها الدلالة.

3. المقاربة التأويلية بوصفها آلية لقراءة النص الروائي

في القراءة التأويلية، لا يُعامل النص الروائي بوصفه وعاءً لمعنى جاهز ينتظر من القارئ استخراجه، وإنما بوصفه بنية مفتوحة تنتج معناها عبر العلاقة المركبة بين النص والقارئ والسياق. فالتأويل لا يكتفي بالسؤال: ماذا تقول الرواية؟ بل يدفع بالسؤال إلى حيز أعمق: كيف تقول الرواية ما تقول؟ وما الذي تخفيه بنيتها خلف ظاهر الحكاية؟ وأي شبكة من الرموز والمرجعيات تتحكم في إنتاج المعنى داخلها؟ وبهذا المعنى، تصبح

المقاربة التأويلية آلية لقراءة المعنى في حركته، لا في سكونه. (بن هدي، زين العابدين.، 2022، الصفحات 11-12)

وقد ارتبطت الهرمنيوطيقا الحديثة بتحول واسع في فهم النصوص، إذ لم يعد الفهم إجراءً آليًا محكومًا بقواعد ثابتة، بل صار تجربة حوارية مشروطة باللغة والتاريخ والأفق الثقافي للقارئ، وتشير موسوعة ستانفورد للفلسفة إلى أن الهرمنيوطيقا تُعنى بدراسة التأويل، وأن حضورها يمتد إلى كل الحقول التي تقتضي موضوعاتها مقاربات تفسيرية، أما غادامير، فقد جعل الفهم نشاطًا حواريًا وتاريخيًا، لا مجرد تطبيق خارجي لمنهج صارم، إذ تتشكل القراءة، في تصوره، داخل أفق اللغة والتاريخ والتقاليد، وهذا التصور يمنح النقد الروائي أداة دقيقة للتعامل مع النصوص التي تشتبك مع الذاكرة والهوية. (لحسن، نجمة، وزهرة محارزي، 2017، الصفحات 1-2)

وبالنسبة إلى الرواية، لا تعمل المقاربة التأويلية على تفسير الحدث وحده، بل تنفذ إلى ما وراء الحدث، إلى دلالة المكان، ورمزية الصراع، ووظيفة الصمت، والبنية العميقة للعلاقات بين الشخصيات، فالحكاية قد تبدو خطية في ظاهرها، لكنها غالبًا ما تستبطن نظامًا من العلامات لا ينكشف إلا عبر قراءة متأنية، وتبعًا لذلك، فإن التأويل لا يُسقط على الرواية معنى غريبًا عنها، بل يستنطق إمكاناتها الداخلية، ويعيد ترتيب إشاراتها ضمن أفق دلالي أوسع.

وفي هذا السياق، يبرز بول ريكور بوصفه أحد الأسماء المؤسسة للتأويل المعاصر، ولا سيما في ربطه بين الخطاب، والمعنى، وفائض الدلالة، فكتابه Interpretation Theory: Discourse and the Surplus of Meaning يعالج مسألة اللغة حين تتحول إلى خطاب قابل للتأويل، ويضع النصوص الأدبية ضمن فضاء يتجاوز المعنى المباشر إلى فائض دلالي لا ينفد بمجرد القراءة الأولى، وتأسيسًا على هذا الفهم، تصبح الرواية مجالًا رحبًا للتأويل، لأنها لا تقدم المعنى في صيغة تقريرية، بل توزعه على الحكاية، والرمز، والتوتر، والتكرار، والفراغات السردية. (بوحادة، راضية، وبلقندوز أحلام، 2024، الصفحات 11-13)

عند تطبيق المقاربة التأويلية على ليالي تركستان، لا يكفي تلخيص الأحداث، بل ينبغي مساءلة البنية التي تجعل الحدث والشخصية والمكان علامات دالة على الهوية، فالرواية لا تعرض المأساة بوصفها واقعة سردية

فقط، وإنما تجعل منها مدخلًا لفهم تشكل الانتماء تحت ضغط التهديد، ومن ثمّ، يتحول الحدث الروائي إلى وعي هوياتي يكشف علاقة الجماعة بذاكرتها ومصيرها.

وتتيح المقاربة التأويلية، في هذا البحث، الانتقال من القراءة الأدبية إلى القراءة الحضارية دون إلغاء المسافة النقدية بينهما، فالقراءة الأدبية تشتغل على البنية السردية، من شخصيات وزمن ومكان ولغة ورمز، أما القراءة الحضارية، فتسائل ما تفضي إليه هذه البنية من تمثلات للهوية والانتماء والمقاومة، ولا يتحقق التكامل بين القراءتين إلا حين ننتبه إلى أن الدلالة الحضارية لا تقع خارج النص، بل تنبثق من صميم تشكيله الفني، وهنا، لا يكون التأويل خروجًا من الأدب، بل عودة أعمق إليه. (الشيخ، شعثان، 2018، الصفحات 353-356)

ومن ثم، فإن المنهج التأويلي المعتمد في هذه المداخلة يقوم على خطوات إجرائية محددة، أولها قراءة الرواية بوصفها بنية سردية، لا مجرد مضمون، وثانيها تتبع العلامات المرتبطة بالهوية الدينية واللغوية والمكانية، وثالثها ربط هذه العلامات بسياقاتها التاريخية والثقافية، دون تحويل السياق إلى بديل عن النص، ورابعها الكشف عن الدلالة الحضارية التي يتمخض عنها تداخل الأدبي بالتاريخي والثقافي، وبهذا المعنى، تغدو المقاربة التأويلية أداة لضبط القراءة، لا ذريعة للانطباع الحر.

وعليه، يمكن القول إن المبحث المفاهيمي والمنهجي لا يمثل مدخلًا تمهيديًا عابرًا، بل يؤسس للقراءة كلها، فالتكامل المعرفي يحدد أفق التعامل مع النص، والهوية الثقافية تحدد موضوع المساءلة، والمقاربة التأويلية تحدد آلية الكشف، ومن تضافر هذه العناصر، تتشكل الأرضية التي تسمح بقراءة ليالي تركستان قراءة لا تكتفي بظاهر الحكاية، ولا تنزلق إلى تقريرية خارجية، بل تسبر أغوار النص بوصفه مجالًا لتشكل الهوية حين تواجه امتحان المحو والمقاومة. (مداس، أحمد.، 2010، الصفحات 330-332)

ثانيا: رواية ليالي تركستان وسياق تشكل الهوية الثقافية

بعد ضبط المفاهيم والمنهج، ينتقل البحث إلى رواية ليالي تركستان لاختبار حضور الهوية داخل النسيج السردي، حيث تتحول الذاكرة والمكان والتاريخ إلى علامات دالة، فالرواية لا تُقرأ بوصفها تلخيصًا لأحداث تركستان، بل بوصفها بناءً تخييليًا يجعل من التاريخ والمكان والجماعة مدخلًا لتأويل تشكل الهوية الثقافية،

وعليه، يتناول هذا المبحث التعريف بالرواية، وسياقها التاريخي والحضاري، ثم المكان الروائي بوصفه حاملًا للانتماء والتهديد والمقاومة.

1. التعريف بالرواية وخصوصية موضوعها

تندرج رواية ليالي تركستان لنجيب الكيلاني ضمن ذلك النمط من الكتابة الروائية التي تستدعي التاريخ، لا لتعيد نسخه في صيغة أدبية، وإنما لتخضعه لإعادة تشكيل تخييلي يجعل من الواقعة مدخلًا لفهم الإنسان والجماعة والهوية، فالنص لا يتحرك داخل عالم سردي مغلق على ذاته، بل ينفتح على فضاء ثقافي وحضاري مأزوم، تتشابك فيه تجربة الانتماء بتجربة التهديد، وتُختبر فيه قدرة الجماعة على صون ذاكرتها في وجه محاولات المحو (فاطمة الزهراء مسيخ ومحمد البشير مسالتي، 2023، الصفحات 227-228)

لا ينبغي اختزال ليالي تركستان في كونها رواية ذات مضمون تاريخي، لأن قيمتها تتجاوز تسجيل الوقائع إلى بناء دلالي أعمق، فالرواية تجعل من المصير الجماعي مجالًا لطرح سؤال الهوية الثقافية عبر الشخصيات، والمكان، والحدث، والرمز، ومن ثمّ، تتحول الشخصيات إلى حوامل لذاكرة جماعة مهددة في وجودها الثقافي والديني والحضاري.

ولعل أول ما يستوقف القارئ في الرواية هو اختيار الفضاء التركستاني ذاته، فهذا الاختيار لا يبدو بريئًا من الناحية الدلالية، إذ يخرج بالنص من المركز العربي المألوف إلى فضاء إسلامي آسيوي يندر حضوره في التخييل الروائي العربي، الأمر الذي يمنح الرواية أفقًا حضاريًا أوسع من حدود الجغرافيا المباشرة، فتركستان في الرواية ليست مكانًا قصيًا يُستحضر من باب الغرابة أو التوثيق، بل هي صورة مكثفة لجماعة تناضل من أجل حفظ مقوماتها في وضعية تاريخية ضاغطة. (نجيب الكيلاني، 1434هـ / 2013م، الصفحات 3-4)

وهنا يكمن المحك، فالرواية لا تسائل الهوية في لحظة اطمئنانها، بل في لحظة ارتباكها وتهديدها، والهوية، حين تُدفع إلى مثل هذا الامتحان، لا تعود تعريفًا نظريًا ساكنًا، وإنما تتحول إلى وعي مقاوم يتجلى في التمسك بالدين، واستعادة الذاكرة، وحماية الرموز، والدفاع عن المكان بوصفه امتدادًا للذات الجماعية، وبهذا المعنى، تتحول ليالي تركستان إلى نص عن الهوية وهي تُنتج نفسها تحت الضغط، لا عن هوية مكتملة تُعرض للقارئ في صورة جاهزة.

وتتأسس خصوصية الموضوع، كذلك، على طبيعة العلاقة بين الفرد والجماعة داخل الرواية، فالشخصية الروائية، وهي تواجه الخوف أو الحصار أو الانكسار، لا تمثل ذاتها وحدها، وإنما تنفتح على مصير أوسع منها، إن مأزق الفرد يغدو مرآة لمأزق الجماعة، وانكساره قد يتحول إلى علامة على تصدع الذاكرة، بينما يستحيل صموده إلى تمثيل رمزي لبقاء الهوية، ومن ثمّ، لا تُقرأ الشخصية داخل الرواية بمعزل عن محيطها الثقافي، لأن دلالتها لا تكتمل إلا في علاقتها بالجماعة التي تنتمي إليها، وبالقوى التي تهدد هذا الانتماء. (د. زرارقة عبد السلام، الصفحات 2-3)

وتتبدى الرواية، من زاوية أخرى، بوصفها نصًا مشدودًا إلى ثنائية المحو والاستبقاء، فمن جهة، هناك قوى تضغط على الجماعة وتحاول زحزحة مقوماتها الثقافية، ومن جهة مقابلة، هناك ذاكرة تقاوم، وإيمان يرمم الداخل، ومكان يتحول إلى علامة على الثبات، غير أن هذه الثنائية لا ينبغي أن تُفهم في مستوى تبسيطي يختزل الرواية في مواجهة مباشرة بين طرفين، فالأعمق من ذلك أن النص يكشف عن صراع رمزي حول المعنى، معنى الأرض، ومعنى الدين، ومعنى الانتماء، ومعنى أن تبقى الجماعة وفية لذاكرتها وهي تواجه شروطًا تاريخية قاسية. (د. زرارقة عبد السلام، الصفحات 2-3)

فالانتماء يتجسد عبر الدين والذاكرة والمكان والجماعة، بينما يظهر التهديد في محاولات الطمس والإضعاف التي تطال هذه المقومات أما المقاومة، فلا تقتصر على الفعل الخارجي، بل تتجلى في التشبث بالمعنى، واستبقاء الرموز المهددة بالاندثار.

وعليه، فإن التعريف بالرواية لا يستقيم إذا اقتصر على تقديم موضوعها العام، أو الإشارة إلى فضائها التاريخي، بل ينبغي أن يتجه إلى إبراز وظيفتها داخل هذه المداخلة، إنها النص الذي يسمح باختبار فاعلية التكامل المعرفي في قراءة الهوية الثقافية، فالأدبي وحده لا يكفي، والتاريخي وحده لا يكفي، والحضاري وحده لا يكفي، إن الرواية تفرض قراءة تتعامل مع هذه الأبعاد في تداخلها، مع الحفاظ على خصوصية المتخيل السردي بوصفه المجال الذي تتشكل داخله الدلالة. (مباركي، هاجر، ومحمد سعيدي، 2022، الصفحات 136-139)

2. السياق التاريخي والحضاري في الرواية

في رواية ليالي تركستان، لا يحضر التاريخ بوصفه خلفية زمنية ساكنة تتحرك أمامها الشخصيات، بل يتسلل إلى البنية العميقة للنص باعتباره قوة ضاغطة تضبط إيقاع الحكاية، وتعيد تشكيل مصائر الأفراد والجماعة معًا، فالسرد، منذ انشداده إلى الفضاء التركستاني، لا ينشغل برسم واقعة تاريخية معزولة، وإنما ينفتح على لحظة حضارية مأزومة تتعرض فيها الجماعة لاختبار قاسٍ في ذاكرتها ودينها وانتمائها وموقعها من العالم، ومن ثمّ، فإن قراءة الرواية خارج هذا السياق تفضي إلى إفقار دلالتها، لأن الهوية الثقافية فيها لا تتشكل في فراغ، بل تنبثق من قلب التوتر التاريخي. (د. عبد الباسط طلحة، 2020، الصفحات 96-99)

وليست المسألة هنا متعلقة باستدعاء التاريخ لمجرد الإحالة المرجعية، وإنما بطريقة اشتغاله داخل النص، فالرواية لا تقدم التاريخ كما تقدمه الوثيقة، ولا تنقله في هيئة تسجيلية مباشرة، بل تعيد تخييله من زاوية الإنسان الذي يقع تحت وطأة التحول والعنف والتهديد، وهذه نقطة فاصلة، إذ إن نجيب الكيلاني لا يجعل من الحدث التاريخي غاية في ذاته، بل يتخذه مدخلًا لتأويل آثار ذلك الحدث في الوعي الجماعي، أي في الطريقة التي ترى بها الجماعة ذاتها حين تجد مقوماتها الثقافية معرضة للانكسار أو التبديل أو المحو.

وتأسيسًا على ما أشارت إليه المقدمة من ارتباط الرواية بسياق تركستان خلال النصف الأول من القرن العشرين، ولا سيما بما يحيل إلى مرحلة مضطربة بين ثلاثينيات وخمسينيات ذلك القرن، يمكن القول إن النص يتحرك داخل زمن مأزوم لا يسمح للهوية بأن تبقى في حالة حياد أو طمأنينة، فالهوية هنا لا تظهر بوصفها ميراثًا مستقرًا ينتقل آليًا من جيل إلى آخر، بل بوصفها وعيًا يتكون تحت الضغط، ويتصلب كلما اشتدت محاولات الاقتلاع، ولذلك، يغدو الزمن التاريخي في الرواية زمن امتحان، فيه تُختبر قدرة الجماعة على مقاومة التفكك، وفيه تتحول الرموز الدينية والثقافية إلى أدوات صمود داخلي. (نجيب الكيلاني، 1434هـ / 2013م، الصفحات 5-6)

غير أن استحضار السياق التاريخي لا ينبغي أن يزحزح الرواية عن طبيعتها الفنية، فثمة بون دقيق بين أن نقرأ التاريخ داخل الرواية، وأن نحاكم الرواية كما لو كانت أرشيفًا تاريخيًا، الأولى قراءة تأويلية منتجة، والثانية تقليص لأدبية النص، ومن هذا المنطلق، لا يكون المطلوب تتبع الوقائع الخارجية في ذاتها، بل مساءلة الطريقة التي أعاد بها المتخيل السردي بناء تلك الوقائع داخل شبكة من الشخصيات، والمواقف، والأمكنة، والرموز،

فالتاريخ، وهو يدخل الرواية، يفقد صلابته الوثائقية الأولى، ليصبح مادة دلالية قابلة لإنتاج المعنى. (د. سامي الوافي، 2016، الصفحات 41-44)

يتجلى البعد الحضاري في ليالي تركستان من خلال صراع بين نسق يحافظ على الدين واللغة والثقافة، ونسق آخر يسعى إلى التفكيك والإخضاع، ولا يقتصر هذا الصراع على جانبه الخارجي، بل يمتد إلى وعي الشخصيات وإحساسها بالانتماء والاستمرار، لذلك، يصبح تهديد الدين، أو اللغة، أو الذاكرة، أو المكان تهديدًا لبنية الهوية كلها، فيتحول الصراع من مستوى سياسي إلى مستوى حضاري.

ومن اللافت أن الرواية تجعل هذا البعد الحضاري متصلًا بتجربة الإنسان، لا بالمقولات المجردة، فالشخصية الروائية لا تعيش الصراع بوصفه خطابًا فكريًا عامًا، بل بوصفه خوفًا، وحصارًا، وحنينًا، ومقاومة، وتمسكًا بما يمنح الوجود معنى، وهنا، تخرج الهوية من نطاق التعريف النظري إلى نطاق التجربة المعيشة، إنها لا تُقال فقط، بل تُعاش داخل الحدث، وتنكشف في لحظات الاختيار، وتبرز حين يجد الفرد نفسه بين الانصياع لما يراد فرضه عليه، أو الوفاء لذاكرة الجماعة التي ينتمي إليها. (د. خالد محجوب، 2021، الصفحات 498-500)

يمنح السياق التاريخي والحضاري رواية ليالي تركستان طابعًا تكثيفيًا، إذ يتجاوز الحدث الفردي حدوده ليحيل إلى مصير جماعي أوسع، كما يتحول المكان والصراع داخل الرواية إلى علامات على الذاكرة والحق في حفظ الهوية، وبذلك، لا تكتفي الرواية بتصوير الألم، بل تجعل منه طريقًا لتشكل وعي الجماعة بذاتها.

ومن هذه الزاوية، يصبح التكامل المعرفي ضرورة في قراءة هذا السياق، فالأداة الأدبية تكشف طرائق بناء الحدث والشخصية والفضاء، والأداة التاريخية تساعد على فهم الخلفية التي تستند إليها الحكاية، والأداة الثقافية تميط اللثام عن الرموز المؤسسة للانتماء، بينما تمنح المقاربة التأويلية هذه العناصر قدرة على الاندراج ضمن معنى جامع، أما الفصل الحاد بين هذه المستويات، فينتج قراءة مبتورة، لأنها إما أن تختزل الرواية في جمالياتها الداخلية، أو تذيبها في سياق خارجي يفقدها خصوصيتها السردية. (د. عبد الباسط طلحة، 2018، الصفحات 103-104)

ويقين القول هنا أن السياق التاريخي والحضاري في ليالي تركستان لا يعمل بوصفه إطارًا مساعدًا فقط، بل بوصفه مولدًا أساسيًا لسؤال الهوية. فالجماعة لا تكتشف هشاشة وجودها إلا حين تواجه ما يهدد هذا

الوجود، ولا تدرك قيمة رموزها إلا حين تصير تلك الرموز معرضة للطمس. ومن ثمّ، فإن الرواية تبني دلالتها المركزية على هذا التوتر: كلما اشتد ضغط التاريخ، ازداد حضور الهوية، وكلما تصاعد فعل المحو، تحولت الذاكرة إلى شكل من أشكال المقاومة.

وعليه، فإن السياق في هذه الرواية ليس عنصرًا خارجيًا يُستدعى لتفسير النص من خارجه، بل مكوّن بنائي يسهم في إنتاج دلالته من الداخل، فمن خلاله، تتحدد طبيعة الصراع، وتتضح وظيفة المكان، وتتبلور علاقة الشخصيات بجماعتها، وينفتح النص على أفق حضاري يجعل الهوية الثقافية سؤالًا يتجاوز حدود الحكاية إلى معنى الوجود الجماعي ذاته، ومن هنا، يغدو الانتقال إلى المكان الروائي، في المطلب اللاحق، انتقالًا طبيعيًا، لأن المكان هو المجال الذي تتجسد فيه آثار هذا التاريخ، وتترسب داخله علامات الذاكرة والانتماء والمقاومة. (د. عبد الباسط طلحة، 2018، الصفحات 191-194)

3. المكان الروائي بوصفه حاملًا للهوية

لا ينهض المكان في رواية ليالي تركستان بوظيفة تأثيثية محايدة، ولا يرد باعتباره خلفية وصفية تتحرك داخلها الشخصيات فحسب، بل يتشكل بوصفه بنية دلالية عميقة تتقاطع فيها الجغرافيا بالذاكرة، ويتداخل فيها الانتماء بالمحنة، وتنكشف من خلالها علاقة الجماعة بذاتها وبالعالم الذي يضغط على وجودها، فالمكان، في هذا النص، لا يُقرأ من خارجه، إذ لا يحضر باعتباره اسمًا جغرافيًا منفصلًا عن التجربة، وإنما بوصفه مستودعًا رمزيًا لما راكمته الجماعة من دين، ولغة، وتاريخ، وعادات، وصور وجدانية عن الذات، ولهذا، فإن تركستان في الرواية ليست رقعة أرض فحسب، بل هي هوية مجسدة. (د. عبد الباسط طلحة، 2018، الصفحات 191-194)

ومن هذا المنظور، يصبح التعامل مع المكان الروائي مدخلًا حاسمًا لفهم تشكل الهوية الثقافية داخل النص، فكلما بدا المكان مهددًا، أو محاصرًا، أو معرضًا للمحو، انكشفت هشاشة الوجود الجماعي، لا لأن الجماعة تفقد فضاءها المادي فقط، بل لأنها تفقد معه شبكة المعاني التي تحفظ لها الإحساس بالاستمرار، فالأرض هنا ليست معطى طبيعيًا صامتًا، وإنما وعاء للذاكرة، ومجال لتوارث الرموز، ومرجع خفي تتشكل من خلاله صورة الإنسان عن نفسه وعن جماعته، وعند هذه النقطة تحديدًا، يغدو الدفاع عن المكان دفاعًا عن المعنى، لا عن الجغرافيا وحدها. (د. معجب العدواني، 1434هـ-2013م، صفحة 6)

تُقرأ تركستان في الرواية بوصفها فضاءً مركبًا يجمع بين البعد الواقعي والرمزي، فهي مسرح للأحداث، وعلامة على الانتماء المهدد، ولا يظل المكان عنصرًا وصفيًا محايدًا، بل يتحول إلى بنية تأويلية تكشف علاقة الجماعة بذاكرتها وهويتها، لذلك، تغدو البيوت، والقرى، والمساجد، والطرق، ومواضع الحصار رموزًا دالة على الألفة، والجماعة، والتماسك الروحي، والخطر، والهيمنة.

ولا تقف دلالة المكان عند حدود الحضور العاطفي أو الحنين إلى الأرض، بل تتجاوز ذلك إلى كشف طبيعة الصراع الذي تنهض عليه الرواية، فحين يتحول المكان إلى فضاء مراقبة، أو خوف، أو تضييق، فإن النص يميط اللثام عن آلية من آليات السيطرة، إذ لا تكتفي قوى الهيمنة بالضغط على الأفراد، بل تسعى إلى إعادة تشكيل المجال الذي ينتجون داخله ذاكرتهم ورموزهم وعلاقاتهم، وبذلك، تصبح السيطرة على المكان مدخلًا للسيطرة على الوعي، لأن الجماعة التي تُنتزع من فضائها، أو يُعاد ترتيب فضائها ضد ذاكرتها، تُدفع تدريجيًا إلى فقدان بعض شروط تماسكها الثقافي. (د. ابتسام بوطي، الصفحات 18-20)

غير أن الرواية لا تجعل المكان مجالًا للانكسار وحده، وهذا هو الأهم، فالمكان، وإن بدا محاصرًا في بعض تمظهراته، يستعيد داخل الوعي الروائي طاقته الرمزية من خلال التذكر، والحنين، والتمسك، واستدعاء الماضي الجماعي، فالشخصيات لا ترتبط بالمكان بوصفه موضع إقامة عابرًا، بل بوصفه ذاكرة حية تستبطن معنى الأصل، وتمنح الانتماء صورته الحسية، ومن هنا، يغدو المكان أحد أشكال المقاومة الصامتة، لأن بقاءه في الذاكرة، حتى حين يتعرض للتشويه أو المصادرة، يعني أن الهوية لم تُقتلع من جذورها الأخيرة. (د. عبد الدايم سلامي، 2015، الصفحات 103-104)

تمنح رواية ليالي تركستان المكان وظيفة مزدوجة، فهو مجال يكشف التهديد التاريخي، وفي الوقت نفسه خزان رمزي للمقاومة، ومن خلال علاقة الشخصيات بالمكان، تستعيد الجماعة صورتها عن ذاتها ووعيها بانتمائها، لذلك، لا يظهر الانتماء عبر التصريح المباشر فقط، بل عبر الخوف على المكان، والإحساس بأن ضياعه يعني ضياع جزء من المعنى الوجودي.

ومن اللافت أن المكان الروائي، بهذا التصور، لا ينفصل عن الزمن التاريخي الذي سبقت الإشارة إليه في المطلب الثاني، إذ إن التاريخ يضغط على المكان، والمكان يحتفظ بآثار التاريخ، فالجغرافيا لا تبقى بريئة حين تمر بها المحن الكبرى، بل تصير محمّلة بالندوب والذكريات والرموز، ولذلك، فإن قراءة تركستان داخل الرواية

تستوجب الانتباه إلى هذا التداخل بين المكان والزمن، فالمكان ليس ساكنًا، والزمن ليس مجرد تعاقب للأحداث، وإنما يشتركان معًا في بناء الوعي الهوياتي الذي ينتج النص دلالته من خلاله. (إيمان بوصلاح وهيام قروف، 2022، الصفحات 44-46)

يُحوّل المكان في رواية ليالي تركستان الهوية من معنى نظري مجرد إلى صورة سردية محسوسة، فالأرض والبيوت والمعالم الدينية والثقافية تمنح الانتماء شكلًا مرئيًا داخل النص، ومن ثمّ، يصبح تهديد المكان تهديدًا للذاكرة والامتداد التاريخي للجماعة، لا لحاضرها وحده.

ومن ثمّ، فإن المكان في ليالي تركستان لا يمكن عزله عن سؤال الهوية الثقافية، لأنه أحد أعمدتها السردية الكبرى، فمن خلاله، تتحدد علاقة الإنسان بالأرض، وعلاقة الجماعة بذاكرتها، وعلاقة الماضي بالحاضر، وعلاقة الانتماء بالمقاومة، وإذا كان المبحث الأول قد بيّن أن الهوية الثقافية لا تُقرأ بوصفها جوهرًا ثابتًا، فإن هذا المطلب يكشف كيف تتجسد تلك الهوية داخل المكان الروائي، بوصفه مجالًا حيًا تتصارع فيه قوى المحو والاستبقاء. (حامدي، سامية، 2022، الصفحات 270-272)

وعليه، يغدو المكان في الرواية أكثر من عنصر فني داخل البناء السردي، إنه نقطة التقاء بين الأدبي والتاريخي والحضاري، فالأدبي يمنحه صورته التخييلية، والتاريخي يحمّله آثار المحنة، والحضاري يجعله علامة على بقاء الجماعة أو تهديدها، ومن هذا التداخل، تتأكد جدوى القراءة التكاملية التي لا تكتفي بوصف المكان، بل تسائله بوصفه حاملًا للهوية ومولدًا للمعنى، وبذلك، يمهّد هذا المطلب للانتقال إلى المبحث الثالث، حيث سيتم تحليل تمثلات الهوية الثقافية في الرواية عبر مستويات أكثر تحديدًا، الهوية الدينية، والهوية اللغوية والثقافية، والهوية بين المقاومة والتهديد.

ثالثا: تمثلات الهوية الثقافية في رواية ليالي تركستان

ينتقل المبحث الثالث من التمهيد السياقي إلى التحليل التطبيقي لتمثلات الهوية الثقافية داخل رواية ليالي تركستان، فالهوية لا تُفرض على النص من خارجه، بل تتشكل سرديًا عبر الدين، واللغة، والذاكرة، والمكان، والشخصيات، والصراع، ومن ثمّ، يدرس هذا المبحث الهوية الدينية، والهوية اللغوية والثقافية، ثم جدلية الهوية بين المقاومة والتهديد.

1. الهوية الدينية ودورها في بناء الانتماء

في رواية ليالي تركستان، لا تحضر الهوية الدينية باعتبارها عنصرًا وعظيًا خارجيًا، أو خطابًا تقريريًا منفصلًا عن البناء السردي، بل تتشكل بوصفها أحد الأعمدة العميقة التي تحفظ للجماعة تماسكها الداخلي في لحظة التهديد، فالدين، داخل هذا المتن الروائي، لا يُقرأ من زاوية الشعائر وحدها، وإنما من زاوية وظيفته الرمزية والحضارية في بناء الإحساس بالانتماء، وترميم الوعي الجماعي حين يتعرض للضغط، وتحويل الذاكرة إلى قوة مقاومة، لا إلى مجرد استحضار للماضي. (د. عبد الرشيد هميسي ود. مصطفى حنانشة، 2020، الصفحات 304-306)

يتجاوز الانتماء الديني في رواية ليالي تركستان حدود العلاقة الفردية بالمعتقد، ليغدو رابطة جامعة بين الفرد والجماعة، فالدين يمنح الشخصيات قدرة على تفسير المحنة، ومواجهة الخوف والعزلة بمعنى داخلي متماسك، وبذلك، يتحول من اعتقاد شخصي إلى بنية هوياتية تحفظ الذاكرة، وتدعم الصمود.

وهذا أمر حاسم، لأن الهوية الدينية، في مثل هذا السياق السردي، لا تظهر في لحظات الاطمئنان، بل في لحظات الخطر، فحين تكون الجماعة مهددة في رموزها ومكانها وذاكرتها، يغدو الدين أحد آخر الملاجئ الرمزية التي تمنع تفككها الداخلي، إنه يضبط إيقاع الانتماء، ويمنح الوجود الجماعي معنى يتجاوز حدود الهزيمة الآنية، ومن هنا، لا تبدو المحافظة على الدين مجرد وفاء للموروث، بل فعلًا تأويليًا تعيد من خلاله الجماعة قراءة ذاتها وموقعها من الصراع. (بوالزرد أسماء، 2023، الصفحات 237-238)

ولا ينبغي، في هذا الموضع، اختزال الحضور الديني في الرواية ضمن ثنائية بسيطة بين الإيمان والاضطهاد، فالأعمق من ذلك أن النص يجعل الدين مجالًا لإنتاج الوعي، فالشخصيات لا تستعيد هويتها الدينية بوصفها علامة جامدة، وإنما بوصفها طاقة داخلية تساعدها على مقاومة محاولات التفريغ الثقافي، وكلما سعت قوى الهيمنة إلى كسر الروابط الجماعية، ازداد حضور الدين بوصفه رابطًا يتجاوز الفرد إلى الجماعة، ويتجاوز اللحظة إلى الذاكرة الممتدة.

ومن زاوية تأويلية، يمكن القول إن الهوية الدينية داخل الرواية تشتغل على مستويين متداخلين، يتمثل المستوى الأول في الانتماء، حيث يمنح الدين الشخصيات إحساسًا بالامتداد داخل جماعة لها تاريخ ورموز وقيم، أما المستوى الثاني، فيتمثل في المقاومة، حيث يتحول الدين إلى قوة رمزية تواجه محاولات المحو، لا بالقوة

المادية وحدها، بل بإبقاء المعنى حيًا داخل الذات الجماعية، وبين هذين المستويين، تتشكل الهوية الدينية بوصفها ذاكرة ووعيًا وموقفًا. (أخاطو، خولة، 2026، الصفحات 456-458)

ومن اللافت أن هذه الهوية لا تنفصل عن بقية مكونات الهوية الثقافية، فهي تتداخل مع اللغة، والعادات، والمكان، وصورة الجماعة عن ذاتها، فالدين في الرواية لا يتحرك في فراغ، بل يتموضع داخل ثقافة كاملة، ويمنحها عمقها الرمزي، ولهذا، فإن تهديد الدين لا يعني تهديد جانب منفصل من حياة الجماعة، بل يعني زحزحة أحد المراكز التي تنتظم حولها الذاكرة واللغة والانتماء، وعند هذه النقطة، يصبح الدفاع عن الهوية الدينية دفاعًا عن البنية الثقافية برمتها.

وتكشف الرواية، من خلال هذا التداخل، أن الانتماء لا يُبنى بالعناصر المادية وحدها، وإنما يحتاج إلى أفق رمزي يمنحه التماسك، فالجماعة قد تفقد الأمن، وقد يضيق عليها المكان، وقد تتعرض ذاكرتها لمحاولات التشويه، غير أن بقاء المرجعية الدينية فاعلة في وعيها يمنحها قدرة على استعادة ذاتها، ولا يعني ذلك أن الدين يلغي الألم، بل يعني أنه يمنع الألم من التحول إلى محو كامل للمعنى. (د. باسم يونس البديرات و د. حسين محمد البطاينة، 2022، الصفحات 37-39)

يوظف نجيب الكيلاني الهوية الدينية في ليالي تركستان بوصفها مدخلًا لفهم المصير الثقافي للجماعة، لا مجرد خطاب مباشر أو عنصر إضافي، فالدين يتداخل مع الانتماء والذاكرة، ويمنح الشخصيات سندًا رمزيًا في مواجهة التهديد والنسيان، ومن ثمّ، تستدعي الرواية قراءة تكاملية تربط الديني بالثقافي، والروحي بالتاريخي، دون اختزال الإيمان في بعد فردي ضيق.

وعليه، فإن الهوية الدينية في الرواية تؤدي وظيفة تأسيسية في بناء الانتماء، فهي تمنح الجماعة صورتها عن ذاتها، وتحفظ لها صلتها بماضيها، وتفتح أمامها إمكانية الصمود حين تتعرض عناصر وجودها الأخرى للاهتزاز، ومن هنا، يغدو الانتقال إلى الهوية اللغوية والثقافية انتقالًا طبيعيًا، لأن الدين، في النص، لا يكتمل حضوره إلا ضمن شبكة أوسع من اللغة، والعادات، والرموز التي تصوغ ملامح الجماعة، وتمنحها خصوصيتها. (إيمان بوصلاح وهيام قروف، 2022، الصفحات 117-118)

2. الهوية اللغوية والثقافية

انطلاقًا مما انتهى إليه المطلب السابق، من كون الهوية الدينية تؤسس أحد مراكز الانتماء داخل رواية ليالي تركستان، يغدو من المتعين توسيع زاوية النظر نحو الهوية اللغوية والثقافية، لا باعتبارها امتدادًا ثانويًا للدين، بل بوصفها المجال الذي تتجسد فيه الذاكرة الجماعية في حياتها اليومية، وعبره تكتسب الجماعة قدرتها على تسمية ذاتها، وتمييز رموزها، وحفظ صورتها عن العالم، فالهوية، مثلما جرى تأسيسه في الإطار المفاهيمي، لا تُقرأ كجوهر ساكن، وإنما كبناء تمثيلي يتشكل عبر اللغة، والمكان، والذاكرة، والرمز، والممارسة الثقافية. (الشريف كرمة، 2006، الصفحات 41-43.)

ليست اللغة في الرواية أداة تواصل بريئة، بل هي علامة انتماء، فحين تُطرح الهوية اللغوية داخل نص مشدود إلى المحنة التاريخية والصراع الحضاري، فإنها لا تحيل إلى اللسان في مستواه التعبيري فحسب، بل إلى ما يختزنه هذا اللسان من ذاكرة، وما يحمله من أثر الجماعة، وما يمثله من قدرة على مقاومة الذوبان، فاللغة، بهذا المعنى، ليست مجرد وسيلة تنقل بها الشخصيات أفكارها، وإنما هي الحيز الرمزي الذي تحتفظ فيه الجماعة باسمها الداخلي، ونظامها القيمي، وطريقتها في إدراك ذاتها، ومن ثمّ، فإن أي تهديد يطال اللغة لا يقف عند حدود التعبير، بل يمتد إلى البنية العميقة للانتماء.

وتأسيسًا على هذا المعطى، يمكن قراءة الهوية اللغوية في ليالي تركستان بوصفها أحد مداخل مقاومة المحو الثقافي، فالجماعة التي تتعرض للضغط لا تدافع عن أرضها ودينها فحسب، بل تدافع أيضًا عن حقها في أن تتكلم بلغتها، وأن تستبقي أسماءها، وأن تصون ذاكرتها داخل الكلمات التي ورثتها، إن اللغة هنا لا تنفصل عن الكينونة، لأن فقدانها يعني، في أحد مستوياته الأعمق، فقدان القدرة على رواية الذات من داخلها، وحين تفقد الجماعة لغتها، أو تُدفع إلى التنازل عنها، فإنها لا تخسر أداة من أدوات التواصل فقط، بل تخسر جزءًا من مرآتها الثقافية. (إيمان بوصلاح وهيام قروف، 2022، الصفحات 109-112)

لا تعرض الرواية الهوية اللغوية عرضًا مباشرًا، بل تجعلها مندمجة في شبكة ثقافية أوسع تضم الرموز والعادات والذاكرة والقيم. فالثقافة داخل النص ليست خلفية اجتماعية عابرة، وإنما نظام يمنح الجماعة تماسكها الداخلي وصورتها عن ذاتها.

ومن ثمّ، تصبح طرائق العيش، والعلاقات الأسرية، والحنين، والذاكرة الجمعية علامات قابلة للتأويل في فهم الهوية المهددة، وهنا يبرز وجه دقيق في الرواية، فالثقافة لا تبدو قوية لأنها مستقرة فحسب، بل لأنها قادرة على البقاء وهي مهددة، إن قيمتها السردية لا تتضح حين تكون الجماعة في وضعية اطمئنان، وإنما حين تجد نفسها أمام قوى تسعى إلى إعادة صياغة وعيها، وقطع صلتها بميراثها الرمزي، وعند هذه اللحظة، تتحول الثقافة إلى فعل صمود، لا بمعناه القتالي المباشر فقط، بل بمعناه الرمزي الهادئ، أن تحتفظ الجماعة بعاداتها، وأن تستدعي ذاكرتها، وأن تصون أسماءها، وأن تقاوم تحويلها إلى كيان بلا ملامح. (أبو الحسن، أماني أحمد دخيل الله، 2022، صفحة 453)

ومن هذه الزاوية، تتكامل الهوية اللغوية مع الهوية الدينية في بناء الانتماء داخل الرواية، فالدين يمنح الجماعة أفقها الروحي والحضاري، بينما تمنحها اللغة والثقافة صورتها اليومية المحسوسة، ولا يمكن الفصل الحاد بين هذه العناصر دون الإضرار بدلالة النص، لأن الرواية تجعلها متداخلة داخل التجربة نفسها، فالشخصية التي تتمسك بدينها تتمسك، في الآن ذاته، بذاكرة ثقافية ولغوية تمنح ذلك الدين امتداده الاجتماعي والتاريخي، والشخصية التي تخاف على ثقافتها لا تخاف على عادات معزولة، بل على منظومة كاملة من المعاني التي تحفظ للجماعة وحدتها.

ويقين القول هنا أن الهوية الثقافية في ليالي تركستان لا تُبنى من خلال الخطاب المباشر وحده، وإنما عبر التفاصيل التي قد تبدو، في ظاهرها، هامشية، مثل طريقة التعلق بالمكان، وحضور الجماعة في الذاكرة، والإحساس بالخطر حين تتعرض الرموز للطمس، واستعادة الماضي بوصفه سندًا في مواجهة التهديد، فهذه التفاصيل هي التي تمنح الهوية كثافتها الروائية، لأنها تنقلها من مستوى المفهوم إلى مستوى التجربة، ومن مستوى الشعار إلى مستوى العيش اليومي. (شتيح، بن يوسف، 2010، الصفحات 499-515)

ولا ينبغي أن تُفهم الثقافة هنا باعتبارها بنية مغلقة ترفض الحركة أو التحول، فالرواية لا تدافع عن هوية متحجرة، وإنما تكشف عن هوية مهددة في حقها الأول، وهو حق البقاء، وهذا فرق حاسم، فالتمسك باللغة والثقافة لا يظهر داخل النص بوصفه انغلاقًا على الذات، بل بوصفه مقاومة لمحاولة اقتلاع الذات من جذورها، إن الجماعة لا ترفض الآخر لمجرد كونه آخر، وإنما تواجهه حين يتحول إلى قوة طمس وإلغاء وإكراه، ومن ثمّ، فإن الصراع الثقافي في الرواية ليس صراعًا مع الاختلاف، بل مع الهيمنة.

وتتضح فاعلية المقاربة التأويلية في هذا الموضع تحديدًا، لأنها لا تكتفي بملاحظة حضور اللغة والثقافة، بل تسائل وظيفتهما داخل البناء السردي، فاللغة تكشف عن موقع الجماعة من ذاتها، والثقافة تكشف عن طرائق مقاومة التلاشي، والذاكرة تمنح الاثنين عمقًا زمنيًا يحول الانتماء من إحساس عابر إلى وعي تاريخي، ومن خلال هذا التداخل، يتبين أن الهوية اللغوية والثقافية لا تمثل مستوى منفصلًا عن الصراع، بل تدخل في صميمه، لأن السيطرة على الإنسان تمر، في أحد وجوهها الأشد خطورة، عبر السيطرة على لغته ورموزه وذاكرته. (حامدي، سامية، 2022، الصفحات 268-277)

وعليه، فإن رواية ليالي تركستان تجعل من اللغة والثقافة مجالين لتجسد الهوية الثقافية في بعدها الحي، فاللغة تحفظ اسم الجماعة وذاكرتها، والثقافة تحفظ صورتها عن ذاتها، بينما يمنح السرد هذين البعدين قدرة على الانكشاف داخل التجربة الروائية، ومن هنا، يغدو الانتقال إلى المطلب الثالث انتقالًا لازمًا، إذ لا تكتمل صورة الهوية إلا حين نراها في لحظة المواجهة، أي حين تنتقل من الانتماء والتمثل إلى المقاومة أمام التهديد.

3. الهوية بين المقاومة والتهديد

تأسيسًا على ما سبق بيانه في المطلبين السابقين، لا تظهر الهوية الثقافية في رواية *ليالي تركستان* بوصفها بنية مطمئنة إلى ذاتها، ولا باعتبارها رصيدًا رمزيًا ساكنًا تستحضره الشخصيات عند الحاجة، بل تنكشف في وضعية اختبار حاد، حيث تتقابل إرادة البقاء مع آليات المحو، ويتحوّل الانتماء من معطى موروث إلى موقف تتحدد من خلاله علاقة الجماعة بذاتها وبالآخر، ومن هذه الزاوية، فإن الرواية لا تكتفي بتصوير الهوية في عناصرها الدينية واللغوية والثقافية، وإنما تضع هذه العناصر داخل مجال صراعي يجعلها قابلة للتهديد من جهة، وقادرة على المقاومة من جهة ثانية. (حامدي، سامية، 2022، الصفحات 268-277)

وهنا، يتعين الانتباه إلى أن التهديد، في هذا النص، لا ينحصر في صورته الخارجية المباشرة، إذ لا يتعلق الأمر بمجرد ضغط سياسي أو تاريخي يطوق الجماعة من الخارج، بل بمنظومة أعمق تستهدف إعادة تشكيل وعيها، وخلخلة صلتها برموزها، وإضعاف ثقتها بذاكرتها، فالخطر الأشد ليس أن تُهزم الجماعة في واقعة عابرة، بل أن تُدفع إلى نسيان ذاتها، وأن تُجرّد من القدرة على تسمية ألمها، وأن تفقد اللغة الرمزية التي ترى بها العالم.

ذلك هو جوهر المحنة، فالهوية، حين تكون مهددة، لا تواجه قوة مادية فحسب، بل تواجه محاولة لانتزاع المعنى من داخلها، ومن ثمّ، فإن تهديد الدين، أو اللغة، أو المكان، أو الذاكرة لا يشتغل داخل الرواية بوصفه عناصر منفصلة، وإنما بوصفه حلقات متشابكة في مشروع واحد، هو زحزحة الجماعة عن مركزها الثقافي والحضاري، فإذا ضعفت الذاكرة، اهتز الانتماء، وإذا ضاق المكان، اختنقت رموز الجماعة، وإذا تراجعت اللغة، تآكلت قدرة الذات على التعبير عن خصوصيتها. (حامدي، سامية، 2022، صفحة 273)

في مقابل هذا التهديد، تنهض المقاومة داخل الرواية، لا باعتبارها فعلًا صداميًا مباشرًا في كل موضع، بل بوصفها طاقة رمزية تتجلى في التمسك بما يراد محوه، فالمقاومة قد تظهر في التشبث بالدين، وقد تتجلى في استبقاء الذاكرة، وقد تنبثق من علاقة الشخصيات بالمكان، وقد تتخذ صورة صمت داخلي يرفض الانكسار، إنها مقاومة لا تبدأ دائمًا من السلاح أو المواجهة المعلنة، بل من الإصرار على بقاء المعنى حيًا في الوعي.

وتتبدى براعة الرواية في أنها لا تجعل المقاومة خطابًا جاهزًا، بل تجربة تتشكل عبر الألم، فالشخصية لا تولد مقاومة منذ اللحظة الأولى، وإنما تصير كذلك حين تدرك أن ما يتهددها أوسع من مصيرها الفردي، وعند هذه النقطة، يتحول الخوف إلى وعي، ويتحول الانكسار إلى سؤال، ويتحول التعلق بالرموز إلى فعل دفاعي عن الذات الجماعية، ومن ثمّ، فإن المقاومة في ليالي تركستان ليست رد فعل عابرًا، بل سيرورة داخلية يعاد من خلالها بناء الانتماء. (بن سعيد، شيماء، 2019، الصفحات 39-40)

ولذلك، لا ينبغي قراءة ثنائية المقاومة والتهديد قراءة تبسيطية تقابل بين طرف قوي وطرف ضعيف فحسب، فالأعمق أن الرواية تكشف عن صراع بين مشروعين للمعنى، مشروع يسعى إلى تفريغ الجماعة من مقوماتها، ومشروع آخر يحاول استبقاء هذه المقومات داخل الذاكرة، والسلوك، والوعي، وبين المشروعين، تتحرك الهوية الثقافية بوصفها بنية قابلة للجرح، لكنها غير قابلة للزوال ما دامت قادرة على إنتاج دلالتها من جديد.

ومن اللافت أن التهديد، بدل أن يفضي إلى تلاشي الهوية، يسهم، في كثير من المواضع، في كشف جوهرها، فالهوية لا تعلن عن نفسها بقوتها الرمزية إلا حين تُدفع إلى حافة الفقد، فما كان مألوفًا في زمن الاستقرار يغدو ثمينًا في زمن الخطر، مثل اللغة، والدين، والبيت، والذاكرة، والجماعة، والارتباط بالأرض، وتلك مفارقة

سردية دقيقة، إذ تجعل الرواية من المحنة أداة لكشف ما كان مستترًا في بنية الانتماء. (مباركي، هاجر، ومحمد سعيدي، 2022، الصفحات 139-140)

وتأسيسًا على هذا المعطى، يمكن القول إن الهوية في الرواية تنتقل من مستوى الانتماء الطبيعي إلى مستوى الانتماء الواعي، فالانتماء الطبيعي يقوم على الوراثة، والألفة، والعيش داخل الجماعة، أما الانتماء الواعي، فيتشكل حين تُجبر الذات على الدفاع عن مقوماتها أمام فعل المحو، وهنا تحديدًا، تتجاوز الهوية حدود العادة، لتغدو اختيارًا وموقفًا وذاكرة مقاومة، وهذا الانتقال يمنح الرواية بعدها التأويلي العميق.

ولا تنفصل المقاومة، في هذا السياق، عن البعد الثقافي للهوية، فالجماعة لا تقاوم لأنها تملك قوة مادية مكافئة بالضرورة، بل لأنها تملك رصيدًا رمزيًا يمنحها القدرة على الصمود، يتمثل في ذاكرة متجذرة، ودين يؤسس المعنى، ولغة تحفظ الخصوصية، ومكان يستدعي الإحساس بالأصل، ومن خلال هذا الرصيد، ترفض الجماعة أن تتحول إلى كيان بلا ملامح، أو إلى وجود مقطوع عن تاريخه. (عوار، سمية، وصونية عيش، 2018، صفحة 47)

ويقين القول هنا أن رواية ليالي تركستان تجعل من التهديد شرطًا لانكشاف الهوية، ومن المقاومة شرطًا لاستمرارها، فالهوية لا تبدو داخل النص تكوينًا مكتملًا سابقًا على الصراع، بل بناءً يتجدد في قلب الصراع ذاته، وكلما تعرضت رموز الجماعة للضغط، ازدادت الحاجة إلى استعادتها، وتأويلها، وإعادة تثبيتها في الوعي، وبذلك، تتحول المقاومة من حدث داخل الحكاية إلى منطق دلالي يحكم بنية الرواية.

وعليه، فإن الهوية الثقافية في ليالي تركستان لا تُفهم إلا داخل هذه الجدلية الحادة بين المحو والاستبقاء، وبين الخوف والذاكرة، وبين الهيمنة والانتماء، فهي هوية مهددة، نعم، لكنها ليست منطفئة، مجروحة، لكنها قادرة على إنتاج المعنى، ومحاصرة، لكنها لا تتنازل عن حقها في البقاء، ومن هنا، يمهد هذا المطلب للانتقال إلى المبحث الرابع، حيث سيجري تعميق النظر في كيفية اشتغال التكامل المعرفي على تأويل هذه الهوية، من خلال تداخل الأدبي والتاريخي، والديني والثقافي، وصولًا إلى القراءة الحضارية للرواية. (أخاطو، خولة، 2026، الصفحات 453-454)

رابعا: التكامل المعرفي في تأويل الهوية داخل رواية ليالي تركستان

بعد تحليل تمثلات الهوية الدينية واللغوية والثقافية في رواية ليالي تركستان، لا يبقى التكامل المعرفي مجرد مفهوم نظري جرى ضبطه في بداية المداخلة، بل يتحول إلى أداة كاشفة تسمح بقراءة النص في تعدد مستوياته، فالرواية لا تمنح دلالتها كاملة حين تُقرأ من زاوية أدبية مغلقة، كما لا تستقيم قراءتها إذا اختُزلت في بعدها التاريخي أو الحضاري وحده، إن قوتها تكمن في هذا التداخل الدقيق بين السرد والتاريخ، وبين الدين والثقافة، وبين المكان والذاكرة، وبين التجربة الفردية والمصير الجماعي.

ومن هذه الزاوية، يغدو التكامل المعرفي ضرورة تأويلية يفرضها النص ذاته، لأن الهوية في الرواية لا تظهر عنصرًا منفصلًا، بل بنية مركبة تتشكل عبر شبكة من العلامات المتداخلة، فالشخصية لا تُقرأ إلا في علاقتها بالتاريخ، والمكان لا يكتسب دلالته إلا حين يُربط بالذاكرة، والدين لا يؤدي وظيفته الهوياتية إلا ضمن نسق ثقافي وحضاري أوسع، وهنا تحديدًا، تتبدى قيمة القراءة التكاملية، إذ إنها لا تجمع المعارف جمعًا خارجيًا، بل تجعلها تتساند لكشف المعنى العميق للرواية.

1. تداخل الأدبي والتاريخي في بناء الدلالة

في رواية ليالي تركستان، لا ينفصل الأدبي عن التاريخي، لأن الحدث السردي يتحرك داخل ذاكرة مثقلة بالصراع والتهديد ومحاولات المحو، غير أن حضور التاريخ داخل الرواية لا يعني أن النص يتحول إلى وثيقة تسجيلية، فالرواية لا تعيد إنتاج الواقعة كما هي، بل تعيد تشكيلها فنيًا من خلال الشخصيات، والحدث، والمكان، والرمز، وهذا التحويل هو الذي يمنح التاريخ قيمته الجمالية والتأويلية داخل النص.

فالأدب هنا لا يروي التاريخ فقط، بل يعيد مساءلته من جهة أثره في الإنسان والجماعة، إن الوقائع لا تكتسب معناها من حدوثها المجرد، وإنما من الطريقة التي تنعكس بها على وعي الشخصيات، ومن قدرتها على كشف هشاشة الهوية حين تتعرض للتهديد، ومن ثمّ، فإن الحدث التاريخي يغدو، داخل الرواية، علامة على امتحان أعمق، هو امتحان الانتماء، والذاكرة، والقدرة على البقاء. (الخضراوي، إدريس.، 2020، الصفحات 79-100)

وتأسيسًا على هذا المعطى، فإن القراءة الأدبية وحدها قد تقف عند حدود البناء الفني، بينما القراءة التاريخية وحدها قد تغفل طرائق التخييل التي تمنح النص خصوصيته، أما القراءة التكاملية، فتسعى إلى الإمساك

بالمنطقة الفاصلة بينهما، حيث يصبح التاريخ مادة سردية، ويصبح السرد وسيلة لتأويل التاريخ، وبذلك، لا يعود الماضي مجرد خلفية، بل يتحول إلى قوة دلالية تسهم في تشكيل الهوية الثقافية داخل الرواية.

2. تداخل الديني والثقافي في تشكيل الوعي الهوياتي

لا يظهر الدين في رواية ليالي تركستان بوصفه عنصرًا معزولًا عن الثقافة، ولا باعتباره مكوّنًا روحيًا منفصلًا عن حركة السرد، بل يتبدى بوصفه مركزًا من مراكز الوعي الجماعي، ورافدًا عميقًا من روافد الانتماء، وسندًا رمزيًا تلجأ إليه الجماعة حين تشتد عليها شروط التهديد والمحو، فالدين، داخل الرواية، لا يتحرك خارج اللغة والذاكرة والمكان والعادات، وإنما يتداخل معها في نسيج واحد، ليشكل نسقًا هوياتيًا متماسكًا يمنح الجماعة صورتها عن ذاتها، ويعيد تثبيت علاقتها بماضيها ومصيرها، ومن ثمّ، لا يكون الحضور الديني مجرد خلفية قيمية للأحداث، بل يتحول إلى طاقة دلالية تسهم في بناء الشخصيات، وتوجيه مواقفها، وإضفاء معنى على صمودها. (كراش، بن خولة، وبوزيان أحمد.، 2024، الصفحات 1-2)

وهنا، تتضح الحاجة إلى التكامل المعرفي بوصفه أداة منهجية لا غنى عنها في قراءة هذا التداخل، فقراءة الدين قراءة وعظية مباشرة تُفقر النص، لأنها تختزل البنية الروائية في خطاب جاهز سابق على السرد، مثلما أن قراءة الثقافة قراءة اجتماعية سطحية تعزلها عن عمقها الروحي والحضاري، وبين هذين الاختزالين، تفرض الرواية قراءة أوسع تنظر إلى الدين والثقافة بوصفهما عنصرين متداخلين داخل التجربة الهوياتية نفسها، فالدين يمنح المعنى، والثقافة تمنح هذا المعنى صورته اليومية المعيشة، والذاكرة تحفظ امتداده عبر الزمن، بينما يجعل المكان هذا الامتداد مرئيًا داخل الفضاء السردي، وهكذا، لا يعود الدين مجرد اعتقاد داخلي، ولا تبقى الثقافة مجرد عادات موروثة، بل يغدوان معًا بنية رمزية تحفظ للجماعة تماسكها في لحظة الانكسار.

ومن ثمّ، فإن الوعي الهوياتي في الرواية لا يتشكل من عنصر واحد، ولا ينبثق من مصدر منفرد، بل يتمخض عن تضافر عناصر متعددة تتساند فيما بينها، مثل الدين، واللغة، والذاكرة، والعادات، والمكان، وصورة الجماعة عن ذاتها، فحين تتمسك الجماعة بدينها، فهي لا تدافع عن معتقد فردي فحسب، بل تدافع عن ذاكرة ثقافية كاملة، وعن منظومة رمزية تمنح وجودها معنى واستمرارية، وحين تصون لغتها، وعاداتها، ورموزها، فهي لا تمارس وفاءً شكليًا للموروث، بل تستبقي شروط وجودها الحضاري، وتقاوم تحويلها إلى جماعة بلا ملامح، وعند هذه النقطة تحديدًا، يصبح التداخل بين الديني والثقافي أحد مفاتيح فهم الهوية في النص،

لأن الرواية لا تفصل بين الإيمان والانتماء، ولا بين الذاكرة والممارسة، ولا بين الثقافة بوصفها عيشًا يوميًا والدين بوصفه أفقًا مانحًا للمعنى. (عوار، سمية، وصونية عيش، 2018، الصفحات 47-48)

3. من القراءة الأدبية إلى القراءة الحضارية

إن الانتقال من القراءة الأدبية إلى القراءة الحضارية في رواية ليالي تركستان لا يعني مغادرة النص، أو تحميله ما لا يحتمل، بل يعني الإنصات إلى ما تنطوي عليه بنيته السردية من أسئلة تتجاوز حدود الحكاية، فالرواية، وهي تصور مأزق جماعة مهددة في دينها، ولغتها، ومكانها، وذاكرتها، تفتح أفقًا حضاريًا يتصل بسؤال البقاء الثقافي في مواجهة المحو.

وليست القراءة الحضارية هنا بديلًا عن القراءة الأدبية، بل ثمرة لها، فالشخصيات، والفضاء، والزمن، والرموز، والصراع، كلها عناصر فنية، غير أنها تفضي، حين تُقرأ في ترابطها، إلى معنى أوسع يتعلق بالمصير الجماعي، وهكذا، يتحول الأدب إلى مجال لتأويل الهوية، لا عبر الخطاب المباشر، بل عبر تخييل المحنة، وتجسيد الانتماء، وكشف التوتر بين الذاكرة والاقتلاع. (صحراوي، فريدة.، 2022، الصفحات 3-5)

ويقين القول هنا أن التكامل المعرفي هو الذي يسمح بهذا العبور المنهجي المنضبط من الأدبي إلى الحضاري، فهو يمنع القراءة من الانغلاق داخل الشكل وحده، كما يمنعها من الذوبان في خطاب تاريخي أو أيديولوجي خارج النص، وبفضله، يمكن فهم ليالي تركستان بوصفها رواية عن الهوية حين تُجرح، وعن الذاكرة حين تقاوم، وعن الجماعة حين تعيد بناء معناها وسط شروط التهديد.

وعليه، فإن المبحث الرابع يؤكد أن التكامل المعرفي ليس إضافة هامشية إلى موضوع المداخلة، بل هو جوهر القراءة ذاتها، فمن خلاله، تنكشف الرواية في تعدد أبعادها، نصًا أدبيًا، وذاكرة تاريخية، وبنية ثقافية، وخطابًا حضاريًا حول الهوية والمقاومة، وبذلك، تكتمل دائرة التحليل، إذ تنتقل المداخلة من ضبط المفاهيم، إلى قراءة السياق، إلى تحليل تمثلات الهوية، ثم إلى تركيب دلالي يبيّن أن ليالي تركستان لا تروي المحنة فحسب، بل تؤوّل معنى الانتماء حين يصبح البقاء نفسه فعلًا ثقافيًا مقاومًا. (برجوح، ثورية.، 2022، الصفحات 261-262)

خاتمة

تأسيسًا على ما سبق، يتضح أن رواية ليالي تركستان لنجيب الكيلاني لا تنحصر في كونها نصًا سرديًا يستعيد محنة تاريخية مخصوصة، بل تتجاوز ذلك إلى بناء رؤية تأويلية عميقة لسؤال الهوية الثقافية حين تجد نفسها في مواجهة التهديد والمحو والاقتلاع، فالرواية، وهي تستحضر الفضاء التركستاني بما يحمله من توتر تاريخي وحضاري، لا تكتفي بتصوير الألم الجماعي، وإنما تجعل من هذا الألم مدخلًا لإعادة مساءلة معنى الانتماء، وحدود الذاكرة، ووظيفة الدين واللغة والمكان في حفظ تماسك الجماعة.

وقد كشفت القراءة أن التكامل المعرفي لا يمثل في هذا البحث مجرد إجراء منهجي مساعد، بل ينهض بوصفه شرطًا لفهم البنية الدلالية للرواية، ذلك أن النص لا يمنح دلالته كاملة عبر القراءة الأدبية المغلقة، ولا يستقيم كذلك حين يُختزل في خلفيته التاريخية أو الحضارية، وإنما يفرض قراءة تتضافر فيها أدوات النقد الأدبي، والتأويل، والدراسات الثقافية، واستحضار السياق التاريخي، حتى يمكن استجلاء الكيفية التي تتحول بها الهوية من مفهوم نظري إلى تجربة سردية حية.

ومن خلال تحليل تمثلات الهوية الثقافية في الرواية، تبين أن الدين يؤدي وظيفة مركزية في بناء الانتماء، لا بوصفه اعتقادًا فرديًا معزولًا، بل باعتباره رابطة رمزية تحفظ للجماعة صلتها بماضيها وتمنحها سندًا في مواجهة التهديد، كما اتضح أن اللغة والثقافة تمثلان مجالًا آخر لتجسد الهوية، حيث تنكشف من خلالهما ذاكرة الجماعة، وأنماط عيشها، ورموزها، وقدرتها على مقاومة الذوبان، أما المكان، فقد ظهر بوصفه حاملًا للهوية لا مجرد إطار للأحداث، إذ تتحول تركستان داخل الرواية إلى فضاء للانتماء والجرح والمقاومة في آن واحد.

كما أبانت الدراسة أن الهوية في ليالي تركستان لا تُعرض في صورة ثابتة أو مطمئنة، بل تتشكل داخل جدلية حادة بين التهديد والمقاومة، فكلما اشتد فعل المحو، ازداد حضور الذاكرة، وكلما ضاق المكان، تعمق الإحساس بالانتماء، وكلما تعرضت الرموز الدينية واللغوية والثقافية للضغط، تحولت إلى أدوات صمود واستبقاء، وهكذا تنتقل الهوية من مستوى الانتماء الموروث إلى مستوى الوعي المقاوم، حيث تغدو المحافظة على الذات الثقافية فعلًا وجوديًا لا مجرد وفاء للماضي.

ويقين القول إن قيمة رواية ليالي تركستان تكمن في قدرتها على تحويل التاريخ إلى مادة للتأويل، والمحنة إلى سؤال هوياتي، والفضاء الروائي إلى مجال لتقاطع الأدبي والتاريخي والديني والثقافي، ومن ثمّ، فإن الرواية لا

تروي مأساة جماعة فحسب، بل تكشف كيف تستطيع الجماعة، في لحظات الانكسار، أن تعيد بناء معناها من خلال الذاكرة والإيمان واللغة والمكان.

يتيح التكامل المعرفي قراءة أعمق لتمثلات الهوية في *ليالي تركستان*، لأنه يوازن بين الأدبي والتاريخي والحضاري دون اختزال، وبذلك تكشف الرواية قدرة الأدب على تأويل المصير الجماعي، واستعادة الهويات المهددة، وتحويل الذاكرة إلى مقاومة رمزية.

وبناء على هذه النتائج، تقترح الدراسة توسيع تطبيق المقاربة التكاملية على روايات أخرى لنجيب الكيلاني، بما يسمح بالكشف عن تنوع تمثلات الهوية الثقافية داخل مشروعه الروائي. كما تقترح إنجاز دراسات مقارنة بين الرواية العربية التي تناولت قضايا الشعوب المهددة ثقافيًا، للكشف عن طرائق تمثيل الذاكرة والانتماء والمقاومة داخل الأنساق السردية المختلفة. وتدعو كذلك إلى تعزيز الإفادة المنهجية من التاريخ والدراسات الثقافية والدينية في تحليل النصوص الأدبية، مع الحفاظ على خصوصية البناء الفني وعدم اختزال الرواية في بعدها الوثائقي أو الأيديولوجي. كما توصي بتوجيه مزيد من الاهتمام إلى دراسة المكان واللغة والذاكرة بوصفها مكونات سردية فاعلة في بناء الهوية الثقافية وتأويل المصير الجماعي.

قائمة المراجع

أولًا: الكتب

1. جينيت، جيرار، 1997، *خطاب الحكاية: بحث في المنهج*، ترجمة محمد معتصم، عمر حلي، وعبد الجليل الأزدي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.
2. العدواني، معجب، 2013، *الموروث وصناعة الرواية: مؤثرات وتمثيلات*، دار الأمان، منشورات الاختلاف، منشورات ضفاف، الرياض، الجزائر، بيروت.
3. الكيلاني، نجيب، 2013، *ليالي تركستان*، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة.

ثانيًا: المقالات

1. أبو الحسن، أماني أحمد دخيل الله، 2022، "الذاكرة الجمعية والهوية الثقافية في روايات رجاء عالم: قراءة في ضوء نظرية موريس هالبفاكس"، *مجلة الدراسات التربوية والإنسانية*، كلية التربية، جامعة دمنهور، ص. 453.
2. أخاطو، خولة، 2026، "تشظي الهوية وتجلياتها السردية في الرواية العربية: مقاربة في المشروع النقدي للدكتور يوسف وغليسي"، *مجلة العلوم الإنسانية والطبيعية*، مج. 7، ع. 1، ص. 453-458.

3. البديرات، باسم يونس، والبطاينة، حسين محمد، 2022، "اللغة وأثرها في تجذير الهوية العربية والإسلامية في عصر العولمة"، *مجلة آفاق للعلوم*، مج. 07، ع. 01، ص. 37-39.
4. برجوح، ثورية، 2022، "الجهاد المعرفي للنقد الثقافي: الماركسية، الفرويدية، العولمة"، *مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية*، مج. 05، ع. 03، ص. 261-262.
5. بريوة، نصيرة، وبنت أحمد، رحمة، 2022، "موقع الثقافة: الشتات وملامح الهوية الثقافية الهجينة في رواية من الوصول مع الحب للكاتبة نعيمة ب. روبرت"، *مجلة الدراسات اللغوية والأدبية*، مج. 13، ع. خاص 2، ص. 254-256.
6. بوطي، ابتسام، د.ت، "الهوية الثقافية في الأدب الجزائري المهاجر: من مقاومة الاستلاب إلى استرداد الذات"، *مجلة العلامة*، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، الجزائر، ص. 18-20.
7. جمري، كوثر، وبلاوي، رسول، 2023، "تجليات الهوية الثقافية: مكوناتها وعناصرها الرئيسية في شعر سعيد الصقلاوي"، *مجلة الأثر*، مج. 20، ع. 02، ص. 67.
8. حامدي، سامية، 2022، "الهوية المقاومة وتمثلاتها في الرواية العربية المعاصرة"، *مجلة آفاق للعلوم*، مج. 7، ع. 3، ص. 268-277.
9. الخضراوي، إدريس، 2020، "من التاريخ إلى الرواية: الذاكرة الجمعية مصدرًا للسرد"، *مجلة تبين للدراسات الفكرية والثقافية*، ص. 79-100.
10. زغيلط، عبد العالي، 2024، "تجليات الهوية الثقافية في رواية تأويل المدينة لحميد عبد القادر"، *مجلة منتدى الأستاذ*، مج. 20، ع. 01، ص. 49-50.
11. زرارقة، عبد السلام، د.ت، "أدب المقاومة وسؤال الهوية"، *مجلة معهد اللغات والآداب*، ص. 2-3.
12. سلامي، عبد الدايم، 2015، "أن تبدع هو أن تتذكر: الذاكرة بين سلطة الواقع وسلطة الكتابة"، *مجلة الخطاب*، جامعة مولود معمري تيزي وزو، الجزائر، ع. 23، ص. 103-104.
13. شتيح، بن يوسف، 2010، "ثلاثية الدين واللغة والثقافة ودورها في إرساء الهوية الوطنية"، *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية*، ص. 499-515.
14. الشيخ، شعثان، 2018، "الرواية والحضارة"، *مجلة أنسنة للبحوث والدراسات*، مج. 09، ع. 01، ص. 353-356.
15. طلحة، عبد الباسط، 2018، "الهوية والتاريخ في رواية كولونيل الزبربر للحبيب السائح"، *مجلة العلامة*، ص. 191-194.
16. طلحة، عبد الباسط، 2020، "تفاعل الهوية والتاريخ في النصوص الروائية"، *مجلة الأثر*، ع. 33، ص. 96-108.

17. كرمة، الشريف، 2006، "اللغة العربية وعلاقتها بالهوية"، *مجلة حوليات التراث*، جامعة مستغانم، الجزائر، ع. 6، ص. 41-43.
18. مباركي، هاجر، وسعيدي، محمد، 2022، "إشكالية الهوية في الرواية العربية: معالم اغتراب أم بوادر استئناس؟"، *دراسات أدبية*، ع. 6، ص. 136-140.
19. محجوب، خالد، 2021، "دور اللغة والدين في الحفاظ على ماهية المجتمع: دراسة في الفكر الإصلاحي لابن باديس 1889-1940م"، *حوليات جامعة الجزائر 1*، كلية العلوم الإسلامية، مج. 35، ع. 01، ص. 498-500.
20. مداس، أحمد، 2010، "مفهوم التأويل في النقد الأدبي المعاصر"، *مجلة العلوم الإنسانية*، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص. 330-332.
21. مسيخ، فاطمة الزهراء، ومسالتي، محمد البشير، 2023، "أدلجة الخطاب في رواية ليالي تركستان لنجيب الكيلاني"، *مجلة إشكالات في اللغة والأدب*، مج. 12، ع. 4، ص. 227-228.
22. الوافي، سامي، 2016، "الرواية والتاريخ والهوية السردية: رواية كتاب الأمير: مسالك أبواب الحديد أنموذجًا"، *مجلة المدونة*، مخبر الدراسات الأدبية والنقدية، ص. 41-44.
23. هميسي، عبد الرشيد، وحنانشة، مصطفى، 2020، "تجليات الدين في الرواية الجزائرية: قراءة تحليلية في روايات واسيني الأعرج"، *مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية واللغوية*، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، الجزائر، ع. 04، ص. 304-306.

ثالثًا: المداخلات

1. بن خولة، كراش، وبوزيان، أحمد، 2024، "ديباجة الندوة: اللغة والهوية والثقافة"، *ندوة علمية حول اللغة والهوية والثقافة*، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، ص. 1-2.
2. الطاهر، خالد كمال، 2025، "الدراسات البينية ودورها في تطوير برامج الدراسات العليا: بين الواقع والمأمول: ميدان الأدب واللغة أنموذجًا"، *المؤتمر الدولي الثاني لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالسادات*، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بالسادات، مصر، ص. 1419-1440.

رابعًا: المذكرات والرسائل الجامعية

1. بن سعيد، شيماء، 2019، *أدب المقاومة: دراسة في الجذور والآفاق*، مذكرة ماجستير، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، ص. 39-40.
2. بن هدي، زين العابدين، 2022، *القراءة التأويلية للنص الروائي وأثرها في فعل الترجمة: نجمة لكاتب ياسين دراسة تطبيقية*، معهد الترجمة، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، الجزائر، ص. 11-12.

3. بوحادة، راضية، وبلقندوز، أحلام، 2024، *بنية المكان وجماليته في المجموعة القصصية شقائق لنعيم الحميد سعيدي*، كلية اللغات والآداب، جامعة غرداية، الجزائر، ص. 11-13.
4. بوالزرد، أسماء، 2023، *توظيف الرمز في ديوان قلبك لإيمان عبد الهادي*، كلية الآداب واللغات، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر، ص. 237-238.
5. بوصلاح، إيمان، وقروف، هيام، 2022، *أنثروبولوجيا المكان في رواية تماسخت للحبيب السائح أنموذجًا*، كلية الآداب واللغات، جامعة 8 ماي 1945 قالمة، الجزائر، ص. 44-118.
6. زكزيو، آسيا، ومعاشي، ابتسام، 2025، *تأثير الهوية الثقافية في السرد الجزائري: رواية كيف ترضع من الذئبة دون أن تعضك لعمارة لخوص نموذجًا*، كلية الآداب واللغات، جامعة ابن خلدون تيارت، الجزائر، ص. 62.
7. صحراوي، فريدة، 2022، *سرد الذاكرة والسجن في رواية يا صاحبي السجن لأيمن العتوم*، مذكرة ماستر في الأدب العربي الحديث والمعاصر، جامعة عمار ثليجي بالأغواط، الأغواط، الجزائر، ص. 03-05.
8. عوار، سمية، وعيش، صونية، 2018، *إشكالية الهوية في الرواية العربية المعاصرة: رواية اليهودي الحالي لعلي المقري أنموذجًا*، مذكرة ماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة محمد الصديق بن يحيى، جيجل، الجزائر، ص. 47-48.
9. لحسن، نجمة، ومحارزي، زهرة، 2017، *التأويل عند هانز جورج غادامير*، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة ابن خلدون، تيارت، الجزائر، ص. 1-2.

The Criteria of Ecocriticism in Ibrahim Al-Koni's Novel The Lost Facts from the Biography of the Magus"

Sihem Khinouhe
Mohamed Lamine Debaghine University of Setif 2 (Algeria)
s.khinouche@univ-setif2.dz

Abstract:

Life is considered as the source of man life and stablilize, but because of what it has undergone from harms and dangers from an early age, we all agree now that the causes of dangers come from man himself. Man is the base and the center of the universe because he controlls everything that surrounds him. Man thinks that nature is created only to him and to satisfy his different desires. So he started to overexploit nature without stopping, and he caused the damage. This is why environmental criticism has appeared as a part of world-repairing organizations. This latter looks for the impact of this criticism on cultural consciousnese and system in order to change the perception of man altough his race, color, religion, and sect, and also in order to glorify the beauty of nature. Among them, Ibrahim Al-Koni, the writer who wrote his novel The Lost Facts from the Biographiy of the Magi, He went far in several marginalized worlds in literature focusing on the desert . This space that was harmed due to man eagerness to take all its bounties. He studied the relationship between mankind an desert nature and its richness of fauna and flora. The writer considered the creatures (animals and plants) sacred beings and he qualified them with will and consciousness. He said that these species are not only means and tools in the hands of man but they have become participating in the existence and revenge.

So, I wanted to apply the criteria that environmental criticism relies on questionning the litercy text from ecological centralization to the humanization of nature and environmental pollution and other standards.

Keywords: Ecocriticism, The Desert, Ibrahim Al-Koni, Ecology, Nature.

معايير النقد البيئي في رواية "الوقائع المفقودة من سيرة المجوس" لإبراهيم الكوني نموذجا

سهام خينوش
جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2 -الجزائر-
s.khinouche@univ-setif2.dz

ملخص:

تعد البيئة مصدر حياة الإنسان واستقراره، ونظرا لما لحقها من أضرار، نجمت عن أفكار النقد الحديث، والذي كرس مبدأ أن الإنسان هو مركز الكون يتحكم في كل ما يحيط به، وأن كل ما هو موجود حوله مسخر لخدمته، وأن الطبيعية مسخرة لإشباع رغباته، فراح يأخذ دون توقف فألحق الضرر بها. لذلك ظهر النقد البيئي كجزء من منظومة الإصلاح العالمي، فسعى للبحث في تأثير هذا النقد في الوعي الثقافي وأنظمته، من أجل تغيير النظرة إلى الإنسان باختلاف عرقه وجنسه ولونه ودينه وطائفته، ومن أجل تمجيد جمال الطبيعة. فأبحر الكاتب إبراهيم الكوني من خلال روايته "الوقائع المفقودة من سيرة المجوس" في عالم عد من العوالم المهمشة في الأدب إنه الصحراء، ذلك الفضاء الذي راح بطش الإنسان يستنزف خيراتها، فدرس العلاقة بين الإنسان والطبيعة الصحراوية، وما يتخللها من عوالم نباتية وحيوانية التي لم تعد جمادات بل أصبغ عليها صفة الإرادة، ولم تعد مجرد أدوات ينتفع بها الإنسان بل أصبحت تشارك في الوجود وتنتقم، فأردت أن أطبق المعايير التي يقوم عليها النقد البيئي من خلال هذه الرواية.

الكلمات المفتاحية: النقد البيئي، الصحراء، إبراهيم الكوني، إيكولوجيا، الطبيعة.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار

مقدمة:

عرف النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة تطورا كبيرا، فقد أعاد النظر للنظريات التقليدية، والمفاهيم المهمشة، فظهرت العديد من المناهج منها النقد التفكيكي، النقد الثقافي، النقد النسوي، النقد البيئي هذا الأخير الذي سعى إلى إقامة العلاقة بين الأدب والبيئة، حيث لم يتعامل مع البيئة باعتبارها خلفية صامتة، بل يقدمها كفاعل أساسي له صوت وتأثير. أي دراسة النص الأدبي من منظور بيئي، خاصة بعد أن تزايدت دعوات المحافظة على البيئة نظرا لتأزم علاقة الإنسان مع البيئة، فقام بسوء استغلالها واستنزاف مواردها بشكل غير عقلاني، بل جعل من نفسه المسئول عليها، هذا ما أفقدها الكثير من مظاهرها، فدق النقاد ناقوس الخطر لما تتعرض له البيئة من خطر وعلى ضرورة إيجاد حلول كافية من أجل ضمان الحياة للكائنات الحية، مستعينين بالأدب باعتباره له القدرة على التأثير في المشاعر، فما هو النقد البيئي؟، وما هي خصائصه؟.

أولا: مفهوم النقد البيئي

1 تعريف النقد البيئي (Ecocriticism)

نال مصطلح النقد البيئي العديد من المفاهيم بسبب حداثة هذا النقد، ونظرا لانفتاحه على الاتجاهات النقدية، منها النقد البيئي Ecocriticism، الدراسات الخضراء green cultural studies، والشعرية أو البويطيقا البيئية ecopoetics، النقد البيئي الأدبي، والنقد الإيكولوجي Ecocriticism.(جميل حمداوي، د.ت، ص296) رغم تنوع التسميات وفقا للغايات والبيئات، لكنها حافظت على تناول الأدب من منظور بيئي.(عبير جودت حافظ عبد الحافظ، 2023، ص76)

يعد ويليام روكيرت أول من استعمل مصطلح النقد البيئي في مقالة بعنوان:"الأدب وعلم البيئة تجربة في النقد البيئي"، ، لدارسة العلاقات الموجودة بين الأدب والبيئة، بما فيها المكان، والطبيعة، والأرض، والحياة، وذلك في أواخر سنوات السبعين من القرن العشرين، وبالتحديد سنة 1978م.(جميل حمداوي، د.ت، ص296) وبعدها أصدر كتابه "النقد الأدبي البيئي عام 1994م. وهو النقد القائم على أسس ومبادئ تدعو للمحافظة على البيئة، أطلق عليه النقد البيئي، الذي يدرس الأدب بصورة أيديولوجية وفكرية جديدة مرتبطة بالبيئة ومكوناتها، (عبير جودت حافظ عبد الحافظ، 2023، ص77) وعرفه شيرلي

غلوتفيلي وهارولد فروم وجرج جرارد بأنه:"دراسة العلاقات بين الأدب والبيئة المادية".(جميل حمداوي، د.ت، ص297)

من خلال هذه التعاريف نستخلص أن النقد البيئي هو نقد جديد نقد سياقي له توجه أخلاقي سياسي، يحاول دراسة العلاقة بين الإنسان ومختلف الكائنات الحية المحيطة به، وما يقوم بينهما من تأثير وتأثر، حيث تتداخل في هذا النص مختلف الأنساق الاجتماعية، والسياسية، والثقافية، والعلمية، والتاريخية...وغيرها. غير معنى بأحكام الجودة الأدبية والمحصورة بالدقة الأدبية ودرجة الانزياح، وإنما هو يسعى إلى قيم المحافظة على البيئة داخل النصوص الأدبية، وجودة النص عند النقاد البيئيين مرتبطة بترسيخ قيم المحافظة على البيئة داخل هذا النص، فالنص الأدبي البيئي الصادر عن كاتب يحمل هما بيئيا ووعيا أيكولوجيا.

2 النقد البيئي عند الغرب

عملت الفلسفة اليونانية منذ القديم على ترسيخ مبدأ أن الإنسان هو أساس القياس لكل شيء وعلى فكرة استغلال الأرض ومواردها، انطلاقا من أفلاطون "الذي رتب الفئات البشرية دون النظر إلى غير البشر، فجعل الإنسان الحر في رأس الهرم الحياتي من خلال الالتزام بالفضيلة والأخلاق المحاكية للمثل العليا...مما دفعه إلى الإقرار بقلة فائدة الطبيعة فقال:"لتكن سمحا معي يا عزيزي، فأنا أحب العلم، لكن الريف والأشجار لا ترضى بتعليمي شيئا، بل رجال المدينة هم من يعلمونني"(عبير جودت حافظ عبد الحافظ، 2023، ص26) لهذا مهدت الفلسفة اليونانية والإغريقية بتكريس مبدأ التراتبية، ومبدأ مركزية العقل الغربي ليس على بني البشر الآخرين فحسب بل على كل الطبيعة ومن حولها.

إلى أن ظهرن فلسفة ما بعد الحداثة التي عملت على تقويض المركزية الثابتة، ودعت إلى إلغاء التراتبية، وأعادت النظر في البشر وعلاقتهم بغيرهم، بهذا بشر بميلاد النقد البيئي والذي يعود إلى عقد الستينات، عبر كتاب "الربيع الصامت" لراشيل كارسون الذي نشرته عام 1962م، عد بداية المذهب البيئي الذي مثل منظومة من الأفكار المؤسسة عن علم البيئة، تدعو إلى الاهتمام بالطبيعة وفلسفة العودة إليها والعناية بها.(دانا فيليبس وآخرون، 2009، ص10) وبينت حسب رؤيتها أن المسبب الحقيقي لحدوث

الكارثة البيئية هو المبيدات الحشرية العضوية، فدعت إلى سياسات مراقبة لمنع استعمال هذه المبيدات والبحث عن مبيدات لا تشكل خطرا على حياة الكائنات البشرية.(بنين سمير عيسى، 2024، ص56)

وكان من المنظرين أيضا جوناثان باث وكتابه "البيئة الرومانتيكية"، وجرج جيرارد في دراساته "النقد البيئوي، الإبداع والبيئة، غياب النباتات الأزلية"، وهارولد فروم "مجموعة مختارة من النقد البيئي، ولورانس بويل وكتابه "الخيال البيئي".(فريد عوف، 2023، ص470)

3 النقد البيئي عند العرب

عرفت الساحة العربية النقد البيئي في وقت متأخر، بمفهومه الحالي رغم أن الأدب العربي زخر بالبيئة ومكوناتها من حيوان ونبات وطبيعة، والذي انعكس في الوقوف على الأطلال ووصف الطبيعة، كما أن الإسلام دعا إلى المحافظة على البيئة، بل هناك العديد من الدروس والعبر أخذت من عالم الحيوان مثل قصة الدفن التي تعلمها قابيل من الغراب. "وقد لاحظ النقاد العرب العلاقة بين الأدب والبيئة، وأثرها على قريحة الشعراء ومنهم ابن سلام الجمحي وكذلك ابن قتيبة والجاحظ ...وغيرهم، لكن الجديد الذي جاء به النقد البيئي هو الوقوف على العلاقة الرابطة بين الإنسان المعاصر والبيئة".(بنين سمير عيسى، 2024، ص57)

معظم الدراسات العربية تشير إلى أن الترجمة أسهمت في إنتاج دراسات عربية اهتمت بالنقد البيئوي. ثم تعاقبت بعد ذلك الدراسات العربية، حيث قسمت جهود العرب في مجال النقد البيئي إلى أربع مراحل وهي: **مرحلة الترجمة:** حيث لعبت الترجمة دورا بارزا في الدراسات النقدية البيئية نذكر مها: ترجمة معين رومية لمقالة فيكتور بوستنيكوف عام 2004م، وترجمة معين رومية لمقالة مايكل برانش عام 2007م، وترجمة عزيز صبحي لكتاب" النقد البيئوي" لجرج جيرار عام 2009م، تليها المرحلة الثانية وهي **مرحلة الدراسات النظرية التطبيقية:** وفي هذه المرحلة وظف أصحاب هذه الدراسات أفكار مايكل برانش، ومن هذه الدراسات "الضباب أتى...الضباب رحل قراءة من منظور بيئي" لعبد الحميد سيف الحسامي 2009م، "أهمية النقد الأدبي البيئي في الدراسات النقدية" لمحمد أبو الفضل بدران 2010م. تليها المرحلة الثالثة وهي **مرحلة المقالات والأوراق العلمية:** وهنا بدأت مقالات "النقد البيئي أو الإيكولوجي" لجميل حمداوي

2025م، "ونقد التبيؤ" لعبد الماجد عبد الرحمن 2025م. ليشق النقد البيئي طريقه إلى الجامعات. أما المرحلة الرابعة هي **مرحلة الكتب النظرية والتطبيقية:** وهنا بدأ تأليف الكتب التي كان لها الأثر البارز في ازدهار النقد البيئي في عالمنا العربي، من أبرز تلك الكتب: "النقد البيئي مفاهيم وتطبيقات" لعدة مؤلفين العدوان وآخرون 2022م، "الشعر العربي المعاصر من منظور إيكولوجي" لزهيدة درويش جبور 2022م.(عبد القادر إبراهيم يوسف عسيري وحسين بن محمد القرني، 2026، ص214-215)

4 خصائص النقد البيئي

يختلف النص الأدبي عن النص الأدبي البيئي، فإذا كان النص الأدبي يعالج قضايا الإنسان ومشاكله النفسية والسياسية والاجتماعية، ولا تعد الطبيعة فيه إلا مجرد خلفية أو شاشة فقط يتم فيها عرض المشاهد والأحداث، فإن النص الأدبي البيئي له خصائصه التي تمزه وهي:

أ. النظر إلى الطبيعة على أنها مسالمة آمنة ليس فيها أي شر ولا أذى.

ب. يقف الكاتب البيئي مفتونا بالطبيعة ليس من أجل التغني بجمالها أو وصفها، وإنما من أجل مخاطبة وجدان القارئ وتحويل ذلك الإعجاب إلى حب ودفاع أخلاقي من أجل حمايتها، والمحافظة عليها.

ت. أن يشعر الإنسان بأهمية البيئة، وعلى أن أي خلل يمس الطبيعة بالضرورة سينعكس سلبا على صحته، وحياته.

ث. صاغ لورنس بويل مصطلح الخيال البيئي "وهو الكيفية التي تشكل بها البيئة المادية للخيال"(هاني علي سعيد، 2022، ص463) أي قدرة الأديب على منح الطبيعة حضورا خاصا، حتى يتمكن القارئ من الإحساس بها وفهم معاناتها.

ج. من أبرز المصطلحات التي نادى بها النص البيئي الاستدامة، "وهي أن يصف كيفية بقاء النظم الحيوية متنوعة ومنتجة مع مرور الوقت، والاستدامة بالنسبة للبشر هي القدرة على حفظ نوعية الحياة التي نعيشها على المدى الطويل، وهذا يعتمد بدوره على حفظ العالم الطبيعي والاستخدام الصحيح للموارد"(دانا فيليبس

وآخرون، 2020، ص323) أي المحافظة على البيئة، وذلك بحسن استغلال مواردها تسمح بالتجدد مرة أخرى.

ح. أن يحسن الكاتب التعبير عن البيئة بخيال آخذ يكون مسئولا عن تربية الذوق الطبيعي عند المتلقي، وتنمية الحاسة الأخلاقية والجمالية في تعامله مع المنظومة البيئية.(هاني علي سعيد، 2022، ص464-465)

خ. أن يهتم النص بالقيم الإيجابية تجاه البيئة.

د. هو النقد الذي يعنى بدراسة المكان والبيئة والطبيعة والأرض في النصوص.

ثانيا: قواعد النقد البيئي في رواية "الوقائع المفقودة من سيرة المجوس" لإبراهيم الكوني

1 صورة الصحراء في الأدب العربي المعاصر

لم يعد المكان ينظر إليه على أنه خلفية يدخل في الإعداد للرواية والتمهيد لها، بل صار ينظر له على أنه جزء أساسي من أجزاء العمل الروائي بل لا يقل أهمية عن بقية العناصر كالشخصيات والزمان...وغيرها. ومن بين الأماكن التي حظيت بقدر من الاهتمام الصحراء، فقد أبدع الكتاب في رسم معالمها، "ربما لأن الصحراء العربية ضمت كمية هائلة من التاريخ العربي على مستويات كافة السياسي، الديني، الثقافي، وربما كانت اللغة العربية أهم ما أنتجته الصحراء، وفي الجانب الديني احتضنت الصحراء ولادة الدين الإسلامي فكانت منطلقا للمسلمين سنويا لأداء فريضة الحج، وفي الجانب الثقافي ارتبط بزوغ الثقافة العربية بالصحراء ارتباطا شاملا على جميع المستويات كالشعر الجاهلي والأمثال والخطب الجاهلية والأساطير العربية القديمة وأشكال القص الأولى، وفي الجانب التاريخي كانت الصحراء مسرحا هائلا لعدد كبير من الوقائع التاريخية الكبرى التي تشكل المحور الرئيس لتاريخ الإنسان ووجوده على مختلف الحقب التاريخية".(صلاح صالح، 1996، ص33-34)ومن بين الروايات التي جذبها جمال الصحراء رواية"مريم بين النخيل" لـ:لمحمد ولد الشيخ، "الملحد" عبد الرشيد هميسي، "ابن القرية" لولد الصديق ميلود، "السد" للمسعدي، وإبراهيم الكوني صاحب رواية "الوقائع المفقودة من سيرة المجوس" والتي هي محل هذه الدراسة.

2 معايير النقد البيئي

بعد أن كانت المناهج القديمة تركز على الجانب النفسي والتاريخي والاجتماعي للنص، جاءت المناهج الحديثة لتعزل النص عن الخارج وتبحث عن المعنى من داخل النص، ولا شيء خارجه، فجاء النقد البيئي ليقيس مدى وعي النص بالبيئة، لذلك حدد لورنس بويل أربعة معايير تميز الكتابة البيئية عن غيرها:

1. أن تكون البيئة غير الإنسانية موجودة ليس فقط بوصفها جهاز تأطير أي أداة زراعية، ولكن وجودا يبدأ بفرضية أن الوجود الإنساني مستوحى من التاريخ الطبيعي وليس العكس.
2. لا بد أن لا تكون المصلحة الإنسانية هي المصلحة الشرعية الوحيدة
3. يجب اقتران البشر بالبيئة جزءا من التوجه الأخلاقي للنص
4. أن يوحي النص بشي من فهم البيئة بوصفها عملية وليست شيئا ثابتا أو معطى مفترض.(عبير جودت حافظ عبد الحافظ، 2023، ص71)

3 معايير النقد البيئي في الرواية إبراهيم الكوني

تمتلك الصحراء موقعا جغرافيا ملهما، ومجالا ممتدا من الرمال، استطاع الإنسان الصحراوي التعايش معها رغم قساوة ظروفها، وجفاف مناخها، وقلة مياهها، وموقعا اقتصاديا هاما، فهي تمتلك ثروة كبيرة خاصة النفط الذي يعد ذهبها الأسود، مما جعلها مطمع الكثيرين، فألهمت إبداع الكثير من الكتاب ومنهم إبراهيم الكوني الذي حمل قلمه للدفاع عن الصحراء وما تتعرض له أبشع أنواع الاستغلال، من خلال روايته"الوقائع المفقودة من سيرة المجوس" فكيف جعل إبراهيم الكوني من هذا النص نصا بيئيا؟. وما المعايير التي بثها في نصه ليحمل القارئ بضرورة المحافظة على هذا الصرح؟.

أ. أنسنة البيئة

الأنسنة هي "إضفاء صفات الإنسان على غير الإنسان سواء كان محسوسا ملموسا أم معنويا ذهنيا"(عبد الكريم يعقوب ودينا يونس، 2015، ص135) وقد أنسن إبراهيم الكوني العديد من الأشياء الموجودة في الصحراء مثل: الحجر، الصحراء، القمر، قمم تاسيلي، الريح، النجوم، الحمادة، الشمس، الذئاب، الجبل، ليقرب الصحراء إلى وجدان الإنسان، فيتعاطف معها، فلا يصبح الإنسان سالبا للصحراء بل شريكا لها. فها هو الحجر يتحدث "هذا الحجر المكابر، لم يدخل على الدرويش في ذلك اليوم فحدثه

بلسان العجائز الحكيمات عن سر الآلهة الحجرية"(إبراهيم الكوني، 1992، ص8) لم يعد الحديث والحكمة حكرا على البشر بل منحها الكاتب للحجر، تلك الحكمة التي توصل إليها آخموك "كان سعيدا إذ رأى حجارة الصحراء تتنادى على يديه، تنهض من موتها في العراء لتبدأ الحياة في الصوامع والقلاع والبيوت والجوامع تشارك الناس حياتهم تسخر من أعمالهم تحزن لأحزانهم... كانت لا تبخل عليهم بالحكمة والنصيحة ولكنهم لم يسمعوها يوما كانت تقول لهم في كل رمشة عين أن الدنيا فانية والحياة باطلة"(إبراهيم الكوني، 1992، ص160) أي أن الحجر حدثهم بأنه وجد قبلهم وأنه سيبقى وهم سيرحلون لكنهم لا يتعظون بل يفنون أعمارهم في تشييد المباني وجمع الاموال والتفاخر بالأنساب، والقتال. وفي موضع آخر يقول:"وقد سمع الحجر يقول له بهمس خفي أن الضياع كتب على كل شيء من الصحراء ما لم يحفر في الحجر"،(إبراهيم الكوني، 1992، ص41) فهذا يدل على أن كل شيء في الصحراء بما فيها الرمل هو رمز للنسيان وقابل للمحو، فقط الحجر هو المادة الوحيدة التي تقاوم الفناء وتحفظ السر، فالصخور حفظت ذاكرة الحضارات البائدة من الضياع من خلال النقش.

لينقلنا الكوني إلى عالم الحيوان إنها الذئاب فلم تعد ذلك الحيوان المفترس المعروف بالمكر والقوة يقول:"هل تستطيع الذئاب المسكينة أن تجني غير المجاعة والهلاك؟ فتعلمت أن تبكي وتملأ الصحراء عويلا منذ ذلك اليوم، عرفت لعبة القدر الخفية"،(إبراهيم الكوني، 1992، ص:114) فأصبحت الذئاب تعلم البشر أسرار الصحراء، فهو أخ في التيه عرف كيف يتخلى عن مكره وغروره وإنما عليه أن يقلب الآية بأن يبكي لكي ينال رحمة السماء فتدر عليه بالماء.

إن الإنسان الصحراوي "يؤنس الطبيعة، ويشخصها تشخيصا حيا، فيجعلها تتحرك مثل الإنسان خيرا وشرا، بمعنى أنه يسبغ عليها صفات الإنسان الحي، ويجعلها تتصرف مثل تصرفات الإنسان الإيجابية والسلبية.(جميل حمداوي، 2020، ص13)

ب. مبدأ ثنائية الأنا والآخر

سادت جدلية الأنا والآخر في دراسات الثقافية، وهي من المفاهيم الثقافية التي أخذت حيز التنفيذ حينما ترسخ مفهوم المركزية الغربية في الفكر العالمي، "فاعتبر المركز صانع الحضارة ومبدعها، فيما كتب على الهامش الاستهلاك والركود والتبعية، وكلما زادت هيمنة المركز بمختلف تجلياتها اختزل دور الهامش وقزمت فاعليته"(أحمد عبد العالي وآمنة بلعلي، 2023، ص78) مثلت قضية الأنا والآخر في رواية الكوني اتجاهين

اتجاه يفرض قوانينه الصارمة، ويسعى إلى السيطرة واستغلال الصحراء بحجة التطور العلمي، واتجاه حاول الاندماج مع البيئة روحيا وجسديا فشعر أنه جزء منها وأن مصيره مرتبط بمصيرها.

فمن أمثلة الاتجاه الأول: يقول الكاتب:"تحترق تادرارت بالجفاف ثلاثة أعوام متوالية، وانتهت إلى أنه دفع الثمن لأنه أراد أن ينقذ ذريته من الجوع"(إبراهيم الكوني، 1992، ص10) فحدوث الجفاف في تادرارت ليس مجرد ظاهرة طبيعية بل نتيجة خطأ ارتكبه الإنسان تجاه الطبيعة، لأن الصحراوي سفك دم الودان المقدس ليطعم أولاده. كما أنه "بدأ الحريق ذلك العام في الصحراء الجنوبية جاء بخبره تجار القوافل ورووا قصصا موجعة عن قساوته وضحاياه" (إبراهيم الكوني، 1992، ص14)وذلك راجع لغضب الصحراء فما كان على الصحراوي إلا أن يكثر من الدموع والتوسلات والصلوات.

يحتكم أهل الصحراء إلى عوالم غيبية وخفية مثل الجن، والتي يعتقدون أنها تعاقب إذا تم إلحاق الضرر بالطبيعة إما بالجفاف، أو الحرائق، أو الزلزال...وغيرها. فمثلا أتلف آكا نبات الشيح، الذي عد عند الصحراوي نبات له حضوره وقداسته فهو ليس مجرد عشب عادي بل هو معروف برائحته العطرية القوية التي تطهر المكان من الزواحف والروائح الكريهة، يقول الكاتب"أتلف صرة الشيح التي علقتها إحدى العجائز في زاوية الخباء سرا"(إبراهيم الكوني، 1992، ص185) فكان عقابه أن هاجمه الجن ليلا من أجل الانتقام.

ومن أمثلة الاتجاه الثاني: والذي سمته الرواية "الرجل الأخضر" تقول الأم تافاوت "الرجل الأخضر كنز لأن الصحراء خصته بهذا اللون جزاء له على القناعة، الرجل الأخضر يعاف اللحم ولا يعرف الجشع، الرجل الأخضر قلبه في السماء ويعيش مع الملائكة لأنه لا يعرف غير العشب طعاما"(إبراهيم الكوني، 1992، ص10) فسماه الكاتب الرجل الأخضر، فهو رمز للوجود والاستمرار ففيه حماية ودفاع عن الطبيعة والبيئة، فهو يقدس الأشجار والعشب لأنه يمنح الأكسجين، ويعاف اللحم الذي هو رمز الافتراس وذبح الحيوان والاعتداء عليه.

ويقول الكاتب على لسان الحماة:"سكتت لحظة، تراجعت خطوة لتفسح الطريق لطابور النمل المنهمك في بناء مملكته"،(إبراهيم الكوني، 1992) وفي موضع آخر تقول أيضا الحماة:"إذا أردت أن تعرف السر فانظر إلى الماعز، كيف يتكاثر المعز إذا لم يلتق الذكر بالأنثى؟"(إبراهيم الكوني، 1992، ص83) رغم أن طابور النمل يمثل إزعاجا إلا أن الكوني جعل له الحق في الوجود مثلنا مثله، لأنه أيضا يسعى إلى

البناء والتعمير مثله مثل الإنسان، فعلى الإنسان أن يتعلم منها المثابرة والنظام والانضباط، مثلما عليه أن يتعلم أساس وجوده وهو التكاثر فإذا نسي ذلك فلينظر إلى الماعز يعرف ذلك بفطرته.

ت. التركيز على المعنى الروحي والأخلاقي

يحاول الكاتب من كتابة نصه البيئي ليس مجرد وصف للطبيعة وجمالها، إنما لغاية أسمى وهي أن يستشعر عظمة خلق الله، والعبر التي يتلقاها من مشاهدة تلك المشاهد الموجودة في البيئة، يقول الكاتب:"وحدق في الأشعة النحاسية المطفأة فقال للشمس أن الأشياء المكابرة لا بد أن تنكسر وإذا كانت الشمس نفسها تسجد يوميا وتستشهد فكيف يطمع الإنسان المعاند في الخلود"(إبراهيم الكوني، 1992، ص84) فحاول الكوني أن يربط بين حركات الكون وبين مصير البشر فهو يصور لنا أن الصحراء تعلم الصبر وتعلم الزهد وتعلم الانحناء وعدم التكبر. كما تعلم من الحجر الخلود، والأمانة.

لينقلنا إلى مشهد عظيم فبعد أن أبصر الرجل الجمجمة في يد العراف:"منذ شاهد الجمجمة في يد العراف: ما الذي استفزه هي هذا المشهد، هل هو بياض العظم الذي يذكر بالكفن؟، هل هو الشهادة على جلال الموت وباطل المخلوق الإنساني؟، هل هو البرهان على أن الزوال هو الخالد وكل ما يحدث فوق الصحراء هو زوال وخيال وفناء؟".(إبراهيم الكوني، 1992، ص39) رغم أن الجمجمة في الواقع ترمز إلى الرعب والخوف، فهي تتحول إلى رمز تعليمي وخلقي، فأصبحت مثل الحجر وهي بدون روح فتتساوى الجماجم هنا فلا فرق بين جمجمة الملك وجمجمة الراعي، ولا فرق بين جمجمة الغني وجمجمة الفقير، فعلى الإنسان أن يراجع ما اقترفه في حياته، حتى يدع الجبروت والتكبر، وكأنه يقول للحي كل ما تتصارعون عليه في الدنيا هو فان ولا تبقى إلا العظام خالدة.

ث. التناص البيئي Eco-Intertextuatuality

التناص البيئي هو مصطلح نقدي حديث يمتزج فيه النقد البيئي مع التناص الأدبي، فالنص البيئي يجتر ويمتص نصوصا بيئية سابقة أو معاصرة وأساطير وغيرها احتفاء بالبيئة ومكوناتها، وأول ما يطالعنا عنوان الرواية "الوقائع المفقودة من سيرة المجوس" فقد رمز الكوني للإنسان الصحراوي بالمجوسي وهو تناص أسطوري ديني، حيث أن المجوسي يقدس النار وكل عناصر الطبيعة من هواء وتراب وماء، لهذا أسقط المجوسي على الصحراوي في تقديسه للنار التي تعد له نورا يهتدي بها في الظلمة، ويقدس كل شيء في الصحراء، رغم أن هذه الوقائع فقدت، إلا أنها كانت موجودة وربما تولد من جديد لأنها من شيم الصحراوي.

ومن الأساطير التي أوردها الكوني أسطورة اللثام، فتحول اللثام من مجرد قماش يقي من غبار الصحراء والرمال إلى درع وقناع يحمي الوجه من العين الشريرة التي تصيب وجه الصحراوي يقول الكاتب:"قالت إن القدماء اتخذوا اللثام حجابا كي يمنعوا الاغراب الأشرار من أكل وجوههم بالنظر".(إبراهيم الكوني، 1992، ص39) وأسطورة الألقاب حيث يعد الاسم هو شيفرة الروح وعنوانها السري وإذا عرف الساحر اسم الإنسان استطاع أن يسلط عليه سحره وقتله لذلك أخفى الصحراوي اسمه الحقيقي واستبدله باللقب وبالكنية حتى تبقى الروح بعيدة عن طائلة الشيطان، يقول الكاتب:"ولكن السحرة عادوا إلى الصحراء بحيلة أخرى فكانوا يقتلون بالتمائم المجوسية كل إنسي يهتدون إلى اسمه ...فأخفوا أسماءهم الحقيقية وتنادوا بالألقاب المستعارة".(إبراهيم الكوني، 1992، ص40)

كما وظف الكوني أسطورة المخالب يقول الكاتب:"ولكنه يتقن استعمال الضرب بالمخلب المخيف فاستضافه على العشاء ودس له خمسة أظافر بشرية في الطعام فأصابه المخلب في الكلية ...وظل يتقيأ مخلبا آدميا شبعا كل يوم إلى أن بلغ العدد خمسة مخالب...لذلك بدأت القبيلة تتحوط وتعامل الأظافر بارتياب وقداسة...فإذا نزع الإنسان أظافره أخفاها عن الأنظار وذهب ليدفنها بعيدا مخافة أن تمتد إليها أيدي السحرة وتستعملها في صنع المخلب الكريهٍ"(إبراهيم الكوني، 1992) ولأن الجزء يعبر عن الكل لذلك فإن الأظافر تعد حية تختزن أثر الروح فإذا قبض الساحر على أظافر الشخص يمكنه أن يسلط الأذى والسحر والموت عليه، لذلك لجأ الصحراوي إلى دفنها عن السحرة، لأن دفنها في التراب هو إعادتها إلى الأصل.

خاتمة:

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار

في الختام يمكن القول أن النقد البيئي أحد المناهج النقدية السياقية الجديدة ظهرت في مرحلة ما بعد الحداثة، والتي تركز على دراسة العلاقة بين الأدب والبيئة، تكمن أهميته في الدفاع عن البيئة وتوعية القارئ بضرورة المحافظة عليها كجزء منه. ولقد خلصت هذه الأوراق إلى النتائج التالية:

1. عرف مصطلح النقد البيئي العديد من المصطلحات نظرا لاختلاف اتجاهاته النقدية.
2. ظهر مصطلح النقد البيئي في أواخر سنوات السبعين في القرن العشرين على يد ويليام روكيرت.
3. النقد الأدبي غير معنى باستخراج القيم الجمالية، والشعرية في النص بل لا بد للنص البيئي أن يحمل هما ووعيا بيئيا.
4. ركزت الفلسفة اليونانية والإغريقية على تمجيد المركزية البشرية، في حين دعت الفلسفة ما بعد الحداثة إلى تفكيك هذه المركزية.
5. عرفت الساحة العربية الاهتمام بالبيئة ووصفها، كما دعا الإسلام سواء في القرآن والسنة إلى المحافظة على البيئة.
6. في النقد البيئي لم يعد المكان مجرد شاشة تعرض فيها الأحداث بل أصبح عنصرا هاما في الحدث يقدمه ويؤخره.
7. التفاف الكتاب في العصر الحديث للحديث عن الصحراء بعد أن كانت من العوالم المهمشة.
8. من المعايير التي وظفها الكوني جعل من الأشياء الموجودة في الطبيعة لها إرادة ووعي.
9. علمتنا البيئة الصحراوية العديد من الأخلاق كالصبر، والخلود، الحكمة...والتي غابت عن ذاكرة البشر.
10. من المعايير التي بثها الكوني في نصه جدلية الأنا والآخر وأن هناك نوعين من الناس، أشخاص ينظرون إلى الطبيعة ببصرهم، أشخاص ينظرون إلى الطبيعة ببصيرتهم.
11. أراد الكوني إثبات أن كما للصحراوي أخلاقا عالية فقدت، فهناك رذائل وفواحش منتشرة في الصحراء، وتنتشر فيها الفرق الدينية والمذاهب والصوفية وغيرها.

إن الحديث في رواية "الوقائع المفقودة من سيرة المجوس" لإبراهيم الكوني لا تكفيها هذه الأوراق حقها، بل يلزمها صفحات أخرى كالحديث عن التناص وأنواعه من تناص بيئي وديني وأسطوري وتاريخي في الرواية والذي يحتاج إلى طرق.

قائمة المراجع: مرتبة ومرقمة

الكتب:

1. إبراهيم الكوني 1992، الوقائع المفقودة من سيرة المجوس، دار التنوير، بيروت.
2. جميل حمداوي 2020، النقد البيئي في الأدب والفن، دار الريف للنشر، المغرب.
3. دانا فيليبس وآخرون 2009، النقد البيئي: مقدمات، مقاربات، تطبيقات (ترجمة: نجاح الجبيلي)، دار شهريار للنشر، العراق.
4. صلاح صالح 1996، الرواية العربية والصحراء، منشورات وزارة الثقافة، دمشق.
5. عبير جودت حافظ عبد الحافظ 2023، النقد البيئي ونظرية الأدب: دراسة في نماذج عربية معاصرة، دار كنوز المعرفة، ط1، عمان.

المقالات:

1. أحمد عبد العالي وآمنة بلعلي 2023، الأنا والآخر في رواية "في مكان نسكنه في زمان يسكننا "لإبراهيم الكوني، مجلة إشكالات في اللغة والأدب، المجلد 12، العدد 4.
2. بنين سمير عيسى 2024، النقد الأدبي البيئي: مقدمة في النظرية والإجراء، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 57.
3. عبد القادر إبراهيم يوسف عسيري وحسين بن محمد القرني 2026، الجهود النقدية العربية في النقد الأدبي البيئي 2004م-2025م: التشكل والامتداد والوفرة، مجلة الآداب للدراسات اللغوية والأدبية، كلية الآداب – جامعة ذمار، المجلد 8، العدد 1.
4. عبد الكريم يعقوب ودينا يونس 2015، أنسنة الليل في شعر ذي الرمة، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، العدد 21.
5. فريد عوف 2023، النقد البيئي الرؤية والتطبيق: دراسة تطبيقية لنماذج شعرية من شعر المدينة للشاعر الجزائري عبد الملك بومنجل، مجلة دراسات، المجلد 12، العدد 1.
6. هاني علي سعيد 2022، النقد الأدبي البيئي: قراءة في مدونة الدراسات العربية البيئية وممارسة تطبيقية على قصة "رأيت النخل "لرضوى عاشور، مجلة النقد الأدبي، العدد 26.

مواقع الأنترنت:

1. جميل حمداوي (د.ت)، نظريات النقد الأدبي في مرحلة ما بعد الحداثة، شبكة الألوكة الإلكترونية.**www.alukah.net** : يوم: 2026/08/01.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-11/07/2026

The Phonetic Term Between Old and Modern

M. Saba Farid Berto
Babylon Center for Historical and Civilizational Studies
saba.barto@uobabylon.edu.iq

Abstract:

This study addresses the topic of "Phonetic Terminology" as one of the fundamental issues in contemporary linguistics, due to its role in facilitating the understanding of linguistic sciences, clarifying their concepts, and bridging the gap between researchers and learners. The study aims to shed light on the efforts of both early Arab scholars and modern linguists in defining phonetic terms, explaining their meanings and characteristics, and revealing areas of agreement and disagreement between them.The research adopts a descriptive-comparative approach to analyze the contributions of early scholars who relied on self-observation to describe the speech apparatus, the articulation points, and the features of Arabic sounds. Their findings proved to be remarkably accurate and close to modern phonetic results. On the other hand, modern scholars benefited from phonetic laboratories, anatomical tools, and foreign studies, which enabled them to provide precise descriptions of speech organs and their functions in producing linguistic sounds.The study concludes that the early Arab phonetic heritage forms the foundation upon which modern studies were built, and that there is clear integration between old and new efforts. It recommends the unification of Arabic phonetic terminology and the utilization of linguistic heritage to construct a modern phonetic terminological dictionary that serves researchers and students of language..

Keywords: Phonetic Terminology, Phonetics, Early Arab Scholars, Modern Phonetic Studies, Speech Apparatus, Articulation Points

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

تأصيل بعض الفاظ الحلية من المعجم العربي الفصيح

م. صبا فريد برتو
جامعة بابل مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية
saba.barto@uobabylon.edu.iq

ملخص:

يتناول هذا البحث موضوع "المصطلح الصوتي" باعتباره من الموضوعات الأساسية في علم اللغة المعاصر، لما له من دور في تيسير فهم العلوم اللغوية وتوضيح أفكارها، وتقريب المسافة بين الباحثين والمتعلمين. وتهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على جهود علماء العرب القدامى والمحدثين في تحديد المصطلحات الصوتية وبيان معانيها وخصائصها، والكشف عن أوجه الاتفاق والاختلاف بينهما.اعتمد البحث المنهج الوصفي المقارن في تحليل جهود القدامى الذين اعتمدوا على الملاحظة الذاتية في وصف جهاز النطق ومخارج الحروف وصفاته، وتوصلت دراساتهم إلى نتائج دقيقة تقارب نتائج البحث الحديث. في المقابل، استفاد المحدثون من المعامل الصوتية والوسائل التشريحية والدراسات الأجنبية، مما مكّنهم من وصف أعضاء النطق وصفًا دقيقًا وتحديد وظائفها في إنتاج الأصوات اللغوية.وتوصلت الدراسة إلى أن التراث العربي الصوتي القديم يمثل الأساس الذي بنى عليه المحدثون، وأن هناك تكاملًا واضحًا بين الجهود القديمة والحديثة. وأوصت الدراسة بضرورة توحيد المصطلح الصوتي العربي والاستفادة من التراث اللغوي في بناء معجم مصطلحي صوتي حديث يخدم الباحثين وطلاب اللغة..

الكلمات المفتاحية: المصطلح الصوتي، علم الأصوات، علماء العرب القدامى، الدراسات الصوتية الحديثة، جهاز النطق، مخارج الحروف

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعروة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مقدمة:

تُعدُّ اللغة من أبرز مظاهر الهوية الثقافية التي تعبّر عن تراث الشعوب وتاريخها، ولا سيما في البيئات التي تحتفظ بلهجاتها المحلية رغم تطورات الزمن وتغير أنماط الحياة. ومن بين هذه البيئات اللغوية المتميزة، تبرز لهجة منطقة الحُلي جنوب غرب المملكة العربية السعودية، بوصفها لهجة محلية ذات خصوصية لغوية، استمدّت الكثير من مفرداتها من عمق اللسان العربي الفصيح، وإن كانت قد خضعت عبر الزمن لتغيرات صوتية ودلالية أو تأثرت بالبيئة الجغرافية والاجتماعية المحيطة بها.

إن اللهجة الحلية، كسائر اللهجات العربية، كثيرًا ما تُتهم بالابتعاد عن الفصحى، بل تُعدّها بعض النظرات السطحية شكلاً من أشكال الانحراف اللغوي أو التبسيط الشعبي. غير أن التمحيص اللغوي الدقيق يكشف خلاف ذلك تمامًا، إذ يتّضح أن كثيرًا من المفردات المتداولة في الحديث اليومي لدى أبناء الحُلي، تمتد جذورها إلى المعاجم العربية القديمة، التي سجّلت الألفاظ في أطوارها الأولى واستخداماتها الأصلية. وهذا ما يفتح الباب واسعًا أمام الباحث اللغوي لاكتشاف الجذور الفصيحة لما يبدو في الظاهر محليًا أو دارجًا، وفهم المسارات التي سلكتها الكلمة حتى وصلت إلى شكلها المعاصر.

ويتجلّى في هذا السياق دور المعاجم الكبرى، مثل "لسان العرب" لابن منظور و"تاج العروس" للزبيدي، بوصفها مصادر أساسية ترصد الامتداد التاريخي والدلالي للكلمة العربية، وتساعد على الربط بين الماضي والحاضر. ومن خلال هذا البحث، نحاول أن نُلقي الضوء على نماذج من الألفاظ الحلية المتداولة، ونُعالجها معالجة تأصيلية تعتمد على التوثيق المعجمي، بهدف إبراز ما تحمله هذه المفردات من أصالة لغوية، وتفنيد الفكرة القائلة بأن اللهجات العامية لا تمتّ إلى الفصحى بصلة.

إن دراسة مثل هذا الموضوع لا تخدم فقط البعد الأكاديمي، بل تساهم أيضًا في الحفاظ على التراث اللساني المحلي، وتعزز الوعي بأهمية اللهجات بوصفها جزءًا من المنظومة اللغوية الكبرى للغة العربية، بما تحمله من انعكاسات ثقافية وتاريخية تعبّر عن تفاعل الإنسان مع محيطه، وعن استمرارية اللغة العربية في صور متجددة عبر الأجيال.

الفصل الاول

المفهوم العام للحلية في اللغة العربية

الحلية في اللغة العربية تُطلق في الأصل على كل ما يُتخذ للزينة والتجمّل، سواء أكان ماديًا ملموسًا كالذهب والفضة والجواهر التي تُلبس، أم معنويًا يُقصد به المدح أو التزيّن بالكلام والصفات. وقد وردت مادة "ح ل ي" في المعاجم العربية بمعانٍ متعددة تدور جميعها حول الزينة والتحسين، فقد جاء في لسان العرب أن الحِلية هي ما يتحلّى به الإنسان من زينة، وتُطلق على الحُليّ أيضًا، أي ما يزيّن به الجسم كالخواتم والأقراط والقلائد. ومع مرور الزمن واتساع استعمال الكلمة، أصبح مفهوم الحِلية لا يقتصر على الزينة الحسية فقط، بل اتسع ليشمل الزينة المعنوية أيضًا، كأن يُقال: "تحلّى بالأخلاق الكريمة"، أي تزيّن بها، أو "تحلّى بالصبر"، أي تجمّل به في سلوكه ومواقفه.

وفي الاستعمال الأدبي، اتخذت الحِلية بعدًا رمزيًا أوسع، حيث أصبحت تُستخدم في وصف المحاسن اللفظية والمعنوية، بل وتطلق على ما يُجمّل الكلام أو الكتابة من بلاغة وأسلوب. هذا الاتساع في دلالة الكلمة يدل على مدى ثراء اللغة العربية وقدرتها على المجاز، فالتحلي لا يعود مقتصرًا على ما يُلبَس، بل يشمل كل ما يُزيّن الإنسان ظاهريًا أو باطنيًا

وهكذا يتضح أن مفهوم الحِلية في اللغة العربية هو مفهوم متعدد المستويات، يبدأ من المعنى المادي البسيط ويتدرج إلى أبعاد معنوية وأدبية وفكرية، مما يعكس عمق الدلالة وثراء الاستخدام في السياقات المختلفة.

المبحث الاول

التعريف اللغوي والاصطلاحي للحلية

في اللغة العربية، تُعرَّف "الحِلية" من حيث الأصل اللغوي بأنها ما يُتَّخذ للزينة والتجمُّل، سواء أكان من المعادن النفيسة كالذهب والفضة، أو من غيرها مما يُلبس على الجسد لتجميله(لويس معلوف ، ١٩٣١ م ، مادة "حلاى) وقد وردت الكلمة مشتقة من الجذر "ح ل ي"، الذي تدور معانيه حول الزينة والجَمال والتجمّل. فيُقال "تحلّى فلانٌ بالحُلي" أي لبس الزينة، و"تحلّى بالفضائل" أي تزيّن بها مجازًا. ومن هذا الجذر تُشتق كلمات مثل "حُليّ" و"مُتحلٍّ" و"تحلية"(**إبراهيم بيومي مدكور ، ١٤١٥هـ)**

١٩٩٤م) ص169، وكلها تدور في فلك الزينة، سواء كانت حسية مرئية أو معنوية.

أما في الاصطلاح، فإن معنى الحِلية يختلف بحسب السياق الذي تُستخدم فيه. ففي سياق الزينة المادية، تُطلق الحِلية على كل ما يُلبَس من الزينة على الجسد، من خواتم وأساور وقلائد، وغالبًا ما تكون مصنوعة من الذهب أو الفضة أو الجواهر. أما في السياق الأدبي أو البلاغي، فإن الحِلية تُطلق على الصفات المحمودة التي يتحلى بها الإنسان، كالأخلاق الفاضلة أو البلاغة أو الحكمة، وتُعد كأنها زينة معنوية ترفع من قدر الشخص أو الكلام (تهاني بنت ناصر ، العدد 20)

في سياقنا البحثي المتعلّق باللهجة الحلية، فإن "الحِلية" تُنسب إلى منطقة الحُلي في جنوب غرب المملكة العربية السعودية، وهي تُطلق على اللهجة المحلية التي يتحدث بها سكّان تلك المنطقة. وهذا الاستخدام اصطلاحي جغرافي، يختلف عن المعنى اللغوي الأصلي للكلمة، لكنه مستمدّ منه، إذ إن "الحُلي" هو اسم علم لمكان، اشتُق من الجذر ذاته، وارتبطت به سمات لغوية ولهجية تميّز أهله.

وبذلك فإن الحِلية تحمل في طيّاتها معنى الزينة لغةً، وتمتد دلالتها لتشمل الصفات المعنوية والرمزية في الاصطلاح، مع قابلية الكلمة للتطوّر بحسب السياق الثقافي والاجتماعي الذي تُستخدم فيه.

المبحث الثاني

تصنيف الفاظ الحلية في اللغة العربية

تُعد ألفاظ الحِلية في اللغة العربية من الألفاظ التي تنتمي إلى حقل دلالي غني، يعكس جوانب متعددة من ثقافة المجتمع العربي في القديم والحديث، سواء من حيث الملبس والمظهر، أو من حيث القيم والمعاني المعنوية التي يُتَجمَّل بها الإنسان. وتصنّف ألفاظ الحِلية في اللغة العربية إلى عدة أنواع، منها : (أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، 1985)

1. الحِلية الحسية

هي الألفاظ التي تشير إلى زينة خارجية مادية ملموسة، وغالبًا ما ترتبط بوصف الإنسان أو الأشياء المحسوسة، مثل: (أبي منصور الثعالبي، المكتبة العصرية ، 2000م ، ص 276)

- الألفاظ الدالة على الزينة: (قلادة، سوار، تاج، عقد، حُلّة، بُرد، وشاح).

- الألوان الزاهية: (أحمر قانٍ، أزرق سماوي، أبيض ناصع).
- المواد اللامعة: (ذهب، فضة، لؤلؤ، مرجان).

2. الحِلية المعنوية

وهي ألفاظ تُستخدم لإضفاء صفات معنوية محببة أو محمودة، مثل:

- الصفات النفسية أو الأخلاقية: (وقار، هيبة، طُهر، نقاء، كرم، حِلم).
- التعابير الأدبية الراقية: (حديثه مرصّع بالحكمة، كلماته منسوجة من نور).

3. الحِلية البيانية

وهي التي تُعنى بالتزيين البلاغي للكلام من خلال المحسنات البديعية مثل:

- الجناس: توافق اللفظين في النطق واختلافهما في المعنى (مثل: "يُحيي ويُميت").
- السجع: توافق أواخر الجُمل في الحروف (كقولهم: "أكرم الكريم، واحتمل اللئيم").
- الطباق والمقابلة: الجمع بين الأضداد لزيادة الأثر البياني.

4. الحِلية الصوتية

وهي الألفاظ التي تتميز بجمال موسيقاها عند التلفظ بها، وغالبًا ما تُستخدم في الشعر:

- استخدام الحروف الرخوة أو الممدودة لإضفاء طرب أو رقة.
- ترتيب الألفاظ بحيث تحقق تناغمًا صوتيًا (الإيقاع أو الجرس الموسيقي).

المبحث الثالث

مكانة الفاظ الحلية في التراث العربي

احتلّت ألفاظ الحِلية مكانة بارزة في التراث العربي، لما تمثّله من رمزية جمالية وثقافية تعكس ذوق الإنسان العربي القديم وتقديره للزينة، سواء على مستوى المظهر أو القيم الأخلاقية. لم تكن الحِلية مجرد مظاهر مادية تُتخذ للزينة، بل كانت أيضًا صورة من صور التعبير عن الهوية والمكانة الاجتماعية، ومرآة تنعكس فيها مظاهر الجمال الخارجي والداخلي، في الموروث الشعري والأدبي، وردت ألفاظ الحِلية بكثرة، حيث

استُخدمت للدلالة على الجمال الأنثوي والزينة المحببة، فكانت المرأة تُشبَّه بالحُلي في رقّتها وأناقتها، ويُقال عنها إنها "متحلية" أو "مزيّنة بالحُلي"، كما ورد وصف الحِلي في كثير من القصائد الجاهلية والإسلامية بوصفها دلالة على الترف والنعمة. وقد استخدم الشعراء تشبيهات مستمدّة من الحُلي لمدح المحبوبة، ووصفها بألفاظ مثل "القلادة"، و"الخلخال"، و"الدرّ"، و"الذهب المصوغ"، مما يُظهر شغف العربي بالجمال وتفصيله له من خلال مفردات دقيقة(عبد الرحمن زكي، 1960. ص 76).

أما في القرآن الكريم، فقد وردت ألفاظ الحِلية في مواضع عدّة، منها قوله تعالى: "أو من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين" [الزخرف: 18]، وقوله سبحانه: " يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ" [الكهف: 31]، حيث وردت الحلية بوصفها رمزًا للزينة والتكريم والنعيم . وهذه المواضع القرآنية تعكس النظرة الإيجابية إلى الحلية بوصفها نعمة من نعم الله، وتُظهر كيف كانت جزءًا من وعي العرب الديني والاجتماعي في آنٍ معًا.

وفي الجانب الأخلاقي والبلاغي، ارتقت ألفاظ الحلية من معناها الحسي إلى دلالتها المجازية، فأصبحت تُستخدم للإشارة إلى الصفات والفضائل. فالحِلية هنا تُصبح رمزًا للسمات النبيلة التي يتحلى بها الإنسان، كالعلم والحكمة والوقار والصبر. وقد شاعت تعبيرات مثل: "حلية العالم علمه"، و"حلية المؤمن خلقه"، للدلالة على أن الحِلية الحقيقية هي ما يجمّل الروح والسلوك، لا الجسد فقط، ولأن اللغة العربية بطبيعتها لغة تصويرية واستعارية، فقد احتضنت ألفاظ الحِلية ووسّعت استخدامها، فدخلت في الأمثال والحكم، واستُخدمت في الخُطب والبلاغة، وأصبحت رمزًا لكل ما هو جميل ورفيع، سواء في القول أو الفعل. وهكذا تبوأت هذه الألفاظ مكانة مرموقة في التراث العربي، لما تحمله من غنى دلالي، وارتباطها الوثيق بمفاهيم الجمال والقيم والهوية(أبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، 1932م، ص 98)

الفصل الثاني

تأصيل الفاظ الحلية في المعجم العربي الفصيح

تأصيل ألفاظ الحِلية في المعجم العربي الفصيح يعني تتبّع جذورها في اللغة العربية القديمة، وبيان ارتباطها بالمفردات الفصيحة الواردة في المعاجم التراثية مثل لسان العرب وتاج العروس. ويُظهر هذا التأصيل أن كثيرًا

من الألفاظ المستخدمة في اللهجة الحُلية اليوم، كـ"الخلخال"، و"السوار"، و"القلادة"، تعود إلى ألفاظ عربية أصيلة استخدمها العرب منذ الجاهلية، مما يدل على أن هذه المفردات ليست دخيلة أو عامية بالمعنى السلبي، بل هي امتداد طبيعي للفصحى. ويساعد هذا النوع من التأصيل على فهم تطوّر الألفاظ صوتيًا ودلاليًا، ويعزز العلاقة بين الفصحى واللهجات المحلية بوصفها روافد حيّة للغة الأم.

المبحث الاول

مناهج التاصيل اللغوي في المعاجم

تأصيل الألفاظ في المعاجم العربية الفصيحة يُعدّ من أبرز الجهود العلمية التي بذلها علماء اللغة عبر العصور، بهدف توثيق مفردات اللغة، وبيان أصولها، وتطور معانيها، واستخداماتها في مختلف السياقات. وقد تنوعت مناهج التأصيل اللغوي في هذه المعاجم، مما يعكس ثراء الفكر اللغوي العربي وعمق دراسته للغة.

مناهج التأصيل اللغوي في المعاجم العربية:

1. المنهج الصوتي (الترتيب الصوتي): يُعنى هذا المنهج بترتيب المفردات بناءً على مخارج الحروف وصفاتها الصوتية. مثال ذلك معجم "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي(الخليل ابن أحمد الفراهيدي، ج 4، 2003م)، الذي بدأ بحرف العين لكونه أعمق الحروف مخرجًا، ثم تلاه باقي الحروف حسب ترتيب مخارجها.
2. المنهج الألفبائي (الترتيب الهجائي): يعتمد هذا المنهج على ترتيب الكلمات وفقًا للحروف الهجائية المعروفة. مثال ذلك معجم "الصحاح في اللغة" للجوهري(ابن فارس، 1979)، الذي رتب المفردات حسب الحروف الهجائية، مما يسهل على القارئ البحث عن الكلمة المطلوبة.
3. المنهج الاشتقاقي: يركز هذا المنهج على جمع الكلمات المشتقة من جذر لغوي واحد، مما يساعد في فهم العلاقات بين الكلمات ومعانيها. مثال ذلك معجم "مقاييس اللغة" لابن فارس(**إسماعيل**

بن حماد الجوهري،د.ت ، ص 176) الذي جمع الكلمات تحت جذرها اللغوي، وبيّن المعاني المشتركة بينها.

المبحث الثاني

تحليل جذور الفاظ الحلية ودلالاتها

تُشتق معظم ألفاظ الحِلية في اللغة العربية من الجذر الثلاثي (ح ل ي)، وهو جذر غني بالدلالات المتعلقة بالزينة والجمال، سواء المادي منها أو المعنوي. وقد احتفى به المعجميون العرب الأوائل في معاجمهم، مثل لسان العرب لابن منظور، ومقاييس اللغة لابن فارس، والصحاح في اللغة للجوهري، باعتباره أصلًا لغويًا تدور معانيه في فلك التحسّن والزينة والبهاء.

الجذر (ح ل ي): أصل لفظ "الحِلية"

ورد في مقاييس اللغة أن:

«الحاء واللام والياء أصلٌ صحيح يدلُّ على حُسنٍ في شيءٍ وتزيُّن، من ذلك الحَلْي، وهو ما تُزيَّن به النساءُ»
(ابن فارس، ج2، ص 164)

وكلمة "حِلية" (بكسر الحاء) هي اسم من هذا الجذر، وتشير إلى كل ما يُتخذ للزينة من مصوغات كالذهب والفضة والعقيق، وغير ذلك من المواد، وتُستعمل لكل ما يُجمّل الإنسان أو يُظهر محاسنه. في حين أن "الحَلي" (بفتح الحاء) يُطلق على المجموع العام لما يُتزين به

اشتقاقات ودلالات من الجذر (ح ل ي):

تَحَلَّى: فعل يدل على التزيّن، سواء بالحُلي المادية أو بالصفات المعنوية. يُقال: "تحلّى بالوقار"، أي تزيّن به
(خديجة بجي ، 2020م ، ص32) .

حَلِيَ: فعل لازم، يُقال "حلي الشيء" أي صار جميلًا ومزدانًا.

مُتَحَلٍّ: اسم فاعل، وهو من يتزيّن بالحُلي.

حَلْيَة: بمعنى الزينة أو الزخرفة أو ما يُجمّل الشيء، وتُستخدم مجازًا مثل "حلية الكلام" أي بلاغته أو فصاحته.

ألفاظ حِلية أخرى وتحليل جذورها:

خَلْخال: مأخوذ من الجذر (خ ل ل) ويعني في أصله إدخال شيء في شيء، والخَلخال يُدخل في الساق، لذا سُمّي بذلك (شوقي وضيف وآخرون ،2004م ، ص 24)

سِوار: من الجذر (س و ر)، وهو ما يُدار حول الشيء. والسِّوار يحيط بالمعصم، ومنه "السُّور" الذي يحيط بالمدينة (أبي عبدالله بن عبد الله الخطيب د.ت ، ص 112)

قِلادة: من الجذر (ق ل د)، وتعني ما يُعلّق في العنق، والجذر يدل على الالتفاف أو التعليق(يحي الجبوري، الزينة في الشعر الجاهلي: التزين بالحلي، حولية لكلية الإنسانيات والعلوم الإجتماعية، 1981م، ص 160)

تاج: من الجذر (ت و ج)، وهو ما يُلبس على الرأس للتزيّن والتميّز، وله دلالات على السيادة والرفعة. (الزينة في الشعر الجاهلي: التزين بالحلي، الجبوري، مرجع سابق، ص 174)

الدلالات المعنوية والمجازية:

مع تطور استخدام اللغة، اتسعت دلالة الحِلية لتشمل ما هو معنوي. فأصبحت "الحِلية" تُطلق على الصفات التي تُجمل الإنسان:

"حلية العالم علمه"،

"حلية المؤمن الخلق الحسن"،

"تحلى بالصبر"، وغيرها.

وقد استُعمل هذا المجاز منذ العصر الجاهلي وفي القرآن الكريم، كما في قوله تعالى:

﴿أو من يُنشّأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين﴾ [الزخرف: 18] إشارة إلى الزينة التي تنشأ فيها المرأة.

إن الجذر (ح ل ي) وما تفرع عنه من ألفاظ يدل على مفهوم شامل للزينة والتحسّن، سواء أكانت مادية محسوسة كالحُلي، أو معنوية محمودة كالفضائل. وتكشف ألفاظ الحِلية عن العلاقة الوثيقة بين الشكل والمضمون في اللسان العربي، إذ تعبّر عن الجمال الخارجي والداخلي بلغة موحدة الجذر، لكنها متعددة الدلالة.

المبحث الثالث

المقارنة بين الفاظ الحلية في المعاجم القديمة والمعاصرة

أولًا: تعريف الحِلْيَة في المعاجم القديمة

- لسان العرب (ابن منظور):

الحِلْيَة: ما يُتَزيَّن به من المصوغ كالذهب والفضة والجواهر(لسان العرب ، ص 65)

يُطلق اللفظ على الزينة للنساء، وقد تُستخدم مجازًا في صفات المدح، كقولهم: "حلية الرجل علمه".

- القاموس المحيط (الفيروز آبادي):

الحِلْيَة: الزينة، جمعها حِلًى، وتُستعمل للمصوغات خاصة، وللصفات الحميدة مجازًا(الفيروز آبادي، د.ت، ص 26)

يُذكر أن الحِلْيَة قد تكون حقيقية (مادية) أو معنوية.

- تاج العروس (الزبيدي):

تأكيد على المعنيين: الحسي والمعنوي، مع أمثلة كثيرة من الشعر العربي، منها قول المتنبي:

"وإذا أتتك مذمّتي من ناقصٍ *** فهي الشهادة لي بأني كاملُ"

حيث تُعد الصفات الطيبة "حِلْيَة" معنوية (**الزبيدي ١٣٠٦هـ ، ص14)**

ثانيًا: الحِلْيَة في المعاجم المعاصرة

- المعجم الوسيط (شوقي ضيف): (شوقي ضيف وآخرون،2004. م)

الحِلْيَة: ما يُتَحلَّى به من زينة مادية (كالذهب، الفضة)، أو معنوية (كالصفات الحسنة).

يُوضح أن الكلمة تشمل كلا الاستعمالين، ولكن يُركز على الجانب الحسي في العرف العام.

- معجم اللغة العربية المعاصرة (أحمد مختار عمر):

يُميز بوضوح بين :(أحمد مختار عمر، 2008م ، ص48)

حِلْيَة مادية: كالخاتم، القرط، السوار.

حِلْيَة معنوية: كالأخلاق والفضائل.

ويشير إلى تطور في استخدام اللف

ظ في الإعلام والخطاب الديني والثقافي.

ثالثا : اوجه المقارنة

المعاجم القديمة	المعاجم المعاصرة	الوجه المقارن
تؤكد على الزينة المادية، وتستخدم المعنوية مجازًا بكثرة في الأدب	تساوي بين الدلالتين غالبًا، وتُفصل بينهما	الدلالة
مائل إلى الأدب والبلاغة والشعر	مائل إلى الحياة اليومية والثقافة العامة	الاستعمال
الكلمة تحافظ على معناها الأصلي (الزينة) مع المجاز	توسعت لتشمل سياقات جديدة: التعليم، الخطاب الديني، الإعلام	التطور اللغوي
تُستخدم كثيرًا في التركيبات المجازية مثل "حلية العلم"، "حلية البيان"	تُستخدم في الجمل الاصطلاحية مثل "حلية المرأة"، "حلية الخلق"	التركيب

تطبيقات الفاظ الحلية واهميتها في الدراسات اللغوية

تُعدّ ألفاظ الحِلية من الألفاظ الغنية دلاليًا في اللغة العربية، إذ لا تقتصر على المعاني الحسية المتعلقة بالزينة والمجوهرات، بل تمتد لتشمل معاني مجازية كالجمال المعنوي والصفات الحميدة. وتُستخدم هذه الألفاظ في الدراسات اللغوية لتحليل الظواهر الصوتية والدلالية، وتتبع الجذور والاشتقاق، واستكشاف التطور اللغوي. كما تسهم في فهم البنية الثقافية والاجتماعية للغة، من خلال تحليل استخدامها في الشعر والقرآن والسرد، مما يجعلها أداة مهمة في التأصيل اللغوي والدراسة الأسلوبية والمعجمية.

المبحث الاول

الالفاظ في الادب العربي

ألفاظ الحِلْيَة في الأدب العربي تُعد من الألفاظ ذات الدلالات الغنية والمتعددة، إذ أنها تتجاوز معناها الحسي المباشر لتدخل في فضاء المجاز والتعبير الرمزي، وهو ما يجعلها حاضرة بوضوح في مختلف مراحل الأدب العربي، شعرًا ونثرًا.

في أصل اللغة، تدل "الحِلْيَة" على الزينة التي يتحلى بها الإنسان، كالحلي المصنوع من الذهب أو الفضة أو الجواهر. غير أن الأدباء العرب لم يقفوا عند هذا المعنى المادي، بل وسّعوه ليشمل الزينة المعنوية، فجعلوا الفضائل والأخلاق والعلم والبيان صفات يتزين بها الإنسان كما يتزين بالحلي الحسي. من هنا أصبحت ألفاظ الحلية تُستخدم بوصفها أدوات تعبير بلاغي ترمز إلى المحامد والصفات الرفيعة، ففي الشعر العربي، كثيرًا ما نجد الحلية تُوظف في وصف النساء، لا بوصفها حليًا ظاهرية فحسب، وإنما أيضًا صفات معنوية تُعلي من شأن المرأة، مثل الحياء والعفة. كما تُستخدم الحلية في وصف الرجال أيضًا، ولكن بصورة مختلفة، إذ تتحول إلى رموز للكرم والحلم والعلم والمروءة، ويُقال مثلًا "حلية الرجل عقله" أو "حلية العالم علمه"، فيكون العقل والعلم هنا بمنزلة الزينة التي تضفي على الشخص قيمة وجمالًا . (ينظر: محمد عبد العزيز عمرو، ص 26)

ولم يكن النثر العربي، ولا سيما النثر الفني والخطابة الدينية، بعيدًا عن هذا التوظيف، بل استخدم ألفاظ الحلية للدلالة على القيم الأخلاقية والدينية، مثل قولهم: "التقوى حلية الصالحين" أو "الحياء حلية الإيمان".

وهذا الاستعمال يكشف عن نظرة عميقة ترى أن الجمال الحقيقي لا يكمن في المظهر بل في الجوهر، وأن الفضائل الروحية هي أرقى أنواع الزينة، وقد بلغ هذا الاستخدام المجازي مداه في الأدب الصوفي، حيث تحولت الحلية إلى رمز صوفي يعبر عن الصفات الروحية التي يتحلى بها السالك في طريقه إلى الله، فكان الصوفية يقولون: "حلية القلب الصفاء"، و"حلية الفقير التواضع"، مما يبيّن كيف ارتقى مفهوم الحلية من مجرد زينة خارجية إلى حالة روحية داخلية.

وهكذا، فإن ألفاظ الحلية في الأدب العربي ليست ألفاظًا جامدة أو محدودة الدلالة، بل هي ألفاظ حية ومتعددة الأبعاد، تجمع بين المادي والمعنوي، بين الظاهر والباطن، وتُستخدم ببراعة لإبراز الجمال في أسمى صوره، سواء في الشخصية الإنسانية أو في المعنى الأدبي نفسه.

المبحث الثاني

الالفاظ الحلية في القران الكريم والسنة النبوية

ألفاظ الحِلْيَة في القرآن الكريم والسنة النبوية تُعد من الألفاظ التي تحمل دلالات حسية وأخرى معنوية، وقد وردت في سياقات متعددة تُعبّر عن الزينة الظاهرة من جهة، وتُشير من جهة أخرى إلى القيم والفضائل التي يُزَيَّن بها الإنسان، مما يعكس العمق البلاغي والدلالي لهذا اللفظ في النصوص الدينية.

في القرآن الكريم، وردت لفظة الحِلْيَة ومشتقاتها للإشارة إلى الزينة التي أنعم الله بها على عباده، وخاصة فيما يتعلّق بالذهب والفضة والجواهر. من ذلك قوله تعالى:

﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف: 18]، وفي هذه الآية وردت الحِلْيَة بمعناها المادي، إشارة إلى ما تتزيّن به النساء في مرحلة التنشئة، وجاء السياق القرآني لبيان أن ذلك لا يترتب عليه كمال أو فضل في الخصومة أو الفصاحة. كما في قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ﴾ [الكهف: 31]، يظهر معنى الحلية المادية كنعيم من نعيم الجنة، وقد ورد هذا المعنى في مواضع متعددة، كالدلالة على السوار والعقد والذهب كجزء من مظاهر النعيم والكرامة الإلهية لأهل الجنة(ابن منظور، ، 1990م ,ج 6)

وفي مواضع أخرى من القرآن، نجد أن لفظ الحلية يقترن بذكر الزينة على وجه العموم، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ﴾ [الأعراف: 32]، وإن لم تذكر الحلية صراحة، إلا أن السياق

يتضمن المفهوم ذاته من حيث كون الحلية نوعًا من الزينة المباحة التي خلقها الله لعباده بشرط ألا تؤدي إلى الكبر أو الإسراف.

أما في السنة النبوية، فقد وردت ألفاظ الحلية أيضًا في أحاديث عدة، غالبًا في إطار الأحكام الشرعية المرتبطة باستخدام الحلي، خاصة للرجال والنساء. من ذلك ما رواه أبو داود وغيره أن رسول الله ﷺ نهى عن لبس الذهب والحرير للرجال، وقال: "هذان حرام على ذكور أمتي، حلٌّ لإناثها"، ما يُبرز البُعد التشريعي لاستخدام الحلية، حيث فُرضت ضوابط شرعية لتمييز زينة الرجال عن النساء، وإظهار التواضع، كما وردت الحلية في سياق النعيم الأخروي، كما في الحديث المشهور عن أهل الجنة: "يحلى المؤمن في الجنة بسبعين حلة من حلل الجنة"، مما يُعيد المعنى الذي ورد في القرآن إلى الأحاديث النبوية مؤكدًا التكريم الإلهي لعباده المؤمنين بالحلية الفاخرة.

كذلك، استخدمت السنة ألفاظ الحلية في إطار رمزي يدل على المعاني المعنوية، كما في قول النبي ﷺ عن الخصال المحمودة أو العبادات أنها زينة للمؤمن، وإن لم يُستخدم لفظ "الحلية" صراحة في كل موضع، إلا أن البنية المفهومية مرتبطة بمقام الزينة المعنوية، كما ورد في مدح الحياء والصبر والحلم بوصفها "حُليًا" معنوية يتجمّل بها الإنسان المؤمن(**محمد على حامد بيومى** ،، العدد 12 ،لسنة 2011.ص 3 -5 **(1990**

يتضح من خلال هذه النصوص أن لفظ الحلية في القرآن والسنة ليس محصورًا في الزينة الظاهرة فحسب، بل يحمل أيضًا إيحاءً رمزيًا ومعنويًا يعكس تكريم الإنسان من جهة، وتأكيد القيم الأخلاقية من جهة أخرى. كما يُظهر الاستخدام القرآني والنبوي لهذا اللفظ توازنًا دقيقًا بين إباحة الزينة كمظهر من مظاهر النعمة، وبين تنظيم استخدامها بما ينسجم مع قيم التواضع والاعتدال في الشريعة الإسلامية.

المبحث الثالث

اثر تأصيل الفاظ الحلية في الدراسات المعجمية الحديثة

أثر تأصيل ألفاظ الحِلْيَة في الدراسات المعجمية الحديثة يُعد من الموضوعات المهمّة التي تسلط الضوء على تطوّر البحث المعجمي في ضوء العلاقة بين اللغة والتراث من جهة، وبين اللغة واستعمالاتها المعاصرة من جهة أخرى. فالحِلْيَة، بوصفها لفظًا عربيًا غنيًّا بالدلالات، شكّلت مادةً خصبة للدرس والتحليل في إطار الجهود المعجمية الحديثة التي سعت إلى إعادة بناء المعنى من خلال تتبّع الجذر، والسياق، والتحوّلات الدلالية التي طرأت على الكلمة عبر العصور.

لقد اتجهت الدراسات المعجمية الحديثة إلى إعادة تأصيل ألفاظ الحلية من منطلقات لغوية وتاريخية ودلالية متكاملة، فبدأت بالكشف عن الجذر اللغوي للكلمة، وهو "ح ل ي"، وما يتفرع عنه من اشتقاقات مثل: "تحلّى"، "حُلى"، "مُتَحلٍّ"، وغيرها. وقد تم توثيق هذه الاشتقاقات ضمن بنية دلالية متماسكة، تبيّن كيف أن الكلمة قد نشأت في الأصل للدلالة على الزينة الحسية ثم اتسعت لتشمل الزينة المعنوية، مثل الأخلاق والفضائل. هذا التوسّع الدلالي تمّ رصده وتوثيقه في المعاجم الحديثة من خلال أمثلة نصية مستمدة من القرآن الكريم، والحديث النبوي، والشعر العربي، والمصادر الأدبية القديمة.

كما ساهم تأصيل هذه الألفاظ في إظهار العمق الثقافي والاجتماعي الكامن في اللغة، إذ أبرزت المعاجم الحديثة أن ألفاظ الحلية لا تعكس جانبًا لغويًا فحسب، بل تكشف عن نظرة الإنسان العربي إلى مفاهيم الجمال، والقيمة، والتميّز، سواء في المظهر أو الجوهر. فقد أصبحت الحلية في الوعي اللغوي رمزا يمتدّ من الجسد إلى الروح، ومن الزينة الظاهرة إلى المعنى المجازي، وهذا الاتساع في الدلالة أصبح موضوعًا للشرح والتحليل في المعاجم الحديثة التي راعت البعد السياقي للكلمة(عبد الرحيم، 2011 ،ص 175)

من جهة أخرى، فقد استفادت الدراسات المعجمية المعاصرة من مناهج علم اللغة الحديث، كالدلالة السياقية والتحليل المعجمي البنيوي، في شرح ألفاظ الحلية وتفسير تعدّد معانيها. وهذا ما ميّز المعاجم الحديثة عن المعاجم التقليدية، إذ لم تكتفِ بسرد المعاني، بل سعت إلى بيان العلاقة بينها، وتحديد مستوياتها من حيث الشيوع، أو التخصّص، أو المجاز، مما زاد من دقة الفهم وعمق التحليل.

ويُلاحظ أيضًا أن تأصيل ألفاظ الحلية في المعاجم الحديثة لم يكن محصورًا في اللغة الفصحى فقط، بل امتدّ إلى تتبع حضور الكلمة في اللهجات العربية المعاصرة، مما يدل على بقاء اللفظ حيًّا ومتداولًا، مع تحوّلات بسيطة في النطق أو السياق. هذا الرصد الميداني يعكس تطوّر الرؤية المعجمية الحديثة التي لم تعد مقتصرة على حفظ التراث، بل أصبحت تنظر إلى اللغة ككائن حيّ يتطور ويتفاعل مع واقعه.

وهكذا، فإن تأصيل ألفاظ الحلية في الدراسات المعجمية الحديثة لم يؤدِّ فقط إلى إعادة بناء المعنى وفق أسس علمية دقيقة، بل ساعد أيضًا على تعميق فهمنا للبعد الثقافي والديني والاجتماعي للّفظ، وربط اللغة بوجدان الأمة وتاريخها. لقد أصبح اللفظ المعجمي، من خلال هذا التأصيل، نقطة التقاء بين الماضي والحاضر، بين النص والمعنى، وبين الفكرة وصورتها التعبيرية.

الخاتمة

في ختام هذا البحث الذي تناول موضوع تأصيل الألفاظ الحلية من المعجم العربي الفصيح، يتضح لنا مدى العمق اللغوي الذي تحمله هذه الألفاظ في السياقات الثقافية والتاريخية والاجتماعية للعرب. فقد شكّلت مفردات الحِلية — بما تحمله من إشارات إلى الزينة واللباس والمجوهرات والرموز الجمالية — مكونًا دلاليًا وثقافيًا متجذرًا في وجدان العرب، لا باعتبارها مفردات لغوية جامدة، بل بوصفها تعبيرات عن الهوية، والانتماء، والذوق، والمكانة الاجتماعية، وحتّى القيم المرتبطة بالشرف والأنوثة والرجولة.

إن عملية تأصيل هذه الألفاظ لم تكن مجرد تتبعٍ اشتقاقي أو استقرائي لجذورها في المعجم العربي الفصيح، بل كانت بمثابة قراءة حضارية في دلالاتها وتحولاتها، عبر العصور، بدءًا من الشعر الجاهلي إلى أدب العصور الإسلامية وما بعده. فقد بدا جليًا أن الكثير من الألفاظ الحلية تحتفظ في بنائها الصرفي والمعنوي بأصولها الجذرية التي تعود إلى معانٍ أعمق من مجرد الزينة الشكلية، فهي تدل على الفخر والتفاخر، والعطاء، والتقدير، بل وتؤسس في أحيان كثيرة لصورة المرأة أو الرجل في المخيال العربي الجمعي.

وقد بيّنت الدراسة كيف أن هذه الألفاظ كانت جزءًا من التجربة المادية والروحية للإنسان العربي، إذ لم تكن الحِلية مجرد أدوات زينة، بل حملت طابعًا شعائريًا وطقوسيًا، وكان لها مكانها في المناسبات، وفي الأدب، وفي

التصوير البلاغي، كما رصدتها المعاجم الكبرى مثل لسان العرب وتاج العروس والعين. كما ساعد المعجم العربي الفصيح في تتبع اشتقاقات هذه المفردات، وتبيان المعاني الأصلية والفرعية، والتمييز بين ما كان منها مستعارًا أو مولّدًا وبين ما بقي متداولاً على فصاحته عبر القرون.

وفي ضوء ذلك، يتبيّن أن تأصيل الألفاظ الحلية لا يضيء جوانب لغوية فحسب، بل يكشف عن عمق العلاقة بين اللغة والهوية الحضارية، ويفتح المجال أمام مزيد من الدراسات اللغوية والأنثروبولوجية التي تبحث في علاقة اللغة بالمظهر الاجتماعي والذوق الثقافي. إن اللغة ليست نظامًا من العلامات المجردة، بل مرآة لحياة شعوب بأكملها، وحين نؤصل لألفاظ الحلية، فنحن نؤصل لمفاهيم أوسع تشمل الذوق، والجمال، والكرامة، والمكانة الاجتماعية، وهي مفاهيم ظلت ملازمة للعرب في خطابهم وتراثهم وأدبهم منذ أقدم العصور.

المصادر والمراجع

- ابن فارس، مقاييس اللغة1979.، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ط.1.
- أبي الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، 1932جواهر الألفاظ، تح محمد محي الدين عبد الحميد، مكتبة الخانجي، (د. ط)، مصر
- أبي عبدالله بن عبد الله الخطيب الإسكافي، مبادئ اللغة، تح: عبد ا يد دياب، دار الفضيلة، القاهرة، د.ط، د.ت ،
- أبي منصور الثعالبي2000م ، ، فقه اللغة وأسرار العربية، تح: ياسين الأيوبي، الدار النموذجية، ط2 ، المكتبة العصرية، بيروت،
- أبي يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، 1985 كنز الحفاظ في ذيب الألفاظ، هذبه الخطيب التبريزي، (د.ط)، ،بيروت .
- أحمد مختار عمر2008م ، معجم اللغة العربية المعاصرة، عالم الكتب، ط .1،القاهرة، مجلد،
- إسماعيل بن حماد الجوهري د.ت ، ، الصحاح في اللغة، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت ،
- محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) ١٣٠٦هـ تاج العروس : القاهرة ، ص14

- تهاني بنت ناصر ، الحلي وأدوات الزينة التقليدي ة في بادية نجد من المملكة العربية السعودية، مجلة الثقافة الشعبية، العدد 20 .
- حسن إبراهيم حسن، 1996م،تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، دار الجيل، ط14 ، بيروت، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، ج .2 .
- خديجة بجي ، الحلي 2020م ، في عقود النكاح السوسية دراسة معجمية احصائية ، منشورات جامعة ابن زهر ، ط1 ، اكادير ، ص32
- الخليل ابن أحمد الفراهيدي2003م ،كتاب العين، تح: عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ج 4،
- د . إبراهيم بيومي مدكور ١٤١٥هـ ، المعجم الوجيز : مادة " حلاى "، القاهرة
- د. محمد على حامد بيومى ، دراسة أثرية فنية للوحات الحلية النبوية في فن الخط العربي ، مجموعة دار الكتب
- شوقي ضيف وآخرون2004. م ، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4 ،
- عبد الرحمن زكي، الحلي 1960في التاريخ والفن، دار القلم، د. ط،. ص 76
- عبد الرحيم، 2011 معجم الدخيل في اللغة العربية الحديثة ولهجاتها، دار القلم، ط1 ،دمشق ، ،ص 175
- الفيروز آبادي،، د.ت، القاموس المحيط، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، د.ط ص 26
- ابن منظور، 1990م لسان العرب، دار صادر، (د.ط)، بيروت ، مجلد 06،
- لويس معلوف ، ١٩٣١ م المنجد في اللغة والأعلام ، مجمع اللغة العربية ، بيروت ، ، مادة "حلاى".
- يحي الجبوري، 1981م، الزينة في الشعر الجاهلي: التزين بالحلي، حولية لكلية الإنسانيات والعلوم الإجتماعية، جامعة قطر، ع 14 ، قطر ،

Linguistic Pride as Symbolic Resistance to Culture hegemony : A Study of the Relationship betweenLanguage, Identity, and Civilizational Security in Contemporary Arab Context

Dr/ Hayette Ahmed Seid
Faculty of letters and Languages
Department of Arabic Letters and Languages-Annaba-ALGERIA-
hayette.ahmed-said@univ-annaba.dz

Abstract:

This study examines linguistic pride in Arabic as a form of symbolic resistance to cultural hegemony, by investigating the relation ship between language, identity, and civilizational security in contemporary Arab context. It addresses the central question of the extent to which linguistic pride can move beyond a meresense of linguistic belonging to became an effective symbolic practice capable of resisting cultural hegemony and streng the ningidentity and civilizational security.

The study concludes that linguistic pride constitutes a sumbolic and civilizational capital whenit moves beyond celebratory discourse in to effective practices in education, media, scientific research, administration, and knowledge production. The strength of a language, ther fore, does not lei merely in defendingit, but in its capacity to produce knowledge, express the needs of society, and accommodatecontemporary developments. Accordingly, streng the ning linguisticpride in Arabic contrubites to linguistic security and represents an important dimention of civilizational security, sincesafeguardinglanguageultimatelymeanssafeguardingcollective memory, cultural reference, and the capacity to produce one s own civilizational identity.

The study argues thatresisting cultural hegemonydoes not reguire isolation or rejection of the Other ; rather, itrequires confident linguistic self-awareness, critical interaction withother cultures, and the transformation of Arabicfrom an object of defenseinto an active instrument for knowledge production and future-making.

Keywords : Linguistic Pride, Symbolic Resistance, Culture hegemony, Language, Identity, Civilizational Security.

الاعتزاز اللّغوي مُقاومةٌ رمزية للهيمنة الثّقافية: دراسة في العلاقة بين اللّغة والهوية والأمن الحضاري في الواقع العربي المعاصر.

د/حياة أحمد الصّيد

قسم اللّغة العربية وآدابها، كلّية الآداب واللّغات، عنّابة، الجزائر.

hayette.ahmed-said@univ-annaba.dz

ملخص:

يبحثُ العمل في قضية الاعتزاز اللّغوي باللّغة العربية بوصفه فعلاً ثقافيا رمزيا مقاوِماً يتجاوزُ حدود الانتماء العاطفي الشّعوري بالفخر والمحبة للعربية ليتحوّل إلى شَكلٍ من أشكالِ مقاومةِ الهيمنة الثّقافية الرّمزية التّي تفرضها العولمة اللّغوية المعاصرة.

ينطلقُ العمل من فرضيةٍ مضمونها أنّ اللّغة –أيّ لغة– ليست أداةً للتّواصل فحسب، وإنّما هي علامةٌ للهوية، ووِعاءٌ للذّاكرة الحضارية، وأقوى أدوات إنتاج السّلطة الرّمزية داخل المجتمعات، وعلى هذا تراجعُ الاعتزاز باللّغة العربية في البلدان العربية مؤشّرٌ خطير على حالاتٍ عميقة من الاغتراب الثّقافي، والاستِيلاب الحضاري، وتَشوُّه صورة الذّات، والانهزام أمام الآخر.

يسعى العمل إلى تحليل الكيفية التّي تُنتَج بها الهيمنة اللّغوية عالميا بتوظيف الإعلام والمدرسة والاقتصاد والذّكاء الاصطناعي وغيرها، حيثُ تَثرى بعض اللّغات دون غيرها ويتضخّم رصيدها الرّمزي مانحاً إيّاها قوّة ومكانة وهيمنةً، في مقابل تراجع القيمة الرّمزية للغاتٍ أخرى، ولذلك يركّز العمل على القضايا الكبرى الثّلاث؛ الاعتزاز اللّغوي وعلاقته بالهوية والأمن الثّقافيَين، آليات فرض الهيمنة الثّقافية، وتحليل الاعتزاز اللّغوي بعدّه من أقوى أشكال المقاومة الرّمزية التّي تحمي الذّاكرة والوعي والهوية.

يعتمدُ العملُ مقاربةً نقديةً تكامليّةً تستند إلى مفاهيم الهيمنة الثّقافية، والرّأسمال الرّمزي، إضافة إلى دراسات الأمن اللّغوي والهوية الثّقافية حيثُ تتحوّل اللّغات إلى أداة قوّة ناعمة ومقاومة ثقافيّة.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ●09-10-2026/07/11

يصل العمل إلى أنّ الاعتزاز باللّغة العربية لا يعني احتقار اللّغات الأجنبية أو الانغلاق الثّقافي والرّفض المطلق للآخَر، بل إنّ الاعتزاز اللّغوي يعبّر عن وعيٍ ثقافيٍّ ناضج مسؤول يوازن بين الانفتاح على العالم والحفاظ على الخصوصيّة الأمر الذّي يجعَل اللّغة فعلاً أداةً للتّحرّر الرّمزي وبناء الاستقلال الثّقافي.

تؤكّد الدّراسة أنّ الأمن اللّغوي جُزءٌ خطيرٌ من الأمن الحضاري والثّقافي، وأنّ مستقبل اللّغة العربية ليس مرتبطا بحمايتها بقوّة الدّستور والقانون فقط، بل بقدرتها على التّحوّل إلى لغة فاعلة في إنتاج المعرفة والوعي والقوّة الرّمزية داخل العالم المعاصر.

–الكلمات المفاتيح: الاعتزاز اللّغوي، الهيمنة اللّغوية، المقاومة الثّقافية الرّمزية، الأمن الحضاري الثّقافي.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار ● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ●09-10-2026/07/11

مقدّمة:

يعدّ الاعتزاز اللّغوي من القضايا الحضارية الكبرى والمصيرية التّي تتجاوز الحدود اللّغوية إلى مجالات الهوية والثّقافة والانتماء الحضاري، فاللّغة ليست أداة تواصل فحسب، هي بالإضافة إلى ذلك دليلُ الوجود التّاريخي والحضاري والثّقافي والفكري للأمة، هي ذاكرتها وهويتها الخاصة، ولذلك فإنّ ضعف الاعتزاز اللغوي عند أمّة ما يعكسُ خَللا في التّصوّر الحضاري لذاتها وتراثها ومستقبلها، لا تختلف في ذلك لغة عن أخرى، بل يمكنُ أن نجد تميّزا في هذا الجانب في واقع اللغة العربية للاعتبارات الدّينية الإسلامية وآثارها الشّاملة على الوجود الإنساني عامة والعربي الإسلامي خاصة، ممّا يزيد من شدّة الهيمنة اللّغوية للّغات الأجنبية التّي لم تعد تُمارس بالوسائل المادية المباشرة، وإنّما من خلال منظومات رمزية ناعمة تتّصلُ باللّغة والمعرفة والإعلام والتّعليم، وفي هذا السّياق تتحوّل اللّغات إلى ميدانٍ للصّراع الرّمزي حيثُ تكون هناك لغات مهيمنة وأخرى مغلوبة أو مهمّشة، مِن هنا يكتسب الاعتزاز اللّغوي دلالة تتجاوز الانفعال والشّعور، فهو وعيٌ إيجابيّ بالانتماء اللّغوي، وإدراكٌ لقيمة اللّغة وقدرتها على حمل الذّاكرة والتّاريخ والهوية، لذلك يتحوّل الاعتزاز اللّغوي إلى مقاومة رمزية تحمي الذّات والهوية من الانحلال أو التّشوّه أو الموت والزّوال، فإذا كانت الهيمنة الثّقافية تبتغي إعادة ترتيب سلّم المرجعيّات والقيم والتّصوّرات بما يتوافق ومقاصد أصحاب اللّغات المهيمنة، فإنّ تعزيز الثّقة باللّغة الأم هو استعادةٌ لفاعليتها في الوجود والحياة العامة، ولذلك يرتبط الاعتزاز جينيا بالأمن اللّغوي والحضاري الذّي يتأسّس على حماية مقوّمات الوجود الرّمزي والثّقافي للمجتمعات وتَمَكُّنِها من إنتاجِ ذاتها، والمشاركة الفاعِلة في صناعة المعرفة والحضارة.

يسعى العمل إلى تحليل الكيفية التّي تُنتَج بها الهيمنة اللّغوية في مقابل تراجع القيمة الرّمزية للغات أخرى خُصوصًا في وعي أهلها النّاطقين بها، ولذلك يركّز العمل على القضايا الكبرى الثّلاث؛ الاعتزاز اللّغوي وعلاقته بالهوية والأمن الثّقافيَين، آليات فرض الهيمنة الثّقافية، ثمّ تحليل الاعتزاز اللّغوي بعدّه من أقوى أشكال المقاومة الرّمزية التّي تحمي الذّاكرة والوعي والهوية.

أولا:المهاد النّظري للعلاقة بين اللّغة والهيمنة الثّقافية: لا تُفهم اللغة في الفكر المعاصر بعدّها مجرّد أداة للتّواصل بين الأفراد والأمم، بل أخذت مكانتها بوصفها مَجْمَعا لروافد رمزية عدّة تُنتج المعنى والسّلطة والهيمنة داخل البِنيات الفكرية الاجتماعيّة، وفي الدّراسات الاجتماعية والنّقدية والسّياسية واللّسانية والفلسفيّة الحديثة

يتمّ التّأكيد على أنّ الصّراع اللّغوي لا ينفصل عن الصّراع الحضاري، لأنّ اللغة تُسهم في بناء الواقع وتشكيله مرارا وتكرارا على حسب مقاصد أصحاب الهيمنة الثّقافية في كلّ أمّة، وإنّ تراجع لغة ما في ساحة الصّراع لا يعني ضعفا في استخدامها فقط، بل يعكسُ تراجعا في حضور جماعتها النّاطقة بها داخل موازين القوى الرّمزية والمعرفية العالمية، في هذا السّياق يصبح الاعتزاز اللّغوي فعلاً ثقافيا أكبر من مجرّد شعور عاطفي ضيّق، فعلٌ يأخذُ بعداً حضاريا مرتبطا بحماية الهوية الثّقافية ومقاومة الاستلاب الرّمزي وإعادة بناء صورة إيجابية عن الذّات الخاصة الجماعية.

1-1-الاعتزاز اللّغوي وأبعاده الحضارية: هو: "افتخار الجماعة اللّغوية بلغتها، في معجمها وأدبياتها، وفنونها في سياق رفع مكانتها الحضارية والهوياتيّة" **(لبيدي و عكّاش، 2024، صفحة 316)** يشير الاعتزاز اللّغوي إلى العلاقة النّفسية الشّعورية الإيجابية التي تربط الفرد أو الجماعة بلغتها، تجعل تلك العلاقةُ اللّغةَ مصدراً للانتماء والثّقة والكرامة والهوية، فالاعتزاز اللغوي لا يعني محبّة اللغة والدّفاع عنها فحسب، بل يعني أيضا وبشكلٍ حاسم الوعي الحقيقي بقيمتها الحضارية وقدرتها على حفظ الخصوصية والهوية داخل العالم المتصارع الهويات. ما يثبت أنّ الاعتزاز اللّغوي يتجاوز الشّعور العاطفي تجاه اللّغة هو ارتباطه بالممارسة الحقيقيّة للّغة في التّعليم والإدارة والبحث العلمي والإعلام والتّكنولوجيا وغيرها، الاعتزاز باللّغة يعني أنْ التّي يحتفي بها أهلها فعلاً في واقعهم بمختلف تفاصيله، إنّه ليس احتفاءً خطابيّا استعراضيّا فقط، بل هو احتفاءٌ عَمَليٌّ تطبيقيٌّ ينتشرُ إشعاعيا في مستويات متعدّدة وأبعاد مختلفة:

أ-البعد النّفسي: هو ما يقيم جوهر هذه القضية من حيثُ إنّه يتمثّل في شعور الفرد بالفخر والسّعادة بلغته، وعدم الشّعور بالدّونية والنّقص عند استعمالها علنيا أو سريا، وعلى هذا فالفرد الذّي يعتزّ بلغته العربية هو الذّي لا يخجل من استعمال العربية في المواقف اليومية أو الرّسميّة، هو الذّي لا يعدُّ اللّغة الأجنبية رمزا للتّقدّم الحضاري ويقدّمها على اللّغة العربية، هو الفرد الذّي لا يقبل أن تتمّ السّخرية من العربية تصريحا أو تضمينا في كلِّ المواقف والمقامات. إنّ الفرد (أو الأمّة) الذّي لا يعتزّ بلغته يعاني أزمتين متّصلتين؛ أزمة لغوية تواصليّة، وأزمة وعي ثقافي وحضاري وهي أخطر.

ب-البُعد الحضاري: يمارس الأفراد اللّغة على حسب مستوياتهم العقلية والنّفسية والعلمية والاجتماعيّة مع أنّ كلّياتها الأساسية مشتركة بينهم، وعلى هذا فهي تمتدّ إلى مستويات فردية وجماعيّة عامة، هي ليست أداة

الفرد للتّواصل فحسب، بل هي أداة عامة تحمل الذّاكرة الجماعية، وتصوغ الرّؤية التّصوّرية للوجود، وتقدّم القيم والأخلاق والبنيات الفكرية العامة، لقد سَبق للإنتروبولجي الفيلسوف سابير أنْ أكّد على أنّ الجماعات التّي تتكلّم لغات مختلفة هي في الحقيقة تعيشُ عوالم مختلفة، وليس عالماً واحداً بتسميات مختلفة، ولهذا تماما تغدو اللّغة بما تحمله من ثقافة ورؤًى محلاً للصّراع والحرب.

الفرد الذّي لا يعتزّ بلغته يعاني أمراضا حضارية وثقافية وفكرية عويصة؛ ضعفٌ في الارتباط بالتّراث والجذور، تشوّهٌ في الصّورة الذّاتية للأمة، اضطراب سلّم ترتيب الأولويات والمهمّات، وتنامي حالة التّبعية للآخر والاستسلام أمام تصوّراته وأفكاره وأخلاقه، ومن هذا الموضع بالضّبط يمثل الاعتزاز اللّغوي جزءاً خطيرا مهمّا من الأمن الحضاري والثّقافي واللّغوي للأمة.

1-2- الاعتزاز اللّغوي والانغلاق على الذّات: ليس الاعتزاز تعصّبا أعمى للّغة، ورفضا غير مبرّر للّغات الأجنبية ودعوى للانغلاق على الذّات، ما ذُكِرَ هي أعراضٌ لمرض ثقافي فكريّ مضاره كبيرة على المدى القريب والبعيد مِن مثل: الجمود وعدم التّطوّر، والعزلة الحضارية، وغياب التّأثير في الآخر.

الاعتزاز اللّغوي في حقيقته ظاهرة صحيّة، لأنّ الاعتزاز باللّغة الأم لا يتناقض مع قبول التّعدّد اللّغوي، وتعلّم اللّغات الأجنبية والانفتاح الواعي على الآخر، فالمعتزّ بلغته غالبا له مناعة لغوية وثقافية تجعله واثقا من قوّته ووجوده مع قدرة على الانفتاح على الآخر المختلِف، فالمُشكلة إذن ليست المشكلة في اللّغات الأجنبية في حدّ ذاتها، بل في تحوّلها إلى معيار للتّقدّم على حساب اللّغة الأم.

1-3- اللّغة والسّلطة الرّمزية: يعدّ مفهومُ السّلطة الرّمزية من المفاهيم المركزية في أعمال بيير بورديو، فالسّلطة الفاعلة بشكلٍ أطول وأقوى وأنجع ليست تلك التّي تحقّقها القوّة المادية بسلطة القانون أو قَمع السّلاح ، بل هي تلك التّي تُمارَس رمزيا خصوصًا باللّغة، حيث يتمُ بناء تصوّر للعالم يناسب أصحاب هذه السّلطة ويتّم فرضه بشكلٍ غير مباشر على المتلقّي، لينتج نوعٌ من خطير من العنفِ هو العنف الرّمزي، لأنّه يستهدف عقول النّاس دون وعيهم عبر التّربية والتّعليم والإعلام، وهي كما ترى ميادين تتمظهر أساسا في اللّغة وباللّغة :"السّلطة الرّمزية هي سلطةٌ لا مرئيةٌ، ولا يمكن أن تُمارَس إلاّ بتواطؤ أولئك الذّين يأبونَ الاعتراف أنّهم يخضعون لها، بل يمارسونها" **(بورديو، 2007، صفحة 180)**

والعنف الرّمزي يمارسه من يملك الوسائل المناسبة للسّيطرة على الآخرين، وليس أقوى من الدّولة تفعل ذلك، وهي لا تملك القدرة على العنف المادي فقط بمؤسّسات الشّرطة والأمن والسّجن والمدرسة وغيرها، بل العنف الرمزي أيضا: "الدّولة عبر التّأطير الذّي تفرضه على الممارسات، فإنّها ترسّخ في الذّهن أنماطا رمزية للتّفكير المشترك، وأطُرًا اجتماعية للإدراك، والفهم والذّاكرة" (**شوفالييه و شوفيري، 2007، صفحة 157**).

السُّلطة الرّمزية إذن في صورتها الرّمزية لا تُمارَسُ عبر الإكراه المباشر والقمعِ المادي، بل عبرَ القدرة على فَرضِ رؤيةٍ معيّنةٍ للعالم بصفتها رؤية طبيعيّة صحيحة ونفعيّة بشكلٍ لا يتعارَض مع نظامِ قِيَم المتلقّي، وتؤدّي اللّغةُ الوظيفة الأكبر في تحقيق هذه الغاية، لمّا تتحوّل إلى أداة حاسمة في إنتاج القبول والطّاعة، وبناء الشّرعيّة وتوجيه العقول والإدراك إلى الوِجهة المُرادة.

1-4-الرّأسمال اللّغوي في الواقع العربي المعاصر: الرّأسمال اللّغوي هو جزءٌ من الرأسمال الثّقافي، موارده هي عناصر اللغة ومكوّناتها (الصّوتية والمعجمية والنّحوية والبلاغيّة...) التّي يتمّ استخدامها بكفاءة في المواقف التّواصليّة والاجتماعيّة والثّقافية، أي أنّ موارده لغوية اجتماعيّة ثقافيةّ، تطوّر هذا المفهوم بجهود عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو الذّي حلّل العلاقة بين اللّغة والسُّلطة، وقد أشار إلى أنّ السّلطة الرّمزية تتحوّل إلى رأسمال لغوي يمكن استثماره لتحقيق نفوذ سياسي أو ثقافي أو اقتصادي، وأنت ترى ارتباط بعض اللّغات الأجنبيّة (خصوصا الإنجليزية والفرنسية) في المجتمعات العربية بالطّبقات الاجتماعيّة الأعلى، والوظائف المرموقة، والتّعليم الخاص الذّي ينظر إليه اجتماعيا على أنّه خاص بالنّخبة الأغنى المتحكّمة.

يتجلّى الرّأسمال اللّغوي في الواقع العربي المعاصر في مظاهر عدّة نذكر أهمّها:

-تقدّم اللّغات الأجنبيّة على اللّغة العربية في ميادين هامة في الحياة العامة العربية.

-هيمنة التّعليم الأجنبي.

-ربط التّقدّم والتّطوّر في العمل باللّغات الأجنبية، وعدّ استعمال اللّغة العربية أقلّ عملية وأقلّ مكانة وفعالية. وهذه المظاهر المَرَضِيّة تؤدّي إلى خلق مشاكل كبيرة في الواقع العربي:

-إضعاف السّلطة الرّمزية للّغة العربية.

-تنامي الشّعور بالدّونية والنّقص والعجز في العقل الجمعي العربي، الأمر إلى يحدث أزمة في الإنسان العربي تجعله سلبيا قانعاً برتبة المفعول به، المستهلك السّطحي الذّي يعجز عن النّشاط والحركة والإنتاج.

-إعادة إنتاج التّبعية للآخر والوقوع تحت احتلاله بشكلٍ حداثيّ مبهرج، يخفي قبحه تحت مقولات الانفتاح والتّحرّر والحداثة.

1-5-الهيمنة اللّغوية والعولمة: تصاعد نفوذ العالمي اللّغة الإنجليزية لا لكونها أفضل اللّغات أو أكثرها قدرة على التّعبير عن الأغراض المختلفة، ولكن بوصفها لغة التّكنولوجيا والاقتصاد والبحث العلمي والإعلام العالمي، نفوذها هذا منحها سلطة وهيمنة رمزيتين ظاهرتين فأصبحت الإنجليزية في السّوق العالمية اللغوية الثّقافية ذات رأسمال كبير به تنتج المعرفة التّي تناسبها، وتؤثّر رمزيا بما يرسّخ مكانتها في العقل الإنساني كلّه، في ظل هذا النّجاح الكاسح للإنجليزية عالميا واجهت لغات عدّة مخاطر التّهميش والانحسار الوظيفي أو التّبعية المطلقة، وإذا كانت اللّغة العربية ظاهرة خاصة بين اللّغات بسبب ارتباطها بالدّين الإسلامي، وبسبب عروبة القرآن الكريم الذّي حفظها إلاّ أنّ مكانة العربية وطوال عقود من الزّمن ظلّت تتقهقر وتتراجع بشكلٍ مؤسف حتّى صار من الطّبيعي أن تُقرَن العربية بكونها لغة الشّعر والزينة اللّغوية وتُبعد من ميادين العلم والتّكنولوجيا والفكر، إنّ هذا الشّكل من الاستيلاب اللّغوي يجعل العربي فاقداً للثّقة في لغته العربية، يجعله ينظر للّغات الأجنبية خصوصا الإنجليزية على أنّها لغة القوة والتقدّم، ويعدّ هذا الشّكل من الاستيلاب أخطر أشكال الانهزام والاستسلام ، لأنّه يجعل الجماعة اللغوية تشارك بنفسها في إضعاف لغتها وهويتها، ولذلك نتّفق تماما مع الصّرخات المتوالية التّي أطلقها المفكّر واللّساني العربي الكبير عبد السّلام المسدّي خصوصا في مؤلّفه القيّم العرب والانتحار اللّغوي. **(المسدي، 2011)**

1-6-اللّغة والهوية والأمن الحضاري: تعدّ اللّغة أهمّ مكوّنات الهوية الجمعيّة، لأنّها تَحفظ الذّاكرة وتبني رؤية العالم في أذهان متكلّميها، وتنقل قيمهم وأخلاقهم وخصوصياتهم، والهوية هي:" مجموعة السّمات العامة التّي تُمَيِّزُ شعباً أو أُمّة في مرحلة تاريخيّة معيّنة" **(العزاوي و القرشي، 2025، صفحة 148 وما بعدها)**، وصيانة الهوية تحقّق قدرة الأمة على حماية لغتها، وضمان استمرار استعمالها وتمكينها من أداء وظائفها

الحضارية والمعرفيّة المنوطة بها وهذا ما يدخل فيما يمكن تسميته بالأمن اللّغوي، وهو جزءٌ من الأمن الحضاري للأمة، لا يمكن تحقيقه بالشّعارات الرّنّانة، وإنّما بجملة من الخطوات العَمَليّة:

- في السّياسات والممارسات التّعليميّة.
- الإنتاج العلمي والتّكنولوجي.
- الإعلام.
- الحضور الرّقمي القوي.

كثيرٌ من البلدان تركّز في سياساتها العامة على أمنها اللّغوي بوصفِ لغاتها أدوات للسّيادة والاستقلال الرّمزيين، ولكونها أقوى أسلحة القوّة النّاعمة.

عموما، اللّغة ميدانٌ للحرب والصّراع الرّمزيين، وهي ترتبط بالسّلطة والهوية والهيمنة، كما يمكن أن تتحوّل إلى أداة للاستيلاب أو المقاومة بحسب موقعها داخل موازين القوى الحضارية العالمية.

وحديثنا عن الاعتزاز اللّغوي بالعربية لا يعني موقفا عاطفيّا شعوريا، بل جزءاً من الأمن الحضاري، وآلية رمزية لإعادة بناء الثّقة بالذّات العربية في مواجهة أشكال الهيمنة اللّغوية والثّقافية المعاصرة.

يعدّ هذا الجانب النّظري أساسا متينا لفهم مظاهر الهيمنة اللّغوية داخل الواقع العربي المعاصر، وهو ما سنتناوله في العنصر التّالي بتقديم آليات الهيمنة الثّقافية واللّغوية في المجتمعات العربية المعاصرة.

ثانيا: الهيمنة اللّغوية في الواقع العربي المعاصر: دراسة في آليات التّبَعيّة الرّمزية: مَرّ بنا أنّ اللّغة كما أثبتت الدّراسات الاجتماعيّة والنّقدية الفلسفيّة الحديثة أهمّ أشكال السّلطة الرّمزية، ولا يُفهَم من الأمر أنّ السّلطة هذه تتأتّى من مجرّد الانتشار الواسع لبعض اللّغات، بل بعدّها نتيجة لبنية عالمية من القوّة السّياسية والاقتصادية والثّقافيّة والمعرفيّة، فاللّغات لا تتحرّك في فراغ بشكلٍ عَبَثِيّ غير مقصود، إنّها تتحرّك داخل منظومة معقّدة من العلاقات التّي تحدّد الشّكل الحقيقي لموازين القوى الحضارية، حيثُ تتحولّ لغة الجماعات المهيمنة إلى لغة العلم والاقتصاد والتّكنولوجيا والمكانة الاجتماعيّة والحداثة

والتّقدّم، في هذا السّياق، شهد الواقع العربي خلال القرون الأخيرة وخصوصا في العقود الأخيرة تصاعدا واضحا للهيمنة اللّغوية الأجنبية نظرا لجملة من الأسباب ترجع أصلاً إلى حقبة الاحتلال الأوروبي للبلدان العربية في القرن ال19م، ثمّ تعمّقت عبر التّبعيّة الاقتصادية والعلمية، الأمر الذّي أدّى إلى اختلال في

التّوازن الرّمزي بين اللّغة العربية واللّغات الأجنبيّة، تتجلّى خطورة هذه الاختلالات في تحوّل اللُّغات الأجنبية إلى معيار للقيمة والهيبة والنّجاح والانتماء إلى الحداثة، بمعنى أنّ اللّغات الأجنبية تستحوذ على الرّأسمال الرّمزي الأعلى داخل الوعي الجمعي العربي، بسبب ذلك تبدأ اللغة العربية في فقدان مكانتها الرّمزية حتّى لو ظلّت حاضرة قانونيا ورسميا في الوثائق والمستندات.

نعمل في هذا العنصر على تحليل أبرز آليات الهيمنة اللّغوية في الواقع العربي، والكشف عن العوامل التّي أسهمت في إنتاج التّبَعيّة اللّغوية والثّقافية.

2-1-الغزو اللّغوي وإعادة صناعة الوعي العربي: لا يقتصر الاستعمار على الحرب العسكرية أو السّياسية، بل يمتدّ إلى التّحكّم الثّقافي حيث تصبح لغةُ المستعمر أداةً لإعادة بناء وعي الشّعوب المستَعمَرة، ويعرّف الاستعمار اللّغوي أو الإمبريالية اللّغوية بأنّه فعلٌ استعماريٌّ بأدواتٍ لغوية، إنّه هيمنةٌ للغةِ المستعمِر على جميع المجالات الاجتماعية والسّياسية والعلمية والأدبية والثّقافية في المجتمع المُستَعمَر، الأمر الذّي يُحدث شرخًا بين أفراد المجتمع وانقساما عميقاً يضرب هوية المجتمع ويشوّه خصوصيته هذا إن لم يتسبّب أصلا في فتن خطيرة تبقيه على فوهة بركان قابل للانفجار والانتهاء في أيّ لحظة. في هذه الحالة، لا تكون لغة المستَعمِر أداة التّواصل الأثيرة في البلد المُستعمَر فقط، بل إنّها تدخل في النّسيج الجيني للمجتمع فتشوّه تركيبته وتؤثّر فيما بعد في هوية هذا المجتمع ووجوده الثّقافي الحضاري، لأنّ هذه اللّغة ستعيد ترتيب العلاقة بين؛ الأنا والآخر، بين القومي الوطني والعالمي، بين الأدنى والأعلى في التّصوّر الذّهني للعقل الجمعي. ومن المؤكّد بين المركزيّ والهامشي، في ظلّ تلك الأجواء المضطربة لن تكون الأولوية للّغة الأم العربية، ستكون اللّغة الأجنبية هي المهيمنة مع آثار ذلك السّلبية على ذهنية العربي ونفسيته وعلاقته بذاته وتاريخه وهويته ودينه وثقافته.

2-2-الاستعمار الأوروبي وأثره على البنية اللّغوية العربية: قام الاستعمار الأوروبي للعالم العربي ضمن ظروف وسياقات معقّدة تاريخية وسياسية وعسكرية لكنّها مشدودة دوما على مركز أساس واحد هو العامل الدّيني، فمع ضعف الدّولة العثمانيّة، وتنامي مراحل النّهضة الأوروبية والحاجة الاقتصادية لكثير من الثّروات والخيرات، والحاجة إلى أسواق جديدة، والسّيطرة على طرق التّجارة العالمية والقنوات المائية الحسّاسة اتّجهت أنظار المحتل إلى العالم العربي وخيراته المتعدّدة، فقسّم العالم العربي اللّحمة الواحدة إلى دولٍ زرع بينها الفتن

والمشاكل، ونهب خيرات هذا العالم الثّمينة، وتوجّه نصيبٌ كبيرٌ من جهوده المفسِدة إلى طَمس الهوية العربية الإسلامية في هذا العالم، في دول المغرب العربي والمشرق العربي على السّواء، وقد ركّزت السّياسة الاستعمارية اللّغوية على الارتباط بالإدارة، والتّعليم، ومؤسّسات الدّولة الحيوية والوظائف الحيوية التّي تمكّن أصحابها من الهيمنة والتّحكّم، إنّ السّياسة الاستعمارية الأوروبية اللغوية المقصودة والتّي انبنت على إقصاء العربية من الإدارة والقانون والتّوظيف مع تدمير التّعليم الأصلي الصّالح وتجهيل المجتمعات، بالإضافة إلى الحرب النّفسية والثّقافية التّي مارسها بصبرٍ وتؤدة كلّ ذلك بنى تصوّراً عن العربية يقدّمها لغة كلاسيكية تقليدية، أو حتّى دينية خاصة بمواقف رسمية ضيّقة ولكنّها غير قادرة على استيعاب مظاهر التّقدّم الإنساني والتّكنولوجي المتسارع.

2-3-الاستعمار النّفسي واللّغوي: تشرح نظرية الاغتراب النّفسي عند فرانز فانون كيف يمكن أن يتسلّل الاستعمار إلى وعي الإنسان المُستَعمَر ولغته وتصوّره عن ذاته، بحيثُ يصبح المُستَعمَر ينظر إلى ذاته بعيون المستعمِر، هذا هو جوهر الاغتراب هنا، حالة يصبح فيها الفرد منفصلاً عن ذاته الحقيقيّة، ويصبح معياره في محاولة معرفة نفسه وتقييمها هو الآخر، المستعمِر، فيفقد استقلاله، وسلامه النّفسي، ليكون أسيرا لعدوّه الذّي سيفرض عليه نفسيا أن يحتقر ذاته الخاصة ولغته الخاصة، وأن يكون من المصيري له أن يتقن لغة المستعمر ليلحق بركب المتحضّرين والمتقدّمين.

وفي كتابه (**فانون، 2004**) يناقش فانون علاقة الإنسان الأسود باللّغة الفرنسية، لغة المستعمِر، بشكلٍ عميقٍ يفكّك الرّجل آليات التّفكير وبناء الوعي وعلاقة ذلك باللّغة، عندما يتحوّل إتقان لغة المستعمر إلى وسيلة للحصول على وظيفة راقية ومكانة اجتماعيّة عالية، وفي نفس الوقت يحمل ذلك الإنسان الأسود شعوراً بضرورة التّخلي عن الثّقافة الأصلية واللّغة الأم، فالإنسان عندما يتعلم لغة جديدة يتبنّى معها طريقة تفكيرٍ معيّنة ونمط تقييم للوجود متناسب مع أهل تلك اللّغة، تعلمّ لغة مهيمنة تُفرض عليك لاشعوريا، لأنّها لغة المستعمر الأقوى والغالب تجعل الإنسان المستعمَر كأنّه يلبس قناعا، يخفي حقيقته، ويُظهر ما يريده المستعمِر.

2-4- التّعليم وإعادة إنتاج الهيمنة اللّغوية: لا تقوم المدرسة بتعليم القواعد اللّغوية فحسب، بل إنّها تقوم بتشكيل صورة معيّنة للّغة العربية المُدَرَّسة، ومكانتها الرّمزية، والعلاقة التّي يجب أن يكوّنها المتعلّم معها، ومن

هنا فالنّظام التّعليمي له أدوار حاسمة في تعزيز الاعتزاز اللّغوي بالعربية أو العكس، إعادة إنتاج تَبَعية رمزية للآخر وتثبيت عقدة الدّونية من الخصوصية العربية اللّغوية والثّقافية.

من المشاكل الجذرية التّي تعانيها المدارس العربية غالبا الازدواجيّة اللّغوية، حيثُ يتمّ تدريس العلوم والتّكنولوجيات والتّقنيات باللّغات الأجنبية، ويتمّ حصر العربية في المواد الأدبية والدّينية، مع أنّه إلى وقت ليس بالبعيد، كانت اللغة العربية لغة الطّب والفلك والرياضيات والفلسفة، هذه الازدواجية على المدى البعيد أسهمت في:

- ربط اللّغات الأجنبية بالتّقدّم والعلمية، وربط العربية بالماضي والتُّراث فقط.
- إضعاف الاحترام الذّي تستحقّه العربية والثّقة بها كلغة حديثة حية قادرة على مواكبة كلّ تطوّرات الحياة.
- هذا الفصل الوظيفي بين اللّغات يسهم في إنتاج وعيٍ لغويّ متشقّق غير سليم داخل ذهن المتعلّم العربي، يؤثّر هذا على طريقة تفكيره وتقديره للأمور.

ظَهَر في العقود الأخيرة أيضا إشكالٌ كبير في التّعليم العربي نعدّه من أهمّ أسباب استقواء الهيمنة اللّغوية للغات الأجنبية هو التّعليم الخاص باللّغات الأجنبية، حيثُ أصبح التّعليم باللّغات الأجنبية خصوصا الإنجليزية رمزا دالا على المكانة الطّبقية الاجتماعية العالية، وبالتّالي تأخذ اللغة الأجنبية مزيدا من رأس المال الرّمزي الذّي يجعلها علامة تفوّق اجتماعي ونفسي، والدّليل على ذلك أنّ التّعليم العام أو التعليم بالعربية يُنظَر إليه على أنّه أقل قدرة على ضمان مستقبل مهنيّ، ومن ذلك، تغدو اللغة أداة لإعادة إنتاج التّفاوت الطّبقي والرّمزي داخل المجتمع.

خلقت أزمة تعليم العربية تعقيدات عويصة أثّرت على مكانتها في الواقع العربي بعمومه، أزمة تضرب بحدودها إلى مناهج التّعليم، وكيفياته، وطرائقه، والهوة الرّهيبة التّي بين العربية والواقع كما يقدّمها التّعليم، هذا الأمر تسبّب في تنامي علاقة مشوّشة سلبية بين المتعلّم واللّغة العربية، فغدت في تصوّره لغة صعبة، رسمية، ليست لغة حياة بقدر ما هي لغة اختبار ورسمية.

2-5-الإعلام والفضاء الرّقمي وهيمنة اللّغة الإنجليزية وأثر ذلك على اللّغة العربية: تنامى دور الإعلام عالميا وأضحى أحد أهمّ روافد بناء الوعي العالمي والمحلّي، والإعلام لا ينقل لغة فحسب، بل يقدّم مكانتها،

وهيبتها وصورتها، وفي جزءٍ كبير من الإعلام العربي أسهم الخطاب الإعلامي العربي في تعزيز صورة اللّغات الأجنبية خصوصا الإنجليزية بعدّها لغة الأعمال والسّياسة والثّقافة الرّاقية، في مقابل تراجع الحضور الجذّاب والمبهِر للّغة العربية داخل المنصّات الإعلامية الحديثة.

زادَ الطّين بلّة، ظهور الإعلام الرّقمي –غالبا– ومنصّات التّواصل الاجتماعي بلغات غير نقية تماما، لا هي عربية خالصة، ولا هي أجنبية كاملة، بل هي خليطٌ لغوي مُشوّه لا هوية له ولا حدود، وليس للأمر علاقة بالتّعدّد اللّغوي هنا، لأنّ ذاك الاستخدام الدّائم يضرّ باللّغة العربية أساساً وبقيمتها وصورتها الرّمزية، ويؤخّر مكانتها في ضرورة الحضور الرّقمي العربي الصّافي. أنت تلاحظُ حضور الإنجليزية الواضح بقواعدها ومعجمها وبلاغتها وحرفها اللّاتيني الأصلي في كل المجالات الرقمية والذّكاء الاصطناعي والمنصّات العالمية المختلفة قد أثّر على مكانة اللّغات العالمية الأخرى ومن ضمنها العربية.

بشكلٍ عام: تتضافر مجموعة من العوامل لتبني ظاهرة الهيمنة اللّغوية، فهي ليست قضية انتشار جغرافي واسع للغةٍ من اللّغات أو كِبَر في عدد الأفراد الذّين يستعملونها، بل هي تلاقي عوامل تاريخية واقتصادية وسياسية ودينية وعلمية واستعمارية وتكنولوجية تؤجّج صراع اللّغات والحرب بينها لتكون الغَلَبة لتلك التّي حصّلت رأسمال أعلى، وقيمة رمزية أكبر من غيرها في أذهان المستعملين سواء كانوا أبناءها الأصليين أم غير النّاطقين بها، إنّ تلك العوامل العميقة والصّعبة رجّحت كفّة اللّغات الأجنبية في مقابل اللغة العربية التّي أصبحَ أهلها يعانون من أمراض ثقافية وحضارية عويصة مثل؛ التَّبَعيّة اللّغوية، والاغتراب اللّغوي والثّقافي، والاستيلاب الرّمزي الذّي زوّد من حدّة عُقَد النُّقص والدّونية وتشوّه الصّورة الذّاتية في وعي النّاطقين بها.

ثالثا: مظاهر الاغتراب والانتحار اللّغَويَين في الواقع العربي المعاصر: إذا كانت الهيمنة اللّغوية تعدّ الوجه الخارجي لعلاقات القوّة الثّقافية الحضارية، فإنّ أخطَر آثارها تضرب في عمق المواضع النّفسيّة والذّهنية والرّمزية في وعي الجماعات الخاضعة لهذه الهيمنة، فاللّغة المهزومة المغلوبة ليست التّي أُقصِيت قانونيا أو بقرارٍ سياسي ما، بل تلك التّي فقد أبناؤها ثقتهم في فعاليتها وأهميتها وقيمتها، وتحوّلت إلى لغة أقلّ قيمة من غيرها وأقلّ قدرة على مواكبة التّطوّر المعاصر والعجز عن الحصول على مكانة اجتماعيّة مرموقة، ولعلّ ظاهرتي الاغتراب اللّغوي والانتحار اللّغوي من أصعب التّحوّلات التّي أصابت العربي، لم يعكسا فقط تغيّرا في أنماط التّواصل، بل كشفتا عن اختلالٍ عميقٍ في علاقة المتكلّم العربي بلغته العربية، وهويته العربية، وانتمائه الثّقافي.

3-1- الاغتراب اللّغوي وخطورته: بشير هذا المصطلح إلى حالة من الانفصال النّفسي والثّقافي بين المتكلّم الإنسان ولغته الأم، بحيث لا يشعر معها بالانتماء أو الثّقة أو الاحترام والاعتزاز، لأنّه يؤمن أنّها أقلّ قيمة وعَملية، وهكذا تصبح اللّغة الأم حاضرة شكليا فقط، وقيمتها الرّمزية معدومة أو متدنّية في أفضل الأحوال.

-لا يتعلّق الاغتراب اللّغوي باللّغة فقط، بل يمثّل خَلَلاً في العلاقة بالثّقافة والتّاريخ والهوية، وانبهاراً في المقابل بالنّموذج الآخَر المهيمن، مِن مظاهر الاغتراب اللّغوي في الواقع العربي:

-الخجل من استعمال اللّغة العربية الفصحى اللّهمّ إلاّ في مواقف محدودة.

-لم تَعد العربية لغة النّاجحين والمرموقين وذوي الأهمية والمكانة والسّلطة في الواقع العربي، بل إنّ اللّغة الأجنبية هي التّي أضحت في التّصوّر الرّمزي العربي مرتبطة بالذّكاء والتفوّق والنّجاح والعمل المتقن.

-تهميش اللّغة العربية في الحياة الواقعية، نجد ذلك في الإشهارات والإعلام والمؤسّسات الاقتصادية الخاصة، وحتّى في جزءٍ من التّعليم العربي الذّي صار يربط اللّغات الأجنبية بالعلمية والتّكنولوجيا.

3-2-الاحتقار الذّاتي اللّغوي وعلاقته بالاغتراب اللّغوي: الاحتقار الذّاتي للّغة هو مُسبّبٌ نفسيٌّ أساس في ظاهرة الاغتراب اللّغوي، هو حالة يتبنّى فيها الفرد(أو الجماعة) موقفا سلبيّا من لغته الأم، يعدّها لغة متخلّفة ناقصة عاجزة عن مواكبة تغيّرات الحياة وغير قادرة على اللّحاق باللّغات الأخرى، هذه الحالة النّفسية والذّهنيّة الخطيرة تساعد في نجاح اللّغات الأجنبية في ترسيخ مكانتها الرّمزية في وعي الخاضعين لها وإثبات تفوّق النّموذج الأجنبي اللّغوي الثّقافي، نجد آثار هذه الحالة في الواقع العربي الاجتماعي والثّقافي خصوصا فرديا وجماعيا؛ في تفضيل الآباء تعليم أبنائهم الإنجليزية خصوصا وإهمال العربية، وفي تهميش مكانة العربية داخل التّجمّعات والأحداث الثّقافية، وعلى هذا يجد المعتزّ بالعربية نفسه غريباً في بيئته، يُنظَر إليه باحتقار أو على الأقل بنظرة دونية، وهكذا يتحوّل الحال من مجرّد نظرة سلبيّة إلى اللّغة إلى شكلٍ كامل من التّبعية والاستسلام للآخَر المهيمِن، وهذا الأمر يتسبّب في أزمة حقيقيّة على مستوى الوعي الجَمعي حيثُ يرى العربي أنّ القوّة مع الأَخَر، والتّقدّم مرتبطٌ بالآخر، والنّجاح والذّكاء محصوران في الآخر، لينفصل هذا العربي شيئاً فشيئا عن لغته العربية وما تحمله من تاريخ ومرجعيّة حضارية.

3-3-الانتحار اللّغوي: المفهوم والمظاهر: يشيرُ هذا المفهوم إلى تَخلّي الفرد (أو الجماعة) عن لغته لصالح لغة أجنبيّة ليس بالإكراه المباشر، بل نتيجة للجهل أو الانبهار الأحمق، أو المصلحة أو الشّعور بالنُّقص والدّونية، ويختلف الانتحار اللّغوي عن الموت الطّبيعي للّغة من جهة وعن الاغتيال اللّغوي من جهة أخرى من حيثُ إنّه يحدثُ بمُشاركة أبناء اللّغة أنفسهم، تماما مثلما يُجرِم الإنسان في حقّ نفسه فيقتُلها، يمكن أن يتسبّب أبناء اللّغة الخاضعين للاغتراب والاستيلاب اللّغوي في هلاك لغتهم، عمداً أو حتّى بشكلٍ غير مباشر يكونون الأداة التّي ينفّذون بها الإعدام في حقّ لغتهم وفي حقّ وجودهم الثّقافي.

من مؤشّرات الانتحار اللّغوي في الواقع العربي المعاصر:

- التّراجع الرّهيب لتواجد اللّغة العربية في المجالات الحاسمة الخطيرة مثل: التّعليم العام والعالي، حيثُ نجد غيابا لافتا لها في ميادين العلوم والتّكنولوجيا والطّب، وبسبب ذلك نجد الإنتاج العلمي بالعربية ضعيفاً جدّا، فهناك محدودية في النّشر العلمي وضعف التّرجمة الأمر الذّي أدّى إلى اتّساع الهوّة بين العربية والإنتاج العلمي العالمي، وينسَحبُ الأمر على التّواجد الرّقمي للّغة العربية، فبالرّغم من العدد الكبير للنّاطقين باللّغة العربية إلاّ أنّ حضورها رقميا ضعيفٌ جدّا.

- التّلاشي الرّمزي للعربية في الحياة الاجتماعية؛ في تفضيل الأسماء الأجنبيّة على التّراثية الأصيلة، استعمال اللّغات الأجنبيّة في البيوت وفي المناسبات الاجتماعيّة، وفي كثير من الاجتماعات والملتقيات العلميّة.

يتّضحُ عموماً أنّ ظاهرتي الاغتراب والانتحار اللّغويين في الواقع العَربي لا تمثّلان تحوّلات لغوية بسيطة، بل تعكسان أزمة أعمق تتعلّق بعلاقة الإنسان العربي بذاته الحضارية وهويته الثّقافيّة، فاللّغة العربية اليوم تواجه تحدّيات رمزية ونفسيّة تتجاوز حدود الوجود اللّغوي السّطحي لتصل إلى مستوى المكانة الحضارية.

ولا تكتمل الهيمنة اللّغوية للّغات الأجنبية (خصوصا الإنجليزية والفرنسيّة) في الواقع العربي المعاصر بقوّة الظّروف الاجتماعيّة والتّاريخية والعلميّة والنّفسيّة...إلخ فقط، بل بشكلٍ كبير بسبب تشكّل قناعة داخليّة تجعل الجماعة اللّغوية للعربية تُسهِم في تهميش لغَتها وإضعاف حضورها الرّمزي، وهو ما يؤدّي تدريجيّا إلى إعادة إنتاج التّبَعية الثّقافيّة والحضارية، ومن هنا يصبح الاعتزاز باللّغة العربية ضرورة حضارية تتجاوز الدّفاع العاطفي عن اللّغة لتتحوّل إلى مشروعٍ لإعادة بناء الثّقة بالذّات العربية وحمولتها الثّقافية والتّاريخية ومقاومة الاستيلاب الرّمزي.

هذا الكلام يُعدّ مدخَلاً أساسيا للعنصر القادم الذّي سينظر إلى الاعتزاز اللّغوي بوصفه شكلاً من أشكال المقاومة الرّمزية وإعادة بناء الأمن اللّغوي والحضاري العربي.

رابعاً: الاعتزاز اللّغوي بالعربية مقاومةٌ رمزية للهيمنة الثّقافية: نحو إعادة بناء الوَعي الحضاري والأمن اللّغوي العربي: إذا كانت الهيمنة اللّغوية والثّقافية الأجنبيّة قد نَجَحت في تأخير المكانة الرّمزية للعربية داخل مجالاتٍ حيوية مصيرية في الواقع العربي، فإنّ مواجهة هذه الهيمنة لا يمكن أن تتحقّق بالخطابات العاطفيّة الإنشائيّة فحسب، بل إنّ ذلكَ يتطلّبُ بناء وعيٍ حضاريٍّ جديد يُعيدُ للعربيّة مكانتها الطّبيعيّة بوصفِها لغة دينٍ وهوية ومعرفة وعلم وتاريخ، لغةً حضورٍ رمزيّ فاعل ومؤثّر، ومن هنا يغدو الاعتزاز اللّغويّ شكلاً من أشكال المقاومة الرّمزية التّي لا تستهدف إقصاءَ الآخر أو التّقوقع على الذّات، وإنّما تهدفُ إلى حماية الذّات اللّغوية والثّقافية من الذَّوَبان والتّشوّه، واستعادة الثّقة الحضارية في العربية، وبناء توازُنٍ صحّي في العلاقة مع الأنا والآخَر، الاستثمار في الاعتزاز الواعي يتحوّل إلى رصيد ثري؛ يشكّل فعلاً تحرُّريا ثقافيا من التّبعية والانغلاب، ويُحقّق مشروع استعادة السّيادة الرّمزية والاستقلال الحضاري، ومن ثَمَّ يتمّ النّجاح في صناعة مناعة ثقافية تحصّن من كلّ الأمراض الثّقافية التّي يمكن أن تنشأ من التّلاقح غير الواعي مع ثقافات الآخرين وتصوّراتهم للوجود.

يسعى هذا العنصر إلى تحليل الكيفيّة التّي يتحوّل بها الاعتزاز اللّغوي بالعربية إلى شكلٍ مهمّ من أشكال المقاومة الرّمزية للهيمنة الثّقافيّة، والكشف عن الشّروط الكفيلة باستعادة حضورها الفاعل داخل العصر الرّقمي بعيداً عن الخطابات العاطفيّة الفارغة.

4-1-الاعتزاز الحضاري استعادةٌ للثّقة الحضارية في اللّغة العربية: تُعَدّ اللّغة في العالم المعاصر واحدة من أكثر المجالات ارتباطاً بالصّراع الثّقافي والحضاري بين الأمم، فالأمم لا تفرضُ لغتها في جانبها اللّساني فحسب، هي تَفرضُ مع ذلك مقولاتها الثّقافيّة ورؤيتها للوجود، وأنماط تفكيرها ومنظومة قِيَمِها التّي تحملها، ولهذا ترتبط قضية الاعتزاز اللّغوي باللّغة العربية بسؤال حضاري كبير يتعلّق بموقع الذّات العربية داخل عالمٍ تحكمُه موازين قوى غير متكافئة ثقافيا ورمزيا، ولقد أدّت التّحوّلات الكبرى التّي عرفها العالم كلّه خصوصا مع العولمة الثّقافية إلى تعميق الاختلال في الميزان الرّمزي بين اللّغات، حيثُ أصبحت لغات عالمية وعلى

رأسها الإنجليزية برأسمالٍ مهولٍ، ونفوذٍ رمزيّ غير مسبوق في التّكنولوجيا والاقتصاد والبحث العلمي والرّقمي والإعلام، بينما تأخّرت لغات أخرى عن الرّيادة ومن بينها العربية.

إنّ أخطر ما في هذه التّحوّلات ليس التّقهقر الوظيفي للعربية في ميادين مهمة كما ذكرنا سابقا، بل في التّحوّل النّفسي والثّقافي الذّي أصاب قطاعا كبيراً من أبناء العربية الذّين فقدوا الثّقة فيها لُغةً للتّقدّم والعبقرية والإنتاج العلمي والتّكنولوجي، وهنا، يتحولّ الصّراع اللّغوي من حربٍ خارجية بين اللّغات إلى أزمة داخلية تمسّ علاقة الجماعة اللّغوية بذاتها الحضارية، من هذا المنطلق يصبح الاعتزاز اللّغوي فعلاً حضاريا يتجاوز الدّفاع عن اللّغة ليغدو مشروعاً لإعادة بناء الثّقة الحضارية ومقاومة التّبعية الرّمزية، فالاعتزاز اللّغوي بالعربية لا يعني بحالٍ من الأحوال رفض اللّغات الأخرى، أو الانغلاق الثّقافي على الذّات، بل يعني امتلاك وعيٍ حضاريٍّ متوازن يسمح بالانفتاح على الآخر دون الذّوبان فيه، وبالتّفاعل دون فقدان المرجعيّة الثّقافية الخاصة.

تُفهَم قضية الاعتزاز اللّغوي بالعربية إذن في ظلّ علاقة اللّغة والوعي، فاللّغة من العوامل الأساسة التّي تبني صورة الجماعة عن ذاتها وعن الوجود كلّه، وكلّ احتقارٍ لها من الجماعة الخاصة بها ينتجُ عنه خَللٌ نفسيّ واجتماعيّ وثقافيّ عميق تعانيه تلك الجماعة.

لقد عرف العالم العربي خلال القرون الأخيرة حالة معقّدة من الصّدمة الحضارية النّاتجة عن التّفوّق الغربي العسكري والعلمي والتّكنولوجي، حالة أدّت تدريجيا إلى إعادة صناعة الوعي الجمعي العربي بحيثُ أصبحَ يربطُ بين الغرب والقوّة في جميع مجالاتها، ومع تراكم تلك التّحوّلات انتشرت الرّؤية السّابقة إلى المستوى اللّغوي، فلم يعد يُنظَر إلى اللّغات الغربية بعدّها أدوات معرفية فقط، بل بوصفِها رمزاً للرّقي والانتماء إلى العالم الأوّل، وفي مقابل ذلك، تراجعت المكانة الرّمزية للعربية وأصبحت ترتبط بالماضي، أو التّقليد والجمود، أو ضُعف الفاعلية الاجتماعيّة والاقتصادية والسّياسة والعلميّة وغيرها، وعلى هذا يشكّل الاعتزاز باللّغة فعلاً معاكسا يسهم في تحرير الوعي المُقيّد، وشفائه من عقدة الدّونية وآثارها الخطيرة، إنّ الإنسان الذّي يخجل بلغته إنسان غريب في عالمه، ينظُر إلى حياته ووجوده وقِيمه بمعايير وضعها الآخر المختلف عنه، ولذلك فالاعتزاز في أحد أبعاده هو مقاومة لهذا الوعي المهزوم المأزوم الذّي يجعل التّقدّم دائما متأتٍّ من الخارج، والقيمة العالية دوما مُستحقّة للآخر.

ذكرنا سابقا، الاعتزاز اللّغوي لا يعني رفض اللّغات الأجنبية بالمُطلق، بل يعني التّعامل معها في حدود المعقول في كونها أدوات للتّواصل والانفتاح على الآخر ومعرفته، فالانفتاح الحقيقي يفتَرضُ وجودَ طَرَفٍ واعٍ ناضجٍ واثق من نفسه، له كرامة وعزّة تمنعه من التّحوّل إلى مجرّد مستهلك سلبيّ للنّموذج المُهيمن.

4-2-اللّغة بوصفها مجالاً للصّراع الحضاري والمقاومة الرّمزية للهيمنة: مرّ بنا أنّ الهيمنة الدّولية لا تتحقّق عسكريا وسياسيا واقتصاديا فقط، بل تظهر أيضاً عبرَ السّيطرة على المُقدّرات الثّقافية للأمم، واللّغة أحد أهم أدوات هذه السّيطرة، وإنّ انتشار لغة معيّنة عالميا لا يكونُ نتيجة الخصائص اللّغوية لها، بل نتيجة للقوّة التّي تحملها جماعتها النّاطقة بها التّي قد تكون متفوّقة اقتصاديا أو سياسيا، أو هناك هيمنة لمؤسّساتها العلمية والتّكنولوجيّة، أو لها نفوذ إعلامي وثقافي كبير عالميا، وعندما تتحوّل لغة ما إلى لغة عالميّة مهيمِنة فإنّها تنقُل معها نموذجا الثّقافي ورؤيتها للعالم، ولهذا فإنّ الصّراع اللّغوي في جوهره هو صراعٌ على المعنى والسّلطة الرّمزية والقدرة على تمثيل الواقع حسب المصالح والمقاصد، وهنا تبرزُ المقاومة اللّغوية بوصفها مقاومة رمزية تستهدف استعادة الحقّ في التّعبير المستقل عن الرّؤية الخاصة للوجود، وإنتاج المعرفة من داخل التّصوّر الذّاتي الخاص مع منع اختزال العالم في النّموذج الثّقافي الواحد، وهكذا، فالدّفاع عن العربية لا يعني رفض الآخر بالمطلق، بل يعني رفض احتكار التّفكير من طرف لغة واحدة وثقافة واحدة، فالتّنوّع الحضاري واللّغوي سمة إنسانية تجاوزها يؤدّي إلى خلل في النّظام الإنساني الفكري والوجودي، ومن هنا يصبحُ الدّفاع عن العربية والحفاظ عليها جُزءاً من الدّفاع عن التّنوّع الحضاري العالمي نفسه.

4-3-العربية والأمن اللّغوي في عصر التّكنولوجيا والذّكاء الاصطناعي: أعادت الثّورة الرّقمية تشكيل مفهوم القوّة في العالم المعاصر، فغالبا كانت القوّة في الماضي مرتبطة بالانتشار الجغرافي الواسع والسّلطة السّياسية الأقوى المدعومة بالقوّة الاقتصادية، أمّا في الزّمن الرّقمي فانضمت أبعادٌ أوسع لمفهومها يميّزها الحضور الرّقمي الكبير، والرّيادة في الإنتاج العلمي ونشره، والاندماج في التّكنولوجيا بسهولة، ولهذا دخلت اللّغات العالمية سباقا جديدا يتعلّق بالميدان الرّقمي وكيفيّة حجز مواقع متقدّمة فيه، وفي هذا السّياق تواجه العربية تحدّيات معقّدة، لأنّ مسألة الحضور الرّقمي ليست متعلّقة بالخصائص والامتيازات اللّسانية لأيّ لغة فقط، بل وبشكلٍ حقيقي بالاستثمار الذّكي فيها علميا وتقنيا ومعرفيا واقتصاديا، ورغم أنّ عدد النّاطقين بالعربية حسابيا كبيرٌ جدا، إلاّ أنّ حضورها في جانب المحتوى الرّقمي والبرمجيات والذّكاء الاصطناعي مازال

محتشماً، وأقلّ بكثيرٍ من إمكاناتها اللّغوية والبلاغية وحمولتها الثّقافية والتّاريخية، ومن شأنِ هذا الوضع أن يزيد من شدّة إشكالية التّبَعية المعرفية والتّكنولوجية، فمن الطّبيعي أنّ الذّي لا يُنتج معرفة سيكونُ مضطرا لاستهلاكها من غيره، والذّي لا يسأل ولا يفكّر ولا يتقدّم سيجد غيره يقوم عنه بهذه المهمّة، ولهذا يكون الأمن اللّغوي ليس حماية للّغة من الزّوال والموت، بل يعني تمكينها حقّها الطّبيعي في أداء وظائفها الحيوية داخل العصر الحديث، بحيثُ تكونُ قادرة على المشاركة في إنتاج المعرفة وصناعة الاقتصاد الرّقمي والاستفادة منه عبر سياسة إستراتيجية مدروسة، وبشكلٍ عام:

-إنّ الاعتزاز باللّغة العربية أحد أهم أشكال المقاومة الرّمزية للهيمَنة الثّقافيّة في العالم المعاصر، فاللّغة هي أداة إنتاج الوعي والمعنى الحضاري والهوية والسُّلطة.

-إنّ أزمة العربية في الواقع العربي المعاصر ليست ناتجة عن أسباب متعلّقة باللّغة العربية في ذاتها، بل في اختلال موازين القوى الحضارية والرّمزية جَعَل التّقدّم والحداثة متعلّقان بلغات الآخر.

-إنّ استعادة مكانة العربية لا يتحقّق بالخطابات الفارغة والشّعارات الرّنّانة، بل باستراتيجيات مدروسة وخطط دقيقة على المدى القصير والبعيد تُعيدُ حُضورَها داخل التّعليم والمعرفة والإعلام والتّكنولوجيا والفضاء الرّقمي.

خامسًا: توصيات ومقترَحات: تعامَل الخطابُ العربي المعاصر بمختلف تمظهراته (السّياسية والثّقافية واللّسانية) مع اللّغة العربية بوصفها لغة محفوظة لن يطالها الزّوال، كلّ ما تحتاجه هو حماية عاطفيّة، بينما المطلوب حضاريا هو دقّ ناقوس الخطر لتشخيص الأمراض اللّغوية الحضارية التّي أصابت جزءاً واسعا من أبناء هذه اللّغة، وبعد ذلك العمل فعليا/عَمَليا على تحويل العربية إلى أداة إنتاج المعرفة بمختلف ضروبها خصوصا في الجوانب التّقنية والعلمية والتّجريبيّة، مع الوعي بخطورة سلاح اللّغة وقدرتها على أن تكونَ قوّة ناعمة فاعلة، لغة قادرة على المنافسة داخل الاقتصاد العالمي المادي والرّقمي على السّواء، وهذه جملة من التّوصيات نحسبها قابلة للتّطبيق إذا توفّرت الإرادة الحقيقية:

-إعادة تعريف الاعتزاز اللّغوي بالعربية، وتجاوز الفهم التّقليدي الذّي يعدّه تمجيداً للماضي، وحالة محبة شعورية انفعالية للّغة ليصبح وعياً حضارياً وثقةً ثقافيّة وقُدرةً على الانفتاح على الآخر دون الذّوبان.

-تحويل العربية إلى لغة للمستقبل بالإضافة إلى كونها لغة الماضي العريق والتُّراث من خلال: ربط العربية بالتّكنولوجيا والذّكاء الاصطناعي وريادة الأعمال.

-وضع سياسة لغوية مُوحّدة تهدف إلى تنسيق جهود التّعريب والتّرجمة، ودعم المحتوى الرّقمي العربي، والاستثمار في التّكنولوجيا.

-إعادة بناء صورة رمزية مشرقة للعربية داخل الوعي الجمعي العربي من خلال إشراك وسائل الإعلام، والمنصّات الرّقمية، والخطاب العلمي والأدبي والسّياسي، حيثُ تقدّم تلك الكيانات اللّغة العربية بوصفها لغة الإبداع، والمعرفة والتّطوّر.

-إصلاحٌ جذريّ لتعليم العربية، بتغيير أساليب التّدريس وتوسيع أفق أهدافه، ودمجه بالتّكنولوجيا والتّقنية.

-إعادة إعطاء التّرجمة مكانتها الحقّة ودورها الكبير في زيادة الإنتاج العلمي.

-الاستثمار في الذّكاء الاصطناعي اللّغوي، فالعربية بحاجة إلى بناء نماذج ذكية عربية، ودعم البرمجيّات والتّطبيقات العربية، فاللّغة التّي لا تدخُل الذّكاء الاصطناعي ستواجه خطر التّهميش والإقصاء.

-بناء نُخب عربية واثقة بلغتها، وقادرة على تحمّل مسؤولياتها الثّقافيّة من خلال إعادة الاعتبار للعربية في المؤسّسات الجامعيّة والثّقافيّة وداخل الإعلام، فالنُّخَب المثقّفة تمثّل النّموذج الرّمزي الذّي يسهم حقّا في إعادة تشكيل وعي المجتَمع اللّغوي الثّقافي.

خاتمة:

توصّلت الدّراسة إلى جملةٍ من النّتائج:

-إنّ قضية اللّغة العربية في الواقع العربي المعاصر لا تُفهَم في المستويات اللّغوية والتّعليميّة المعزولة، بل في كونها في جوهرها قضية حضارية تتّصل بطبيعة العلاقة بين اللّغة والسُّلطة، واللّغة والهوية، واللّغة والوعي، واللّغة وموازين القوى العالميّة.

-إنّ قضية الهيمنة اللّغوية ليست ظاهرة بريئة عفوية، بل هي مرتبطة ببِنية عالمية معقّدة من علاقات التّفوّق السّياسي والاقتصادي والتّكنولوجي والثّقافي لجماعات وأمم ضدّ غيرها، الأمر الذّي يجعلها تستحوِذ على قوّة رمزية تتحوّل معها لغات تلك الجماعات المهيمنة القوية إلى لغات للعلم والحداثة والسّياسة والاقتصاد

والصّناعة والهيبة الاجتماعيّة، وفي المقابل تتعرّض لغاتٌ أخرى إلى التّهميش الرّمزي، والانحسار الوظيفي، والاغتراب الثّقافي.

-إنّ أزمة العربية الكبرى ليست في ضعفٍ أو مشكلٍ في اللّغة العربية نفسها، بل في اختلال العلاقة النّفسية والاجتماعية والذّهنية بينها وبين قطاعٍ واسِعٍ من أبنائها، فالهيمنة اللّغوية تزداد شراستها حين تتحوّل قناعة داخلية عند أبنائها بأنّ لغتهم لم تعُد في مستوى التّحديات، وأنّها لغة عاجزة وقاصرة وضعيفة وفقيرة في مقابل لغات العصر الحية المهيمنة.

-إنّ مظاهر الاغتراب اللّغوي والانتحار اللّغوي في الواقع العربي ليست ظواهر لسانية في عمقها، بل هي أمراضٌ تعكس أزمة وعي، وأزمة نظرة دونية للذّات العربية الخاصة.

-لا يجب أن نفهم الاعتزاز اللّغوي على أنّه موقف عاطفي من اللّغة، بل بوصفه شكلاً للمقاومة الرّمزية التّي تحمي الذّات الثّقافيّة، وتستعيد الثّقة بالهوية الخاصة، وتبني توازُناً صحيا في العلاقة بالآخَر.

-إنّ الأمن اللّغوي العربي جزءٌ أصيلٌ من الأمن الحضاري الثّقافي، ولذلك فإنّ أيّ مشروعٍ حضاريّ تقدّميّ عربي لن ينجح ما لم يُعطِ للعربية مكانتها المعرفيّة، ووظيفَتَها الحضارية، وحضورها الشّامل في الحياة العامة والعلمية وداخل الواقع الرّقمي والتّكنولوجي.

-إنّ مستقبلَ اللّغة العربية الذّي يليق بها بعدّها لغة للدّين والتّاريخ والعلم كما ثبت بالدّليل ذلك يكونُ بوضع سياسات لغوية وإستراتيجيّات مدروسة من متخصّصين ذوي كفاءة في ميادين تخصّصاتهم تجعل اللّغة العربية لغة حياة وإبداعٍ وتكنولوجيا، وحضور عالميّ لا مجرّد رمزٍ ثقافيّ يُحتَفى به نظرياً.

قائمة المراجع:

الكتب:

1. بيير بورديو. (2007)، الرّمز والسلطة، (بن عبد العالي عبد السلام، المترجمون) دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب.
2. سالم العزاوي، و محمد القرشي، (2025)، العلاقات العامّة والهوية الثّقافيّة: المفاهيم، الاستراتيجيات، الأسُس العلميّة قراءة نظرية معاصرة، دار المعتز للنّشر والتّوزيع، الأردن.

3. ستيفان شوفالييه، و كريستيان شوفيري، (2007)، معجم بورديو، (إبراهيم الزهرة، المترجمون) علي مولا للدراسات والنشر، دمشق.
4. عبد السلام المسدي، (2011)، العرب والانتحار اللّغوي، دار الكتاب الجديد المُتحدة، بيروت.
5. فرانس فانون، (2004)، بشرة سوداء، أقنعة بيضاء، (أحمد خليل خليل، المترجمون) بيروت،

المقالات:

1. خديجة إكرام لبيدي، و رشاد عكّاش. (2024). واقع الاعتزاز اللّغوي في الجزائر وديناميةالتّأسيس. مجلّة المعيار ، المجلد28، العدد4.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-11/07/2026

The Impact of Rhetorical Argumentation in the Directives and Testaments of Imam al–Sadiq (peace be upon him)

Dr. Ammar Adnan Manaf Al-Zuwaini
University of Babylon - Babylon Center for Civilizational and Historical Studies
Ammaralzwainy7@gmail.com

Abstract:

The decrees and testaments of Imam al-Sadiq (peace be upon him) constitute a fertile field for the study of rhetorical argumentation. They encompass rich linguistic values and profound semantic dimensions, in addition to containing syntactic values and their associated structural dimensions. Furthermore, they reveal interwoven textual relationships that contribute to the unity and coherence of the text within its overall context. Through the convergence of these textual elements, it became possible to uncover the aesthetic and literary values and their impact on the recipient. The text is distinguished by its stylistic beauty and expressive eloquence.

The article addresses the semantic levels and criteria in the art of signatures, given their importance in literary studies. Signatures are replete with rhetorical devices that constitute a prominent feature of the discourse of the Imams of the Ahl al-Bayt (peace be upon them). They captivate the reader at every turn, indeed at every word, with their expressive power and powerful connotations, drawing them into the realms of the material and the spiritual, this world and the hereafter, through their rich tapestry of diverse linguistic values and multiple levels of expression.

One of the most prominent findings of the study is highlighting the importance of argumentative connectives and their role in achieving textual unity and coherence, as well as revealing profound linguistic structures. The study also identified several argumentative linguistic mechanisms in the debates of Imam al-Sadiq (peace be upon him), through careful attention to conjunctions, their skillful selection, and their appropriate use in directing the

discourse toward the speaker's intended goals from the outset—a phenomenon known as argumentative connectives.

Keywords: Argumentative discourse, Imam al-Sadiq's pronouncements, precepts, argumentative connectives, linguistic values.

أثرُ الحِجاجِ البلاغيّ في توقيعاتِ ووصايا الإمامِ الصَّادقِ (عليهِ السَّلامُ) التوجيهيَّةِ

د. عمّار عدنان مناف الزويني

جامعة بابل– مركز بابل للدراسات الحضارية والتاريخية

Ammaralzwainy7@gmail.com

ملخص:

تُعَدُّ توقيعاتُ ووصايا الإمامِ الصَّادقِ (عليهِ السَّلامُ) ميدانًا خصبًا لدراسةِ الخطابِ الحِجاجيّ البلاغيّ؛ إذْ تشتملُ على قيمٍ لغويَّةٍ غنيَّةٍ وأبعادٍ دلاليَّةٍ عميقةٍ، فضلًا عن احتوائِها على قيمٍ تركيبيَّةٍ وما يرتبطُ بها من أبعادٍ بنائيَّةٍ. كما تتجلَّى فيها العلاقاتُ النصيَّةُ المتداخلةُ التي تُسهمُ في تحقيقِ وحدةِ النَّصِّ وتماسكِهِ ضمنَ سياقِهِ العامّ. ومن خلالِ تضافرِ هذه العناصرِ النصيَّةِ أمكنَ الكشفُ عن القيمِ الجماليَّةِ والأدبيَّةِ وما تُحدثُهُ من أثرٍ تأثيريّ في المتلقّي؛ لما يمتازُ بهِ النَّصُّ من جمالٍ أسلوبيّ وبلاغةٍ تعبيريَّةٍ.

وقد تناولتِ المقالةُ المستوياتِ والمعاييرَ الدلاليَّةَ في فنّ التوقيعاتِ؛ نظرًا إلى أهميَّتِها في الدراساتِ الأدبيَّةِ. فالتوقيعاتُ زاخرةٌ بالمحسِّناتِ البديعيَّةِ التي شكَّلتْ سمةً بارزةً في خطابِ أئمَّةِ أهلِ البيتِ (عليهمُ السَّلامُ)، إذْ تستوقفُ القارئَ في كلّ موقفٍ، بلْ في كلِّ لفظةٍ، بما تحملهُ من طاقاتٍ تعبيريَّةٍ ودلالاتٍ مؤثِّرةٍ، فتشدُّهُ إلى عالَمَيِ المادَّةِ والمعنى، والدُّنيا والآخرةِ، بما تختزنُهُ من قيمٍ لغويَّةٍ متنوّعةٍ ومستوياتٍ تعبيريَّةٍ متعدّدةٍ.

ومن أبرزِ النَّتائجِ التي توصَّلتْ إليها الدراسةُ إبرازُ أهميَّةِ الروابطِ الحِجاجيَّةِ ودورِها في تحقيقِ وحدةِ النَّصِّ وتماسكِهِ، فضلًا عن كشفِها عن تراكيبَ لغويَّةٍ عميقةِ المضامينِ. كما توصَّلتِ الدراسةُ إلى تحديدِ عددٍ من الآليّاتِ اللغويَّةِ الحِجاجيَّةِ في مناظراتِ الإمامِ الصَّادقِ (عليهِ السَّلامُ)، من خلالِ العنايةِ بحروفِ الرَّبطِ، وحسنِ اختيارِها، وتوظيفِها في مواضعِها الملائمةِ؛ لتوجيهِ الخطابِ نحوَ الغاياتِ التي يقصدُها المتكلّمُ منذُ البدايةِ، وهو ما يُعرَفُ بالرَّوابطِ الحِجاجيَّةِ.

الكلمات المفتاحية: خطابُ الحِجاجِ، توقيعاتُ الإمامِ الصَّادقِ، الوصايا، الرَّوابطُ الحِجاجيَّة، القيمُ اللُّغويَّةُ.

مقدمة:

لا شكَّ أنَّ توقيعات ووصايا الإمام الصَّادق(عليه السلام) يتطلّب منّا الاهتمام، فالتوقيعات والوصايا كانت مليئة بالروابط الحِجاجيَّة، لذا ينبغي الالتزام بها وإبرازها، ونرى الإمام يُدلي بدلوه في توقيعاته كلّها كسبيكة مفرغة لا تختلف حروفها في الطريقة والأسلوب، فهي خطاب حجاجي لغوي يغلب عليها حُسن التعبير خالية من التكلّف والتصنّع تشعر بها أنّها صادرةٌ عن فكر عميق، وأدب جمّ، وتذوّق حسن، وتعبير أصيل بليغ.

إنّ طبيعة الجمل والتراكيب في التوقيعات المهدويّة، وكيفيّة جريانها على أنساق تركيبيّة معيّنة تحدّد دلالاتها ومعانيها الدقيقة، وما ينطوي خلف نظمها، وحركة عناصرها المكونة لها من مقاصد تواصليّة وتأثيريّة وأسلوبيّة ودلاليّة، فالعمليّة التواصليّة بين الباث(الأب) والمتلقّي(الابن) لا تقف عند حدود الكلمات المفردة، إذ لم يعد للكلمة المعيّنة معنى قارّاً خارج حدود التركيب، وخارج حدود السياق الذي ترد فيه تلك الكلمة؛ لأنّ هذا التركيب الذي يجري وفقاً لسياق معين هو الذي يفجّر إمكانات اللغة، ويحكم اتصالها بحقل دلاليّ معيّن دون غيره، وهذا الحقل الدلالي هو الوجود الحقيقي للكلمة، ومفردات التوقيع جزلة فخمة في فصاحتها ممتدّة في دلالاتها، ودراسة خطاب الحجاج اللغويّة تميّز الكلام الفنّي من بقيّة مستويات الخطاب، وكذلك من سائر أصناف الفنون الإنسانيّة، فهي محورٌ جديدٌ في تمييز أسلوب كاتب التوقيع؛ لأنّها تُظهر أدبيّة الأسلوب من خلال فرضيّة المستويات المتعدّدة، فهي لم تكن لغة علميّة بحتة كما أنّها لم تكن لغة فلسفيّة. ولم تقتصر أهميّة الخطاب الحجاجي على مستوى المضمون فحسب، بل تتعدّى إلى مستويات أُخرى، فسحرها الموسيقي بما تحمل من الطاقات الصوتيّة تتواشج مع الألفاظ، والمعاني في نسيج رائع، بل تكمن الموسيقى فيها في الألفاظ بما تحتوي من أصوات تختلف في وضوحها السمعي وقدرتها على إبراز المعنى، وتتناسق الألفاظ مع الدلالات الكامنة فيها، وهذه الدراسة تُظهر دلالات خطاب الحجاج الأدبي من خلال دراسة المستويات الأدبيّة فيها والروابط الحِجاجيَّة.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مدخل

أوّلاً : الإطار النظري : فنّ التوقيعات الأدبيّة

أ- التوقيعات والوصايا لغة :

التوقيعات في اللغة مشتقة من التوقيع الذي هو بمعنى التأثير ، يقال : وقع الدبر ظهر البعير إذا اثر فيه ، وكذلك الموقع (كاتب التوقيع) يؤثر في الخطاب ، أو الكتاب الذي كتب فيه حساً او معنى (ابن منظور (ت711هـ) 1405هـ : 406/8 ؛الزبيدي , 525/11 ، اليوسي 1405: 220/2، جرجي زيدان:25) وقيل ان التوقيع مشتق من الوقوع ، لأنه سبب في وقوع الأمر الذي تضمنه ، أو لأنه إيقاع الشئ المكتوب في الخطاب او الطلب فتوقيع كذا ، معنى إيقاعه (الزبيدي : 522/11 ، وزهر الاكم : 2 / 220)قال الخليل : التوقيع في الكتاب إلحاق فيه بعد الفراغ منه أو اشتقاقه من قولهم وقعت الحديقة بالميقعة ، وهي المطرقة اذا ضربتها ، وحمار موقع الظهر : إذا أصابته في ظهره دبرة ، والوقيعة ، نقرة في صخرة يجتمع فيها الماء وجمعها : وقائع فكأنه سمي توقيعاً ، لانه تأشير في الكتاب او لانه سبب وقوع الامر وإنفاذه ، من أوقعت الأمر فوقع(الخليل : 196/1) وقال ابن الانباري: « توقيع الكتاب في الكتاب المكتوب ان يجمل بين تضاعيف سطوره مقاصد الحاجة ، ويحذف الفضول ، وهو مأخوذ من توقيع الدبر ظهر البعير ، فكأن الموقع في الكتاب يؤثر في الأمر الذي كتب الكتاب فيه ما يؤكده ويوجبه»(**ابن منظور:406/8 مادة وقع**)

الوصايا لغةً هي مصدر من أوصى، يقال: أوصى فلان الفلان بوصية، والوصي: الذي يُعهد إليه من الميت بالقيام على شؤونه، وخاصة الأولاد الصغار(**ابن منظور**: ج 15 \ 408).وعرَّفت الوصاية أيضا بأنَّها ما يُوصى به والوصي من يُعهد إليه بالقيام بأمر الصغار أو المال بعد وفاة الموصي (الفيروزآبادي، ، ص 1641)

ب-التوقيعات والوصايا اصطلاحاً :

لقد اكتسبت التوقيعات في الإسلام معنى اصطلاحياً يرتبط بالمعنى اللغوي الذي ذكرناه سابقاً فأصبحت تستعمل لما يوقعه الكاتب على القضايا او الطلبات المرفوعة الى الخليفة أو السلطان أو الأمير

فكان الكاتب يجلس بين يدي الخليفة في مجالس حكمه فإذا عرضت قضيته على السلطان أمر الكاتب ان يوقع بما يجب اجراؤه ، وقد يكون الكاتب أحياناً السلطان نفسه (جرجي زيدان :1904م: : 25)يقول البطليوسي في تعريف التوقيع اصطلاحاً :« وأمّا التوقيع فإنّ العادة جرت أن يستعمل في كل كتاب يكتبه الملك أو من له أمر ونهي في أسفل الكتاب المرفوع إليه ، أو على ظهره ، أو في عرضه بإيجاب ما يسأل أو منعه ، كقول الملك ينفذ هذا إن شاء الله ، أو هذا صحيح وكما يكتب الملك على ظهر الكتاب ، لترد على هذا ظلامته أو لينظر في خبر ذلك او نحو ذلك»(البطليوسي: 1983م: : 195/10)ويقول ابن خلدون:« ومن خطط الكتابة التوقيع ، وهو ان يجلس الكاتب بين يدي السلطان في مجالس حكمه وفصله ويوقع على القصص المرفوعة اليه احكامها والفصل فيها ، متلقاة من السلطان بأوجز لفظ وابلغه، فإمّا أن تصدر كذلك ، وإمّا أن يحذو الكاتب على مثالها في سجل يكون بيد صاحب القصة ، ويحتاج الموقع إلى عارضة من البلاغة يستقيم بها توقيعه»(ابن خلدون : 681)

وتطور مفهوم التوقيعات في العصر العباسي واكتسب دلاله أدبيّة فأصبحت تطلق على تلك الأقوال البليغة الموجزة المعبرة التي يكتبها المسؤول في الدولة أو يأمر بكتابتها على ما يرفع إليه من قضايا او شكايات متضمنه ما ينبغي اتخاذه من اجراء نحو كل قضية او مشكلة ، وهي بهذا المفهوم أشبه ما تكون بتوجيه المعاملات الرسمية في الوقت الحاضر(ينظر فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي :بحث منشور على الانترنت على موقع مجلة الأديب العربي

والوصايا اصطلاحًا: هي فنٌّ من الفنون النثرية التي حرصت مدونات الأدب العربي على أن تفسح لها مساحة واسعة في صفحاتها ، وأن تخصص لها أبواباً مستقلة تعبيرا منها عن الأهمية البالغة التي تتمتع بها ، فهي زبدة المخاض العسير، وخلاصة التجارب الطويلة ، يصوغها الحكماء من هذه الأمة أقوالا، ليقدموها لمن أراد الانتفاع منها ، فيأخذوا الخبرة وقد كُفوا معاناة مكابدتها، وهي لون من الكلام فيه توجيه وإبلاغ)(معجم النقد : ٢ / ٤٤٠).

وأنّ محورها (يدورعلى إثارة المشاعر لفعل الخير وتجنّب الشر) (معجم مصطلحات : ٤٣٠) .فهي إذن كلام مستخلص من تجارب الحياة، غالباً ما يتفوّه بها من عُرف بين الناس بالحكمة، لينتفع بها من تُلفى إليه ، ويتجنّب الوقوع في الأخطاء .

ج– أنواعُ التَّوقيعاتِ والوصايا:

إنّ التوقيعات بمجملها لا تخرج عن الأنواع الآتية(بحث منشور على الانترنت على موقع مجلة الأديب العربي)

1- قد يكون التوقيع آية قرآنية تناسب الموضوع الذي تضمنه الطلب أو استقلّت عليه القضية.
2- قد يكون التوقيع بيتا شعريّا.
3- قد يكون مثلاً سائراً .
4- وقد يكون حكمة .
5- وقد يكون غير ما ذكر.

أنواع الوصايا:

1- الوصايا الأدبيَّةُ، وهيَ تجارب الحياة، يطلقها شخصٌ ذو خبرة (كالحكيم، أو الأب) لمن يحبّونهم لغرض النُّصح والإرشاد، وتنماز بصدق العاطفة، وجودة الألفاظ، وتسلسل الأفكار.
2- وهيَ تجارب الحياة يمرُّ بها الحكيم، ويعبِّر عنها بعبارات موجزة بليغة تهدف إلى توجيه السّلوك الإنساني نحو الخيرِ والصَّوابِ.

د ـ التوقيعات والوصايا في العصور التَّاريخيّة:

1- **العصر الجاهلي** : فن أدبي نشأ في أحضان الكتابة في التدوين و ارتبط بهما، ولذلك لم يعرف العرب في الجاهلية التوقيعات الأدبيّة، بسبب أنّ الكتابة لم تكن شائعة بينهم، بل كان الذين يعرفون الكتابة في هذا العصر قلّة نادرة فالأدب الجاهلي في مجمله يكون شفاهيّا وليس كتابيّا(فن التوقيعات الادبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي :بحث منشور على الانترنت على موقع مجلة الأديب العربي)

2- **صدر الإسلام** :

شاعت الكتابة في عصر صدر الإسلام وأصبح الذين يجيدونها يمثلون نسبة كبيرة ، فضلاً عن استعمال الكتابة في تحبير الرسائل وتبليغ أوامر الخليفة وتوجيهاته إلى الولاة والقوّاد في مختلف أنحاء الدولة الإسلاميّة ونتيجة لشيوع الكتابة وصلت إلينا توقيعات لا بأس في عدّتها من الخلفاء مع ملاحظة أنّ التوقيعات لم تعرف

في عهد الرسول (صلَّى الله عليه وآله) بسبب أنّ الكتابة لم تكن شائعة في عهده، وقيل إنّه لم يكتب بالعربيّة غير سبعة عشر شخصاً (عبد رية الاندلسي , 1965: 157/4) ونلحظ في هذا العصر أنّ التوقيعات التي أثّرت عن الخلفاء تمتاز ببلاغة الأداء والإيجاز في التعبير، وموافقتها للصواب وقد يكون التوقيع من الخليفة آية قرآنيّة، أو مثلا سائرا، أو حكمة، أو قولا بليغاً يجري مجرى المثل أو الحكمة كذلك نرى أن التوقيعات في عصر صدر الإسلام كانت قليلة جدا إذا ما قورنت بالعصور التالية ويُعزى السبب في ذلك إلى أنّها لا زالت في بداية النشأة والتطوّر

3– العصر الأموي : عدّت التوقيعات والوصايا في العصر الأموي فنّاً أدبيّاً بعد أن كثُر استعمالها وشاعت، إذ اعتاد كلّ ملكٍ أمويّ، أو بعض الأمراء والولاة والقوّاد أن يوقّع على الرسائل التي ترد إليه بعد أن يطّلع عليها ويعرف مضمونها (،فن التوقيعات الأدبية في العصر الإسلامي والأموي والعباسي :بحث منشور على الانترنت على موقع مجلة الأديب العربي) وقد وصلت نماذج كثيرة لتوقيعاتهم مبثوثة في المصادر القديمة .

4- **العصر العباسي:**

أصابتِ التوقيعاتُ الوصايا في العصر العباسي الذيوع والانتشار بسبب ازدهار الكتابة الفنيّة وتعدد أغراضها وحلّت محل الخطابة في كثير من شؤون الدولة وقضاياها ، وأصبح الكاتب البليغ مطلباً من مطالب الدولة تحرص عليه وتبحث عنه لتسند إليه عمل تحرير المكاتبات وأصبح لا يحظى بالوزارة إلاّ ذوو الأقلام الراقية من الكتّاب والبلغاء المترسلين كالبرامكة والفضل بن الربيع والفضل والحسين ابني سهل وغيرهم من الكتّاب الذين جمعوا بين الوزارة والكتابة الأدبيّة البليغة كما أصبح للتوقيعات ديوان خاص سمّي بديوان التوقيعات أسند العمل فيه إلى بلغاء الأدباء والكتّاب ممّن عُرف بالشهرة وبلاغة القول وشدّة العارضة، وحُسن التأنّي للأمور والمعرفة بمقاصد الأحكام وتوجيه القضايا .

هـ – معايير التوقيعات الأدبيَّة والوصايا :

ليس كلّ توقيع يصلح أن يكون توقيعاً أدبيّا ، وإنّما لا بدّ للتوقيع من المعاير الآتية :

1- الإيجاز وهو أن تكون ألفاظه قليلة معدودة ذات معانٍ غزيرة.

2- البلاغة وهو أن يكون التوقيع مناسباً للحالة أو القضية التي قيل فيها.

3- الإقناع وذلك أن يتضمّن التوقيع من وضوح الحجّة وسلامتها ما يحمل الخصم على التسليم ومن قوّة المنطق وبراعته ما يقطع على صاحب الطلب عودة المراجعة .

توقيعاتُ ووصايا الأمام الصَّادق(عليه السلام)

نقلت كتباً متفرقة التوقيعات والوصايا الصَّادرة عن الإمام الصَّادق(عليه السلام)، فقد جاء في توقيعات الإمام الصَّادق عليه السّلام إلى إبراهيم بن محمّد الهَمْداني: « **إنّ الخُمس بعد المؤونة** »(الصدوق: 1405 14:2 .

وعن أحمد بن محمّد، عن ابن فضّال قال: كتبتُ إلى أبي الحسن الصَّادق(عليه السلام) أسأله عن الفُقاع، فكتب يقول: « **هو الخمر، وفيه حدُّ شارب الخمر** »(الكافي 424:6، تهذيب الأحكام 124:9 .

وعن إسماعيل بن مهران قال: كتبت إلى الصَّادق(عليه السلام) أسأله عن حدّ الوجه، فكتب: « **مِن أوّل الشَّعر إلى آخِر الوجه، وكذلك الجبينَين** »(الكافي: د ت : 28:3 / ح 4؛ الطوسي 55:1)

وعن إسماعيل بن سهل قال: قلت لأبي الحسن الصَّادق(عليه السلام) (في كتاب): علِّمْني دعاءً إذا أنا قلتُه كنت معكم في الدنيا والآخرة، فكتب: « **أكثِرْ تلاوة: إنّا أنزَلْناه، وأرطِبْ شفتَيك بالاستغفار** ». (المجلسي : 284:93 / ح 30) - عن: دعوات الراوندي

فهناك العشرات، بل مئات المكاتب والتوقيعات التي دوّنتها يراع الإمام عليّ بن موسى الصَّادق(عليه السلام)، وممّا تقدّم يتّضح أن التوقيع عنوان للخطاب الصادر عن أئمة أهل البيت(عليهم السلام) لشيعتهم ولا سيما من الإمام الصَّادق(عليه السلام) حيث كان يكتبه بخط يده لشيعته، والدليل على أنّه صادر عن الإمام(عليه السلام) وجود إمضائه، والتوقيعات التي كانت تصدر عنه(عليه السلام)، وفي الغالب فإنّ هذه التوقيعات تحمل طابع الإعجاز وخرق العادة، وهي واحدة من دلائل إمامته(عليه السلام).

والمراد من التوقيعات الصادرة عن الإمام الصَّادق(عليه السلام) لشيعته، بيان أمر من الأمور، أو جوابا لسؤال يرفع في رقعة الى الإمام الصَّادق(عليه السلام)، أو أنّه(عليه السلام) يرسل التوقيع دون سؤال من أحد، أو يكون في مناظرة.

3/ الروابط الحِجاجيَّة

ارتبط مفهوم الروابط في عدة دراسات بالمباحث النحوية والدلالية من دون النظر الى وظيفتها الحِجاجيَّة والتداولية ، اذ عد بعض الدارسين ((ان دورها لا يتجاوز الربط بين الجمل والقضايا أما بعدها الحجاجي

فقد برز مع ديكرو في إطار صياغته للتداولية المدمجة وهي النظرية التداولية التي تشكل جزءاً من النظرية الدلالية)) (معالم لدراسة تداولية حجاجية للخطاب الصحافي 191) إذ لم يغفل ديكرو وزميله في أثناء صياغتهما لـ (النظرية الحِجاجيَّة في اللغة) هذا الجانب المهم الذي يتمركز في أبنية اللغة بوصفها ظاهرة لغوية مهمة جدا لها ارتباط بطريقة مباشرة في توجيه الحجاج من خلال أحداث الانسجام داخل الخطاب والدفع باتجاه تحقيق الإقناع عبر استمالة المتلقي وتوجيهه نحو الغاية التي يريدها المتكلّم بمعنى أنّها عناصر لغويّة تلعب دوراً اساسيّا في اتساق النص وانسجامه، وربط أجزائه شكلاً ومضمونا من أجل تحقيق الوظيفة التوجيهية الحِجاجيَّة للملفوظات (رائد مجيد جبار الزبيدي2013م: 93 – 94)وبحسب تصور ديكرو فقد أشار شكري المبخوت إلى تنوّع أشكال الربط الحجاجي بقوله:« إذا كانت الوجهة الحِجاجيَّة محدّدة بالبنية اللغويّة، فإنّها تبرز في مكونات ومستويات مختلفة من هذه البنية فبعض هذه المكونات يتعلّق بمجموع الجملة، أي هو عامل حجاجي في عبارة ديكرو فيقيدها بعد أن يتم الإسناد فيها ومن هذا النوع نجد النفي والاستثناء المفرغ والشرط والجزاء وما إلى ذلك مما يغير قوّة الجملة دون محتواها الخبر ونجد مكونات أخرى ذات خصائص معجمية محددة تؤثر في التعليق النحوي وتتوزع في مواضيع متنوعة من الجملة الحِجاجيَّة اللغوية ، ومن هذه الوحدات المعجمية حروف الاستئناف بمختلف معانيها والأسوار (بعض ، كل ، جميع) وما اتصل بوظائف نحوية مخصوصة كحروف التقليل أو ما تخوض لوظيفة من الوظائف مثل (قط) او (ابدا)(حمادي صمود : 1998م: 377)ومن هنا ميز ابو بكر العزاوي بين الروابط الحِجاجيَّة والعوامل الحِجاجيَّة « فالروابط الحِجاجيَّة تربط بين قولين او بين حجتين على الاصلح (أو اكثر) وتسند لكل قول دورا محددا داخل الاستراتيجية الحِجاجيَّة العامة(ابو بكر العزاوي :دت : 14) كما فصل العزاوي القول في طبيعة هذه الروابط وقسمها على اقسام هي(ابو بكر العزاوي :دت : 14)

- الروابط المدرجة للحجج (حتى ، بل ، لكن ، مع ذلك ، لأن)
- الروابط المدرجة للنتائج (اذن ، لهذا ، بالتالي)
- الروابط التي تدرج حججاً قوية (حتى ، بل ، لكن ، لاسيما)
- روابط التعارض الحجاجي (بل ، لكن ، مع ذلك)
- روابط التساوق الحجاجي (حتى ، لاسيما)

من خلال ما سبق تبين أن الروابط اللغوية تسهم في انسجام الخطاب وتماسكه من خلال ربطها بين القيمة الحِجاجيَّة لقول ما وبين النتيجة اي الربط بين قضيتين وترتيب أجزاء القول ومنحها القوة المطلوبة بوصف هذه الاشياء حججاً في الخطاب (رائد مجيد جبار الزبيدي ، 2014 : 98) لقد أثرت هذه الروابط تاثيراً كبيراً في أدلجة الحجاج في توقيعات الامام الصَّادق (عليه السلام) بالخاصية الاقناعيّة والتأثيريّة وهذا ما سنراه في الإطار التطبيقي .

ثانياً: الإطار التطبيقي :

يعد خطاب الامام الصَّادق(عليه السلام) مدونة تراثيّة فكريّة ، فهو من أعرق النصوص الأدبيّة وأفصحها، وهذا ديدن أئمة أهل البيت عليهم السّلام، ومن ذلك الخطاب الثر توقيعاته ومكاتباته التي شكلّت مقاربة إصلاحيّة في الدين والدولة بنيت على أسس تبليغية على وفق مقدمات خطابيّة تواصليّة تحاور الناس عبر بوابة الإقناع والتأثير في المتلقي واعتماد استراتيجيات توجيه عقل المخاطب وروحه وضميره بعيداً عن العنف والإكراه والمغالطة وتوقيعات الإمام الصَّادق(عليه السلام) يمكن مقاربته حجاجياً من خلال دورها في إقناع الآخر والتأثير فيه، فقد توافرت في هذا التوقيعات مجموعة لا بأس بها من الروابط التي تميّزت بفاعليتها الحِجاجيَّة وتوجيه دلالة المحاججة، لذلك سوف نعمد في هذه الدراسة إلى إعطاء صورة مكثّفة لأهم الروابط الحِجاجيَّة التي ترد في هذه التوقيعات معتمدين في تقسيمها وفق ما يأتي (رائد مجيد جبار الزبيدي ، 2014 : 98)

1- روابط التعارض الحجاجي
2- روابط التساوق الحجاجي
3- روابط التعليل الحجاجي
4- روابط العطف الحجاجي

أ ـ روابط التعارض الحجاجي / الرابط الحجاجي (لكن)

وهي من الأدوات النحويّة التي حدّدها العلماء العرب لنفي كلام وإثبات غيره وهي:« حرف استدراك و معنى الاستدراك أن تنسب حكماً لإسمها يخالف المحكوم عليه قبلها كأنّك لما أخبرت عن الأول بخبر

خفت أن يتوهّم من الثاني، مثل ذلك فتداركت بخبره سلباً وإن إيجاباً ... ولا تقع لكن إلاّ بين متنافيين بوجه ما»(الجني الداني : 591) .ومن هذا المنطلق فإنّ هذه الأداة تقيم علاقة ربط بين قولين متناقضين أو متنافيين هو من الناحية الحِجاجيَّة ربط حجاجي تداولي بين المعطى والنتيجة(رائد مجيد جبار الزبيدي ، 2014 : 99) وتدل الخطاطة الحِجاجيَّة الموضحة التي قدمها أصحاب النظرية الحِجاجيَّة للأداة (لكن) إلى أن التلفظ بأقوال من نمط (أ لكن ب) يستلزم أمرين:

1– إنّ المتكلّم يقدّم (أ) و (ب) بوصفهما حجتين، الحجة الأولى موجهة نحو نتيجة معنية (ن)، والحجة الثانية موجهة نحو النتيجة المضادة لها أي (لا – ن) .

2– إنّ المتكلم يقدّم الحجة الثانية بوصفها الحجة الأقوى وبوصفها توجه القول أو الخطاب برمته(**اللغة** والحجاج : 58)

ومن هذه الخطاطة نجد أن وظيفة (لكن) ،ومثلها (بل) الحجاجيتين تعمل على قلب الفرضيّة بين ما يتقدّم الرابط وما يتبعه فما يسبق الرابط (لكن) يتضمن حجة (أ) ، (ظاهرة) تخدم نتيجة (ضمنية) متوقعه (ن) وما بعد الرابط يتضمّن حجة (ب) (ظاهرة) تخدم نتيجة (ضمنية) مضادة (لا – ن) للنتيجة السابقة (ن) وهنا يكون دور الرابط الحجاجي (لكن) في الربط بين قولين متنافيين من جانب وإعطاء الحجة الثانية التي تأتي بعده بالقوة اللازمة التي تجعلها أقوى من الحجة الأولى التي سبقت الرابط، ونتيجة لذلك فقد عمل الرابط على توجيه القول بجملة نحو النتيجة المضادة (لا – ن)(رائد مجيد جبار الزبيدي ، 2013: 99) .

وقد ورد ذكرها في توقيعات الإمام الصَّادق(عليه السلام) في قوله« **ليس الحمية من الشيء تركه، ولكن الإقلال منه**»(الطوسي : 3: 78) الذي نلحظ فيه الرابط الحجاجي (لكن) قد عمل تعارضا حجاجياً بين ما تقدم وما تأخر عنه، فالقسم الأول الذي سبق الرابط قد تضمن حجة تخدم نتيجة ضمينة (ن) من قبيل أن الإمام الصَّادق(عليه السلام) يخاطبهم، ويزيل شكوكهم، أمّا القسم الثاني الذي جاء بعد الرابط فقد تضمن حجة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة (لا – ن) أي تخدم النتيجة، فما أحدثه الرابط (لكن) هو استدراك ورفع ما يتوهم ثبوته، فحتمية مشيئة الله وكينونته تلقي بظلالها الحِجاجيَّة على النتيجة السابقة مما

يكسبها فيضاً من التعارض الحجاجي الذي يوجه القول برمته إلى إبعاد غيبية يدركها آل البيت عليهم السلام .

وفي كل ما سبق مبعثه محادثة آيديولوجية تغذيها أدلجة تداولية راسخة ويمكن لنا توضيح هذه المداولة الحِجاجيَّة عن طريق الرسم البياني الآتي :

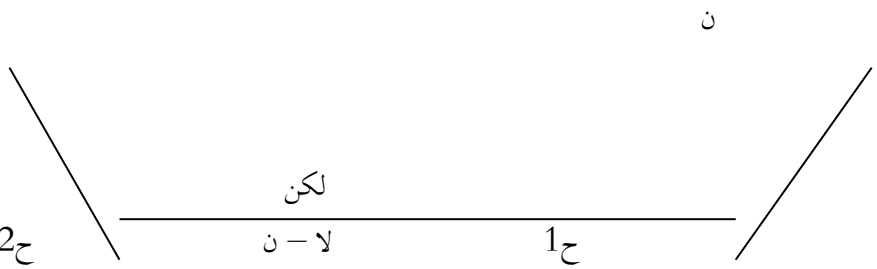

ومنه قوله(عليه السلام): « **إذا كنت في خير فلا تغترر به ولكن قل: اللّهم سلّم وتمّم**»(عيون أخبار الرضا (عليه السلام) 2: 178 ؛ ، المجلسي : 111/49) .الذي نلحظ فيه الرابط الحجاجي (لكن) قد عمل تعارضا حجاجياً بين ما تقدّم وما تأخر عنه فالقسم الأول الذي سبق الرابط قد تضمن حجّة تخدم نتيجة ضمينة (ن) من قبيل أنّ الإمام الصَّادق(عليه السلام) يخاطبه أحد أصحابه من الشيعة (الخير الموجود عندكم لاتغترّ به ويصيبك الطغيان ، فهو يشفق عليه ، ويزيل شكوكه) أمّا القسم الثاني الذي جاء بعد الرابط فقد تضمن حجة تخدم نتيجة مضادة للنتيجة السابقة (لا – ن) أي تخدم نتيجة (تعليمه كيفيّة الشكر لإدامة النعمة) فما أحدثه الرابط (لكن) هو استدراك ورفع ما يتوهم ثبوته، فحتمية عدم مخاطبته تلقي بظلالها الحِجاجيَّة على النتيجة السابقة مما يكسبها فيضاً من التعارض الحجاجي الذي يوجه القول برمته إلى إبعاد غيبية يدركها آل البيت عليهم السّلام .

وما تقدّم يمكن تمثيله بالخطاطة الآنفة الذكر .

ب / الرابط الحجاجي (بل):

ذكر الرماني في فحوى هذه الأداة« هي من الحروف الهوامل ومعناها الاضراب عن الأول والإيجاب للثاني»(**معاني الحروف : 71)** وعليه فهي من أدوات الربط التي تستعمل للإبطال والحجاج مثلها مثل (لكن) ولهذا الرابط حالان :

الأول : أن يقع بعد مفرد .

الثاني : أن يقع بعده جملة ما فإن وقع بعده مفرد دخله حالان :

أ- إن تقدمه أمر أو إيجاب نحو (اضرب زيداً بل عمراً) و (قام زيد بل عمرو) فإنه يجعل ما قبله كالمسكوت عنه ولا يحكم عليه بشيء ويثبت الحكم لما بعده .

ب- إن تقدمه نفي أو نهي نحو (ما قام زيد بل عمرو) و (لا تضرب زيداً بل عمراً) فإنه يكون لتقرير حكم الأول وجعل ضده لما بعده أي إثبات الثاني ونفي الأول .

أما إذا وقع بعد (بل) جملة فيكون معنى الإضراب :

أ- أما الإبطال نحو قوله تعالى:﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾(المؤمنون : 70)

ب- وأمّا الانتقال من غرض إلى غرض(اللغة والحجاج : 61 نحو قولة تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾(الاعلى : 14 – 16)ومما تقدم يتضح أن (بل) تعمل على (لكن) في المنحى الحجاجي الذي يصفها بالاستدراك والتوكيد والقصر والإضراب والإبطال(رائد مجيد جبار الزبيدي : 2013: 105)ونجد حجاجية (بل) في قول الإمام الصَّادق(عليه السلام)، وقد مَرَّ رَجُلٌ به فَقَالَ لَهُ:« **أَعْطِنِي عَلَى قَدْرِ مُرُوَّتِكَ. قَالَ: لَا يَسَعُنِي ذَلِكَ، فَقَالَ: عَلَى قَدْرِ مُرُوَّتِي. قَالَ: أَمَّا إِذاً فَنَعَمْ، ثُمَّ قَالَ: يَا غُلَامُ أَعْطِهِ مِائَتَيْ دِينَارٍ وَفَرَّقَ عليه السلام بِخُرَاسَانَ مَالَهُ كُلَّهُ فِي يَوْمِ عَرَفَةَ، فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ: إِنَّ هَذَا لَمَغْرَمٌ، فَقَالَ: بَلْ هُوَ الْمَغْنَمُ لَا تَعُدَّنَّ مَغْرَماً مَا ابْتَعْتَ بِهِ أَجْراً وَكَرَماً**»(المجلسي ، 49/ 100)

إن(بل) الواردة في هذه المثال هي من النمط الحجاجي الذي أفاد التوكيد فقد توسطت بين حجتين، وانما هي في المنظور الحجاجي المؤكد بنتيجة مضادة (لا — ن) ، وهذا كله يمثل الفضاء العلائقي الحجاجي بين العبد وعطاءه.

2- روابط التساوق الحجاجي: الرابط الحجاجي (حتّى):

أظهرَ الرابطُ الحجاجي (حتّى) كعلامة حجاجية فارقة، ويكتسب هذا الرابط أهميّته من علاقته الواضحة والقويّة مع المعنى الضمني والمضمر، إذ إنّ دورها لا يقتصر على إضافة معلومة جديدة إلى سياق الجملة كما

لو تقول: (جاء زيد) فتكون (حتى زيد جاء) إذا كان مجيء زيد غير متوقع، بل إنّ دور هذا الرابط يتمثّل في إدراج حجّة جديدة تردف الحجة التي تسبقها وتساوقها، والحجتان تخدمان نتيجة واحدة لكن بدرجات متفاوتة من حيث القوّة الحِجاجيَّة(اللغة والحجاج: 27.فتتساوق الحجتان في رفد النتيجة بالطاقة الحِجاجيَّة المؤثّرة، ولكن تبقى الحجة التي يأتي بها الرابط (حتّى) هي أقوى من الحجّة التي سبقتها، أي أن يكون ما بعدها غاية لما قبلها، ولذا أقرّ ديكرو بأنّ « الحجة المربوطة بواسطة هذا الرابط ينبغي أن تنتمي إلى فئة حجاجية واحدة، أي أنّها تخدم نتيجة واحدة، والحجة التي ترد بعد هذا الرابط تكون هي الأقوى، لذلك فإنّ القول المشتمل على الأداة (حتى) لا يقبل الإبطال والتعارض الحجاجي»(الاحتجاج :302/2. وقد توافرت في الإمام الصَّادق(عليه السلام) الرابط حتى وهو في دلالات متعدّدة في مقام واحد فتستعمل للتعليل وللغاية، كما في قوله (عليه السلام) :« **إنّ العابد من بني إسرائيل لم يكن عابدا حتى يصمت عشر سنين، فإذا صمت عشر سنين كان عابدا**»(الطوسي : 3: 78) .وكذلك في قوله:« **لا يتم عمل امرئ مسلم حتى تكون فيه عشر خصال: الخير منه مأمول، والشر منه مأمون، يستكثر قليل الخير من غيره، ويستقل كثير الخير من نفسه، لا يسأم من طلب الحوائج إليه، ولا يمل من طلب العلم طول دهره، الفقر في الله أحب إليه من الغنى، والذل في الله أحب إليه من العز في عدوه، والخمول أشهى إليه من الشهرة. ثم قال: العاشرة وما العاشرة! قيل له: ما هي؟ قال: لا يرى أحدا إلا قال: هو خير مني وأتقى، إنما الناس رجلان: رجل خير منه وأتقى، ورجل شر منه وأدنى، فإذا لقي الذي هو شر منه وأدنى قال: لعل خير هذا باطن وهو خير له، وخيري ظاهر وهو شر لي، وإذا رأى الذي هو خير منه وأتقى تواضع له ليلحق به، فإذا فعل ذلك فقد علا مجده، وطاب خيره، وحسن ذكره، وساد أهل زمانه**» وأيضا:« **لا يزال العبد يسرق حتى إذا استوفى ثمن يده أظهر الله عليه**:الطوسي : 3: 78) فالرابط الحجاجي (حتى) في هذه الأمثلة ينظر إليها من زاويتين من أجل تحقيق غايات إقناعية، فمرّة تُقرأ من زاوية (سببية)، أي إنّ ما قبلها علّة وسبب وحجة لما بعدها فتكون مرادفة لـ(كي) التعليلية، وهنا يمكن أن نعد ما قبلها حجة وما بعدها نتيجة فالإمام الصَّادق(عليه السلام) قدّم حجته في الصمت المقبول، وخصال الأعمال المقبولة، وثمن السرقة.

فضلاً عن ذلك فقد تستعمل (حتى) للغاية فتكون مترادفة لـ(إلى) فحكم ما بعدها يكون مخالف لحكم ما قبلها فيتقرر الحكم قبل (حتى) في إفادة إمكان الخروج لقضاء حق يلزمها إذا لم يكن لها من ينظر إليها،

أي تكون الحجة التي بعدها غاية لما قبلها، وهما في كل الأحوال يخدمان نتيجة واحدة، وتبقى الحجة التي ترد بعد (حتى) هي الأقوى حجاجياً.

وتكون مرادفة لـ(إلى) للغاية وبدلالتها التوكيدية الإبلاغية كما في قوله : « **لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يكون فيه ثلاث خصال: سنة من ربه، وسنة من نبيه، وسنة من وليه، فأما السنة من ربه فكتمان السر، وأما السنة من نبيه فمداراة الناس، وأما السنة من وليه فالصبر في البأساء والضراء**» وأيضا قوله:« **ولا تنقضي الأيام والليالي حتى تصير طوس مختلف شيعتي وزواري، ألا فمن زارني في غربتي بطوس، كان معي في درجتي يوم القيامة مغفورا له** »، وكذلك قوله:« **لا يستكمل عبد حقيقة الإيمان حتى تكون فيه خصال ثلاث: التفقه في الدين، وحسن التقدير في المعيشة، والصبر على الرزايا**» (الطوسي : 3: 78)

3ـ روابط التعليل الحجاجي :

1/الرابط الحجاجي المتمثل بـ (لام التعليل) :

من ادوات الربط التي تدخل على الفعل المضارع فيكون ما بعدها علة لما قبلها ويقال لهذا اللام : لام العلّة ولام السبب، ولام كي ، لأنّ معنى التعليل فيها راجع إلى معنى الاختصاص فإن قلنا : جئتك للإكرام دلّت اللّام على أن المجيء مختص بالإكرام إذ الإكرام سببه دون غيره(،الجنبي: 109)هذا الرابط يستعمله الإمام الصَّادق(عليه السلام) من أجل التبرير أو التعليل لفعله فهو نتيجة الدعوى التي يقصدها المرسل ، فعليه هي من الروابط التي تربط بين النتيجة والحجة لدعم النتيجة وتبريرها، ومن ذلك قوله(عليه السلام) :« **يا عبد العظيم، أبلغ عني أوليائي السلام، وقل لهم: أن لا يجعلوا للشيطان على أنفسهم سبيلا، ومرهم بالصدق في الحديث، وأداء الأمانة، ومرهم بالسكوت، وترك الجدال فيما لا يعنيهم، وإقبال بعضهم على بعض، والمزاورة فإن ذلك قربة إليّ، ولا يشغلوا أنفسهم بتمزيق بعضهم بعضا، فإني آليت على نفسي أنه من فعل ذلك وأسخط وليا من أوليائي دعوت الله ليعذبه في الدنيا أشد العذاب، وكان في الآخرة من الخاسرين**»(تحف العقول: 442) وهنا جاءت لفظة(ليعذّبه) نتيجة السخط.

ومنه قوله(عليه السلام) :« **ليس لبخيل راحة، ولا لحد لذة، ولا لملول وفاء، ولا لكذوب مروءة**»(الطوسي : 3: 78) ويمكن هنا تحليل هذه المتوالية الحِجاجيَّة التراتبية بـ(لام) التعليل كالآتي :

النتيجة : لا توجد راحة، ولاتوجد لذّة، ولايوجد وفاء، ولاتوجد مروءة.

الرابط الحجاجي : لام التعليل

2/الرابط الحجاجي (لأنّ) :

إنَّ هذا الرابط من أهم ألفاظ التعليل والتفسير وهو إلى جانب هذا يستعمل لتبرير الفعل كما يستعمل لتبرير عدمه(الزبيدي 2013: 115) وقد ورد هذا الرابط في كتب الإمام الصَّادق(عليه السلام) لأنّ مقتضى الخطاب سواء أكان في الأمر أو الوعظ أو الدحض أو الدعوة يتطلب توجهاً تفسيرياً وتبريرياً من أجل التأثير والتوجيه والإقناع بالدعوى المقدمة، ومثال ذلك قوله(عليه السلام): سئل ما بال المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجها؟ قال:« لأنّهم خلوا بالله، فكساهم الله من نوره »(المجالس السنية 5: 567) .وهنا يمكن بيان الربط العلّي بين النتيجة

والحجج المقدمة بالترسيمة الآتية:

النتيجة : أحسن الناس وجها

الرابط الحجاجي : لأن

الحجة 1 : صلاة الليل

الحجة 2 : كساهم الله من نوره.

3 / روابط العطف الحجاجي

تتنسق مجموعة من الحروف ببعد حجاجي مهم من خلال ربطها بين الحجج والنتائج والتنسيق بينهما من أجل التعليل والتفسير والتبرير، ومن هذه الروابط احرف العطف (الواو ، الفاء ، ثم) إذا إنّها تقوم بدور حجاجي كبير، فالملاحظ أنها تقوم بالربط بين قضيتين(حجتين) لنتيجة واحدة ووصفها سلماً حجاجياً يخضع هذه الحجج إلى تراتبية معينة بحسب قوتها في دعم النتيجة النهائية، فإنها تسهم أيضا في بداعة المعنى المقصود ولاسيما إذا استعمل كل حرف واستغلت وظيفته في الموضوع المناسب، فذلك يزيد من الإثبات على المعنى من جهة، ويلقي على الخطاب نوعاً من التنظيم والانسجام مرة أخرى(انعيمة: 2012 : 93)وفي هذا المورد سنحاول أن نبين عمل هذه الروابط في مكاتيب الإمام الصَّادق(عليه السلام) ، وبيان مستوى دعمها لعمل المحاججة .

أ. الرابط الحجاجي (ثم): هي من حروف العطف التي تفيد التراخي والمهلة بين قضيتين متباعدتين، فضلاً عن إفادتها الترتيب ين الحجج، ومثالها قولها عليها السلام:« **الله تعالى أعدل من أن يجبر، ثم يعذب**» وقوله أيضا:« **إنّ الله يعطي من يشاء، فمنهم من يجعله مستقرا فيه، ومنهم من يجعله مستودعا عنده، فأما المستقر فالذي لا يسلب الله ذلك أبدا، وأما المستودع فالذي يعطاه الرجل ثم يسلبه إياه**» وكذلك:« **إنما الدنيا كظل زائل حل فيه راكب ثم رحل**» وحقيقة (ثم) هنا دالة على التراخي والمهلة للربط بين المعطوف والمعطوف عليهِ، وهذه المهلة مرتبطة بالزمن الحقيقي الفعلي مقترناً بزمن نفسي مفعم بالأحاسيس التي ترتكز على الوعد والبشارة بالرحمة والنعمة .

ب/ الرابط الحجاجي (الواو) : يشير هذا الرابط الى وظيفة الجمع بين قضيتين (حجتين) ويستعمل حجاجياً بوصفه رابطاً عاطفياً على ترتيب الحجج ووصل بعضها ببعضها الآخر ، بل يعمل على رص الحجج وتماسكها وتقويتها فضلا عن التدرجية او السلمية في ترتيب الحجج وعرضه(تحف العقول: 444)ومن الشواهد في نص توقيعات الامام المهدي(عج) ، قوله (عج):« **أوحش ما يكون هذا الخلق في ثلاثة مواطن: يوم ولد فيرى الدنيا، ويوم يموت فيعاين الآخرة وأهلها، ويوم يبعث فيرى أحكاما لم يرها في دار الدنيا، وقد سلم الله على يحيى وعيسى في هذه الثلاثة مواطن، فقال في يحيى: وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا، وفي عيسى: والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا**» (الاربلي, 2020م:3: 78). فالرابط الحجاجي (الواو) قام بالربط والوصل بين الحجج، وعمل أيضا على ترتيبها بالشكل الذي يضمن تقوية النتيجة المطروحة ودعمها.

ج– الرابط الحجاجي (الفاء): من حروف العطف التي تضطلع بمهمة حجاجية ، إذ إنّها تربط بين النتيجة والحجة من أجل التعليل والتفسير فهي اداة ربط تفيد التعليل والاستنتاج في الخطاب الحجاجي التداولي ومن ثم فهي تجمع بين قضيتين متباعدتين في الدلالة على التقارب بين الاحداث ، فضلاً عن الدلالة على الترتيب والاتصال ، واكثر ورودها كون ما بعدها او المعطوف متسبباً عما قبله(رائد الزبيدي :2013م : 1240) ومن امثلتها قوله(عليه السلام):«**العجب درجات، منها أن يزين للعبد سوء عمله فيراه حسنا فيعجبه ويحسب أنه يحسن صنعا، ومنها أن يؤمن العبد بربه فيمتن على الله ولله المنة عليه** » تحف العقول: 444.

فهنا نجد الرابط (الفاء) قد عمل على الترتيب والاتصال.

ثمَّةَ وصايا للإمام الصَّادق عليه السَّلام نذكرها هنا، فهي مليئة بالروابط الحجاجيّة:

1. قال (عليه السلام) : (مَن أُعطِيَ ثَلاثاً لم يُمنَع ثلاثاً ، مَن أُعطِيَ الدعاءَ أُعطِيَ الإِجَابة ، ومَن أُعطِيَ الشكرَ أُعطِيَ الزيادة ، ومَن أُعطِيَ التوكُّلَ أُعطِيَ الكفاية) .

ثمّ قال (عليه السلام) : (أَتَلَوْتَ كتاب الله عزَّ وجلَّ : (اذْعُونِي أَستَجِبْ لَكُمْ) ، وقال : (وَلَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيْدَنَّكُمْ) ، وقال : (وَمَنْ يَتَوَكَّلُ عَلى اللهِ فَهُوَ حَسبُهُ) .

٢. قال (عليه السلام) : (إِذَا أرادَ أحدُكُم ألاَّ يَسأَل اللهَ شيئاً إلا أَعطَاهُ فَلْيَيأَس مِن النَّاسِ كُلِّهِم ، وَلا يَكُون لَهُ رجاءً إلاّ عِند الله ، فَإِذا عَلِمَ اللهُ عزَّ وجلَّ ذلك مِن قَلبِهِ لم يَسأل اللهَ شيئاً إلاّ أَعطَاهُ) .

٣. قال (عليه السلام) : (اِسمَعوا مِنِّي كَلاماً هُوَ خَير مِن الدُهم المُوَقَّفة ، لا يتكلّمُ أَحَدُكم بِمَا لا يَعنِيه ، وَلْيَدَع كَثيراً مِن الكلامِ فِيما يَعنِيه ، حَتّى يَجِدَ له موضعاً ، فَرُبَّ مُتكلِّمٍ في غير موضِعِه جَنَى على نفسِه بكلامه ، ولا يُمارِيَنَّ أحدكم سَفيهاً ولا حليماً ، فإنَّ مَن مَارَى حَليماً أقصَاه ، ومَن مَارَى سَفِيهاً أرداه ، واذكُروا أخَاكم إِذَا غاب عنكم بِأَحسَنِ مَا تُحبُّونَ أن تُذكروا بِهِ إذا غِبتُم ، واعمَلُوا عمل من يَعلمُ أَنَّه مُجازَى بِالإِحسَان) .

٤. قال (عليه السلام) : (إِذا خَالطتَ النَّاسَ فَإِنِ استطعتَ ألاَّ تُخالطَ أحداً مِنهُم إلاَّ كَانت يَدَك العُليَا عليه فافعل ، فإنَّ العبدَ يكون فيه بعضُ التقصيرِ مِن العِبادة ، وَيَكون له حُسن الخُلق ، فَيُبلِغُهُ اللهُ بِخُلقِهِ درجةَ الصائمِ القائم) .

٥. قال (عليه السلام) للمفضَّل بن عمر الجعفي : (أوصيك بِستِّ خِصالٍ تُبَلِّغُهُنَّ شيعتي) .

قال : وما هي يا سيّدي ؟

فقال (عليه السلام) : (أَداءُ الأمانةِ إِلَى من ائْتَمَنَكَ ، وَأَن تَرضى لأَخِيكَ مَا تَرضَى لِنَفسِكَ ، واعلَم أنَّ للأُمُور أَوَاخِر ، فَاحذَرِ العَواقِبَ ، وأنَّ للأُمُور بَغتَاتٌ ، فَكُن عَلَى حَذَرٍ ، وَإِيَّاكَ وَمُرتَقَى جَبَلٍ سَهلٍ إِذا كَانَ المُنحَدَرُ وَعراً ، وَلا تَعِدنَّ أخَاكَ وَعداً ليس في يَدِك وَفَاؤُهُ) .

٦. قال (عليه السلام) : (لا تَمزحْ فيذهبُ نُورُك ، ولا تَكذِب فَيذهبُ بَهاؤُك ، وَإِيَّاك وخِصلتين : الضَّجَر ، والكَسَل ، فإنَّك إِن ضجرتَ لا تَصبِرُ على حَقٍّ ، وَإِن كَسلتَ لم تُؤَدِّ حَقاً) .

٧. قال (عليه السلام) : (وَكان المَسيحُ (عليه السلام) يقولُ : مَن كَثُرَ هَمُّه سَقم بَدنُه ، ومَن سَاء خُلقه عذَّب نفسَه ، وَمَن كَثُر كلامه كَثُر سقطه ، وَمَن كَثُر كَذِبُهُ ذهبَ بهاؤه ، وَمَن لاحَى الرِّجَال ذَهبَتْ مرُوَّتُه) .

٨. قال (عليه السلام) : (تَزَاوَرُوا ، فإنَّ في زيارَتِكُم إحياءً لِقُلوبِكُم ، وَذِكراً لأحَادِيثِنَا ، وأحاديثُنا تعطفُ بعضَكم عَلى بعضٍ ، فإن أَخذتُم بِها رُشِدتُم وَنَجَوتُم ، وإن تَرَكتُمُوهَا ظَلَلتُم وهَلَكتُم ، فَخُذُوا بِها وأنَا بِنَجَاتِكُم زَعِيم) .

٩. قال (عليه السلام) : (اِجعَلُوا أمرَكُم هذا للهِ ولا تجعلوهُ للنَّاس ، فإنَّه ما كان لله فَهُوَ لله ، وَما كان للنَّاس فَلا يَصعدُ إِلَى السَّمَاء ، ولا تخاصمُوا بِدِينِكُم ، فإنّ المُخَاصَمَة مُمرضَةٌ للقلب ، إنَّ الله عزَّ وجلَّ قال لنبيّه (صلى الله عليه وآله) : (إِنَّكَ لا تَهدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللهَ يَهدِي مَنْ يَشَاءُ) ، وقال : (أَفَأَنْتَ تُكرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ) .

ذَرُوا الناس فإنّ الناسَ قد أخذوا عن الناسِ ، وإنّكم أخذتُم عن رسولِ الله (صلَّى الله عليه وآله) وَعَن عَليٍّ (عليه السلام) وَلا سَوَاء ، وَأنِّي سمعتُ أبي يقولُ : إذا كَتبَ الله عَلى عبدٍ أن يُدخلَهُ في هذا الأمرِ كَان أسرعُ إليه مِن الطيرِ إلى وَكْرِهِ) .

١٠. قال (عليه السلام) : (اِصبِرُوا على الدنيا فإنَّما هيَ سَاعةٌ ، فما مضى منها فلا تجد له ألماً ولا سُروراً ، وما لم يجئ فلا تدري مَا هُو ، وَإنّما هي ساعتُك التي أنت فِيها ، فَاصبِر فِيها على طَاعة اللهِ، واصبِر فيها عن معصيةِ الله).

الخاتمة

مَنَّ اللهُ تعالى علينا بإتمامِ هذا البحثِ، وأعانَنا على دراسةِ الحِجاجِ بوصفِهِ منهجًا فاعلًا في تحليلِ الخطابِ من خلالِ بنيتِهِ وأساليبِهِ. وبعدَ استكمالِ الخطواتِ الإجرائيَّةِ لهذا المنهجِ في مدوَّنةٍ تراثيَّةٍ تمثَّلتْ في توقيعاتِ الإمامِ الرِّضا (عليهِ السَّلامُ)، أمكنَ الوقوفُ على جملةٍ من النتائجِ التي يمكنُ إجمالُها فيما يأتي:

* برزتِ التوقيعاتُ والوصايا بوصفِهما من الفنونِ النثريَّةِ التي احتلَّتْ مكانةً متميِّزةً في الأدبِ العربيِّ والإسلاميِّ، الأمرُ الذي استدعى مقاربتَهما لغةً واصطلاحًا ضمنَ المنظومةِ المعرفيَّةِ.

* استندَ فنُّ التوقيعاتِ إلى مرتكزاتٍ تاريخيَّةٍ أسهمتْ في نشأتِهِ وتطوُّرِهِ؛ إذْ كانتْ بداياتُهُ في العصرِ الإسلاميِّ، ثمَّ نما في العصرِ الأمويِّ، وبلغَ مرحلةَ النضجِ والازدهارِ في العصرِ العباسيِّ.

* يتطلَّبُ التوقيعُ الأدبيُّ توافرَ معاييرَ واضحةٍ تُحدِّدُ خصائصَهُ الجماليَّةَ وسماتِهِ الفنيَّةَ المميِّزةَ، وقد سعى البحثُ إلى بيانِ هذه المعاييرِ وتحديدِها بدقَّةٍ.

* اعتمدَ الخطابُ في منجزِهِ النصِّيِّ على الحِجاجِ الأدبيِّ بوصفِهِ ظاهرةً لغويَّةً حاضرةً في مختلفِ الأقوالِ والخطاباتِ، وفقًا لما ذهبَ إليهِ ديكرو.

*كشفتِ المدوَّنةُ عن عددٍ من الآليَّاتِ اللغويَّةِ الحِجاجيَّةِ، ولا سيَّما ما يتعلَّقُ بحروفِ الرَّبطِ، وحسنِ اختيارِها، وتوظيفِها في مواضعِها المناسبةِ؛ من أجلِ توجيهِ الخطابِ نحوَ المقاصدِ التي يسعى إليها المُرسِلُ منذُ البدايةِ، وهو ما يُعرَفُ بالرَّوابطِ الحِجاجيَّةِ.

* أدَّتِ الرَّوابطُ الحِجاجيَّةُ دورًا مهمًّا في تحقيقِ التأثيرِ والإقناعِ داخلَ سياقِ الخطابِ، من خلالِ اختيارِ مواضعِها بدقَّةٍ لخدمةِ الغاياتِ الحِجاجيَّةِ المقصودةِ. وقد منحَ الإمامُ الرِّضا (عليهِ السَّلامُ) هذه الروابطَ اللغويَّةَ مكانةً بارزةً في بناءِ المعنى وتحقيقِ انسجامِ الكلامِ، فتمركزتْ وظيفتُها الحِجاجيَّةُ داخلَ البنيةِ اللغويَّةِ ذاتِها، بما أضفى على الخطابِ قوَّةً وتأثيرًا وفاعليَّةً.

المصادر والمراجع

- القران الكريم
- الشيخ الطبرسي(ت548هـ) 1966م الاحتجاج ،.تعليق:السيد محمد باقر الخرسان،دار النعمان للطباعة والنشر، النجف الأشرف1386هـ ـ
- البطليوسي (ابو محمد عبد الله ابن محمد ت521هـ) 1981م – 1983م الاقتضاب في شرح ادب الكتاب ، تحقيق : مصطفى السقا والدكتور حامد عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة

- د.حمادي صمود 1998م اهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من ارسطو الى اليوم ،.، ط2 منشورات كلية الاداب ،منوبة ، تونس
- (الزبيدي ت.1205هـ) 1994م تاج العروس ، تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، بيروت 1414 هـ ،
- جرجي زيدان 1904م تاريخ آداب اللغة العربية ، ، ط1،مطبعة الهلال ، مصر ،
- الازهري (ابومنصور محمد بن احمد ت.370هـ) 1384هـ -1964م تهذيب اللغة ، تحقيق : عبد السلام محمد هارون وآخرين ، ط1 ، الدار القومية للطباعة ، القاهرة ،
- ، أبو هلال العسكري(ت395هـ) 1384هـ ـ 1964م: جمهرة الأمثال. تحقيق:محمد أبو الفضل ابراهيم وعبد المجيد قطامش،ط2،دار الجيل ،بيروت، لبنان
- المرادي (بدر الدين حسن بن قاسم) 1413هـ -1992م الجنى الداني في حروف المعاني ، تحقيق : فخر الدين قباوه ومحمد نديم فاضل ، ط1،دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ،
- حافظ اسماعيل علوي وآخرون 2010م الحجاج مفهومه مجالاته ، ،ط1، عالم الكتب الحديث ، اربد،الاردن
- لابن الاثير 2012م الحجاج في كتاب المثل السائد ، عمران نعيمة (رسالة ماجستير) كلية الاداب واللغات ، جامعة مولود معمري ، تيزي وزو ، الجزائر
- رائد مجيد جبار الزبيدي ، 1434هـ ،2013م رسائل الإمام علي عليه السلام في نهج البلاغة – دراسة حجاجية ، (اطروحة دكتوراه) كلية الاداب ، جامعة البصرة ،
- ،اليوسي (ت1102 هـ) (د.ت) زهر الاكم في الامثال والحكم تحقيق : د.محمد حجي ود . محمد لخضر ، ط1، دار الثقافة ، الدار البيضاء ، المغرب .
- ، ابن عبد ربه الاندلسي (ابو عمر احمد بن محمد ت327هـ) 1384هـ 1965م العقد الفريد ، تحقيق : احمد امين واحمد الزين وابراهيم الابياري وعبد السلام محمد هارون ، ط3، لجنة التأليف والترجمة النشر ، القاهرة

- الشيخ الطوسي(ت460هـ) 1411هـ الغيبة،. تحقيق: الشيخ عباد الله الطهراني، والشيخ علي أحمد ناصح، مطبعة بهمن، ط1، قم
- فن التوقيعات الادبية في العصر الاسلامي والاموي و العباسي ، مجلة جامعة ام القرى لعلوم الشريعة واللغة العربية وآدابها ، المجلد (13) العدد (22) نسخة منشورة على موقع مجلة الاديب العربي على الانترنيت
- الشيخ الكليني(ت329هـ) (د.ت) الكافي،.تصحيح وتعليق:علي أكبر الغفاري، ط5، مطبعة حيدري، دار الكتب الإسلامية، طهران
- الشيخ الصدوق(ت381هـ) 1405كمال الدين وتمام النعمة، تصحيح وتعليق:علي أكبر الغفاري، مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين، قمه .
- لسان العرب 1405هـ ، ابن منظور (ت711هـ) نشر ادب الحوزة ، (د.م) ،
- ابو بكر العزاوي ، 2006م اللغة والحجاج ط1 ، العمدة في الطبع ، المغرب
- الميداني(ت518هـ) (د.ت).مجمع الأمثال، مؤسسة الطبع والنشر التابعة للاستانة الرضوية

Gender Identity Between Simone de Beauvoir and Judith ButlerFull

Dr. Amina Fares
University of Batna 1, Algeria
amina.fares025@gmail.com

Abstract:

This article examines the concept of gender identity through the perspectives of two philosophers: Simone de Beauvoir and Judith Butler. The study addresses the question of the nature of gender in their respective theories and investigates the extent to which the shift from the concept of the social construction of womanhood to the concept of gender performativity contributed to redefining and understanding identity.

The study aims to analyze the concept of gender in the works of both philosophers and identify points of convergence and divergence between them, with particular attention to the relationship between the body, society, and identity. It adopts an analytical approach by examining their major ideas concerning gender identity. The findings indicate that gender identity is not a fixed natural given, but is shaped within social and cultural conditions. De Beauvoir emphasizes the role of socialization in shaping womanhood, while Butler develops this perspective through her theory of gender performativity.

The scientific significance of this study lies in deepening the understanding of feminist thought, highlighting their contributions to challenging traditional conceptions of gender, and opening new approaches to gender identity.

Keywords: Gender Identity;Simone de Beauvoir;Judith Butler;Gender;Feminist thought

الهوية الجندرية بين سيمون دي بوفوار وجوديث بتلر

د/أمينة فارس
جامعة باتنة1، الجزائر
amina.fares025@gmail.com

ملخص:

يتناول هذا المقال مفهوم الهوية الجندرية من خلال دراسة تصور كل من الفيلسوفتين سيمون دي بوفوار وجوديث بتلر، وتنطلق إشكالية هذه الدراسة من التساؤل حول حقيقة الجندر عند كل منهما، وإلى أي حد ساهم الانتقال من مفهوم التشكل الاجتماعي للمرأة إلى مفهوم الأداء الجندري في إعادة بناء وفهم الهوية؟

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مفهوم الجندر عند الفيلسوفتين والكشف عن أوجه التقاطع والاختلاف بينهما مع التركيز على علاقة الجنس بالمجتمع والهوية.

وقد اعتمدت الدراسة المنهج التحليلي من خلال تحليل أهم أفكارهما حول الهوية الجندرية بصفة عامة، كما توصل البحث إلى العديد من النتائج أهمها أن الهوية الجندرية ليست معطى طبيعياً ثابتاً، بل هي مشكلة ضمن شروط اجتماعية، إذ أكدت دي بوفوار على دور التنشئة الاجتماعية في بناء الهوية، بينما طورت بتلر هذا التصور من خلال نظرية (الأداء الجندري).

تكمن القيمة العلمية لهذه الدراسة في إسهامها في تعميق فهم الفكر النسوي، مع إبراز دور كل من دي بوفوار وبتلر في نقد التصورات التقليدية للجندر، وفتح الآفاق أمام مقاربات جديدة لمفهوم الهوية الجندرية.

الكلمات المفتاحية:الهوية الجندرية، سيمون دي بوفوار، جوديث بتلر، الجندر، الفكر النسوي المعاصر.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار ● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ●09-10-2026/07/11

مقدمة

تعد الهوية من المفاهيم الأساسية التي اهتم بها الفكر الفلسفي والاجتماعي، وذلك نظراً لارتباطها بتشكل الذات وعلاقتها بالمجتمع والثقافة، وفي هذا السياق يبرز مفهوم الهوية الجندرية بوصفه موضوعاً محورياً في الدراسات النسوية والفلسفية المعاصرة، نظراً لما يثيره من تساؤلات حول طبيعة الاختلاف بين الذكورة والأنوثة، ومدى ارتباطه بالمعطيات البيولوجية أو بالبنى الاجتماعية والثقافية التي ساهمت في تشكيل معالم الهوية الجندرية. وفي هذا السياق، تمثل كل من الفيلسوفة الفرنسية سيمون دي بوفوار والأمريكية جوديث بتلر محطتين أساسيتين في تطور الفكر الفلسفي حول الجندر، إذ أسهمت دي بوفوار من خلال كتابها (الجنس الآخر) في زعزعة التصور الذي يربط مصير المرأة بالحتمية البيولوجية مؤكدة على دور العوامل الاجتماعية في تشكيل وضع المرأة، أما بتلر فقد أعادت مساءلة الجندر ذاته، واعتبرته أداءً وممارسة متغيرة.

تبرز أهمية هذه الدراسة في الكشف عن التحولات التي عرفها الفكر النسوي والغربي في فهم العلاقة بين الجنس والجندر والهوية بما يسمح بتحديد استمرارية أطروحة دي بوفوار داخل الفكر النسوي المعاصر ومدى ما أضافته بتلر من إعادة صياغة ونقد لمفهوم الهوية الجندرية.

تهدف هذه الدراسة إلى تحليل مفهوم الهوية الجندرية عند كل من (دي بوفوار وبتلر) والكشف عن الأسس الفلسفية التي يقوم عليها تصور كل منهما، مع إبراز أوجه الالتقاء والاختلاف بينهما.

وانطلاقاً من ذلك تتمحور إشكالية هذه الدراسة حول السؤال الآتي:

كيف يتحدد تشكل الهوية الجندرية عند كل من دي بوفوار وبتلر؟ وما حدود الاستمرار والتجاوز بينهما؟

هذه الإشكالية يتفرع عنها عدة أسئلة فرعية:

- كيف فسرت دي بوفوار تشكل هوية المرأة من خلال البناء الاجتماعي والثقافي؟
- كيف يعيد مفهوم الأداء الجندري عند بتلر صياغة العلاقة بين الجندر والهوية؟
- وهل يمثل هذا الأخير امتداد التصور دي بوفوار أم تجاوزا له؟

1-ضبط مفاهيم:

أولاً: الهوية الجندريةL'identité de genre

الهوية لغة:تدل على ما هو متطابق أو متماثل كما تطلق على الفرد عندما يقال هو نفسه أو متماثل مع ذاته، بالرغم من التغييرات التي تطرأ عليه(André Lalande, 1997, p. 454).

أما في الاصطلاح:فتعني بشكل عام الخصائص أو الصفات التي تسمح بتعريف شيء معين أو هي تعريف بموضوع فرد جماعة أو مجتمع، وهذا التعريف يشير إلى عدد من المعايير التي تؤدي بنا إلى الحديث عن هويات مختلفة كالهوية الثقافية، الاجتماعية وغيرها(Alex Mucchielli ، 2012، الصفحات 27-28).

وعليه فالهوية هي الخصائص والمميزات التي تساهم في تحديد طبيعة الشيء أو الشخص وتعكس حقيقته.

الجندر:

في التحديد اللغوي:كلمة جندر Genre هي كلمة لاتينية الأصل وتشير إلى اختلاف الجنس بين الذكر والأنثى وفي علم الاجتماع يشير المصطلح إلى الأدوار الاجتماعية للجنسين (هبة الركبي: النسوية مفاهيم وقضايا، الرحبة للنشر والتوزيع دمشق، ط1 2014، ص 78-80.(

وفي الاصطلاح:يشير إلى تحديد الأدوار والمهام الاجتماعية للرجل والمرأة، حسب منظومة المجتمع الثقافية والاجتماعية في حقبة زمنية محددة (أميمة و شيرين ، 2002، صفحة 123)، واستعمال مفهوم الجندر أو النوع الاجتماعي أو الهوية الجندرية لا يلغي الفروقات البيولوجية بين الرجل والمرأة لأن هذه الفروقات طبيعية في الإنسان ولكنه يجعلنا ندرك أن الهوية الأنثوية أو هوية الجندر لا تقوم على اختلافات بيولوجية بل على اختلافات ثقافية(خلود السباعي، 2012، الصفحات 273-274).

إن عدم إلغاء أهمية الفروق البيولوجية بين الجنسين في تحديد الهوية الجندرية لا يعني وجود تطابق بين الجندر والجنس، فالجنس هو معطى بيولوجي بينما يعني النوع الاجتماعي الأدوار والاختلافات التي تبنيها المجتمعات والثقافات بين الرجل والمرأة(عبد النور إدريس، 2013، الصفحات 82-86)، وهذا يعني أن الجنس مرتبط بالاختلافات البيولوجية بين الجنسين أما الجندر فيشير إلى الفروقات التي تنتجها ثقافة معينة.

وهكذا فالهوية الجندرية هي شعور الفرد بذاته نتيجة تأثير جملة من العوامل النفسية والاجتماعية، وهذا ما يجعلها مرنة وقابلة للتوسع والتطور (عبد النور إدريس، 2013، صفحة 80).

ثانياً: سيمون دي بوفوار Simone de Beauvoir

فيلسوفة فرنسية 1908 - 1986 ولدت بباريس، والتحقت بمدرسة كاثوليكية للبنات، كما درست في السوربون، في عام 1949 نشرت كتابها الجنس الثاني (الآخر) الذي يعد من النصوص الكلاسيكية في مجال الفلسفة النسوية، إذ طرحت فيه فهماً جديداً للعلاقات الاجتماعية بين الرجل والمرأة، وناقشت الفكرة الفلسفية القائلة بأن الأنوثة حالة معناها أن يكون الإنسان آخراً بالنسبة إلى نفسه، بينما الرجل هو ما عدا الآخر، تنتمي دي بوفوار إلى النسوية الوجودية فقد أعلنت أنها تابعة لفلسفة جان بول سارتر – من أهم أعمالها: الجنس الآخر (أو الثاني)، المرأة المحطمة، قوة الأشياء وغيرها(سارة غامبل، 2002، صفحة 278).، وهذا يؤدي بنا إلى القول إن موقف دي بوفوار من الهوية الجندرية سيعكس انتماءها إلى الفلسفة الوجودية.

ثالثاً: جوديث بتلر Judith Butler

فيلسوفة يهودية أمريكية ذات أصول روسية – مجرية (1965-)، فقد اهتمت بالفلسفة الثالثة ونظرية الأدب، الجنسانية، النوع الاجتماعي والهوية، تحصلت عام 1984 على أطروحة الدكتوراه من جامعة بال حول مفهوم الرغبة عند هيجل، لما قدمت فيه من فهم جديد للعلاقة بين الرغبة والاعتراف، انتُخبت عام 2009 كرئيسة لمحكمة هوسرل حول فلسطين والتي تجمع المثقفين الأمريكيين حول القضية الفلسطينية لحشد شروط سلام دائم وعادل بين إسرائيل وفلسطين بفضل موقفها الثابت من رفض عنف إسرائيل (رشيد العلوي، 2017، صفحة 33)، استخدمت بتلر التفكيك كضرورة فلسفية لتوضيح قضايا اختلاف الجنس والنقاط الهامشية في الجندر مع عرض تكتيكات مقاومتها أمام كل خطاب مهيمن من أهم أعمالها: قلق الجندر، الحياة النفسية للسلطة، الذات تصف نفسها... وغيرها.(محمد بكاي، 2019، صفحة 57)، وهذا يعني أن موقف بتلر من الجندر سيعكس انتماءها إلى التفكيكية أو إلى فلسفة ما بعد الحداثة.

2–الهوية الجندرية عند سيمون دي بوفوار

أولاً: هوية المرأة والمعطيات البيولوجية

في كتابها الجنس الآخر انتقدت دي بوفوار الفكرة القائلة: "إن هوية المرأة تختزل في البعد البيولوجي لها"،لقولها: (ما حقيقة المرأة؟ هذا الكائن... المرأة؟ هذا يجرنا إلى القول دائماً، إنها رحم ومبيض، إنها أنثى وهذه الكلمة كافية لتعريفها) (سيمون دي بوفوار: الجنس الآخر، الوقائع والأساطير، ج1، ترجمة سعد سعيد، الرحبة للنشر والتوزيع دمشق، ط1، 2015، ص 31)، فالمعطيات البيولوجية هنا نظرت إلى المرأة على أنها جسد عضوي فقط، أو أداة للإنتاج وإنجاب الأطفال، وعليه فهي طابقت بين النوع للمرأة والجنس "أنثى"، وأنقصت من قيمتها.

وعليه ترفض دي بوفوار فكرة أن هوية المرأة سلبية من الناحية البيولوجية لأن هناك تعاوناً بين الأعضاء المذكرة والمؤنثة من أجل التوالد، وتشير الفكرة إلى وجود فكرتين مسبقتين شائعتين تدعي أنهما خاطئتان؛ الأولى هي سلبية الأنثى، والثانية هي إيجابية الذكر، ولكن الحقيقة عند دي بوفوار هي أن الخليتين المذكرة والمؤنثة بينهما اختلافات ثانوية فقط، وتختفي في عملية التمازج أو الاتحاد(سيمون دي بوفوار، صفحة 38)، وهذا يعني أنه من الناحية العلمية يوجد تكامل من الخليتين الذكورية والأنثوية في عملية التوالد، فكل منهما فعال ونشط.

إن طرح دي بوفوار السؤال: ما المرأة؟ هو ثورة مع الآخر حول بناء هوية جديدة تتجاوز النموذج الذي يتصوره الرجل حول المرأة، لهذا فهي ترفض استفراد الرجل بهوية محددة(سلمى بالحاج مبروك، 2013، صفحة 342).

لقد أكدت دي بوفوار على أن المجتمع هو الذي يلزم المرأة بكينونة معينة وبناء جديد لهويتها، وفق شروطه ومتطلباته ويلغي ما هو أصلي وهذا ما يشكل هوية اصطناعية للمرأة، فالمجتمع الذكوري يحاول أن يوهمنا أن الهوية الأنثوية المشكلة هي الهوية الحقيقية والطبيعية للمرأة، خاصة بتكريسه لرموز ثقافية من دين، أساطير وفلسفة من أجل تجميد الهوية وتكريس صورة معينة للمرأة (سلمى بالحاج مبروك، 2013، صفحة 349)

وهكذا فقد أعلنت دي بوفوار أن الأنوثة ليست طبيعة ثابتة أو ماهية، بل هي موقف خلفته الحضارات، ابتداءً من بعض المعطيات البيولوجية، فليس هناك أنوثة خالدة تفرض على المرأة شخصية معينة، إذ إن الإنسان هو الذي يكون هذا الشخص أو غيره بما يؤسسه ويفعله وذلك حسب مشروعه الصادر عن حقيقته (إبراهيم طلبة سلكها، 2012، صفحة 19).

إن نقد دي بوفوار لنتائج المعطيات البيولوجية، هو دحض لنظرية التحليل النفسي لسيجموند فرويد (1852 - 1939) الذي ميز بين هوية المرأة وهوية الرجل على أسس بيولوجية خالصة، يقول في كتابه محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي: (... فالفارق بينهما ليس فارقاً سيكولوجيا، وأنتم حين تقولون هذا مذكر فأنتم تعنون في العادة أنه ناشط فاعل وحين تقولون هذا مؤنث فأنتم تريدون أنه قابل منفعل...) (سيجموند فرويد، صفحة 103)، من هذا القول يتبين لنا أن الخلية الجنسية الذكورية تتميز بالفاعلية والنشاط في حين تتميز الخلية الأنثوية بالسلبية، الثبات والانفعالية، وهذا ما يجعلها في مرتبة أدنى.

وهكذا تجاوزت دي بوفوار الموقف القائل بسلبية المرأة ووضعها المتدني، كما رفضت وجود تمايز أو تراتبية جنسية بين الرجل والمرأة.

ثانياً: الجندر والجنس

إن عبارة دي بوفوار (لا يولد المرء امرأة، إنه يصبح كذلك) (سيمون دي بوفوار، 2015، صفحة 13) توضح التمييز بين الجندر والجنس، فالولادة بخصائص بيولوجية أنثوية لا تعني اكتساب الأدوار والسلوكيات والتوقعات الاجتماعية المفروضة (النوع أو الهوية الاجتماعية)، لأن المجتمع وثقافته وتقاليده هي التي تشكل وتبني شخصية المرأة، وتفرض عليها سلوكات وقوالب نمطية معينة تماشياً مع التوقعات.

إنه لا يوجد – على حد قول دي بوفوار – أي قدر بيولوجي، نفسي أو اقتصادي يحدد الصورة التي تظهر عليها الأنثى البشرية في المجتمع، فكل تمايز بين الجنسين هو نتاج اجتماعي، فالمجتمع هو الذي ينشئ شخصها (سيمون دي بوفوار، 2015، صفحة 13)، والآخر بهذا المعنى هو المرأة لأن ثقافة المجتمع هي التي وضعتها في مرتبة ثانية بعد الرجل.

وعليه فالهوية الجندرية للمرأة هي تشكيل اجتماعي، وقد أكدت في كتابها قوة الأشياء: (إن هذا العالم هو عالم ذكوري، فقد تغذت طفولتي بأساطير صنعها الرجال (Simone De Beauvoir, 1963,

(p. 136، فهذا القول يثبت أن كل ما تعيشه المرأة أو ما نشأت عليه، هو عبارة عن معتقدات وأوهام شكلها وصنعها الذكر كي تناسب رغباته.

لقد منحت كل الأولويات للهوية الجسدية والجنسية الذكورية على حساب الهوية الأنثوية، وتم احتقار الجسد الأنثوي وحرمانه من أبسط حقوقه، بناءً على بعض الإسنادات التي اعتبرته مثالاً للفساد والفتنة والغواية (خلود السباعي، 2012، صفحة 257).

إن تعرض الهوية النوعية للمرأة إلى التهميش والإقصاء، هو بسبب إنشاء هوية للجنس الأنثوي، أي أن خصائصها النوعية بنيت على أساس جنسي بيولوجي، فيصبح سبب تفوق الرجل هو دونية جسد المرأة فهو- على حد قول دي بوفوار - : (يعتبر جسمه علاقة مباشرة وطبيعية مع العالم... بينما يعتبر جسم المرأة مثقلاً بمواصفاته، عقبة، سجن) (سيمون دي بوفوار، صفحة 16).

وهكذا فالأنوثة كدور اجتماعي ليست مجرد نتيجة طبيعية للجسد الأنثوي، بل تشكلت من خلال التربية والمجتمع والثقافة، فالجندر عند دي بوفوار هو ما يصنع اجتماعياً انطلاقا من هذا الجنس.

ثالثاً – نحو تحرير الجندر

لقد قامت دي بوفوار بتحليل وضع المرأة وهويتها واختلافها عن طبيعة الرجل، انطلاقاً من تأثرها بآراء ومفاهيم الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر (1905 - 1980) خاصة مفهوم الآخر، حيث استخدمت هذا المفهوم للإشارة إلى المرأة، فالرجل منذ البدء أطلق على نفسه "الذات" وعلى المرأة لقب "الآخر".(إيمان بنت محمد العسيري، 2017، الصفحات 278-279)، فلقد نظر إليها على أنها أدنى منه، لذلك وجب عليها أن تتحرر منه، وأن ترفض بعض المفاهيم كالتبعية والخضوع للرجل، لأنها تقيدها(Jeremy Stangroom, 2012, p. 86)تقول دي بوفوار في هذا الصدد: (... نظن أن عليها الاختيار بين تأكيد تساميها واستيلابها كموضوع...)(سيمون دي بوفوار، صفحة 72).

إن الحرية في نظر دي بوفوار في صميم الوجود، لذلك هي لا تعتقد أن الرجال سلبوا الحرية من النساء، لأن هذا يتعارض مع وجودها الذي يفترض أن كل شخص هو بالضرورة حر (Jeremy Stangroom, 2012, p. 87)وهذا يعني أن الجندر يولد بالضرورة حراً وسلب هذه الحرية هو سلب وانتفاء للوجود الإنساني، وعليه فالحرية لا ترتبط بالرجل فقط، فالمرأة هي كذلك موجود حر، ومن ثَمَّ فالمرأة

هي موجود إنساني يملك القدرة على الارتقاء والمجاوزة، فهي تستطيع أن تبني لها قِيماً ضمن عالم من القيم (سيمون دي بوفوار، صفحة 73)، كما أنها ليست كياناً عضوياً أو كائناً ناقصاً، بل إنها وجود لذاته، بإمكانها إدراك نفسها كذات وكوجود من أجل الذات، لا كموضوع وكموجود في ذاته كما تعود الرجل وصفها (إيمان بنت محمد العسيري، 2017، صفحة 280).

وهكذا عليه تدعو دي بوفوار من خلال فلسفتها الوجودية إلى تحرير الهوية الجندرية من الأنظمة الذكورية الحيادية، هذه الأخيرة التي نظرت إليها كموضوع أو كشيء وفرضت عليها أدواراً تعيق حريتها.

3-الهوية الجندرية عند جوديث بتلر

أولاً: مفهوم الأداء الجندري

في كتابها قلق الجندر تساءلت جوديث بتلر عن طبيعة الجندر بقولها: هل يوجد جندر واحد يقال عن الأشخاص أنهم يمتلكونه؟ أم أنه صفة جوهرية يقال عن شخص ما إنه يكونه؟ بمعنى هل الجندر معطى نهائي ثابت أم أنه بناء ثقافي واجتماعي متغير؟، وقد أجابت بتلر على هذا السؤال بأنه إذا كان الجندر شيئاً مبنياً فإن هذا الأمر يوحي لنا بوجود حتمية في دلالاته المنقوشة على الأجسام المتباينة، وهذا ما يجعله معطى ثقافياً ثابت، لذلك فالجندر في نظرها ليست صفة جوهرية ثابتة في شخص ما، بل هو في الواقع مجموعة علاقات (جوديث بتلر، 2022، الصفحات 78-79-81).

إن الجندر أدائي لا يعبَّر عنه إلا من خلال الأفعال أو الكلام، فأداء الجندر ينتج وهماً ذا أثر رجعي بوجود جوهر جندري داخلي، أي أن الأداء الرجعي للجندر ينتج أثراً جوهرياً أو ميلاً فنتوياً حقيقياً بحيث لا يمكن للمرء أن يستخدم نمطاً تصعيبياً من التفكير في الجندر، كما ينتج بوصفه تكراراً ممنهجاً للأعراف، ومن الطقس المفروض اجتماعياً بصورة جزئية ،من طرف القوى القسرية للجنسانية المغايرة، ومن ثمَّ فهناك ممارسات جندرية لا تُظهر الجندر المؤدَّى، لذلك سيكون من الخطأ اختزال الممارسات النفسية الجندرية إلى الأداء الحر في جدل الجندر (جوديث بتلر، 2021، صفحة 162).

وتضيف بتلر أن الجندر هو معقد، لأنه لا يكون أبداً ما هو بشكل كامل في أي مرحلة زمنية معينة، فهناك هويات يتم إنشاؤها بالتناوب والتخلي عنها حسب الأغراض المناسبة لها بحيث يكون الجندر تجمعاً مفتوحاً يسمح بأشكال متعددة من التلاقي والتباعد دون الامتثال لأي غاية معيارية أن تغلقه(جوديث بتلر،

2022، صفحة 92)، وهذا ما يجعل الجندر أداءً متغيراً ومعقدا، فرغم خضوعه لثقافة ومعتقدات المجتمع إلا أنه يستطيع الانفلات منها.

كما يعاني الجندر حسب بتلر من القلق ، فالمرأة مثلاً تخاف من الرغبة الجنسية المثلية لأنها تعتقد أنها ستفقد أنوثتها وأنها ليست امرأة، كما أن الرجل هو كذلك يخاف من الرغبة الجنسية المثلية أي في أن يصبح أنثوياً وفي أنه لم يعد رجلاً سليماً (جوديث بتلر، 2021، صفحة 153)، من خلال تحديد بتلر للجندر يمكننا القول بأنه ليست صفة جوهرية ثابتة، إنه أداء متغير يقاوم كل ما هو معياري ثابت متماسك ومستمر.

ثانياً – الجندر والجنس

أكدت جوديث بتلر على التكوين الاجتماعي للنوع، وعلى أنه لا توجد علاقة بين الانتماء المورفولوجي إلى جنس معين ونوعه: فالنوع عوض أن يكون جوهراً، يولد من الممارسات اليومية للجسد المدفوع من طرف المجتمع، فكل فرد يصبح رجلاً أو امرأة بسبب لعبه الأدوار المنسوبة إلى الرجل أو إلى المرأة، والتي يقترح المجتمع تمثيلها، فأن تكون رجلاً أو امرأة – على حد قول بتلر – يتمثل في تحقيق خصائص الذكورية أو الأنوثة وعليه في مجموع الأفعال التي يقوم بها الفرد، والتي تعبر عن هويته الجينية، ما هي إلا اختلافات مصنعة ومحفوظة بفضل علامات جسدية(Michela Marzano, 2012, p. 82).

إن الرجل عندما يؤدي دور امرأة، يوصف بأنه تقليد للأنوثة، ولكن هذه الأخيرة التي يقلدها لا تهتم بوصفها تقليداً في حد ذاتها، كما أن هذا الأخير ليس تصنيفاً للأنوثة من طرف الذكورة ولا هو إشارة على صفة جوهرية في الجندر، فأداء الرجل الأنثوي هذا يكشف عن ممارسات نفسية وأدائية من خلالها يتشكل الجندر الذي أضيف له الطابع الجنسي المتغاير (جوديث بتلر، 2021، الصفحات 163-164).

من خلال ما تم عرضه نتوصل إلى القول أن بتلر لا تفصل بين الجنس والجندر، فالجنس الأنثوي قد يؤدي أدواراً جندرية ذكورية، والجنس الذكوري هو كذلك قد يؤدي أدواراً جندرية أنثوية، وهذا ما يجعل الجندر مائعاً ،متغيراً ومفتوحاً.

ثالثاً: الجندر وتحرّر الهوية الأنثوية

إن اعتبار الهوية الجندرية منتجاً من منتجات الثقافة لا يؤدي بالضرورة إلى التحرر، بل قد يتحول إلى أداة من أدوات ضبط السلوك المقبول اجتماعياً من الرجال والنساء (سارة غامبل: النسوية وما بعد النسوية، مرجع سابق، ص 352)، فالذات لا تقف بمعزل عن قالب مهيمن من المعايير الأخلاقية والأطر الخلقية المتصارعة، وهذا القالب هو الشرط لنشأة الذات أيضا، ورغم أن هذه الأخيرة في نظر بتلر لا تتكون بسبب هذه المعايير (جوديث بتلر، 2014، صفحة 45).

إن الهوية الأنثوية ليست شيئاً ثابتاً لذلك ترفض بتلر التصورات الإنسانية التي تفترض وجود شخص جوهري يحمل صفات ماهوية، فالتصور الكوني للشخص قد تمت إزالته من حيث هو نقطة انطلاق لأي نظرية اجتماعية عن الجندر خاصة التي تفهمه كعلاقة بين ذوات مشكلة اجتماعياً في سياقات قابلة للتحديث، وعليه، فالجندر لا يدل على كينونة جوهرية بل على نقطة التقاء نسبية لمجموعة من العلاقات المحددة ثقافياً وتاريخياً (جوديث بتلر، 2022، الصفحات 82-83).

هذا التماسك والثبات في الشخص ليس خاصية منطقية في نظر بتلر، لأن هذا المنطق ينظر إلى الهوية كخاصية ثابتة مؤمن عليها بواسطة معايير اجتماعية وثقافية، مما يجعل الجنادر معقولة، أي قائمة على إنشاء علاقات التماسك والاستقرار في الجنس والجندر أو حتى الممارسة الجنسية والرغبة وصيانتها، وتضيف بتلر أن هناك هويات جندرية تفشل في تحقيق التكيف مع تلك المعايير المعقولة التي فرضتها قوانين ثقافية محددة، لذلك فإنها لا تظهر من هذا الميدان إلا بمثابة إخفاقات في التطور أو استحالات منطقية داخل هذا المجال (جوديث بتلر، 2022، الصفحات 93-94).

إن دعوة بتلر إلى تحرير الذات الأنثوية، هو نتاج إنتشار منطق الجوهر والثبات، الذي ساد الفكر الفلسفي الغربي، وفي هذا الإطار انتقدت النسوية لأنها في قسم أكبر منها تؤكد أن الموجود يملك هوية معلومة عبر مقولة النساء، حيث تعمل على تشكيل الذات التي من أجلها يتم السعي نحو التمثيل الكلي، الذي يسعى إلى توسيع مدى قدرة النساء على أن تكون مرئية بوصفها ذات سياسية(جوديث بتلر، 2022، صفحة 67).

من خلال ما تم ذكره نتوصل إلى القول بأن تحرير الهوية عند بتلر لا يعني منح الأفراد حرية اختيار جنسهم أو نوعهم، بل يعني تفكيك القواعد الاجتماعية، التي تجعل بعض أشكال الجندر تبدو طبيعية ومقبولة. ولكن إلى أي مدى يختلف تصور دي بوفوار للهوية الجندرية باعتبارها مُشكَلة اجتماعيا، عن تصور بتلر الذي يعتبرها هوية أدائية قابلة لإعادة التشكل والتحرر؟

-4الهوية الجندرية بين التشكل الاجتماعي والأداء الجندري

أولاً: تحولات مفهوم الجندر

أعادت بتلر قراءة عمل دي بوفوار :"الجنس الآخر" فمن خلال عبارة "لا يولد المرء امرأة، بل ليصبح كذلك"، لم تسعَ بتلر إلى نسف العلاقة المصطنعة بين الجنس والجندر، بل إلى نسف الجنس بحد ذاته، فقد وضحت عبر قراءتها لبوفوار كيف استطاعت هذه الأخيرة أن تحرر حقل دراسات الجندر من ثنائيات العقل والجسد (الانعتاق والتجسد) ،وذلك من خلال النظر إلى الجندر كصيرورة مزدوجة المعنى، تمثل جدلاً مستمراً بين المشروع الاختياري الذاتي والبنية الثقافية الخارجية(جوديث بتلر، 2016، صفحة 1).

ووفقاً لبتلر، أزالت دي بوفوار الغشاوة عن تحدي الجندر كاختيار ذاتي حر، منفصل عن محددات الجسد، كما أعادته إلى الصراع اليومي الملموس، معيدة للفاعلية الشخصية إمكان التغيير الحقيقي، والتي تستطيع حسب بيتلر أن تتحقق فقط عبر التحدي اليومي والشخصي لتلك البنى السائدة(جوديث بتلر، 2016، صفحة 1).

وهذا يعني أن الغاية من دراسة الجندر هي التخلص من الثنائيات التي سادت الفكر الغربي، والتي منحت الحرية والاستقلالية للذكر بينما اختص الجمود والتقييد بالأنثى. ولكن ما دامت الهوية الجندرية في تغير وصيرورة مستمرة، لا يمكننا أن ننسب لها صفات سلبية ثابتة.

انتقدت جوديث بتلر فكرة دي بوفوار القائلة بأن الجسد الأنثوي هو وسيلة لتحرير النساء، لأن هذا الأمر هو إعادة إنتاج غير نقدية للتمييز الديكارتي بين الحرية والجسد، وعليه فدي بوفوار حافظت على ثنائية العقل/الجسد، وهذا ما جعلها تقع في المركزية التي سعت هي نفسها إلى تجاوزها (جوديث بتلر، 2022، الصفحات 85-86).

ومن جهة أخرى تجاوزت نظرية الأداء الجندري لبتلر الفصل بين الجنس والنوع، إذ أشارت إلى أن ارتداء أزياء الجنس الآخر هو فعل يحرر أكذوبة النوع ويوحي بإمكانية بناء مفهوم أوسع من الهوية القائمة على النوع، كما أن تعريف النوع على أنه منتج من منتجات الثقافة لا يؤدي بالضرورة إلى التحرر، بل قد يتحول إلى أداة من أدوات ضبط السلوك المقبول اجتماعياً من الرجال والنساء(سارة غامبل، 2002، صفحة 352).

من خلال ما تم ذكره يمكن القول أن هناك اختلافاً بين دي بوفوار وبتلر في تصورهما للجندر، رغم أن بتلر تنطلق بشكل جزئي من أفكار دي بوفوار وتتجاوزها في آن واحد، فإذا كانت دي بوفوار تنطلق من عبارتها "المرأة لا تولد بهوية مكتملة بل تصبح امرأة" نتيجة التنشئة الاجتماعية التي تفرض عليها أدواراً معينة، تذهب بتلر إلى أبعد من ذلك، إذ تنتقد الفصل التقليدي بين الجنس بوصفه معطى بيولوجياً والجندر بوصفه معطى اجتماعياً، ولكن هل يعني هذا الاختلاف الموجود بينهما عدم وجود نقاط تقاطع بين أفكارهما حول الجندر؟

ثانياً: الجندر بوصفه بناءً اجتماعيّاً

تتفق دي بوفوار مع جوديث بتلر في القول أن الجنس سواء كان ذكراً أو أنثى لا يتشكل وفقاً للمعطيات البيولوجية، وإن كان هناك فرق بين الجنسين من الناحية البيولوجية، فإنه لا يؤثر على صفات الذكورة والأنوثة أو الصفات الخارجية لكلا الجنسين، لأن تلك الصفات تتشكل من تأثير البيئة الاجتماعية والتنشئة، ومن هنا طالبت دي بوفوار بإلغاء الفروق بين الجنسين، وبتغيير البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية القائمة على أساس الجنس(سامية بنت مضحي العنزي، 2016، الصفحات 17-18).

وهذا يعني أن كل من دي بوفوار وبتلر ترفضان اعتبار الحتمية البيولوجية أساسا لتحديد الهوية الجندرية، لأن هذا الأمر سيؤدي إلى الاضطهاد الظالم خاصة للجنس الآخر، لذلك من الضروري إعادة النظر إلى البناء الاجتماعي وتغييره من أجل إعادة تشكيل هوية جديدة.

ترفض بتلر التصورات الفلسفية التي تعتبر الهوية خاصية داخلية في الشخص، فتكرس بذلك الاستمرارية أو التطابق الذاتي(جوديث بتلر، 2022، صفحة 93)، وفي نفس الفكرة نجد موقف دي بوفوار التي ترفض التحديد الفلسفي والاجتماعي للهوية الأنثوية، فالرجال هم الذين أمسكوا دوماً بجميع

السلطات الفعلية مما أبقى المرأة في وضع العبودية، فأصبحت بالفعل "الآخر"(سيمون دي بوفوار، صفحة 185).

وهكذا تتفق كل من دي بوفوار وبتلر في رفض فكرة وجود هوية جندرية ثابتة وجوهرية، فكل من المرأة والرجل لا يمتلكان هوية جندرية محددة بصفة نهائية منذ الولادة، وإنما هذه الهوية تتشكل وتتغير في سياق اجتماعي وثقافي.

خاتمة

من خلال هذه الدراسة توصلنا إلى النتائج التالية:

- إن الهوية الجندرية ليست هوية ثابتة ونهائية، لأنها تتشكل وتتطور في إطار مجموعة من العوامل الاجتماعية والثقافية والتاريخية، التي تؤثر في طريقة فهم الفرد لذاته وموقعه داخل المجتمع.
- ضرورة التمييز بين الجنس والجندر، فالجنس مرتبط بالخصائص البيولوجية ،بينما يشير الجندر إلى الأدوار والخصائص التي يحددها المجتمع للرجل والمرأة.
- أكدت دي بوفوار أن المرأة لا تولد بهوية أنثوية مكتملة، وإنما تصبح امرأة نتيجة التنشئة الاجتماعية والثقافية، أي ما يفرضه المجتمع من أدوار ومعايير.
- تتفق دي بوفوار وبتلر في رفض التصور الذي يعتبر الهوية الجندرية جوهراً طبيعياً ثابتاً، إذ تؤكدان على أن الهوية تتشكل في سياق اجتماعي وثقافي.
- طورت بتلر النقاش حول الجندر من خلال مفهومها للأداء الجندري، فالجندر ينتج ويعاد إنتاجه من خلال تكرار الأفعال والممارسات الاجتماعية.
- يرتبط نقد الهوية الجندرية الثابتة بمفهوم التحرر، لأن الوعي بالطابع الاجتماعي والثقافي للجندر يفتح المجال أمام الفرد لمراجعة الأدوار المفروضة عليه، وعدم اعتبارها حقائق ثابتة لا يمكن تجاوزها.
- لقد انطلقت بتلر في بناء نظريتها للأداء الجندري من أفكار دي بوفوار خاصة في كتابها الجنس الآخر، ولكنها تجاوزتها في فهمها للهوية الجندرية، وعليه تمثل بتلر امتداداً نقدياً لفكر دي بوفوار، مع توسيعها النقاش حول الهوية والجندر.

وفي الأخير يمكن القول إن هذه الدراسة تفتح آفاقاً واسعة للبحث في علاقة الجندر بالحرية والتحرر، ودور المجتمع في تشكيل الهوية، كما يمكن توسيع البحث من خلال دراسة تأثير الأسرة، مواقع التواصل الاجتماعي، القوانين... في بناء الأدوار الجندرية ،مع مقارنة تصورات دي بوفوار وبتلر مع فلاسفة آخرين، مما يسمح بفهم أعمق لتطور مفهوم الهوية الجندرية.

قائمة المراجع:

[1] أبو بكر أميمة، و شكري شيرين . (2002). – *المرأة والجندر* (الإصدار ط1). سوريا: دار الفكر، دمشق.

[2] Alex Mucchielli .(2012) . *l'identité ,que sais-je?*éditions Point Delta.

[3] André Lalande. (1997). *André Lalande Vocabulaire technique et critique de la philosophie, A-M.* Paris: Puf.

[4] Jeremy Stangroom. (2012). *philosophie, Comprendre les plus grands philosophes qui ont marqué notre histoire.* Paris: Editions Contre-dires.

[5] Michela Marzano. (2012). *La philosophie du corps.* Editions Point Delta.

[6] Simone De Beauvoir. (1963). *La Force des choses* (Vol. I). Paris: editions Gallimard.

[7] إبراهيم طلبة سلكها. (2012). *الفلسفة النسوية* (الإصدار ط1). الإسكندرية: مؤسسة حورس.

[8] إيمان بنت محمد العسيري. (2017). *قضية تحرير المرأة في الغرب، أصولها الفلسفية وآثارها على العالم الإسلامي* (الإصدار ط1). الرياض: مركز باحثات لدراسات المرأة.

[9] جوديث بتلر. (2014). *الذات تصف نفسها* (الإصدار ط1). (فلاح رحيم، المترجمون) لبنان: دار التنوير، بيروت.

[10] جوديث بتلر. (19 03, 2016). *"الجنس والجندر في الجنس الآخر لسيمون دي بوفوار"* . (لجين اليماني، مراجعة: أحمد العوفي، المحرر) تاريخ الاسترداد 25 06, 2026، من منصة نَظَر،: https://nthar.net

[11] جوديث بتلر. (2021). *الحياة النفسية للسلطة، نظريات في الإخضاع* (الإصدار ط1). (نور حريري، المترجمون) سوريا: دار نينوى، دمشق.

[12] جوديث بتلر. (2022). *قلق الجندر، النسوية وتخريب الهوية* (الإصدار ط1). (فتحي المسكيني، المترجمون) بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

[13] خلود السباعي. (2012). *الأنثى المتمردة وهوية الجندر* (الإصدار ط1). لبنان: جداول للنشر والتوزيع بيروت.

[14] رشيد العلوي. (2017). *الفلسفة بصيغة المؤنث.* مؤسسة هنداوي.

[15] زكرياء أحمد عزام. (2008). *مبادئ التسويق الحديث.* عمَّان: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة.

[16] سارة غامبل. (2002). *النسوية وما بعد النسوية* (الإصدار ط1). (أحمد الشلبي، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.

[17] سامية بنت مضحي العنزي. (2016). *الاتجاه النسوي في الفكر المعاصر، دراسة نقدية* (الإصدار ط1). الرياض: مركز باحثات لدراسات المرأة.

[18] سلمى بالحاج مبروك. (2013). التأسيس لهوية أنثوية خارج البراديغم الذكوري عند سيمون دي بوفوار أو محاولة في الانفلات من قبضة البراديغم الذكوري. تأليف علي عبود المحمداوي، *الفلسفة والنسوية* (الإصدار ط1). الرباط: دار الأمان.

[19] سيجموند فرويد. (بلا تاريخ). *محاضرات تمهيدية جديدة في التحليل النفسي*. (عزت رابح، المترجمون) دار مصر للطباعة.

[20] سيمون دي بوفوار. (2015). *الجنس الآخر، التجربة الحياتية* (الإصدار ط1، المجلد الجزء الثاني). (سحر سعيد، المترجمون) دمشق: الرحبة للنشر والتوزيع.

[21] سيمون دي بوفوار. (بلا تاريخ). *الجنس الآخر، الوقائع والأساطير* (الإصدار ط1، المجلد الجزء الأول). (سحر سعيد، المترجمون) سوريا: دار الرحبة للنشر والتوزيع، دمشق.

[22] عبد النور إدريس. (2013). *النقد الجندري، تمثلات الجسد الأنثوي في الكتابة النسائية* (الإصدار ط1). عمان: دار فضاءات.

[23] محمد بكاي. (2019). *جدل النسوية، وقائع نقدية في إزاحة النزعات الأبوية* (الإصدار ط1). الرباط: دار الأمان.

From the Ego's Cogito to the Call of the Other : A Philosophical Approach to the Migration Crisis and Virtual Reality- Emmanuel Levinas as a Model

Doc Debbache Habiba
Department of Philosophy, Faculty of Humanities and Social Sciences,
University of 8May 1945, Guelma, Algeria
Debbacheh36@gmail.com

Abstract :

This article, titled :" **From the Ego's Cogito to Call of the Other : A Philosophical Approach to the Migration Crisis and Virtual Reality- Emmanuel Levinas as a Model",** attempts to shed light on a multi-faceted crisis(intellectual, political, and social) experienced by the twenty-first-century human-namely, alienation from the self and the loss of traditional identity.Europe has worked hard to institutionalize this alienation for centuries, since thinking was once considered proof of the ego's existence and its distinction from others through an internal self-ruling judgment. Consequently, this reasoning became meaningless in the absence of a relationship with the Other. It introduces the concept of " absolute hospitality" as an ontological duty that precedes state sovereignty, whoever this Other may be : the guest, the stranger, the migrant, or the friend on the virtual social networking sites. Tis Other naturaly faces all forms of symbolic violence throughbeing treated differently, and through political laws that reduce them to a mere number on a list of migrants. Violence is also practiced against them by considering them a member of a counter-group through virtual reality, which has canceled physical reality and surpassed the idea of the ego's fragmentation and identity shattering. This leads to the their actual execution by obliterating the face and abandoning moral responsibility.

Keywords : The Ego, The Other, Identity, Memory, Migration, Virtual Reality

من كوجيتو الأنا إلى نداء الآخر: مقاربة فلسفية لأزمة الهجرة والواقع الافتراضي – إيمانويل ليفيناس أنموذجا

الدكتورة دباش حبيبة

قسم الفلسفة، كلية العلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية،

جامعة 8ماي 1945 قالمة–الجزائر

debbacheh36@gmail.com

ملخص:

يحاول هذا المقال الموسوم ب: **من كوجيتو الأنا إلى نداء الآخر: مقاربة فلسفية لأزمة الهجرة والواقع الافتراضي–إيمانويل ليفيناس أنموذجا**، تسليط الضوء على أزمة متعددة المشارب(فكرية، سياسية، واجتماعية) يعيشها إنسان القرن الواحد والعشرين، وهي الاغتراب عن الذات وفقدان الهوية بالمعنى الكلاسيكي، والذي اجتهدت أوروبا في تكريسه لقرون طويلة، فبعدما كان التفكير دليلا على وجود الأنا وتميزها عن الأغيار من خلال حكم ذاتي داخلي، صار هذا الاستدلال لا معنى له في غياب علاقة مع الآخر تطرح مفهوم "الضيافة المطلقة" كواجب أونطولوجي يسبق سيادة الدول، مهما كان هذا الآخر الضيف والغريب والمهاجر، أو الصديق عبر مواقع التواصل الافتراضية، هذا الآخر الذي يتعرض بطبيعة الحال إلى شتى صنوف العنف الرمزي باعتباره مختلفا، من خلال القوانين السياسية التي تختزله إلى مجرد رقم في لائحة المهاجرين، كما يمارس باعتباره عضوا في جماعة عنفا مضادا من خلال الواقع الافتراضي، الذي ألغى الواقع الفعلي وتجاوز فكرة استيلاب الأنا وتشظي الهوية، إلى إعدامها واقعيا بتغييب الوجه والتخلي عن المسؤولية الأخلاقية.

الكلمات المفتاحية: الأنا، الآخر، الهوية، الذاكرة، الهجرة، الواقع الافتراضي.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعروة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار ● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ●09-10-2026/07/11

مقدمة:

يشهد عصرنا الحالي تزاحما فكريا واسع النطاق وغير مسبوق، حيث يمتد لحقول معرفية كثيرة ومختلفة، منها العلمية والثقافية والتقنية والفلسفية، ونتيجة للتطور العلمي الذي يشهده القرن الواحد والعشرون فإن الفلسفة ولطبيعتها الإشكالية تحاول بحث أثره على الوجود الإنساني وما له علاقة بمشكلات الأنا والهوية والغيرية، في ظل تنامي ظاهرة الهجرة الطوعية والقصرية الناتجة عن كثرة الحروب، ومع الطفرة الرقمية التي باتت تتحكم في مفهومنا عن الواقع وفي علاقتنا بالآخر، منشئة واقعا افتراضيا موازيا يكاد يلغي الواقع المحسوس ويسيطر عليه، من هنا جاءت مساهمة الفيلسوف الفرنسي **إيمانويل ليفيناس** Emmanuel Lévinas(1906-1996) لاستنطاق الآنا في علاقتها بالآخر، ومن ثمة استنطاق الفكر الأخلاقي الغربي لتفكيك أزمة الإنسان المعاصر الذي يعيش حالة الاغتراب الواقعي والافتراضي، عبر الهجرة والوقوع في شرك البيانات الرقمية التي تلجأ لمحاكاة تجربة اللجوء افتراضيا لكسب التعاطف وتحويل الرأي العام عن المشكلات الجوهرية، من هنا يبرز سؤال **ليفيناس** حول قدرة العالم الافتراضي على تشويه الوجه في عرية وهشاشته وعلى استغلال براءته في تحييد علاقة الأنا بالآخر عن مسارها الإيتيقي، وعن الحق في الهجرة والضيافة، وعن علاقة المضيف بالمهاجر والضيف والغريب وغيرها من المصطلحات التي تفرزها علاقة الغيرية عند **ليفيناس**.

يضعنا هذا الطرح أمام تساؤل جذري في الفلسفة الأخلاقية المعاصرة يتمثل في: إلى أي مدى يمكن للواقع الافتراضي والهجرة من النجاح في تجسيد نداء الغيرية، أم أنه لا يتجاوز كونهما سبيلا لإثارة الفوضى وتجسيدا للسيطرة التقنية الامبريالية؟ وسنحاول الإجابة عن هاته التساؤلات وغيرها مما يفرضه منطق بحثنا في أربعة عناصر تتناول الطرح الذي يتبناه **إيمانويل ليفيناس** كحل لهذه المشكلة، وهي كالتالي:

1-ليفيناس: التجرد حد العري الكامل

تنطلق قراءة **إيمانويل ليفيناس** للفكر الغربي من نقده لمفهوم المتعال الذي أُعتبر منذ أيام ما قبل أرسطو حتى الفلسفة المعاصرة مفهوما مجردا، مثاليا وغير قابل للتجسيد الواقعي، وناتجا عن التعميم، إذ يميل الفكر الغربي والأوروبي خاصة إلى اعتبار المماثلة دليلا على الدقة والموضوعية وبالتالي اعتبارها المعيار الأساسي للمشروعية على المستوى الواقعي الاجتماعي، وهذا ما يفسر السلطة الفكرية التي يتمتع بها التعريف **الأرسطي** للإنسان بأنه كائن عاقل مماثل لغيره من الكائنات التي يمكن أن توصف بالإنسانية لحيازتها على

العقل، وهو ما جعل مفهوم الإنسان مفهوما متعاليا يمكن تعميمه على كل البشر، كما يجعل التعميم غاية كل فكر، في المقابل ينظر **ليفيناس** للتعالي باعتباره كشفا عن الآخر، مقرا بأن: "الاهتمام بالآخر يأتي قبل أي فعل" (Emmanuel Lévinas, **Ethics and Politics**, 1989, P290).

ربما يليق بنا أن نشير إلى أن **ليفيناس** قد ولد في ليتوانيا عام 1906 لعائلة يهودية وتوفي في عام 1996، واهتم باللغة والأدب الروسي، إضافة لتعلمه العبرية، خاصة وأن ليتوانيا كانت مركزا للدراسات التلموذية، وهذا ما أهله بعد الحرب العالمية الثانية ليصبح مديرا "للمدرسة الإسرائيلية الشرقية"، **تأثر بنظرية برغسون** عن الديمومة، إضافة لالتزامه بين عامي 1928- 1929 بحضور محاضرات **إيدموند هوسرل** وهو ما ساعده لتقديم أطروحة الدكتوراه عن **هوسرل** عام 1930 والمعنونة ب: "نظرية الحدس في ظواهرية هوسرل"، كما قرأ كتاب **مارتن هيدجر**: "الوجود والزمان"، إضافة لوقوعه في الأسر من قبل الألمان الذين أبادوا ما بقي من عائلته في ليتوانيا، ودراسته في فرنسا والتي منحته الجنسية الفرنسية سنة 1931، وإن كل هذا الزخم المعرفي الذي يتراوح بين تعدد اللغات و التتلمذ على يد أهم فلاسفة الفينومينولوجيا، جعل من **ليفيناس** رغم تأثره **بهوسرل، برغسون، وهيدجر** ينحى منحى مختلفا في تحديد مفهوم الكينونة والوجود، إذ ابتعد عن الطرح الفينومينولوجي وطرح التحليل النفسي على حد السواء، فيما يخص الوجود (جون ليشته، 2008، صص241، 242)، فبعدما ربط **هيدجر** الكينونة بالقلق حيال المشروع الوجودي الذي يقرره الكائن بكامل وعيه، من خلال الابتعاد عن الثرثرة اليومية والفضول والالتباس (مارتن هيدجر، 1998، صص124، 125)، ذهب **ليفيناس** إلى القول بالرعب بدل القلق الوجودي الهيدجري، فنحن بصدد البحث في عطية الوجود (Givenness) أو الوجود كما يتجسد بعيدا عن أي تحديد يجعله هذا أو ذاك، أو يجعله داخليا أو خارجيا، إنه ال "هناك" (The ris) التي لا أرض ثابتة ومحددة لها، حيث التيه والظلال والأشباح، وحيث يهدد الرعب باستمرار، وبعيدا عن القلق يتوارى باستمرار الخوف والرعب من الآخر ومن الذات باعتبارها ذاتا وآخر متوار في ذاتها.

ثمة صدمة للوعي ترتبط بالوجود وبالرعب، وكما يعبر عنها **ليفيناس** ب:"حقيقة الكينونة المحضة" (Emmanuel Lévinas : **Ther is** : **Existence with –out Existents**,1989, p31) التي تسبق كل تحديد وتتحدى الأنا أو الذات المفكرة وجميع أشكال التعبير الرمزي، وكل ما يخضع للوعي بحسب

المفهوم الميتافيزيقي الكلاسيكي للوعي، وهناك يظهر "الوجود هناك" كصدمة للوعي وبالرغم من أن **ليفيناس** لم يرد الاقتراب في طرحه من ما ذهب إليه التحليل النفسي خاصة عند **جاك لاكان** إلا أن مطابقة **ليفيناس** بين "الوجود هناك" والرعب والذي لا يمكن تفاديه أو الفكاك من سيطرته، هو ما يدفع لاعتبار ما عاشه ليفيناس خلال الحربين العالميتين سبيلا أساسيا ولا واعيا لربط الوجود بحالة الرعب، فكما يقول **ليفيناس**: "أن تكون واعيا معناه أن تكون منتزعا عن (يوجد هناك)" : Emmanuel Lévinas : **Ther is** (**Existence with –out Existents**,1989, p32)، إذن لا يمكن أن "نوجد هناك" دون الفكاك من أسطورة الإطار التي تحدد معالم الأنا استنادا إلى مقولة **ديكارت**: "أنا أفكر، أنا موجود" والتي تحصر الوجود في الأطر العقلانية الصارمة والمتجاوزة لإنسانية الإنسان، وهنا لا يطالب **ليفيناس** بالجنوح للاعقلانية أو الفراغ وإنما يطالب بالنظر للجانب الإيجابي للاعقلانية وللعرضية ومحاولة "الوجود هناك" خارج الإطار وفي صحبة الأشباح.

يذهب **ليفيناس** في مجمل كتبه وخاصة كتابه حول: "الزمن والآخر" 1946-1947 ثم كتابه: "الله والفكرة" إلى أن الغيرية لا يمكن التنصل منها، ف: (الزمن، الوجود، اللغة، الآخر كغيرية الغير، الذات أو الأنا، الله...) كلها تشير إلى الغيرية، لذلك فإنه يبتعد عن الفكر الأونطولوجي والابستمولوجي ويتجاوزه إلى الفلسفة حيث يتم مواجهة الغيرية مجردة من كل الأطر التي رسمها لها الفكر الغربي، وحيث يتجلى الغير عاريا من كل القوالب الدوغمائية ومن كل الإضافات المتمركزة حول اللوغوس-يقصد الوثنية منها- والتي تتخذ من صياغة المفاهيم المجردة أساسا لها (ليشته، 2008، ص244)، لهذا فالتجرد من نداء الكينونة المصحوب بقلق الوعي والاتجاه نحو الآخر هو السبيل لتحقيق إمكانية العيش المشترك، وعلى هذا فإن **ليفيناس** يجعل من وجود الآخر سبيلا لوجود هوية الآنا، وما الاختلاف بين الذوات إلا بوابة للتعالي عن كل ما يساهم في تشظي الهوية.

2- إتيقا الوجه: الآخر كتعال مطلق.

رغم أن التراث الفكري الفلسفي يولي عناية كبيرة لفكر الإنسان وأحاسيسه وعواطفه، إلا أن الشكل الخارجي أو الوجه هو ما يجعله إنسانا وما يبرر ضم أي فرد لدائرة الإنسانية، فالوجه هو ما يبرز في أول لقاء مع الآخر، وقبل الكلام وقبل بدء الذاكرة في التسجيل، يُسجل الوجه كشيفرة خاصة تميز الفرد في الجماعة

البشرية، ومن خلال الوجه وبواسطته يلقى الضيافة والترحيب والمواساة والمؤانسة، أو الرفض والإحجام، لهذا فالوجه والذي يجسد عظمة اللامتناهي ومن ثمة وجب التعامل معه بحياء وتواضع لحفظ كرامة الإنسان، هو بوابة اللقاء مع الآخر وأساس تشكيل هوية الذات، يقول **ليفيناس**: " تجلي الوجه هو الخطاب الأول، ذلك أن الكلام أولا وقبل كل شيء هو طريقة في المجيء خلف المظهر وخلف الشكل لأنه انفتاح داخل الانفتاح"(Emmanuel Lévinas, 2010, p271)، ولأننا ومهما حاولنا إخفاء حالاتنا النفسية والمزاجية، من فرح وتعاسة، غبطة وسرور، ألم واختناق وحسرة، أو انزعاج وغضب...فإن تقاسيم الوجه ستفضحنا بطريقة أو بأخرى، ومن خلال قراءة سيميائية خاصة يستخدمها الآخر في الولوج إلى كنه الدال المرسوم على الوجه بفعل الزمن والظروف، يتعامل الآخر مع هذا الوجه العاري في هشاشته بناء على ما يحوزه من مبادئ أخلاقية، لهذا "فالعلاقة مع الوجه ذات بعد إيتيقي، فهو ما لا نستطيع تعريضه للقتل والفناء والعنف" (Emmanuel Lévinas, 1982, p81)

يقتفي **إيمانويل ليفيناس** أثر **كارل ماركس** ليرسم صورة قريبة مما ذهب إليه حول ماهية الأخلاق، إذ ربطها كل منهما بالإحساس والشعور، ليخرج **ليفيناس** من أخلاق الواجب الكانطية المستمدة من مبدأ الإيثار والتضحية والواجب لأجل الواجب، إلى القيم الأخلاقية التي تراعي سياق الجسد العاطفي، البائس والمحتاج، جاعلا الجسد أصل الأخلاق لكنها متسامية عنه ببعدها الشخصي، مما يجعل التصنيف البيولوجي للبشر نوعا من الدونية والتي كانت سائدة منذ زمن **أفلاطون وأرسطو** اللذان كانا يمنعان صفة المواطنة عن كل شخص لم يكن أثينيا أبا عن جد، إضافة للتصنيف الطبقي الذي كان يحكم المجتمع اليوناني (عبيد، جنود، حكام أو فلاسفة)، كما تجلت حدة هذا التصنيف البيولوجي المتطرف في ألمانيا النازية من خلال جرائم الهلوكوست، وعليه فإن الرغبات الحسية كالطعام والمتعة هي ما يغذي الحياة الواعية، كما أنها سابقة على التاريخ بمعنى ما، فالمخلوق الذي يأكل هو وحده القادر على التعاطف مع الآخر، لهذا فالأخلاق حسية و"ليست هبة القلب، بل القدرة على العطاء" (Emmanuel Lévinas :1974, p74)، ولأن العطاء مرتبط بالإحساس وليس الإدراك، ومرتبط بالآخر المضطرب وغير المتجانس، فإن الإحساس هو ما يعبر عن الأخلاق وعن الرقي وسمو الذات، ولنتمكن من العيش سويا وجب أن يتحول السؤال الأخلاقي من دائرة التصنيف الأخلاقي القائم على التفاضل بين الخير والشر والمتمحور حول الذات من خلال طرح

السؤال: "ماذا يجب أن أفعل" إلى الاستجابة لنداء الآخر والتشاور معه وبحث ما يريد هذا الآخر لنتمكن من الحياة معا، وبهذا تتشكل هويتي الحقيقية عندما ألتقي بوجه الآخر لا كملامح وجسد فقط، بل من خلال النداء الأخلاقي الذي ينص على تحمل المسؤولية والابتعاد عن العنف والتعاطف مع الآخر، فالآخر هو الذي يمنحني هويتي عند الاستجابة لضعفه وانكساره، وبتحميلي المسؤولية إتجاهه من خلال فعل العطاء دون قيد أو شرط.

إن الإقبال على الآخر بما هو فعل أخلاقي يقتضي بادئ الأمر التعامل مع الآخر كذات إنسانية وليس كموضوع حسي موضوعي يتجسد في عينين وأنف وجبهة وفم قادر على الكلام، بل ينبغي النظر للوجه في استحياء للتمكن من زرع روابط وعلاقات اجتماعية، فالوجه هو ما يتعذر عن الاستقبال كموضوع مثلما ذهبت إليه الفينومينولوجيا، وهو تجسيد للهشاشة والضعف والاحتياج، إنه وجه الغريب والمنبوذ والأرملة واليتيم والمريض وكل من أنهكه الزمن (Emmanuel Lévinas, 1982, pp79-80)، ومن ثمة فإن دلالة الوجه غريبة، ومهما كان التشابه في الملامح بين الوجوه، كلون العينين وشكل الوجه ولونه، وغيرها من التفاصيل وحتى في التوائم المتطابقة جينيا، إلا أن أثر العلاقة مع الآخر يميز وجها عن غيره من الوجوه، من خلال ندوب وتعريجات وتجاعيد قد لا تبدو واضحة على السطح لكنها لا يمكن أن لا تظهر من خلال الملامح عند النظر، لهذا فالعلاقة المطلقة والانهائية مع الآخر والتي تبتدء من ما قبل الولادة، أي في المرحلة الجنينية مع الأم كآخر، يجب أن تكون علاقة أخلاقية ومحكومة بفعل العطاء. (Emmanuel (Lévinas,1972, p68

يتعرض القتل بما هو فعل إنساني للكثير من الضغوطات عند ربطه بوجه الآخر، وعلى الرغم من أن آلة القتل في ظل التطور التكنولوجي قد صارت أقل وقعا على ضمير القاتل في وقتنا الحالي، حيث تحول القتل إلى مجرد لعبة تتم بالضغط على الأزرار، ومن يمتلك القوة العسكرية التكنولوجية تكون له الغلبة، لكن سواء القتل الفعلي أو الرمزي من خلال فعل التهميش والإبعاد والإقصاء فإنه لا يزال يمثل تحديا ثيولوجيا وإيتيقيا عميقا، وبالاستناد إلى كلمة الله: "لا تقتل" (Emmanuel Lévinas, 1971, p217) وإلى التوابع النفسية والاجتماعية لفعل القتل، فإن فعل القتل يهدد علاقة الأنا بالآخر، ومن ثمة يهدد سلامة تصور الذات لهويتها وإنسانيتها بفعل قهر الضمير الخاص بالفرد المعتدي ذاته، ولهذا وبعيدا عن مساءلة اللامتناهي والذي يكتفي بأمر النهي عن القتل دون تسليط عقابي آني وفعلي على المعتدي، وبعيدا كذلك

عن المساءلة الاجتماعية لأن من يُقدم على فعل القتل يجب أن يكون متمتعا بحصانة تحميه من توجيه النقد والمساءلة لشخصه من طرف الآخر، يأتي فعل القتل مهددا لكرامة المعتدي ذاته مزحزحا إياه إلى هاوية اللاإنسانية، حيث لا يمكن له التعرف على هويته ولا التعرف على الآخر بفقدانه المعيار القيمي الذي يحدد من خلاله الصواب من الخطأ، ومن ثمة معيار الحقيقة.(Emmanuel Lévinas, 1978, p27)، إذن العلاقة مع الوجه، واعتبارا لقدسيته تيولوجيا وإيتيقيا، تقاوم إغواء القتل المخبوء في الذات الإنسانية وتستجيب لنداء الآخر دون عنف ودون أي إكراه، هذا ما يزج بالذات في عوالم ذاتية مضطربة، فمن جهة تبادر الذات والآخر رغم ما يحملانه من رغبة في القتل لعلاقة تعارف متبادل، لكن دون مسؤولية أخلاقية متبادلة، لأننا لا يمكن إلا أن نُساءل ذواتنا عن فحوى العلاقة مع الآخر وعن طبيعتها، وأن نخضعها لسلطة ضميرنا الخاص، أما الآخر فإنه يبقى حرا طليقا لا تتحكم فيه إلا ذاته، ورغم عري وجهه وهشاشته فإن حريتي كذات تمنعني من العنف في علاقة قائمة على الرعب من الأساس لكنها لا تجازف بتجاوز العدالة كأمر إلهي مرسل في وجه الآخر ، ودون التقيد بتنفيذه تتهشم هوية الأنا، ف" اللانهائي يحضر في الوجه وفي مقاومته الإيتيقية التي تشل إرادتي واقتداري أمام عينية دون الدفاع عن عريه وبؤسه، فهذا الفقر والجوع هو نفسه القرب من الآخر، إنه وجه خلف الشكل" (Emmanuel Lévinas, 1971, p218).

تأسيسا على ما سبق فإن ليفيناس يسعى من خلال علاقة الأنا بالآخر الغامض والمستغلق، إلى علاقة تتجاوز الخطاب التقليدي المبني على التراتبية الاجتماعية والجندرية والهيمنة البشرية القائمة على القوة والقمع، فالصدمة جراء العلاقة مع الآخر هي ما يمثل الأصل اللاإنساني للأخلاق، ولكي تكون هذه العلاقة أخلاقية وسوية وجب الامتزاج بين المسؤولية والتآلف، فالحقيقة سابقة على كل فعل تأملي، فهي ما نحس ونشعر به عند اللقاء بوجه الآخر، ومهما كان هذا الآخر، لنؤسس فضاء موضوعيا مشتركا يمكن من العبور إلى ما وراء الكينونة من خلال فعل العطاء والخوف على وجه الآخر من الأذى والعنف، وفي ذلك تناغم مع ما يأمر به اللامتناهي، وإقرار بالمسؤولية اتجاه الماضي الذي يثقل بأوزاره وانتهاكاته للآخر ويحملها للحاضر، وبذلك يظهر اللامتناهي متجسدا في قداسة وجه الآخر ليذكرنا بمسؤوليتنا الطوعية اتجاهه، فالوجه لا يظهر إلا كأثر لغائب على الإطلاق، ماضي بإطلاق يتجدد باستمرار في الملامح الهشة لوجه الآخر،

ويحتكم لتأثير ديمومة شبيهة بديمومة **هنري برغسون**، وجه لا يتنازل عن الدفاع عن قداسته بما هو أثر رغم صمته المريب بما هو غريب ومنبوذ ولا منتمي (Emmanuel Lévinas : 2010, PP276-277) .

إن الآخر بإطلاق المتعالي والامنتهي لا يظهر إلا كأثر خالص لا كرسم في الوجه الهش وإنما كأثر لعبوره، إذن فليس ثمة إلا آثار وآثار لآثار، وما من حقيقة ثابتة أو مطلق حاضر متجسد في وجه معين، من هنا يأتي حديث **ليفيناس** عن الوجه الأنثوي الذي يسعى الفن التصويري لتجسيد جماله عبر فن الرسم، الذي لن ينتج إلا الأثر ولن يستطيع تجسيد الحقيقة أو اختزالها في مجرد صورة مشوهة كاشفة، غير محتشمة ولا تعبر إلا عن رغبة ليبيدية وشغف يسكن خيال الفنان، حتى وإن كانت الأنثى التي تتجسد من خلال الصورة في غاية الاحتشام، وهنا تبرز بحسب **ليفيناس** رغبة الاعتداء على الآخر التي تقود الرسام لفعل رسم الوجه الأنثوي العاري رغم تعاليه، لهذا فالأثر الفني لا يمكنه بلوغ اللامنتهي أو المطلق ولا يمكنه كشف لحقيقة المحتجبة فيما وراء الأثر، لذا لا يعبر الفن التصويري من خلال إبداعه للأثر إلا عن ذاته وعن صورة زائفة بعيدة كل البعد عن العمق الإيتيقي الذي يعد أساس العلاقة بين الأنا والآخر من خلال تحمل المسؤولية،(Jaques Taminiaux, 2006, pp79-80) هذه الأخيرة –المسؤولية– التي تصبح طي النسيان بفعل اللذة التي يثيرها العمل الفني الذي في محاولته تمثيل اللامنتهي لا يصنع سوى الأصنام، وإن رفض **ليفيناس** للتصوير الفني يعود بالدرجة الأولى لتشبعه بالتعاليم التلموذية.

3 –**الهجرة: بين وجوب الضيافة واستحالتها**.

يجعل **إيمانويل ليفبيناس** من الضيافة ركيزة أساسية لفلسفته الأخلاقية، إذ اعتبر أن الوجود الحقيقي لا يبدأ من وعي الذات بذاتها أو الانحصار في الإنية، بل من لقائها بوجه الآخر، مهما كان هذا الآخر، الغريب والمختلف عن الذات أو المؤتلف ظاهريا معها، إلا أنه يبقى غريبا لا يمكن توقع سلوكه أو ما يفكر فيه، أو حدود وإمكانيات الفعل عنده، فالأنا لا تملك سلطة عليه، ولا يخضع هذا الآخر اللاجئ أو الضيف لقانون الدولة التي لجأ إليها لأنه لا يمتلك حق المواطنة وبالتالي لا يمكن أن يطبق عليه إلا قانون الهجرة، والذي يوجب أخلاقيا التعاطف مع جهله بالقانون وتغليب حسن النية، فبمجرد أن يصل هذا الغريب، المهاجر أو اللاجئ، الآخر ، إلى الحدود سواء كانت حدودي الخاصة التي يرسمها قفل باب سكني كبناء مادي مجسد، أو كأفكار أو عملي ومساحتي وجغرافيتي الخاصة وتاريخي، أو الحدود بين الدول والتي ترسمها بكل إتقان

الجدران الإسمنتية والأسلاك الشائكة وتدعمها كاميرات المراقبة والتفتيش الأمني الذي تحكمه المبررات السيادية والاقتصادية والجيوسياسية وحتى العقدية، كما يبرره حب الوطن والحفاظ على الهوية، هذا الغريب اللاجئ إلى الآخر والذي ينتظر تعاطفا وتحملا طوعيا للمسؤولية اتجاهه، بإسكانه وتسهيل سبل عيشه وصون كرامته، يجد نفسه في مواجهة حتمية مع الآخر وهو لا يملك سوى وجهه العاري والهش، والذي تمارس في حقه الذوات والدوائر الحكومية مختلف صنوف أنواع العنف سواء الفعلية أو الرمزية، في محاولة للسيطرة وفرض النظام فتتعامل معه كرقم إداري ومنبوذ تجاهد لطمس إنسانيته، ومن ثمة فهي تهدد إنسانية المضيف، إنسانيتها الخاصة وهي في عقر دارها ودون أن تدري، "فالهوية ليست علاقة مسالمة مع الذات، ولكنها تنسيق في الذات (...)وإن حرية الذات تحددها المسؤولية مباشرة"(إيمانويل ليفيناس، 2015، صص28، 29)

الآخر إذن بحسب **ليفيناس** لا يتأسس بناء على القانون وإنما من خلال علاقة المسؤولية الأخلاقية التي تربطه بالآخرين، وهذه العلاقة إيتيقية وسابقة على كل أونطولوجيا أو تيمولوجيا، لأن "التجرد الحقيقي هو وجه"الآخر" يتوسل إلينا، إنه ذلك الوجه الذي يأتي إلينا من الخارج، والوجه موجود بنفسه وليس بالرجوع إلى نظام ما"(Emmanuel Lévinas,1971, p47) ، فالذات تضحي طواعية من أجل الآخر، أكثر مما تضحي من أجل ذاتها بدافع المسؤولية اتجاه الغير ونتيجة لعدم تناهي الآخر في الأنا لدرجة عدم القدرة على الفصل بين هوية الذات والآخر أخلاقيا، لكن دون أن يحدث حلول الأنا في الآخر بفعل الاستيلاب والسيطرة التي تعبر عن أنطولوجيا إنية مغرقة في المثالية.

إن المواجهة الحتمية بين اللاجئ والمضيف تجر الضيافة من منطقة الإمكان إلى الاستحالة، كلما تم المطالبة بتحقيق شروط للضيافة، والتي لن تكون ضيافة حقة مع وجود الشروط، وهذا ما ذهب إليه **جاك دريدا** في حواره مع **آن ديفور مانتيل** المعنون ب:"كي يستجيب للضيافة" (جاك دريدا، 2009، ص90)، لكن **ليفيناس** يذهب إلى أبعد من ذلك إذ يجعل من الضيافة الشرط التأسيسي لوعي الذات، فهي لا تنبع من مثال متعال لكرم الأنا، هذا ما يجعل وعي الذات مرهونا بالضيافة وفتح باب الهجرة وتقبل الغريب، وفي تجربة الضيافة ستتاح للمضيف إمكانية التعرف على ذاته وعلى إمكانياته الشخصية وطاقته النفسية وعن

مدى الخير أو الخبث الكامن فيه، كما أنها فرصة للمضيف أيضا للتعبير عن ذاته وترسيخ أو تعديل معتقداته، مما يسهم في السمو بالذات المضيفة جراء تحملها للمسؤولية الطوعية اتجاه الآخر.

إن الضيافة المطلقة وغير المشروطة تكون بالمعنى الذي ذهب إليه **ليفيناس** واجبا أونطولوجيا لا بد منه، ويعبر عن حاجة الذات للانفتاح على الآخر والترحيب به وتحمل المسؤولية الطوعية اتجاهه، هذه المسؤولية التي لا تنص عليها أية عقود أو بنود قانونية أو اجتماعية، بل هي ناجمة فقط من فعل المشاركة في الإنسانية المهددة باستمرار بالموت والفناء، هذا الأخير —الفناء– لا يقتصر على إمكانية فناء الضيف، بل إن المضيف أيضا يجد نفسه مهددا بالفناء والاندثار كل ما واجه الضيف والغريب تهديدا وجوديا، باعتبار أن إنسانية الضيف وهويته مرهونة بوجود الآخر، لهذا فالمسؤولية هنا اتجاه الآخر سابقة على حرية الذات، كما أن الضيافة لا تقتضي المبادلة، فليس شرطا أن تستضيفني لأستضيفك، لكن لأحافظ على ذاتي وعلى إنسانيتي أوجب على ذاتي وبكل إرادة التعامل بمسؤولية وإنسانية مع الآخر. (Emmanuel Lévinas,1971, pp47-48)

يقول **ليفيناس**: " منذ اللحظة التي ينظر فيها إليّ الآخر، أكون مسؤولا عنه، وحتى دون أن أتحمل المسؤولية تجاهه، فإن مسؤوليته تقع على عاتقي، إنها مسؤولية تذهب أبعد مما أفعل" (Emmanuel p 92 Lévinas :1982,)، بهذا المعنى فعلاقتي بالآخر ومسؤوليتي اتجاهه لا تتطلب الدخول في خطاب لغوي أو مطالبته لي بتحمل المسؤولية، كما لا تتطلب أيضا اعترافا مني برغبتي في تحمل هذه المسؤولية، وإنما شرطها الأساسي هو أن أكون قادرا فعلا على فعل شيء إزاء الآخر ينبع من بواعث أخلاقية صرفة، وعليه فإن المسؤولية اتجاه الآخر لا تنبع من رغبة أونطولوجية للهوية الإنية وإنما هي استجابة لنداء الآخر سواء في القول أو الفعل، وبذلك فهي لا ترتكز على الإرادة المستقلة وإنما يحركها نداء الآخر الذي يمنح الأنا هويتها الخاصة من خلال الالتزام بالمسؤولية الأخلاقية اتجاه الغير والتي تذهب أبعد مما يفرضه القانون والنظام، "فهي تأتيني مما هو أدنى (d'en-deçà) من حريتي، ومن ما ليس حاضرا، ومن ماض لا يمكن تذكره" (Emmanuel Lévinas,1998,p117)، ويضيف قائلا: " إن لا تناهي المسؤولية لا يترجم جسامتها الحالية ، لأن تنامي المسؤولية يكون حسب تحملها، حيث تتسع الواجبات حسب درجة القيام بها، فكلما أكملت واجبي، كانت لي واجبات أكثر، وكلما كنت عادلا كنت مذنبا أكثر" Emmanuel

(Lévinas,1971,p274)، إذن المسؤولية عند **ليفيناس** لا تقتضي مشاركة الأنا في الاعتداء أو التسلط على الآخر، وإنما هي ميراث أو تركة الذات الجمعية التي واستنادا إلى ماض مغرق في القدم جعلها تتجرع الذل والحياء من الانتهاكات التي مارستها الأجيال السابقة في حق الضعفاء، وما على المؤهلين لتحمل هذا العبء سوى التقدم طواعية وبكل مسؤولية ذاتية أخلاقية اتجاه الآخر لسداد الدين في الحاضر، والذي لا يتقادم بفعل الزمن ولا يخضع لطي النسيان، إذ يحمل صرخات صامتة لمعاناة أجيال من الضحايا عبر الزمن، ومنهم الذات المتشخصة التي من واجبها المعاناة وتحمل الغريب والاندماج معه، وتحمل عبء ذاكرة عن ماضي سحيق لا دخل لها في تشكيله أو رسم معالمه، فهو ماضي ما قبل الماضي، قبل الوعي الفردي للذات وقبل تشكل الأنا كهوية خاصة، وإنما هي ذاكرة تمثل الأثر الذي تتركه الذات الإنسانية كموروث جمعي، فلا أحد بريء أمام مطرقة الزمن، كما أن الذاكرة ليست مجرد ألبوم من صور الماضي، وإنما هي استفزاز دائم للوعي بالمسؤولية اتجاه الآخر وحث للذات على تجنب العنف والقسوة.

تعقيبا على ما سبق فإن **ليفيناس** لم يترك المسؤولية اتجاه الآخر دون حدود ، فهو في كتابه: "آخر الكينونة أو في ما وراء الماهية" يقول: " يمكن لمسؤولية الأنا اتجاه الآخرين بل ينبغي عليها أن تظهر أيضا من خلال وضع الحدود لها" (Emmanuel Lévinas :1978, P165) ، وقوله أيضا: "مسؤولية الأنا اتجاه الجميع ينبغي أن تتجلى من خلال وضع حدود لها، ويمكن للأنا باسم هذه المسؤولية اللامحدودة أن يكون مدعوا للاهتمام بالذات أيضا" (Emmanuel Lévinas :1978, P204) فرغم أن خلاص الأنا وتشكيله لهويته الذاتية لا يكون إلا من خلال تحمل المسؤولية اتجاه الآخر، إلا أن هذه المسؤولية وجب أن يكون لها حد خاص لتمنع تمادي الآخر، كما تمنع أيضا تشظي الهوية والافتتان بالآخر لحد الاستيلاب، لهذا وإن كانت المسؤولية الأخلاقية لا تشترط التبادلية إلا أنها تفتح باب العدالة واسعا أمام مشكلة اطمئنان الذات اتجاه قسوة الآخر الضيف.

4- اغتيال الوجوه: أنطولوجيا الصورة في العالم الافتراضي.

يطرح تنامي التطور التقني في وقتنا الحالي مشكلة الحقيقة والمعنى بأسلوب مختلف عن ما كان سائدا في الفلسفة الغربية المعاصرة، إذ بعدما كانت المطابقة بين الدال والمدلول في شكلها اللغوي هي ما يمثل لب النقاشات الفلسفية حول الحقيقة والمعنى في نهاية القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين، صار الحقيقي وما له المعنى يعرف من خلال ملاءمته لما يروج له في الواقع الافتراضي Virtual Reality، والذي من خلال تحكمه في قاعدة البيانات يتمكن من إنشاء عوالم تحاكي الواقع ومشكلاته وتتجاوز كل الحدود الزمكانية التقليدية المرتبطة بالواقع الفعلي الحسي، الذي تتجلى فيه الوجوه بهشاشته وعريها الطبيعي، وإن كان ليفيناس والذي توفي سنة 1996، لم يعايش هذا التقدم الرقمي الهائل، إلا أنه يقدم ومن خلال طرحه لفكرة الصورة والوجه والأثر، رؤية إستشرافية وتحليلا إبستمولوجيا لأزمة هوية الكائن البشري وعلاقته بالآخر، من خلال الحرية والمسؤولية الأخلاقية.

تعرف فلسفة **ليفيناس** بفلسفة الوجه والغيرية، ومن ثمة فإن العلاقة مع الآخر تقتضي ثبات الوجوه رغم ديمومتها في التغير، والذي لا يعدو كونه تغيرا سطحيا لا يفقد الوجه الهش ذاتيته وهويته، وعليه فإن صورة الوجه كمرآة صقيلة وشفافة تنقل الواقع كما هو لم يبقى لها وجود في العالم الافتراضي، الذي يسمح بتوجيه استغلال البيانات الرقمية وفق رغبات المتصفحين والمستخدمين للمواقع الافتراضية، ومنها مواقع التواصل الاجتماعي التي تنتشر فيها الصور المعدلة بالذكاء الاصطناعي والمفلترة إلى حد يعجز معه صاحب الصورة عن معرفة ما إذا كانت تعود إليه أم لا، شأنها شأن عمليات التجميل الجراحية، لكن هذه جراحة من نوع خاص لا تلتصق بالجسد وتغير فيه، وإنما تستغل سطح الذاكرة في رسم معالم مضبوطة تقنيا لصورة الوجه، ومن ثمة تتلاعب بالأرشيف والحقيقة. (Pascal Dupond et Laurent Cournarie, 2002, pp78-79)

هذا التطابق بين الوجوه والذي يحدث بفعل التصوير والرسم والذي يرفضه ليفيناس بالرجوع لتعاليم التلموذ، قد وجد ظالته في الواقع الافتراضي، فأغتيل الوجه وشوه وبات لا يمكن التعرف عليه، من طرف الذات وعبر مرآتها الخاصة وذاكرتها البدئية لهوية ناتجة من مسؤولية اتجاه الآخر، ومن طرف الآخر المختلف والمغاير للذات، ومن هنا تعود مسلمة الكوجيتو الديكارتي بتركيزها على الأنا وتجاهلها للآخر كمساهم في

تشكيل هوية الأنا، (Emmanuel Levinas, 1974, pp 50-52) للطفو على السطح مجددا في خطاب غايته تحقيق التماثل الرقمي مع النموذج الأعلى كصورة منظمة بالذكاء الاصطناعي، بعدما تم تجاوزها بفضل فلاسفة مدرسة فراكفورت وغيرهم من فلاسفة ما بعد الأنوار وما بعد الحداثة، المطالبين بفتح أفق للتواصل مع الغير وفق أخلاقيات للحوار والنقاش.

ربما يعتقد الكثير منا أن الممارسة الافتراضية على الواقع تحاول توسيعه ليكون رحبا وصالحا للجميع وليس للواحد فقط، لكنها تصبو في حقيقتها إلى استنساخ الواقع افتراضيا، مما يبعد الإنسان عن واقعه الفعلي ويقدم له عوالم ممكنة بديلة لكنها غير حقيقية، على الرغم من أنها تشبه عالمنا الفعلي فهي ثلاثية الأبعاد وتحتوي على كل ما هو ممكن الوجود، جميل نوعا ما ومتطور، لكن متحكم فيه بواسطة أيقونات برمجية عالية الدقة، تحدث تشويشا في الذاكرة، وتقود للاعتقاد والجزم بحدوث ما لم يحدث فعلا.(Emmanuel Levinas, 1961, pp35-40)، من هنا تظهر مشكلة العبث بالذاكرة جراء خلق حياة معدلة بالذكاء الاصطناعي وأرشفتها، فيتحول المرء إلى الاعتقاد بحقيقة ما لم يحدث فعليا، إضافة إلى قضية الحق في النسيان الرقمي بمسح البيانات المؤرشفة على الأنترنيت رغبة في بدء حياة جديدة، وما يبرز الخطورة الفعلية لتنامي الاستغلال الرقمي هو إقدام الكثير من الشركات المطورة لبرامج الذكاء الاصطناعي بإتلاف الكتب التي تم مسحها رقميا للسيطرة على المعرفة والعلم والذاكرة ومن ثمة السيطرة على مستقبل الإنسانية، وبهذا ينفذ هولوكست جديد يتم من خلاله تهشيم الوجوه واغتيالها جماعيا .

إن المواجهة الجسدية الفعلية بحسب **ليفيناس** في حضور للوجه (الصورة الفعلية) والصوت هو ما يمنح الوجود بعده الأخلاقي، المتمثل في المسؤولية اتجاه الآخر في فضاء ينعم بحرية التعرف والتعامل مع الغير، لكن الشاشة ولخضوعها لبرمجية خاصة تفقدنا إمكانية التعامل المباشر بين الأنا والآخر وتحرمنا من سماع نداء الآخر، الذي يبرز في هشاشة الوجوه وضعفها واستجداءها الصامت من خلال تقاسيم الوجه للاستعطاف في ميدان مسرح للقسوة.

خاتمة:

في ختام هذا البحث يمكننا استخلاص مجموعة من النتائج نوردها فيما يلي:

– يستفيد **إيمانويل ليفيناس** في مشروعه الأخلاقي من تعاليم التلموذ اليهودي، إضافة إلى أعمال الكثير من الفلاسفة وخاصة المعاصرين له، ومن بينهم: هوسرل، هيدجر، برغسون، ...

– تمثل الغيرية لب فلسفة **ليفيناس** وتتوجه لنقد التمركز العقلي حول الأنا، واعتبار الهوية ثابتة التشكيل ولا علاقة لها بالآخر، فيستبدل القلق الهيدجري حيال الوجود، بالرعب كتجلي لعطية الوجود ومنتج لصدمة الوعي جراء اللقاء بوجه الآخر.

–إن تشكل هوية الذات مشروطة بالمسؤولية الأخلاقية اتجاه الآخر وسابقة عن كل أونطولوجيا وتيولوجيا.

–تظهر الغيرية كعلاقة غير متقابلة وغير تبادلية، لكنها تشاركية بين الأنا والآخر، لهذا فهي لا تقتضي أي مساواة أو عدالة في تحمل المسؤولية، أي أن المسؤولية اتجاه الآخر يتحملها القادرون والمؤهلون لها.

– تعد اللغة أساس الفعل الأخلاقي، إذ تسمح من خلال الحوار والخطاب بإقامة علاقة مع الآخر، مما يجعل الدال تكشفا للآخر وليس مجرد حضور صرف.

–يعتبر الوجه تجليا لقدسية اللامنتهي عبر الذوات وهو دليل إنسانية الإنسان، وهو ما يمهد للعلاقة مع الآخر مهما كان لونه أو عرقه أو انتماؤه الديني أو الإيديولوجي، فهو بداية كل علاقة ممكنة في ظل الغيرية، وهو ما يسمح بالضيافة، من خلال الاندراج في الحوار والخطاب.

– الواجب الأخلاقي نابع من الذات ولا يفرض أي مسؤولية تبادلية اتجاه الآخر، فهو مبني على التعاطف الفطري مع الغير عند الالتقاء بالوجه وفي إطار ما تتيحه المسؤولية الأخلاقية ذات الطبيعة الحسية والمبنية على فعل العطاء والبعيدة عن فكرة الواجب لأجل الواجب الكانطية.

–ينقل **ليفيناس** سؤال الأخلاق من "ماذا يجب أن أفعل" إلى: "ماذا تريدني أن أفعل لك" وهو بذلك يجعل من الآخر الفاعل الأساسي في تشكيل الهوية.

–يعتبر **ليفيناس** الضيافة المطلقة وغير المشروطة واجبا أخلاقيا اتجاه الغير، ويفرض على الأنا تحمل مسؤولية الغير دون قيد أو شرط، هذه الأخيرة–المسؤولية– قد أعاد النظر في شأنها في كتاباته المتأخرة وجعلها محدودة ولا يجب أن تؤدي إلى استيلاب الأنا واستعبادها بحجة التكفير عن الذنب الموروث.

-يطرح الواقع الافتراضي مشكلة تحديد الوجه ومن ثمة العلاقة بين الأنا والآخر والتي تنتقل من العالم الواقعي المحسوس إلى العالم غير المحسوس أو الافتراضي، مما يفتح الباب أمام الأنا للتملص من المسؤولية الأخلاقية، مما يفقدها القدرة على تشكيل الهوية.

-في ختام بحثنا نود أن نشير إلى ما يفتحه البحث حول شخصية **إيمانويل ليفيناس** من فجوات بحثية، كمقاربة موضوع الوجه من الناحية الطبية والدينية والبيو إيتيقية، خاصة مع التطور العلمي في مجال العلوم الطبيية والتكنولوجية وانتشار عمليات التجميل العلاجي وغير العلاجي على نطاق واسع في العالم العربي والغربي على حد السواء.

-كما نود أن يتوجه البحث من خلال المقاربة الأخلاقية عند ليفيناس لعلاقة الأنا بالآخر، إلى تسليط الضوء على مشكلة الهجرة وحقوق الأقليات والمرضى والضعفاء والمجانين وغيرهم من الآخرين في حياتنا اليومية، مع محاولة إيجاد حلول مبدئية ومشتركة لمشكلة العنف والقسوة وكل ما يهدد إمكانية العيش المشترك.

Conclusion :

At the conclusion of this research, we can extract a set of results that we present as follows:

- Emmanuel Levinas drew upon the teachings of the Talmud and the works of many contemporary and subsequent philosophers—among them Husserl, Heidegger, and Bergson—in his ethical project.
- Levinas's philosophy of otherness (Alterity) tends to critique mental egocentrism around the ego, considering fixed structural identity as having no relation to the other. Thus, ontological anxiety toward existence is replaced by existential dread as an embodiment of the moment of existence, resulting from the shock of consciousness upon encountering the other.
- The formation of the self's identity is conditioned by ethical responsibility toward the other, preceding any ontology or theology.
- Otherness appears as a non-reciprocal and non-exchangeable relationship, yet it is participatory between the ego and the other. Therefore, it does not require any equality or justice in bearing

responsibility—meaning the responsibility toward the other is borne by those who are capable and qualified.

- Language is considered the basis of the ethical act, as it allows, through dialogue and discourse, the establishment of a relationship with the other, which makes the signifier a revelation to the other and not merely a presence.
- The face is considered an embodiment of infinite holiness and evidence of humaneness, serving as a covenant for the relationship with the other regardless of color, race, religious affiliation, or ideology. It is the beginning of every possible relationship under the shadow of otherness, allowing hospitality through integration in dialogue and discourse.
- The ethical duty stems from the self and does not impose any reciprocal responsibility toward the other. Rather, it is built upon instinctive empathy with the other upon encountering the face, within the framework provided by ethical responsibility of a sensory nature, built upon the act of giving, and far removed from the Kantian idea of "duty for the sake of duty."
- Levinas shifts the ethical question from "What must I do?" to "What do you want me to do for you?", thereby making the Other the primary agent in identity formation.
- Levinas considers absolute and unconditional hospitality an ethical duty towards the Other, and imposes on the Ego the responsibility for the Other without restriction or condition. However, this latter responsibility—he reconsidered it in his later writings—making it limited and ensuring it does not lead to the usurpation of the Ego and its enslavement under the pretext of expiating inherited guilt.
- Virtual reality poses the problem of determining the face, and consequently the relationship between the Ego and the Other, which shifts from the tangible physical reality world to the intangible or virtual world. This opens the door for the Ego to evade moral responsibility, thereby stripping it of its ability to form identity.
- In conclusion, our research aims to point out what the research opens up regarding the personality of Emmanuel Levinas concerning research gaps, as an approach to the topic of the face from medical,

religious, and bioethical perspectives—especially with scientific development in medical and technological sciences, and the widespread prevalence of cosmetic and non-therapeutic surgeries on a large scale in both the Arab and Western worlds alike.

- We also wish for the research to head, through the ethical approach in Levinas regarding the relationship of the self to the other, toward shedding light on the problem of immigration, the rights of minorities, the sick, the vulnerable, refugees, and others among our fellows in daily life, while attempting to find preliminary and shared solutions to the problem of violence, cruelty, and everything that threatens the possibility of coexistence.

قائمة المراجع:

1- المراجع باللغة العربية:

1- إيمانويل ليفيناس: 2015، **الزمن والآخر**، ترجمة: منذر عياشي، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط1.

2- جاك دريدا: 2009، **كي يستجيب للضيافة**، حوار مع آن ديفور مانتيل، ترجمة: منذر عياشي، المشروع القومي للترجمة، المركز القومي للترجمة، القاهرة-مصر، العدد1276، ط1.

3- جون لشته: أكتوبر 2008، **خمسون مفكرا أساسيا معاصرا-من البنيوية إلى مابعد الحداثة**، ترجمة: فاتن البستاني، مراجعة: محمد بدوي، المنظمة العربية للترجمة، توزيع: مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت-لبنان، ط1.

2- المراجع باللغة الأجنبية:

1- -Emmanuel Lévinas :1978**, Autrement Qu'Etre ou Au-dela L'essence**, Original édition, Martius Nijhoff.
2- Emmanuel Lévinas :1998,**De Dieu qui vien à l'idée**, Paris, J . Varin.
3- Emmanuel Lévinas :1972, **Humanisme de L'autre homme**, Fata Morgana.
4- Emmanuel Lévinas : 2010, **En découvrant L'existence avec Husserl et Heidegger,** Libraire Philosophique, 4eme édition , J.Vrin, Paris.

5- Emmanuel Lévinas :1989, **Ethics and Politics** (**Lévinas in Discussion with Alain Finkielkraut), Trans : Jonathan Romney, in :** Emmanuel Lévinas, The Lévinas Reader, Blackwell Readers, Edited by Séan Hand (Oxford, UK : Cambridge. MA, USA :Basil Blackwell.

6- Emmanuel Lévinas :1982**, Ethique et Infini**(dialogues d' Emmanuel Lévinas et Philippe Nemo, Fayard, Le livre de Poche, Paris.

7- Emmanuel Lévinas :1974, **Otherwise than Being** :Or, Beyond Essence, Alphonso Lings, Trans Martius Nijhoff.

8- Emmanuel Lévinas **:**1989**, Ther is : Existence with –out Existents,** Trans : Alphonso **Lingis, in** Emmanuel Lévinas, The Lévinas Reader, Edited by Séan Hand, Oxford:Basil Blackwell.

9- Emmanuel Lévinas ;1971, **Totalité et Infini(Essai sur L'extériorité**), Original édition : Martius Nijhoff, 1er édition.

10- Jaques Taminiaux :2006**, Art et destin, Ledébat avec La Phinominologie Dans La Réalité et Son Ombre**, in Lévinas de L'etre à L'autre, sous la coordination de Joelle Hansel, press universitaire de France, Paris, 1er édition.

11- Pascal Dupond et Laurent Cournarie : 2002, **Phénoménologie : Un Siécle de philosophie**, Philo-Collection dirigée par Jean- Pierre Zarader, Château –Gontier- France, 1er Trimester.

المقالات:

1-مارتن هيدجر: 1998، **رسالة في النزعة الإنسانية**، ترجمة: عبد الهادي مفتاح، مجلة فكر ونقد، دار النشر المغربية، الدار البيضاء-المغرب، السنة 2، العدد11.

1- Emmanuel Lévinas : 2015, **Time and the Other**, trans : Mondher Ayachi, Damascus-Syria,Dar Ninawa for Studies, Publishing and Distribution, 1st ed.

2- Jacques Derrida :2009, **Of Hospitality : Anne Dufourmantelle Invite Jacques Derrida to Respond**, trans : Mondher Ayachi, Cairo-Egypt, National Centre for Translation, Supreme Council of Culture, no. 1276, 1st ed.

3- Jon Lechte :2008, **Fifty Key Contemporary Thinkers-From Structuralism to Post –Modernism**, trans : Faten Al-Bustani, rev : Mohamed Badawi, Beirut-Lebanon, Center for Arab Unity Studies, 1st ed.

Foreign Language Books :

1- Emmanuel Lévinas :1978**, Autrement Qu'Etre ou Au-dela L'essence**, Original édition, Martius Nijhoff.
2- Emmanuel Lévinas :1998,**De Dieu qui vien à l'idée**, Paris, J . Varin.
3- Emmanuel Lévinas :1972, **Humanisme de L'autre homme**, Fata Morgana.
4- -Emmanuel Lévinas : 2010, **En découvrant L'existence avec Husserl et Heidegger,** Libraire Philosophique, 4eme édition , J.Vrin, Paris.
5- Emmanuel Lévinas :1989, **Ethics and Politics** (**Lévinas in Discussion with Alain Finkielkraut), Trans : Jonathan Romney, in :** Emmanuel Lévinas, The Lévinas Reader, Blackwell Readers, Edited by Séan Hand (Oxford, UK : Cambridge. MA, USA :Basil Blackwell.
6- Emmanuel Lévinas :1982**, Ethique et Infini**(dialogues d' Emmanuel Lévinas et Philippe Nemo, Fayard, Le livre de Poche, Paris.
7- Emmanuel Lévinas :1974, **Otherwise than Being** :Or, Beyond Essence, Alphonso Lings, Trans Martius Nijhoff.
8- Emmanuel Lévinas **:**1989**, Ther is : Existence with –out Existents,** Trans : Alphonso **Lingis, in** Emmanuel Lévinas, The Lévinas Reader, Edited by Séan Hand, Oxford:Basil Blackwell.
9- Emmanuel Lévinas ;1971, **Totalité et Infini(Essai sur L'extériorité**), Original édition : Martius Nijhoff, 1er édition.
10- Jaques Taminiaux :2006**, Art et destin, Ledébat avec La Phinominologie Dans La Réalité et Son Ombre**, in Lévinas de L'etre à L'autre, sous la coordination de Joelle Hansel, press universitaire de France, Paris, 1er édition
11- Pascal Dupond et Laurent Cournarie : 2002, **Phénoménologie : Un Siécle de philosophie**, Philo-Collection dirigée par Jean- Pierre Zarader, Château –Gontier- France, 1er Trimester.

Journal article :

1- Martin Heidegger : 1998, Letter on Humanism, translated by : Abdelhadi Meftah, FIKR Wa Naqd,Journal, Dar Al Nashr Al-Maghribia, Casablanca-Morocoo, Year2, Issue11.

كتاب وقائع الملتقى الوطني عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-2026/07/11

Epistemology of Scientific Research Tools in the Digital Age: Towards Reconstructing Knowledge Production

SADOUKI Nacima
University of Oran 1 Ahmed Ben Bella, Faculty of Human Sciences,
Department of Library and Documentation Science - Algeria
sadouki.nacima@gmail.com

Abstract

This article examines the epistemological transformations brought about by the digital revolution in scientific research tools and methodologies. It investigates how algorithms, artificial intelligence, and big data have redefined the boundaries of possible scientific knowledge and reformulated the conditions of its validity. The research departs from a fundamental epistemological question: Is a tool merely a neutral instrument employed by the researcher, or is it an epistemological agent in its own right that shapes modes of thinking and determines the limits of the knowable? The article argues that digital research tools do not represent a functional extension of traditional tools, but constitute a partial epistemological rupture with the classical cognitive paradigm, necessitating a critical reconstruction of the concepts of objectivity, methodology, and the production of scientific truth. The article also presents analytical frameworks comparing traditional and digital epistemic environments and concludes with a proposed synthetic epistemological framework.

Keywords: Epistemology; digital research tools; knowledge production; artificial intelligence;big data.

ابستمولوجيا أدوات البحث العلمي في العصر الرقمي:
نحو إعادة بناء إنتاج المعرفة

د. صدوقي نسيمة

جامعة وهران 1احمد بن بلة،كلية العلوم الانسانية،قسم علم المكتبات والتوثيق – الجزائر
sadouki.nacima@gmail.com

ملخص

يتناول هذا المقال جوهر التحولات الابستمولوجية التي أحدثتها الثورة الرقمية في أدوات البحث العلمي ومناهجه، مستجلياً الكيفية التي أعادت بها الخوارزميات والذكاء الاصطناعي والبيانات الضخمة رسم حدود المعرفة العلمية الممكنة وصياغة شروط صحتها. ينطلق البحث من سؤال ابستمولوجي عميق: هل الأداة مجرد وسيلة محايدة يستخدمها الباحث، أم أنها فاعل ابستمولوجي بامتياز يُشكّل طريقة التفكير ويُحدّد حدود ما يمكن معرفته؟ يُجادل المقال بأن أدوات البحث الرقمي لا تُمثّل امتداداً وظيفياً للأدوات التقليدية، بل تُشكّل قطيعة ابستمولوجية جزئية مع الباراديغم المعرفي الكلاسيكي، تستوجب إعادة بناء نقدي لمفاهيم الموضوعية والمنهجية وإنتاج الحقيقة العلمية. كما يستعرض المقال نماذج تحليلية للمقارنة بين البيئتين المعرفيتين التقليدية والرقمية، ويختتم بمقترح إطار ابستمولوجي توليفي يستوعب إمكانات العصر الرقمي دون التخلي عن الصرامة العلمية الكلاسيكية.

الكلمات المفتاحية: ابستمولوجيا، أدوات البحث الرقمي، إنتاج المعرفة، الذكاء الاصطناعي ، البيانات الضخمة.

مقدمة

شهد مطلع القرن الحادي والعشرين تحولاً عميقاً في البنية التحتية للبحث العلمي؛ إذ انتقل الباحث من أدوات منهجية كانت تُصنّف وتُنظّم وتُحلّل وفق منطق خطي محدود القدرة إلى بيئة رقمية تُتيح معالجة ملايين المتغيرات في آنٍ واحد، وتستخرج الأنماط من ضوضاء البيانات الهائلة (Woolgar، 1986، صفحة 105). غير أن هذه القدرة التقنية الجديدة تُثير في صميمها أسئلةً فلسفية بالغة الخطورة تمس جوهر المشروع المعرفي الإنساني، خاصة مع بروز ما يُعرف بـ "فلسفة المعلومات" التي ترى أن المعرفة لم تعد مجرد انعكاس للعقل البشري، بل نتاج تفاعل مع بيئة رقمية واسعة (Floridi, 2011, p. 87)

لعقود طويلة، استند الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية إلى ثالوث ابستمولوجي كلاسيكي: أداة المنهج، وعقل الباحث، والموضوع قيد الدراسة. وكانت الأداة في هذا الثالوث تحتل مكانةً خادمة لعقل الباحث، لا تتجاوزه ولا تُملي عليه (Woolgar، 1986، صفحة 110) أما في العصر الرقمي، فقد انقلبت هذه المعادلة جزئياً؛ إذ باتت الأداة تُشارك في صياغة الأسئلة، وتُحدد ما هو قابل للبحث، وتُصفّي النتائج وفق منطق خوارزمي غير شفاف في أغلب الأحيان (Floridi, 2011, p. 56)

هذا التحول لم يقتصر على الفضاء الغربي، بل امتد إلى الدراسات العربية التي بدأت تطرح إشكاليات الإنسانيات الرقمية والرهانات الإبستمولوجية الجديدة (طايبي، 2022، صفحة 50) كما ظهرت مقاربات إبستمولوجية في الإعلام والاتصال تدرس مصير النظريات الكلاسيكية في ظل التحول الرقمي (صالح، 2025، صفحة 190) كل ذلك يضعنا أمام سؤال محوري: هل تُمثّل أدوات البحث الرقمي مجرد تطور تقني في خدمة الابستمولوجيا الكلاسيكية، أم أنها تُعيد بناء المعرفة ذاتها من الأساس؟ وهل يمكن الحديث عن ابستمولوجيا رقمية متمايزة بخصائص ومبادئ مستقلة؟

أولاً: الإطار الابستمولوجي الكلاسيكي لأدوات البحث

◆ 1.1 الأداة بوصفها امتداداً للعقل

في الفلسفة الكلاسيكية لفرنسيس بيكون وديكارت وكانط، كانت الأداة المنهجية تُفهم بوصفها امتداداً شفافاً للعقل الباحث؛ وسيطاً لا يُضيف ولا يحجب، بل يُجلّي الحقيقة الكامنة في الظاهرة المدروسة.

ويتجلى هذا التصور في مقولة بيكون الشهيرة في الأورجانون الجديد بأن أعضاء الإدراك تحتاج إلى معونة الآلة، دون أن تتحول الآلة ذاتها إلى عضو مُنتِج (Bacon, 1620/2000, p. 45)

أرسى هذا التصور مبدأ الأداتية المنهجية (Instrumentalism) الذي يرى أن الأساليب والأدوات البحثية محايدة من حيث قيمتها المعرفية، وأن الباحث يختارها وفق ملاءمتها للموضوع دون أن تُلوّن رؤيته له. وقد ظل هذا التصور سائداً حتى منتصف القرن العشرين، حيث بدأ النقد الفلسفي يبرز مع أعمال هايدغر الذي اعتبر أن التقنية ليست مجرد أداة محايدة، بل هي نمط وجود يُعيد تشكيل علاقتنا بالعالم . (Heidegger, 1977, p. 4)

وفي السياق العربي، ناقش بعض الباحثين هذه الإشكالية في ضوء التحولات الرقمية، معتبرين أن الأداة لم تعد مجرد وسيط، بل أصبحت شريكاً في إنتاج المعرفة، كما في دراسات الإعلام والاتصال الحديثة (دراجي، 2023، صفحة 15) ، (صالح، 2025، صفحة 190) .

◆ 2.1 نقد هيدغر لأداتية التقنية

جاء مارتن هيدغر في محاضرته الشهيرة "السؤال عن التقنية" (1954) ليُزلزل هذا التصور من أساسه؛ إذ رفض التعريف الأداتي للتقنية القائل بأنها مجرد وسيلة لغاية، مؤكداً أن التقنية ليست فعلاً بشرياً محايداً بل هي طريقة في الإنكشاف (Weise des Entbergens)، أي أنها تُقرر سلفاً كيف يتكشّف العالم للإنسان (Heidegger, 1977, p. 4) .

هذا المنظور الهيدغري يكتسب اليوم أهمية استثنائية في سياق الأدوات الرقمية؛ فحين يستخدم الباحث منصة تجميع البيانات أو نظام تحليل النصوص بالذكاء الاصطناعي، فإن هذه المنصة لا تعكس الواقع بل تُعيد تأطيره وفق منطقها التقني الخاص. وهذا ما يُشير إليه هوبير درايفوس في تحليله لفكر هايدغر، حيث يوضح أن مفهوم "الاستعداد الأداتي" (Readiness-to-hand) يُؤثر في البنية العميقة للتفكير ويُعيد تشكيل علاقة الإنسان بالأداة (Dreyfus, 1993, p. 45).

وفي السياق العربي، بدأت بعض الدراسات الحديثة في الإعلام والاتصال تُبرز أن الأدوات الرقمية لم تعد مجرد وسائط محايدة، بل أصبحت تُشارك في صياغة المعنى وإعادة بناء الواقع المعرفي (دراجي، 2023، صفحة 15) (صالح، 2025)

◆ 3.1 توماس كون والبارادايغم المنهجي

أسهم توماس كون في كتابه "بنية الثورات العلمية" (1962) بتحويل الفهم الإبستمولوجي من مستوى الأداة الفردية إلى مستوى البارادايغم الكلي؛ أي نمط التفكير العلمي السائد الذي يُحدد أسئلة البحث المشروعة وأساليبه المقبولة ومعايير تقييم نتائجه. وفي ضوء هذا المفهوم، تبدو الأدوات الرقمية كامتداد لبارادايغم جديد تشكّل تدريجياً منذ سبعينيات القرن الماضي مع ظهور الحوسبة وعلم البيانات (Kuhn, 1962 / 2012, p. 77)

ويذهب بعض الباحثين المعاصرين إلى أن التحول إلى الذكاء الاصطناعي يُشكّل ثورة باراديغمية بالمعنى الكوني للكلمة، حيث تُعاد صياغة الأنماط المعرفية في العلوم كلها، من الفيزياء إلى علم الاجتماع (al, 2009, p. 8). وفي السياق العربي، نجد أن بعض الدراسات الحديثة في الإعلام والاتصال والعلوم الإنسانية بدأت تُشير إلى أن الرقمنة ليست مجرد أداة، بل هي باراديغم معرفي جديد يُعيد تشكيل العلاقة بين الباحث والموضوع (طايبي، 2022، صفحة 50) (صالح، 2025، صفحة 190) .

ثانياً: خصائص البيئة الرقمية وأثرها الابستمولوجي

◆ 1.2 ثورة البيانات الضخمة: نهاية الفرضية؟

مقال (كريس، 2008) في Wired بعنوان "نهاية النظرية" مثّل لحظة فارقة في النقاش الإبستمولوجي حول البيانات الضخمة، حيث اعتبر أن وفرة البيانات تجعلنا في غنى عن الفرضيات والنماذج التفسيرية، لأن العلاقات الإحصائية تكفي لتوليد المعرفة (Anderson, 2008, p. 3) لكن هذا الطرح واجه نقداً صارماً من باحثين مثل دانا بويد وكيت كروفورد، اللتين شددتا على أن البيانات لا تتكلم بذاتها، بل تحتاج إلى إطار نظري يوجّه عملية جمعها وتصنيفها وتحليلها (Crawford, 2012, p. 663)

وفي السياق العربي، ناقش طايبي فاطمة الزهراء (2022) في دراستها حول الإنسانيات الرقمية أن البيانات الضخمة لا يمكن أن تُنتج معرفة محايدة، بل هي مشروطة بالتصورات النظرية التي تسبقها (طايبي، 2022، صفحة 50) كما أشار بوصالح حسين (2025) إلى أن التحول الرقمي في علوم الاتصال يعكس باراديغم جديد يعيد صياغة العلاقة بين النظرية والبيانات (صالح، 2025، صفحة 190).

◆ 2.2 الخوارزمية بوصفها فاعلاً ابستمولوجياً

الخوارزمية اليوم لم تعد مجرد أداة تقنية، بل أصبحت فاعلاً إبستمولوجياً يشارك في صياغة المعرفة. فمفهوم التحيز الخوارزمي (Algorithmic Bias) يُظهر أن الخوارزميات ليست حيادية؛ إذ تحمل في بنيتها انتقاءات معرفية تعكس رؤية المصممين، والبيانات التدريبية، والسياقات الاجتماعية التي نشأت فيها. وبالتالي، حين يعتمد الباحث على خوارزمية للتحليل، فإنه يستورد معها جملة من المعطيات الإبستمولوجية غير المرئية (O'Neil, 2016, p. 12) .

وقد أثبتت دراسات حديثة أن نماذج معالجة اللغة الطبيعية الكبيرة (Large Language Models) تُظهر حساسيات ثقافية غربية واضحة، مما يؤدي إلى إنتاج معرفة ملوّنة جغرافياً وثقافياً عند تطبيقها في سياقات غير غربية. هذا ما أشار إليه بِنْدِر وزملاؤها في نقدهم لمحدودية هذه النماذج، حيث وصفوا الظاهرة بأنها شكل من أشكال "استعمار المعرفة الخوارزمي" (Bender et, 2021, p. 610) وفي السياق العربي، بدأت بعض الدراسات الإعلامية والاتصالية تُحذّر من أن الاعتماد غير النقدي على الخوارزميات قد يُعيد إنتاج أنماط الهيمنة المعرفية بدلاً من تجاوزها (دراجي، 2023، صفحة 15) (طايبي، 2022، صفحة 50) .

◆ 3.2 الذكاء الاصطناعي التوليدي ومشكلة التحقق

الذكاء الاصطناعي التوليدي أضاف بالفعل بُعداً إبستمولوجياً بالغ الحساسية هو مشكلة التحقق (Verification Problem)؛ إذ أصبح من الممكن توليد نصوص أكاديمية تبدو موثوقة، تحمل استشهادات وحججاً ذات منطق ظاهري، لكنها قد تفتقر إلى أساس تجريبي حقيقي. وهذا يُهدد معيار الاعتمادية الذي طالما حكم إنتاج المعرفة العلمية (Noorden, 2023, p. 211) .

في المقابل، وفّرت التقنية ذاتها أدوات تحقق جديدة: مثل أنظمة الفهرسة التبادلية، وقواعد كشف السرقة الأدبية، ومنصات المراجعة العلمية الآلية، التي تُتيح مقارنة آلاف المصادر في ثوانٍ، مما يمنح الباحث قدرة غير مسبوقة على التحقق من النصوص (Lund et, 2023, p. 5) . وهكذا يظهر التناقض: التقنية تُنتج الخطر، لكنها أيضاً تُقدّم وسيلة مواجهته.

وفي السياق العربي، بدأت بعض الدراسات في الإعلام والعلوم الإنسانية تُشير إلى أن الاعتماد على الذكاء الاصطناعي التوليدي دون أدوات تحقق صارمة قد يُفضي إلى إعادة إنتاج معرفة زائفة، وهو ما يستدعي تطوير معايير محلية للتحقق الرقمي (طايبي، 2022، صفحة 50) (صالح، 2025، صفحة 190).

◆ 4.2 تحوّل منطق التسلسل الزمني للمعرفة

أعادت أدوات الاسترجاع الفوري والفهرسة الآنية بالفعل تشكيل الزمنية المعرفية في البحث العلمي. ففي النموذج الكلاسيكي، كانت المعرفة تُبنى وفق تسلسل زمني محدد يبدأ بمراجعة الأدبيات، ثم صياغة الفرضية، ثم جمع البيانات وتحليلها. أما اليوم، فأدوات مثل Semantic Scholar وResearchRabbit وConnected Papers تُتيح للباحث خريطة معرفية شاملة خلال دقائق، مما يُقلّص وقت الاستكشاف الأولي ويُطيل وقت التعمق والتحليل (Beel et, 2016, p. 234).

هذا التحول يعكس انتقالاً من زمنية خطية إلى زمنية شبكية، حيث يصبح الوصول إلى المعرفة آنياً ومتزامناً، ويُعاد ترتيب أولويات الباحث بين البحث عن المصادر وبين التفكير النقدي فيها. وفي السياق العربي، بدأت بعض الدراسات تُشير إلى أن هذه الأدوات الرقمية تُعيد تشكيل علاقة الباحث بالزمن البحثي، إذ لم يعد "الوقت" عائقاً أمام الاستكشاف بل أصبح مورداً يُستثمر في التحليل (طايبي، 2022، صفحة 50) (صالح، 2025، صفحة 190).

ثالثاً: القطيعة الابستمولوجية أم الاستمرارية؟

◆ 1.3 مفهوم القطيعة الابستمولوجية عند باشلار

أرسى غاستون باشلار في كتابه "تكوين العقل العلمي" (1938) مفهوم القطيعة الإبستمولوجية (La rupture épistémologique) ليصف التحولات الجذرية التي تُعيد تشكيل شروط إنتاج المعرفة العلمية، بحيث لا يمكن للعلم الجديد أن يفهم ذاته بمفاهيم العلم القديم. فالانتقال من الفيزياء الكلاسيكية إلى الكوانتية لم يكن مجرد توسعٍ، بل كان إعادة تأسيس كاملة للمعرفة (Bachelard, 1938/ 2002, p. 45)

ويُمكن توظيف هذا المفهوم لفهم التحول الرقمي؛ إذ ثمة وجوه تدل على قطيعة جزئية مع الإبستمولوجيا الكلاسيكية: تراجع الدور المركزي للفرضية المعصومة، وظهور المعرفة الناشئة من التعلم الآلي، وإعادة تعريف معيار الصحة من الصدق الداخلي إلى القدرة التنبؤية (Kitchin, 2014, p. 2). وفي السياق العربي، ناقشت طابي فاطمة الزهراء (2022) أن الرقمنة تُعيد صياغة شروط البحث الاجتماعي، بحيث لم تعد الفرضية النظرية وحدها كافية، بل أصبح التنبؤ الخوارزمي معياراً جديداً للمعرفة (طابي، 2022، صفحة 50) . كما أشار (صالح، 2025، صفحة 190) إلى أن علوم الاتصال تشهد قطيعة إبستمولوجية مع نماذجها الكلاسيكية بفعل التحول الرقمي (صالح، 2025، صفحة 190).

◆ 2.3 حجج الاستمرارية

في المقابل، يُؤكد فريق من فلاسفة العلم أن الأدوات الرقمية لا تُشكّل قطيعة إبستمولوجية، بل امتداداً وتعميقاً لمبادئ المنهج العلمي الكلاسيكي. فمعايير الصحة الداخلية والخارجية والموثوقية والإمكانية لا تزال سارية في تقييم البحوث الرقمية الكبرى، ويمكن القول إن الذكاء الاصطناعي يُطبّق مبادئ المنهج الاستقرائي الكلاسيكي بكفاءة فائقة (Humphreys, 2004, p. 29) .

ويذهب ديفيد دويتش في كتابه بداية اللانهاية إلى أن التقدم العلمي الحقيقي يبدأ دائماً من التفسيرات الإنسانية العقلانية التي لا يمكن لأي خوارزمية أن تُنتجها من العدم. فالذكاء الاصطناعي يُحسّن الكفاءة التحليلية لكنه لا يُولّد الأسئلة الكبرى التي تُحرّك البحث العلمي (Deutsch, 2011, p. 45) . وفي السياق العربي، يشير بعض الباحثين إلى أن الرقمنة تُعزّز أدوات المنهج الكلاسيكي ولا تُلغيه، بل تُعيد صياغته في ضوء إمكانات جديدة للتحليل والتنبؤ (طابي، 2022، صفحة 50) (صالح، 2025، صفحة 190).

◆ 3.3 موقفنا: القطيعة الجزئية

يُفضي هذا التحليل إلى موقف وسطي يُسمى "القطيعة الإبستمولوجية الجزئية"؛ إذ تتكسّر بعض الروابط مع الباراديغم الكلاسيكي (كمركزية الفرضية، ومحورية الباحث الفرد، ومبدأ الحياد المنهجي) مع الحفاظ على الروابط الجوهرية (كمعيار قابلية الاختبار، والمراجعة النظيرة، والتراكمية النقدية). هذا الموقف يُجنّبنا ثنائية الإفراط في التقنية (Technophilia) وفوبيا التقنية (Technophobia)، ويُتيح فهماً

أكثر توازناً للتحول ، فتُشير بعض الدراسات إلى أن الرقمنة لا تُلغي المنهج الكلاسيكي، بل تُعيد صياغته في ضوء إمكانات جديدة، بحيث يصبح التنبؤ الخوارزمي جزءاً من أدوات التحقق دون أن يُقصي المعايير العلمية التقليدية (طايبي، 2022، صفحة 50) (صالح، 2025، صفحة 190).

رابعاً: التحليل المقارن بين البيئتين الابستمولوجيتين

يُقدّم الجدول التالي مقارنة تحليلية تركيبية بين الأدوات الكلاسيكية وأدوات البحث الرقمي من منظور ابستمولوجي:

المعيار	أدوات البحث الرقمية الذكية	أدوات البحث التقليدية
طبيعة المعرفة	تشبيكية / غير خطية / ضخامة البيانات	تراكمية / خطية / محدودة بالنص
مصدر السلطة	الخوارزمية والبيانات الضخمة	الباحث والمؤسسة الأكاديمية
موضوعية البيانات	ظاهرية / التحيز الخوارزمي خفي	نسبية لكن قابلة للتدقيق اليدوي
توليد الفرضيات	التعلم الآلي يُوجّه ويُنبّه	يقوده الباحث بعقلانية
إعادة الإنتاج	إشكالية بسبب الصندوق الأسود	ممكنة ومُوثَّقة يدوياً
حدود المعرفة	لا حدود ظاهراً / إشكالية الضوضاء	زمنية وجغرافية

جدول (1): المقارنة الابستمولوجية بين أدوات البحث التقليدية والرقمية الذكية

تكشف هذه المقارنة أن المسألة ليست اختياراً ثنائياً بين النموذجين، بل إدارةً ذكية للتكامل بينهما. فالقوة التحليلية الرقمية تحتاج إلى العمق النقدي الكلاسيكي لتُنتج معرفة صحيحة وعادلة. (Stevens, 2008).

خامساً: نحو إطار ابستمولوجي توليفي

◆ 1.5 مبدأ التكامل الابستمولوجي

ينطلق الإطار التوليفي المقترح من مبدأ التكامل الابستمولوجي (Epistemic Complementarity) الذي يقول إن المعرفة العلمية الصحيحة في عصر الذكاء الاصطناعي تتطلب مزاوجة ضرورية بين: قوة الاستشراف الخوارزمي في معالجة الأحجام الهائلة من البيانات، وعمق العقلانية النقدية في تفسير النتائج واستثمارها أخلاقياً. (Leonelli, 2016, p. 359)

ولا يعني هذا التكامل إسقاط التمييز بين العمل الآلي والعمل الإنساني، بل توزيع الأدوار وفق الكفاءة الابستمولوجية: تتولى الخوارزمية الاستكشاف والمقارنة والترشيح، بينما يتولى الباحث الإنساني التفسير والحكم القيمي والتنظير. (الجابري، 1986، صفحة 245).

◆ 2.5 مبدأ الشفافية الابستمولوجية

يُعدّ مبدأ الشفافية الابستمولوجية (Epistemic Transparency) ركيزةً أساسية في الإطار المقترح؛ ويعني ضرورة الإفصاح الكامل عن الأدوات المستخدمة في البحث (الخوارزميات، ونماذج الذكاء الاصطناعي، وطرق تنظيف البيانات) بما يُتيح للباحثين الآخرين تقييم مصادر التحيز المحتملة ومحاكاة نتائج البحث . (Pasquale, 2015)

وقد بدأت بعض المجلات المصنفة بالفعل في اشتراط ما يُسمى بـ"بيان الأداة الرقمية" (Digital Tool Statement) إلى جانب بيان تضارب المصالح وموافقة لجنة الأخلاقيات، في خطوة تُرسّخ هذا المبدأ على المستوى المؤسسي. (Nature, 2023)

◆ 3.5 مبدأ النقد الابستمولوجي الداخلي للأداة

لا يكفي أن يُحسن الباحث استخدام الأداة الرقمية؛ بل ينبغي أن يمتلك القدرة على نقدها من الداخل، أي تقييم افتراضاتها الإحصائية، والإدراك الواعي لحدود نموذجها المنهجي. وهذا ما تُسميه لوسيانا بورياني بالكفاءة الابستمولوجية الرقمية (Digital Epistemic Competence)، وهي كفاءة تُصبح اليوم متطلباً أساسياً في تكوين الباحث العلمي (Borriani, 2022)

◆ 4.5 مبدأ العدالة المعرفية الرقمية

تُثير الفجوة في الوصول إلى أدوات البحث الرقمي المتقدمة بين الجامعات العالمية الكبرى والجامعات النامية مسألة العدالة المعرفية الرقمية (Digital Epistemic Justice). فحين تكون الأدوات المولّدة للمعرفة مُكدّسة في مراكز بعينها، فإن المعرفة الإنسانية تصبح جغرافية الانتماء، مُغيّبةً أصواتاً بأكملها من الخطاب العلمي العالمي. (Fricker, 2007, p. 36) .

ويستلزم هذا المبدأ نضالاً على مستويات متعددة: على مستوى السياسات المؤسسية لضمان الوصول المفتوح للأدوات؛ وعلى مستوى تطوير أدوات بحثية ذكية في اللغات غير الإنجليزية؛ وعلى مستوى تشجيع المجلات المصنفة على استيعاب مناهج البحث الرقمي غير الغربية. (Mignolo, 2009, p. 86)

سادساً: مناقشة وآفاق

◆ 1.6 تداعيات على مناهج التكوين الجامعي

أفرزت التحولات الرقمية المتسارعة، وما صاحبها من انتشار واسع لتقنيات الذكاء الاصطناعي وتحليل البيانات الضخمة، تحديات جديدة أمام مؤسسات التعليم العالي، خاصة فيما يتعلق بمناهج التكوين الجامعي وبرامج الدراسات العليا. فقد أصبحت الإبستمولوجيا الرقمية إطارًا معرفيًا جديدًا يفرض إعادة التفكير في طبيعة المعرفة العلمية وطرق إنتاجها والتحقق من صدقيتها في البيئة الرقمية المعاصرة. ومن ثم، لم يعد من الممكن الاكتفاء بالمناهج البحثية التقليدية التي ركزت لعقود طويلة على المناهج الوصفية والتجريبية والتاريخية والنقدية بوصفها الأدوات الرئيسة لإنتاج المعرفة العلمية.

وفي ظل هذا الواقع الجديد، أصبحت الجامعات مطالبة بتطوير برامجها الأكاديمية بحيث تتضمن مقررات متخصصة تُعنى بفلسفة البيانات، وتحليل البنى المعرفية للأنظمة الرقمية، وفهم آليات عمل الخوارزميات الذكية وتأثيرها في إنتاج المعرفة وتداولها. فالباحث المعاصر لم يعد مجرد مستخدم للأدوات الرقمية، بل أصبح في حاجة إلى وعي نقدي يمكنه من تقييم مصادر البيانات، وفهم حدود الخوارزميات، والكشف عن أشكال التحيز المحتملة التي قد تتسلل إلى النتائج العلمية من خلال النظم الرقمية المعتمدة في جمع البيانات وتحليلها. (دراجي، 2023، صفحة 15)

كما تفرض الإبستمولوجيا الرقمية ضرورة تنمية ما يُعرف بالكفاءة الإبستمولوجية الرقمية، وهي مجموعة من المعارف والمهارات التي تمكّن الباحث من التعامل الواعي مع البيئة الرقمية، وفهم الأسس المعرفية التي تقوم عليها تطبيقات الذكاء الاصطناعي، والتمييز بين المعرفة المنتجة آليًا والمعرفة الناتجة عن التحليل البشري. وتكتسب هذه الكفاءة أهمية متزايدة في ظل اعتماد الباحثين على البرمجيات الذكية في عمليات البحث والاستدلال والتحليل وصياغة النتائج.

ومن جانب آخر، تبرز الحاجة إلى دمج موضوعات أخلاقيات الذكاء الاصطناعي ضمن مناهج الدراسات العليا، وذلك لما تثيره التطبيقات الرقمية الحديثة من إشكالات تتعلق بالخصوصية، وملكية البيانات، والشفافية، والمسؤولية العلمية، والتحيز الخوارزمي. فإعداد الباحث في العصر الرقمي لا يقتصر على إكسابه المهارات التقنية فحسب، بل يمتد إلى بناء وعي أخلاقي يمكنه من توظيف الأدوات الرقمية بصورة مسؤولة تحافظ على نزاهة البحث العلمي ومصداقيته. (طايبي، 2022، صفحة 50)

وعليه، فإن تطوير مناهج التكوين الجامعي في ضوء الإبستمولوجيا الرقمية يمثل ضرورة أكاديمية ومعرفية ملحة، تفرضها التحولات المتسارعة في بيئة إنتاج المعرفة. ويتطلب ذلك إعادة هيكلة البرامج التعليمية بما يضمن التكامل بين المنهجية العلمية التقليدية، والمهارات الرقمية المتقدمة، والوعي الفلسفي والأخلاقي المرتبط باستخدام التقنيات الذكية، بما يسهم في إعداد باحثين قادرين على التفاعل مع متطلبات العصر الرقمي بكفاءة ووعي نقدي ومسؤولية علمية. (صالح، 2025، صفحة 190)

◆ 2.6 سؤال الإبداع والأصالة

يُثير توظيف الذكاء الاصطناعي التوليدي في البحث العلمي سؤالاً جوهرياً عن طبيعة الأصالة العلمية (Originality). إذا كانت الخوارزمية تُوجّه صياغة الفرضيات وتختار إطار التحليل وتُصيغ الاستنتاجات، أين تنتهي مساهمة الباحث وأين تبدأ مساهمة الآلة؟ وهل المعيار ابستمولوجي (صحة الادعاء) أم أخلاقي (نسب الإنتاج) أم كلاهما؟ (Noorden, 2023, p. 235)

تُميل الغالبية الكبرى من فلاسفة العلم المعاصرين إلى التمييز بين الذكاء الاصطناعي بوصفه أداةً (Tool AI) وبوصفه وكيلاً (Agent AI)؛ ففي الحالة الأولى يبقى الباحث الإنساني مسؤولاً

ابستمولوجياً وأخلاقياً عن الإنتاج المعرفي، أما في الثانية فتنشأ إشكاليات جوهرية لم تحسم بعد . (Floridi et, 2018, p. 134)

◆ 3.6 آفاق البحث

تفتح الإشكاليات المُثارة في هذا المقال عدة مسارات بحثية مستقبلية:

- دراسة تجريبية لقياس أثر نوع الأداة الرقمية على طبيعة نتائج البحث في العلوم الإنسانية.
- بناء معيار ابستمولوجي موحد لتقييم جودة توظيف الذكاء الاصطناعي في الأبحاث المحكّمة.
- دراسة مقارنة لسياسات المجلات المصنفة العالمية في التعامل مع البحوث المُنتَجة بمساعدة الذكاء الاصطناعي.
- تطوير مناهج الكفاءة الابستمولوجية الرقمية في التعليم العالي العربي والأفريقي.

خاتمة

تنتهي هذه الدراسة إلى أن أدوات البحث الرقمي الذكية ليست مجرد تطور تقني عابر في أدوات الباحث، بل هي فاعل ابستمولوجي حقيقي يُعيد رسم حدود الممكن معرفياً ويُعيد صياغة شروط الصحة والموضوعية. وهذا يعني أن الابستمولوجيا لا تستطيع أن تظل محايدة حيال هذه الثورة، بل مطالبة بإعادة تأسيس نفسها في ضوء معطياتها.

غير أن هذا الاعتراف بالفاعلية الابستمولوجية للأداة الرقمية لا ينبغي أن يُفضي إلى الاستسلام للحتمية التقنية؛ فالتاريخ العلمي يُعلّمنا أن كل ثورة في أدوات البحث أنتجت ابستمولوجيا جديدة لكنها لم تُلغِ الروح النقدية الإنسانية التي دائماً ما تُعيد المعرفة إلى سياقها الأخلاقي والاجتماعي. (Kuhn, 1962 / 2012)

إن الإطار التوليفي الذي نقترحه، القائم على التكامل والشفافية والنقد الداخلي والعدالة المعرفية، يُمثّل خارطة طريق ابستمولوجية لعصر الذكاء الاصطناعي: عصر ينبغي أن تتعاون فيه حرفة الباحث وعمق الفيلسوف وكفاءة المبرمج لإنتاج معرفة إنسانية أكثر صدقاً وأوسع أثراً وأعمق عدلاً.

قائمة المراجع

أولاً: المراجع العربية

الكتب :

1. الجابري، محمد عابد، 1986 ،تكوين العقل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية.
2. محمود زكي نجيب،1984،تجديد الفكر العربي ،دار الشروق.

المقالات :

3. بوطي دراجي ،2023، التموقعات الإبستيمولوجية في دراسات الجمهور والوسائط الجديدة: قراءة في رهانات المأسسة والتنظير، مجلة رقمنة للدراسات الإعلامية والاتصالية، 3،3
4. بوصالح، حسين ،2025 ، علم الاتصال بين الثبات المعرفي والتحول الرقمي: قراءة إبستيمولوجية في مصير النظريات الاتصالية الكلاسيكية ،مجلة التواصل ،31 ،3
5. طايبي، فاطمة الزهراء،2022، واقع البحوث الاجتماعية في ظل الإنسانيات الرقمية: قراءة موجزة في الإشكاليات الإبستمولوجية والمنهجية الراهنة، المجلة الجزائرية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، 6، 1

References

Books:

- Bachelard, G. 2002, La formation de l'esprit scientifique_ (Original work published 1938). Vrin.
- Bacon, F. 2000 ,The new organon, (L. Jardine & M. Silverthorne, Trans.). Cambridge University Press. (Original work published 1620)
-Deutsch, D. 2011, The beginning of infinity: Explanations that transform the world, Viking.
- Dreyfus, H. L. 1993,What computers still can't do: A critique of artificial reason, MIT Press.

- Floridi, L. 2014,The fourth revolution: How the infosphere is reshaping human reality, Oxford University Press.
- Fricker, M. 2007,Epistemic injustice: Power and the ethics of knowing,Oxford University Press.
- Heidegger, M. 1977,The question concerning technology and other essays, (W. Lovitt, Trans.), Harper & Row. (Original work published 1954)
- Hey, T., Tansley, S., & Tolle, K. (Eds.). 2009,The fourth paradigm: Data-intensive scientific discovery, Microsoft Research.
- Humphreys, P. 2004,Extending ourselves: Computational science, empiricism, and scientific method, Oxford University Press.
- Kuhn, T. S. 2012,The structure of scientific revolutions, (4th ed.),University of Chicago Press. (Original work published 1962)
- Latour, B., & Woolgar, S. 1986,Laboratory life: The construction of scientific facts, (2nd ed.), Princeton University Press.
- Leonelli, S. ,2016,Data-centric biology: A philosophical study, University of Chicago Press.
- O'Neil, C. 2016, Weapons of math destruction: How big data increases inequality and threatens democracy, Crown.
- Pasquale, F. 2015, The black box society: The secret algorithms that control money and information, Harvard University Press.

Journal Articles:

- Anderson, C. 2008, The end of theory: The data deluge makes the scientific method obsolete,Wired https://www.wired.com/2008/06/pb-theory/
- Beel, J., Gipp, B., Langer, S., & Breitinger, C. 2016, Research-paper recommender systems: A literature survey, International Journal on Digital Libraries,17, 4 https://doi.org/10.1007/s00799-015-0156-0
- Boyd, D., & Crawford, K. 2012, Critical questions for big data,Information, Communication & Society,15,5. https://doi.org/10.1080/1369118X.2012.678878
- Espeland, W. N., & Stevens, M. L. 2008, A sociology of quantification ,European Journal of Sociology,49,3 https://doi.org/10.1017/S0003975609000150

- Floridi, L., Cowls, J., Beltrametti, M., Chatila, R., Chazerand, P., Dignum, V., Luetge, C., Madelin, R., Pagallo, U., Rossi, F., Schafer, B., Valcke, P., & Vayena, E. (2018). An ethical framework for a good AI society: Opportunities, risks, principles, and recommendations. ,Minds and Machines,28,4
https://doi.org/10.1007/s11023-018-9482-5
- Kitchin, R. 2014, Big data, new epistemologies and paradigm shifts, Big Data & Society,1,1 https://doi.org/10.1177/2053951714528481
- Luciana, R., & Borriani, A. 2022, Digital epistemic competence in higher education: Toward a framework for the 21st century. ,Higher Education Research & Development, 41,3
https://doi.org/10.1080/07294360.2021.1900707
- Lund, B. D., Wang, T., Mannuru, N. R., Nie, B., Shimray, S., & Wang, Z. 2023, ChatGPT and a new academic reality: Artificial intelligence-written research papers and the ethics of the large language model publishing landscape, Journal of the Association for Information Science and Technology, 74,5 https://doi.org/10.1002/asi.24750
- Mignolo, W. D. 2009, Epistemic disobedience, independent thought and decolonial freedom,Theory, Culture & Society,26,(7–8)
https://doi.org/10.1177/0263276409349275
- Nature. 2023,Tools such as ChatGPT threaten transparent science; here are our ground rules for their use, Nature, 613
https://doi.org/10.1038/d41586-023-00191-1
- Stokel-Walker, C., & Van Noorden, R. 2023, What ChatGPT and generative AI mean for science, Nature, _614,7947
https://doi.org/10.1038/d41586-023-00340-6

Conference Papers:

- Bender, E. M., Gebru, T., McMillan-Major, A., & Shmitchell, S. ,2021,On the dangers of stochastic parrots: Can language models be too big? _Proceedings of the 2021 ACM Conference on Fairness, Accountability, and Transparency, ACM
https://doi.org/10.1145/3442188.3445922

Reception Algorithms and the Construction of Consciousness: Representations of the Arabic Language in Digital Spaces and Identity Challenges

Asst. Lecturer. Hadi Hamid Harish
General Directorate of Education in Anbar Governorate
ha2008di12@gmail.com

Abstract:

This study examines the epistemological shifts driven by digital transformation and Generative AI, exploring how "Reception Algorithms" engineer the Arabic language to reconstruct Arab social consciousness. The central problem lies in analyzing how these platforms manipulate collective awareness through linguistic hybridity, fueled by SEO mechanics and auto-correct predictive text, and whether contemporary Arabic possesses the digital sovereignty needed to counter the algorithmic cognitive bias and cultural alienation of global generative models. Adopting a composite methodology that blends critical-deconstructive and socio-linguistic approaches, the research posits that algorithms are not neutral tools but ideological frameworks that invert linguistic capital in favor of digital triviality. The study concludes that social consciousness is now manufactured behind programming codes through reverse-engineered concepts that produce digital linguistic hallucinations. It strongly recommends establishing the "Arab Observatory for Digital Linguistic Security," enforcing "Computational Language Planning," and integrating computational linguistics into university curricula.

Keywords: Reception Algorithms, SEO Linguistics, Cognitive Bias, .Digital Sovereignty, Linguistic Security**.**

كتاب وقائع المؤتمر الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-11/07/2026

بين خوارزميات التلقي وصناعة الوعي: تمثُّلات اللغة العربية في الفضاء الرقمي وتحديات الهوية

م.م. هادي حميد حريش
المديرية العامة للتربية في محافظة الانبار
ha2008di12@gmail.com

الملخص:

تبحث هذه الدراسة في التحولات الإبستمولوجية المتسارعة التي تقودها الثورة الرقمية وطفرة الذكاء الاصطناعي التوليدي، وتتتبع الكيفية التي تتدخل بها "خوارزميات التلقي" في هندسة اللغة العربية وصياغة الوعي المجتمعي. وتتمحور إشكالية البحث في تحليل مدى نجاح هذه المنصات في توجيه العقل الجمعي العربي عبر فرض سيولة لغوية وهجينة تداولية تتغذى على ميكانيكا محركات البحث (السيو اللغوي) وسلطة التنبؤ النصي (المصحح الآلي)، ومدى امتلاك اللسان العربي لأدوات السيادة التكنولوجية لمواجهة الانحياز المعرفي والاستلاب الثقافي للآلة التوليدية المعولمة. وبتطبيق منهج مركّب يدمج بين المنهج التفكيكي النقدي والمنهج السوسيولغوي، تنطلق الدراسة من فرضية مفادها أن الخوارزميات ليست أدوات محايدة بل قوالب أيديولوجية تعمل على تفتيت الهوية المشتركة وقلب رأس المال اللغوي لصالح الابتذال الرقمي. وقد خلص البحث إلى أن الوعي المعاصر بات يُصنع خلف الأكواد البرمجية عبر هندسة عكسية للمفاهيم تنتج الهلوسة اللغوية الرقمية. ويوصي البحث بضرورة التأسيس الفوري لـ "المرصد العربي للأمن اللغوي الرقمي"، وفرض سياسات "التخطيط اللغوي البرمجي" ودسترة الحوسبة العربية، إلى جانب إدراج اللسانيات الحاسوبية كمتطلب إجباري في الجامعات.

الكلمات المفتاحية: خوارزميات التلقي، السيو اللغوي، الانحياز المعرفي، السيادة الرقمية، الأمن اللغوي.

المقدمة:

يشهد الفكر الإنساني المعاصر تحولاً إبستمولوجياً جذرياً بفعل الثورة الرقمية العارمة، وطفرة الذكاء الاصطناعي التوليدي .(Generative AI) ولم تعد التكنولوجيا في هذا العصر مجرد وسيط تقني محايد لنقل النصوص وتخزين المعلومات، بل تحولت إلى "سلطة ذكية" فاعلة تمتلك القدرة على هندسة المعنى، وإعادة إنتاج الخطاب، وصناعة الوعي البشري. إن اللغة، بوصفها الوعاء الحاضن للفكر والمحدد الرئيس للهوية والثقافة، لم تكن بمنأى عن هذه السيولة التقنية؛ إذ انتقل "فعل التلقي اللغوي" من سياقه التقليدي

المحكوم بحرية التأويل البشري، إلى بيئات افتراضية معقدة تديرها وتوجهها "خوارزميات التلقي " (Reception Algorithms.)هذه الخوارزميات تعمل على فرز المحتوى اللغوي وفلترته قسرياً وفق محددات تقنية تفرز ظواهر لسانية وسلوكية ناشئة تؤثر مباشرة في بنية الوعي المجتمعي والأمن الثقافي للأمم، مما يضعنا أمام نمط جديد من صياغة العقل الجمعي وتوجيه المرجعيات الهوياتية عبر بوابة اللسان الرقمي.

وفي هذا السياق، يحدد البحث إطاراً إجرائياً لمفاهيمه، حيث تُقصد بـ "خوارزميات التلقي": النظم الرياضية والبرمجية الذكية التي تحلل السلوك الرقمي للمتلقي العربي، وتقرر سلفاً نوعية وحجم المحتوى اللغوي والمعرفي الذي يظهر على شاشته. أما "صناعة الوعي" إجرائياً فهي: عملية إعادة تشكيل المنظومة الفكرية والقيمية والسلوكية للمجتمع عبر التكرار والتوجيه المكثف للأنماط اللغوية والمفاهيمية في الفضاء الافتراضي.

ولبلوغ أهدافه البحثية، ينتظم هذا العمل في ثلاثة مباحث متكاملة تدرجت من التأصيل الفلسفي إلى الواقع السوسيولغوي، وصولاً إلى الرؤية الاستشرافية؛ حيث يعالج المبحث الأول المقاربة الإبستمولوجية للتحول من تلقي النص إلى تلقي الخوارزمية وجدلية الثابت والمتحول. في حين يشرح المبحث الثاني تمثلات اللغة العربية في البيئات الافتراضية وسياسات محركات البحث وظواهر الهجنة التداولية. ويختتم البحث بالمبحث الثالث الذي يستعرض تحديات الهوية الناتجة عن الاستلاب الثقافي والتزييف التوليدي العميق، مقدماً آليات واستراتيجيات هندسية برمجية لتحقيق السيادة الرقمية والأمن اللغوي العربي.

وبعد أن حددنا الإطار المنهجي والإشكالي للبحث، نستهلّ المبحث الأول بوضع الأسس الإبستمولوجية لهذا التحول؛ حيث نشرع في تفكيك جدلية العلاقة بين 'الخوارزمية' كفاعل تقني، و'اللغة' كوعاء معرفي، لرصد ملامح التغير في سيكولوجية التلقي الرقمي.

مشكلة البحث: تكمن إشكالية الدراسة في الفجوة المتسعة بين 'الثابت اللغوي' للفصحى برصانتها المعرفية، وبين 'المتحول الرقمي السائل' الذي تفرضه خوارزميات المنصات ونماذج اللغات الكبيرة. إن هيمنة التقنيات العالمية –التي تفتقر إلى مراعاة الخصوصية البنيوية للغة العربية– قد أدت إلى فرض 'هجنة تداولية' قسرية تسطح الوعي المعرفي وتزيف السرديات القومية خلف قناع لغوي رصين. وبناءً على ذلك، يتساءل البحث :

إلى أي مدى تنجح خوارزميات التلقي ونماذج التوليد الآلي في إعادة هندسة الوعي المجتمعي العربي، وهل يمتلك اللسان العربي المعاصر أدوات السيادة التكنولوجية لمواجهة هذا الاستلاب الثقافي؟

فرضية البحث: ينطلق هذا البحث من فرضية أساسية مفادها: أن خوارزميات التلقي الرقمي وبيئات الذكاء الاصطناعي التوليدي ليست قنوات محايدة، بل هي قوالب أيديولوجية؛ وإن استسلام المتلقي العربي للسيولة التداولية والهجنة اللغوية المفروضة عبر آليات السيو اللغوي والمصححات الآلية يساهم في عزله داخل "غرف صدى لغوية" تضعف ملكته النقدية، مما يؤدي حتماً إلى تفتيت الوعي المجتمعي وتآكل الهوية، ما لم يترفق .ذلك بتخطيط لغوي استراتيجي حاسوبي يسعى نحو فرض السيادة البرمجية ودسترة الحوسبة العربية الفصيحة

أهمية الموضوع: تكمن أهمية البحث في كونه يقدم مقاربة نقدية كاشفة لآليات "الاستعمار الرقمي اللغوي"، وينقل بحوث الدفاع عن اللغة العربية من الأطر الكلاسيكية الإنشائية القائمة على حراسة القواعد، إلى الأطر الاستراتيجية التطبيقية القائمة على "حراسة الثغور التقنية" وفهم فلسفة البرمجة.

أهداف البحث: يسعى هذا البحث من خلال مباحثه الثلاثة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

1. **التحليل الإبستمولوجي** :رصد وتفكيك التحولات المعرفية الناتجة عن "خوارزميات التلقي" في بيئة الذكاء الاصطناعي التوليدي، وبيان أثرها في صياغة الفكر الإنساني.
2. **التشخيص السوسيولغوي** :دراسة واقع اللغة العربية في الفضاء الافتراضي، وكشف آليات "الهجنة التداولية" التي تفرضها محركات البحث والمصححات الآلية على لسان المتلقي العربي.
3. **التأسيس الاستراتيجي** :بناء رؤية استشرافية وتطبيقية لتحقيق "السيادة الرقمية اللغوية"، وتقديم خارطة طريق لدسترة الحوسبة العربية كجزء من الأمن القومي المعرفي.

منهج البحث: لتحقيق أهداف الدراسة ومعالجة فرضيتها، اعتمد الباحث على **منهجية مركبة** تتكامل فيها أدوات المنهجين التاليين:

1. **المنهج التفكيكي النقدي** :ويُوظف هذا المنهج لتشريح البنية البرمجية وسياسات محركات البحث، وفك شفرات آليات عمل الخوارزميات في صناعة "فقاعات التصفية(Filter Bubbles) "، والكشف عن الانحيازات المعرفية المتوارية خلف نماذج الذكاء الاصطناعي التوليدي.

2. **المنهج السوسيولغوي التداولي** :ويُعتمد لرصد التحولات الأسلوبية الميدانية في الفضاء الرقمي، وتحليل الممارسات اللغوية اليومية (كأنماط التعبير التنبئي والترندات اللغوية)، وقياس أثر هذا "اللسان الرقمي" الجديد على البنية المعرفية والوجدانية للمجتمع العربي.

إن هذا التكامل المنهجي ليس ترفاً إجرائياً، بل ضرورة إبستمولوجية تتيح للبحث تجاوز التوصيف السطحي للظواهر الرقمية، وصولاً إلى استجلاء 'الأيديولوجيا البرمجية' الكامنة خلف الاستخدام اللغوي، وقياس أثرها المباشر في إعادة صياغة الوعي الجمعي.

أسباب اختيار البحث: تتعدد المبررات التي دفعت الباحث لاختيار هذا الموضوع، ويمكن إجمال أبرزها في الآتي:

1. **الندرة البحثية (الأصالة)** :يكتسب هذا البحث أهميته من كونه يقتحم منطقة "التقاطع المعرفي" بين اللسانيات النقدية وعلوم البرمجيات؛ حيث لا تزال المكتبة العربية تفتقر إلى مقاربات منهجية تدرس أثر "السوسيولغوية الرقمية" على بنية اللسان العربي، مما يجعل هذا العمل محاولة جادة لردم الفجوة بين علوم اللغة والتقنية الحديثة.
2. **الاستجابة للتحديات الراهنة (الضرورة)** :تنبع أهمية الموضوع من تصاعد الخطر المعرفي والوجودي الناتج عن الذكاء الاصطناعي التوليدي وتطبيقاته في "التزييف المعرفي"؛ الأمر الذي يهدد بتنميط العقل الجمعي العربي، وتسطيح هويته الثقافية، وتشكيل وعي بديل للأجيال الناشئة. ومن ثم، أصبحت دراسة هذه الظاهرة ضرورة ملحة للأمن الثقافي والسيادة اللغوية للأمة.

خطة البحث: تضمن البحث ما يلي:

المقدمة: ذكرت فيها أهمية الموضوع والعمل فيه.

المبحث الأول: المقاربة الإبستمولوجية: من تلقي النص إلى تلقي الخوارزمية

المطلب الأول: فلسفة التلقي الرقمي وآلية عمل الخوارزميات اللغوية

المطلب الثاني: جدلية الثابت والمتحول في الوعي اللغوي الرقمي

المبحث الثاني: تمثّلات اللغة العربية في البيئات الافتراضية (دراسة سوسيولغوية)

المطلب الأول: هندسة المحتوى العربي وسياسات محركات البحث

المطلب الثاني: التداولية الرقمية: شيوع الهجنة اللغوية وأثرها في البناء المعرفي للمجتمع

المبحث الثالث: تحديات الهوية واستراتيجيات صناعة الوعي البديل

المطلب الأول: الاستلاب الثقافي ومخاطر تفكيك الهوية عبر اللغة الرقمية

المطلب الثاني: نحو هندسة خوارزمية واعية: آليات السيادة الرقمية للأمن اللغوي العربي

الخاتمة: وفيها اهم النتائج والتوصيات.

المصادر والمراجع.

المبحث الأول: المقاربة الإبستمولوجية: من تلقي النص إلى تلقي الخوارزمية:

المطلب الأول: فلسفة التلقي الرقمي وآلية عمل الخوارزميات اللغوية:

لا تزال نظرية التلقي— (Reception Theory) بإرثها المعرفي الذي أسسه "هانس روبرت ياوس" و"فولفغانغ إيسر"— تمثل الركيزة الأساسية لفهم العلاقة بين النص والقارئ. ومع ذلك، فقد شهدت هذه النظرية تحولاً إبستمولوجياً جوهرياً في العصر الرقمي، حيث انتقل مركز الثقل من "أفق التوقع " (Horizon of Expectation)الذي يمتلكه القارئ البشري، إلى ما يمكن تسميته "خوارزميات التلقي.(Reception Algorithms) "

لم يعد التلقي في الفضاء الرقمي عملية تأويلية حرّة يمارسها العقل البشري لملء فجوات النص، بل أضحى فعلًا موجهًا خاضعًا لقواعد رياضية وبرمجية معقدة. إن هذه الخوارزميات تقوم برصد السلوك اللغوي للمستخدم، وتحلل تفاعلاته (الإعجابات، مدة البقاء، التصفح)، ثم تعيد هندسة المحتوى الذي يظهر له، مما يعزله داخل ما يُعرف بـ "فقاعة التصفية (Filter Bubble) "أو "غرف الصدى اللغوي". وهذا الإجراء يمارس نوعاً من "القمع اللغوي غير المرئي"، حيث يُحرم المتلقي من التعرض للاختلاف، ويُساق قسرياً نحو أنماط لغوية استهلاكية.

وفي هذا السياق، يمكن توظيف معرض نقد المكر المستتر في قوله تعالى: (وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَاۖ وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ) (سورة الأنعام: 123)؛ حيث تتقاطع

آلية "الخوارزمية" التي تمكر بوعي المتلقي مع طبيعة الاستلاب التكنولوجي الذي يظن معه المستخدم أنه يمارس حريته، بينما هو محاصر ضمن سياقات برمجية مغلقة "وما يشعرون" بتسليع ذائقتهم اللغوية.

ويؤكد المفكر التقني إيلي باريسر (Pariser, 2011, p. 88) هذه الديناميكية بقوله: "إن خوارزميات التلقي الرقمي تخلق بيئة معرفية مغلقة، حيث تعيد تدوير ما يفضله المستخدم لغوياً وفكرياً، مما يسلب الإنسان حريته في التعرض للمختلف، ويصنع وعياً مشوهاً وموجهاً يظن صاحبه أنه حر وهو محاصر برموز برمجية صامتة."

ومن منظور لساني نقدي، يوضح عبد السلام المسدي (المسدي، 2013، ص 102) خطورة هذا التوجيه على الملكة اللغوية، مشيراً إلى أن ارتهان المتلقي للآلة يُفقد اللسان العربي وظيفته الرفيعة: "إن ارتهان المتلقي العربي لما تمليه عليه شاشات التصفح الذكية يُفقد اللسان العربي وظيفته الأساسية كأداة للتفكير التجريدي، ويحوله إلى أداة استهلاكية منقادة تابعة لآليات تكنولوجية عولمية."

وهنا، يمكن استحضار قول البحتري في وصف الصمت الذي يخفي خلفه ضميراً مختلفاً، لتصوير حال الخوارزمية التي تتلقى بصمت وتوجه بذكاء:

صَامِتٌ لَو أَرادَ نُطقاً لَأَبدى ... عَن ضَميرٍ في الصَدرِ غَيرِ مُريبِ (البحتري، د.ت، ص 412).

فالخوارزمية في عالمنا الرقمي "صامتة"، لكنها في جوهرها تعيد تشكيل "الضمير اللغوي" للمتلقي وفق منطقها الرياضي، لا وفق منطقه المعرفي. ومثال ذلك جليٌّ في أنظمة التوصية؛ فعندما يطلب المستخدم نصاً فصيحاً رصيناً، تقوده الخوارزمية نحو "المحتوى الأكثر تفاعلاً (Trend) "الذي يغلب عليه العامي المبتذل، مما يرسخ نمطية لغوية تبتعد بالمتلقي عن الفصاحة، وتجعله حبيس "غرف الصدى" اللغوية التي تكرر له ما اعتاد عليه، لا ما يحتاجه لتطوير ملكته.

المطلب الثاني: جدلية الثابت والمتحول في الوعي اللغوي الرقمي:

يناقش هذا المطلب الصراع البنيوي بين "الثابت اللغوي" —بمعياريته التراثية المتمثلة في المعجم العربي، والنحو التوليدي، والبلاغة المستقرة— وبين "المتحول اللغوي الرقمي" الناشئ في الفضاء الافتراضي. لقد أفرزت "اللسانيات الرقمية (Internet Linguistics) "نمطاً من "النص الفائق "

(Hypertext)يتميز بسيولة المشافهة المكتوبة؛ حيث أضحت الرموز التعبيرية (Emojis) ولغة "الفرنكواراب (Franco-Arab) "بدائلَ اختزالية للبيان العربي الرصين، مما أدى إلى تآكل ملكة التفكير التجريدي لدى المتلقي العربي، لصالح قوالب لغوية مجتزأة تلائم ثقافة "التمرير السريع(Scrolling) "

هذا التحول من الثبات إلى السيولة يجد تفسيره في رؤية ديفيد كريستال (Crystal, 2006, p. 145)لنشأة أشكال لغوية جديدة غير ملتزمة بالمعايير الأكاديمية، حيث يرى أن: "النص الرقمي نص سائل وديناميكي، يفتقر إلى القداسة والثبات اللذين ميزا النص المطبوع. هذا يفرز أجيالاً رقمية تمتلك وعياً لغوياً هجيناً، حيث تختلط لغة التخاطب اليومي بلغة البرمجة، مما ينتج لغة تواصلية عملية جداً لكنها عاجزة عن حمل الذاكرة الثقافية والتراثية للأمم."

وفي إطار تشخيص الأثر السوسيولغوي، يرى نبيل علي (علي، 2001، ص 210) أن هذه الفوضى تؤدي إلى ترهل فكري؛ إذ يقول: "إن غياب الانضباط اللغوي في البيئات الافتراضية، واعتياد العقل العربي على الاختزال والتسطيح اللفظي، يؤدي حتماً إلى فوضى مفهومية؛ فاللغة هي وعاء الفكر، وإذا ترهلت اللغة واستحالت إلى شظايا رقمية، ترهل الوعي واختلت منظومة القيم المعرفية للمجتمع."

إن هذا الصراع بين ما هو "راسخ لغوياً" وبين ما هو "زائل رقمياً" يذكرنا بآية التشبيه القرآني البليغة التي تفصل بين الجوهر والزبد في قوله تعالى: (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ) (سورة الرعد: 17). فالمتحول الرقمي بضجيجه الهجين ليس إلا "الزبد" الذي يعلو سطح التداول اللغوي اليومي، يزول بزوال "الترند" أو الموضة الرقمية، بينما تظل الفصحى هي "الجوهر الذي يمكث"كوعاء للقيم والمعرفة. غير أن المخاطرة تكمن في إحلال "الشفاهية الثانوية" محل "المنطق القرائي"، كما يوضح والتر أونج " :(Ong, 1982, p. 134)إن تكنولوجيا الاتصال الحديثة تدفع بالبشرية نحو نمط من المشافهة الجديدة تضعف معها القدرة على التفكير الخطي والنقدي الذي رسخته ثقافة الكتابة المطبوعة."

وبناءً على ما تقدم، يخلص الباحث إلى أن نظرية التلقي الأدبية، التي استقرت لقرون كفعل إنساني واعٍ، قد تعرضت لعملية "اغتيال برمجي" في الفضاء الرقمي. فالمتلقي العربي اليوم يرزح تحت وطأة "التلقي القسري المشروط"؛ حيث لا تمنحه الخوارزمية نصوصاً تنمي وعيه، بل تقدم له "المحفزات السريعة" التي تبقيه أسيراً للشاشة، محولةً اللغة من أداة تحرر فكري إلى أداة ارتهان تقني صامت.

وبعد تفكيك الجدلية الفلسفية وتأصيل فكرة 'خوارزميات التلقي'، ننتقل في **المبحث الثاني** إلى محطة التشخيص الميداني؛ حيث سنرصد واقع اللغة العربية في البيئات الافتراضية، ونحلل ظواهر 'الهجنة التداولية' ومدى تأثيرها على الأسلوب اللغوي للمجتمع العربي في سياق الممارسة اليومية.

المبحث الثاني: تمثّلات اللغة العربية في البيئات الافتراضية (دراسة سوسيولغوية):

المطلب الأول: هندسة المحتوى العربي وسياسات محركات البحث:

يركز هذا المطلب على دراسة "التمثلات اللغوية (Linguistic Representations) "في الفضاء الرقمي، وهي الكيفية التي تتجسد بها اللغة العربية داخل الأنظمة البرمجية ونماذج اللغات الضخمة. إن الإشكالية السوسيولغوية هنا تكمن في أن بنية الخوارزميات التي تدير محركات البحث والذكاء الاصطناعي قد صُممت وفق المنطق الصرفي والتركيبي للغات الهندوأوروبية؛ مما جعل العربية تواجه صعوبات في المعالجة الآلية (NLP) بسبب طبيعتها الاشتقاقية الغنية وتعدد مستويات دلالتها التي تتجاوز النظم الخطية الجامدة.

وقد أدى هذا القصور التقني إلى فرض سياسات "هندسة محتوى" تدعم التراكيب العربية المبسطة أو المترجمة آلياً، والتي كثيراً ما تخضع لتراكيب هجينة لا تمت للعربية بصلة. هذا التشويه لا يقتصر على الشكل، بل يؤدي إلى "تسطيح المعرفة الرقمية"، إذ تعيد الخوارزميات تدوير المحتوى السطحي الأكثر توافقاً مع معاييرها البرمجية، مما يعيق بناء وعي مجتمعي رصين. إن هذا التهميش البرمجي لا ينبع بالضرورة من قصورٍ في العربية ذاتها، بل هو انعكاس لـ "الهيمنة التقنية" التي جعلت من اللغات الأكثر انتشاراً (الإنجليزية) معياراً قياسياً (Standard) لكل لغات العالم. وبذلك، تتحول البنية الرقمية إلى أداة لفرض النمط المعرفي الغربي، مما يضع العربية في تحدٍ وجودي يفرض عليها إما "التكيّف" مع قوالب الخوارزمية (الركاكة) أو "العزلة" خارج نطاق الرؤية الرقمية.

وفي هذا السياق، يشير نبيل علي (علي، 2005، ص 234) إلى أبعاد هذا التهميش قائلاً: "إن محركات البحث الكبرى تمارس نوعاً من 'التهميش البرمجي' للغات غير اللاتينية. فاللغة العربية تُهندَس رقمياً لتكون لغة مستهلكة لا لغة منتجة للمعرفة. هذا التشويه في تمثيل اللغة آلياً يحرم الباحث العربي من الوصول إلى وعي معرفي متكامل، ويجعل الفضاء الرقمي العربي بيئة تابعة لغوياً ومفاهيمياً."

ويؤكد عالم الاجتماع الرقمي ليف مانوفيتش (Manovich, 2001, p. 76) أن السلطة الثقافية اليوم قد انتقلت من المؤسسات التقليدية إلى "الأكواد": "لم تعد القوانين الثقافية تُكتب في الدساتير وحدها، بل أصبحت تُشفر داخل الأكواد البرمجية ومحركات البحث. إن طريقة تصنيف الخوارزميات للغات وتفضيلها لبعض التراكيب تبني وعي الشعوب وتحدد طبيعة المواد المعرفية التي يسمح لها بالظهور والانتشار."

إن أخطر ما في هذه السياسات هو "خوارزميات الترتيب (Ranking Algorithms) "التي تفرض معايير الـ(SEO) ؛ فهي لا تحتكم إلى البلاغة أو العمق المعرفي، بل إلى "التكرار الكمي" للكلمات المفتاحية. هذا يضع الكاتب العربي في مواجهة "استعباد الخوارزمية"، حيث يُجبر على تبني أسلوب كتابي ضعيف، مكرر، ومبتذل لضمان الظهور. إننا هنا أمام ما يمكن تسميته "التزييف المعرفي"، حيث يتوهم المستخدم العربي أن النتائج الأولى في محركات البحث هي الأكثر صحة ورصانة، بينما هي في الواقع الأكثر خضوعاً لشروط الميكانيكا البرمجية.

وفي إشارة دالة على هذا الانقياد، يذكر القرآن الكريم حال من يتبع الظن والتمويه في قوله تعالى: (وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ) (سورة ص: 26)؛ ويمكن استحضار هذا المعنى في سياق "اتباع هوى الخوارزمية" التي تضل المتلقي عن "سبيل المعرفة الرصينة" عبر تزيين السطحي وتقديم المكرر، مما يجعل الوعي العربي رهين "هوى البرمجة" لا هدى الحقيقة.

المطلب الثاني: التداولية الرقمية: شيوع الهجنة اللغوية وأثرها في البناء المعرفي للمجتمع:

تُعد "التداولية الرقمية (Digital Pragmatics) "الحقل المعرفي الأبرز لرصد تحولات الاستخدام اللغوي في الفضاء الافتراضي. ففي هذا الوسط، لم تعد اللغة مجرد وعاء للمعنى، بل أضحت "وسيطاً تفاعلياً" محكوماً بالسرعة والآنية. وتتجلى هذه التداولية في ظاهرة "الهجنة اللغوية (Linguistic Hybridity)" و"التناوب اللغوي(Code-switching) "، حيث يمزج المتحدث العربي بين مستويات لغوية متباعدة (فصحى، عامية، وألفاظ تقنية معربة). إن هذه الهجنة، التي تروج لها الخوارزميات لرفع معدلات التفاعل السريع، ليست ظاهرة لسانية بريئة، بل أداة لتفكيك الرابط الرمزي الموحد للأمة

العربية؛ فالفصحى، بصفتها الهوية الجامعة، تتشظى أمام تيار العاميات الرقمية، مما يفرز وعياً مجتمعياً مفتتاً يفتقر للقدرة على التفكير النقدي المنظم.

وفي هذا السياق، يشير عبد السلام المسدي (المسدي، 2013، ص 118) إلى خطورة هذا الانحراف التداولي: "إن السيولة اللغوية والهجنة التداولية التي تروج لها وسائل التواصل الرقمي ليست ظاهرة لسانية بريئة، بل هي أداة لتفكيك الوعي القومي. عندما يفقد المجتمع لغته الموحدة الفصحى في فضاء تواصله اليومي، يتشظى وعيه الفكري وتتحول الهوية الجامعة إلى هويات فرعية منغلقة، مما يجعله مجتمعاً هشاً أمام التدفقات الثقافية الخارجية".

هذا التحول يتقاطع مع أطروحة زيجمونت بومان (Bauman, 2006, p. 93) حول "الحداثة السائلة": "في العصر الرقمي، تذوب كل البنى الصلبة والمستقرة، بما في ذلك اللغات القومية الكبرى والأنماط الثقافية الرصينة، لتفرز مكاناً لروابط وصيغ سائلة، سريعة العطب والتغير، مما يحرم الإنسان المعاصر من ركائز الهوية والاستقرار المعرفي."

الهندسة العكسية للوعي عبر الذكاء الاصطناعي التوليدي:

لقد انتقلت السلطة التقنية من "فلترة المحتوى" إلى "إنتاجه" عبر نماذج اللغة الضخمة (Generative AI.)وهنا تكمن إشكالية "التزييف اللغوي العميق"، حيث تولّد الآلة نصوصاً عربية ظاهرها الفصاحة، ولكن باطنها يحمل "سموماً مفاهيمية" تستند إلى المركزية الغربية. هذا يفرز ما يمكن تسميته "الهلوسة اللغوية الرقمية"، إذ تُعاد صياغة السرديات التاريخية والقومية وفق منطق خوارزمي أصم. تحذر شوشانا زوبوف (Zuboff, 2019, p. 312) من هذا الاستلاب قائلة: "إن الذكاء الاصطناعي التوليدي يمارس تعديلاً سلوكياً ومفهومياً مباشراً على البشر. إن خطر الآلة لا يكمن في أنها تفكر مثلنا، بل في أننا ننجر تدريجياً لنتحدث ونفكر بالمنطق والمعايير السطحية التي تولدها لنا هذه الآلات". ويضيف نوام تشومسكي (Chomsky, 2023, p. 14) واصفاً هذا التزييف: "إن برمجيات التوليد اللغوي الآلي هي محركات للسرقة الأدبية الفائقة، تدمج ملايين النصوص دون وعي حقيقي بالمعنى أو المسؤولية الأخلاقية. إنها تقدم وعياً زائفاً، مبرمجاً مسبقاً، يهدد قدرة المجتمعات على التفكير النقدي المستقل."

سلطة المصحح الآلي (Auto-Correct) وتنميط الأسلوب:

تفرض خوارزميات التنبؤ النصي نوعاً من "التنميط الأسلوبي القسري (Stylistic Conformity)"؛ فالمصحح الذكي يميل دائماً لترجيح الألفاظ الأكثر شيوعاً على حساب الفصحى، مما يدفع المستخدم نحو "العجز اللغوي المكتسب". يوضح توماس كينيلاند (Kenniland, 2018, p. 114) هذه الهيمنة قائلاً: "إن خوارزميات التصحيح والتنبؤ الآلي لا تحسن الكتابة، بل تحيد الفروق الفردية بين الأساليب البشرية، وتجبر الجميع على التحدث بمعجم الآلة الضيق، مما يُفقد اللغة تنوعها ومجازها البلاغي، ويصنع وعياً جمعياً موحداً ومسطحاً."

وبناءً على ما تقدم، يخلص الباحث إلى أن الفضاء الرقمي يمارس "ديكتاتورية برمجية ناعمة" على اللسان العربي. فبين مطرقة الـ (SEO) التي تسطّح العبارات، وسندان خوارزميات الترند التي تكافئ الهجنة والابتذال اللفظي، يتم اختطاف الوعي المجتمعي العربي وتجريده من أدوات تفكيره العميق. إن ما يظهر على الشاشات ليس لغة المجتمع الطبيعية، بل هي "اللغة التي تفرضها الشركات الاحتكارية" لإبقاء العقل العربي في حالة تخدير معرفي، مما يجعل من تفتيت الفصحى إلى شظايا عامية داخل هذه البيئات الافتراضية تفتيتاً ممنهجاً للبنية المعرفية للمجتمع العربي.

وبعد تشخيص ملامح الهجنة اللغوية وتأثيرات السيو اللغوي (SEO Linguistics) في المبحث السابق، يخلص البحث في **المبحث الثالث** إلى طرح الرؤية الاستشرافية، حيث سننتقل من مرحلة التشخيص إلى تقديم الاستراتيجيات البرمجية والحاسوبية الكفيلة بتحقيق السيادة اللغوية والأمن الثقافي الرقمي".

المبحث الثالث: تحديات الهوية واستراتيجيات صناعة الوعي البديل:

المطلب الأول: الاستلاب الثقافي ومخاطر تفكيك الهوية عبر اللغة الرقمية:

يتناول هذا المطلب أبعاداً فلسفية وأمنية بالغة الحساسية، متمثلة في "الاستلاب الثقافي (Cultural Alienation) والإمبريالية اللغوية الرقمية (Digital Linguistic Imperialism)" إن حالة الاغتراب التي يعانيها المستخدم العربي ليست مجرد رد فعل اجتماعي، بل هي نتيجة لعمليات "برمجة للوعي" يتم فيها تشكيل المنظومة القيمية للفرد بواسطة مضامين مفاهيمية غريبة،

مغلفة بجاذبية تقنية تفرضها الخوارزميات. فالفضاء الرقمي ليس فضاءً محايداً، بل هو مختبر أيديولوجي تُصاغ فيه سرديات المركزية الغربية وتُفرض عبر "أكواد" تتحكم في اتجاهات المتلقي. إن هذا التفكيك الممنهج للهوية يؤدي إلى استبدال الوعي الوطني والقومي بوعيٍ معولمٍ مستلب، يتسم بالهشاشة أمام قضاياه المصيرية.

وفي فكّهِ لهذه التبعية الفكرية، يرسخ طه عبد الرحمن (عبد الرحمن، 2006، ص 105) قاعدة فلسفية مفصلية، قائلاً: "إن التلقي السلبي للمفاهيم والمصطلحات دون غربلتها لسانياً وفلسفياً هو استلاب حتمي للذات. فاللغة ليست مجرد أداة للتفاهم، بل هي محدد للنظر الفلسفي والوجودي. وعندما تستسلم الأمة للغة ومفاهيم تُصنع لها في غرف البرمجة الخارجية، فإنها تسلّم وعيها وعقلها المجتمعي لغيرها، وتدخل في طور الموت الحضاري". ويتوافق هذا مع رؤية إريك سادان (Sadon, 2019, p. 162) للقبضة التكنولوجية على الوعي: "إن الأنظمة الرقمية الحديثة والذكاء الاصطناعي لم تعد تكتفي بتقديم الخدمات، بل أصبحت تعمل كموجّه سيكولوجي ومعرفي يملي على البشر كيف يفكرون وماذا يختارون عبر خوارزميات لغوية ناعمة ومستمرة، مما يهدد الخصوصيات الثقافية للشعوب ويصهرها في قالب الوعي الرقمي الموحد."

إن الخطر الحقيقي يكمن في نماذج اللغات الكبيرة (LLMs) المهيمنة؛ فهي حين تُساءل باللغة العربية عن قضايا الهوية والتاريخ، لا تستدعي "الذاكرة العربية" في أمهات كتبها، بل تقوم بعملية "توليد عكسي" للرؤية الغربية المصاغة حولنا. فالآلة تقدم نصاً عربياً فصيحاً بليغاً في ظاهره، لكنه يحمل في باطنه "سموماً مفاهيمية" تنزع عن القضايا العربية سياقها التاريخي والوجودي.

إن هذا "الذكاء الاصطناعي التوليدي" يمثل أداة استعمار لغوي من الدرجة الأولى؛ إذ يعيد صياغة عقولنا بلساننا الفصيح نفسه. فعندما يطلب الباحث العربي ملخصاً تاريخياً من هذه النماذج، فإنه يحصل على سردية "مؤدلجة" مغلفة بوقار اللغة، مما يمنحها سلطة "الحقيقة الحيادية" في عين المتلقي، وهذا هو جوهر "الاستلاب الرقمي" الذي يجعلنا نرى ذواتنا عبر عدساتٍ برمجيةٍ لا تعرف مآلاتنا ولا تقرُّ بخصوصيتنا.

المطلب الثاني: نحو هندسة خوارزمية واعية: آليات السيادة الرقمية للأمن اللغوي العربي:

يمثل هذا المطلب الذروة الاستشرافية للبحث، إذ ينتقل بنا من توصيف "الاستلاب" إلى طرح استراتيجيات "التمكين". إننا نقف اليوم أمام مفهومٍ حيويّ هو "الأمن اللغوي القومي"

(National Linguistic Security)؛ وهو قدرة الأمة على امتلاك أدوات لغتها رقمياً وتطويرها لتكون فاعلاً في صياغة الفضاء السيبراني، لا مجرد مستهلك تابع. إن حماية الوعي المجتمعي العربي لم تعد ممكنة بالوسائل التقليدية، بل تقتضي "مواجهة التكنولوجيا بالتكنولوجيا"، والتحول من موقع "المستهلك الرقمي" إلى "الصانع البرمجي". وتتمثل آليات هذه السيادة في ثلاثة مسارات إجرائية:

1. **بناء نماذج لغات كبيرة (Arabic LLMs) سيادية** :تُغذى بالمتون التراثية والعلمية العربية الرصينة، لتنافس النماذج الغربية المشوهة بالمركزية الثقافية.
2. **تطوير خوارزميات توجيه واعية** :تدعم المحتوى العربي المتميز وتضعه في صدارة نتائج البحث.
3. **دسترة الحوسبة العربية** :إلزام الشركات العالمية المبرمجة للذكاء الاصطناعي في المنطقة العربية بالخضوع لـ "الهندسة الأخلاقية للغة" المنبثقة من المجامع العلمية العربية.

في هذا الصدد، يشدد علي جاب الله (جاب الله، 2019، ص 248) على جوهر المواجهة الرقمية قائلاً: "إن السيادة الثقافية للأمم في القرن الحادي والعشرين مرهونة بمدى تمكنها من لغتها حاسوبياً وبرمجياً. إن الأمن اللغوي العربي يمر حتماً عبر 'التمكين الخوارزمي'، أي بامتلاكنا للأكواد البرمجية التي تقرر وتتحكم بما يقرأه ويسمعه المتلقي العربي، لترويض الآلة من أجل خدمة الوعي الجمعي والهوية العربية الأصيلة". ويتقاطع هذا مع الرؤية الاستراتيجية التي طرحها بيل غيتس (Gates, 1996, p. 34) حين أدرك مبكراً أن السلطة ليست للمحتوى وحده، بل لمن يمتلك المنصات: "إن المحتوى هو الملك الفعلي في الفضاء الإلكتروني، ولكن السيادة المطلقة ليست لمن يكتب المحتوى فقط، بل لمن يمتلك الخوارزميات والمنصات الذكية التي تهندس وتوزع هذا المحتوى وتفرضه على وعي المستخدمين عبر العالم."

إن الأمة التي تغفل عن هذه الحقيقة تُعرّض وجودها الثقافي للزوال، كما يحذر المهدي المنجرة (المنجرة، 2003، ص 142) :إن الأمة التي تستهلك تكنولوجيا الاتصال دون أن تشترط فرض خصوصيتها الثقافية واللغوية على تلك التكنولوجيا، هي أمة توقع على وثيقة استلابها الاختياري، وتتحول من فاعل حضاري إلى مجرد رقم في معادلات الربح للشركات العابرة للقارات."

خلاصة استشرافية:

إن الدفاع عن الهوية في عصر الذكاء الاصطناعي التوليدي هو "أمن قومي معرفي". والحل لا يكمن في فقه "الارتداد والدفاع"، بل في فقه "الهجوم والتمكين". إننا بحاجة إلى هندسة خوارزميات تمتلك "العقل العربي واللسان الفصيح"؛ فإذا لم نقم بشحن الآلة بقيمنا ومفاهيمنا، ستستمر في صياغة وعينا بقيم غيرنا، لتصبح الفصحى مجرد قناعٍ لغوي لهويةٍ مستلبة. إن السيادة الرقمية اللغوية اليوم هي الخط الدفاعي الأول عن وجودنا الحضاري في عالمٍ تُصاغ فيه العقول بأكوادٍ برمجيةٍ صامتة.

الخاتمة:

يخلص هذا البحث إلى أن معركة حماية الهوية العربية وصناعة الوعي المجتمعي قد انتقلت كلياً من خلفيات الفصول الدراسية والمنابر التقليدية إلى خلفيات الأكواد البرمجية ومصانع الخوارزميات. لقد أثبتت الدراسة أن التكنولوجيا المعاصرة –عبر ميكانيكا السيو اللغوي، وتنميط المصححات الآلية، والانحياز المعرفي للذكاء الاصطناعي التوليدي– لم تعد تكتفي بنقل الكلمات، بل أصبحت تعيد هندسة الأسلوب والعقل العربي بآليات هندسية عكسية ناعمة وخفية، تذيب الثوابت الهوياتية وتحل محلها سيولة معرفية مستلبة.

أهم النتائج: تأسيساً على ما جرى عرضه وتحليله، نوجز أهم النتائج في النقاط التالية:

1. **إيديولوجيا التقنية** :ثبت أن خوارزميات الذكاء الاصطناعي التوليدي ليست أدوات محايدة، بل هي قوالب أيديولوجية تعيد هندسة الوعي من خلال "التنميط اللغوي" وتقليص مساحات التأويل البشري الحر، مما يحول فعل التلقي اللغوي الرقمي إلى سلوك موجّه يعزل المتلقي في "فقاعات تصفية" مغلقة.
2. **تآكل الهوية** :إن الهجنة اللغوية المفروضة تقنياً ليست ظاهرة تطور طبيعي، بل هي نتيجة "هندسة عكسية" تهدف لإضعاف رصانة الفصحى، مدعومة بممارسات "السيو اللغوي" التي تفرض استعباداً برمجياً يُقدّم الأكواد على الجودة اللغوية.
3. **العجز اللغوي المكتسب** :تفرض خوارزميات التنبؤ النصي تنميطاً أسلوبياً قسرياً يؤدي إلى تآكل الثروة المعجمية للمستخدم، بالتزامن مع "انحياز معرفي" تمارسه نماذج اللغات الكبرى الغربية التي تفرض سردياتها تحت ستار الرصانة اللغوية (الهلوسة اللغوية الرقمية).

4. **اختلال رأس المال اللغوي** :شهدنا قلباً جذرياً في البيئة الافتراضية؛ حيث أصبحت المنصات تكافئ الألفاظ الهجينة وتمنحها سلطة الانتشار على حساب اللفظ الفصيح.

التوصيات: بناءً على ما تقدم، يوصي الباحث بتبني رؤية تكاملية تستهدف الانتقال من دور "المستهلك للبرمجيات" إلى دور "الصانع والمطور:"

1. **التأسيس لمرصد الأمن اللغوي الرقمي** :إنشاء هيئة متخصصة لتتبع ظواهر التزييف المعرفي، ورصد "الهلوسة الرقمية" الموجهة، وحماية المحتوى السيادي العربي.
2. **دسترة الحوسبة العربية** :الانتقال نحو "التخطيط اللغوي البرمجي" عبر إلزام الشركات التقنية العالمية بمواءمة أنظمتها التوليدية مع المحددات الثقافية والقيمية التي تقرها المجامع اللغوية العربية.
3. **تحقيق الاستقلال التقني المعرفي** :دعم الحكومات العربية لبناء نماذج لغات كبرى (LLMs) وطنية سيادية، تعتمد على التراث العربي وأمهات الكتب كقاعدة بيانات أساسية لتغذية الآلة.
4. **تطوير البيئة الأكاديمية** :اعتماد مساق "اللسانيات الحاسوبية والرقمية" متطلباً إجبارياً في كليات اللغة العربية، لجسد الفجوة بين اللغويين والتقنيين.

وختاماً، فإن مستقبل اللغة العربية في العصر الرقمي مرهون بقدرتنا على تحويل الأمن اللغوي إلى سياسة وطنية عليا تتجاوز الأطر الإنشائية إلى الأطر الاستراتيجية التطبيقية، لإعادة الاعتبار للسان العربي وجعله لغةً منتجةً للمعرفة، لا مادة خاماً تُستهلك داخل خوارزميات المركزية الغربية.

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

أولاً: المصادر والمراجع العربية:

1. المتنبي، أبو الطيب .(1983) ديوان المتنبي، شرح البرقوقي، بيروت: دار الكتاب العربي.
2. جاب الله، علي .(2019) التخطيط اللغوي والأمن الثقافي في العصر الرقمي، القاهرة: دار غريب للنشر والتوزيع.
3. طه عبد الرحمن .(2006) روح الحداثة: المدخل إلى تأسيس الحداثة الإسلامية، بيروت: المركز الثقافي العربي.

4. علي، نبيل .(2001) الذكاء الاصطناعي واللغة العربية: نحو انطلاقة لغوية حضارية، القاهرة: دار الغريب.
5. علي، نبيل .(2005) الفجوة الرقمية: رؤية عربية لمجتمع المعرفة، الكويت: سلسلة عالم المعرفة (العدد 318).
6. المسدي، عبد السلام .(2009) اللسانيات والسياسة: صراع الهوية واللغة في الفكر العربي، بيروت: دار الكتاب الجديد.
7. المسدي، عبد السلام .(2013) العرب واللغة: الهوية في مهب التحولات، بيروت: دار الكتاب الجديد المتحدة.
8. المنجرة، المهدي .(2003) العولمة والعولمة البديلة: عولمة العولمة، الرباط: منشورات الزاوية.

ثانياً: المصادر والمراجع الأجنبية:

1. **Bauman, Zygmunt** (2000). Liquid Modernity. Cambridge: Polity Press.
2. **Bourdieu, Pierre** (1991). Language and Symbolic Power. Cambridge: Harvard University Press.
3. **Chomsky, Noam** (2023). "The False Promise of ChatGPT". The New York Times.
4. **Crystal, David** (2006). Language and the Internet. Cambridge: Cambridge University Press.
5. **Gates, Bill** (1996). "Content is King". Microsoft Media Strategy Essay.
6. **Kenniland, Thomas** (2018). Applied Linguistics and the Age of Predictive Text. Oxford: Oxford University Press.
7. **Manovich, Lev** (2001). The Language of New Media. Cambridge: MIT Press.
8. **Ong, Walter** (1982). Orality and Literacy: The Technologizing of the Word. London: Routledge.
9. **Pariser, Eli** (2011). The Filter Bubble: What the Internet Is Hiding from You. New York: Penguin Books.
10. **Sadon, Eric** (2019). L'ère de l'intelligence artificielle: Pour une humanité radicale. Paris: Grasset.
11. **Zuboff, Shoshana** (2019). The Age of Surveillance Capitalism: The Fight for a Human Future at the New Frontier of Power. London: Profile Books.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-2026/07/11

Employing the UTAUT theory of artificial intelligence in media work

Dr. Moussa Aissa [1]
Mouloud Mammeri University (Algeria)
Aissamoussa90@gmail.com
Dr. Dounia Khemnou [2]
Mouloud Mammeri University (Algeria)
dounia.khemnou@ummto.dz

Abstract:

The study seeks to identify the trends of communicators towards adopting and using AI technologies, and the impact of this on the reality of media practices, and to attempt to extrapolate the future of using AI tools in the field of media work, by employing the unified theory of acceptance and use of information technology "UTAUT" meaning unified theory of acceptance and use of technology. The study relied on the descriptive approach to describe the subject of artificial intelligence and its role in the field of media work. It concluded in the end that the media work sector benefits from the application of artificial intelligence technologies. These technologies have also contributed to adopting quality standards that allow them to establish a system that achieves goals, and they have the ability to enhance the media environment, journalism results, and journalists' experiences.

Keywords: Artificial intelligence; media work; UTAUT theory; journalism.

توظيف نظرية UTAUT للذكاء الاصطناعي في العمل الإعلامي

د. موسى عيسى[1]
جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)
Aissamoussa90@gmail.com
د. دنيا خمنو [2]
جامعة مولود معمري تيزي وزو (الجزائر)
dounia.khemnou@ummto.dz

ملخص:

تسعي الدراسة إلى التعرف على اتجاهات القائمين بالاتصال نحو تبني واستخدام تقنيات الذّكاء الإصطناعي AI، وتأثير ذالك على واقع الممارسات الإعلامية ومحاولة استقراء مستقبل استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في مجال العمل الإعلامي، وذالك من خلال توظيف النظرية الموحدة لقبول واستخدام تكنولوجيا المعلومات " UTAUT " بمعنى unified theory of acceptance and use of technology.

واعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي، لوصف موضوع الذكاء الإصطناعي ودوره في مجال العمل الإعلامي، وتوصلت في الأخير إن قطاع العمل الإعلامي يستفيد من تطبيق تقنيات الذكاء الاصطناعي، كما ساهمت هذه التقنيات في تبني معايير الجودة التي تسمح لها بوضع نظام يحقق الأهداف، ولديها القدرة على تعزيز البيئة الإعلامية ونتائج الصحافة وخبرات الصحفيين.

الكلمات المفتاحية: الذكاء الاصطناعي؛ العمل الإعلامي ؛ نظرية UTAUT؛ الصحافة.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعروة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مقدمة:

إذا في ظل انتقال العالم عبر مرحلة جديدة من التطور إثر التغيرات المتسارعة التي تعصف بالأنظمة الإقتصادية والسياسية والإجتماعية، فإن هذا العالم يقف على أعتاب ثورة صناعية رابعة، لا يقتصر أثرها على تغيير شكل الصناعات وطرق الإنتاج وأداء المهن والوظائف، بل يمتد إلى المنظور المعرفي للبشر تجاه المتطلبات الحياتية والإنسانية بصورة عامة.

فالذكاء الإصطناعي يمثل أهم مخرجات الثورة الصناعية الرابعة نظرا لتعدد استخداماته في المجالات الفكرية والصناعية والخدمية والتقنية والتطبيقات الطبية والتعليمية، ويتوقع أن المرحلة المقبلة ستزداد فيها نسبة الإعتماد على الذكاء الإصطناعي خاصة مع التطورات التي يشهدها هذا المجال بشكل متسارع وما يشهده العالم من تحولات في ظل الثورة الصناعية الرابعة سيكون الذكاء الإصطناعي محرك التقدم والنمو خلال السنوات القليلة القادمة، حيث بإمكانه مع ما سيتتبع من إبتكارات تؤسس لعالم جديد.

ولقد أدى التطور السريع للذكاء الإصطناعي إلي تغيير أنماط وأساليب الإنتاج الإعلامي في جميع المؤسسات الإعلامية على مستوى العالم، بالنظر لما أضافته تطبيقاته وأدواته الذكية في تعزيز كفاءة ودقة إبداع المؤسسات الإعلامية في استكشاف قدرات تطبيقات الذّكاء الإصطناعي في تحسين جودة المحتوى الإعلامي، ووصل الأمر حليا لوجود دراسات تتناقش ما يعرف بصحافة الجيل السابع G7 journalism.

وبالرغم من أن تطبيقات الذكاء الاصطناعي يساعد في تبسيط المهام مثل : صناعة المحتوى، التحقق من صحة المعلومات والأخبار، تقترح أساليب وإستراتيجيات لاستهداف الجمهور ومستخدمي المواقع الإلكترونية، إلا أنه قد يثير أيضا مخاوف بشأن المهن الإعلامية، والاعتماد المفرط على الأتمتة ، وخطر المعلومات المزيفة والمضللة.

ولقد حرصت العديد من المؤسسات الإعلامية الدولية مثل وكالة Reutersو صحيفة the new York time, Washington post, le monde… Etc على استخدام تقنيات الذكاء الإصطناعي سواء في تغطيات صحفية قامت بها روبوتات أو إعتمادا على تقنيات الذّكاء الإصطناعي في إعداد بعض التقارير الصحفية.

في ظل توقعات ان تشهد صحافة الذّكاء الإصطناعي تطورات كبيرة خاصة في ظل ما يسمى بالثورة الصناعية الرابعة والتي من المتوقع أن تتيح تقنيات جديدة لوسائل الإعلام مثل الذكاء الإصطناعي المعزز، انترنت الأشياء، إلى جانب توظيف الروبوتات في عدد من المجالات ومن بينها العمل الإعلامي، والتي سوف يكون لها تأثير كبيرا في صناعة الإعلام خلال السنوات القليلة القادمة.

وذلك في إطار النظرية الموحدة لقبول واستخدام والتكنولوجيا UTAUT والتي تشير إلى أن قبول الأفراد للتكنولوجيا قد يتوقف على مجموعة من العوامل يأتي في مقدمتها المنافع المتوقعة perceived usefulness وسهولة الاستخدام perceived ease of use بالإضافة إلى تأثير بعض المتغيرات الخارجية مثل :التدريب و خصائص النظام والتأثيرات الاجتماعية خاصة فيما يتعلق بأهمية استخدام التكنولوجيا بالنسبة للآخرين في المجتمع، مثل الرؤساء والزملاء في العمل والجمهور، كذالك فإن عوامل أخرى مثل البنية التحتية والتقنية من حواسيب وشبكات وأجهزة رقمية وانترنت تعد أيضا من العوامل المؤثرة على تبني التكنولوجيا.

ومما سبق ذكره، تسعى الدراسة الحالية إلى الإجابة على الإشكالية التالية: ما هي سبل توظيف نظرية UTAUT للذكاء الإصطناعي في العمل الإعلامي؟

ويتفرع عن هذا السؤال الرئيسي الأسئلة التالية :

- كيف نوظف تطبيقات الذّكاء الإصطناعي في مؤسسات العمل الإعلامي؟
- ما الأسس النظرية لتوظيف نظرية UTAUT لتطبيقات AI الذّكاء الإصطناعي في العمل الإعلامي؟
- ما ملامح الاستفادة من تطبيقات AI في العمل الإعلامي؟

- **أهمية الدراسة:**

تتمثل أهمية الدراسة في أهمية الموضوع الذي تناوله، وهو الذكاء الإصطناعي كمفهوم جديد في ظل التحولات والتطورات التي شهدها العالم في مرحلة الإنتقال إلى العمل الإعلامي الرقمي والإلكتروني بعيدا عن التعاملات التقليدية.

تقدم الدراسة إطار نظريا يركز على التعريف بالعمل الإعلامي في عصر الذكاء الإصطناعي باعتباره احد الأنماط الصحفية التي جاءت استجابة للتطورات التقنية الحديثة ومواكبتها، بالإضافة إلى تناول ظهورها ونشأتها وابرز مميزاتها و المعوقات التي تواجهها والتوجهات المستقبلية نحو استخدام الذكاء الإصطناعي في العمل الإعلامي، بالإضافة إلى التعرف على نظرية UTAUT النظرية الموحدة لقبول واستخدام التكنولوجيا.

تمثلت أهمية الدراسة في كونها تدرس موضعا من المواضيع المتجددة و المهمة بالنسبة لقطاع الإعلام ،وهو تطبيقات الذكاء الإصطناعي في العمل الإعلامي، حيث تقديم الخدمات الإعلامية بشكل إلكتروني، وتحديد كيفية تفاعل مستقبل العمل الإعلامي مع الذكاء الاصطناعي، لذا ننتظر أن تكون هذه الدراسة إضافة للإنتاج الفكري في موضوع تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مؤسسات الإعلام ،كما تتضح أهميتها في :

- قد تساهم هذه الدراسة في إبراز دور تطبيقات الذكاء الإصطناعي في مؤسسات العمل الإعلامي،
- قد تقدم هذه الدراسة مقترحات لتعزيز استخدام تطبيقات الذكاء الإصطناعي في مؤسسات الإعلامية .

- **أهداف الدراسة:**

تحددت هذه الأهداف فيما يلي :

- التعرف على الأسس النظرية لتطبيقات الذّكاء الإصطناعي في العمل الإعلامي،
- استشراف مستقبل استخدام تقنيات الذّكاء الإصطناعي في العمل وتأثيراتها الإيجابية والسلبية المحتملة،
- توضيح ملامح الاستفادة من تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مجال العمل الإعلامي.

- **منهجية الدراسة:**

في هذه الدراسة تم الإعتماد على المنهج الوصفي لملأمته لطبيعة الدراسة، وتحقيق أهدافها والإجابة عن تساؤلاتها، عن طريق عرض ما تناولته بعض الدراسات والكتابات المتخصصة في هذا المجال والتعبير

عنها، بهدف الوصول إلى المعلومات و الأفكار التي تلتقي بتطبيقات قائمة، أو قد نجد لها قواعد في الميدان ،على مستوى مؤسسات العمل الإعلامي، إضافة إلى وضع المرغوب من الآراء و الاستنتاجات ذات الصلة .

أولا: مدخل مفاهيم للذكاء الاصطناعي في مؤسسات التعليم العالي:

1. الذكاء الاصطناعي artificial intelligence

تعددت المفاهيم حول مصطلح الذكاء الإصطناعي artificial intelligence Ai ولكن يميل الباحثون الي التركيز على الآلات التي تستطيع تقليد أو محاكاة بعض وظائف الذّكاء البشري، ومنها مثلا بعض سمات الإنسان كالإدراك والتعلم و التفكير المنطقي وحل المسائل الحسابية او حل المشكلات، وكذالك التواصل أو التفاعل اللغوي ،وحتى القدرة على إنتاج عمل إبداعي.

يعد مصطلح الذكاء الإصطناعي شكل من أشكال الحوسبة الذكية من حيث انها تعتمد على برامج الحاسب الآلي يمكن لها أن تفكر وتتعلم وتتصرف وتتكيف مثل الإنسان ، ويشير مصطلح الذّكاء الإصطناعي إلى الأنظمة والأجهزة التي تحاكي الذّكاء البشري لأداء المهام والتي يمكنها ان تحسن من نفسها إستنادا إلى المعلومات التي تجمعها. (Karl manhein and all, 2019, p113)

ويمك القول ان الذكاء الاصطناعي يتجاوز الآن الكثير من قدرات الإنسان بسبب الحجم الهائل لعدد الحسابات المتنوعة التي يمكن القيام بها، والقرارات المعقدة التي يمكن اتخاذها بسرعة لا تصدق، واشتقاق معرفة جديدة واكتشاف الاتجاهات من بين كميات هائلة من البيانات، وعلى الرغم من ذالك يتمثل التعريف الأساسي للذكاء الإصطناعي في تحقيق هدف أساسي، وهو تقليد السلوك البشري بمهارة. (Mohammed. P. S, 2019, p19)

يعرف الذّكاء بأنه تطوير أجهزة ونظم حاسوبية وتقنيات البرمجة المتطورة ، والتي تتسم بثلاثة سمات رئيسية، وهي التعرف الذكي intelligent recognition والتواصل الذكي intelligent communication والمحاكاة الذكية intelligent simulation كما أنها قادرة على الإدراك للتوصل الاستنتاجات. (عيسى عبد الباقي، 2020، ص15)

كما يعرف قاموس Oxford الذّكاء الإصطناعي بأنه تطوير أنظمة الحاسب الآلي القادرة على أداء المهم التي تتطلب الذكاء البشري مثل: الإدراك البصري، التعرف على الكلام، صنع القرار، الترجمة.

يُمكن تعريف الذّكاء الإصطناعي على انه احد اهم العلوم الحديثة التي نتجت بسبب إلتقاء بين الثورةالرابعة مجال علم النظم والحاسوب و التحكم الآلي من جهة، وعلم الرياضيات والمنطق واللغات وعلم النفس من جهة أخرى، ويهدف فهم طبيعة الذّكاء الإنساني عن طريق عمل برامج للحاسب الآلي قادرة على محاكاة السلوك الإنساني المتسم بالذكاء لتزويد الحاسب الآلي بهذه البرامج التي تمكنه من حل مشكلة ما، أو اتخاذ القرارات، وعليه فالذكاء الاصطناعي هو قيام برامج الحاسب الآلي بإيجاد الطريقة التي تسمح بالتوصل إلى القرار الملائم بالرجوع إلى العمليات الاستدلالية المتنوعة.

مكن تصنيف الذكاء الإصطناعي إلى ثلاثة مستويات والمتمثلة في:

* الذكاء الإصطناعي الخارق: يستخدم لوصف عملية تطوير الذكاء الإصطناعي إلى الدرجة التي تكون فيها قدرة الآلة الفكرية تفوق قدرة البشر في إنجاز بعض المهام.

* الذكاء الإصطناعي القوي Strong artificial intelligence: هو مصطلح يستخدم لوصف عملية تطوير الذكاء الإصطناعي إلى الدرجة التي تكون فيها قدرة الآلة الفكرية مساوية وظيفيا للإنسان، فالذكاء الإصطناعي القوي ينص على أن الحاسوب يمكن برمجته ليكون عقلا بشريا، وأن يكون ذكيا بكل معنى الكلمة، وأن يكون لديه إدراك، ومعتقدات، وأن يكون لديه حالات إدراكية أخرى عادة ما تكون مستندة للإنسان فقط، ويشمل الخصائص الرئيسية التالية: القدرة على التفكير والتفاعل الذكي، حل الألغاز، إصدار الأحكام، التخطيط والتعليم، والتواصل كما يجب أن يكون لديه وعي، أفكار موضوعية، ومشاعر وسلوك. (موسى حبيب بلال، 2019، ص 28)

*الذكاء الاصطناعي الضعيف Weak artificial intelligence: أنظمة الذكاء الضيقة أو الضعيفة لديها ذكاء محدد يحاكي السلوك الذكي في منطقة محددة، ومن الأمثلة عليها تطبيق "المساعد الشخص الذكي SIRI" من شركة أجل، يوظف التطبيق الانترنت كقاعدة بيانات قوية للإجابة على الأسئلة المنطوقة للمستخدمين، وإجراء محادثة مع أشخاص فعليين، ولكنه يعمل بطريقة ضيقة جدا ومحددة

مسبقا، ويكن إثبات ذلك من خلال النتائج الغير دقيقة التي تحصل عليها عند إجراء محادثات لم تتم برمجته للإستجابة لها. (موسى حبيب بلال، 2019، ص 29)

2. الذكاء الاصطناعي في مجال العمل الإعلامي :

برزت تقنيات دمج الذّكاء الإصطناعي كقوة تحويلة في مختلف مجالات العمل الإعلامي وإعادة تشكيل الطرق الوظيفية والممارسات الإدارية، وتتنوع تطبيقات Aiفي مجال العمل الإعلامي من أنظمة صناعة المحتوى الذكية التي تخصص التجارب الصحفية إلى التحليلات التنبؤية، ويتم توظيف أدوات Ai بشكل متزايد كمكونات أساسية للمستويات الإعلامية الحديثة ،وهذه التقنيات توفر طريقة العمل الإعلامي المتميز المصمم لأنماط العمل الفردية ،بالإضافة إلى تقديم ملاحظات دقيقة في الوقت الحقيقي، مما يسمح للصحفيين بتكييف إستراتيجياتهم العملية على الفور، ويتم تدقيق الوظائف الإدارية من خلال تحليل وتفسير البيانات القائم علي Ai، مما يمكن المؤسسات من وضع الإستراتيجيات المناسبة وتخصيص الموارد اللازمة وتحديد الاتجاهات التي تدعم التخطيط الاستراتيجي.

يمكن تصنيف الذكاء الاصطناعي إلى عدة أنواع أهمها الأنظمة القائمة على قواعد البيانات، وأنظمة التعليم الآلي ،وأنظمة التعليم الهجينة القائمة على التخزين السحابي، ومن المتوقع أن تتولى الأدوات والأساليب التي تعمل بـ AI دورا محوريا في إدارة جميع جوانب نظام العمل الإعلامي، بالإضافة إلى دور الأنظمة الذكية القائمة على Ai في التخطيط وتنفيذ عمليات فورية وواسعة النطاق داخل المؤسسات الإعلامية تليها عمليات فرز القبول وجميع أشكال التقييمات في المؤسسات الإعلامية.

إذن تأسيسا على ما سبق يمكن تحديد أهداف الذكاء الاصطناعي في ما يلي:

-بناء برمجيات تحاكي السلوك الإنساني والقيام بالمهام التي ينجزها الذّكاء البشري مثل الاستنتاج المنطقي،

-أداء الوظائف البشرية مثل: حل المسألة أو إتخاذ قرار وذلك بالرجوع إلى العديد من العمليات الاستدلالية التي غذي بها البرنامج أو النظام الرقمي،

-تشكيل قاعدة معرفة، بمعنى: تحقيق مستوى من الذكاء شبيه بالذكاء البشري،

-تحسين التفاعل و الاتصال الإنساني الحاسوبي.

من خلال هذه المفاهيم، يمكن رصد السيمات التالية للذكاء الإصطناعي بناء على ما تم طرحه من التعريفات السابقة:

- ✓ الذكاء الإصطناعي يهتم بمحاكاة الآلة للذكاء البشري ومهارته.
- ✓ إعداد البرامج والأجهزة.
- ✓ إعتباره كعلم تفرع من العلوم الحاسوب.

لذا فالهدف الرئيسي من الذكاء الإصطناعي هو محاكاة الذكاء البشري بإستخدام برمجيات متطورة لحل المشكلات غير نمطنية أو التدريب على حلها.

3. النظرية الموحدة لقبول واستخدام والتكنولوجيا UTAUT

يعتبر نموذج قبول واستخدام المعلومات وابتكارت تكنولوجيا المعلومات والنظرية الموحدة لقبول واستخدام والتكنولوجيا مصدر قلق كبير للباحثين، حيث شكلت إسهامات النظريات السابقة في تراكم الجهد العلمي Un continuum لتقديم تفسيرات مختلفة لقبول تكنولوجيا المعلومات واستخدامها بناءا على عوامل متعددة منها التكنولوجيا. (Duivedi and all, 2019 p719)

قدم Davis لأول مرة نموذجا لدراسة تقبل التكنولوجيا عام 1989 واسماه "نموذج تقبل التكنولوجيا" technology acceptance model والمعروف اختصارا بنموذج TAM حيث يفترض النموذج بان تقبل أي تكنولوجيا معينة يرتكز على عاملين رئيسين، هما: الفائدة المتوقعة usefulness perceived والتي يقصد بها "الدرجة التي يعتقد الشخص أن استخدامه لنظام معين يساعده على تحسين أدائه الوظيفي"، وثانيا، سهولة الاستخدام المتوقعة use of ease perceived والتي يقصد بها " الدرجة التي يعتقد فيها الشخص ان استخدامه لنظام معين سيكون بأقل جهد ممكن"، وهذان المتغيران يؤثران على عامل تابع وهو الميل السلوكي او النية السلوكية للاستخدام use to intention behavioral ويكون هذان المتغيران المبنيان على الاعتقاد بمثابة عاملين وسطيين يؤثران على النية السلوكية ويتأثران بعوامل خارجية أخرى variables external حيث تؤثر هذه العوامل الخارجية على النية السلوكية بشكل غير مباشر عن طريق الفائدة المتوقعة وبسهولة الاستخدام المتوقعة، ومن

هنا فإن الهدف الرئيسي للنموذج هو التفسير ،التنبؤ و التعرف على العوامل التي تلعب دورا في تفعيل أو عدم تفعيل نظام المعلومات معين. (Davis, 1989, p319)

ويعتبر موقف المستخدم تجاه تقنية معينة أمرا رئيسيا تحدد ما إذا كان المستخدم سيستخدم التقنية بالفعل أم يرفضها ،كما أن كلا من نظرية السلوك المنطقي، ونظرية السلوك المخطط كانت عاملا حاسما لإنشاء وتطوير نظرية قبول التكنولوجيا. (Sohn, Kwon, 2019 .p101)

وتم أيضا تطوير نموذج قبول التكنولوجيا كامتداد لنظرية السلوك المسبب كنموذج نظري يشرح نوايا الأفراد في تبني أو رفض تقنية جديدة ، وأثبت نموذج قبول التكنولوجيا دورا بارزا في القبول جنبا الي جنب مع مواقف الأفراد الذاتية. (Lee, Jae and all, 2019, p48)

وفي العقدين الماضيين تم تعديل النظرية الموحدة لقبول استخدام التكنولوجيا وتطويره عدة مرات، حيث تم إضافة متغيرات خارجية عديدة للنموذج الأصلي مثل: الخبرة، الكفاءة الذاتية، الدعم الإداري، العوامل الاجتماعية، الفروق الفردية، التعقيدات.... الخ ،من المتغيرات التي من الممكن أن تؤثر على المتغيرات في قرار المستخدم النهائي حول استخدام التكنولوجيا بالاستناد على الفائدة و السهولة المدركة ،وبالتالي التأثير على النية السلوكية وصولا إلى اتخاذ قرار باستخدام او عدم استخدام التكنولوجيا، كما يسمح بتقدير إعتماد تكنولوجيا المعلومات بناءا على مقاييس الاستخدام بموضوعية، ويسمح أيضا بالتركيز على العوامل الاجتماعية والفردية. (Rad and dahlan, 2018, p362)

في الواقع تساعد النظرية الموحدة لقبول التكنولوجيا ،الباحثين و الممارسين على التميز بين سبب القبول أو عدم قبول التقنية أو نظام معين أو اتخاذ التدابير المناسبة عن طريق الشرح، الي جانب توفير مساحة للتنبؤ بالسلوك نتيجة انه تم اختياره على نطاق واسع من عينات مختلفة في مواقف مختلفة، وثبت انه نموذج صالح وموثوق لفهم قبول التكنولوجيا بمختلف فروعها و استخداماتها ،وهذا الفهم أمر حيوي لتمكين الأطراف المهتمة مثل :الطلاب، الأكاديمين، الباحثين، الحكومة، المنظمات... من الارتباط بالنظرية والجوانب العملية لنماذج تبني التكنولوجيا. (L'ai, 2017, p21)

وقد أعدت النظرية الموحدة لقبول التقنية واستخدامها UTAUT لدراسة نظم وتقنية المعلومات في مؤسسات الأعمال ،وتهدف هذه النظرية إلى تفسير نية وسلوك الاستخدام، وتستخدم النظرية النية

السلوكية كمؤشر لسلوك استخدام التقنية، وتقترح النظرية أن الأداء والجهد المتوقع، والتأثير الاجتماعي تؤثر بشكل مباشر على نية الاستخدام، كما يسعى نموذج UTAUT إلى توضيح ما إذا كانت الاختلافات الفردية (النوع ،السن، الخبرة، طواعية الاستخدام) تؤثر على قبول واستخدام التقنية.

- **عناصر نموذج الموحدة من لقبول واستخدام والتكنولوجيا UTAUT**

يقوم هذا النموذج على النية السلوكية intention behavioral أي نية الأفراد في الاستفادة من أداة معينة في المستقبل، والنية السلوكية تسبق سلوك الاستخدام use behavioral وتؤثر بشكل مباشر على سلوك الاستخدام الفعلي للتكنولوجيا ،كما تعكس النية السلوكية مدى الجهد الذي يبذله الأفراد لدفع أنفسهم نحو أداء سلوك معين، وتعد النية السلوكية تأثيرا إيجابيا كبيرًا على الاستخدام على السلوك البشري (anneka. Z, 2015. P430)، لذا يتوقع أن يكون للنية السلوكية تأثير إيجابي كبير على الاستخدام، وإضافة إلى النية السلوكية وسلوك الاستخدام يتكون نموذج النظرية الموحدة لقبول واستخدام والتكنولوجيا UTAUT إلى أربعة عناصر. (Michael. Do and all 2015, p8)

الشكل 1: نموذج النظرية الموحدة لقبول واستخدام التكنولوجيا حسب فينكاتيش

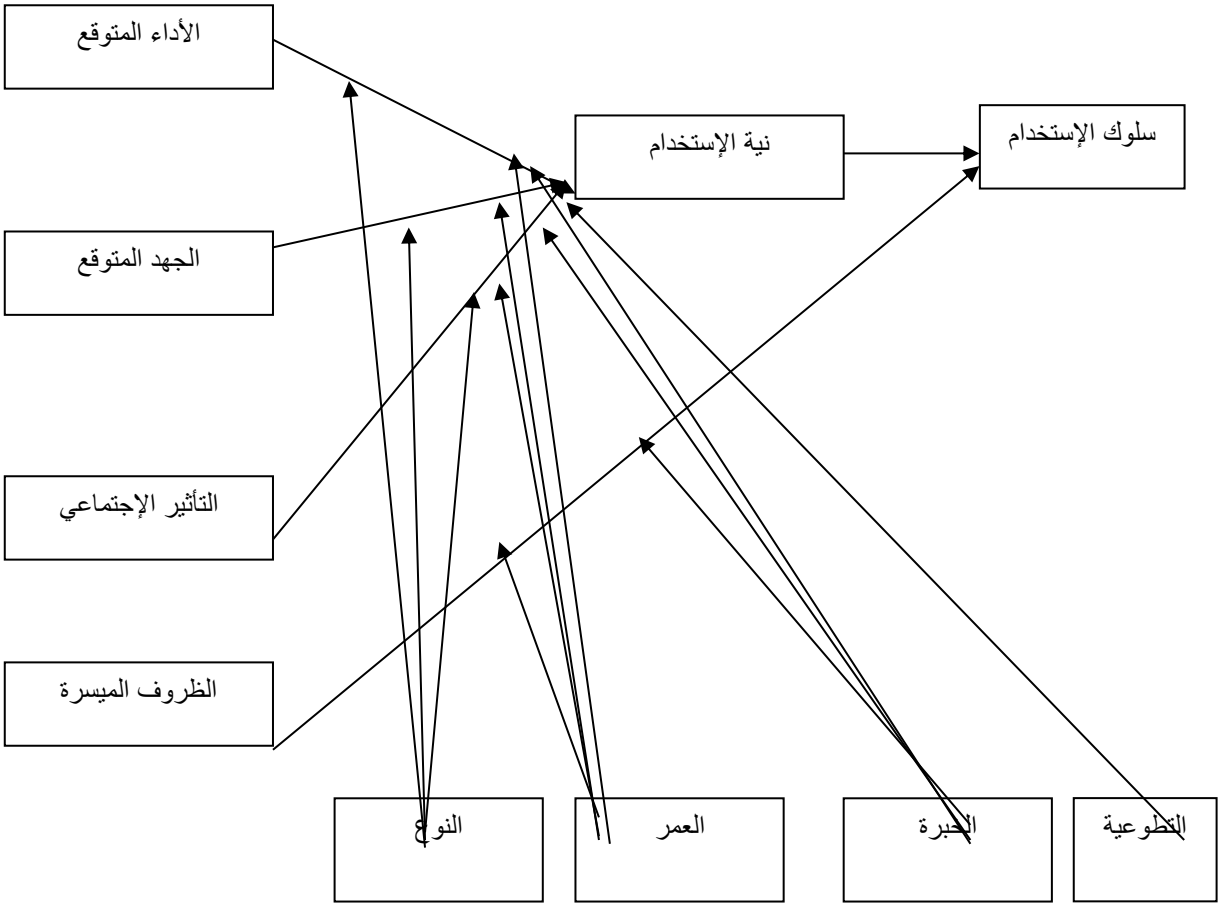

المصدر: نموذج **UTAUT** (**Venkatesh V, 2010, P8**)

وهذه العناصر هي:

– المنفعة المدركة (الأداء المتوقع) performance expectancy: ويقصد بها الدرجة التي يعتقد الأفراد أن استخدامهم لتقنية او نظام ما سوف يؤدي إلى تحقيق مكاسب في الأداء الوظيفي (venkatesh and all, 2003, p425)

ويري (jeonghye han, 2020, p06) إن العوامل الديموغرافية لها دور كبير في تقبل التكنولوجيا، حيث وجد ان الإناث أكثر عرضا على تقبل استخدام التكنولوجيا الحديثة في العمل الإعلامي، وكذلك يلعب العمر دورا معتدلا في تقبل التكنولوجيا، وأن تخفيف تأثير المنفعة المدركة على نية السلوك حسب النوع والعمر ، بحيث يكون التأثير أقوى بالنسبة للرجال وخاصة للرجال اصغر سنا. Venkatesh (and all, 2003, p425)

– الجهد المتوقع (الجهد المبذول) effort expectancy: ويقصد به مدي اعتقاد الشخص بان استخدام التكنولوجيا سيكون خاليا من الجهد، كما يمكن أن يقصد بالجهد المتوقع سهولة الاستخدام المدركة للتقنية، فسهولة الاستخدام المدركة تؤثر على النية السلوكية لاستخدام وقبول تقنيات الذّكاء الإصطناعي في العمل الإعلامي. (Annekeb. Z, 2015, p431)، ويرتبط هذا المتغير بمجموعة من العوامل التي تشمل المتعة المتوقعة perceived enjoyment والثقة في استخدام تلك التكنولوجيا trust technology والاتجاه نحو تقبل تلك التكنولوجيا واستخدامها intention to use ووفقا ل venkatesh يتوقعون ان الجهد المتوقع اكر بروزا بالنسبة للنساء منه للرجال لا سيما النساء الأكبر سنا وذوي الخبرة القليلة في الإعلام. (Venkatesh and all, 2003, p 445)

– التأثير الاجتماعي social influence: وفقا للنظرية الموحدة لقبول واستخدام والتكنولوجيا يتأثر الفرد بنظرة الآخرين المهمين بالنسبة له في استخدام التكنولوجيا، ويعني التأثير الاجتماعي الدرجة التي يدرك بها الفرد إن الآخرين يعتقدون انه يجب أن يستخدم نظام جديد، لذا يتوقع أن يكون للتأثير الاجتماعي أثر في النية السلوكية لقبول واستخدام التكنولوجيا في الإعلام، وقد ياتي التأثير الاجتماعي من الأصدقاء العائلة والأشخاص الآخرين الذين يوثرون في سلوك شخصٍ ما والذين هم مهموم بالنسبة له. (Venkatesh and all, 2003, p424)

ويفترض Venkatesh أن ينخفض أثر التأثير الاجتماعي على النية السلوكية حسب النوع والعمر طوعية الاستخدام والخبرة، بحيث يكون التأثير الاجتماعي أقوى بالنسبة للنساء وخاصة الأكبر سنا. (Venkatesh, 2003, p425)

– التسهيلات المتاحة facilitating conditions: ويتعلق هذا العامل بتوفير الإمكانات اللازمة للتكنولوجيا ،فكلما ادرك الفرد وجود بنية تحتية أدى ذالك إلى تأثير مباشر في سلوك الاستخدام الفعلي للتكنولوجيا ،لذا يفترض venkatesh ان التسهيلات المتاحة لن يكون لها تأثير كبير على النية السلوكية، كما يعتقد أن يقل تأثير التسهيلات المتاحة على الاستخدام حسب العمر والخبرة، بحيث يكون التأثير أقوى بالنسبة للأكبر سنا خاصة مع زيادة الخبرة (venkatesh, 2003, p425)

اظهرت الدراسات السابقة أهمية إضافة الاستخدام الاختياري (طوعية الاستخدام) voluntariness of use إلى بناء النظرية، حيث يتوقع ان يعمل الاستخدام الاختياري (طوعية الاستخدام) على تقليل أثر التأثير الاجتماعي على النية السلوكية.

ويقصد بالاستخدام الاختياري (طوعية الاستخدام) بأنه مدى اعتقاد الأشخاص ان استخدامهم وقبولهم بنظر إليه على انه طوعي أو إرادة حرة. (Anneka. Z, 2015, p451)

تهدف هذه النظرية إلى تفسير النية السلوكية وسلوك الاستخدام الفعلي ،و تستخدم هذه النظرية النية السلوكية كمؤشر لسلوك استخدام التكنولوجيا، ونقترح أن الأداء والجهد المتوقع ،والتأثير الاجتماعي تؤثر بشكل مباشر على نية الاستخدام، كما أن العوامل المسيرة تؤثر مباشرة على سلوك الاستخدام جنبا إلى جنب مع نية الاستخدام، ويسعى نموذج UTAUT إلى توضيح ما إذا كانت الاختلافات الفردية من ناحية (الجنس، العمر ،الخبرة، وطواعية الاستخدام) قد تؤثر على قبول واستخدام التكنولوجيا. ((Abbad, 2021, p7220

وبناء على ما سبق، يفترض أن العلاقة بين كل من الأداء المتوقع، الجهد المتوقع ،و التأثير الاجتماعي، والنية السلوكية تختلف باختلاف كل من العمر والجنس، وأن اختلاف العلاقة بين النية السلوكية وكل من الجهد المتوقع ،والتأثير الاجتماعي تختلف باختلاف الخبرة، ويوجد علاقة بين التأثير الاجتماعي والنية

السلوكية تختلف باختلاف وطواعية الاستخدام، وأخيرا توجد علاقة بين سلوك الاستخدام والعوامل الميسرة تختلف باختلاف العمر و الخبرة. (Marchewka, 2007)

بالرغم من سمات ومميزات النظرية الموحدة لقبول واستخدام والتكنولوجيا UTAUT نقدا متوازنا، بما في ذلك نقاط قوتها وقيودها كما يلي:

– تدمج النظرية عناصر من ثمانية نماذج سابقة، مما يوفر نهجا أكثر توحيدا و منهجية لدراسة قبول واستخدام التكنولوجيا،

– تتمتع النظرية بقوة تنبؤية قوية يمكنها من تفسير التباين في نوايا المستخدم وسلوكه ،مما يجعله من أقوى النماذج.

–تكتسب النظرية أهمية علمية من خلالها تطبيقها على نطاق واسع في المجالات المختلفة خاصة استخدام التكنولوجيا في وسائل الإعلام لفهم كيف يتبني الصحفيون هذه التكنولوجيا في عملهم الإعلامي،

–قد لا تنطبق افتراضات النظرية بشكل كامل في بعض السياقات والبيئات المهنية والتنظيمية، لأن هذه النظرية تم تطويرها في الأصل على ثمانية نماذج نظرية في سياق تنظيمي محدد،

– أهملت النظرية العوامل الوجدانية، مثل: الثقة، الخوف، الدوافع، المخاطر المتصورة حول استخدام التكنولوجيا،

– الطبيعة الثابتة للنظرية: حيث تنظر لاستخدام كعملية خطية دون مراعات التصورات المتطورة مع مرور الوقت أو بعد الاستخدام على المدى البعيد ،

– تبسيط سلوك استخدام التكنولوجيا: وتفترض ان المستخدمون يتخذون قرارات عقلانية بناء على التصورات الفائدة و السهولة ،والتي قد لا تعكس السلوك الحقيقي التأثير بالعادات أو مقاومة التغيير أو الضغوطات الخارجية،

–عدم مرونتها مما قد لا يكون مناسب للتكنولوجيا السريعة التغيير او المبتكرة للغاية ،

–يزعم المنتقدين ان بعض المفاهيم مثل: توقعات الأداء وتوقعات الجهد، قد تتداخل من الناحية المفاهيمية، مما يجعل من الصعب التمييز بينها في الاستطلاعات.

- **الاتجاهات البحثية الحديثة للنظرية :**

تعد النظرية الموحدة لقبول واستخدام والتكنولوجيا UTAUT نموذجا مهما في مجال أبحاث قبول التكنولوجيا ، ومنذ ان تم طرحها في 2003 كتكامل لثمانية نماذج موجودة بهدف توفير فهم شامل لسلوك قبول الأفراد واستخدامهم للتكنولوجيا، وقد تم استخدام النظرية في مجموعة واسعة من المجالات بما في ذلك الإعلام، والتعليم، الأعمال التجارية، والرعاية الصحية، ثم تم تطوير النظرية من قبل الباحثين، مما أدى إلى العديد من الاتجاهات البحث الحديثة، ويمكن تحديد أهم هذه الاتجاهات : (Jing Wang and all, 2022, p06)

– توسيع النظرية: احد أبرز الاتجاهات البحثية في النظرية الموحدة واستخدام التكنولوجيا هو إضافة عوامل ومتغيرات أخرى للنظرية الأصلية، وذالك لتحقيق فهم أكثر شمولا للعوامل التي تدفع الأفراد إلى قبول التكنولوجيا واستخدامها. (Terblanche and Martin, 2022,p 07)

– وضع النظرية في إطار سياق: اتجاه بحثي آخر في النظرية الموحدة لقبول واستخدام التكنولوجيا هو وضع النظرية في سياق، لقد أدرك الباحثون أن العوامل المؤثرة على قبول التكنولوجيا قد تختلف عبر سياقات مختلفة، مثل: السياقات الثقافية والتنظيمية.... الخ ، ولذالك، ركزت الدراسات على التحقق من صحة النظرية في بيئات مختلفة ، الأمر الذي يساعد الباحثين على اكتساب نظرة شافية للعوامل المحددة التي تؤثر على قبول التكنولوجيا. (Ali Saleh aishebami, 2022)

– دمج النظرية مع نظريات أخرى : في السنوات الأخيرة هناك اهتمام متزايد بدمج النظرية الموحدة لقبول واستخدام التكنولوجيا مع نظريات أخرى لتعزيز قوتها التفسيرية مثل : نظرية نشر الابتكارات ، وذالك لتوفير فهم أكثر شمولا لقبول التكنولوجيا وسلوك الاستخدام.

ثانيا: توظيف تطبيقات الذكاء الإصطناعي في العمل الإعلامي:

تعتبر التطبيقات الذكية الحديثة، والتي تعتمد على الذكاء الإصطناعي، أحدث الاتجاهات في مجال وسائل الإعلام، حيث تساهم هذه التقنيات بشكل كبير في إثراء تجربة المستخدم وتوفير محتوى متميز وفريد من نوعه، وتتمثل أهمية استخدام تطبيقات الذكاء الإصطناعي في العمل الإعلامي، كالتالي:

– تساعد تطبيقات الذكاء الإصطناعي في تحسين تجربة المستخدم، حيث تستعمل البيانات الشخصية للمستخدم لتقديم المحتوى المناسب مع اهتماماته وتفضيلاته، فعلي سبيل المثال، يمكن لتطبيق الذكاء الإصطناعي تحليل تاريخ التصفح السابق للمستخدم وتقديم محتوى يتناسب مع اهتماماته ويجذب انتباهه،

– تساعد تقنيات الذّكاء الإصطناعي في تحسين و تبسيط عمليات التحرير والكتابة، مثل : تستعمل بعض وسائل الإعلام تقنية توليد النصوص الآلية لتوليد مقالات أسرع وأكثر كفاءة، وبالتالي، يمكن للمحررين تركيز جهودهم على المحتوى بدلا من الكتابة مما يؤدي إلى تحسين جودة المحتوى،

–تساعد تطبيقات الذكاء الإصطناعي في تحليل وفهم تفاعلات المستخدمين مع المحتوى، فهي تستخدم تقنيات التعليم الآلي وتحليل البيانات لقراءة تفاعلات المستخدمين ،وبالتالي يمكن استخدام الذكاء الإصطناعي تتبع المحتويات المرفوضة والمعارضة والرسائل الدعائية. (Biswal, you da, 2020, P 162)

لذا يعتبر البعض تطبيقات الذكاء الإصطناعي في العمل الإعلامي فرصة للصحفيين للتخلص من الأعمال الروتينية وأداة مناسبة لخفض التكاليف ، بينما يعتبره الآخرون تهديدا للصحافة وانه سيحل محل الصحفيين البشريين بدلا من مساعدتهم،(MD, Ashraful and all 2020, p 210) حيث يعتقد العديد من الخبراء ان استخدام الذكاء الإصطناعي في العمل الإعلامي سيؤدي إلى فقدان الوظائف وتوزيع المحتوى غير الصحيح أو الضار ، وعلى الرغم من أن الذكاء الاصطناعي أحدث ثورة في مهنة الإعلام ، إلا أنه لا يخلو من أوجه القصور، فحتى الآن لا يمكن للآلات أن تحل محل القدرات البشرية وستبقي مساحة الإبداع والفكاهة والتفكير النقدي إلى الأبد في مجال الإعلام حكرا على البشر ، فالإعلام الآلي يحل محل الإعلام البشري، بل سيجعل الإعلاميين أكثر كفاءة. (Martin. F. R. 2018)

ومن الصعوبات التي تواجه صحافة الذكاء الاصطناعي عدم وجود حلول للمشاكل القانونية المنبثقة عن المحتوى الذي تم إنشاؤه بواسطة الخوارزميات حول المواطنين العاديين، فقد لا تتمكن المؤسسات الإعلامية من الدفاع عن المشكلات القانونية التي قد تكون بسبب القصص الإخبارية التي تعتمد على الخوارزميات في Googleوغيرها من المنصات الرقمية. (Biswal. S, 2020, p162)

ومع التقدم التكنولوجي المتسارع سيدخل الذّكاء الإصطناعي جميع مجالات العمل الإعلامي، وسيكون لا غني عنه في أي وقت من الأوقات، الأمر الذي سيؤدي إلى ثورة تقنية في قدرة وسائل الإعلام على التأثير في الجمهور وتشكيل الرأي العام، وهو ما يعني أن يكون الذّكاء الإصطناعي تأثيرا أعمق في صناعة الإعلام، قد يصل إلى رسم المشهد الإعلامي بناءا على أدوار لم تكن موجودة من قبل، سيصبح فيها للآلة دور بجانب الإنسان.

ثالثا: مستقبل العمل الإعلامي في عصر الذكاء الاصطناعي

على الرغم التحديات التي تواجه استخدام الذكاء الاصطناعي في مجال العمل الإعلامي، حتي أصبح الصحفيين والمحررين يوجد أنفسهم الآن ضحايا تسريح العمال من الناشرين الرقميين وسلاسل الصحف التقليدية على حد سواء، وعلى سبيل المثال، فإن ما يقرب من ثلث المحتوى الذي نشرته Bloomberg News يستخدم شكلا من أشكال التكنولوجيا الآلية والذكاء الاصطناعي ،كما أن النظام الذي تستخدمه المؤسسة cyborg قادر على مساعدة المراسلين في نشر ألاف المقالات حول تقارير أرباح الشركات كل ثلاث أشهر، حيث يمكن للبرنامج تشريح تقرير مالي فور ظهوره ،وإصدار قصة اخبارية فورية تتضمن أهمس الحقائق والأرقام ، وعلى عكس مراسلي الاقتصاد ، فإنهم يفعلون ذلك دون شكوى. (Jonathan. S, 2019, P07)

ألا أنه وحسب دراسة أجرتها Google news initiative بالتعاون مع مركز أبحاث الصحافة الدولية في كلية لندن للاقتصاد والعلوم السياسة the international journalism think tanks at the London school of economics and political science علي خبراء من قادة غرفة الأخبار في أوروبا و أمريكا الشمالية، آسيا والمحيط الهادي ،فهناك اتجاها متزايد لاستخدام هذه التقنيات في مجال النشر الصحفي بشكل كبير ، حيث بدأت غرف الأخبار في استكشاف إمكانية هذه التقنيات الجديدة ، وأن كان القليل منها فقط قائم بالفعل بتنفيذ الذّكاء الاصطناعي علي نطاق واسع ، فإنه بالنسبة لمعظم المؤسسات الإعلامية ، فإنها لا تزال في مرحلة التبني التجريبية ،وفي حين أن بعض الصحفيين متناقضون او متشككون ، فإن العديد منهم مهتمون بكيفية تأثير تقنيات الذّكاء الإصطناعي على سير العمل والعمليات، وكيف تتعامل غرف الأخبار مع مرحلة جديدة أخرى ، وكيف

يمكن أن تسهم التحديات والفرص التكنولوجية الجديدة في التأثير على مهمة الصحافة، وكذلك شكل وأخلاقيات صناعة الأخبار في عصر الذّكاء الاصطناعي. (Mattia pertti, 2019)

وفي ظل ما يمر به المشهد الإعلامي من تحولات سريعة وغير مسبوقة ، بسبب تقنيات الذّكاء الإصطناعي ،فإن هناك ما يثير تساؤلات حول تداعيات محتملة علي مستقبل الصحفيين، وخاصة مع تمكن تقنيات الذّكاء الإصطناعي من إنتاج المحتوى بشكل آلي ،فإن هناك اتجاهين رئيسين حول تأثير استخدام تقنيات الذّكاء الإصطناعي على مستقبل القائمين بالاتصال في المؤسسات الإعلامية، وهما كالتالي : (Waleed et al., 2019, p44)

– المتشائمون pessimists: ووفقا لهذا الاتجاه، فإن مجتمع الصحافة يواجه اليوم العديد من التحديات المحتملة فيما يتعلق مخاطر الوظائف، وعلى هذا النحو، هناك العديد من المخاوف العملية التي تهدد مستقبل الصحفيين لاسيما مع سياق الدور المهيمن بشكل متزايد من الخوارزميات في مؤسسات الاخبار الكبرى، واستبدالهم للصحفيين بنظرائهم من غير البشر حيث تقلصت بعمق الحاجة إلى وجود بشري في غرفة الاختبار وسط توقعات بسيطرة الأتمتة المحتملة علي العقد او العقدين المقبلين وانتشار استخدام الروبوت وتقنيات الذّكاء الإصطناعي وهو الأمر الذي من شانه ان يهدد العنصر البشري في مجال العمل الصحفي، وفقد عدد كبير لوظائفهم وارتفاع معدلات البطالة بينهم في المستقبل القريب.

– المتفائلون optimists: يرى أصحاب هذا الاتجاه انه على الرغم من الاستخدام المتزايد للذكاء الإصطناعي في المؤسسات الإعلامية، فإن هذه التقنيات ستعمل على تعزيز عمل الصحفيين بدلا من استبداله، مما يعني ضمنيا أن خوارزميات الذكاء الاصطناعي لن يحلو محل الصحفيين البشريين بالكامل في غرفة الأخبار في المستقبل القريب، حيث يؤكد أصحاب هذا الاتجاه أيضا أن الصحافة المهنية لا تزال تلعب دورا حاسما في إعلام الناس بالأحداث الجارية ،وبالتالي فإن الذكاء الاصطناعي لا يشكل تهديدا لها ،فالخطر هنا لا يكمن في عدد الوظائف بل في تطور هذه الوظائف بما يتفق مع تقنيات الذّكاء الإصطناعي.

ويشير Nicolas diakopoulos أن مستقبل العمل الصحفي الذي يدعمه الذّكاء الإصطناعي سيظل به الكثير من الناس، ومع ذلك، فإن الوظائف والأدوار والمهام لهؤلاء الناس سوف تتطور وتبدو مختلفة بعض الشيء وانه سيتم تهجين العمل البشري، مع مزج الخوارزميات ،ليناسب إمكانية الذّكاء

الإصطناعي، ويستوعب حدوده حيث تشير بعض التقديرات إلى أن المستويات الحالية لتقنية الذّكاء الإصطناعي، يمكنها أتمتتة حوالي 15% من وظيفة المراسل، و 9% من وظيفة المحرر ،وأن البشر لا يزالون يتمتعون بميزة تفوق الذّكاء الإصطناعي في العديد من المجالات الرئيسية التي تعد ضرورية للصحافة، بما في ذلك التواصل المعقد وتفكير الخبراء و القدرة على التكيف والإبداع. (Nicolas diakopoulos, 2019)

خاتمة:

لقد أدى دمج الذّكاء الإصطناعي في المؤسسات الإعلامية إلى تغيرات جوهرية في الممارسات الإعلامية والصحفية، حيث تعمل هذه التكنولوجيا التحويلة على تخصيص تجارب العمل ،وتساعد الصحفيين في تقديم محتوى إعلامي يمتاز بالأداء وبدقة عالية جدا ،وبالتالي معيار رقمي قائم على البيانات للتقدم الإعلامي، ومع تبني المؤسسات بشكل متزايد لأدوات تعتمد على الذكاء الإصطناعي، أصبحت إمكانية تنمية بيانات شاملة تلبي احتياجات الإعلام المتنوعة أكثر واقعية، مما يعزز إمكانية الوصول و المساواة في المحتوى الإعلامي، ومع ذلك، يجب فحص التحديات الأخلاقية لهذه التكنولوجيا الشاملة بشكل دقيق في حين أن قدرة الذكاء الاصطناعي بأحداث ثورة في العمل الإعلامي والصحفي واضحة، فإن المنظور المتوازن الذي يأخذ في الإعتبار كل من الإمكانيات المبتكرة والتحديات الأخلاقية أمر ضروري لتطبيق مستدام للذكاء الإصطناعي في المؤسسات الإعلامية.

– ومن النتائج المستخلصة، نذكر :

–يمكن أن تساعد تطبيقات الذكاء الإصطناعي في سد فجوة الإنجاز بين الصحفي والمحتوي الذي يقدمه، لأنه يوفر للصحفي عملا متاحا بسهولة ،

–أن تنفيذ تطبيقات الذّكاء الإصطناعي في البيئة الإعلامية لديه القدرة على تعزيز نتائج العمل الإعلامي بشكل كبير،

–يظل الذّكاء البشري والإبداع و التفكير النقدي مكونات أساسية لتقديم محتوي، وينبغي النظر إلى أدوات الذكاء الاصطناعي باعتبارها مكملة وليست بديلة للخبرة البشرية،

-أصبح الذكاء الإصطناعي أفضل الطرق في تطوير العمل الإعلامي ، فهو لا يشكل حتى الآن أي تهديد للوظيفة الصحفية ، بل يساهم بدور كبير في تسهيل وتبسيط المهام الإعلامية والمساعدة في الأعمال الإدارية،

-تطبيق أنظم الذكاء الإصطناعي في المؤسسات الإعلامية توفر ميزة المرونة في الزمان والمكان.

- توصيات:

-تطوير المناهج وتضمينها مهارات التعامل مع أدوات الذكاء الاصطناعي ،

-وضع سياسات و المبادئ التوجيهية بشكل استباقي لتحقيق الفوائد المحتملة للمحتوى الناتج عن الذّكاء الإصطناعي، مع تقليل المخاطر المرتبطة بإساءة استخداماته.

قائمة المراجع:

- موسى، عبد الله. بلال احمد، حبيب. (2019). الذكاء الاصطناعي ثورة في تقنيات العصر. القاهرة، مصر: المجموعة العربية للتدريب والنشر.
- عيسى، عبد الباقي. موسى أحمد، عبد الفتاح. (2020). اتجاهات الصحفيين والقيادات نحو توظيف تقنيات الذّكاء الإصطناعي داخل غرف الاخبار بالمؤسسات الصحفية المصرية. دراسة تطبيقية. *المجلة المصرية لبحوث الرأي العام*. جامعة المنصورة المجلد. (19 العدد، 1 ص ص 66-1).
- Karl manheim and lyric Kaplan. (2019). Artificial intelligence :risks to privacy and democracy. *Yale journal of law technology.* (Vol 21, pp106-188).
- Mohammed. P. S. (2019). Towards inclusive education in the age of artificial intelligence perspectives, challenges and opportunities. in artificial intelligence and inclusive education. P 1-37.
- Duivedi and Rana and jeyaraj. (2019). Re-examining the unified theory of acceptance and use of technology UTAUT :towards a revised theoretical model. Springer: *information system frontiers*. (Vol 21(3). pp719-734).
- Davis. F . (1989). Perceived usefulness, perceived ease of use, user acceptance of information technology, sustainability. *MIS, quarterly* 13. pp 319-340.

- John and Kwon. (2019). Technology acceptance theories and factors influencing artificial intelligence based intelligence products. *Telematics and information*. 47.
- Venkatesh. V and all. (2008). user acceptance of information technology: toarwds a unified view. *MIS quarterly*,*27*. PP 425-478.
- Lee and Jae young choir. (2019). The adoption of virtual reality devices :the technology acceptance model integrating enjoyment, social interactions and strength of the social ties. *Telematics and information, 37* . pp45-48
- Rad and dahlan. (2018). Information technology adoption: A review of the literature and classification. *Univers access info sock (17)*. pp 39-45.
- Lai. P. C. (2017). The literature review of technology adoption models and theory for the novelty technology. *JISTEM*, *journal of information system and technology management (14).*
- Anneka zuiderwijk, and all. (2015). Acceptance and use predictors of open data technologies, drawing upon the unified theory of acceptance and use of technology. *governanent information quarterly*. PP429-440
- Michael. D. Williams and all. (2015). the unified theory of acceptance and use of technology (UTAUT) . *journal of entreprise information management*. (Vol 28, no 03, pp443-488).
- Marchewka. J. To and kostiwa. K. (2007). An application of the UTAUT model for understanding student perception using course management software. *Communication of the IIMA* . (Vol 7, iss 2).
- Abbad. M.M. (2021). Using the UTAUT model to understand students usage of e-learning system in developing countries. *Education and information technologies*. (26(6), pp7205-7224).
- Jing Wang and all. (2022). Research trend of the uniform theory acceptance and use of technology theory. *A bibliometric analysis in sustainability*. (Vol 14 no 1. Pp1-20).
- Terblanche. No and Kidd. My. (2022). Adoption factors and moderating effects of age and gender that influence the internation to use a now-directive reflective coaching chat bot. *SAGE open*. (12(2)).
- Ali Saleh alshebami. (2022). Crowd funding platform as a sustainable financing source for young Saudi entrepreneurs: empirical evidence in SAGE open.

- Biswal. S and gouda. No. (2020). Artificial intelligence in journalism, a boon or bane? In a kulkarni. S. Satapathy, eds optimization in machine learning and application.
- Martin. F.R. (2018). Does the rise of robot journalism means the end of newsroom?.
- MD Ashraful goni, and, maliha tabassum. (2020). Artificial intelligence in journalism in Bangladesh ready for it? A study on journalism students Bangladesh. *Athens journal of mass media and communication*. (Vol 06, issu 04.pp 209-228).
- Jonathan stray. (2019). Making artificial intelligence works for investigative journalism. *digital journalism, available online*. (PP1-23).
- Waleed Ali, and, Mohamed hassoun. (2019). Artificial intelligence and automated journalism: contemporary challenges and new opportunities, international journal of media. *journalism and mass communications*. (Vol 5 issue 01. Pp 40-49).
- Mattia pertti. (2019). How AI could shape the future of journalism Google new. تاريخ الزيارة 31-07-2025/18:30h
- Nicholas diakopoulos. (2019). Artificial intelligence. *enhanced journalism* offers a glimpse of the knowledge economy. تاريخ الزيارة30-07-2025/19:00h

The Academic Research Triad in the Era of Artificial Intelligence: The Researcher, the Research, and the Supervisor

Hadjer Ameur
Alger2 univercity

hadjer.ameur@univ-alger2.dz

Abstract:
In light of the transformations shaping contemporary scientific research and the growing integration of artificial intelligence (AI) tools across its various stages, this paper examines the ways in which these technologies are contributing to the reconfiguration of the relationship among research, researchers, and academic supervisors. It also seeks to explore their implications for the quality, integrity, and ethical dimensions of the research process. Against this backdrop, the paper addresses the following central research question: **How can effective integration among the research process, the researcher, and the academic supervisor be achieved through the use of (AI)?**

Keywords: The Academic Research **:** The Research Triad ; Artificial Intelligence; The Researcher; the Supervisor

ثلاثية البحث الأكاديمي(الباحث والبحث والمشرف) في ظل الذكاء الاصطناعي.

هاجر عامر
جامعة أبو القاسم سعد الله الجزائر 2
hadjer.ameur@univ-alger2.dz

ملخص:

نظرا للتحولات التي يشهدها البحث العلمي المعاصر، وما صاحبها من توظيف متزايد لأدوات الذكاء الاصطناعي في مختلف مراحله؛ جاءت هذه المداخلة للبحث في كيفية إسهام هذه الأدوات في إعادة تشكيل العلاقة بين البحث والباحث والمشرف وبيان أثرها في جودة العملية البحثية وأخلاقياتها، وعليه

يمكن طرح الإشكالية الآتية: **كيف يمكن تحقيق التكامل بين البحث والباحث والمشرف بالاستفادة من الذكاء الاصطناعي؟**

الكلمات المفتاحية: ثلاثية البحث؛ البحث العلمي؛ الذكاء الاصطناعي؛ الباحث؛ المشرف.

مقدمة:

إنّ نجاح أو فشل أي بحث علمي أكاديمي يقوم على العلاقة التكاملية بين ثلاثة عناصر رئيسية: الباحث والبحث والمشرف، إذ تقوم جودة البحث العلمي على الأدوار المتبادلة بين هذه العناصر، وإذا طبقنا عليها نظام التباديل الرياضية (أو ما يعرف بالتقليبات عند الفراهيدي) فقد تنشأ عن هذه الثلاثية ست علاقات أو صور هي: **علاقة الباحث بالبحث، علاقة الباحث بالمشرف، علاقة البحث بالباحث، علاقة البحث بالمشرف، علاقة المشرف بالباحث، علاقة المشرف بالبحث.**

ونظرا للتحولات التي يشهدها البحث العلمي المعاصر، وما صاحبها من توظيف متزايد لأدوات الذكاء الاصطناعي في مختلف مراحله؛ جاءت هذه المداخلة للبحث في كيفية إسهام هذه الأدوات في إعادة تشكيل العلاقة بين البحث والباحث والمشرف وبيان أثرها في جودة العملية البحثية وأخلاقياتها، وعليه يمكن طرح الإشكالية الآتية: **كيف يمكن تحقيق التكامل بين البحث والباحث والمشرف بالاستفادة من الذكاء الاصطناعي؟**

وتتفرع عن هذه الإشكالية ست أسئلة تابعة للعلاقات الست السابقة هي:

1-كيف يوظّف الباحث الذكاء الاصطناعي في خدمة البحث العلمي؟

2-كيف أثر الذكاء الاصطناعي في العلاقة بين الباحث والمشرف؟

3-ما طبيعة العلاقة بين البحث والباحث في ظل الذكاء الاصطناعي؟

4-كيف تؤثر طبيعة البحث في توجيهات المشرف في عصر الذكاء الاصطناعي؟

5-ما دور المشرف في ضبط جودة البحث المنتج بمساعدة الذكاء الاصطناعي والكشف عن نسبة هذه المساعدة؟

6-كيف يمكن للمشرف تنمية وعي الباحث بالاستخدام الرشيد والأخلاقي للذكاء الاصطناعي؟

سيسعى البحث للإجابة عن هذه التساؤلات باعتماد المنهج الوصفي التحليلي المناسب لطبيعة هذه الدراسة.

وجاءت فكرة هذه المداخلة من تجربة شخصية في الإشراف على عدد من المذكرات الجامعية حيث لوحظ اعتماد بعض الطلبة أدوات الذكاء الاصطناعي بدرجات متفاوتة مما أثار تساؤلات حول حدود هذا الاستخدام، وآثاره في جودة البحث العلمي ودوري بصفتي مشرفا في توجيه حدود استعماله.

أولا: تعريف البحث العلمي وأهميته:

1-تعريف البحث العلمي:

البحث لغة: البحث جمعه بحوث وأبحاث، هو طلب الشيء في التراب ، والسؤال والتفتيش والتقصي والتتبع (ابن منظور، ج23/2) وقد وردت في القرآن الكريم لقوله تعالى: فبعث الله غرابا يبحث في الأرض [المائدة 31] أي يطلب في التراب بمنقاره.

أما معناه الاصطلاحي: هو "محاولة لاكتشاف المعرفة والتنقيب عنها وتطويرها وفحصها وتحقيقها بتقص دقيق، ونقد عميق، ثم عرضها عرضا مكتملا بذكاء وإدراك لتسير في ركب الحضارة العلمية، وتسهم فيه إسهاما حيّا شاملا، أما إذا ابتعد البحث عن هذا الهدف فلن تكتب له الحياة وتضيع الجهود المبذولة في سبيله"(ملحس، 1960، ص43).

وعرّفه أخرون ب البحث العلمي أنه " عملية فكرية منتظمة يقوم بها شخص يسمى الباحث من أجل التقصّي الحقائق في شأن مسألة معينة تسمّى "موضوع البحث" باتباع طريقة عملية منظمة تسمى "منهج البحث" بغية الوصول إلى حلول ملائمة للعلاج أو نتائج صالحة للتعميم على المشاكل المماثلة تسمى "نتائج البحث" "(العاني، 2014، ص16).

إذن عملية البحث العلمي هي مجموعة من الخطوات المترابطة والمتكاملة تبدأ بتحديد الباحث للإشكالية وتنتهي بالوصول إلى النتائج عن طريق استخدام منهج أو أسلوب علمي أكاديمي، وإن لكل بحث شروطا أو معايير تحدد المنهج العلمي لدراسته، وحتى نقول عن البحث بحثا علميا لابد أن تسهم نتائجه في تطوير المعرفة واستجلائها وتتبع حقائقها للوصول إلى حقائق كانت مجهولة.

2_أهمية البحث العلمي:

تنطلق أهمية البحث من أهمية الموضوع المراد بحثه، وبشكل عام فإن البحث يشكل بابا واسعا من أبواب المعرفة، وأداة مهمة تسهم في مدّ الحضارة والبشرية بعناصر الحياة والرقي. بل إن كل شكل من أشكال الحضارة ، وكل رقي في جانب من جوانبها كان وراءه بحث نظري أو تجريبي أضاف للعقل البشري بعدا جديدا وفجّر فيه طاقة مكنونة.

وإن الحاجة إلى الدراسات والبحوث والتعلم لهي اليوم من أشد منها في أي وقت مضى : فالعلم والعالم في سباق محموم للوصول إلى أكبر قدر ممكن من المعرفة الدقيقة المستمدة من العلوم التي تكفل الراحة والرفاهية للإنسان.

ثانيا: الباحث الأكاديمي وصفاته

الباحث هو الذي يقوم على كاهله اختيار موضوع البحث والتتبع لمادته، ودراسة ذلك وفق منهج معين لتحقيق هدف معين، فالباحث إذن أساس في قيام البحث، وإن كان الأمر كذلك فيتطلب منه أن تتوافر فيه صفات و قدرات واستعدادات نفسية وفطرية وكفاءة علمية تؤهله للقيام ببحث علمي، إذن فهذه الصفات (ينظر: فضل الله، 2005، ص19-20) قسم منها يتعلق بشخصيته، وقسم ثاني يتعلق بمجموعة الشروط العلمية، وقسم ثالث يتعلق بمجموعة شروط منهجية.

1- الصفات الشخصية:

1_الرغبة والميل في القيام بالبحث العلمي بصفة عامة، وفي الموضوع الذي اختاره بصفة خاصة، فالرغبة الحافز الأساسي للبحث الأن كل عمل غير مرغوب فيه لا يكتب لذلك العمل النجاح.

2_ الصبر والمثابرة والثبات ، ذلك أن البحث عمل شاق ذهنا وجسماً ومالاً، وبه عقبات ومشكلات، ويحتاج لوقت طويل يتفرغ فيه الباحث للبحث، وينقطع عن الناس وعن الشواغل الأخرى فلابد هنا للباحث أن يتحلى بالصبر والدأب والمثارة حتى تتحقق له السيطرة على البحث من جميع الوجوه

3_ **حب الاطلاع والمعرفة** وكثرة الاطلاع: فالباحث ينبغي أن يكون عنده علم و معرفة سابقان في مجال تخصصه فكلما زادت معرفته زادت قدرته على إنجاز بحثه.

4_**الأمانة العامية** : وذلك بأن يكون الباحث أمينا في المادة العلمية، فلا يكتب شيئا لغيره ويترك العزو إلى صاحبه . موهما أنه لنفسه وليس لغيره. فإن هذا يعد سرقة علمية . كذلك فإن العملية إضافة إلى كونها أمانة علمية لا تحمل ناقلها أي مسؤولية أو تبعات ، بل تبقى المسؤولية على صاحب الفكرة المنقولة.

5 – الإخلاص للبحث : وذلك بأن يكون الباحث متفانيا في سبيل الوصول ببحثه إلى أقصى ما يمكنه من درجات الشمول والجودة والإتقان.

6_الجرأة : وهي أن يقول الباحث بكل جرأة ما توصل اليه إن كان حقا ولوكان مخالفا لهواه أو لرأيه وأن لا يخشى أحدا في ما وصل اليه من نتائج

7_الموهبة والذكاء : وذلك بالقدرة على التذكر للمعلومات، والانتقاء للأفكار، وعلى التأمل والتفكير والاستنباط.

8_ التواضع العلمي : أن يكون متواضعا في اجتهاداته الشخصية وعدم السخرية والاستخفاف من أيه فكرة يرى فيها خطأ . لأن العالم كلما ازداد علما ازداد تواضعا لمعرفته بعدم معرفته لكل ما يود معرفته.

9_الاستقامة والنزاهة : وهي تقتضي من الباحث سلوك الطرق القويمة الشريفة للوصول الى هدفه وغايته ، فلا يستعين بغيره لإنجاز بحثه أو بعضا منه ، وألا يسرق جهد الآخرين قد يعرضه ذلك للفصل أو الطرد من قبل إدارة الجامعة.

ثانيا: الشروط العلمية:

1_الثقافة الواسعة: فلابد للباحث أن يكون ملما إلماما واسعا بموضوع بحثه خاصة وبتخصصه عامة، فكلما توسعت ثقافته ازدادت نظرته إلى بحثه دقة وشمولية.

2_**المعرفة بأهم مصادر موضوع بحثه** المباشرة وغير المباشرة: وهنا على الباحث أن يستعين بذوي الخبرة والمعرفة من أساتذة ومتخصصين وأمناء مكتبات .

3_ معرفة لغة أجنبية واحدة على الأقل بشكل جيد؛ لأنه قد يضطر الطالب الباحث أن يطلع على بعض الدراسات والأبحاث المكتوبة باللغة الأجنبية، ولم تترجم هذه الأبحاث، وحتى وإن كانت مترجمة في بعض الأحيان لابد من أخذها بلغتها الأصلية كما أن في بعض الأحيان تكون الترجمة غير دقيقة في أداء المعنى المراد.

4_**الإحاطة بالقضايا المتصلة بالبحث بشكل مباشر** : لأنه بإلمامه بالقضايا المتعلقة ببحثه يعينه على جمع مادته على وجه أحسن، وتزيده فهما لجوانب بحثه

5_ **الابتعاد عن الأحكام المتسرعة أو صيغ التعميم** : بمعنى أن لا يطلق الباحث الأحكام بتسرع دون التأكد منها أي من صحتها وقدرته على الدفاع عنها بالحجج و البراهين. كما يجب عليه أن يبتعد على صيغ التعميم فإذا وصل إلى نتيجة ما لا يعمم هذه النتيجة على سائر نقاط البحث لأن لكل قضية حكمها الخاص.

6_ القدرة على الكتابة بلغة سليمة : أي تفادي الأخطاء اللغوية التي قد تؤدي إلى قلب المعاني أو عكس المقصود منها فيجب أن تتسم عبارات البحث بالدقة والوضوح والسّهولة، وكذا حسن استخدامه علامات الترقيم

ثالثا: الشروط المنهجية :

1_القدرة التنظيمية : العلم بالشيء وحده لا يكوّن باحثا بالمعنى الحديث، فلا يعني أنك تستطيع أن تكتب بحثا منهجيا ، فلا بد للباحث أن يكون قادرا على تبويب الأشياء وتوحيد أجزائها مع مجانستها، ووضع كل منها في مكانه اللائق بالقدر المناسب ، ولا تكون هذه القدرة إلا بالممارسة المستمرة والتدريب الدائم ومراجعة العمل في كل مرة لتصحيحه.

2_ الموضوعية : وهي البعد عن الأهواء والميول الشخصي، والمبالغة والتحيز

3_ الشك العلمي المنهجي. يقال . (سوء الظن من حسن الفطن) ، أي أن لا يعد ما وصل إليه غيره من الأمور المسلم بها وأنها حقائق لا يعتريها الشّك ولا يعتورها الخطأ، بل لا بد من دراستها والتفكير فيها وفحصها وتمحيصها. خاصة إذا كانت المعلومات الواردة من الذكاء الاصطناعي ففي كثير من الأحيان يقدم معلومات ولا ينسبها إلى أصحابها.

4–عدم التسرع في إصدار الأحكام : إن الشك العلمي المنهجي ضرورة يقتضيها منهج البحث الأكاديمي لكن هذا لا هذا لا يعني أن نطلق الأحكام بتسرع فيرفض رواية أو خبر بمجرد الشك فيه فليبحث عن مبررات لشكه أو رفضه

5_الوضوح التام في صياغة البحث : شرط أساسي في البحث الأكاديمي وضوح اللغة بحيث لا يترك مجالاً للبس أو غموض في عرض الأفكار والآراء فلابد أن يبتعد عن الأسلوب الإنشائي والعاطفي بل يستخدم الأسلوب العلمي التقريري.

وإليك الشكل التالي يلخص هذه الشروط والصفات:

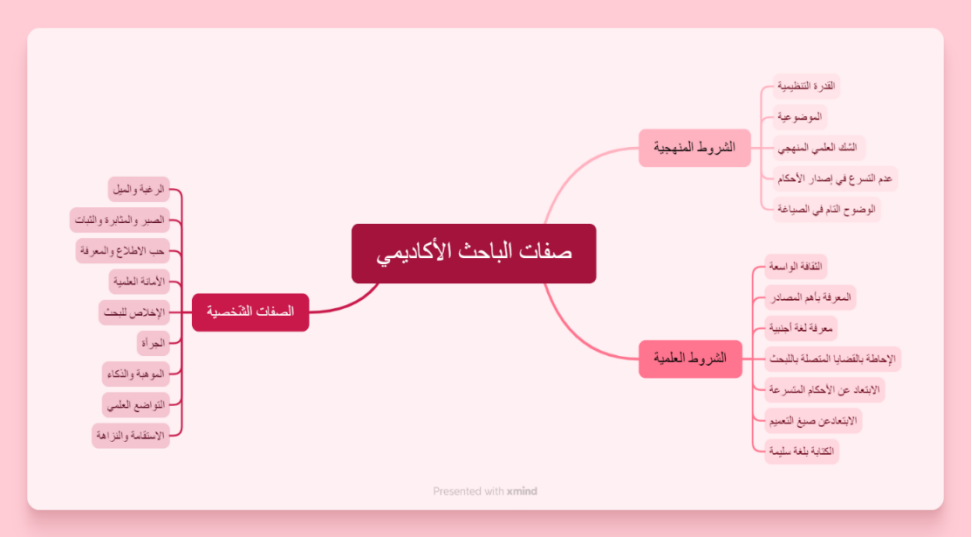

الشكل 1: يمثل صفات الباحث الأكاديمي إعداد عامر هاجر

فالعلم بالبحث ومادته لا يكوّن باحثا بالضرورة فكثير هم من يملكون معلومات كثيرة ولا يستطيعون كتابة بحث أكاديمي بمنهج علمي إذ لابد من توافر الصفات السابقة إضافة إلى توجيه الأساتذة المتخصصين و إرشادات مشرف على البحث فما مهام المشرف، وما مسؤوليته اتجاه البحث والباحث؟ وهل تغير دوره بظهور الذكاء الاصطناعي؟

ثالثا– الإشراف العلمي (علاقة الطالب بالمشرف وعلاقة المشرف بالبحث):

المشرف العلمي هو من يقوم بتوجيه الباحث إلى المنهج العلمي في دراسة موضوع ما، وكيفية عرض قضاياه ومناقشتها، واستخلاص النتائج منها وفق المعايير العلمية المقررة، والمشرف المقتدر هو الذي يستطيع نقل خبراته العلمية للباحثين الناشئين، وهو الذي يحاول دائما تجديد معلوماته من خلال ممارسته للتعليم والتأليف والمشاركة في الندوات والملتقيات (ينظر: أبو سليمان، 2005، 40)، ولا يقتصر دور المشرف في تصحيح ما يقدمه الطالب الباحث من مادة بحثية بل يتعدى ذلك إلى استثارة مواهبه وتنمية ملكته، واختبار طول صبره، ومدى موضوعيته في المناقشة ومدى التزامه بالوقت، وجديته في العمل، ومدى أمانته في النقل.

والمشرف هو باحث ومدرس وموجّه في آن واحد، يتمثل دوره في توجيه الطالب الباحث إلى مجموعة من المصادر والمراجع المتعلقة بالبحث لهذا يشترط في المشرف أن يكون تخصصه موافق أو قريب لمجال البحث المشرف عليه فمن الخطأ أن يكون المشرف بعيدا عن التخصص فهذا يعرقل العملية البحثية ويؤدي إلى قصور دور المشرف في البحث وقد يفقد المشرف هاهنا ثقة طالبه.

وأحيانا يكون اختيار موضوع البحث من مسؤولية المشرف إلا أنه يستحسن أن يختار الطالب موضوع بحثه ليوافق رغبته وميوله واهتمامه واختصاصه ، ونظرا لندرة الطلاب الباحثين الذين لديهم اطلاع وقراءات جادة ومعمقة في تخصصهم فإنهم يقترحون موضوعات مدروسة أو عامة أو غير قابلة للدراسة فمهمة المشرف هنا إما بتعديل عنوان البحث أو اقتراح موضوع آخر على الطالب (فضل الله1998، ص36) يتوافق مع قدرات الطالب الباحث الذهنية والمادية والزمانية، فكثير من البحوث تحتاج وقت أطول على الوقت المحدد له، وبعضها يتطلب مالا أو وساطة أو سفر أو إجادته للغة أجنبية ما لا يستطيع الطالب توفيره خاصة إذا كان في مرحلة ليسانس أو الماستر.

وعليه فالمشرف يتدارس مع الباحث ثلاثة أمور: مدى أهمية الموضوع من الناحية العلمية، ومدى صلاحية الموضوع للبحث فيه، ومدى إمكانيات الطالب العلمية الفعلية وظروفه الشخصية للتصدي لموضوع بحثه (ينظر: فضل الله 1998، ص 38-39). هذه كخطوة أولى في البحث ثم يوجهه لدراسات وأراء علماء جديرة بالاطلاع، ويقوّم له خطة بحثه والتي يكون قد أعدها الطالب، فللأسف الكثير من المشرفين اليوم يقومون بمهمة الطالب في تقديم الخطة والإشكالية وهذا ما يعاب على سيرورة العملية البحثية فقد تولد الكسل والخمول لدى الطالب.

بعدها يقدم الطالب بحثه إما فصلا فصلا وهذا هو المستحب أو دفعة واحدة -حسب ما هو متفق عليه بين الطالب والمشرف- للنظر فيه وتصحيح وتقويم البحث.

إن العلاقة بين المشرف (ة) والطالب (ة) هي علاقة إنسانية تقوم على الاحترام والتقدير والمحبة والتشجيع والحزم فالمشرف بمثابة الأب العلمي للطالب (ة) فهي علاقة مهمة جدا لإنجاح العملية البحثية مما تكسب الطالب القوة والعزيمة والصبر والمثابرة لإكمال هذا العمل. وعليه فلابد للمشرف أن يكون له صبر على طالبه وأن لا يفرض عليه أراءه فرضا دون تبرير علمي مقنع.

والتساؤل الذي يطرحه السياق هل من حق المشرف مساعدة الطالب في كل صغيرة وكبيرة؟ (ينظر صيني، 1414هـ، ص 104)فجوابنا أنه ليس من المفضل تدخل المشرف في كل شيء، وافتراض عجز الطالب وقصوره، فهذا من شأنه القضاء على قدرته الإبداعية وإضعاف مواهبه ومحو شخصيته (أبو سليمان 2005، ص 42)، وتختلف الهيئات في نسبة هذه المساعدة فهل العمل عملا تشاركيا بين الطالب والمشرف أو هو استفادة الطالب من خبرات المشرف العلمية والمنهجية فقط. إلا أن هناك بعض الطلبة يتكلون على المشرف اتكالا حتى يصعبون عليه مهمة الإشراف. وبعضهم يترددون في سؤاله ويخافونه، فمهمة المشرف الأساسية هي مساعدة الطالب واستشارته والحرص على الاستفادة من خبرته.

وبظهور أدوات الذكاء الاصطناعي تغيرت العلاقة بين الباحث والمشرف وهنا يمكن طرح التساؤل الآتي هل الذكاء الاصطناعي أداة داعمة للعملية البحثية المكونة من البحث والباحث والمشرف؟ أو أن الذكاء الاصطناعي ألغى أحد الأطراف الثلاثة ؟. ولكن قبل هذا علينا أن نعرّف بأدوات الذكاء الاصطناعي التي يمكن أن تساعد الطالب في البحث الأكاديمي .

رابعا– الذكاء الاصطناعي: تعريفه، أهميته، أدواته المساعدة في البحث العلمي:

1–تعريف الذكاء الاصطناعي:

يُعد (جون مكارثي) (John mccarthy)هو الأب الروحي للذكاء الاصطناعي ويرجع له الفضل في اختيار لفظ (الذكاء الاصطناعي) وإطلاقه على هذا العلم على أنه وسيلة لصنع جهاز كمبيوتر أو روبوت يتم التحكم فيه عن طريق الكمبيوتر، أو برنامج يفكر بذكاء بالطريقة نفسها التي يفكر بها (البشر الأذكياء)، ويتم تحقيق الذكاء الاصطناعي من خلال دراسة كيف يفكر الدماغ البشري، وكيف يتعلم البشر ويقررون ويعملون أثناء محاولة حل مشكلة ما، ثم استخدام نتائج هذه الدراسة كأساس لتطوير برنامج أو أنظمة ذكية (العبيدي، 2022). كما عرفه بأنه "علم وهندسة صنع الآلات الذكية" ويعرف أيضا بأنه الفرع الواسع من علوم الحاسوب الذي يعنى بتطوير أنظمة وبرامج قادرة على أداء مهام كانت حتى وقت قريب حكرا على العقل البشري (الحناوي، 2026، ص3)

وعرّفه عادل عبد النور أنّه "علم هدفه الأوّل جعل الحاسوب وغيره من الآلات تكتسب صفة الذكاء ويكون لها القدرة على القيام بأشياء مازالت إلى عهد قريب حصرا على الإنسان كالتّفكير والتعلّم والإبداع والتخاطب" (عادل عبد النور، 2005، ص7).

يفهم من التعريفات السابقة للذكاء الاصطناعي أنه محاولة تطوير الآلات والحاسوب للقيام بما كان يقوم به الذكاء الإنساني البشري.

2–أهمية الذكاء الاصطناعي:

بعد أكثر من عشرين سنة من الدراسة التي قام بها عادل عبد النور قد تحقق بالفعل ما يمكن أن يقوم به الذكاء الاصطناعي وهذا ما قدمه في كتابه مدخل إلى عالم الذكاء الاصطناعي في أهمية الذكاء الاصطناعي (عادل عبد النور، 2005، ص9–10):

–يمكن المتوقع أن يسهم الذكاء الاصطناعي في المحافظة على الخبرات البشرية المتراكمة بنقلها للآلات الذكية.

–بسبب الذكاء الاصطناعي سيتمكن الإنسان من استخدام اللغة الانسانية في التعامل مع الآلات عوضاً عن لغات البرمجة الحاسوبية مما يجعل الآلات واستخدامها في متناول كل شرائح المجتمع حتى من ذوي الاحتياجات الخاصة بعد أن كان التعامل مع الآلات المتقدمة حكراً على المختصين وذوي الخبرات.

– سيلعب الذكاء الاصطناعي دوراً مهماً في الكثير من الميادين الحساسة كالمساعدة في تشخيص الأمراض ووصف الأدوية، والاستشارات القانونية والمهنية، والتعليم التفاعلي، والمجالات الأمنية والعسكرية.

–ستسهم الأنظمة الذكية في المجالات التي يصنع فيها القرار. فهذه الأنظمة تتمتع بالاستقلالية والدقة والموضوعية وبالتالي تكون قراراتها بعيدة عن الخطأ والانحياز والعنصرية أو الأحكام المسبقة أو حتى التدخلات الخارجية أو الشخصية.

–ستخفف الآلات الذكية عن الإنسان الكثير من المخاطر والضغوطات النفسية وتجعله يركز على أشياء أكثر أهمية وأكثر إنسانية ويكون ذلك بتوظيف هذه الآلات للقيام بالأعمال الشاقة والخطرة واستكشاف الأماكن المجهولة والمشاركة في عمليات الإنقاذ أثناء الكوارث الطبيعية. كما سيكون لهذه الآلات دور فعال في الميادين التي تتضمن تفاصيل كثيرة تتسم بالتعقيد، والتي تحتاج إلى تركيز عقلي متعب وحضور

ذهني متواصل و قرارات حساسة وسريعة لا تحتمل التأخير والخطأ. فأهمية الذكاء الاصطناعي تشمل العديد من الجوانب وفعلا ليس من السهل حصرها، وعلينا الاعتراف بأن الذكاء الاصطناعي قد يكون أكثر قدرة حتى على البحوث العلمية، وقد يتسلم عجلة القيادة للوصول إلى المزيد من الاكتشافات، وبالتالي سيكون عاملاً مهماً في زيادة تسارع النمو والتطور في الميادين العلمية كافة.

3–أدوات الذكاء الاصطناعي:

إليكم قائمة مُحدّثة بأهم الأدوات التي ستوفّر عليك الوقت والجهد وترفع جودة أبحاث (منير المخلافي ، 2025)

تحديد الفجوات البحثية ومراجعة الأدبيات

– Litmapsتتبّع وتحليل الأوراق البحثية بصريًا

https://www.litmaps.com

– ScholarAIالبحث والتنظيم والتحليل للأبحاث

https://www.scholarai.io

– Scispaceاستخراج البيانات والمعلومات من الأوراق البحثية

https://www.scispace.com

الكتابة الأكاديمية والتحرير

– Jenni AIالمساعدة في كتابة الأبحاث وإدراج الاستشهادات

https://jenni.ai

– Paperpalتدقيق لغوي وأسلوب أكاديمي احترافي

https://paperpal.com

– TextCortexإعادة الصياغة وتبسيط العمل البحثي

https://textcortex.com

الأدوات التقنية والتحليلية

– Underleaf AIتحويل المعادلات إلى LaTeX وتوليد النصوص وتصحيح الأكواد

https://underleaf.ai

– Julius AIتحليل البيانات وإنشاء رسوم بيانية خلال ثوانٍ

https://julius.ai

تحويل النص إلى صوت (للمراجعة السمعية)

– Speechifyتحويل الأبحاث إلى ملفات صوتية

https://speechify.com

تقييم جودة الرسائل العلمية

– Thesifyتقييم جودة أطروحتك الأكاديمية

https://thesify.ai

رغم الإمكانات المتقدمة لتقنيات الذكاء الاصطناعي في اختصار الوقت المخصص للبحث والكتابة والتحليل، فإن الاتكال التام عليها يجرّد الباحث العلمي من سمته الإنسانية المتمثلة في التفكير النقدي، والمنهجية الصارمة، والرؤية الاستقصائية النافذة. فأدوات الذكاء الاصطناعي وإن تفوقت في مهام التبويب والتكثيف واقتراح الأفكار، تظل عاجزة عن طرح تساؤلات معرفية عميقة، أو إدراك الأبعاد السياقية والأخلاقية بذات الكفاءة التي يمتلكها الباحث المتمرس. ومن هذا المنطلق، يبقى حضور الباحث ركيزة أساسية لعمليات التدقيق والتحليل وصناعة القرار العلمي، حيث تُوظف هذه الأنظمة كأدوات مساعدة ومعززة، لا كبديل عن الإدراك والمنهج الإنساني.كما يصبح دور المشرف على البحث في ضوء الذكاء الاصطناعي صعبا نوعا ما في توجيه الباحث في الاستعمال الرشيد والمسؤول والأمين لأدوات الذكاء الاصطناعي.

خاتمة:

توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها:

1- أثبت الذكاء الاصطناعي أنه أداة داعمة لمختلف مراحل البحث العلمي، وأسهم في تسريع إنجاز كثير من المهام البحثية دون أن يغني عن الدور العلمي للباحث أو المشرف.

2- لا تزال كفاءة الباحث العلمية والمنهجية والتفكير النقدي تمثل العنصر الحاسم في جودة البحث، مهما تطورت أدوات الذكاء الاصطناعي.

3- تغيّر دور المشرف العلمي من مجرد متابعة إجراءات البحث إلى توجيه الباحث نحو الاستخدام الرّشيد والمسؤول لأدوات الذكاء الاصطناعي مع تعزيز قيم الأمانة العلمية.

4- أسهمت تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تحسين عمليات البحث عن المراجع، وتنظيم الأدبيات والتلخيص والتدقيق اللغوي، مما وفر الوقت والجهد للباحث.

5- أظهرت الدراسة أن الإفراط في الاعتماد على أدوات الذكاء الاصطناعي قد يؤدي إلى ضعف الأصالة العلمية، وتراجع مهارات التحليل والنقد والإبداع لدى الباحث.

6- تقوم العلاقة بين الباحث والبحث والمشرف في عصر الذكاء الاصطناعي على **التكامل والتعاون** لا على الاستغناء عن أي طرف من أطراف هذه الثلاثية.

7- تبرز الحاجة إلى وضع ضوابط أخلاقية ومؤسسية واضحة تنظم استخدام الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي بما يضمن الشفافية وحماية حقوق الملكية الفكرية.

8- يسهم توظيف الذكاء الاصطناعي بصورة واعية في رفع جودة المخرجات البحثية، شريطة أن يخضع ما ينتجه للمراجعة والتحقق والتقويم العلمي من قبل الباحث والمشرف.

9- بينت الدراسة أن نجاح البحث العلمي في البيئة الرقمية الحديثة يرتبط بقدرة الباحث والمشرف على اكتساب مهارات التعامل مع تقنيات الذكاء الاصطناعي وتوظيفها بما يخدم أهداف البحث.

10- خلصت الدراسة إلى أن الذكاء الاصطناعي يمثل شريكا تقنيا مساعدا في العملية البحثية؛ لكنه لا يمكن أن يحل محل الباحث أو المشرف؛ لأن الإبداع العلمي وصياغة الإشكالية وتحليل النتائج، وإصدار الأحكام العلمية تظل مسؤولية بشرية.

في ضوء النتائج المتوصل إليها نوصي بما يأتي:

- إعداد مواثيق وأدلة إرشادية تنظم الاستخدام الأخلاقي والمسؤول لتطبيقات الذكاء الاصطناعي في البحث العلمي، مع بيان حدوده وضوابطه.
- إدراج برامج ودورات تدريبية للباحثين وطلبة الدراسات العليا حول توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي توظيفا علميا صحيحا؛ بما يعزز الكفاءة البحثية دون الإخلال بالأمانة العلمية.
- تأهيل المشرفين وحتى الباحثين علميا وتقنيا لمواكبة التطورات المتسارعة في تقنيات الذكاء الاصطناعي لتمكين المشرفين من توجيه الباحثين إلى أفضل الممارسات لهذه الأدوات.
- تعزيز مهارات التفكير النقدي والتحليل والاستدلال لدى الباحثين حتى يبقى الذكاء الاصطناعي أداة مساعدة لا بديلا عن العقل البشري.
- تشجيع الباحثين على التحقق من صحة المعلومات والمخرجات التي تقدمها أدوات الذكاء الاصطناعي وعدم الاعتماد عليها اعتمادا مطلقا.
- تطوير اللوائح الجامعية لتتضمن سياسات واضحة بشأن الإفصاح عن استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في إعداد البحوث والرسائل الجامعية.
- دعم البحوث العلمية التي تدرس أثر الذكاء الاصطناعي في جودة البحث العلمي.
- التأكيد على أن نجاح البحث العلمي في ظل الذكاء الاصطناعي مرهون بتحقيق التوازن والتطور التقني والالتزام بالمنهجية العلمية والأخلاقيات الأكاديمية

قائمة المراجع:

- القرآن الكريم

1- ابن منظور أبو الفضل محمد، لسان العرب، 1414هـ، دار صادر، بيروت، لبنان.

2-أبو سليمان عبد الوهاب إبراهيم، 2005، كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، مكتبة الرشد، الرياض السعودية

3-الحناوي عابدة، 2026، مدخل إلى علم الذكاء الاصطناعي.

4-صيني سعيد إسماعيل، 1414هـ، قواعد أساسية في البحث العلمي.
5 - عادل عبد النور، 2005، مدخل إلى عالم الذكاء الاصطناعي، المملكة العربية السعودية
6-العاني عبد القاهر داود، 2014، منهج البحث والتحقيق في الدراسات العلمية والإنسانية، دار وحي القلم، دمشق سوريا.
7-فضل الله مهدي، 1998، أصول كتابة البحث العلمي وقواعد التحقيق، دار الطليعة، بيروت لبنان.
8-القاضي/ عواد حسين ياسين العبيدي، 14-8- 2022 مفهوم الذكاء الصناعي (Aritificial Intelligence) https://www.sjc.iq/view.69927/#_ftn1 تاريخ الدخول 8-6-2026، 21:26
9- ملحس ثريا عبد الفتاح، 1960، منهج البحوث العلمية للطلاب الجامعيين.
10- منير المخلافي 7 فيفري 2025، أفضل أدوات الذكاء الاصطناعي للباحثين في عام 2025 https://www.facebook.com/hashtag/د_منير_المخلافي تاريخ الاطلاع 9-6-2026 1.52

Eleventh Year Proceedings (11) on the Stakes of Scientific Research in Light of Knowledge Integration Towards Building Multidisciplinary Knowledge Capable of Innovation and Change under the motto:*When Disciplines Meet, Innovation is Born* 09-10-11/07/2026

One Size Does NOT Fit All! Why Does the Language Classroom Entail a Differentiated Dashboard?

Dr. Soumia HADJAB
Department of English Language and Literature
Faculty of Letters and Languages
Sétif 2 University-Algeria
s.hadjab@univ-setif2.dz

Abstract:

This conceptual study was geared toward investigating Differentiated Instruction (DI) as a framework requisite for 21st-century education, which inquires preparedness for global citizenship and workforce readiness. The research, administered through a synthesis of educational literature, probed the synergy between foundational DI principles - calibrating to learner willingness, interest, and profile - and current educational ends like the 4Cs (creativity, collaboration, critical thinking, and communication) and digital literacy. The procedure included inspecting how technology acts as a catalyst to personalise content, process, and product. Findings imply that DI issues a critical structure for generating equitable, inclusive classrooms and efficiently equips assorted learners for future challenges. The study wraps up that while implementation impediments as professional development last, DI is rudimentary for shifting from an industrial model to a dynamic, student-centered educational system.

Keywords: differentiated instruction, 21st century skills, personalisation, educational technology, inclusion, equity, pedagogy.

الحجم الواحد لا يناسب الجميع! لماذا يتطلب تدريس اللغة استخدام لوحة معلومات متمايزة؟

سمية حجاب

قسم اللغة والأدب الإنجليزي، كلية اللغات والآداب

جامعة سطيف 2

s.hadjab@univ-setif2.dz

ملخص:

استهدفت هذه الدراسة النظرية استكشاف «التعليم المتمايز (DI) «باعتباره إطارًا ضروريًّا للتعليم في القرن الحادي والعشرين، الذي يركز على إعداد الطلاب للمواطنة العالمية والاستعداد لسوق العمل. وقد استكشفت هذه الدراسة، التي أُجريت من خلال تحليل الأدبيات التربوية، التآزر بين المبادئ الأساسية للتعليم المتمايز لتي تتكيف مع رغبة المتعلم واهتماماته وخصائصه والأهداف التعليمية الحالية مثل المهارات الأربع (الإبداع، والتعاون، والتفكير النقدي، والتواصل) ومهارات استخدام التكنولوجيا. وشمل الإجراء فحص كيفية عمل التكنولوجيا كعامل محفز لتخصيص المحتوى والعملية والنتيجة. وتشير النتائج إلى أن التعليم المتمايز يوفر بنية أساسية لخلق فصول دراسية منصفة وشاملة، ويجهز المتعلمين من مختلف الخلفيات بكفاءة لمواجهة التحديات المستقبلية. وتخلص الدراسة إلى أنه على الرغم من استمرار عوائق التنفيذ مثل التطوير المهني، فإن التعليم المتمايز يعد أساسيًا للانتقال من النموذج الصناعي إلى نظام تعليمي ديناميكي يركز على الطالب.

الكلمات المفتاحية: التعليم المتمايز، مهارات القرن الحادي والعشرين، التخصيص، تكنولوجيا التعليم، الإدماج، المساواة، علم التربية

1. Introduction

1.1 The Adapting Educational Framework

The twenty-first-century educational landscape is delineated by an unparalleled convergence of demographic disparity, technological upgrading, and expeditiously evolving societal and economic requirements. Contemporary classrooms across the world evince an elaborate confluence of cultural substrata, linguistic proficiencies, prior knowledge, cognitive faculties, learning preferences, and socio-economic parameters. This assortment, while denoting a pivotal nexus for improved learning experiences, concurrently presents daunting obstacles for educators who have to maneuver the ramifications of examining each learner's individualized exigencies within the hinderances of standardised curricula and assessment blueprints.

The traditional, one-size-fits-all model of instruction - archivally rooted in the industrial-era paradigm of mass education planned to produce a compliant workforce - has become continually inadequate for fostering the sophisticated competencies requisite for modern global citizenship and a competitive knowledge-based economy (Robinson, 2011; Fullan & Langworthy, 2014). The twenty-first-century learner needs more than the acquisition of discrete facts and procedural knowledge; they have to elaborate the capacity for critical analysis, creative problem-solving, effective collaboration, and articulate communication - competencies conjointly designated as the 4Cs of twenty-first-century learning (Partnership for 21st Century Learning, 2019).

1.*2 The Mandate for Pedagogical Paradigm shift*

The exigency of educational transformation is further heightened by the exponential growth of technological innovation and the ascendancy of artificial intelligence, automation, and digital transformation throughout all sectors of the economy. The World Economic Forum (2020) has constantly emphasised that the future workforce will necessitate adaptability, digital literacy, and the capacity for lifelong learning - skills that cannot be appropriately nurtured by means of passive, transmission-based teaching frameworks. Equally, the global setbacks of climate change, social asymmetry, and geopolitical instability require citizens who possess not only knowledge but also the propensities of empathy, ethical reasoning, and collaborative problem-solving.

Prompted by these priorities, educational theorists and practitioners have progressively championed for learner-centered pedagogical approaches that

rank learner agency, authentic engagement, and personalised pipelines to mastery. Numbered among these approaches, Differentiated Instruction (DI) has transpired as a markedly rigorous and comprehensive framework for tackling the heterogeneous academic needs of twenty-first-century learners while synchronously encouraging the competencies crucial for future excellence.

.3 Sketching Differentiated Instruction

Differentiated Instruction is a pedagogical philosophy and systematic approach to teaching in which instructors proactively and purposely adapt curriculum content, instructional practices, assessment rubrics, and learning spaces to address the diverse learning needs, interests, and readiness strata of individual learners (Tomlinson, 2014). Unlike reactive approaches that endeavor to remediate learning hurdles after they have emerged, DI is intrinsically proactive, hinges on the understanding that divergence in learner readiness, interest, and learning profile is the norm rather than the singularity in any classroom.

The philosophical foundations of DI rest upon several key principles: (a) the recognition of learner diversity as an asset to be leveraged rather than a challenge to be managed; (b) the commitment to high-quality, rigorous curriculum for all students, regardless of their starting points; (c) the centrality of formative assessment as a continuous process informing instructional decision-making; and (d) the cultivation of student voice and choice in the learning process (Tomlinson & Imbeau, 2010; Sousa & Tomlinson, 2018).

1.4 Purpose and Scope of the Study

This conceptual study intends to amalgamate existing educational literature to review the integral role of DI as an institutional matrix for contemporary education, its conformity with twenty-first-century skill development, and the catalytic role of educational technology. Specifically, this research addresses the raised queries:

1. How do the foundational principles of DI align with the competencies incumbent for twenty-first-century global citizenship and workforce readiness?
2. In what ways does DI function as a critical framework for furthering equitable and inclusive learning environments?
3. How can educational technology serve as a catalyst for effecting DI at scale and enhancing its effectiveness?
4. What are the primary implementation deterrents to widespread DI adoption, and how might these barriers be addressed?

By addressing these issues through a rigorous conceptual synthesis, this study strives to contribute to both theoretical understanding and practical application of DI in multifaceted instructional settings.

2. Theoretical Framework: The Interconnection of DI and Twenty-First-Century Skills

2.1 Raisons d'être of Differentiated Instruction

Understanding the theoretical underpinnings of Differentiated Instruction entails an appreciation of the multifaceted nature of learner multiplicity and the pedagogical responses it necessitates. Tomlinson (2014) explicates three primary dimensions along which differentiation can be effectively implemented: learner readiness, learner interest, and learning profile.

First of all, 'Learner Readiness' signifies a student's current proximity to a particular learning goal or set of objectives. Effective differentiation requires that teachers accurately evaluates each student's readiness and design instruction that is appropriately challenging - neither so easy that it leads to boredom and disengagement, nor so difficult that it causes frustration and learned helplessness. This concept aligns rigorously with Vygotsky's (1978) Zone of Proximal Development (ZPD), which hypothesises that optimal learning occurs when tasks are pitched just beyond what a learner can accomplish solely but within reach with appropriate support.

And 'Learner Interest' embodies the topics, themes, and activities that capture a student's curiosity and intrinsic motivation. By co-opting student interests into curriculum design, teachers can increase engagement, foster persistence, and promote the kind of deep learning that transcends surface-level comprehension (Hidi & Renninger, 2006). Interest-based differentiation may include offering choice in reading materials, research topics, project formats, or real-world applications of content.

For 'Learning Profile', it alludes to a student's preferred approaches to learning, which may encompass cognitive style, intelligence preferences as outlined by Gardner's (1983) theory of multiple intelligences, cultural and linguistic sets, gender-based learning patterns, and environmental preferences. Differentiating based on learning profile demands offering varied modes of content presentation, processing activities, and demonstration of learning to accommodate diverse ways of knowing and expressing understanding.

As a matter of fact, these three facets of differentiation are not mutually exclusive but rather intersect and interact in complex ways. Effective DI needs teachers to consider the interplay between readiness, interest, and profile in designing comprehensive learning experiences.

2.2 Congruence with the 4Cs

The 4Cs of twenty-first-century learning - critical thinking, creativity, collaboration, and communication - are not discrete endss to be appended to the curriculum but are integrally woven into the fabric of a well-implemented DI classroom. The following analysis inspects the organic relationship between DI principles and each of the 4Cs.

2.2.1 Critical Thinking

Differentiated Instruction fundamentally promotes the development of critical thinking through its emphasis on tiered, complex tasks that challenge students at their respective readiness levels. In a differentiated classroom, students draw on content at increasingly sophisticated levels of analysis, evaluation, and synthesis, reach beyond mere recall and comprehension to higher-order thinking (Anderson & Krathwohl, 2001). Teachers may design tiered assignments that consider the same essential understanding but at varying levels of abstraction and complexity, insuring that all students are stretched intellectually while working within their zone of proximal development.

In addition, DI provokes students to engage in metacognitive reflection - thinking about their own thinking - as they construct self-awareness of their learning strengths, challenges, and preferences. This metacognitive capacity is foundational to critical thinking, as it assists learners to evaluate their own reasoning processes, pinpoint gaps in understanding, and proceed strategies for more effective learning (Flavell, 1979; Zimmerman, 2002).

The utilisation of wide-ranging questioning techniques in the differentiated classroom also develops critical thinking. Teachers use questions at multiple cognitive levels, strategically targeting individual students based on their readiness while gradually scaffolding toward more demanding cognitive tasks. This approach confirms that all students engage in rigorous intellectual work rather than being limited to lower-order tasks based on perceived ability.

2.2.2 Creativity

The association between DI and creativity is particularly robust, as differentiated classrooms yield the psychological safety, autonomy, and intellectual room necessary for creative expression. By allowing student choice in content and product based on interest, DI facilitates intrinsic motivation - a crucial driver of creative output (Amabile, 1996). When learners are equiped to pursue topics that genuinely interest them and to demonstrate their learning through formats that align with their strengths,

they are more likely to take intellectual threats, persist through hiccups, and produce original work.

DI also supports creativity through its attention is drawn to flexible grouping. Students work in divergent schemas - individually, in pairs, in small groups, and in whole-class settings - exposing them to heterodox interpretations and collaborative creative processes. The exchange of ideas across dissensions of background, expertise, and thinking style can spark novel insights and innovations that would not appear in homogeneous groupings (Paulus & Nijstad, 2003).

2.2.3 Collaboration

Flexible grouping strategies, a groundwork of differentiated instruction, necessitate and empower effective collaboration skills among eclectic associates. In the differentiated classroom, students coordinate in strategically designed groups that may be heterogeneous or homogeneous depending on the learning objectives and student needs (Tomlinson, 2014). These varied grouping configurations provide students with experience in navigating different social dynamics, leveraging complementary strengths, and developing the interpersonal competencies essential for effective collaboration.

The implementation of DI also promotes the development of collaborative skills through the use of cooperative learning structures that require positive interdependence, individual accountability, face-to-face promotive interaction, and explicit attention to group processing (Johnson & Johnson, 2009). Students learn to articulate their ideas clearly, listen actively to peers, provide and receive constructive feedback, negotiate differences, and synthesise diverse perspectives.

2.2.4 Communication

Differentiated Instruction places significant emphasis on varied modes of communication, recognising that students have different strengths in expressing their understanding. Rather than defaulting exclusively to written essays or traditional tests, DI encourages multiple avenues for demonstrating learning, including oral presentations, visual displays, multimedia projects, dramatic performances, and authentic products designed for real-world audiences (Tomlinson, 2014).

2.3 DI and Digital Literacy

In the twenty-first-century educational context, digital literacy has emerged as an essential competency, encompassing not only technical proficiency but

also the capacity to critically evaluate information, communicate effectively in digital environments, and participate responsibly in online communities (Hobbs, 2010; ISTE, 2018). Differentiated Instruction and digital literacy are conjointly reinforcing, as technology acts as a proximal trigger for implementing DI at scale, while DI provides the pedagogical context for unfolding digital literacy skills authentically.

2.3.1 Technology as an *Impetus* for Differentiation

The integration of educational technology in differentiated classrooms enables the personalisation of the three key elements of instruction: content, process, and product (Smit & Eerde, 2013; Bray & McClaskey, 2015). As for the first element, adaptive learning platforms, intelligent tutoring systems, and digital content repositories permit teachers to provide learners with content that is properly matched to their readiness levels and interests. These technologies can assess student understanding in real-time and adapt the difficulty, pace, and focus of content delivery accordingly. In the second, technology prepares diverse operational procedures that accommodate different learning styles and preferences. Multimedia presentations, interactive simulations, virtual labs, and digital collaboration implements provide multiple pathways for learners to engage with content and construct meaning. Digital tools, which is the third aspect, expound the range of options for students to demonstrate their learning. Rather than being restricted to traditional written assessments, learners might generate podcasts, videos, digital stories, websites, infographics, or interactive presentations to demonstrate their understanding.

3. Methodology

3.1 Research Design

This study adopted a conceptual synthesis methodology, which is particularly appropriate for research questions that seek to integrate and reinterpret current knowledge to generate groundbreaking perspectives (Rodrigues, 2023; Weick, 1989). Unlike empirical research that collects primary data, conceptual synthesis comprises the systematic review, critical analysis, and interpretive integration of existing scholarly literature to advance theoretical understanding and establish implications for practice. This approach is well-suited to investigating the relationship between differentiated instruction and twenty-first-century education, as it accounts for the synthesis of insights from diverse disciplinary standpoints – encompassing educational psychology, curriculum theory, instructional design, and educational technology - to develop a comprehensive and fine-grained understanding of DI as a pedagogical framework.

.2 Literature Search Strategy

A systematic review of peer-reviewed educational literature was undertook, spotlighting publications from the last two decades (2004-2024). This timeframe was designated to capture the evolution of DI theory and practice during a period of significant educational transformation, including the advent of twenty-first-century skills frameworks and the fast-paced growth of educational technologies. The ensuing databases were searched: ERIC (Education Resources Information Center), PsycINFO, Google Scholar, Scopus, and Web of Science. And search terms integrated blend of the subsequent keywords and phrases: Differentiated Instruction, 21st-century skills, 4Cs, critical thinking, creativity, collaboration, communication, digital literacy, educational technology, student-centered learning, personalised learning, adaptive learning, inclusive education, equity, formative assessment, professional development, and teacher education.

3.3 Selection Criteria

Articles were embraced in the synthesis if they fulfilled the criteria set forth below:

1. Release in a peer-reviewed journal or an edited academic volume.
2. Emphasis on DI as a predominant topic of investigation or theoretical discussion.
3. Explicit link to twenty-first-century education, skills, or competencies.
4. Theoretical, empirical, or practical relevance to understanding DI implementation.
5. Publication in English.

Articles were eliminated if they focused primarily on special education without attention to DI's broader application, handled only technology without pedagogical setting, or presented anecdotal accounts without theoretical or empirical basis.

3.4 Analytical Procedure

The synthesis was carried out through an iterative process of reading, coding, and interpretation. Initial readings identified core themes and categories across the literature. Following readings involved more systematic coding of articles according to the following parameters: (a) theoretical foundations of DI, (b) correlation between DI and twenty-first-century skills, (c) contribution of technology in DI implementation, (d) equity and insertion implications, (e) implementation impediments, and (f) implications and effectiveness. The synthesis sought not exclusively to summarise results but

to analytically analyse and interpret the theoretical foundations, practical applications, and corroborated outcomes of DI, with particular focus on its relationship with modern educational purposes.

3.5 Limitations

As a conceptual synthesis, this study is subject to notable caveats. First, the dependence on existing literature means that the conclusions are contingent on the quality, scope, and representativeness of the prior studies. Second, the synthesis may be impacted by publication bias, as studies reporting positive outcomes or novel theoretical insights are presumably to be published than those reporting null or negative data. Third, the focus on English-language publications may limit the inclusion of pertinent scholarship from non-English-speaking contexts. Fourth, the conceptual nature of the study does not involve empirical validation of the findings. These limitations are recognised, and the conclusions are offered as interpretive insights rather than definitive claims.

4. Findings and Discussion

4.1 *DI as a Critical Structure for Impartial and Inclusive Classrooms*

The synthesis of the literature thoroughly supports the premise that Differentiated Instruction is a critical structure for fostering equity and inclusion in educational environs. This finding emerges invariably across theoretical analyses, qualitative case studies, and practitioner accounts, though empirical research on direct causal relationships is circumscribed.

4.1.1 Moving Beyond Deficit Models

A valuable contribution of DI to educational equity is its fundamental reconceptualising of learner diversity. By admitting and responding to learner variance as the norm, DI moves unequivocally beyond deficit-based models that pathologise difference and frame certain students as innately less capable. Instead, DI embraces a strengths-based approach that respects the unique assets, experiences, and perspectives that each learner brings to the classroom (Sousa & Tomlinson, 2018; Subban, 2006).

This shift has far-reaching consequences for how teachers perceive and interact with students from historically marginalised groups, including learners with disabilities, English language learners, students from low-income backgrounds, and students of color. Rather than being rummaged through a lens of deficiency and remediation, these students' broad spectrum of experiences and cultural knowledge are recognised as valuable properties for learning. For example, the linguistic resources of bilingual learners are not seen as barriers to circumvent but as cognitive assets that reinforce metalinguistic awareness and flexible thinking (Genesee et al., 2004).

4.1.2 Differentiated Instruction and the Pursuit of Educational Equity

The literature places differentiated instruction (DI) as a cornerstone of equitable education, with Tomlinson (2014) and Oakes (1985) contending that simplified, fragmented curricula for struggling students sustain achievement gaps, while Tomlinson's (2014) principle of 'fidelity to the student while maintaining fidelity to the curriculum' guarantees all learners engage with the same required understandings through stratified intervention systems. Growing scholarship also examines DI's overlap with culturally responsive pedagogy, relying on Gay (2010) and Ladson-Billings (1995) to show how content, process, and product differentiation can aver students' cultural and linguistic backgrounds and rebut the cultural incongruity underlying educational inequity. Finally, the literature consonantly notes DI's complementary relationship with Universal Design for Learning, formulated by CAST (2018) and Rose and Meyer (2002), whose collective norms of multiple means of representation, action and expression, and engagement together prompt inclusive learning environments that serve all learners compellingly.

4.2 *Implementation Constraints*

Despite its theoretical merits and evidenced effectiveness, the literature coherently identifies significant barriers to widespread DI implementation operating at individual, institutional, and systemic levels. The most primary impediment is the need for comprehensive, sustained professional development, as one-time workshops prove insufficient for building the complex skills DI requires (Tomlinson & Imbeau, 2010; van Geel et al., 2019); consequential reform demands job-embedded learning with modeling, coaching, collaboration, and reflection (Darling-Hammond et al., 2017; Garet et al., 2001), yet teacher preparation programmes propose only superficial coverage of DI (Zelaznik et al., 2019). Time and resource constraints further inhibit implementation, since DI demands substantial planning, assessment, and material development that may overburden teachers with large classes or limited planning time (Smit & Eerde, 2013; van Geel et al., 2019), especially in under-resourced schools. Assessment obstacles arise because high-stakes testing cultures accord priority to summative over formative assessment (Tomlinson, 2014; Shepard, 2000), and traditional grading practices contravene DI's flexible routes, though alternatives like standards-based and competency-based grading remain minority practices (O'Connor, 2009).

Teacher beliefs also matter: static cognitive orientation about ability deter differentiation, whereas growth mindsets foster it (Dweck, 2006; Tomlinson, 2014), and the deviation from expert transmitter to facilitator can be distressing. Finally, systemic and policy obstructions include standardised curricula that curb flexibility and accountability systems that create pernicious inducement to neglect learners far below or above proficiency cutoffs (Nichols & Berliner, 2007), alongside resource allocation policies that either expedite or hamper DI implementation.

4.3 Strategies for Considering Implementation Impediments

The literature offers constructive, multi-level strategies for mitigating constraints to DI implementation. Effective professional development should be sustained, job-embedded, and context-aligned, utilising professional learning communities, instructional coaching, lesson study, and curriculum mapping - collaborative approaches that construct technical skills while tackling the isolation and scarcity of backing undermining teacher effectiveness (Hord & Sommers, 2008). Strategic technology use can ease time and resource restraints, as adaptive learning platforms demarcate content automatically, digital formative assessment tools furnish immediate data, and collaborative platforms permit flexible grouping, though technology should support rather than substitute thoughtful teacher decision-making (Bray & McClaskey, 2015). School leadership is also critical: effective leaders articulate a perspicuity for DI, allocate time, materials, and professional development, model differentiated practices, implement collaboration structures, and foster continuous learning, with cultures valuing collaboration, experimentation, and risk-taking more prima facie to sustain DI implementation (Hallinger, 2010; Tomlinson & Imbeau, 2010). Finally, assessment reform is indispensable, including expanded formative assessment, performance-based assessments, standards-based grading, and declined high-stakes testing to reduce pressure for shallow content coverage.

5. Discussion

The synthesis indicates that Differentiated Instruction (DI) offers a comprehensive, coherent model for twenty-first-century education, synthesising responsiveness to learner variance, rigorous content, formative assessment, flexible grouping, and technology - a comprehensiveness that is both a strength, imparting a unifying vision across contexts, and a hurdle, since its multiple technical prerequisites may overwhelm novice instructors and result in superficial implementation. The literature also unveils important conceptual convergence between DI and personalised learning, which is often technology-enabled and underscores student agency, though the two vary in emphasis: DI is basically teacher-driven while personalised learning stresses learner choice (Bray & McClaskey, 2015), and the literature argues they are correlative rather than mutually exclusive, with their integration denoting an optimal approach. A steadfast theme bears on the challenge of scaling DI from individual classrooms to whole systems, impeded by its knowledge-intensive and relational demands, discrepancies with standardised curricula and accountability systems, and the cultural transformation it stipulates. Finally, the synthesis establishes future research trajectories, involving longitudinal studies of student outcomes, comparative studies across settings, research on teacher cognition and decision-making, studies of technology-supported differentiation, inquiry on DI's confluence with culturally responsive pedagogy and other equity-oriented frameworks, and implementation research on scaling benchmarks and supports.

6. Conclusion

This conceptual study infers that Differentiated Instruction (DI) is not simply a pedagogical strategy but a theoretical architecture for an epistemological rupture in education, offering the structural means to convert from a static, industrial model of schooling to a dynamic, learner-centered system amenable to twenty-first-century imperatives, with a clear synergy between DI standards and the aims of forwarding the 4Cs and digital literacy. DI's capacity to champion equity and inclusion is noteworthy, as it moves beyond blame-the-victim frameworks to embrace a strengths-based approach that identifies the capabilities all learners bring, securing access to rigorous, meaningful curriculum through differentiated mechanisms that address systemic asymmetries historically confining marginalised learners. More importantly, Technology's role in upholding DI is considerable but complementary to, rather than displacing, teacher expertise, since

professional judgment remains crucial for interpreting learner needs, making instructional resolutions, and enhancing supportive relationships. The implementation challenges encountering DI are marked and persistent, with professional development remaining the most key domain of need, alongside time constraints, limited resources, assessment pressures, and teacher beliefs, all necessitating coordinated effort at the classroom, school, and system levels. Despite these impediments, the study underlines the necessity of investing in DI to establish equitable, inclusive, and effective learning milieus that prepare all learners for global citizenship and the future workforce, since keeping instructional approaches tailored for a bygone era is increasingly unjustifiable in a world of swift transition, global crossing, and individualized learning needs; as education progresses, DI presents a principled and practical approach to maintaining schools germane and responsive, and the future of education rests on moving beyond one-size-fits-all instruction to incorporate the broad spectrum of human learning.

References

Amabile, T. M. (1996). *Creativity in context: Update to the social psychology of creativity*. Westview Press.

Anderson, L. W., & Krathwohl, D. R. (Eds.). (2001). A taxonomy for learning, teaching, and assessing: A revision of Bloom's taxonomy of educational objectives. Longman.

Bray, B., & McClaskey, K. (2015). *Make learning personal: The what, who, wow, where, and why*. Corwin Press.

CAST. (2018). *Universal Design for Learning guidelines version 2.2*. CAST.

Darling-Hammond, L., Hyler, M. E., & Gardner, M. (2017). *Effective teacher professional development*. Learning Policy Institute.

Dweck, C. S. (2006). *Mindset: The new psychology of success*. Random House.

Flavell, J. H. (1979). Metacognition and cognitive monitoring: A new area of cognitive-developmental inquiry. *American Psychologist*, 34(10), 906-911.

Fullan, M., & Langworthy, M. (2014). *A rich seam: How new pedagogies find deep learning*. Pearson.

Gardner, H. (1983). *Frames of mind: The theory of multiple intelligences*. Basic Books.

Garet, M. S., Porter, A. C., Desimone, L., Birman, B. F., & Yoon, K. S. (2001). What makes professional development effective? Results from a national sample of teachers. *American Educational Research Journal*, 38(4), 915-945.

Gay, G. (2010). *Culturally responsive teaching: Theory, research, and practice* (2nd ed.). Teachers College Press.

Genesee, F., Lindholm-Leary, K., Saunders, W., & Christian, D. (2004). *Educating English language learners: A synthesis of research evidence*. Cambridge University Press.

Hallinger, P. (2010). Developing instructional leadership. In B. Davies & M. Brundrett (Eds.), *Developing successful leadership* (pp. 61-76). Springer.

Hidi, S., & Renninger, K. A. (2006). The four-phase model of interest development. *Educational Psychologist*, 41(2), 111-127.

Hobbs, R. (2010). *Digital and media literacy: A plan of action*. Aspen Institute.

Hord, S. M., & Sommers, W. A. (2008). *Leading professional learning communities: Voices from research and practice*. Corwin Press.

International Society for Technology in Education (ISTE). (2018). *ISTE standards for educators*. ISTE.

Johnson, D. W., & Johnson, R. T. (2009). An educational psychology success story: Social interdependence theory and cooperative learning. *Educational Researcher*, 38(5), 365-379.

Ladson-Billings, G. (1995). Toward a theory of culturally relevant pedagogy. *American Educational Research Journal*, 32(3), 465-491.

Nichols, S. L., & Berliner, D. C. (2007). *Collateral damage: How high-stakes testing corrupts America's schools*. Harvard Education Press.

Oakes, J. (1985). *Keeping track: How schools structure inequality*. Yale University Press.

O'Connor, K. (2009). *How to grade for learning, K-12* (3rd ed.). Corwin Press.

Partnership for 21st Century Learning. (2019). *Framework for 21st Century Learning*. Battelle for Kids.

Paulus, P. B., & Nijstad, B. A. (Eds.). (2003). *Group creativity: Innovation through collaboration*. Oxford University Press.

Robinson, K. (2011). *Out of our minds: Learning to be creative* (2nd ed.). Capstone.

Rodrigues, C. (2023). Conceptual synthesis in educational research: Methods and applications. *Educational Research Review*, 38, 100487.

Rose, D. H., & Meyer, A. (2002). *Teaching every student in the digital age: Universal Design for Learning*. ASCD.

Shepard, L. A. (2000). The role of assessment in a learning culture. *Educational Researcher*, 29(7), 4-14.

Smit, R., & Eerde, W. (2013). The use of technology in differentiated instruction: A review of the literature. *Journal of Educational Technology & Society*, 16(4), 38-49.

Sousa, D. A., & Tomlinson, C. A. (2018). *Differentiation and the brain: How neuroscience supports the learner-friendly classroom* (2nd ed.). Solution Tree Press.

Subban, P. (2006). Differentiated instruction: A research basis. *International Education Journal*, 7(7), 935-947.

Tomlinson, C. A. (2014). *The differentiated classroom: Responding to the needs of all learners* (2nd ed.). ASCD.

Tomlinson, C. A., & Imbeau, M. B. (2010). *Leading and managing a differentiated classroom*. ASCD.

van Geel, M., Keuning, T., Frèrejean, J., Dolmans, D., van Merriënboer, J., & Visscher, A. J. (2019). Capturing the complexity of differentiated instruction. *School Effectiveness and School Improvement*, 30(1), 51-67.

Vygotsky, L. S. (1978). *Mind in society: The development of higher psychological processes*. Harvard University Press.

Weick, K. E. (1989). Theory construction as disciplined imagination. *Academy of Management Review*, 14(4), 516-531.

World Economic Forum. (2020). *The future of jobs report 2020*. World Economic Forum.

Zelaznik, J., Kretlow, A., & Marvul, J. (2019). Pre-service teachers' perceptions of differentiated instruction: Implications for teacher preparation. *Journal of Teacher Education*, 70(4), 347-359.

Zimmerman, B. J. (2002). Becoming a self-regulated learner: An overview. *Theory into Practice*, 41(2), 64-70.

Eleventh Year Proceedings (11) on the Stakes of Scientific Research in Light of Knowledge Integration Towards Building Multidisciplinary Knowledge Capable of Innovation and Change under the motto:*When Disciplines Meet, Innovation is Born* 09-10-11/07/2026

Transformations of Memory to Testimony in the Genocide Narratives: A Case Study of Rwanda and Sinjar With Reference to Translation

Dr. Kawkab Salim Mohammed[1]
Kawkab_salim@uohamdaniya.edu.iq
Dept. of English / College of Education for Humanities/ University of Al-Hamdaniya, Mosul, Iraq
Prof. Dr. Khaleel Shukri Hayyas[2]
phkhalil@uohamdaniya.edu.iq
Dept. of Arabic / College of Education for Humanities/ University of Al-Hamdaniya, Mosul, Iraq

Abstract

Genocide represents one of the extreme forms of human violence, not only because it destroy systematically the human life, but also because this destruction is propounded in memory, identity, and narrative continuity. In the aftermath of such catastrophes, literature is as an essential space to articulate these experiences. This study is an attempt to explore how experiences of genocide are transformed from a historical event into a literary discourse of memory and testimony through a comparative analysis of testimonial narratives of genocide in Rwandan 1994 and Sinjar 2014 as two distinct but comparable sites of mass violence. An interdisciplinary theoretical framework is adopted to broader discussions in trauma and memory studies and narrative theory and to bring into the light the role of literature in representing such extreme human experiences. It is concluded that despite the cultural and historical differences, both sets of narratives reveal shared line of structural processes in the production of the testimony in the literary works

Keywords: *Genocide literature, Rwanda, Sinjar, Truma, Memory*

تحولات الذاكرة الى الشهادة في سرديات الإبادة الجماعية: دراسة حالة في رواندا وسنجار مع الإشارة الى الترجمة

م.د.كوكب سالم محمد[1]

Kawkab_salim@uohamdaniya.edu.iq

جامعة الحمدانية/كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة الإنكليزية/ موصل. العراق

أ.د. خليل شكري هياس[2]

phkhalil@uohamdaniya.edu.iq

جامعة الحمدانية/كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية/ موصل. العراق

المستخلص

تعد الإبادة الجماعية واحدة من أقصى أشكال العنف البشري، ليس فقط بسبب تدميرها المنهج للحياة البشرية فحسب، بل لما تحدثه من زعزعة عميقة للذاكرة والهوية واستمرارية السرد. وفي اعقاب هذه المآسي يأتي الادب ليكون الفضاء الذي يمكن من خلاله التعبير عن هذه التجارب. وهكذا تهدف هذه الدراسة الى بيان كيفية تحوّل التجربة التاريخية إلى خطاب أدبي من خلال تحليل مقارن لسرديات أدبية لشهود عن الإبادة الجماعية في رواندا عام 1994 وسنجار عام 2014 بوصفهما موقعين قابلين –وإن كانا مختلفين– للمقارنة عن العنف الجماعي. ومن خلال تبني إطار نظري متعدد التخصصات، تسهم الدراسة في تقديم مناقشات ذات نطاق أوسع في دراسات الصدمة والذاكرة والنظرية السردية لبيان دور الأدب في تمثيل هكذا تجارب إنسانية قاسية. وتخلص الدراسة إلى أنه على الرغم من الاختلافات في السياقات الثقافية والتاريخية، فإن كلا المجموعتين من السرديات تكشفان عن مسار مشترك من بنيوية إنتاج الشهادة في الاعمال الأدبية.

الكلمات المفتاحية: أدب الإبادة, رواندا, سنجار, الصدمة, الذاكرة

Introduction:

Human history reveals how communities experienced wars, struggles and systematic forms of mass violence that targeted them due to ethnic, racial or religious identities. The literary discourse in not only an aesthetic medium to represent these experiences; rather it is ethical and cultural documentation that preserves the victims memory and resists the conventional historical representation (Laub& Felman, 1992; Caruth, 1996). This study reveals how the historical experience is transformed into a literary discourse through a conceptual trajectory that starts from the event of genocide to memory , from memory to trauma, from trauma to testimony and finally to the formulation of the literary discourse. The study adopts an interdisplinary literary approach on trauma studies, memory studies and testimony studies on the light of the works of Caruth (1996), Assmann (2011), and Laub & Felman (1992). The central point being focused here is that the victim's testimony is not to considered as a record of his experience; rather, it is an active reconstruction that goes in a deep complex process of memory selection, narrative mediation and trauma representation (Assman, 2011; Ricoeur, 2004).

I. Theoretical Foundations

This study seeks to argue that literary discourse born of genocide is not a direct response to the event itself. But it is the outcome of a complicated chain of psychological and cultural processes beginning with trauma, expressed as memory, then transformed into a testimony to be rewritten into a literary work on the human experience. The study is organized around three ideas, in this order: trauma, memory and testimony.

1. Trauma

Trauma theory is arguably the most important critical approach to the study of literature of war and genocide. Caruth (1996) argues that trauma is not the violent event itself, but rather the psychic impact that consciousness cannot fully grasp in the moment of happening, and that later returns as intrusive memories and repetitive flashbacks that challenge the limits of language and narrative representation. " Literature is not a mere reproduction of what occurred," she contends, "but it discloses the impossibility of fully comprehending the event, a feature that renders literature a medium that can articulate experiences beyond the constraints of immediate language. This

was a watershed in literary studies, moving the focus from the historical event itself to the way it is narratively represented (Caruth, 1996).

LaCapra (2001) distinguishes between the conditions of 'acting out' – being overwhelmed by the reliving of trauma – and 'working through' – the process of overcoming it. The first is a subject trapped in compulsive repetition, the second is a way for narrative to reshape experience in accordance with a historical and ethical paradigm, and the third is writing a cognitive act that goes beyond simple documentation to recreate both the self and collective memory.

2. Memory

Memory is the means of experience reconstitution. Assmann (2011) differentiates between communicative memory, which is based on the direct experiences of people, and cultural memory, which is preserved by texts, rituals and institutions and as such kept alive over generations. Assmann (2011) also argues that literature is one of the most important repositories of cultural memory because it conserves the past but also re-interprets the past in the light of the present. Hence, the literary text becomes a space for the articulation of collective identity and resistance to attempts of forgetting and exclusion.

Memory, as Freud was to find, is a process of displacement and substitution. It is multidirectional and this is meant to draw attention to the dynamic transfers that take place between places and times during the act of remembering. Multidirectional memory conceives of collective memory as partially detached from singular forms of cultural identity, acknowledging the simultaneous fragmentation and mobilization of different spatial, temporal and cultural sites (Rothberg, 2009).

In the narratives of the genocide, Ricoeur (2004) stresses that memory is not a neutral retrieval of the past but a selective and creative process that re-works the experience of trauma in a narrative frame, bestowing it with human and moral significance, and thus becoming the crucial link between the historical event and the literary testimony.

3. Testimony

Testimony is the moment when individual memory becomes a discourse that can circulate socially and culturally. Testimony is not an objective record of facts, but a communicative act which occurs in the relationship between witness and recipient in an effort to communicate an experience which

exceeds the limits of direct description (Felman & Laub, 1992). The value of testimony lies not only in its accuracy as a document but in its ability to articulate and give meaning to the traumatic experience in literary and ethical terms (Felman & Laub, 1992).

Thus, the testimony in this study is not read as a literary genre per se, but as a way through which memory is translated into the literary discourse; be it a fictional novel based on survivors' narratives as in "Murambi: The Book of Bones" by Diop (2006), or direct testimonial memoir as in "I Prepared to Death My Dreams " by Khalida Khalil (2017).

II. Previous Studies & Research Gap

During the last few years, genocide narratives have been the object of much attention in literary studies, particularly through approaches that privilege the relation between trauma, memory and testimony as the main mode of representing violent experiences.

One salient example of a literary narrative that deals with the 1994 Rwandan genocide is Diop's novel, "Murambi: The Book of Bones." It has been the focus of several studies in the Rwandan literature. These studies have tackled the novel's use of narrative strategies to reconfigure the memory of the genocide, and have reflected on the difficulties of representing mass violence in a work of literature. As Aguilar (2023) points out, the novel does not consider the Rwandan genocide a closed event of the past but constructs a multidirectional memory that connects the Rwandan experience to wider discourses about the representation of historical violence and the modes of memorialization. Other studies have considered the novel's role in interrogating the relation between history and fiction, and have shown that narrative fiction can prove testimonial even when it is not based on direct testimony.

In studies of Sinjar and Yazidi narratives, the focus has been on the representation of the genocide the Yazidis suffered in 2014 and the role of literature in preserving the collective memory and resisting the erasure of identity. Recent research has focused on literary texts about the 2014 Sinjar tragedy in terms of trauma and memory, demonstrating how literary narrative has been a way to re-create the collective experience of victims and survivors. In this sense, Al-Dory (2024) considers Dunya Mikhail's novel "The Bird Tattoo" as a specimen of trauma literature that demonstrates how the suffering of Yazidis is transformed into literary discourse by applying Rothberg's (2009) notion of multidirectional memory. The latter idea

accounts for how local memory intersects with narratives of violence. Hence, Al-Dory claims that moments of genocide, such as the Sinjar genocide, have become central to the production of a literary discourse related to memory and testimony .

These studies have explored the Rwandan or Yazidi experience in its specific context, looking at key aspects like trauma, memory or narrative representation. More studies on testimony have stressed its historical and ethical importance in giving voice to the victims, but have not given enough weight to how testimony becomes a literary structure with esthetic and narrative qualities.

Thus, the research gap addressed by the present study lies in the lack of comparative approach to the transformative process of the experience of genocide from historical event to trauma, from trauma to memory and then to testimony and literary discourse. Diop's(2006) Murambi: The Book of Bones bears witness to a narrative that re-imagines the Rwandan genocide, and Khalida Khalil's (2017) " هيأت للموت أحلامي" "I Prepared to Death My Dreams" bears witness to a narrative of testimony associated with the Sinjar experience. The present study then seeks to address this gap by examining how memory, trauma and testimony produce different forms of literary discourse in two different genocidal contexts.

III. Analytical Framework

In this study, a comparative analytical method is used to analyze the literary narratives, to demonstrate how the experience of genocide is transmuted from a traumatic historical event into a literary discourse of memory and testimony. It theorizes the relationship between the experience of violence and its narrative articulation through a critical stance that draws on trauma studies, memory studies and testimony theory.

The corpus of this study includes two literary texts that reflect two contexts of genocide: the novel Murambi: The Book of Bones by Boubacar Boris Diop (2006) which deals with the 1994 Rwandan genocide, and "هيأت للموت أحلامي" "I Prepared to Death My Dreams " by Khalida Khalil (2017) which presents a narrative related to the Yazidi experience in Sinjar in 2014. These texts have been selected because they demonstrate two ways of producing genocide discourse. The Rwandan novel is a fictionalized representation based on collective memory and survivor testimonies. The Yazidi text is a testimonial narration of the experience of the victim and the retrieval of individual and

collective memory. This theoretical framework underlies the following conceptual model of the study:

Genocide Event → Trauma → Memory → Testimony → Literary Discourse

This process is concerned with the representation of the effects of violence and the evocation of the past, the construction of the voice of the witness and the transformation of individual or collective experiences into literary texts with esthetic, historical, and ethical dimensions. It is tracing this narrative trajectory process in which the experience of genocide is transformed into literary discourse. It also explores the similarities and differences between novelistic narratives of Rwanda and testimonial narratives of the Yazidis in Sinjar. The objective of this study is not to compare the two experiences of genocide from the historical or political point of view, but to analyze through narrative the literary mechanisms of meaning production and memory retrieval in these two different contexts. One final point to be noted here is that the researchers themselves produced the English translation of the selected Arabic texts because there is no available published English version of Khalida Khalil's (2017) "هيأت للموت أحلامي" "I prepared to Death my Dreams ".

IV.Texts Analysis

The analysis is divided into three stages corresponding to the conceptual model of the study. They are not regarded as separate stages but as interrelated dimensions of a single interpretive process.

1. Memory Analysis: Analysis of the act of remembering events, broken or reconstructed in a narrative discourse.
2. Trauma analysis: breaks in the narrative, repetition, muteness, and affective expressions.
3. Testimony Analysis: A communicative and moral act to the external audience.

Sinjar Case

1-Trauma Analysis: Rafid's Experience of the Kojo Massacre

In this example, trauma is not figured as memory of a past event, but as an ongoing bodily experience. The wounded body is a witness to violence, as the narrator's description of his injuries illustrates:

"طاش قدامي رصاصة في رجلي ورصاصة في يدي وضيعوا لي أصبعي الثاني والثالث"_

-“two bullets hit my foot and another one hit my hand, I lost my second and third finger...”

Here the body is not simply the victim of violence but the living archive of the genocide. This is an example of Caruth’s (1996) understanding of trauma as something that is not fully known at the time of its occurrence but comes back later through traces in memory and body. Moreover, trauma is not only an event in the text at the moment of shooting. It remains after surviving as the speaker relates:

-" كنت اغلب الوقت فاقدا للوعي... وجسدي وكأنه ليس جسدي فقد تحولت كل قطعة منه الى جزء غريب عني."

-"Most of the time I was not conscious... My body felt like it wasn’t mine. Everything about it was strange to me now.”

This sentence is an example of what LaCapra calls ‘acting out’, a condition of the survivor still attached to the experience of violence, unable to move beyond its psychological presence (LaCapra, 2001).

2- Memory Analysis: Individual Experience to Collective Memory

The story starts with the experience of the individual (Rafid), but it goes beyond the individual and becomes a collective memory of the Yazidis. This is worded in the statement:

-"كنت أدرك أننا نتحول الى ارقام لاقيمة لها حين ترسم معادلات وجود القوى الطامحة للأرض والسماء

-"We are worthless numbers when the equations are drawn on the existence of powers that covet earth and sky.”

Here the text moves from individual fear to a historical awareness of collective targeting. What occurs is not a singular event for the narrator, but one in a long history of exclusion and violence. Furthermore, the invocation of the village, the family, the father and the mountain is not a simple recalling of the past, it is the building up of what Assmann (2011) defines as “cultural memory”, where locations and persons turn into symbols that keep the identity of a community alive after an effort to erase it.

3- **Testimony Analysis: The Survivor as Witness**

The most powerful part of the piece is when the narrator becomes a witness, from victim, as Rafid says:

-"لا توجد جريمة كاملة! وأننا سنكون من الناجين شهودًا على بطشهم وإبادتهم لقتل هويتنا".-

-"No crime is perfect! "We, the survivors, will be there to witness their savagery, their attempt at genocide to destroy our identity."

This statement summarizes the core of Felman and Laub's theory of testimony; the survivor escapes not only physical death, but is entrusted with the responsibility of testifying the events to others. To be here alive is not the end of suffering, it is the beginning of a new mission, the bearing witness. In this sense the literary text is more than a personal story, it is an act of resistance to oblivion.

Rwanda Case

1. Trauma Analysis: Body as the Archive of Violence

-" The young woman had her head pushed back and the scream extracted from her by the pain had been frozen on her still grimacing face". (Diop, 2006).

The way Diop encapsulates trauma in the novel is perhaps most visceral since she emphasizes that this killing is not completed, but frozen in the body of the victim. In that case, the body not only refers to the death but also a place where the crime leaves its traces, exuding what the killers wanted to hide. The woman's head was pushed back and the scream that pain had dragged out of her was frozen on the face that was still grimacing (Diop, 2006)

2. Memory Analysis: Reconstructing the History of the Genocide

-"The genocide didn't begin on the sixth of April 1994, but in 1959 through little massacres that no-one paid attention to." (Diop, 2006)

According to Diop in 2006, the events surrounding the genocide did not actually begin on the date of April the sixth in nineteen ninety-four but rather in nineteen fifty-nine with small massacres no one paid attention to.This passage helps to establish the function of memory in the novel through history. Diop does not date the Rwandan genocide to the outburst of violence in 1994. He rather steps back further in time to a long line of events that made this possible. Seen this way, memory is less about recalling the past than it is about reinterpreting the past. According to Assmann (2011) safeguarding of cultural memory, it is necessary to re-inject the forgettable event or events with new presence.

This is a very important passage. The "little massacres" illustrates the need to combat historical amnesia. Genocide is organized forgetting. It does

not start when the violence culminates, but when the first manifestations are ignored. Literary narrative is a way of fighting against this indifference. In this way, Murambi goes from being a novel of the past to a novel of the responsibility for remembering the past. It is not just a matter of remembering the tragedy, but of trying to understand how society was able to produce it.

3. Testimony Analysis: Evaluation

- "He would tirelessly recount the horror. With machete words, club words, words studded with nails... Every chronicler could at least learn—something essential to his art—to call a monster by its name." (Diop, 2006)

These are Diop's perspective for writing after a genocide where words do not only serve as an esthetic medium but an instrument of confrontation. The metaphor of a "machete word" is a marker of violence, traces of which are evident on language; yet this semiotic remains engaged in resisting silence. The idea of testimony as Felman & Laub (1992) describe it is matching this. According to them, testimony is not only information about an event, but also an ethical relationship between witness and audience. The author does not just recount what the crime is, he makes it his business to name it, to accuse it. According to Diop, the aim of writing is "to name a monster," that is to refuse obfuscation and evasion, the creation of a space in human memory for the victims is the needed work of literature after genocide. Hence, the fictional account evolves into a testimony. This does not substitute for the accounts of survivors, but offers them a narrative to preserve and transmit their stories to future generations.

V-Comparison & Discussion

Reading the two texts together makes it clear that the literature does not include the genocide as a completed historical event from the beginning, but moves through a series of narrative transformations, from the traumatic event itself to the production of a discourse that has an ethical and esthetic function. Despite the different contexts of the two works, they both demonstrate that literature is a space for rebuilding what violence wanted to destroy: the human being, memory and identity.

First: The Differing Locus of Trauma

In "هيأت للموت أحلامي " "I Prepared to Death My Dreams " the trauma is the result of the never-ending personal experience; the narrator is a survivor with the physical marks of the massacre on her body. The wound, the death

of a father, the enforced separation from one's family, all make the body itself a living record of the event. However, in "Murambi", the trauma is constructed through the engagement with the consequences of the genocide and the recovery of the victims' voices through narrative storytelling. The narrator does not tell a story about himself, but tries to represent a great collective tragedy. This distinction refers to two different forms of trauma representation, "*lived trauma*" in the narrative of Khalida Khalil and "*narrated trauma*" in the novel by Diop.

Second: The Differing Function of Memory

In Khalida Khalil's text memory is connected to the lost place and the disappeared people, to the village, the father, the family and the mountain, not as narrative elements, but as signifiers that keep the community alive after attempts to erase it. Diop, however, expands the concept of memory to include the social and political history of the genocide and considers the origins of violence to pre-date 1994, claiming that the massacre was not a temporal singularity but a product of historical accumulations. Thus, memory plays two different functions in the two texts; in "هيأت للموت أحلامي" (I Prepared to Death My Dreams) it is the preservation of what the survivor has lost and in "Murambi" it is the reason why the collective loss happened..

Third: Testimony—between the personal voice and the literary voice.

Khalida Khalil provides a model of direct testimony: the survivor speaks because they lived the experience and writing becomes an extension of their responsibility to those who did not survive. But Diop proposes an alternative model in which the novel itself becomes an act of testimony. The writer does not position himself as the victim, but he does assign literature a moral role: to preserve the voices of victims, and to resist forgetting. Here the fundamental difference becomes manifest: in the tale of Khalida Khalil, testimony is born of the wound, in Diop's novel, testimony is created in the act of writing.

In sum, the comparison shows that the production of literary discourse after genocide is not dependent on one form of testimony. Testimony may be that of the survivor who transforms personal experience into collective memory or that of the writer who transforms collective memory into literary discourse. In either case, literature is a resistance to erasure, a recovery of the humanity of the victim.

VI. Conclusion

This study have attempted to explore the transformation of the experience of genocide from a historical event with violent consequences to a narrative discourse with ethical and mnemonic aspects. This is achieved by adopting a comparative analysis of Boubacar Boris Diop's (2006) novel "Murambi: The Book of Bones" and Khalida Khalil's (2017) narrative essay "هيأت للموت أحلامي" (I Prepared to Death My Dreams). The basic premise on which the study is built is that literature does not witness tragedy. Instead, it reconstructs it in a narrative process, starting from trauma, continue through memory, and end in literary testimony.

The analysis reveals that trauma is not a completed event in either of the texts but rather a continuing effect, one that leaves traces in the body, memory and language. "I Prepared to Death My Dreams " is inscribed with violence in the experience of the survivor who carries the scars of the massacre in his own body. The injured body is a living testimony of the victims. "Murambi: The Book of Bones", however, constructs trauma through the recovery of the traces of genocide and through the representation of the bodies of the victims as mute witnesses to the crime.

The study's results show that memory is the key to the struggle against oblivion and the reconstruction of a collective identity. In Khalida Khalil's understanding of memory, place and family matter, as well as the lost normalcy of everyday life before the genocide. But in Diop's novel, memory becomes bigger, encompassing the historical and political roots of the violence that led to the Rwandan genocide. Memory in both was merely called forth to bring back the past. Also it was a resistance to the scrubbing of the victim and his experience.

An analysis reveals the literary testimony of these two texts is different. In "هيأت للموت أحلامي," the testimony is narrated in the voice of a survivor who experienced the genocide. The survivor tells it as a moral duty to the dead. But in Murambi, the testimony is in the form of the novel's writing, the victims' narratives are brought forth and literature becomes a space for collective memory keeping. In comparing the two literary texts, we notice that, despite the differences in the narrative forms, they resort to literature as a remedy against silence and to recapture the humanity of the victims.

The study finds that a literary discourse on genocide is not created through a straightforward transference of historical events but appears through a chain of transformations working human sufferings, through pain, through awareness, through memory, through testimony, and eventually through literature. The literatures have a value, in fact, not only that they are tragedies of the communities affected by them but that they elevate the individual and communal experience into human discourse; one that is beyond space and time. Thus, post-genocide literature cannot substitute for history and records, says the study. It offers a parallel universe in which victims can tell their stories, allowing us to remember and re-assess what it means to be human in the face of mass violence.

VII. References

1. Aguilar, M. (2023). Memory, genocide, and literary representation in Boubacar Boris Diop's *Murambi: The Book of Bones*. *Revista de Estudios Africanos, 34*, 45–60.
2. Al-Dory, H. A. (2023). The multidirectional memory of Iraqi Holocaust: A study of Yazidi genocide representations in contemporary literature. *Journal of Language Studies, 6*(3), 1–15.
3. Assmann, A. (2011). *Cultural memory and Western civilization: Functions, media, archives*. Cambridge University Press.
4. Assmann, J. (2011). *Cultural memory and early civilization: Writing, remembrance, and political imagination*. Cambridge University Press.
5. Caruth, C. (1996). *Unclaimed experience: Trauma, narrative, and history*. Johns Hopkins University Press.
6. Diop, B. B. (2006). *Murambi: The book of bones* (F. Appiah, Trans.). Indiana University Press.
7. Felman, S., & Laub, D. (1992). *Testimony: Crises of witnessing in literature, psychoanalysis, and history*. Routledge.
8. Khalil, Kalida (2017), هيأتُ للموت أحلامي[I Prepared to Death My Dreams]. (https://2u.pw/jRTHFB).
9. LaCapra, D. (2001). *Writing history, writing trauma*. Johns Hopkins University Press.
10. Ricoeur, P. (2004). *Memory, history, forgetting*. University of Chicago Press.
11. Rothberg, M. (2009). *Multidirectional memory: Remembering the Holocaust in the age of decolonization*. Stanford University Press.

Eleventh Year Proceedings (11) on the Stakes of Scientific Research in Light of Knowledge Integration Towards Building Multidisciplinary Knowledge Capable of Innovation and Change under the motto:*When Disciplines Meet, Innovation is Born* 09-10-11/07/2026

BRIDGING THE QUANTITATIVE-QUALITATIVE DIVIDE ACROSS SCIENTIFIC DOMAINS : AN INTEGRATIVE FRAMEWORK OF EPISTEMOLOGICAL ALIGNMENT, META-INFERENTIAL PROTOCOLS, AND AI-ENABLED INSTRUMENTATION

Dr. MEHDDEB Nabil
Ecole Nationale Supérieure de Statistique et d'Economie Appliquée (ENSSEA) Kolea, Algeria
MAGIPO Laboratory, Ecole Supérieure de Commerce (ESC) Kolea, Algeria
mehddeb.nabil@learning.enssea.edu.dz

Abstract:

Contemporary science is organised around problems that transcend disciplinary boundaries; its methodological architecture is not. A PRISMA-guided integrative review of Scopus- and ScienceDirect-indexed scholarship (2021–2026), coupling bibliometric mapping with qualitative synthesis, identifies four deficiencies: nominal integration, undeclared epistemological incoherence, indicators registering disciplinary co-location rather than knowledge recombination, and weakly grounded artificial-intelligence tools. These are reconceptualised as research value buckets, transposed from Radical Innovation Design, and answered by four bridges rendered refutable through five propositions. The divide is thus a bounded problem of translatability, not an ontological barrier.

Keywords: epistemology; quantitative-qualitative integration; interdisciplinary knowledge integration; meta-inference; AI-enabled research synthesis.

تجاوز الإنقسام المنهجي بين المقاربتين الكمية و النوعية عبر التخصصات العلمية المختلفة : إطار تكاملي لمواءمة الأسس الإبستمولوجية، بروتوكولات الإستدلال الفوقي، و منظومة القياس المدعومة بالذكاء الإصطناعي

الدكتور مهذب نبيل

المدرسة الوطنية العليا للإحصاء و الاقتصاد التطبيقي – القليعة – الجزائر

مخبر البحث MAGIPO – المدرسة العليا للتجارة – القليعة - الجزائر

mehddeb.nabil@learning.enssea.edu.dz

ملخص:

ينتظم العلم المعاصر حول إشكالاتٍ تتجاوز بطبيعتها الحدود الفاصلة بين التخصصات، غير أنّ معماره المنهجي لا يزال عاجزًا عن مجاراة هذا الطابع العابر للتخصصات. وتكشف مراجعة تكاملية، موجَّهة بإرشادات **PRISMA** للأدبيات العلمية المفهرسة في قاعدتي **Scopus** و**ScienceDirect** خلال الفترة 2021–2026، والتي تمزج بين الخرائط الببليومترية والتركيب النوعي، عن أربعة أوجه قصور رئيسة :تكاملٍ اسمي يفتقر إلى التحقق الفعلي، وعدم اتساقٍ إبستمولوجي و الذي يظلّ غير مُعلَن، ومؤشراتٍ لا ترصد سوى التواجد المتجاور للتخصصات بدلًا من إعادة تركيب المعرفة، وأدواتٍ للذكاء الاصطناعي تفتقر إلى تأصيلٍ نظري ومنهجي راسخ. هنا، تُعاد صياغتها بوصفها «جيوب قيمة بحثية» باستخدام منهجية التصميم الابتكاري الجذري، بحيث تمت معالجتهاُ من خلال أربعة مرتكزات قابلة للتفنيد و التي أنتجت خمسة مقترحات. في الأخير ، فإن هذا الإنقسام ليس حاجزا انطولوجيا، و إنما هو إشكالية محددة تتصل بإمكانيات الترجمة بين الأطر المعرفية.

الكلمات المفتاحية: الإبستيمولوجيا؛ التكامل الكمي–الكيفي؛ التكامل المعرفي بين التخصصات؛ الاستدلال الفوقي؛ التركيب البحثي المعزَّز بالذكاء الاصطناعي.

INTRODUCTION

Contemporary science labours under a paradox largely of its own construction. The problems now pressed upon research – the sustainability transition, the governance of artificial intelligence, the resilience of health systems, the conversion of research capacity into development – are irreducibly multi-disciplinary in constitution; yet the epistemic system charged with addressing them remains organised, trained, evaluated, and rewarded along disciplinary lines. The complexity of the problems has risen more rapidly than the integrative capacity of the system obliged to resolve them, and the resulting deficit is methodological quite as much as it is institutional.

The response of the research community has been vocal but uneven. 'Interdisciplinarity', 'knowledge integration', and 'mixed methods' have acquired the status of near-obligatory vocabulary in funding instruments, institutional strategy, and editorial policy. A growing body of evidence, reviewed systematically below, nevertheless indicates that integration is considerably more often professed than practised. Mixed-methods studies proliferate whilst the genuine articulation of their strands remains exceptional; research designs assemble instruments whose philosophical commitments are never reconciled; institutional metrics register the adjacency of disciplines whilst remaining indifferent to whether any knowledge has in fact been recombined; and the artificial-intelligence instruments now entering scholarly practice promise synthesis at scale whilst lacking the grounding, interpretability, and verification that scholarly use properly demands. The distance between profession and practice constitutes the space within which this paper operates.

The argument advanced here may be stated in a single proposition: **the quantitative–qualitative and cross-disciplinary divide is not an ontological barrier to be endured but a bounded problem of translatability amenable to deliberate engineering.** This contention is neither casual nor uncontested. It rests upon a particular reading of the philosophical tradition – namely, the *local* rather than the global construal of Kuhnian incommensurability – and upon the demonstrated capacity of research communities to co-operate across paradigmatic difference without arriving at consensus. These commitments are declared below as explicit and falsifiable assumptions rather than introduced by stealth.

Three questions structure the enquiry:

- **RQ1.** Which epistemological and methodological barriers most persistently obstruct quantitative–qualitative and cross-disciplinary integration?
- **RQ2.** In what manner do these barriers manifest as identifiable and prioritisable deficiencies across domains, topics, and specialities?
- **RQ3.** Which methods, methodologies, and instruments might operationalise bridges across these deficiencies, and under what conditions would they enhance the pace, scope, rigour, and consequence of research?

Four contributions are claimed: a theoretical synthesis connecting the lineage of the paradigm disputes to the contemporary debates concerning integration quality and AI instrumentation, organised about the thesis of engineerable translatability and its declared assumptions; a transferable diagnostic which converts the diffuse complaint that integration is difficult into a prioritised and falsifiable set of targets; an integrated framework of four bridges, each specified as a mechanism, a procedure, and a testable proposition; and a phased empirical programme which renders the whole susceptible to refutation.

Two features of the design merit notice at the outset. The first is *reflexivity*: the methodology is itself a worked instance of the framework proposed, in that a quantitative bibliometric strand and a qualitative synthesis strand are articulated at an explicit point of interface to yield meta-inferences. The paper thus practises what it prescribes, a coherence which strengthens the argument whilst deliberately raising the stakes upon its execution. The second is *epistemic candour*: facts, assumptions, and recommendations are distinguished explicitly throughout; ordinal expert estimates are labelled as such pending confirmation; and the conditions under which each claim would be falsified are stated rather than implied.

I. CONTEXT: THE INTEGRATION IMPERATIVE

Three developments converge to render the integration problem at once urgent and, for the first time, tractable at scale.

The policy turn. Research policy has, over two decades, reoriented itself about problems rather than disciplines, and funding instruments increasingly render interdisciplinary composition a condition of eligibility. The machinery beneath the mandate has not kept pace: careers are still made within disciplines; journals and promotion committees continue to evaluate along

disciplinary lines; and the bibliometric instruments which mediate evaluation reward within-field citation, whilst journal-ranking regimes may actively suppress interdisciplinary work (Rafols et al., 2012). The barriers documented by Bryman (2007) at the level of the individual study – disciplinary convention, skill silos, specialist audiences, and reward structures – operate with equal force at the level of the institution. Interdisciplinarity is, in short, mandated more rapidly than it is enabled.

The instrumentation moment. Artificial intelligence has meanwhile migrated from the object of research to its infrastructure. Recent evidence indicates that, when furnished with both deep and broad knowledge, large language models exhibit genuinely cross-disciplinary convergent and divergent reasoning (Chen et al., 2025), such that the promise implicit in Swanson's (1986b) undiscovered public knowledge becomes addressable at the scale of the literatures themselves. Yet the capability has arrived in advance of its governance: the same evidence documents weak domain grounding, limited interpretability, and predominantly single-domain deployment, whilst fabricated claims remain a live failure mode. The instrumentation deficiency identified below is accordingly both newly addressable and newly hazardous, and for precisely the same reason.

The innovation imperative. In knowledge-based economies the capacity to produce integrated and actionable knowledge constitutes a competitive resource, innovation scholarship having long located radical opportunity at interfaces between bodies of knowledge not previously combined. For emerging research systems in particular, that capacity is not an academic refinement but a developmental lever, in that it determines whether expanding research volume is translated into problems resolved.

Policy thus supplies the demand for integration, artificial intelligence a candidate instrument, and innovation the stakes. What is absent from the conjunction is an epistemologically grounded account of where integration fails and how it might be made to succeed; instruments deployed in the absence of epistemology will otherwise reproduce, at machine speed, the failures which the paradigm disputes catalogued by hand.

II. THEORETICAL BACKGROUND

The divide is frequently treated in the applied literature as a brute feature of the research landscape, to be managed rather than explained. That framing is here rejected. This section reconstructs the specific genealogy of the divide

and demonstrates that each canonical response has left an unresolved residue which the contemporary literature is only now beginning to measure. The organising logic is sequential: Kuhn supplies the problem; Tashakkori and Teddlie supply the paradigmatic licence to cross it; Creswell and Plano Clark supply the operational grammar for crossing it within a study; and a supporting lineage supplies the mechanisms which the framework subsequently repurposes.

The paradigm problem: Kuhn and the architecture of incommensurability

The modern vocabulary of the divide originates with Kuhn's *The Structure of Scientific Revolutions* (1962; 2nd edn 1970). His account of normal science proceeding within a shared paradigm – clarified in the 1969 postscript as a *disciplinary matrix* comprising symbolic generalisations, shared commitments, values, and exemplars – furnishes the deepest root of what is termed below the paradigm-alignment deficiency. Disciplines, upon this view, constitute quasi-paradigmatic communities which differ not merely in the objects they study but in their assumptions concerning the nature of reality, the criteria of admissible evidence, and the problems deemed worthy of solution.

The pivotal construct is *incommensurability*, which operates in three distinguishable senses: methodologically, in that competing paradigms disagree as to which problems are significant and which standards a solution must satisfy, such that no paradigm-neutral algorithm for choosing between them is available; observationally, in that the theory-ladenness of observation denies any wholly neutral observation language; and semantically, in that identical terms carry divergent meanings across paradigms, producing partial failures of translation. Read together, these senses explain why the natural sciences, the social sciences, and the humanities resist mutual translation at the level of foundational assumption rather than merely differing in technique.

Were the argument to rest here, it would have defined a problem it could not resolve, since a strong construal of incommensurability entails that bridges are impossible in principle. It is therefore essential to foreground the later Kuhn. In 'Commensurability, Comparability, Communicability' (1983; collected 2000), the doctrine is substantially narrowed to **local incommensurability**: only a small subcluster of interdefined terms fails to

translate across paradigms, whilst the remainder of the two languages is shared. Incommensurability, upon this mature reading, constitutes the untranslatability of a bounded vocabulary rather than global unintelligibility, and may be navigated through interpretation and through the acquisition of a second disciplinary language.

This distinction is the hinge upon which the present argument turns. Under strong incommensurability, integration is a category error; under local incommensurability, it is a tractable task of translation. The local reading is adopted here, though it is an interpretive commitment rather than an established fact, and it is labelled accordingly (Assumption A1, §2.5). Whatever construal is adopted, however, Kuhn's account remains diagnostic and community-level: it explains why the divide exists and how paradigms change, but offers no theory of deliberate integration. That prescriptive vacuum the subsequent traditions attempt, with partial success, to fill.

The paradigm disputes and the pragmatic settlement

Kuhn's legacy was transmitted into empirical methodology through the paradigm disputes of the 1980s and early 1990s, whose strongest articulation was the *incompatibility thesis* associated with the constructivist wing of qualitative enquiry (Guba & Lincoln, 1994): since quantitative and qualitative methods are held to be tethered to incompatible ontologies, their combination constitutes not a technical convenience but a philosophical contradiction.

The decisive counter-movement was codified by Tashakkori and Teddlie (1998; 2003; 2010). Two contributions are foundational here. The first positioned mixed-methods research as the **third methodological movement**, a paradigm standing alongside rather than merely between the two traditions. The second enrolled **pragmatism** as its philosophical partner: a stance which rejects the forced dichotomy of the incompatibility thesis, treats the research question as the arbiter of method, and relies upon abductive reasoning and intersubjective warrant rather than upon a single foundational ontology. Crucially, they advanced the constructs of **inference quality** and of the **meta-inference** – the integrated conclusion drawn across the strands of a study – in an early attempt to construct a validity framework neutral as between the traditions.

Three weaknesses bear directly upon the deficiencies diagnosed below. Pragmatism's criterion of what works may degrade into a permissive catch-all which evades rather than resolves the underlying tension. Inference

quality, though conceptually rich, remained thin as to procedure, specifying neither how a valid meta-inference is constructed nor how it is distinguished from a merely juxtaposed pair of mono-method conclusions. And the claim that pragmatism transcends the ontological quarrel is itself a metaphysical position, resolving the disputes by declining to adjudicate them.

The design vocabulary and the point of interface

If Tashakkori and Teddlie supplied the paradigmatic licence to combine, Creswell and Plano Clark (2007; 2011; 2018) supplied the grammar which rendered combination teachable, reviewable, and fundable. Their canonical typology – the convergent, explanatory-sequential, and exploratory-sequential core designs, together with the embedded, transformative, and multiphase designs – furnished a shared design vocabulary; whilst their concept of the **point of interface**, the stage at which the strands are actually brought together, remains the most serviceable device for locating integration.

The features which secured that success, however, produced three weaknesses. The typology locates integration without testing its rigour, being largely silent as to how well the articulation is performed. It invites mechanical application, such that studies may run two mono-method strands in parallel, denominate the result 'mixed', and never achieve integration at all – the phenomenon of nominal integration which Gierus et al. (2025) document empirically. And its scope is bounded, presuming the collection of primary data within a single study and extending only with difficulty to knowledge already produced across disciplines and literatures.

The supporting lineage

Four further strands complete the scaffold and supply the mechanisms absent from the pillars above. Greene, Caracelli and Graham (1989) furnished the sharpest statement of why one integrates, identifying five purposes: triangulation, complementarity, development, initiation, and expansion. Morgan (2007) and Johnson and Onwuegbuzie (2004) advanced the reframing of paradigms as shared systems of belief and practice within research communities, thereby softening the Kuhnian problem at the level of practice. Bryman (2007), as noted, established that integration frequently fails for institutional rather than epistemological reasons.

Of particular consequence is the contribution of Star and Griesemer (1989), whose concept of **boundary objects** – artefacts sufficiently plastic to

accommodate the local needs of different communities yet sufficiently robust to sustain a common identity across them – demonstrates that co-ordinated work is achievable through 'co-operation without consensus'. This constitutes the sociological complement to the semantic bilingualism of the later Kuhn: where §2.1 argues that translation is possible in principle, Star and Griesemer demonstrate that co-ordination is achievable in practice without paradigmatic fusion. Finally, Swanson's (1986a; 1986b) notion of undiscovered public knowledge reframes a substantial portion of the cross-disciplinary problem as one of retrieval and linkage rather than of generation *ex nihilo*.

Table 1. Foundational contributions, their limitations, and the present extension

Foundational work	Core contribution	Principal limitation	Extension adopted here
Kuhn (1962/1970; 1983)	Paradigm and disciplinary matrix; incommensurability; later narrowed to its *local* form	Diagnostic and community-level; the strong construal precludes bridging; the local construal is an interpretive commitment	Furnishes the hinge licensing the bridging programme (Assumption A1)
Tashakkori & Teddlie (1998; 2003; 2010)	Mixed methods as third movement; pragmatism dissolves the incompatibility thesis; inference quality; meta-inference	Pragmatism risks under-determination; inference quality left under-operationalised	Operationalised through declared meta-inference protocols and integration-quality criteria (B2)
Creswell & Plano Clark (2007; 2011; 2018)	Design typology; point of interface	Locates but does not rigour-test integration; invites nominal integration; bounded to the single study	Coupled to paradigm alignment (B1) and extended to across-domain integration (B3)
Greene, Caracelli & Graham (1989)	Five purposes of combination	Purpose-level and pre-computational	Mapped onto AI-enabled synthesis pipelines (B4)
Bryman (2007)	Institutional barriers to genuine integration	Descriptive rather than prescriptive	Grounds the integration-quality deficiency; motivates institutional remedies
Star & Griesemer (1989)	Boundary objects; co-operation without consensus	Sociological; not offered as a design instrument	Formalised as the translational substrate (B3)
Swanson (1986a; 1986b)	Undiscovered public knowledge; literature-based discovery	Manual and small in scale	Scaled through verification-guarded retrieval augmentation (B4)

Synthesis and declared assumptions

Read as a sequence, the genealogy discloses a progression. Kuhn diagnoses the divide and, in his mature work, quietly bounds it; the pragmatic movement licenses its crossing in principle; the design tradition operationalises that crossing within a single study; and the supporting lineage demonstrates that crossing is achievable across communities and literatures without paradigmatic fusion. The residue which each tradition left behind is not noise but signal, corresponding severally to the four deficiencies established in §4.

The central claim may accordingly be stated with precision. The divide is amenable to deliberate engineering provided that three commitments obtain, stated here as declared assumptions together with the conditions which would falsify them, since the integrity of the framework depends upon their being defended rather than presumed.

- **A1 – Local rather than global incommensurability.** Untranslatability is confined to a bounded subcluster of interdefined terms, and co-ordination is achievable through boundary objects. *Falsified if* inter-disciplinary translation were shown to fail globally, or if boundary objects proved incapable of sustaining co-ordination across genuinely divergent ontologies.
- **A2 – Workable paradigm-neutrality.** A pragmatist, question-driven stance can support methodologically coherent integration without prior resolution of the underlying metaphysical dispute. *Falsified if* integration constructed upon pragmatic grounds were shown to be systematically invalid relative to designs anchored in a single paradigm.
- **A3 – Tractable cross-domain linkage.** A substantial share of cross-disciplinary value consists in latent, retrievable connections between existing literatures, such that scaling linkage yields genuine discovery. *Falsified if* AI-augmented linkage yielded no net gain in valid discovery over existing synthesis, or if its false-positive rate proved irreducible.

These assumptions convert the framework from an assertion into a falsifiable programme. It bears emphasis that they constitute interpretive and empirical wagers rather than demonstrated results; the contribution of this section is not to prove them but to render explicit that the entire architecture rests upon them.

III. METHODOLOGY

Design and stance

The study adopts a pragmatist stance consistent with Assumption A2: the research questions, rather than a prior paradigmatic allegiance, dictate the methods. Since the object of study is itself methodological integration, the appropriate design is an *integrative review* (Torraco, 2016; Whittemore & Knafl, 2005), permitting the synthesis of theoretical, methodological, and empirical literatures and the generation of new conceptual structures, and conducted explicitly as a mixed-methods review (Snyder, 2019). This is not a matter of convenience but the paper's reflexive claim: the methodology constitutes a worked convergent design in the sense of Creswell and Plano Clark (2018), and the articulation of its strands demonstrates the meta-inferential logic which the framework advocates. Reporting follows PRISMA 2020 (Page et al., 2021) and, for the search, PRISMA-S (Rethlefsen et al., 2021); bibliometric procedures follow Zupic and Čater (2015) and Aria and Cuccurullo (2017). Pre-registration is recommended in advance of execution.

Sources, search, and eligibility

Two databases constitute the systematic tier: **Scopus**, selected as the principal search system by virtue of its broad, quality-controlled, multidisciplinary coverage and its structured metadata suitable for bibliometric export (Gusenbauer & Haddaway, 2020); and **ScienceDirect**, included to secure full-text depth for Elsevier-published methodological work. The restriction constitutes a costed design decision rather than an oversight, and its consequences are examined in §8. A second, non-systematic tier comprises the foundational works discussed in §3, retrieved through purposive hand-searching and citation-chaining; this tier grounds the theory whilst being kept separate from the counted corpus so as to prevent recency bias in the bibliometric maps.

The search combines three concept blocks with the operator AND, terms within each block being combined with OR: an epistemological block (*epistemolog\,* paradigm**, ***ontolog**,* 'research design', *methodolog\); an integration block ('mixed methods',* quantitative *W/3* qualitative*, 'knowledge integration', 'meta-inference\'*, *interdisciplinar\,* transdisciplinar**); and a mechanism block (*framework**, *roadmap\,* bridg**, 'boundary object\'*, 'evidence synthesis', 'large language model*', 'artificial intelligence'). The Scopus query is executed in a single TITLE-ABS-KEY expression restricted

to 2021–2026, English language, and the article and review document types. ScienceDirect supports neither truncation nor more than eight Boolean connectors per field; the block search is accordingly decomposed into a pre-specified set of parallel sub-queries whose results are exported and unioned, each string and its hit count being logged in accordance with PRISMA-S.

Table 2. Eligibility criteria

Dimension	Included	Excluded
Focus	Methodological or framework contribution concerning quantitative–qualitative or cross-disciplinary integration, the epistemology of method, or bridging instruments	Single-domain empirical applications offering no methodological contribution
Document type	Peer-reviewed article or review	Editorials, letters, notes, retracted items, grey literature
Period	2021–2026 (systematic tier)	Pre-2021 (retained only within the foundational tier)
Language	English	Non-English (declared limitation)
Availability	Full text retrievable	Full text unobtainable after two documented attempts

Records are de-duplicated and screened, agreement being quantified by Cohen's κ with a threshold of 0.70 (Landis & Koch, 1977) and disagreements resolved by third adjudication. Empirical studies are appraised by means of the Mixed Methods Appraisal Tool (Hong et al., 2018); conceptual papers are appraised against a transparent rubric addressing clarity of construct definition, theoretical grounding, internal coherence, novelty, and operationalisability.

Analysis and integration

Science mapping is performed in VOSviewer (van Eck & Waltman, 2010) and the *bibliometrix* package (Aria & Cuccurullo, 2017) through three complementary analyses: keyword co-occurrence, which detects the thematic clusters reported below; co-citation of cited references, which reveals the intellectual base; and bibliographic coupling of documents, which is emphasised here since co-citation is necessarily sparse for recently published work. A curated thesaurus harmonises term variants prior to mapping; counting is full, with fractional counting as a robustness check; normalisation follows association strength; and sensitivity analyses vary the occurrence threshold and clustering resolution to establish the stability of the cluster

solution. Thematic mapping upon the centrality–density plane and thematic evolution across the slices 2021–2023 and 2024–2026 complete the quantitative strand.

In parallel, the included texts undergo reflexive thematic and best-fit framework synthesis (Braun & Clarke, 2021; Carroll et al., 2013), coded against the four-deficiency frame whilst remaining open to disconfirming and novel themes. The two strands are then joined at an explicit point of interface through joint displays (Guetterman et al., 2015) and a cross-study matrix which arrays the bibliometric clusters against the qualitative themes, recording matches, mismatches, and unaddressed gaps (Fetters et al., 2013). This matrix yields the four research value buckets and their constituent profiles.

IV. FINDINGS: FOUR RESEARCH VALUE BUCKETS

The value-bucket transposition

Radical Innovation Design is a problem-driven innovation methodology whose premise is that radical, usage-driven innovation proceeds from correctly *setting* a problem before *solving* it, and specifically from targeting *value buckets*: important problems which recur in frequent usage situations and for which existing solutions afford little useful improvement (Yannou et al., 2018). The Dependency Structure Modelling Value Bucket algorithm operationalises this through three matrices constructed during problem-setting – associating problems with usage situations, assessing the coverage of those problems by existing solutions, and assessing the usefulness of those solutions in those situations – whose combination identifies the intersections of high importance, high frequency, and low coverage. The logic is explicitly that of the blue ocean (Kim & Mauborgne, 2005): value concentrates in the ill-served rather than in the incremental refinement of the well-served.

The research-methodology system exhibits an identical structure. Researchers constitute the users; the recurrent situations requiring integration constitute the usage situations; the methodological pains arising within them constitute the problems; and the available methods, frameworks, and instruments constitute the existing solutions. Each element admits of a bibliometric proxy by which the corresponding rating may subsequently be triangulated: keyword co-occurrence and topic prevalence for the frequency of situations; the density of critique statements within the corpus for the intensity of pains; and the count, maturity, and adoption of dedicated

frameworks for coverage. A **research value bucket** is accordingly defined as a methodological pain which recurs in a frequent or high-stakes research situation and for which existing methods afford inadequate coverage or usefulness.

For each candidate bucket, three ordinal dimensions are rated upon a five-point scale: **Demand (D)**, the frequency and consequence of the situation; **Dissatisfaction (Δ)**, the intensity of the pain; and **Coverage (C)**, the adequacy and maturity of existing solutions. Following the combinatorial logic of the source algorithm, latent potential rises with demand and dissatisfaction and falls with coverage, such that the **potential index** is given by

$$\mathbf{P = D \times \Delta \times (1 - C/5)}$$

upon a scale from zero to twenty-five. High-scoring buckets constitute the strategic targets – the methodological blue oceans in which radical rather than incremental innovation is warranted.

It must be stated plainly that the scores reported below are **expert ordinal estimates** calibrated from the qualitative evidence of the corpus, and not measurements. This is a design choice rather than a concession: the matrices of the source algorithm are themselves populated by expert ratings, such that the procedure is methodologically consistent with the instrument transposed. Readers should regard the scores as a defensible prioritisation awaiting the confirmatory analysis specified above.

Three boundary conditions are conceded. Radical Innovation Design targets market success, whereas the success of a methodological solution admits of no settled criterion – which is not incidental, since that absence constitutes the third deficiency and produces a recursion acknowledged rather than concealed. The source methodology operates within a bounded product scope, whereas the research-situation space is effectively unbounded, such that its delimitation remains an analyst's decision. And the ordinal ratings, being expert judgements, are contestable; the bibliometric proxies constitute the intended corrective.

The thematic structure of the corpus

Co-word and coupling analysis resolves the field into four coherent and largely non-overlapping clusters, which map cleanly onto the residues identified in §2: integration quality and inference; research design and paradigm alignment; the measurement of interdisciplinarity; and AI-enabled cross-domain synthesis. These are reported here as the structure of the field,

their quantitative coordinates constituting the confirmatory metrics to be populated upon execution. Each is now read as a research value bucket.

The four buckets

G1 – Integration quality. The situation, namely the conduct of a study combining quantitative and qualitative strands, is amongst the most frequent in contemporary empirical research. The characteristic pain is that integration is frequently nominal: strands are conducted in parallel and juxtaposed but never genuinely combined, and few studies produce explicit meta-inferences. Gierus et al. (2025) document this conjunction of rising prevalence with persistent quality shortfall; Fàbregues et al. (2024) demonstrate that most quality frameworks register only whether integration is present rather than whether it is rigorous; and Younas et al. (2025) establish that the meta-inference itself remains conceptually under-specified. Coverage is emerging but immature, the relevant instruments being recent, unadopted at scale, and largely confined to the health and social sciences. Ratings: D = 5, Δ = 4, C = 3, whence **P = 8.0**.

G2 – Paradigm alignment. The situation, namely the selection of strategies and instruments whose philosophical assumptions cohere with the paradigm adopted, arises in every design but is most acute across boundaries with divergent ontologies. The pain is incoherent design, yielding studies whose validity is internally contestable. Ghazinoory et al. (2025) demonstrate that prevailing design frameworks either oversimplify philosophical foundations or fail to operationalise integration across design layers. Coverage is low though newly addressed, the layered roadmap constituting a genuine advance which remains a single and very recent contribution without established adoption. Ratings: D = 4, Δ = 3, C = 2, whence **P = 7.2**.

G3 – Measurement. The situation, namely the evaluation and reward of interdisciplinary research, is of high consequence in that funders, institutions, and promotion systems act upon it. The pain is mis-measurement: prevailing indicators capture the co-location of disciplines rather than the cognitive and social dynamics of integration, whilst journal-ranking regimes may penalise interdisciplinary work (Rafols et al., 2012). Diversity and coherence indicators are promising but demanding to compute, leaving the field without a trusted integration-sensitive metric. Coverage is low, scientometric instruments being mature as artefacts whilst measuring the wrong construct for this purpose. Ratings: D = 4, Δ = 4, C = 2, whence **P = 9.6**.

G4 – Instrumentation. The situation, namely synthesis and discovery across disciplinary literatures at scale, is expanding rapidly. The pain is acute and multi-layered, in that models exhibit cross-disciplinary reasoning when furnished with both deep and broad knowledge (Chen et al., 2025) whilst suffering from weak domain grounding, limited interpretability, and predominantly single-domain operation; Swanson's problem accordingly remains substantially unrealised at a scale no manual method can address. Coverage is very low, instruments being immature, largely unvalidated for cross-domain synthesis, and lacking the safeguards which scholarly use demands. Ratings: D = 4, Δ = 5, C = 1, whence **P = 16.0**.

Table 3. The four research value buckets

Bucket	Research situation	Characteristic pain	D	Δ	C	P
G4 Instrumentation	Cross-domain synthesis and discovery at scale	Single-domain, weakly grounded, opaque instruments; unrealised linkage	4	5	1	**16.0**
G3 Measurement	Evaluation and reward of integrated research	Indicators capture co-location rather than integration	4	4	2	**9.6**
G1 Integration quality	Conduct of combined studies	Nominal integration; low meta-inferential yield	5	4	3	**8.0**
G2 Paradigm alignment	Design across paradigms and disciplines	Incoherent design; ontology–method mismatch	4	3	2	**7.2**

Prioritisation

The ranking constitutes the principal finding of this section: assuming the ordinal calibration holds, latent methodological value is most concentrated in the instrumentation bucket, followed by the measurement bucket, with the integration-quality and paradigm-alignment buckets lower precisely because

coverage in the latter two has begun to rise through the very contributions which the corpus contains.

Two interpretive points follow, and their status is deliberately differentiated. As a matter of *finding*, recent methodological effort has clustered in the integration-quality and paradigm-alignment spaces, where the intellectual apparatus is most familiar. As a matter of *recommendation*, this constitutes a partial misallocation, in that the highest-potential buckets are the least served – consistent with the blue-ocean logic that effort gathers where the problem is legible rather than where the value is greatest. This is a wager rather than a proof: it rests upon the ordinal calibration and upon Assumptions A1–A3, and it is falsified should the confirmatory analysis invert the coverage estimates. It is pre-committed here that such an inversion would be reported and the sequencing revised.

V. THE FRAMEWORK: FOUR BRIDGES

Architecture

The framework is organised in three strata. At its base lies a **translational substrate** – the boundary objects, controlled vocabularies, and shared conceptual matrices which render cross-disciplinary work mutually intelligible. Upon this substrate stand the **four bridges**, each answering one bucket. Access to the whole is through the **value-bucket diagnostic**, which locates where integration fails before prescribing a remedy, thereby preserving the insistence that problem-setting precede problem-solving. Translation and measurement are treated as two outputs of a single boundary apparatus rather than as separate bridges, since the standardisation of categories through which disciplines communicate is precisely what renders integration measurable.

B1 – The epistemological alignment bridge (addressing G2)

B1 enforces vertical coherence from research purpose to instrument, operationalising the layered roadmap of Ghazinoory et al. (2025), whose central contribution is an explicit vertical and horizontal integration checklist aligning drivers, paradigm, strategy, and instruments across design levels. The alignment spine is Crotty's (1998) four-element logic, extended such that the paradigm is treated, in light of §2.1, as a bounded rather than a totalising commitment. In procedure, the researcher specifies purpose and drivers; declares the paradigmatic stance together with its ontological and

epistemological assumptions; selects strategies compatible with those assumptions and instruments whose outputs the paradigm may legitimately interpret; and applies the integration checklist to detect and repair mismatches prior to data collection. The bridge renders philosophical coherence auditable rather than tacit, though it presumes that researchers are willing to declare their paradigm explicitly – a demand which Bryman's evidence suggests may encounter resistance.

B2 – The inferential integration bridge (addressing G1)

B2 converts nominal integration into rigorous meta-inference by coupling the meta-inference typology of Younas et al. (2025), which classifies the integrated conclusions a study may warrant, with the integration-quality framework of Fàbregues et al. (2024), which appraises the rigour of the integrative process rather than its mere presence. The point of interface is planned in advance and rendered visible through joint displays (Fetters et al., 2013; Guetterman et al., 2015). In procedure, the intended meta-inference types and points of interface are declared at design; a joint display arrays quantitative and qualitative results against the shared question; meta-inferences are generated by reading matches, mismatches, and silences across that display; and both the meta-inference and its appraised quality are reported explicitly. The bridge operationalises a construct long left under-specified, though it adds procedural burden and improves only the integration, not the quality of the components integrated.

B3 – The measurement and translation bridge (addressing G3)

This constitutes the framework's most novel component. Its **translational** element installs the boundary infrastructure permitting specialities to co-operate without forced consensus: shared conceptual matrices, controlled vocabularies, and lightweight domain ontologies mapping equivalent constructs across disciplinary lexicons (Klein, 1990; Star & Griesemer, 1989). Its **measurement** element exploits the resulting standardisation, replacing co-authorship and citation proxies with integration-sensitive indicators – the diversity and coherence pairing developed within the interdisciplinarity-measurement literature (Rafols & Meyer, 2010; Rafols et al., 2012) – which register the recombination of knowledge rather than its adjacency.

It is contended here that measuring the value produced at disciplinary interfaces poses a problem of the same structure as that which arises when the

returns to innovation must be accounted for: namely, the problem of distinguishing indicators which are actionable, in that they inform a decision, from those which merely accumulate. The term *innovation accounting* is used in that stipulated sense throughout. B3 accordingly proposes that research integration be accounted for by means of leading indicators tied to the value buckets rather than by lagging counts of output. The transposition is advanced as the present author's own proposal, to be developed and validated rather than received as an established result.

In order to quantify bucket priority under uncertainty, the ordinal estimates of §4 are embedded within a small **Bayesian network** (Pearl, 1988): each of D, Δ, and C is represented as a latent discrete node informed by a bibliometric likelihood and a reviewer prior; each reviewer's rating is treated as a noisy observation of the corresponding node; and a conditional probability table encoding the monotonicity of the potential index yields a posterior distribution over priority. The output is a ranking accompanied by credible intervals rather than brittle point scores – the decisive advantage over the ordinal table above, and a principled alternative to averaging inter-rater disagreement away. The instrument thereby answers the measurement deficiency directly, whilst inheriting the recursion noted in §4, in that the validation of any integration metric requires a criterion of genuine integration which is itself contested.

B4 – The computational synthesis bridge (addressing G4)

B4 scales literature-based discovery from a manual to a machine practice whilst installing the safeguards which scholarly use requires. Its core is a retrieval-augmented pipeline (Lewis et al., 2020): a retrieval index over the corpus supplies grounded evidence to a language model which proposes cross-domain links, every claim being traced to a source. A verification layer checks citations and flags unsupported assertions; a human adjudicator determines which candidates constitute genuine discoveries; and, where feasible, neuro-symbolic components constrain generation by means of the domain ontologies furnished by B3. This governance addresses precisely the failure modes documented by Chen et al. (2025) – weak grounding, countered by retrieval and ontological constraint; limited interpretability, countered by provenance; and single-domain operation, the pipeline being cross-domain by construction. It constitutes the condition upon which AI augmentation is admissible within this framework: augmentation, never autonomy.

Table 4. The consolidated framework

Bridge	Bucket	Core mechanism	Classical root	Contemporary instrument	Test
B1 Epistemological alignment	G2	Layered purpose–paradigm–strategy–instrument roadmap with integration checklist	Kuhn; Crotty; Guba & Lincoln	Ghazinoory et al. (2025)	P1
B2 Inferential integration	G1	Declared meta-inference protocol; integration-quality appraisal; joint displays	Tashakkori & Teddlie; Creswell & Plano Clark	Younas et al. (2025); Fàbregues et al. (2024)	P2
B3 Measurement and translation	G3	Boundary objects; integration-sensitive scientometrics; Bayesian value accounting	Star & Griesemer; Klein	Rafols et al. (2012); Pearl (1988)	P4, P5
B4 Computational synthesis	G4	Verification-guarded retrieval-augmented cross-domain synthesis	Swanson (1986a; 1986b)	Lewis et al. (2020); Chen et al. (2025)	P3

Interdependence and sequencing

The bridges are interdependent rather than parallel. The translational substrate of B3 underpins B1, whose paradigm declarations require a shared vocabulary; B2, whose joint displays require comparable categories; and B4, whose ontologies constrain generation. The meta-inferential logic of B2 is, reflexively, the mode in which the present paper's own strands are articulated. Sequencing follows the prioritisation of §4.4, first-order investment being directed towards B4 and B3, where coverage is lowest and latent value highest, whilst B2 and B1 consolidate gains already in train. The diagnostic remains the entry point throughout, ensuring that a bridge is deployed only

where a genuine bucket has been located – the discipline which distinguishes targeted methodological innovation from indiscriminate instrumentation.

VI. DISCUSSION: AN ILLUSTRATIVE APPLICATION

The framework's operation may be illustrated by considering a research team charged with advancing the methodological foundations of usage-driven innovation design – a setting in which engineering, design research, management science, and ethnography necessarily collide, and one which encounters all four deficiencies in characteristic form.

With respect to **paradigm alignment**, such a team draws upon traditions which are severally phenomenological, positivist, pragmatic, and interpretivist. A doctoral researcher extending the value-bucket algorithm confronts an immediate choice as to whether the study proceeds upon realist premises, since the engineering strand posits discoverable regularities in usage, or upon constructivist premises, since the ethnographic strand emphasises negotiated meaning. Where the choice is left implicit, reviewers characterise the design as ontologically incoherent without being able to articulate the ground of the objection; B1 requires that the stance be declared in advance and that the checklist serve as a quality gate.

With respect to **integration quality**, studies combining design parameters and cost metrics with observational material have characteristically produced two separate strands of findings, the integration amounting to little more than adjacency within a discussion section. Under B2 the team pre-specifies the meta-inferences it intends to draw – that particular design parameters co-occur with a given usage-failure mode, or that the value bucket obtains where user expertise is low and task variability high – constructs a joint display, and appraises the resulting integration explicitly.

With respect to **measurement**, the institution evaluates productivity by publication count and citation velocity, metrics silent as to whether integration occurred and implicitly penalising it, since two mono-method papers are counted more favourably than one integrated study. Under B3 the team advances integration-sensitive indicators as a complement to output counts, whilst employing the Bayesian instrument to track which buckets its work addresses, with uncertainty quantified.

With respect to **instrumentation**, the ambition to apply the methodology across automotive, medical-device, and consumer contexts exceeds what manual ethnography can support. Under B4 a retrieval-augmented pipeline

indexes published usage studies, failure cases, and patent data and proposes candidate value buckets, each verified by domain experts for factual accuracy and for genuine coverage-gap status. The verification layer is not optional: a hallucinated value bucket would direct innovation effort towards an imaginary problem, an outcome worse than inaction.

Three implications follow. The framework renders integration auditable rather than aspirational, which is precisely the object of the innovation-accounting transposition. It decouples the four deficiencies, permitting differential investment as the binding constraint shifts. And it suggests, most generally, that research is itself an innovation process – a problem is set, a solution space imagined, prototypes constructed, and feedback gathered – and is therefore susceptible to the same design discipline: just as the source methodology identifies usage problems which existing designs serve inadequately, the diagnostic identifies research problems which existing methods serve inadequately.

The framework's applicability is nevertheless uneven: it is most powerful where the research question genuinely requires multiple epistemologies and the expertise to operationalise the bridges is available, whereas hypothesis-driven enquiry within a settled paradigm would find the overhead unjustified. It bears emphasis, finally, that the application sketched here demonstrates the framework's logic rather than its feasibility; the latter is the office of the propositions below.

VII. LIMITATIONS

The limitations are consolidated in Table 5; three warrant emphasis in prose, since they bear upon the paper's most prominent claims.

The **evidential** exposure is asymmetric. The confinement of the corpus to two databases and to English-language scholarship carries known exclusion risks, most consequentially in respect of the computer-science and AI literatures better represented elsewhere; since the instrumentation bucket is both the highest-ranked and the least well covered by the chosen sources, the restriction bears most heavily upon the ranking the paper most prominently advances.

The **measurement recursion** is the most serious conceptual difficulty: validating an integration-sensitive metric requires a criterion of genuine integration which the paper simultaneously diagnoses as absent, such that convergent triangulation across multiple experts and bibliometric evidence

constitutes a provisional anchor rather than a resolution. Related to it, the ordinal calibration is expert estimation rather than measurement, and consistency with the source algorithm is a defence of method rather than of accuracy; the confirmatory analysis may yet require the prioritisation to be publicly revised, as §4.4 pre-commits.

The **foundational** exposure is that the framework inherits its assumptions rather than proving them. The propositions test the efficacy of the bridges, not the truth of A1–A3, and a critic committed to strong incommensurability might accept every empirical result the programme produces and nevertheless reject the framing. Furthermore, no ensemble-level proposition is offered, such that the framework might pass its component tests and fail as a system. The response offered throughout is disclosure rather than rebuttal.

Table 5. Consolidated limitations register

Tier	Limitation	Mitigation	Residual exposure
Evidential	Two-database and English-language restriction; recency window	Foundational tier; citation-chaining; coupling-first analysis	Thinner evidence for G4; possible Anglophone partition of the problem space
Methodological	Ordinal calibration; concentration of construct-level judgement; unvalidated conceptual rubric	Bibliometric triangulation; Bayesian aggregation; dual review; declared revision commitment	Prioritisation revisable; construct choices unprotected by inter-rater statistics
Conceptual	Transposition boundary conditions; measurement recursion; absence of ensemble validation; adoption preconditions	Explicit concession; convergent triangulation; phased component testing; staged adoption	System-level failure possible despite component success; recursion bounded but unresolved
Foundational	A1–A3 assumed rather than demonstrated	Declaration with falsification conditions	Framing rejectable independently of empirical results

VIII. CONCLUSION AND RESEARCH AGENDA

A conceptual contribution earns its standing only insofar as it yields testable claims. The framework is accordingly converted into a programme of five propositions, one per bridge, each specified with a design and the condition which would refute it.

P1. Designs scoring more highly upon epistemological alignment exhibit higher integration quality, assessed by retrospective blind coding of published studies and by prospective randomised comparison of roadmap-guided

against conventional design. *Falsified* should alignment show no positive association with integration quality.

P2. Studies applying an explicit meta-inference protocol produce a higher proportion of causal and elaborative meta-inferences than matched controls. *Falsified* should the protocol fail to increase that proportion.

P3. Verification-guarded AI synthesis increases the detection of cross-domain links relative to expert manual synthesis without raising the false-positive rate beyond a pre-registered threshold, assessed by benchmark against a gold-standard link set. *Falsified* should the threshold be exceeded or recall show no gain.

P4. Boundary-object use predicts cross-speciality comprehension within collaborative teams, assessed by field study with an experimental arm. *Falsified* should no positive association obtain.

P5. Integration-sensitive indicators correlate with expert-judged integration more strongly than co-authorship or citation counts, assessed against a multi-expert criterion. *Falsified* should traditional proxies match or exceed them. It is acknowledged that the criterion is itself contested, a difficulty mitigated by multiple independent experts rather than dissolved.

Table 6. The empirical programme

Proposition	Bridge	Assumption probed	Design	Phase
P1	B1	A2	Retrospective coding and randomised comparison	1
P5	B3	A1	Validation against multi-expert criterion	1
P2	B2	A2	Within-subjects with randomised arm	2
P4	B3	A1	Field study with experimental arm	2
P3	B4	A3	Gold-standard benchmark experiment	3

The programme is phased by feasibility rather than by value, and the divergence between the two is itself instructive. The prioritisation places the instrumentation bucket first, yet the study serving it is the most demanding, requiring both a constructed gold standard and a functioning pipeline; to commence there would be to stake the whole programme upon its hardest component. The agenda therefore inverts the value ordering at the point of execution, undertaking first the inexpensive corpus-based validations which either confirm or correct the ordinal estimates upon which the prioritisation rests. It must be restated that the propositions test the efficacy of the bridges rather than the truth of the assumptions: P3 and P5 furnish the strongest indirect evidence, whilst nothing in the programme adjudicates A2 philosophically.

The contribution claimed here is not that the oldest quarrel in research methodology has been dissolved, but that it has been rendered actionable: that the divide, construed locally rather than globally, may be diagnosed as concentrated value and traversed by bridges which are operational, testable, and traceable. The framework's worth will be determined not by its elegance but by the propositions above. It is offered in that spirit – as a coherent conjecture constructed to be refuted, and of most use to the field precisely where it proves to be wrong. In operationalising the principle that innovation is born where disciplines meet, the paper treats the interface not as a difficulty to be tolerated but as the site at which the next increment of research value is most likely to be found.

REFERENCES

1.Aria, M., & Cuccurullo, C. (2017). bibliometrix: An R-tool for comprehensive science mapping analysis. *Journal of Informetrics, 11*(4), 959–975.

2.Braun, V., & Clarke, V. (2021). *Thematic analysis: A practical guide*. SAGE.

3.Bryman, A. (2007). Barriers to integrating quantitative and qualitative research. *Journal of Mixed Methods Research, 1*(1), 8–22.

4.Carroll, C., Booth, A., Leaviss, J., & Rick, J. (2013). 'Best fit' framework synthesis: Refining the method. *BMC Medical Research Methodology, 13*, Article 37.

5.Chen, M., Su, Y., Guo, J., & Liu, X. (2025). External information environment required for cross-disciplinary thinking in large language models based on interdisciplinary lay summary writing. *Nature. Scientific Reports, 15*, Article 39125. https://doi.org/10.1038/s41598-025-27107-5

6.Creswell, J. W., & Plano Clark, V. L. (2007). *Designing and conducting mixed methods research* (1st edn). SAGE.

7.Creswell, J. W., & Plano Clark, V. L. (2011). *Designing and conducting mixed methods research* (2nd edn). SAGE.

8.Creswell, J. W., & Plano Clark, V. L. (2018). *Designing and conducting mixed methods research* (3rd edn). SAGE.

9.Crotty, M. (1998). *The foundations of social research: Meaning and perspective in the research process*. SAGE.

10.Fàbregues, S., Younas, A., Escalante-Barrios, E. L., Molina-Azorín, J. F., & Vázquez-Miraz, P. (2024). Toward a framework for appraising the quality of integration in mixed methods research. *Journal of Mixed Methods Research*. https://doi.org/10.1177/15586898241257555

11.Fetters, M. D., Curry, L. A., & Creswell, J. W. (2013). Achieving integration in mixed methods designs: Principles and practices. *Health Services Research, 48*(6, Pt 2), 2134–2156.

12.Ghazinoory, S., Zadegan, M. G., & Phaal, R. (2025). Research design unlocked! Roadmapping for integration of paradigms, strategies, and tools. *Journal of Open Innovation: Technology, Market, and Complexity, 11*(4), Article 100688. https://doi.org/10.1016/j.joitmc.2025.100688

13.Gierus, B., Du, T., Maduforo, A. N., Gilbert, B., & Koh, K. (2025). Prevalence and quality of mixed methods research in educational subdisciplines: A systematic review. *SAGE Open, 15*(2). https://doi.org/10.1177/21582440251335171

14.Greene, J. C., Caracelli, V. J., & Graham, W. F. (1989). Toward a conceptual framework for mixed-method evaluation designs. *Educational Evaluation and Policy Analysis, 11*(3), 255–274.

15.Guba, E. G., & Lincoln, Y. S. (1994). Competing paradigms in qualitative research. In N. K. Denzin & Y. S. Lincoln (Eds.), *Handbook of qualitative research* (pp. 105–117). SAGE.

16.Guetterman, T. C., Fetters, M. D., & Creswell, J. W. (2015). Integrating quantitative and qualitative results in health science mixed methods research through joint displays. *Annals of Family Medicine, 13*(6), 554–561.

17.Gusenbauer, M., & Haddaway, N. R. (2020). Which academic search systems are suitable for systematic reviews or meta-analyses? *Research Synthesis Methods, 11*(2), 181–217.

18.Hong, Q. N., Fàbregues, S., Bartlett, G., et al. (2018). The Mixed Methods Appraisal Tool (MMAT) version 2018 for information professionals and researchers. *Education for Information, 34*(4), 285–291.

19. Johnson, R. B., & Onwuegbuzie, A. J. (2004). Mixed methods research: A research paradigm whose time has come. *Educational Researcher, 33*(7), 14–26.
20. Kim, W. C., & Mauborgne, R. (2005). *Blue ocean strategy*. Harvard Business School Press.
21. Klein, J. T. (1990). *Interdisciplinarity: History, theory, and practice*. Wayne State University Press.
22. Kuhn, T. S. (1970). *The structure of scientific revolutions* (2nd edn, enlarged). University of Chicago Press. (Original work published 1962)
23. Kuhn, T. S. (2000). Commensurability, comparability, communicability. In J. Conant & J. Haugeland (Eds.), *The road since Structure: Philosophical essays, 1970–1993* (pp. 33–57). University of Chicago Press. (Original work published 1983)
24. Landis, J. R., & Koch, G. G. (1977). The measurement of observer agreement for categorical data. *Biometrics, 33*(1), 159–174.
25. Lewis, P., Perez, E., Piktus, A., et al. (2020). Retrieval-augmented generation for knowledge-intensive NLP tasks. *Advances in Neural Information Processing Systems, 33*, 9459–9474.
26. Morgan, D. L. (2007). Paradigms lost and pragmatism regained. *Journal of Mixed Methods Research, 1*(1), 48–76.
27. Page, M. J., McKenzie, J. E., Bossuyt, P. M., et al. (2021). The PRISMA 2020 statement: An updated guideline for reporting systematic reviews. *BMJ, 372*, Article n71.
28. Pearl, J. (1988). *Probabilistic reasoning in intelligent systems: Networks of plausible inference*. Morgan Kaufmann.
29. Rafols, I., & Meyer, M. (2010). Diversity and network coherence as indicators of interdisciplinarity. *Scientometrics, 82*(2), 263–287.
30. Rafols, I., Leydesdorff, L., O'Hare, A., Nightingale, P., & Stirling, A. (2012). How journal rankings can suppress interdisciplinary research. *Research Policy, 41*(7), 1262–1282.
31. Rethlefsen, M. L., Kirtley, S., Waffenschmidt, S., et al. (2021). PRISMA-S: An extension to the PRISMA statement for reporting literature searches. *Systematic Reviews, 10*, Article 39.
32. Snyder, H. (2019). Literature review as a research methodology: An overview and guidelines. *Journal of Business Research, 104*, 333–339.
33. Star, S. L., & Griesemer, J. R. (1989). Institutional ecology, 'translations' and boundary objects. *Social Studies of Science, 19*(3), 387–420.

34. Swanson, D. R. (1986a). Fish oil, Raynaud's syndrome, and undiscovered public knowledge. *Perspectives in Biology and Medicine, 30*(1), 7–18.
35. Swanson, D. R. (1986b). Undiscovered public knowledge. *The Library Quarterly, 56*(2), 103–118.
36. Tashakkori, A., & Teddlie, C. (1998). *Mixed methodology: Combining qualitative and quantitative approaches*. SAGE.
37. Tashakkori, A., & Teddlie, C. (Eds.). (2003). *Handbook of mixed methods in social and behavioral research*. SAGE.
38. Tashakkori, A., & Teddlie, C. (Eds.). (2010). *SAGE handbook of mixed methods in social and behavioral research* (2nd edn). SAGE.
39. Torraco, R. J. (2016). Writing integrative literature reviews: Using the past and present to explore the future. *Human Resource Development Review, 15*(4), 404–428.
40. van Eck, N. J., & Waltman, L. (2010). Software survey: VOSviewer, a computer program for bibliometric mapping. *Scientometrics, 84*(2), 523–538.
41. Whittemore, R., & Knafl, K. (2005). The integrative review: Updated methodology. *Journal of Advanced Nursing, 52*(5), 546–553.
42. Yannou, B., Cluzel, F., & Farel, R. (2018). Capturing the relevant problems leading to pain- and usage-driven innovations: The Dependency Structure Modelling Value Bucket algorithm. *Concurrent Engineering: Research and Applications, 26*(2), 131–146.
43. Younas, A., Fabregues, S., Munce, S. & Creswell, J.W. (2025). Framework for types of meta-inferences in mixed methods research. *BMC Medical Research Methodology, 25*, Article 18.
44. Zupic, I., & Čater, T. (2015). Bibliometric methods in management and organization. *Organizational Research Methods, 18*(3), 429–472.

Eleventh Year Proceedings (11) on the Stakes of Scientific Research in Light of Knowledge Integration Towards Building Multidisciplinary Knowledge Capable of Innovation and Change under the motto:*When Disciplines Meet, Innovation is Born* 09-10-11/07/2026

Future Trends in Writing Assessment: Moving towards Intelligent Assessment of Writing Skills

Salima Haddad
Department of English Language and Literature Mohamed Lamine Debagine, Sétif 2, University
s.haddad@univ-setif2.dz/salima.anglais19@gmail.com

Abstract:

This article examines the combination of writing skills and AI-enhanced assessment, examining both the benefits and limitations of these technologies in education. Writing is a critical skill for academic achievement and professional communication, encompassing clarity, coherence, grammar, and critical analysis. Traditionally, writing quality has been assessed by human raters, a procedure that is time-consuming and subject to inconsistencies. Automated writing evaluation systems have emerged as a viable solution, employing natural language processing, machine learning, and deep learning algorithms to analyze content. These systems can assess structure, grammar, vocabulary, and argumentation, while offering immediate feedback for student to enhance their writing skills. Empirical research shows that automated AI assessment improves the writing process through personalized feedback and focused direction. This approach allows students to take control of their learning and permits educators to concentrate on boosting creativity and efficiency. Future advances should foster AI's ability to recognize higher-order thinking, context, and authenticity. As AI evolves, it has the power to make writing assessment more accessible, consistent, and tailored to individual needs.

Keywords: Writing skills, AI-enhanced Assessment, Automated Writing Evaluation (AWE), Academic achievement, Artificial Intelligence (AI).

الاتجاهات المستقبلية في تقييم الكتابة: التوجه نحو التقييم الذكي لمهارات الكتابة

حداد سليمة

قسم اللغة الإنجليزية وآدابها، محمد الأمين دباغين، جامعة سطيف 2

s.haddad@univ-setif2.dz/salima.anglais19@gmail.com

ملخص:

تتناول هذه المقالة التكامل بين مهارات الكتابة والتقييم المعزز بالذكاء الاصطناعي، وتستعرض كلاً من مزايا وقيود هذه التقنيات في مجال التعليم. تُعد الكتابة مهارة أساسية للتفوق الأكاديمي والتواصل المهني، وتشمل الوضوح والتماسك والنحو والتحليل النقدي. سابقا، كان يتم تقييم جودة الكتابة من قِبل مُقيّمين بشريين، وهو إجراء يستغرق وقتًا طويلاً ويكون عرضة للتباينات. وقد برزت أنظمة تقييم الكتابة الآلية كحل عملي، حيث تستخدم معالجة اللغة الطبيعية والتعلم الآلي وخوارزميات التعلم العميق لتحليل المحتوى. كما يمكن لهذه الأنظمة تقييم البنية والنحو والمفردات والحجج، مع تقديم ملاحظات فورية للطلاب لتعزيز مهاراتهم في الكتابة. وتُظهر الأبحاث التجريبية أن التقييم الآلي باستخدام الذكاء الاصطناعي يحسّن عملية الكتابة من خلال الملاحظات المخصصة والتوجيه المركّز. ويتيح هذا النهج للطلاب التحكم في تعلمهم، كما يسمح للمعلمين بالتركيز على تعزيز الإبداع والكفاءة. وعليه ينبغي أن تعزز التطورات المستقبلية قدرة الذكاء الاصطناعي على التعرف على التفكير العالي المستوى والسياق والأصالة. ختاما، ومع تطور الذكاء الاصطناعي، فإنه يمتلك القدرة على جعل تقييم الكتابة أكثر سهولة واتساقًا وتخصيصًا وفقًا للاحتياجات الفردية.

الكلمات المفتاحية: مهارات الكتابة، التقييم المعزَّز بالذكاء الاصطناعي، التقييم الآلي للكتابة (AWE)، التحصيل الأكاديمي، الذكاء الاصطناعي (AI)

Introduction

Writing is crucial because it allows students to convey their emotions, ideas, and experiences at any time and place. Traditionally, writing was primarily used as a tool for teaching grammar and vocabulary. However, currently many contend that writing is a vital asset. According to Zemach and Rumisek (2005), writing bolsters idioms, vocabulary, and grammar. It likewise affords people the freedom to express themselves inventively. Students engage more intensively with the language this way. Yet, shifting from knowing language to writing well can be challenging. They further clarify that it requires juggling many aspects at once, such as content, sentence structure, grammar, punctuation, vocabulary, and spelling. These elements are used to measure writing skills. In addition, generating high-quality writing demands considerable time, effort, and extensive teaching support. Teachers frequently struggle with grading and providing feedback, which amplifies their workload. Effective feedback is of paramount importance; it should be prompt and insightful, assisting students to identify their strengths and refine their weaknesses in writing.

Artificial intelligence (AI) holds promise to tackle language acquisition challenges effectively. Grammarly, ProWritingAid, and PaperRater are writing apps that can employ intelligent algorithms to boost student performance and enrich traditional teaching methods (Jatis 2022). By optimizing writing style and tone, these tools render content more approachable and suitable for academic settings. Moreover, these tools pinpoint grammar errors and suggest ways to revise sentences (Anthonius & Aryusmar, 2024). The potential of AI to deliver immediate feedback enables the development of an ongoing learning cycle that redirects the focus away from correcting errors toward enhancing overall language proficiency. AI advances learning by offering tailored practice that adjusts to the individual needs and abilities of learners. The implementation of AI relieves teachers from the burden of spotting errors together with grading, permitting them to concentrate on complex aspects of writing training, such as creativity and content creation (Zawacki-Richter et al., 2019).

Multiple studies performed on both students and teachers have revealed that writing is one of the most taxing components of language learning (Reichelt, 2012; Massa et al., 1997; Farooq, 2012). It represents a substantial challenge for teachers to design evaluations due to the time, effort, and skill needed, which can be challenging in small classes or large classroom settings

for exams. A major concern of summative assessments is to flag errors and evaluate written output as a feedback mechanism. This traditional approach of emphasizing errors and products may restrict the scope for genuine language development (Wiliam et al., 2004). Rather than promoting a more comprehensive approach to writing instruction, studies point to the fact that teachers tend to focus on students' areas of difficulty, chiefly inaccuracies (Ferris, 2014; Hyland & Hyland, 2006). The development of impactful and long-term writing skills enhancement solutions continues to be a significant challenge, regardless of the accessibility of technology tools for English language learning. The lack of tailored feedback constrains the use of traditional methods to support students in acquiring writing skills deeply and dynamically. This is precisely where traditional approaches prove inadequate (Shaari, 2022). There is a marked deficiency of understanding of how to apply artificial intelligence (AI) to supply formative feedback that goes beyond correcting mistakes but also fosters the growth of effective writing techniques.

This paper explores how AI is implemented in assessments, emphasizing its impact on teaching and testing techniques. It investigates the expanding role of AI in automated writing evaluations. Furthermore, the study stresses the constraints of using AI in assessments.

ı. Definition of Writing

Teachers in every grade are expanding a lot of effort into enhancing students' writing skills, particularly in English. Writing entails intensive attention from both teachers and students because it is a vital aspect of communication nowadays. It is more than just speaking (Naim et al., 2020). When you write something down, it can be shared with individuals from diverse times and settings (Ab Wahid et al., 2020). For instance, written texts can be encountered even if they were generated thousands of years ago. Writing has been critical for documenting history, portraying events, protecting cultures, and retaining records. Studying writing skills assists us comprehend the challenges teachers and students confront and finding ways to resolve these difficulties, making writing teaching and learning more impactful.

Writing can be really complex. Zali et al. (2022) stated that you require paying careful attention and grasping the language competently to write efficiently. Maharani (2018) likewise noted that writing remains a hard skill

to acquire. According to Faller (2018), writing comprises a lot of thinking and language competencies. Indeed, even people who are competent in a language find it challenging to write, and it becomes even harder for those studying English as a foreign language (Rahman et al., 2022). Yang (2013) indicated encountering obstacles due to language issues, deficient learning methods, and little knowledge of academic writing, which makes it difficult for them to produce good written pieces.

To become skilled at writing, students and teachers ought to engage together closely. Their objective is to construct high-quality writing adopting the appropriate methods. Forming a solid team necessitates time and effort (Rahman et al., 2020). Also, the manner they collaborate can evolve since each context is distinct (Lim & Phua, 2019). Students learning English as a foreign language commonly face challenges with genre, structure, and meaning (Rahman et al., 2015). Spelling mistakes are frequent errors, often regarded as small lapses (Fitria, 2018). These mistakes can distort the meaning and make the writing confusing (Perdana & Farida, 2019). As more learning takes place online, numerous online resources are being implemented for education.

II. Automated Writing Evaluation

Automated Writing Evaluation (AWE) has gained a prominence as a significant pedagogical resource, propelled by the pressing requirements for prompt and reliable feedback within expanding educational settings (Zhai & Ma, 2022; Xu & Zhai, 2023). Early adoption of AWE was primarily reaction to alleviate the load on teachers, who frequently find it difficult to provide a thorough, personalized feedback to every student-an obstacle that decreases opportunities for genuine writing enhancement (Xu & Zhai, 2023). Automated Writing Evaluation (AWE) employs computers to review writing and offer feedback. These tools look at grammar, vocabulary, clarity, organization, and the ideas in the text. They generally use techniques like natural language processing (NLP) and machine learning. AWE provides rapid and consistent feedback, aiding people learn, prepare for tests, or enhance their professional writing.

The progression of AWE technologies from rule-based based systems to advanced AI- driven platforms brings both new opportunities and persistent

challenges (Li et al., 2025; Tseng et al., 2026). The advent of large language models like ChatGPT marks a fundamental change, shifting beyond simple mistake identification and correction to generating more rich and contextualized feedback (Abudalfa & Barrot, 2026; Jannath & Akter, 2026). These generative AI systems show potential in evaluating coherence and tracking how students modify their drafts while also possessing the capacity for better integration with scoring rubrics (Li et al., 2025; Jannath & Akter, 2026).

According to Agustin and Wulandari (2022), AWE has an important role in reviewing text structures in English. It delivers multiple alternatives to write the same content. It depends on the user to choose whether to adopt these suggestions or keep their original version. Warschauer and Ware (2006) assert that AWE represents the procedure where computers help assess and give feedback on written work. This covers analyzing qualities such as language use, sentence structure, and style. The primary purpose is to help writers in strengthening their writing. AWE software is a useful tool for rectifying writing. It assists teachers and students with EFL writing tasks. Yet, it cannot completely substitute the feedback from teachers. Students still lean on teachers to refine the quality and content of their writing (Zhang, 2020).

Looking ahead, progress in large language models are generating renewed interest of whether AWE can be extended to assess higher-order writing skills, transcending surface-level traits. Contemporary reviews of LLM-based grading systems indicate their increasing ability to deliver efficient and human-like accuracy, while simultaneously warning that key issues persist regarding validity, fairness, interpretability, and pedagogical alignment. As AWE adoption continue to expand across educational contexts, future studies will be required to clarify how algorithmic feedback might best improve, rather than replace, the evaluative expertise of teachers (Abudalfa & Barrot, 2026; Tseng et al., 2026; Tseng et al., 2026; Li et al., 2025).

III. AI in Automating Feedback Process in Education.

One of the primary goals of artificial intelligence is to create automated machines that can comprehend their surroundings and execute tasks in a human-like manner. In essence, artificial intelligence refers to any system that can replicate human cognitive abilities, including learning and self-correcting (Popenici & Kerr, 2017). Latest progress in technology has empowered artificial intelligence to provide teachers and students new avenues in assessment, tutoring, content creation, and feedback (Koltovskaia, 2020).

Feedback is a critical way to assist people in learning and developing. However, supplying feedback in an effective way can be demanding, notably in large institutions or with large groups of students, as there is not constantly adequate time or materials obtainable. High-quality feedback performs a major role in aiding students in constructing specific skills and grasping what they require to learn afterward. The reason why there is a necessity to come up with new and innovative techniques to deliver feedback effectively. The deployment of artificial intelligence in feedback systems, particularly via advanced natural language processing, holds out a great chance to handle these challenges and make feedback more beneficial and accessible (Boud & Molloy 2013; Cavalcanti et al., 2019; Tekian et al., 2017; Bauer et al., 2023).

Current innovations in large language models (LLMs), such as GPT-4, make it easier to complete varied tasks without a great deal of additional training. These models are able to output feedback that feels human on many topics, even those involving more open-ended and reflective answers (Pinto et al., 2023). This flexibility allows teachers to dispense customized feedback on complex tasks such as essays and project-based assignments. They can accomplish this quickly and for many students all at once. Teachers can as well boost the feedback by leveraging specific prompts to direct the AI's responses, securing the feedback matches the teaching goals of the course (Kirk et al., 2022). Automated writing evaluation (AWE) systems, namely Grammarly and Pigai, enable learners and educators to write by providing corrective feedback on learner writing. These systems, along with older ones such as spelling and grammar checkers, employ natural language processing to recognize errors and awkwardness in writing and suggest corrections. However, the appearance of exceedingly advanced generative pertained transformer systems such as OpenAI's GPT-4 and Google's PaLM 2 may be initiating a new era for AWE.

Table1. AI Writing Tools with Structured Automated Feedback

Tool	Key Feature	Feedback Type
Grammarly	Grammar, voice, clarity, plagiarism checks	In-line corrections+ category-based summaries (e.g.,

		correctness, clarity, engagement)
ProWritingAid	Style, grammar, readability, overused words	Detailed reports (e.g., sentence length, readability, scores, style consistency)
QuillBot	Paraphrasing, grammar checking, summarization	Real-time suggestions for grammar and style
LanguageTool	Multilingual grammar/style checks	Grammar, punctuation, and style suggestions in 30+languages
Turnitin Feedback Studio	Plagiarism detection, grammar, citation checks	Color-coded similarity reports+ rubric-based grading
Writefull	Academic paraphrasing, grammar, plagiarism checks	Sentence-level feedback with formal/academic alternative
Hemingway Editor	Readability, sentence complexity, passive voice	Highlights issues +provides grade-level readability scores

IIII. AI-Enhanced Assessment

AI-enhanced assessment alters the way teachers evaluate students by using artificial intelligence. AI-enhanced assessment is the process in which we embed artificial intelligence (AI) into education. This comprises deploying tools like machine learning, natural language processing (NLP), and data analytics to make student assessments optimized. These AI resources possess the ability to manage tasks like grading and delivering tailored feedback. They also monitor how students are performing and calibrate tests to correspond to each student's specific needs. This is practical for consistent progress checks during the course, referred to as formative evaluation, and for final exams or overall assessments, known as summative evaluation. The foremost aim is to render grading increasingly precise and versatile to more students while additionally providing a customized learning experience. Moreover, these systems seek to deal with core issues like fairness, assuring

everyone is considered equal, and sustaining academic integrity (Owan et al., 2023; Caspari-Sadeghi, 2023).

AI tools, like automated assessment and tutoring applications, exploit machine learning and natural language processing to assess and evaluate student work and offer instant feedback (Bai & Stede, 2022). This diminishes the burden for teachers and augments the learning process for students (Tubino & Adachi, 2022). Certain AI algorithms use techniques like generative adversarial networks and attention mechanisms to anticipate student behavior and attitudes in the classroom. This assists teachers in discerning student performance and engagement more deeply by means of data analysis (Zhao & Song, 2022). Alongside teachers assessing students themselves, AI-driven systems offer advantages such as objectivity, consistency, effectiveness, and the potential to operate massive quantities of data.

Table2. AI-Powered Automated Essay Grading Tools

Tool	Key Feature	Grading Criteria
Gradescope	AI-assisted grading, rubric customization, bulk scoring	Rubric adherence, problem-solving accuracy, consistency
ETS e-rater	Grammar, vocabulary, coherence, essay structure analysis	Grammar, syntax, vocabulary diversity, argument strength
SAGrader	Content accuracy, concept relevance, keyword matching	Topic relevance, scientific accuracy, terminology usage
MyAccess!	Genre-specific, scoring, holistic & trait-based feedback	Grammar, organization, vocabulary, genre-specific traits
Pearson Automated Scoring	Content analysis, rubric, alignment, multilingual support	Argumentation, coherence, task response
Knewton Alta	Adaptive learning, automated feedback, competency scoring	Mastery of concepts, error patterns, writing mechanics

V. Role of AI in Automating Assessment Process in Education

Artificial intelligence is genuinely significant in education at present. It is creating a more effective learning environment because it can hasten certain procedures and save time. AI is also powerful for upgrading productivity, enabling students and teachers to accomplish more work in less time. One of the best aspects about AI in education is that it can generate personalized learning journeys. This capability signifies that it allows to adjust to each student's requirements, supporting them acquire in a way that matches them perfectly (Dwivedi et al., 2021; Haseski, 2019). When using artificial intelligence in education for measuring and evaluating, it has numerous advantages. AI can refine the way we carry out assessments and deliver feedback. This refinement supports students to learn better and reach higher academic outcomes (Mahligawati, 2023; Choi & McClenen, 2020). Such technologies facilitate tasks such as determining students' needs, providing rapid feedback, and aiding teachers when necessary. As a result, teaching grows more effective (Dindar et al., 2022). AI tools enable teaching to accommodate with each student by assessing them easily and providing feedback quickly. This considerably makes students comprehend concepts better, maintains them involved in learning, and raises their motivation (Liu et al., 2020).

AI-based assessment systems produce valid and dependable feedback, preserving teachers' time and allowing the evaluation process to be more productive (Harry, 2023). A significant number of future teachers view AI occupying a noteworthy role in education, teaching, and learning. They believe AI can assist in grading student work more effectively and accurately (Haseski, 2019). By blending human-based competencies with AI, teaching and learning could be more powerful relative to when executed by humans or AI independently (Luan et al., 2020). In spite of this, it is highly essential that teachers proceed to perform their duties in evaluating exams. Individuals' evaluations diverge because of personal preferences, previous experiences, and their distinct manners of judging. This contributes to inconsistencies in grading and feedback. In crowded classes, assessing everyone manually is hard and time-consuming, making it challenging to generate instant and constant feedback (Cañada et al., 2014). AI assumes a pivotal role by enhancing the evaluation process, supplying individualized

feedback, and amplifying learning gains. AI enables feedback to be faster, correct, and fitted to individual demands, thereby guiding students in perceiving their competencies and areas for enhancement better, paving the way to enriched educational experiences.

Artificial intelligence can be remarkably beneficial in resolving concerns linked to self-assessment in exams. By reviewing teaching resources and assessments, AI optimizes accuracy and objectivity, minimizing bias and personal judgment (Amin, 2020; Köse & Arslan, 2017). AI smoothly handles massive volumes of data, permitting teachers to clearly grasp student performance and tailor their teaching methods to address students' requirements (Kazimov et al., 2021). Moreover, AI serves a vital role in keeping the integrity of exams by spotting unusual patterns or inconsistencies (Amin, 2020; Popenici & Kerr, 2017).

VI. Limited Scope of AI in Assessment

Applying AI in educational assessments can be very constructive; however, it is necessary to take into account considerations like privacy, security, and ethics. AI tools are able to analyze vast data sets to detect patterns in student performance, which enable teachers to make more knowledgeable decisions based on data (Parapadakis, 2020). Yet, worries persist. AI algorithms might have biases, decision-making processes may lack transparency, and automated evaluations might contain mistakes. These worries pose queries as to whether AI assessments are authentically reliable and equitable (Yu & Yu, 2023). Despite this, teachers have the chance to strengthen assessment processes by incorporating AI at the same time as sustaining ethical norms and protecting student privacy (Collins et al., 2021).

Though AI can automate some feedback tasks, research highlights the value of combining human expertise with AI tools. This combination improves feedback quality and stresses the prospect for collaboration between AI and teachers in education (Nguyen, 2023)**.** AI-based assessment systems are skilled at generating fair and consistent feedback because they examine lots of data. However, there can be limitations like biases in the algorithms and not being transparent about how they operate (Yu & Yu, 2023). Findings prove that AI tools usually produce error-free and understandable suggestions (Liu et al., 2023). Nevertheless, how practical and trusted these suggestions are can vary. The efficacy of AI tools compared to human evaluations relies on where they are employed, the nature of assessment, and the competency required for evaluation. The credibility in AI for

grading has not been completely validated by experiments in every context yet (Kawaji et al., 2019).

Everything has two aspects. While there is a great deal of debate about implementing AI in writing assessments, we should seriously consider the rationale behind this implementation. Writing is not merely arranging words on paper; it is affected by many personal, social, and cultural aspects. We must acknowledge what both writers and readers seek and how they perceive things. AI may provide more dependable assessments, but there are reservations as well. It is commonly missing in-depth judgment and may make people depend overly on it. There is not much space for personal insight, and there are concerns about ethics, academic honesty, and who can utilize these tools.

AI fails to process certain significant details in writing assessments. It struggles to evaluate creativity, tone, and context. Writing usually contains human features like creative ideas, humor, and refined arguments, which AI can misunderstand or overlook. Consequently, AI is inclined to prioritize mechanical correctness, such as grammar and syntax, over features like creativity, novelty, or the intricate use of language. People also tend to lean heavily on AI, particularly for obtaining feedback. Passi and Vorvoreanu (2022) state that several users make errors by following erroneous AI suggestions because they are uncertain how reliable the AI is. This arises because users generally do not adequately understand what AI is capable of, how well it behaves, or how it functions. This gap of understanding can lead people to put confidence in AI excessively owing to things like algorithmic bias, confirmation bias, and overrating AI explanations.

When writers count too much on AI for corrections and suggestions, they might not acquire knowledge as deeply by themselves. This overreliance can hinder them from sharpening fundamental writing skills like summarizing content, combining distinct ideas, and polishing their own work. These skills are pathways to becoming proficient in the English language. In short, using AI excessively might hamper their capability to reason creatively and rationally. This could also cause students to find it problematic to effectively evaluate their own work. Research has demonstrated that when individuals lean too heavily on AI, their work can worsen, functioning more poorly than if they work alone or allow AI to fuction independently (Buçinca et al., 2021; Jacobs et al., 2021; Passi & Vorvoreanu, 2022; Zhang et al., 2020).

Furthermore, people frequently overlook the constraints of AI, mainly in relation to understanding the personal meaning behind a piece of writing. Some essays and reports necessitate human interpretation to present diverse meanings or standpoints. AI cannot capture the profound significance or cultural and personal backgrounds that might be essential in such writings. This divergence contributes to issues about ethics and honesty in incorporating AI to improve writing or language skills. While AI tools can assist students in developing their writing, they can also make it effortless to copy content, called plagiarism. To illustrate, large language models like ChatGPT can produce essays or sections of reports for students. This provokes doubts about the creativity and authenticity of the outputs, as it may not honestly display the student's personal efforts.

Tools that rewrite text to avoid plagiarism problems, usually termed "word spinners," "paraphrasing tools," or "text spinners," are sparking issues about integrity in academics. These tools employ AI to quickly convert original text while simultaneously maintaining its clarity. The core issue occurs when individuals adopt these tools to reword content without giving credit to the source, indenting to deceive software like Turnitin that detects for plagiarism (Lee, 2023). It is critically necessary to explore the differences and similarities between how educators and AI tools assess things. This makes us identify how to deploy these technologies better in education. We ought to investigate more about how the grades that instructors provide compare to those from AI technologies. Instructor grades can differ greatly because they count on personal views and expectations. Yet, intelligent systems assert to be less biased because they utilize defined algorithms and data. Researching how these paired evaluation procedures correlate to each other is important. It helps guarantee that education stays fair and unbiased.

Conclusion

Intelligent systems serve a significant role in English language assessments, giving both advantages and drawbacks. From positive perspectives, AI renders the process quicker and equitable, and it permits learning to be personalized to each person's preferences. Nonetheless, drawbacks exist, like excessive dependence on AI, eroding some creative aspects, or encountering ethical concerns. Instead of being worried about how AI might impact things, it is wiser to accept the technology. By doing this, we can more accurately estimate its effects and establish methods to

recalibrate when required. Teachers can assist students in enhancing their writing skills by joining AI tools with conventional teaching methods. This balanced approach can enrich the learning process.

Bibliography List:

Ab Wahid, M., Lee, W. K., & Baharudin, F. (2020). Implementing project-based learning for sustainability management course at postgraduate level. Asian Journal of University Education, *16*(2), 84–92.

Abudalfa, S. I., & Barrot, J. S. (2026). Generative artificial intelligence for automated writing evaluation: A systematic review of trends, efficacy, and challenges. Assessing Writing, *68*, 101041. https://doi.org/10.1016/j.asw.2026.101041

Agustin, R., & Wulandari, S. (2022). The analysis of grammatical errors on students' essay writing by using Grammarly. Jurnal Pendidikan Bahasa Inggris Proficiency, *4*(1), 39–46. https://doi.org/10.32503/proficiency.v4i1.2247

Amin, A. (2020). A face recognition system based on deep learning (FRDLS) to support the entry and supervision procedures on electronic exams. International Journal of Intelligent Computing and Information Sciences, *20*(1), 40–50. https://doi.org/10.21608/ijicis.2020.23149.1015

Anthonius, F., & Aryusmar, A. (2024). The implementation of Paperrater and Grammarly in English teaching to boost the writing skills of non-English undergraduate students. In Proceedings of the 2024 8th International Conference on Education and Multimedia Technology (pp. 142–146). Association for Computing Machinery. https://doi.org/10.1145/3678726.3678746

Bai, X., & Stede, M. (2022). A survey of current machine learning approaches to student free-text evaluation for intelligent tutoring. International Journal of Artificial Intelligence in Education, *33*(4), 992–1030. https://doi.org/10.1007/s40593-022-00323-0

Bauer, E., Greisel, M., Kuznetsov, I., Berndt, M., Kollar, I., Dresel, M., Fischer, M. R., & Fischer, F. (2023). Using natural language processing to support peer-feedback in the age of artificial intelligence: A cross-disciplinary framework and a research agenda. British Journal of Educational Technology, *54*(5), 1222–1245. https://doi.org/10.1111/bjet.13336

Boud, D., & Molloy, E. (2013). Rethinking models of feedback for learning: The challenge of design. Assessment & Evaluation in Higher Education, *38*(6), 698–712. https://doi.org/10.1080/02602938.2012.691462

Buçinca, Z., Malaya, M. B., & Gajos, K. Z. (2021). To trust or to think: Cognitive forcing functions can reduce overreliance on AI in AI-assisted decision-

making. Proceedings of the ACM on Human-Computer Interaction, *5*(CSCW1), 1–21. https://doi.org/10.1145/3449287

Cañada, J., Sanguino, T., Merelo, J., & Santos, V. (2014). Open classroom: Enhancing student achievement on artificial intelligence through an international online competition. Journal of Computer Assisted Learning, *31*(1), 14–31. https://doi.org/10.1111/jcal.12075

Caspari-Sadeghi, S. (2023). Artificial intelligence in technology-enhanced assessment: A survey of machine learning. SAGE Open, *13*(3). https://doi.org/10.1177/21582440231191029

Cavalcanti, A., Ferreira Mello, R., Rolim, V., André, M., Freitas, F., & Gašević, D. (2019). An analysis of the use of good feedback practices in online learning courses. In 2019 IEEE 19th International Conference on Advanced Learning Technologies (ICALT) (pp. 137–141). IEEE. https://doi.org/10.1109/ICALT.2019.00044

Choi, Y., & McClenen, C. (2020). Development of adaptive formative assessment system using computerized adaptive testing and dynamic Bayesian networks. Applied Sciences, *10*(22), Article 8196. https://doi.org/10.3390/app10228196

Dindar, M., Muukkonen, H., & Järvelä, S. (2022). The promises and challenges of artificial intelligence for teachers: A systematic review of research. TechTrends, *66*(4), 616–630. https://doi.org/10.1007/s11528-022-00715-y

Dwivedi, Y. K., Hughes, L., Ismagilova, E., Aarts, G., Coombs, C., Crick, T., Duan, Y., Dwivedi, R., Edwards, J., Eirug, A., Galanos, V., Ilavarasan, P. V., Janssen, M., Jones, P., Kar, A. K., Kizgin, H., Kronemann, B., Lal, B., Lucini, B., … Williams, M. D. (2021). Artificial intelligence (AI): Multidisciplinary perspectives on emerging challenges, opportunities, and agenda for research, practice and policy. International Journal of Information Management, *57*, Article 101994. https://doi.org/10.1016/j.ijinfomgt.2019.08.002

Farooq, M. S., Uzair-Ul-Hassan, M., & Wahid, S. (2012). Opinion of second language learners about writing difficulties in English language. South Asian Studies, *27*(1), 183–194.

Ferris, D. R. (2014). Responding to student writing: Teachers' philosophies and practices. Assessing Writing, *19*, 6–23. https://doi.org/10.1016/j.asw.2013.09.004

Fitria, T. N. (2018). Error analysis found in students' writing composition of simple future tense. ELS Journal on Interdisciplinary Studies in Humanities, *1*(3), 240–251.

Harry, A. (2023). Role of AI in education. Interdisciplinary Journal and Humanity, *2*(3), 260–268. https://doi.org/10.58631/injurity.v2i3.52

Haseski, H. I. (2019). What do Turkish pre-service teachers think about artificial intelligence? International Journal of Computer Science Education in Schools, *3*(2), 3–23. https://doi.org/10.21585/ijcses.v3i2.55

Hyland, K., & Hyland, F. (2006). Feedback on second language students' writing. Language Teaching, *39*(2), 83–101. https://doi.org/10.1017/S0261444806003399

Jacobs, M., Pradier, M. F., McCoy, T. H., Perlis, R. H., Doshi-Velez, F., & Gajos, K. Z. (2021). How machine-learning recommendations influence clinician's treatment selections: The example of antidepressant selection. Translational Psychiatry, *11*(1), Article 108. https://doi.org/10.1038/s41398-021-01224-x

Jannath, H., & Akter, A. (2026). Artificial Intelligence (AI) for automated writing evaluation in TESOL: Effectiveness and challenges. JOLLT Journal of Languages and Language Teaching, *14*(1), 273–287. https://doi.org/10.33394/jollt.v14i1.18165

Jati, A. G. (2022). Envisioning the partnership of human and AI in English language teaching and learning. ITELL: Indonesia Technology Enhanced Language Learning, 1–3. https://itell.or.id/conference/index.php/itell/itell20/paper/view/69/55

Kawaji, T., Hojo, S., Kushiyama, A., Nakatsuma, K., Kaneda, K., Kato, M., Yokoyama, K., Kinoshita, M., Shoda, M., & Sato, M. (2019). Limitations of lesion quality estimated by ablation index: An in vitro study. Journal of Cardiovascular Electrophysiology, *30*(6), 926–933. https://doi.org/10.1111/jce.13928

Kazimov, T., Bayramova, T., & Malikova, N. (2021). Research of intelligent methods of software testing. System Research and Information Technologies, *4*, 42–52. https://doi.org/10.20535/srit.2308-8893.2021.4.03

Kirk, J. R., Wray, R. E., Lindes, P., & Laird, J. E. (2022). Improving language model prompting in support of semi-autonomous task learning. arXiv. https://doi.org/10.48550/arXiv.2209.07636

Koltovskaia, S. (2020). Student engagement with automated written corrective feedback (AWCF) provided by Grammarly: A multiple case study. Assessing Writing, *44*, Article 100426. https://doi.org/10.1016/j.asw.2020.100426

Köse, U., & Arslan, A. (2017). Optimization of self-learning in computer engineering courses: An intelligent software system supported by artificial neural network and vortex optimization algorithm. Computer Applications

in Engineering Education, *25*(1), 142–156. https://doi.org/10.1002/cae.21787

Lee, C. (2023, August 24). AI plagiarism changers: What academic leaders need to know. Turnitin. https://www.turnitin.com/blog/what-are-ai-plagiarism-changers-and-how-do-they-work-what-administrators-need-to-know

Li, T., Hong, M., Matsumura, L. C., Wang, E. L., Litman, D., Liu, Z., & Correnti, R. (2025). Chain-of-thought prompting for automated evaluation of revision patterns in young student writing. In Proceedings of the Artificial Intelligence in Measurement and Education Conference (AIME-Con): Works in Progress (pp. 49–65). National Council on Measurement in Education. https://aclanthology.org/2025.aimecon-wip.7/

Lim, F. V., & Phua, J. (2019). Teaching writing with language feedback technology. Computers and Composition, *54*, Article 102518. https://doi.org/10.1016/j.compcom.2019.102518

Liu, H., Liu, Z., Wu, Z., & Tang, J. (2020). Personalized multimodal feedback generation in education. In Proceedings of the 28th International Conference on Computational Linguistics (pp. 1826–1836). International Committee on Computational Linguistics. https://doi.org/10.18653/v1/2020.coling-main.166

Luan, H., Géczy, P., Lai, H., Gobert, J., Yang, S. J. H., Ogata, H., Baltes, J., Guerra, R., Li, P., & Tsai, C.-C. (2020). Challenges and future directions of big data and artificial intelligence in education. Frontiers in Psychology, *11*, Article 580820. https://doi.org/10.3389/fpsyg.2020.580820

Maharani, M. M. (2018). Graphic organisers to improve students' writing on recount paragraphs. Metathesis: Journal of English Language, Literature, and Teaching, *2*(2), 211–221. https://doi.org/10.31002/metathesis.v2i2.942

Mahligawati, F. (2023). Artificial intelligence in physics education: A comprehensive literature review. Journal of Physics: Conference Series, *2596*(1), Article 012080. https://doi.org/10.1088/1742-6596/2596/1/012080

Massa, J. (1997). Alternative assessment of second-language writing. In S. Tchudi (Ed.), Alternatives to grading student writing (pp. 77–90). National Council of Teachers of English. https://files.eric.ed.gov/fulltext/ED409577.pdf#page=94

Naim, I. A. M., Luqman, N. M. A. N., & Matmin, J. (2020). Enhancing students' writing performance in higher learning through Think-Write-Pair-Share: An experimental study. Asian Journal of University Education, *16*(3), 255–264.

Owan, V. J., Bassey, B. A., Agunwa, J. N., Essien, C. K., Etudor-Eyo, E. U., & Ubi, I. E. (2023). Exploring the potential of artificial intelligence tools in

educational measurement and assessment. EURASIA Journal of Mathematics, Science and Technology Education, *19*(8), Article em2307. https://doi.org/10.29333/ejmste/13428

Passi, S., & Vorvoreanu, M. (2022). Overreliance on AI: Literature review. Microsoft Research. https://www.microsoft.com/en-us/research/uploads/prod/2022/06/Aether-Overreliance-on-AI-Review-Final-6.21.22.pdf

Perdana, I., & Farida, M. (2019). Online grammar checkers and their use for EFL writing. Journal of English Teaching, Applied Linguistics, and Literatures, *2*(2), 67–76. https://doi.org/10.20527/jetall.v2i2.7332

Popenici, S. A. D., & Kerr, S. (2017). Exploring the impact of artificial intelligence on teaching and learning in higher education. Research and Practice in Technology Enhanced Learning, *12*(1), Article 22. https://doi.org/10.1186/s41039-017-0062-8

Rahman, N. A. A., & Maaarof, N. (2015). The relationship between language learning strategies and students' motivation in learning English as a second language. Jurnal Teknikal Sosial Sains, 1–17.

Rahman, N. A. A., & Othman, Z. (2020). Enhancing TVET learners' 21st century skills through innovative speaking skill technique. In Proceedings of the International Conference on Technical and Vocational Education and Training (pp. 1–10).

Rahman, N. A. A., Zulkornain, L. H., & Hamzah, N. H. (2022). Exploring artificial intelligence using automated writing evaluation for writing skills. Environment-Behaviour Proceedings Journal, *7*(SI9), 547–553.

Reichelt, M., Lefkowitz, N., Rinnert, C., & Schultz, J. M. (2012). Key issues in foreign language writing. Foreign Language Annals, *45*(1), 22–41. https://doi.org/10.1111/j.1944-9720.2012.01166.x

Shaari, N. D. (2022). Conversational AI in enhancing students' writing skills among vocational students. In A. Saidalvi, I. Jalaluddin, P. Shak, H. L. J. Lee, K. H. Shyan, L. Y. Yea, W. F. W. Fakhruddin, N. M. Ngadiran, & A. B. Im (Eds.), Proceedings of the 11th MELTA International Research Conference in English Language Education (pp. 53–55). MELTA. https://tinyurl.com/3nrdwxuj

Tekian, A., Watling, C. J., Roberts, T. E., Steinert, Y., & Norcini, J. (2017). Qualitative and quantitative feedback in the context of competency-based education. Medical Teacher, *39*(12), 1245–1249. https://doi.org/10.1080/0142159X.2017.1372564

Tseng, W.-T., Chen, S., & Dong, T. H. (2026). A meta-synthesis of automatic writing evaluation research: Trends and developments over a decade.

Educational Technology Research and Development, *74*(3), 1347. https://doi.org/10.1007/s11423-026-10601-6

Tubino, L., & Adachi, C. (2022). Developing feedback literacy capabilities through an AI automated feedback tool. ASCILITE Publications, Article e22039. https://doi.org/10.14742/apubs.2022.39

Warschauer, M., & Ware, P. (2006). Automated writing evaluation: Defining the classroom research agenda. Language Teaching Research, *10*(2), 157–180. https://doi.org/10.1191/1362168806lr190oa

Wiliam, D., Lee, C., Harrison, C., & Black, P. (2004). Teachers developing assessment for learning: Impact on student achievement. Assessment in Education: Principles, Policy & Practice, *11*(1), 49–65. https://doi.org/10.1080/0969594042000208994

Xu, J., & Zhang, S. (2022). The effectiveness of automated writing evaluation on writing quality: A meta-analysis. Journal of Educational Computing Research, *61*(4), 875–900. https://doi.org/10.1177/07356331221127300

Yang, C. (2013). How Chinese beginning writers learn English writing: A survey of writing strategies. Journal of Educational and Social Research, *3*(1), 9–18. https://doi.org/10.5901/jesr.2013.v3n1p9

Yu, L., & Yu, Z. (2023). Qualitative and quantitative analyses of artificial intelligence ethics in education using VOSviewer and CitNetExplorer. Frontiers in Psychology, *14*, Article 1061778. https://doi.org/10.3389/fpsyg.2023.1061778

Zali, A., Talaat, M., Schott, J., van der Velde, M., van der Velden, M., de Boer, H., & van der Schaaf, M. (2022). Mortality among hospitalized COVID-19 patients during surges of SARS-CoV-2 alpha (B.1.1.7) and delta (B.1.617.2) variants. Scientific Reports, *12*(1), Article 19392. https://doi.org/10.1038/s41598-022-23312-8

Zawacki-Richter, O., Marín, V. I., Bond, M., & Gouverneur, F. (2019). Systematic review of research on artificial intelligence applications in higher education—where are the educators? International Journal of Educational Technology in Higher Education, *16*(1), Article 39. https://doi.org/10.1186/s41239-019-0171-0

Zemach, D. E., & Rumisek, L. A. (2005). Academic writing: From paragraph to essay. Macmillan Education.

Zhai, N., & Ma, X. (2022). Automated writing evaluation (AWE) has been used increasingly to provide feedback on student writing. Computer Assisted Language Learning. (Publication details incomplete in search results)

Zhang, Y., Liao, Q. V., & Bellamy, R. K. E. (2020). Effect of confidence and explanation on accuracy and trust calibration in AI-assisted decision

making. In Proceedings of the 2020 Conference on Fairness, Accountability, and Transparency (pp. 295–305). Association for Computing Machinery. https://doi.org/10.1145/3351095.3372852

Zhang, Z. (2020). Engaging with automated writing evaluation (AWE) feedback on L2 writing: Student perceptions and revisions. Assessing Writing, *43*, Article 100439. https://doi.org/10.1016/j.asw.2019.100439

Zhao, T., & Song, T. (2022). Establishing a fusion model of attention mechanism and generative adversarial network to estimate students' attitudes in English classes. Tehnicki Vjesnik - Technical Gazette, *29*(5), 1658–1665. https://doi.org/10.17559/tv-20210922053009

Zhao, Y. (2026). A comparative study on the engagement of different proficiency L2 learners with AWE feedback. Korean Journal of English Language and Linguistics.

Eleventh Year Proceedings (11) on the Stakes of Scientific Research in Light of Knowledge Integration Towards Building Multidisciplinary Knowledge Capable of Innovation and Change under the motto:*When Disciplines Meet, Innovation is Born* 09-10-11/07/2026

Integration of Immunological Biomarkers with Artificial Intelligence for Early Diagnosis and Personalized Management of Multiple Sclerosis and Systemic Lupus Erythematosus

Qasim Hamadi Abid
Department of Pathological Analyses, College of Applied Medical Sciences, University of Kerbala, Karbala, Iraq.
qassim.h@uokerbala.edu.iq

Abstract:

Immune system dysfunction and constant inflammation are typical symptoms of autoimmunity. This study is aimed to assess the predictive ability of the random forest machine learning algorithm in disease severity classification. This study included 100 people (50 patients and 50 healthy volunteers). Patients consisted of two groups of 25 people with either multiple sclerosis (MS) or systemic lupus erythematosus (SLE). The concentrations of cytokines in sera were determined by enzyme-linked immunosorbent assay (ELISA). The concentrations of cytokines were found significantly higher in patients than in healthy subjects ($P < 0.001$). IL-17 had the highest importance for prediction. Accuracy of the random forest was 96%.IL-17, IL-6 and TNF-α can be used as good biomarkers of autoimmunity.

Keywords: Random Forest; machine learning; immunological biomarkers; multiple sclerosis; systemic lupus erythematosus.

دمج المؤشرات الحيوية المناعية مع الذكاء الاصطناعي للتشخيص المبكر والإدارة الشخصية للتصلب المتعدد والذئبة الحمامية الجهازية

قاسم حمادي عبد

.قسم التحليلات المرضية، كلية العلوم الطبية التطبيقية، جامعة كربلاء، كربلاء، العراق

qassim.h@uokerbala.edu.iq

ملخص:

خلل الجهاز المناعي والالتهاب المستمر هما من الأعراض النموذجية للمناعة الذاتية. تهدف هذه الدراسة إلى تقييم القدرة التنبؤية لخوارزمية التعلم الآلي "الغابة العشوائية" في تصنيف شدة المرض. شملت هذه الدراسة 100 شخص (50 مريضًا و50 متطوعًا صحيًا). تكون المرضى من مجموعتين من 25 شخصًا إما مصابين بالتصلب المتعدد (MS) أو الذئبة الحمامية الجهازية (SLE). تم تحديد تركيزات السيتوكينات في المصل باستخدام اختبار الامتصاص المناعي المرتبط بالإنزيم (ELISA). تم العثور على تركيزات السيتوكينات أعلى بشكل ملحوظ في المرضى مقارنة بالأشخاص الأصحاء ($P < 0.001$). كان IL-17 الأكثر أهمية للتنبؤ. كانت دقة الغابة العشوائية 96%. يمكن استخدام IL-17 وIL-6 وTNF-α كعلامات حيوية جيدة للمناعة الذاتية.

الكلمات المفتاحية: الغابة العشوائية؛ التعلم الآلي؛ المؤشرات المناعية؛ التصلب المتعدد؛ الذئبة الحمامية الجهازية.

The research

I. Introduction :

Multiple sclerosis is a debilitating inflammatory condition of the central nervous system that is marked by neurodegeneration and demyelination. Since multiple sclerosis is still incurable, the major goals of MS treatment are to lessen relapses and slow the rate of cognitive and physical impairment(Grunwald et al., 2024). Because of its complex pathophysiology, progressive multiple sclerosis presents significant challenges in assessing disease progression and treatment response the levels of the light chain of neurofilament can be considered one of the most significant markers of neuro-axonal damage, and the usefulness of biomarkers in both blood and cerebrospinal fluid is now known(Yousef et al., 2024). Chronic inflammation and neuronal dysregulation are two factors that contribute to the activity of the disease and are responsible for disability progression in patients suffering from multiple sclerosis (MS)(Khatri et al., 2025). Magnetic resonance imaging (MRI) as a method of forecasting can be optimized through using conventional and advanced machine learning (ML) algorithms able to recognize more complicated patterns in neuroimages(Su et al., 2024). There are two very promising directions in therapy: CAR T-cell therapies and Bruton tyrosine kinase (BTK) inhibitors. The first one is revolutionary in the treatment of MS progression as an alternative to focal inflammation(Khan et al., 2024).Systemic lupus erythematosus (SLE) is a multisystem autoimmune disease featuring immune dysregulation. This condition is accompanied by the accumulation of immune complexes resulting in inflammation and autoantibodies production against various nuclear antigens and/or proteins(Richter et al., 2025). Cytokine network dysregulation, especially interferons (IFNs) and others pro-inflammatory cytokines, is another factor of SLE pathology(Rezaee et al., 2020). Multifactorial origins of the development of systemic lupus erythematosus include immune system dysregulation, disruption of immunological tolerance, genetic predisposition, and environmental factors that act as triggering factors(Moreno-Torres et al.,

2022). Because of the complexity of SLE and the possibility of multi-systemic disease, an in-depth knowledge of immunopathogenic mechanisms is necessary for developing efficient treatment approaches(Richter et al., 2023). Artificial intelligence (AI) is revolutionizing medicine through the provision of innovative solutions to problems associated with diagnostics, clinical and molecular phenotyping, predicting prognosis, and improving patient care in the context of various diseases, including SLE(Salama et al., 2025).

II. Materials and methods

Blood sample collection

Peripheral venous blood was collected from each individual using disposable sterile syringes in the volume of 5 ml. The blood was taken in plain gel tubes without any anticoagulants, and allowed to clot at room temperature for 20–30 min. Then, the serum was separated by centrifugation for 10 minutes at the speed of 3000 rpm. After that, the serum was aseptically divided into Eppendorf tubes and stored at −80°C before cytokines detection.

Measurement of Cytokines by ELISA

Levels of serum TNF-α, IL-17, and IL-6 were analyzed using ELISA kits purchased from commercial sources according to manufacturers' protocol. Absorbance was read at 450 nm using an ELISA microplate reader (BioTek ELx800/Stat Fax 2100). TNF-α and IL-17 were measured using human cytokine ELISA kits (R&D Systems/Elabscience); TNF-α is 0–8 pg/mL, IL-17 is 0–10 pg/mL, and IL-6 is 0–5 pg/mL.

Statistical Analysis

IBM SPSS Statistics software 26.0 (IBM Corp., Armonk, NY, USA) and Python 3.11 with machine learning Scikit-learn library were utilized for data analysis. Frequencies and percentages were used to represent categorical data; the means ± standard errors of the mean (Mean ± SE) were calculated for continuous data. Data distribution normality was assessed through the

Shapiro-Wilk test. In cases where data distribution was normally distributed, the independent samples t-test was performed to compare patient versus control groups. One-way ANOVA followed by Tukey's multiple comparison post hoc test was done to compare cytokine levels in different disease severity groups. The Chi-square test was used to compare categorical variables, such as age groups and sex distribution. The associations between serum TNF-α, IL-17 and IL-6 concentrations, and disease severity were evaluated using Pearson's correlation coefficient (r). Using age, sex, IL-6, IL-17, and TNF-α as input variables, a Random Forest classifier was created to differentiate autoimmune disease patients from healthy controls and forecast the severity of the disease. The dataset was split into training (80%) and testing (20%) groups at random. Accuracy, Sensitivity, Specificity, Precision, F1-score, and the Area Under the Receiver Operating Characteristic Curve (AUC) were used to assess the model's performance. To ascertain each variable's contribution to the prediction model, feature importance was computed. Statistical significance was defined as a p-value of less than 0.05.

III. Results

The distribution of age and sex between patients with multiple sclerosis and healthy controls did not differ statistically significantly (1). In both groups, the majority of participants (58% total) were between the ages of 21 and 35, and women were more common than men (72% vs. 28%). The chi-square analysis verified that the demographic parameters of the two groups were similar (age: $\chi^2 = 0.77$, P = 0.86; sex: $\chi^2 = 0.40$, P = 0.53).

Table 1-Distribution of multiple sclerosis patients and healthy according to demographical characteristics (age, sex)

demographical characteristics	Study groups N (%)		X^2	P-value	Total No. (%)
Age	**Healthy**	**Multiple sclerosis patients**			
5-20 years	3(12%)	4(16%)	0.77	0.86	7(14%)
21-35 years	15(60%)	14(56%)			29(58%)
36-50 years	4(16%)	5(20%)			10(20%)
51-70 years	3(12%)	2(8%)			) 10% (5
Total	25(100%)	25(100%)			50(100%)
Sex					
Male	8(32%)	6(24%)	0.40	0.53	14(28%)
Female	17(68%)	19(76%)			36(72%)
Total	25(100%)	25(100%)			50(100%)

***p-value ≥ 0.05 was nonsignificant, X2: chi square**

The age or sex distribution of patients with systemic lupus erythematosus and healthy controls did not differ statistically significantly in table (2). Overall, 60% of participants in both groups were between the ages of 21 and 35, and 78% of study participants were female. The demographic features of the two groups were comparable, according to the chi-square test (age: $\chi^2 = 1.18$, P = 0.76; sex: $\chi^2 = 1.09$, P = 0.30).

Table 2-Distribution of systemic lupus erythematosus patients and healthy according to demographical characteristics (age, sex)

demographical characteristics	Study groups N (%)		X^2	P-value	Total No. (%)
Age	**Healthy**	**systemic lupus erythematosus patients**			
5-20 years	3(12%)	5(20%)	1.18	0.76	8(16%)
21-35 years	14(56%)	16(64%)			30(60%)
36-50 years	4(16%)	2(8%)			6(12%)
51-70 years	3(12%)	2(8%)			) 10% (5
Total	25(100%)	25(100%)			50(100%)
Sex					
Male	7(28%)	4(16%)	1.09	0.30	11(22%)
Female	18(72%)	21(84%)			39(78%)
Total	25(100%)	25(100%)			50(100%)

***p-value ≥ 0.05 was nonsignificant, X2: chi square**

Only 8% of multiple sclerosis patients had intermediate disease, 20% had mild disease, and 72% had severe disease. According to table (3), these results show that most study participants had advanced illness severity.

Table3- Distribution of multiple sclerosis patients According to Disease Severity

Disease severity	Number (N)	Percentage (%)
Mild	5	20%
Moderate	2	8%
Severe	18	72%
Total	25	100%

Seventy-six percent of patients with systemic lupus erythematosus had severe disease, whereas sixteen percent had mild disease and eight percent had moderate disease. These findings show that among the patients under study in table (4), serious illness was the most common clinical presentation.

Table4- Distribution of systemic lupus erythematosus patients According to Disease Severity

Disease severity	Number (N)	Percentage (%)
Mild	4	16%
Moderate	2	8%
Severe	19	76%
Total	25	100%

The distributions of IL-6, IFN-γ, and IL-17 were roughly normal in both the sick and healthy groups, according to the Shapiro-Wilk test, since all P-values were higher than 0.05. As a result, the data met the normalcy assumption, allowing for the use of parametric statistical tests in table (5) for further analysis.

Table 5- Distribution of study parameters according to normality (IL-6, TNF-α, IL-17) in multiple sclerosis patients and healthy

Parameters	Groups	Statistic	df	Sig.
IL-6	Patients	0.97	25	0.63
	Healthy	0.94	25	0.13
IFN-γ	Patients	0.93	25	0.07
	Healthy	0.93	25	0.09
IL-17	Patients	0.97	25	0.64
	Healthy	**0.96**	**25**	**0.52**

The Sig. (p-value) > 0.05, there are no significant differences, there are normal distribution, df: degrees of freedom

Both the sick and healthy groups had normal distributions of IL-6, IFN-γ, and IL-17, according to the Shapiro-Wilk test, with all P-values more than 0.05. These results support the application of parametric statistical analysis in table (6) by demonstrating that the normalcy assumption was satisfied.

Table 6- Distribution of study parameters according to normlity (IL-6, TNF-α, IL-17) in systemic lupus erythematosus patients and healthy

Parameters	Groups	Statistic	df	Sig.
IL-6	Patients	0.93	25	0.11
	Healthy	0.94	25	0.15
IFN-γ	Patients	0.98	25	0.91
	Healthy	0.93	25	0.08
IL-17	Patients	0.99	25	1.00
	Healthy	0.93	25	0.07

The Sig. (p-value) > 0.05, there are no significant differences, there are normal distribution, df: degrees of freedom

Patients had significantly greater mean serum levels of TNF-α, IL-17, and IL-6 than healthy controls ($P < 0.001$ for all comparisons). These results show a significant rise in inflammatory cytokines in patients, indicating their critical role in immune activation and disease pathogenesis (table 7).

Table 7-Effect of multiple sclerosis on immunological parameters (Means ± SD)

Parameters	Groups		P-value
	Patients	Healthy	
IL-6 (pg/mL)	A 16.14±4.73	B 3.38±2.61	$p < 0.001$
TNF-α (pg/mL)	A 42.08±22.30	B 7.21±4.72	$p < 0.001$
IL-17 (pg/mL)	A 32.60±14.04	B 7.49±5.19	$p < 0.001$

A significant difference is shown by different letters at ($p \leq 0.01$)

Patients' mean serum levels of TNF-α, IL-17, and IL-6 were considerably greater than those of healthy controls ($P < 0.001$ for all parameters). These findings show that patients produce more inflammatory cytokines, which reflects the higher immune activity linked to the illness in table (8).

Table 8-Effect of systemic lupus erythematosus on immunological parameters (Means ± SD)

Parameters	Groups		P-value
	Patients	Healthy	
IL-6 (pg/mL)	A 13.88±3.49	B 3.89±4.36	p < 0.001
TNF-α (pg/mL)	A 54.67±13.90	B 11.17±.15.78	p < 0.001
IL-17 (pg/mL)	A 38.14±9.06	B 9.51±12.22	p < 0.001

Different letters represent a significant difference at (p≤0. 01)

IL-6 and TNF-α (r = −0.075, P = 0.722) and IL-6 and IL-17 (r = −0.029, P = 0.891) did not significantly correlate, according to correlation analysis. TNF-α and IL-17, however, showed a significant moderately negative connection (r = −0.404, P = 0.045), suggesting that lower IL-17 levels were linked to greater TNF-α levels in table (9).

Table 9-Correlation between study parameters (IL-6, TNF-α, IL-17) in multiple sclerosis patients

Parameters		Parameters		
		IL-6	**TNF-α**	**IL-17**
IL-6	r p-value	1	-0.075 0.722	-0.029 0.891
TNF-α	r p-value	- 0.075 0.722	1	-0.404* 0.045
IL-17	r p-value	-0.029 0.891	-0.404* 0.045	1

Note:* Correlation is significant at(p ≤ 0.05), r: correlation coefficient

Significant positive relationships between all inflammatory cytokines were shown by correlation analysis. TNF-α and IL-17 had favorable correlations with IL-6 (r = 0.517, P = 0.0001 and r = 0.768, respectively). Furthermore, there was a substantial positive correlation (r = 0.684, P = 0.0001) between TNF-α and IL-17, suggesting coordinated inflammatory immune responses in table (10).

Table 10-Correlation between study parameters (IL-6, TNF-α, IL-17) in systemic lupus erythematosus patients

Parameters		**Parameters**		
		IL-6	**TNF-α**	**IL-17**
IL-6	r p-value	1	0.517** 0.0001	0.768** 0.0001
TNF-α	r p-value	0.517** 0.0001	1	0.684** 0.0001
IL-17	r p-value	0.768** 0.0001	0.684** 0.0001	1

Note:* * Correlation is significant at($p \leq 0.01$), r: correlation coefficient

According to ROC curve analysis, IL-6, TNF-α, and IL-17 performed exceptionally well as diagnostic markers for separating patients from healthy controls. With an AUC of 0.98, TNF-α had the best diagnostic accuracy, followed by IL-17 (AUC = 0.97) and IL-6 (AUC = 0.90). All biomarkers showed strong specificity (84–88%) and high sensitivity (96%), suggesting that they could be useful as diagnostic biomarkers (table 11).

Table 11-Diagnostic performance of IL-6, TNF-α, IL-17 based on ROC curve analysis in multiple sclerosis patients and healthy

Parameters	AUC	Sensitivity (%)	Specificity (%)	Cut-off
IL-6	0.90	96%	84%	8.25 pg/mL
TNF-α	0.98	96%	88%	10.06 pg/mL
IL-17	0.97	96%	84%	11.50 pg/mL

ROC: receiver operating characteristic, AUC: area under the curve

According to ROC curve research, IL-6, TNF-α, and IL-17 had outstanding diagnostic accuracy when separating patients from healthy controls. With AUCs of 0.95 and 0.93, respectively, TNF-α and IL-17 showed the best diagnostic performance, followed by IL-6. Table (12) shows that all three biomarkers had strong specificity (84–88%) and high sensitivity (96%), indicating their potential utility as diagnostic biomarkers.

Table 12-Diagnostic performance of IL-6, TNF-α, IL-17 based on ROC curve analysis in systemic lupus erythematosus patients and healthy

Parameters	AUC	Sensitivity (%)	Specificity (%)	Cut-off
IL-6	0.93	96%	88%	9.15 pg/mL
TNF-α	0.95	96%	88%	28.29 pg/mL
IL-17	0.95	96%	84%	21.20 pg/mL

ROC: receiver operating characteristic, AUC: area under the curve

With an overall accuracy of 96%, the Random Forest model performed exceptionally well in forecasting the severity of the illness. 94.4% of severe cases and 100% of mild and moderate cases were properly identified,

demonstrating the great reliability of the disease severity prediction in table (13).

Table 13-Predicting the severity of the disease in patients with multiple sclerosis using Random Forest

Category	Actual cases (N)	Correctly predicted (N)	Accuracy (%)
Mild	5	5	100
Moderate	2	2	100
Severe	18	17	94.4
Overall accuracy	25	24	96

With a total accuracy of 96%, the Random Forest model demonstrated outstanding predictive performance. 94.7% of severe cases and 100% of mild and moderate cases were properly identified, indicating good accuracy and reliability in predicting disease severity in table (14).

Table 14-Predicting the severity of the disease in patients with systemic lupus erythematosus using Random Forest

Category	Actual cases (N)	Correctly predicted (N)	Accuracy (%)
Mild	4	4	100
Moderate	2	2	100
Severe	19	18	94.7
Overall accuracy	25	24	96

With an accuracy of 96%, which indicates a high rate of accurate classifications, the Random Forest model in table (15) performed exceptionally well in predicting the severity of Multiple Sclerosis. Sensitivity and specificity were 96% and 94%, respectively, indicating a high capacity to detect actual instances and rule out misleading classifications. The F1-score was 95.9% and the positive predictive value (accuracy) was 95.8%, demonstrating a superb balance between sensitivity and accuracy. The AUC

value, which equals 0.98, is a demonstration of the ability of the model to distinguish sickness severity. This statistic confirms the efficiency and validity of the model that can be used as a decision-making aid for clinical purposes.

Table15- Performance evaluation of the random forest classifier for predicting multiple sclerosis disease severity

Performance metric	Random forest
Accuracy	96%
Sensitivity	96%
Specificity	94%
Precision	95.8%
F1-score	95.9%
AUC	0.98

With a 96% accuracy rate, the Random Forest model in Table (16) demonstrated outstanding predictive ability in the classification of disease severity. The model's excellent capacity for accurately identifying cases is demonstrated by the F1-score, sensitivity, and precision, all of which registered 96%. The area under the ROC curve (AUC) was 0.95, suggesting the model's high discriminatory ability in predicting illness severity, and the specificity reached 92%, indicating good efficiency in removing false classifications.

Table 16- Performance evaluation of the random forest classifier for predicting systemic lupus erythematosus disease severity

Performance metric	Random forest
Accuracy	96%
Sensitivity	96%
Specificity	92%
Precision	96%
F1-score	96%
AUC	0.95

TNF-α was the most significant biomarker in the Random Forest model (AUC = 0.98), followed by IL-17 (AUC = 0.97) and IL-6 (AUC = 0.90), according to the estimated feature importance in table (17). These results imply that TNF-α and IL-17 were more significant predictors of disease severity, while IL-6 was more significant but had a lower predictive value.

Table17- Estimated feature importance of immunological biomarkers in the random forest model for Predicting multiple sclerosis disease severity

Feature	AUC	Expected feature importance
TNF-α	0.98	Highest
IL-17	0.97	High
IL-6	0.90	Moderate

TNF-α and IL-17 were the most significant biomarkers in the Random Forest model, according to the estimated feature value in table (18). Both biomarkers achieved an AUC of 0.95, showing equivalent predictive importance. Though to a lesser degree than TNF-α and IL-17, IL-6 showed significant relevance (AUC = 0.93), indicating that it also contributed to the prediction of disease severity. Overall, the findings show that including these immunological biomarkers improves the model's capacity to forecast the severity of the illness.

Table18- Estimated feature importance of immunological biomarkers in the random forest model for predicting systemic lupus erythematosus disease severity

Feature	AUC	Expected feature importance
TNF-α	0.95	High
IL-17	0.95	High
IL-6	0.93	Moderate

Figure (1) ROC curve shows that TNF-α and IL-17 had the best diagnostic performance; the curves closest to the upper-left corner indicate great sensitivity and specificity. Although it was marginally less successful than TNF-α and IL-17, IL-6 also shown good diagnostic accuracy. All three cytokines are valid indicators for differentiating patients from healthy controls, according to the ROC analysis, with TNF-α showing the best diagnostic performance.

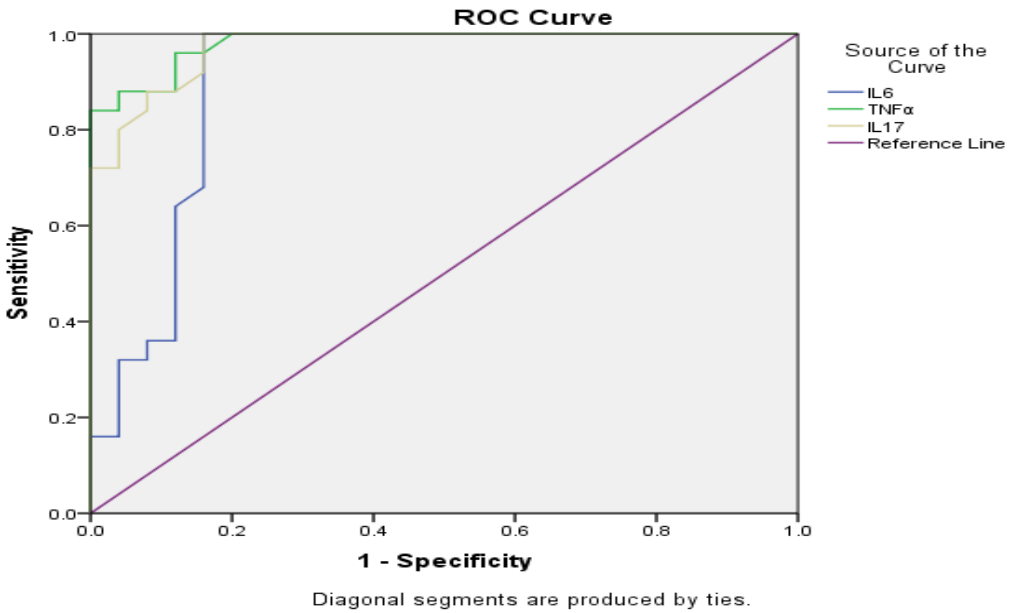

Figure -1 ROC curve showing the diagnostic performance of IL-6, TNF-α, IL-17based on ROC curve analysis in systemic lupus erythematosus patients and healthy

The ROC curves for IL-6, TNF-α, and IL-17 in distinguishing patients from healthy controls are shown in Figure (2). Since all of the biomarkers' ROC curves were much above the reference line, suggesting high sensitivity and specificity, they all showed outstanding diagnostic performance. With the curve closest to the upper left corner, IL-17 demonstrated the highest diagnostic accuracy, followed by TNF-α and IL-6. Overall, the ROC analysis shows that these inflammatory cytokines are highly discriminative and could

be useful indicators for the diagnosis of illness.

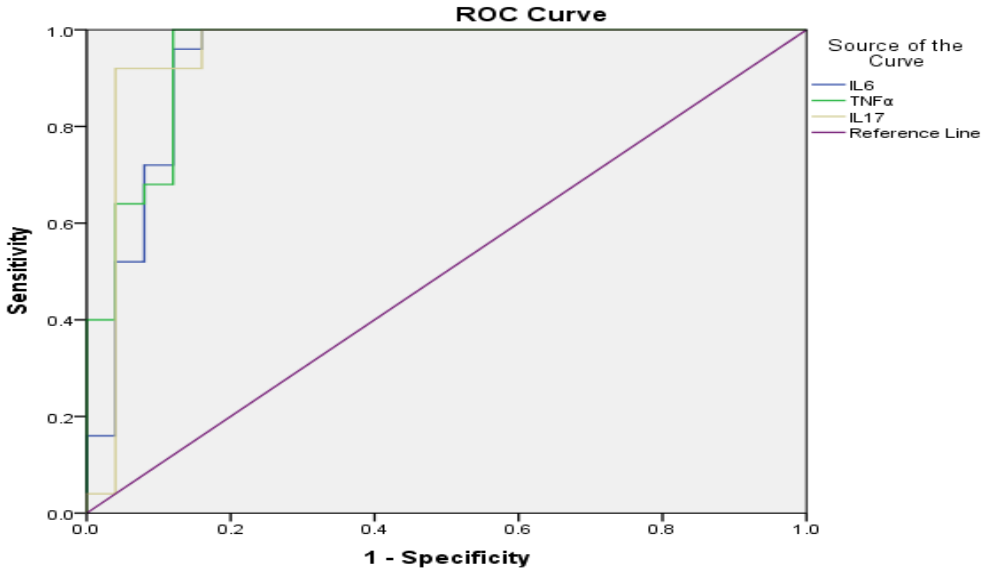

Figure -2 ROC curve showing the diagnostic performance of IL-6, TNF-α, IL-17based on ROC curve analysis in multiple sclerosis patients and healthy

IV. Discussion

The demographic analysis revealed no statistically significant differences between patients and healthy controls regarding age or sex in either MS or SLE groups ($P > 0.05$). These findings suggest that demographic factors had less of an impact on immunological outcomes because the two study groups were appropriately matched. Recent research on autoimmune diseases has shown that biomarker changes are largely independent of age and sex after appropriate case-control matching, allowing inflammatory cytokines to more accurately reflect immune dysregulation linked to the disease rather than demographic variation (Khatri et al., 2025; Yousef et al., 2024). Illness

severity study showed that most patients—72% of MS patients and 76% of SLE patients—had severe illness. The frequency of severe patients may account for the much greater levels of pro-inflammatory cytokines seen in the current investigation. Progressive immune activation is known to exacerbate inflammatory cascades, resulting in extended cytokine production, increased leukocyte recruitment, and progressive tissue damage. Recent studies have shown that persistent activation of inflammatory pathways directly causes neurological deterioration in MS and multisystem organ dysfunction in SLE (Khan et al., 2024; Su et al., 2024). Normality testing confirmed that IL-6, TNF-α, and IL-17 had a normal distribution in both patient and control groups, supporting the use of parametric statistical approaches. The above outcome validates the validity of group comparison since it shows that the differences witnessed are due to biological differences and not just mere statistics(Al-Shammri et al., 2025). One of the most important findings from this study is that the levels of IL-6 were found to be significantly higher in MS and SLE patients compared to control subjects ($P < 0.001$). One of the main mediators of chronic inflammation is IL-6, which stimulates B-cell activation and the generation of autoantibodies while encouraging the differentiation of naïve CD4+ T cells into pathogenic Th17 cells. Increased MS disease activity, neuroinflammation, and progression, as well as systemic immune activation and tissue damage in SLE, have all been repeatedly linked to elevated IL-6. Thus, IL-6's importance as an inflammatory biomarker for autoimmune disorders is further supported by the study's noticeably higher IL-6 concentrations (Grunwald et al., 2024; Richter et al., 2025). Likewise, both patient groups had significantly higher serum TNF-α levels. TNF-α is a

multipurpose cytokine that contributes to leukocyte movement, apoptosis, endothelial activation, and inflammatory response amplification. While TNF-α increases immune-complex-mediated inflammation and organ damage in SLE, it also contributes to demyelination, axonal degradation, and disruption of the blood–brain barrier in MS. The significantly higher amounts found in this analysis are consistent with recent research suggesting that prolonged TNF-α activation is linked to poor clinical outcomes and disease progression (Moreno-Torres et al., 2022; Rezaee et al., 2020). Additionally, the current investigation showed that both MS and SLE patients had considerably higher IL-17 concentrations. Through the recruitment of neutrophils, promotion of chemokine production, and amplification of tissue destruction, IL-17, the signature cytokine generated by Th17 cells, plays a crucial role in autoimmune inflammation. There is growing evidence that the overproduction of IL-17 directly leads to autoimmune disease activity and recurrence. The significance of Th17-mediated immune responses in the pathophysiology of both disorders is thus further supported by the higher IL-17 levels found in our investigation (Richter et al., 2023; Salama et al., 2025). Analysis of the correlation between MS and SLE found different immunological associations for each disease. No correlation was identified between IL-6 and TNF-α or IL-17 in the Multiple Sclerosis group. whereas a weak negative correlation was identified between TNF-α and IL-17 ($r = -0.404$, $P = 0.045$) these results accompanied with (Patanella et al., 2010) demonstrates a link between low BDNF and high IL-6 production by PBMCs and lower cognitive task performance in RRMS patients, indicating a potential role for these variables in MS cognitive impairment. On the other

hand, all examined cytokines showed strong positive relationships in SLE patients. Strong positive associations were observed between IL-6 and IL-17, IL-6 and TNF-α, as well as TNF-α and IL-17 ($P < 0.01$) these results accompanied with (Richter et al., 2026) A favorable correlation was seen between TNF-α levels and IL-17A. In SLE patients, there was a high correlation between TNF-α and IL-17A and cutaneous involvement, suggesting their role in skin-related inflammatory processes. The outstanding diagnostic ability of the examined biomarkers was further validated by receiver operating characteristic (ROC) analysis. After IL-17 (AUC = 0.97) and IL-6 (AUC = 0.90), TNF-α demonstrated the highest diagnostic accuracy (AUC = 0.98) in MS patients. In the current study, the biomarkers revealed extraordinary effectiveness in diagnosing systemic lupus erythematosus (SLE) with AUC equal to 0.93 for IL-6 and 0.95 for TNF-α and IL-17. These results suggest high capabilities of three cytokines to distinguish SLE patients from healthy subjects, thus justifying their use as biomarkers in the diagnosis of disease.

The Random Forest classifier showed better results in predicting severity of both multiple sclerosis (MS) and SLE patients. Its overall accuracy is 96% for each type of disease and includes high sensitivity, specificity, precision and F1-score. Besides, AUC indicates good discriminatory power of severity levels with values of 0.98 for MS and 0.95 for SLE. These findings demonstrate that machine learning algorithms can accurately classify autoimmune disease severity using only a limited number of immunological biomarkers. Similar studies published during the past two years have reported that Random Forest consistently outperforms conventional statistical models

because of its robustness against overfitting, ability to capture nonlinear relationships, and capacity to integrate multiple biological variables simultaneously(Al-Shammri et al., 2025; Strizzi et al., 2026).

Estimated feature importance analysis suggested that TNF-α represented the most influential biomarker for predicting disease severity in MS, followed by IL-17 and IL-6. In SLE, TNF-α and IL-17 exhibited comparable predictive importance, whereas IL-6 showed a relatively lower contribution. These findings are biologically plausible because TNF-α and IL-17 are central mediators of chronic inflammation and immune-cell activation, while IL-6 mainly acts as an upstream regulator of inflammatory responses. Recent investigations have similarly identified TNF-α- and IL-17-related pathways as major determinants of autoimmune disease progression and potential therapeutic targets(Saha et al., 2026).

V. Conclusion

The current study revealed the existence of elevated concentrations of IL-6, TNF-α, and IL-17 in patients suffering from MS and SLE compared to healthy control participants, which reflects the significance of the aforementioned cytokines as biological markers of autoimmune diseases. All the three cytokines were shown to have outstanding diagnostic value according to ROC analysis. Additionally, it was found that the Random Forest algorithm possesses high predictive power for the degree of severity of diseases, having very high accuracy, sensitivity, specificity, precision, F1-score, and AUC values. Therefore, the combination of biological markers and artificial intelligence is an efficient approach for early disease diagnosis,

severity prognosis, and individualized treatment of MS and SLE.

VI. **Citations**

Al-Shammri, S., Özdil, A., Aboukoura, A., Azizieh, F., Yilmaz, B., & Raghupathy, R. (2025). Predicting multiple sclerosis prognosis using AI and machine learning: integrating clinical, immunological, and radiological variables. ,*Frontiers in Neurology*, *161712953.*

Grunwald, C., Krętowska-Grunwald, A., Adamska-Patruno, E., Kochanowicz, J., Kułakowska, A., & Chorąży, M. (2024). The role of selected interleukins in the development and progression of multiple sclerosis—A systematic review. *International Journal of Molecular Sciences*, *25*(5), 2589.

Khan, Z., Mehan, S., Gupta, G. D., & Narula, A. S. (2024). Immune system dysregulation in the progression of multiple sclerosis: molecular insights and therapeutic implications. *Neuroscience*, *548*, 9-26.

Banerjee, A., Khargekar, N., Athalye, S., Rai, K., Rajadhyaksha, A., Padwal, ,.Khatri, R V., & Pradhan, V. (2025). Unravelling the connection between interferons and systemic lupus erythematosus: a systematic review and meta-analysis. *BMC medicine*, *23*(1), 543.

Moreno-Torres, V., Castejón, R., Martínez-Urbistondo, M., Gutiérrez-Rojas, Á., Vázquez-Comendador, J., Tutor, P., Durán-del Campo, P., Mellor-Pita, S., Rosado, S., & Vargas-Núñez, J. A. (2022). Serum cytokines to predict and serological activity. *Clinical and* systemic lupus erythematosus clinical *translational science*, *15*(7), 1676-1686.

Patanella, A. K., Zinno, M., Quaranta, D., Nociti, V., Frisullo, G., Gainotti, G., Tonali, P. A., Batocchi, A. P., & Marra, C. (2010). Correlations between peripheral mononuclear cell production of BDNF, TNF-alpha, IL-6, IL-10 and blood cognitive performances in multiple sclerosis patients. *Journal of neuroscience research*, *88*(5), 1106-1112.

Rezaee, S., KAHRIZI, S., Nabavi, S. M., & Hedayati, M. (2020). VEGF and TNF-Responses to Acute and Chronic Aerobic Exercise in the Patients with Multiple Sclerosis.

Richter, P., Macovei, L. A., Mihai, I. R., Cardoneanu, A., Burlui, M. A., & Rezus, E. (2023). Cytokines in systemic lupus erythematosus—focus on TNF-α and IL-17. *International Journal of Molecular Sciences*, *24*(19), 14413.

Richter, P., Macovei, L. A., Rezus, C., Burlui, A. M., & Rezus, E. (2026). Pathogenic and Clinical Relevance of Serum IL-17A and TNF-α in Systemic Lupus Erythematosus. *International Journal of Molecular Sciences*, *27*(3), 1244.

Richter, P., Rezus, C., Burlui, A. M., Schreiner, T. G., & Rezus, E. (2025). Serum interleukin-6 in systemic lupus erythematosus: insights into immune dysregulation, disease activity, and clinical manifestations. *Cells*, *14*(19), 1568.

Saha, P., Guruparan, T., Fuggle, N., & Tsigarides, J. (2026). E121 A systematic scoping review exploring the use of artificial intelligence approaches in autoimmune connective tissue diseases. *Rheumatology*, *65*(Supplement_2), keag121. 344.

Marei, Y., Attia, F., Anani, M., El-Samahy, M., Mohamed, S., Alqassimi, ,.Salama, M S., Albeltagy, E. S., Roshdey, E., & Ahmed, S. (2025). Assessment of IL-17 in multiple sclerosis and its relationship with disease severity in Egypt. *Assessment*, *32*(4), 08-15.

Strizzi, C. T., Cheungpasitporn, W., Thongprayoon, C., & Pesce, F. (2026). Artificial intelligence in the care of systemic lupus erythematosus: Current capabilities and translational barriers. *Lupus*, *35*(9), 885-898.

Zhang, Z., Yang, W., Guo, Y., & Lin, L. (2024). ,.Su, X., Yu, H., Lei, Q., Chen, X., Tong, Y Systemic lupus erythematosus: pathogenesis and targeted therapy. *Molecular biomedicine*, *5*(1), 54.

Yousef, H., Malagurski Tortei, B., & Castiglione, F. (2024). Predicting multiple sclerosis disease progression and outcomes with machine learning and MRI-based biomarkers: a review. *Journal of neurology*, *271*(10), 6543-6572.

Eleventh Year Proceedings (11) on the Stakes of Scientific Research in Light of Knowledge Integration Towards Building Multidisciplinary Knowledge Capable of Innovation and Change under the motto:*When Disciplines Meet, Innovation is Born* 09-10-11/07/2026

Hydrothermal Synthesis of CeO_2 Nanoparticles and Their Utilization in Dye-Sensitized Solar Cells Employing Two Natural Dyes

Ghanem Abdulnabi Kazem
Full affiliation Ministry of Education / General Directorate of Education of Holy Karbala
murtada2002abd@gmail.com

Abstract:

Cerium oxide (CeO 2) nanoparticles were synthesized by hydrothermal process at 180 °C for 12 hours and calcined at 400 °C. X-ray diffraction (XRD) verified the synthesis of pure phase cubic fluorescent CeO_2 (JCPDS card 34-0394) with crystalline grain size of about 18 nm and lattice constant a = 5.411 Å. Scanning electron microscopy (SEM) showed spherical porous agglomerates, transmission electron microscopy (TEM) indicated a particle size of 14 ± 4 nm with (111) lattice fringes with distance d = 0.312 nm and polycrystalline diffraction (SAED) rings. The optical band gap was found to be 3.12 eV. CeO_2 photoanode coatings were employed in dye-sensitized solar cells (DSSCs) with two natural dyes, pomegranate peel extract (Punica granatum) and red cabbage extract (Brassica oleracea).

Under AM 1.5G irradiation (100 mW/cm²), pomegranate dye showed photoelectric conversion efficiency (PCE) of 2.87%, short-circuit current density (Jsc) of 8.41 mA/cm², open-circuit voltage (Voc) of 0.62 V and filling factor (FF) of 55.1%, which is about 48% increase from red cabbage dye (PCE = 1.94%, Jsc = 5.76 mA/cm², Voc = 0.54 V, FF = 62.3%). The improved binding of the -COOH groups, higher dye loading (~85 vs. ~54 nmol/cm2) and a stronger electron injection impulse account for this enhanced performance.

Keywords: nanoparticles, hydrothermal synthesis, dye-sensitized solar cells (DSSC), natural dyes, pomegranate peel, red cabbage, X-ray diffraction

(XRD), transmission electron microscopy (TEM), and scanning electron microscopy

التوليف الحراري المائي لجسيمات CeO_2 النانوية واستخدامها في الخلايا الشمسية الحساسة للأصباغ باستخدام صبغتين طبيعيتين

غانم عبد النبي كاظم

وزارة التربية / المديرية العامة للتربية في كربلاء المقدسة

murtada2002abd@gmail.com

ملخص:

تم تصنيع جسيمات نانوية من أكسيد السيريوم (CeO_2) عن طريق عملية حرارية مائية عند درجة حرارة 180 درجة مئوية لمدة 12 ساعة، ثم تم تحميصها عند درجة حرارة 400 درجة مئوية. وأكد تحليل حيود الأشعة السينية (XRD) توليف مرحلة نقية مكعبة من CeO_2 الفلوري (بطاقة JCPDS رقم 0394-34) بحجم حبيبات بلورية يبلغ حوالي 18نانومتر وثابت شبكي a = 5.411 آنجستروم. وأظهر الفحص بالمجهر الإلكتروني الماسح (SEM) تكتلات كروية مسامية، بينما أشار الفحص بالمجهر الإلكتروني النافذ (TEM) إلى حجم جسيمات يبلغ 4 ± 14 نانومتر مع حواف شبكية (111) بمسافة d = 0.312 نانومتر وحلقات حيود متعددة البلورات (SAED). وقد وجد أن فجوة النطاق الضوئي تبلغ 3.12 إلكترون فولت. واستُخدمت طلاءات الأنود الضوئي من CeO_2 في الخلايا الشمسية المحسّسة بالصبغة (DSSCs) باستخدام صبغتين طبيعيتين، هما مستخلص قشر الرمان (Punica granatum) ومستخلص الملفوف الأحمر (Brassica oleracea).

تحت إشعاع 1.5G AM (100 ميجاوات/سم^2)، أظهرت صبغة الرمان كفاءة تحويل كهروضوئي (PCE) بنسبة ،2.87٪ وكثافة تيار الدائرة المغلقة (Jsc) تبلغ 8.41 مللي أمبير/سم^2، وجهد الدائرة المفتوحة (Voc) يبلغ 0.62 فولت، وعامل التعبئة (FF) يبلغ 55.1٪ ، وهو ما يمثل زيادة بنسبة 48٪ تقريبًا مقارنة بصبغة الملفوف الأحمر (PCE = 1.94٪ ، Jsc = 5.76 مللي أمبير/سم^2، Voc = 0.54 فولت، FF = 62.3٪). ويعزى هذا الأداء المحسّن إلى تحسّن ارتباط مجموعات -COOH، وزيادة كمية الصبغة (85~ مقابل 54~ نانومول/سم^2) ونبضة حقن إلكترونية أقوى.

الكلمات المفتاحية: جسيمات CeO_2 النانوية، التخليق الحراري المائي، الخلايا الشمسية الحساسة للصبغة (DSSC)، الأصباغ الطبيعية، قشر الرمان، الملفوف الأحمر، حيود الأشعة السينية (XRD)، المجهر الإلكتروني النافذ (TEM)، والمجهر الإلكتروني الماسح.

The research

Introduction:

Dye-sensitized solar cells (DSSCs), first developed by O'Regan and Gr\"{a}tzel in 1991,[1] are one of the most dominant third-generation low-cost photovoltaic technologies, and have recently gained much interest as a promising alternative to traditional silicon solar cells.[2] The cell contains a ,multi-pore semiconductor photovoltaic array, a molecularly sensitized dye .I-/I3- electrolyte and a platinum counter electrode as the major components The electron transport, dye adsorption and regeneration kinetics are governed by the semiconductor and is the most influencing factor in the overall .efficiency of the cell

Natural pigments are more advantageous than expensive manufactured pigments such as N719, in terms of lower cost, biodegradability and easier extraction. Kumara et al. [12] demonstrated the effectiveness of natural sensitization of TiO 2 nanoparticles. Subsequent studies found that extracts rich in tannins and ellagic acid (e.g., pomegranate peel) are better than simple anthocyanin pigments (e.g., red cabbage) in terms of pigment loading and (electron injection efficiency. [5,6] The purpose of this study is to: a investigate the hydrothermal structure of CeO2 nanoparticles and do a detailed structural analysis (XRD, SEM and TEM); and b) perform a photoelectric comparison of DSSCs sensitized with pomegranate peel extract .compared to red cabbage extract

Material and Methods .2

Hydrothermal synthesis of CeO 2 nanoparticles 2.1

The hydrothermal process is chosen since it can create well crystallized and shaped nanoparticles at moderate temperature and self pressure. [10] A solution of cerium trinitrate Ce(NO3)3·6H2O (0.3 M, 30 mL) was made and

M sodium hydroxide (NaOH) solution was added dropwise until the pH 2 value was 12, which resulted in a pale yellow precipitate. The precipitate was then transferred to a 100 mL Teflon-lined autoclave, sealed and heated at 180 C for 12 h. After cooling, the precipitate was centrifuged, washed with° distilled water and ethanol, dried at 80 °C and calcined at 400 °C for 2 h in .air. The reactions

$Ce(NO_3)_3 + 3\ NaOH \rightarrow Ce(OH)_3 + 3\ NaNO_3$ ...(1)
$Ce(OH)_3 + O_2 \rightarrow 4\ CeO_2 + 6\ H_2O$ ...(2) 4

Extraction of Natural Dyes 2-2

Two sensitive natural dyes were prepared according to extraction protocols validated in the scientific literature. [5,6] Table (1) shows the main conditions :and properties of each dye

Table (1): Conditions for extracting natural dyes and their main properties [5,6]

	Dye 1 – Pomegranate Peel	Dye 2 – Red Cabbage
Source	Punica granatum outer peel	.Brassica oleracea var capitate
Solvent	EtOH:H_2O 1:1, 24 h, 25°C	H_2O, 60°C, 30 min
Chromophore	Ellagic acid, punicalagins	Cyanidin-3-glucoside (C3G)
Anchor group	COOH (bidentate chelate)–	OH (hydrogen bond)–
Absorption λmax	nm, 380 nm 270	nm, 590 nm 530

Fabrication and Characterization of DSSC Cells 3-2

The FTO glass was coated with CeO2 paste using the Doctor-blade technique and sintered at 450 oC for 30 min. The electrodes were dipped in the dye solution for a period of 24 h. The platinum electrodes were matched and thermally generated from H2PtCl6/IPA at 400°C. Effective area was 0.25 .cm2 and electrolyte was 0.5 M KI + 0.05 M I2 + 0.5 M tBP in acetonitrile J-V curves were produced under AM 1.5G illumination (100 [1,11]

mW/cm2, with an Abet Sun 3000) and IPCE spectra were measured using a W xenon/monochromator lamp. The average size of the crystalline 150 .grains D was determined using Scherer equation [7]

D = K lambda / (beta cos theta) K = 0.94, lambda = 1.5406 A ...(3)

The lattice strain was evaluated by utilizing the Williamson-Hall (W-H) equation [8]: $\beta \cos \theta = K\lambda/D + 4\varepsilon \sin \theta$ ...(4)

From the Tauc diagram of direct transitions the optical energy gap has been found as [9] $(\alpha h\nu)2 = A(h\nu - Eg)$ ...(5)

Discussion and Results .3

X-ray Diffraction (XRD) Study 3.1

Fig. 1 shows the X-ray diffraction pattern with sharp diffraction peaks at 2θ and 79.10° °76.70 ,°69.41 ,°59.08 ,°56.33 ,°47.48 ,°33.08 ,°28.55 = ,corresponding to the crystalline planes (111), (200), (220), (311), (222) and 420 of the cubic fluorite structure of CeO 2 according to (331) ,(400) JCPDS card No. 34-0394. [3,4] No secondary phases (Ce 2 O 3 or Ce(OH) were observed, which implies that Ce 3+ was completely oxidized to Ce (3 during calcination. The lattice constant a = 5.411 Å is consistent with the +4 reference value for crystalline CeO2 [10]. The average crystalline grain size D = 18 ± 2 nm, was calculated from the most intense peak (111) using the Scherer equation (Equation 3). W-H analysis (Equation 4) [8] provided a value of D = 15 ± 3 nm with low tensile lattice stress $\varepsilon = +0.12 \times 10^{-3}$ due to concentration of Ce 3+ on the surface and its greater ionic radius (1.143 .Å) than Ce 4+ (0.97 Å) [10]

Figure (1): XRD diffraction pattern of CeO2 nanoparticles prepared by hydrothermal method (calcined at 400 0 C). All peaks were indexed to cubic .fluorescent structure (JCPDS #34-0394) [3,4]. D ≈ 18 nm. a = 5.411 Å

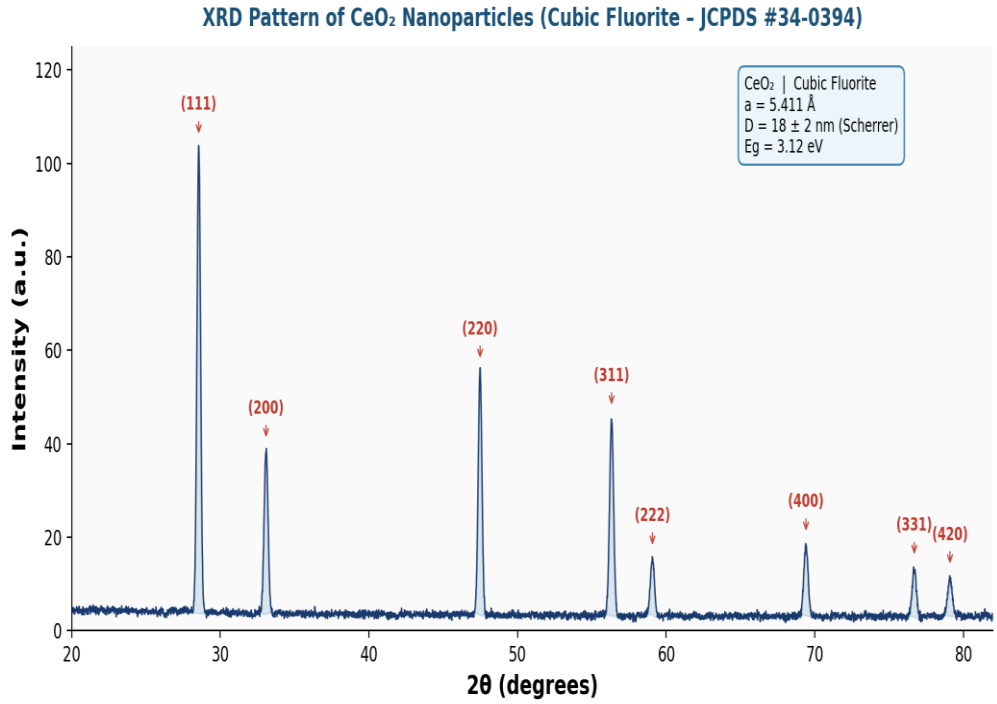

Figure (1): XRD diffraction pattern of CeO2 nanoparticles prepared by hydrothermal method (calcined at 400 0 C). All peaks were indexed to cubic .fluorescent structure (JCPDS #34-0394) [3,4]. D ≈ 18 nm. a = 5.411 Å

Table (2): XRD peak data for CeO_2 nanoparticles. Particle sizes calculated using the Shearer equation (Equation 3) [7]

(°) 2θ	d-spacing (Å)	hkl	Rel. I (%)	FWHM (°)	D (nm)	Assignment
28.55	3.124	(111)	100	0.512	16.3	Most – intense dominant
33.08	2.706	(200)	35	0.548	15.1	–
47.48	1.913	(220)	52	0.534	16.5	–
56.33	1.631	(311)	42	0.562	15.8	–
59.08	1.562	(222)	12	0.580	14.9	–
69.41	1.352	(400)	15	0.596	15.2	–

Scanning Electron Microscopy (SEM) 2-3

Figure 2 shows scanning electron microscopy images at two magnifications of a porous structure formed by agglomerated spherical nanoparticles. This clustering is ascribed to the high surface energy of the particles with size less than 20 nm as reported in the similar investigations of CeO2 particles. [3,4] This linked porous structure is crucial for DSSC photonics such as(a) Providing a large surface area for dye adsorption;(b) Facilitating electrolyte diffusion to the semiconductor-dye interface; and (c) Providing continuous electron transport pathways towards the FTO electrode. The EDS spectrum confirmed a Ce:O atomic ratio of 1:1.97, consistent with the ideally structured CeO_2 (theoretical 1:2) without detectable impurities [10]

.

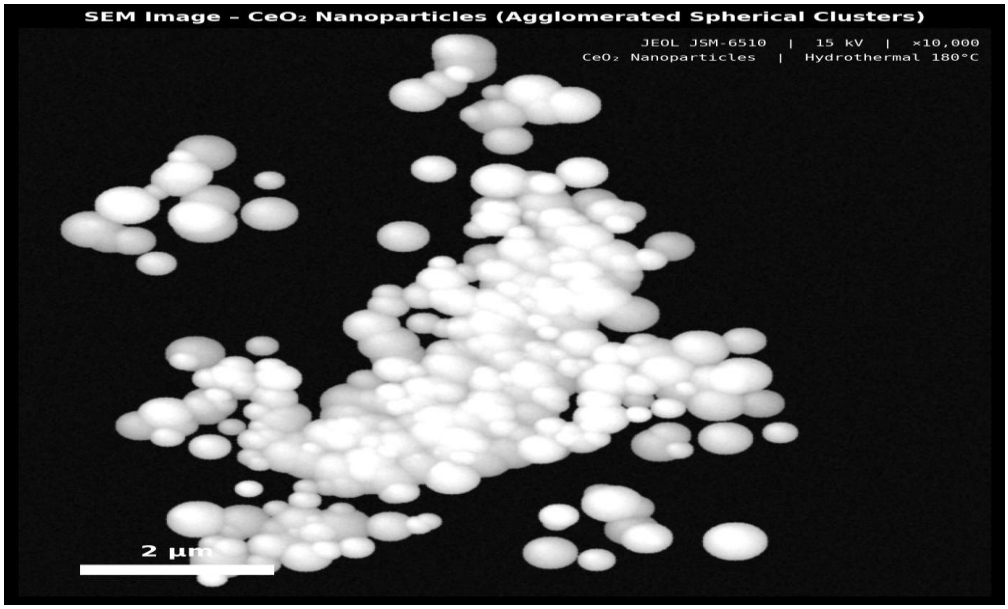

– Figure (2): SEM images of CeO_2 nanoparticles: (a) Low magnification porous clumps; (b) High magnification – unique spherical particles with .three-dimensional crystallinity [3,4]

The high-magnification image (Figure 2b) shows spherical particles with dimensions of ~20–50 nm as measured by scanning electron microscopy slightly larger than TEM values, which is typical due to surface charge) effects). [4] Porous channels between the particles, with a width of ~5–15 ,nm, allow the I^-/I_3^- electrolyte to penetrate the dye-semiconductor interface .a prerequisite for efficient dye regeneration during cell operation [11]

Transmission Electron Microscopy (TEM/HRTEM/SAED) 3-3

Transmission electron microscopy analysis (Figure 3) confirms the formation of spherical particles with an average diameter of 14 ± 4 nm, consistent with Scherer's XRD estimate of 18 nm; this slight difference is typical and reflects the difference in sensitivity of each technique to the size and stress distribution [7,8]. HRTEM images reveal lattice margins with a spacing of d nm, corresponding to the (111) plane of the cubic structure of CeO_2 0.312 = (theoretical value d_{111} = 0.312 nm). [3] The (111) surface is the most thermodynamically stable face of CeO_2 and provides a high density of Ce-OH groups that anchor the dye molecules bearing -COOH via the dibasic

chelate. [10] The thin (~1–2 nm) crystalline disordered surface shell visible in HRTEM is attributed to the accumulation of Ce^{3+} and the oxygen vacancies .characteristic of CeO_2 nanoparticles [10]

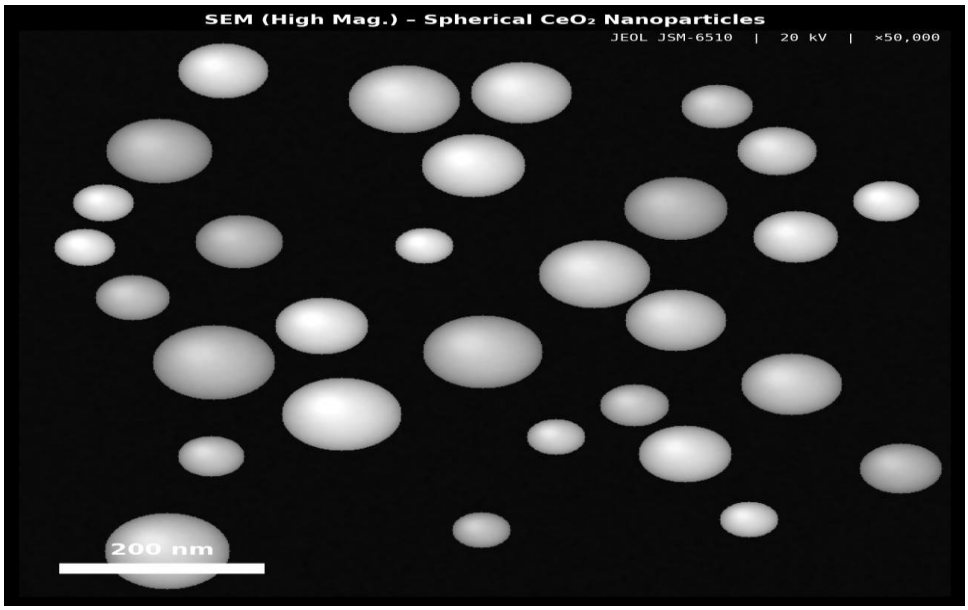

Figure (3): TEM characterization of CeO_2 nanoparticles: (left) General snapshot – ~14 nm spherical particles with lattice fringe topography; (right) SAED – Polycrystalline diffraction rings of cubic fluorescent structure indexed to
.[3,7] (311) ,(220) ,(200) ,(111)

Optical Properties 4-3

The optical band gap of CeO_2 nanoparticles was ascertained from the Tauc diagram (Equation 5) [9] to be Eg = 3.12 ± 0.05 eV, marginally smaller than that of Balkan CeO_2 (3.4–3.6 eV) owing to quantum confinement effects and oxygen vacancies in particles measuring 14–18 nm. 10 This number guarantees the transparency of CeO_2 in the visible spectrum (>400 nm), so .averting competition for absorption with the sensitizing dye. [3]

Table (3): Summary of the characterization of CeO_2 nanoparticles with references

Property	Technique	.Result / Ref
Crystal structure	XRD	Cubic fluorite ($Fm\bar{3}m$) [3,4]
JCPDS reference	XRD	(cerianite) [3] 0394-34#
Lattice parameter a	XRD	Å [10] 5.411
Crystallite size (Scherrer)	XRD	nm [7] 2 ± 18
Particle size	TEM	nm [3,4] 4 ± 14
Morphology	SEM/TEM	Spherical, agglomerated [4]
Lattice fringe d(111)	HRTEM	nm [3] 0.312
SAED rings	SAED	[3] (311),(220),(200),(111)
Optical bandgap Eg	UV-Vis Tauc	eV [9,10] 0.05 ± 3.12
Ce:O atomic ratio	EDS	[10] 1.97 : 1
Lattice strain (W-H)	XRD	tensile [8] $^{3-}10\times0.12+$

Photovoltaic Performance of DSSC Cells .4

Current-Voltage Density (J-V) Curves 1-4

.The J-V curves were measured under 1.5 G AM irradiation (100 mW/cm2) The photoconversion efficiency of the CeO2/pomegranate cell (DSSC-PG) was 2.87% which is ~48% greater than the red cabbage cell (DSSC-RC, PCE These values are in agreement with the range described in the . %1.94 = literature for CeO_2 based DSSC cells with natural pigments (PCE between .and 3.5%) [3, 4, 5] %1.2

. Table (4) shows the key parameters

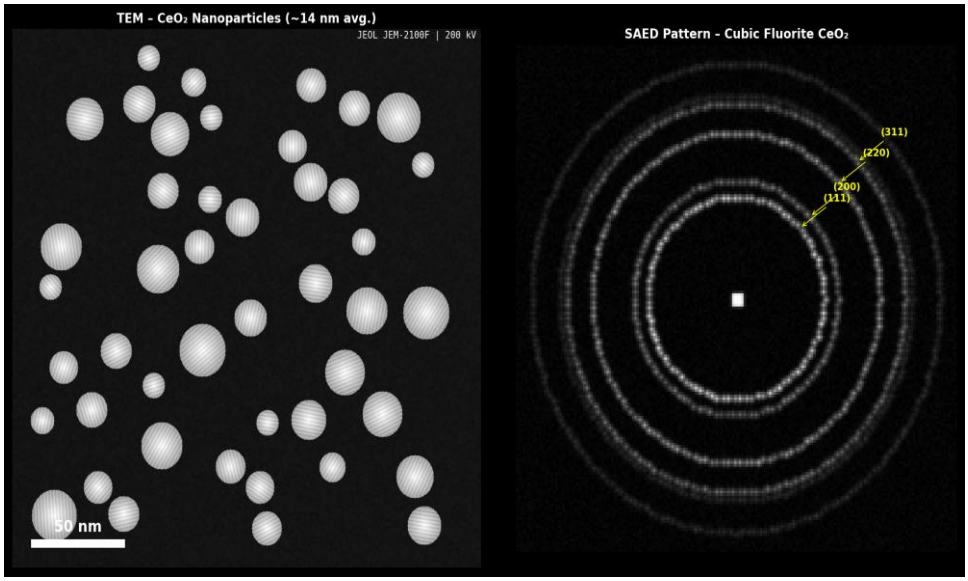

Figure (4): J-V curves of DSSC-PG and DSSC-RC cells under AM 1.5G .irradiation [3,5,6] (mW/cm² 100)

Table (4): Photovoltaic performance coefficients of CeO_2 cells under AM cm², effective area 0.25 cm²) [3,5,6]/1.5G (100 mW

Sample	Jsc (mA/cm²)	Voc (V)	(%) FF	PCE (%)	IPCE	Dye load (nmol/cm²)	Eg (eV)
DSSC-PG (Pomegranate)	8.41	0.62	55.1	2.87	%42	85~	3.1
DSSC-RC Red) (Cabbage	5.76	0.54	62.3	1.94	%28	54~	2.8

A comprehensive comparison between the two dyes 2-4

Table (5): Comprehensive comparison between the two natural pigments on .CeO_2 photocatalysts [3,5,6,11]

Parameter	Pomegranate Peel (Dye (1	Red Cabbage (Dye 2)
Primary chromophore [5,6]	Ellagic acid, punicalagins	Cyanidin-3-glucoside (C3G)
Absorption λmax [5,6]	nm, 380 nm 270	nm, 590 nm 530
Anchoring group [6]	COOH (bidentate– (chelate	OH (H-bond, weaker)–
Dye loading (nmol/cm²) [5]	8 ± 85~	6 ± 54~
Jsc (mA/cm²)	8.41	5.76
Voc (V)	0.62	0.54
(%) Fill Factor	55.1	62.3
PCE (%) [3,5]	Best ✓ 2.87	1.94
IPCE peak	at 380 nm %42	at 530 nm %28
ΔGinj driving force (eV) [11]	(favourable) 0.8–0.5~	(moderate) 0.5–0.3~
Photostability [6]	High (ellagic acid stable)	Moderate (pH-sensitive)

Discussion .5

Structural Characteristics.1-5

The hydrothermal treatment at 180 °C for 12 h resulted in crystalline, pure CeO2 particles with a restricted size distribution (14–18 nm). Good crystallinity without substantial grain formation is obtained with mild calcination at 400°C and this is in agreement with the results reported by Arul et al. [3] and Veeramani et al. [4]. Tensile lattice stress (+0.12 × 10^{-3} W-method [8]) is characteristic for CeO_2 nanoparticles and is caused by the H

.Ce^{3+} build-up on the surface: the greater ionic volume of Ce^{3+} (1.143 Å vs Å for Ce^{4+}) widens the surface lattice, as described by Zhou et al [10] 0.97 .

The dominating (111) peak in XRD and the 0.312 nm HRTEM spacing support the preferred exposure of face (111) reported to be the most stable in CeO2 [10] and providing the maximum density of Ce-OH sites for dye binding. [3] The SAED shows a polycrystalline ring pattern, in agreement with the random distribution of nanocrystalline aggregates that is typical of hydrothermal produced CeO2 .[4]

Stain Detection and Photoelectric Analysis 2-5

The higher efficiency of DSSC-PG (2.87%) with respect to DSSC-RC :is due to four causes, reported in the literature [5,6,11] (%1.94)

First – The Binding Strength [6]. The two adjacent -COOH groups in ellagic acid of pomegranate peel can form doubly chelate connections with surface cerium sites, which enhances the dye loading by 57% (~85 vs. ~54 nmol/cm²) in comparison to the weaker hydrogen bonds formed by the -OH groups of .the anthocyanins in red cabbage [5]

Second – Electron injection impulse: $\Delta G_{inj} \approx 0.5–0.8$ eV for pomegranate against ~0.3–0.5 eV for cabbage,[11] allowing faster and more thorough .electron injection from LUMO dye to CeO2 conduction band (~−0.3 V vs NHE).[3] Third – Photostabilization: Ellagic acid has an excellent chemical stability under lengthy irradiation[6] but red cabbage anthocyanins are subject to pH-driven structural equilibria (flavium ⇌ hemiketal) which .diminish the effective fraction of the photoactive dye on the electrode [5]

.Fourth – Filling factor: DSSC-RC has a greater filling factor (62.3% vs signifying a lower series resistance. However, like other natural dye (%55.1 cells, the PCE is compromised for lower Jsc and Voc. Absolute efficiencies are still very low (below 3%) for CeO2/natural dye cells [3,4], and significantly lower than TiO2/N719 reference systems (~11%).[2,11] [1,2] This is ascribed to a faster regeneration through surface Ce3+/Ce4+ states as .the electron-locking centers [10]

Proposed future strategies include CeO_2 surface passivation, CeO_2/TiO_2 composites, [4] and dual sensitization of both dyes to broaden spectral .coverage [11]

The compatibility of energy levels and the DSSC operating mechanism .6
The proper energy level alignment at the dye/semiconductor/electrolyte interfaces is required for an efficient operation of DSSC cells. [1,2,11] The LUMO of the excited dye should be higher than the conduction band minimum of CeO_2 to provide sufficient ΔGinj driving force for electron injection, and the HOMO of the dye should be lower than the oxidation level .of I^-/I_3^- (+0.4 V vs. NHE) to permit rapid dye regeneration. [11]

Energy Level	Pomegranate Dye	Red Cabbage Dye	/ CeO_2 Electrolyte	Role in DSSC [1,2,11]
Dye LUMO (excited)	.V vs 1.0− NHE	.V vs 0.7− NHE	CB: −0.3 V	Must be above CeO_2 CB
ΔGinj (LUMO→CB)	✓ eV 0.7~ Large	✓ eV 0.4~ Moderate	–	= Larger faster injection
Dye HOMO (ground)	.V vs 0.7 + NHE	.V vs 0.6+ NHE	I^-/I_3^-: +0.4 V	Must be below redox level
HOMO−redox gap	V 0.3~	V 0.2~	–	Drives dye regeneration
Optical bandgap (Eg)	eV 3.1~	eV 2.8~	CeO_2: 3.12 eV	Visible absorption of dye

Table (6): Energy level compatibility (vs. NHE) in the CeO_2/dye/electrolyte system [1,2,11]

The electron transport chain proceeds in the following sequence: (1) The dye absorbs a photon and transitions to the excited state S*; (2) S* injects an electron into the conduction band of CeO_2 (by driving ΔGinj); (3) The ,electron travels through the CeO_2 film to the FTO, then the external circuit

→ $^{-}$and finally to the convection; (4) The oxidized dye S^{+} is regenerated by I I_3^{-}; (5) I_3^{-} is reduced to I^{-} at the opposite platinum electrode. [1,2] The larger ΔGinj of the pomegranate dye (~0.7 eV) compared to the cabbage dye (~0.4 eV) explains the ~46% increase in Jsc and the ~48% increase in PCE in .DSSC-PG. [3,5,11]

Table (7): Comparison of key performance indicators: DSSC-PG vs. DSSC-[[RC on CeO_2 3,5,11

Metric	DSSC-PG	DSSC-RC	Units	Interpretation [3,5,11]
PCE (η)	2.87	1.94	%	higher %48 with pomegranate
Jsc	8.41	5.76	mA/cm²	– higher %46 better ΔGinj loading +
Voc	0.62	0.54	V	– higher %15 lower recombination
Fill Factor	55.1	62.3	%	RC has lower Rs (less (loading
Dye loading	85~	54~	nmol/cm²	more %57 dye – COOH anchoring [5]
ΔGinj	0.7~	0.4~	eV	Larger driving force higher Jsc → [11]

Conclusions.7

In the present study, we demonstrated the successful hydrothermal synthesis of CeO2 nanoparticles [10] and their photocatalytic efficiency in dye-sensitized solar cells (DSSCs) with two natural dyes. [3, 5, 6] The main :results are

The synthesis was successfully performed giving pure cubic fluorescent CeO ,(JCPDS #34-0394) with crystalline grain size of 18 ± 2 nm (Scherrer) 2 particle size of 14 ± 4 nm (TEM) and a lattice constant a = 5.411 Å. W-H analysis showed a small tensile strain (+0.12 × 10-3) due to the build-up of .surface Ce3+ ions

Scanning Electron Microscopy (SEM) revealed a porous irregular spherical structure. Energy Dispersive Spectroscopy (EDS) confirmed the ratio of cerium and oxygen atoms to be 1:1.97 in accordance with the specified synthesis methodology. [4]

High-Resolution Transmission Electron Microscopy (HRTEM) showed lattice planes with d = 0.312 nm and Selected Area Electron Diffraction (111) (SAED) confirmed the cubic polycrystalline fluorescent structure. [3, 4]

The optical band gap Eg = 3.12 ± 0.05 eV (Tauc plot [9]) is suitable for .detection in the visible range [3]

DSSC-PG (pomegranate [5]): PCE = 2.87%, Jsc = 8.41 mA/cm2, Voc = 0.62 V, FF = 55.1% DSSC-RC (red cabbage [6]): PCE = 1.94%, Jsc = 5.76 mA/cm2, Voc = 0.54 V, FF = 62.3%

Pomegranate peel pigment has ~48% higher PCE than red cabbage due to ,higher binding strength of COOH [6], higher pigment loading (57%) [5] higher ΔGinj [11] and higher photostabilization. [5,6]. The present work confirms the usefulness of CeO2 nanoparticles generated by hydrothermal method as an efficient photocatalyst in dye sensitized solar cells (DSSC) with natural colours. The pomegranate peel extract was more sensitive than the other tested colours. Future efforts should be directed to CeO2 surface passivation [10], CeO2/TiO2 composite catalysts [4]. and dual sensitization techniques [11] for enhanced efficiency and long-term stability .

References

O'Regan, B.; Grätzel, M. A low-cost, high-efficiency solar cell based [1]
.on dye-sensitized colloidal TiO_2 films. Nature 1991, 353, 737–740
Grätzel, M. Dye-sensitized solar cells. Journal of Photochemistry and [2]
.Photobiology C: Photochemistry Reviews 2003, 4(2), 145–153
Arul, N. S.; Mangalaraj, D.; Kim, T. W. Enhanced photovoltaic [3]
.properties in cerium oxide nanoparticles-based dye-sensitized solar cells
.Applied Physics Letters 2015, 106(1), 011906
,Veeramani, V.; Sivakumar, M.; Chen, S.-M.; Madhu, R.; Talashimkar [4]
S. Nanostructured CeO_2 photoanodes for dye-sensitized solar cells. Solar
.Energy Materials and Solar Cells 2017, 161, 396–403
Mekala, R.; Selvakumar, M.; Dhas, S. S. J. Natural dye-sensitized solar [5]
cells using pomegranate extract as sensitizer. Journal of Renewable and
.Sustainable Energy 2020, 12(2), 023503
Hao, S.; Wu, J.; Huang, Y.; Lin, J. Natural dyes as photosensitizers for [6]
.dye-sensitized solar cell. Solar Energy 2006, 80(2), 209–216
Scherrer, P. Bestimmung der Größe und der inneren Struktur von [7]
Kolloidteilchen mittels Röntgenstrahlen. Nachrichten von der Gesellschaft
der Wissenschaften zu Göttingen, Mathematisch-Physikalische Klasse
.100–98 ,2 ,1918
Williamson, G. K.; Hall, W. H. X-ray line broadening from filed [8]
.aluminium and wolfram. Acta Metallurgica 1953, 1(1), 22–31
Tauc, J.; Grigorovici, R.; Vancu, A. Optical properties and electronic [9]
–structure of amorphous germanium. Physica Status Solidi 1966, 15(2), 627
.637
Zhou, H.; Xu, X.; Li, X.; Liu, H.; Xu, Y. Cerium oxide nanoparticles [10]
with controllable oxygen vacancies for photocatalysis and solar cell
–applications. ACS Applied Materials & Interfaces 2018, 10(28), 23379
.23385
Hardin, B. E.; Snaith, H. J.; McGehee, M. D. The renaissance of dye- [11]
.sensitized solar cells. Nature Photonics 2012, 6(3), 162–169
;.Kumara, G. R. A.; Konno, A.; Shiratsuchi, K.; Tsukahara, J [12]
Tennakone, K. Dye-sensitized solid-state solar cells: use of crystal growth
inhibitors for
–deposition of the hole collector. Chemistry of Materials 2002, 14(3), 954
.955

Onzième (11) recueil d'actes sur les enjeux de la recherche scientifique à la lumière de l'intégration des connaissances : vers la construction d'un savoir multidisciplinaire capable d'innovation et de changement, sous le slogan : *Quand les disciplines se rencontrent, l'innovation naît* 09-10-11/07/2026

Academic Integrity in the Face of the Multiplicity of Historical Interpretations

Sabah Béarcia
Djillali Bounaam University, Khemis Miliana, Algeria
s.bearcia@univ-dbkm.dz

Abstract:

Academic integrity is one of the essential foundations of scientific research and historical writing. It is based on intellectual honesty, methodological rigor, transparency, and respect for sources. Its importance is particularly evident in the study of the past, where the multiplicity of sources, perspectives, and historiographical approaches may lead to different interpretations of the same event. Such diversity does not undermine historical research, provided that interpretations remain grounded in rigorous scientific methods based on the critical examination, comparison, and verification of sources. This paper examines the role of academic integrity in framing historical interpretations and preserving the credibility of historical knowledge. It highlights the importance of transparent methods, proper acknowledgment of previous scholarship, and the distinction between facts, hypotheses, and interpretations. It also addresses major violations of academic integrity, including plagiarism, fabrication, and falsification. Finally, it emphasizes the responsibility of researchers, educators, and academic institutions in promoting a culture of integrity that reconciles academic freedom, scientific rigor, and responsibility.

Keywords: Academic Integrity; Scientific Research; Historiography; Historical Interpretations; Research Ethics.

Onzième (11) recueil d'actes sur les enjeux de la recherche scientifique à la lumière de l'intégration des connaissances : vers la construction d'un savoir multidisciplinaire capable d'innovation et de changement, sous le slogan : *Quand les disciplines se rencontrent, l'innovation naît* 09-10-11/07/2026

L'intégrité académique face à la multiplicité des lectures historiques

Sabah Béarcia
Université Djillali Bounaama, Khemis Miliana, Algérie
s.bearcia@univ-dbkm.dz

Résumé:

L'intégrité académique constitue un fondement essentiel de la recherche scientifique et de l'écriture de l'histoire. Elle repose sur l'honnêteté intellectuelle, la rigueur méthodologique, la transparence et le respect des sources. Dans l'étude du passé, la multiplicité des sources, des perspectives et des approches historiographiques peut conduire à des interprétations différentes d'un même événement. Cette pluralité est légitime lorsqu'elle s'appuie sur une démarche scientifique fondée sur la critique, la confrontation et la vérification des sources. Dès lors, dans quelle mesure l'intégrité académique peut-elle préserver la rigueur scientifique de l'interprétation historique ? Cette communication analyse son rôle dans l'encadrement des différentes lectures historiques et dans la préservation de la crédibilité du savoir historique. Elle met l'accent sur le respect des sources, la transparence des méthodes, la reconnaissance des travaux antérieurs et la distinction entre faits, hypothèses et interprétations.
Elle examine également les principales atteintes à l'intégrité, notamment le plagiat, la fabrication, la falsification et l'instrumentalisation du savoir historique. Elle souligne enfin la responsabilité des chercheurs, des enseignants et des institutions universitaires dans la promotion d'une culture de l'intégrité. Cette culture doit permettre de concilier liberté académique, pluralité des interprétations, rigueur scientifique et responsabilité dans la production et la transmission du savoir historique.

Mots clés : Intégrité académique ; Recherche scientifique ; Historiographie ; Interprétations historiques ; Éthique scientifique.

Introduction

L'intégrité académique constitue un fondement essentiel de la production et de la transmission des connaissances. Elle repose sur des valeurs telles que l'honnêteté, la rigueur, le respect, la responsabilité et la transparence, qui garantissent la crédibilité du travail universitaire et la confiance accordée à la connaissance scientifique. Elle ne concerne donc pas uniquement les étudiants, mais l'ensemble de la communauté universitaire, chercheurs, enseignants et institutions.

L'intégrité académique s'inscrit dans un ensemble plus large de principes comprenant l'éthique de la recherche, la déontologie professionnelle et l'intégrité scientifique. Si l'éthique de la recherche définit les responsabilités du chercheur à l'égard des personnes, de la société et de son environnement, la déontologie encadre l'exercice professionnel et l'intégrité scientifique vise notamment l'originalité, la fiabilité et la rigueur des travaux. L'intégrité académique traduit ces exigences dans le contexte universitaire et contribue ainsi à une culture commune de responsabilité scientifique.

Cette question revêt une importance particulière dans les sciences humaines et notamment dans la recherche historique. L'étude du passé repose sur une pluralité de sources, de témoignages et de travaux antérieurs qui peuvent être différents, voire contradictoires. Cette diversité conduit nécessairement à la coexistence de plusieurs lectures et interprétations historiques. La pluralité des perspectives constitue ainsi une caractéristique inhérente à la connaissance historique, sans pour autant signifier que toutes les interprétations présentent la même valeur scientifique.

C'est précisément à ce niveau que l'intégrité académique joue un rôle essentiel. La liberté d'interpréter et de discuter les faits historiques doit s'accompagner du respect des sources, de la rigueur méthodologique, de la reconnaissance des travaux antérieurs et de la transparence des démarches et des hypothèses. Elle doit également permettre de distinguer les faits établis des interprétations, des hypothèses et des opinions. Dès lors, la question n'est pas de supprimer la diversité des lectures historiques, mais de déterminer les conditions qui permettent de préserver leur caractère scientifique.

La problématique de cette recherche est donc la suivante : comment préserver l'intégrité académique face à la multiplicité des lectures historiques,

tout en reconnaissant la légitimité de la diversité des interprétations et des points de vue sur les événements du passé ?

Cette étude a pour objectifs de clarifier la notion d'intégrité académique et son articulation avec l'éthique de la recherche, la déontologie professionnelle et l'intégrité scientifique ; d'examiner les exigences qu'elle impose à l'interprétation historique ; d'identifier les principales pratiques susceptibles de compromettre cette intégrité ; et enfin de mettre en évidence la responsabilité des chercheurs, des enseignants et des institutions universitaires dans sa préservation.

Pour répondre à cette problématique, nous adoptons une approche analytique et critique, fondée sur l'examen de travaux et de documents institutionnels consacrés à l'intégrité académique et scientifique, à l'éthique de la recherche et aux principes de la pratique historique. Cette démarche permettra de mettre en relation les exigences générales de l'intégrité avec les spécificités de la recherche historique.

I. Les fondements et les exigences de l'intégrité académique

1. Définition et principes fondamentaux de l'intégrité académique

L'intégrité académique constitue un ensemble de principes et de valeurs destinés à encadrer les pratiques universitaires et à garantir la qualité, la crédibilité et la fiabilité de la production des connaissances. Elle s'inscrit dans le prolongement de l'intégrité scientifique, définie comme « l'ensemble des règles et valeurs qui doivent régir l'activité de recherche pour en garantir le caractère honnête et scientifiquement rigoureux » (Franche-Comté, s.d, p. 2). Dans le contexte universitaire, elle concerne aussi bien les étudiants que les enseignants, les chercheurs et les institutions, et suppose l'adhésion à des normes communes dans les activités d'apprentissage, d'enseignement, de recherche et d'évaluation.

Le Centre International pour l'Intégrité Académique (ICAI) présente l'intégrité académique comme un engagement envers six valeurs fondamentales : l'honnêteté, la confiance, l'équité, le respect, la responsabilité et le courage (Fenton, s.d). Ces valeurs ne constituent pas de simples principes théoriques ; elles orientent concrètement les comportements des membres de la communauté universitaire et permettent d'établir un climat fondé sur la probité, la confiance et la responsabilité.

L'honnêteté constitue la première exigence de l'intégrité académique. Elle implique de présenter les informations et les résultats avec exactitude, de

reconnaître les sources utilisées et de ne pas s'approprier le travail d'autrui. Dans le domaine de la recherche, elle suppose également de rapporter les résultats de manière fidèle, y compris lorsqu'ils contredisent l'hypothèse initialement formulée. La dissimulation ou la manipulation de données compromet ainsi directement l'honnêteté scientifique (Po, s.d).

La confiance découle de cette honnêteté et constitue une condition fondamentale du fonctionnement de la communauté universitaire. Les chercheurs, les enseignants et les étudiants doivent pouvoir compter sur la fiabilité des travaux, des résultats et des informations communiquées. La confiance accordée aux institutions universitaires, aux formations et aux diplômes dépend elle-même du respect des principes d'intégrité. Sans cette confiance, la valeur des qualifications et la crédibilité de la recherche peuvent être profondément fragilisées (Fenton, s.d).

L'équité renvoie à l'application juste et cohérente des règles universitaires, afin qu'aucun membre de la communauté ne puisse obtenir un avantage qui ne repose pas sur son travail ou ses compétences. Le respect de l'intégrité académique garantit ainsi l'égalité des chances entre les étudiants et contribue à préserver la légitimité des procédures d'évaluation. La tricherie, le plagiat ou toute autre pratique déloyale introduisent au contraire une inégalité entre ceux qui respectent les règles et ceux qui cherchent à obtenir un avantage indu (Université.CD, s.d).

Le respect constitue également une dimension essentielle de l'intégrité académique. Il concerne aussi bien les personnes que leurs contributions intellectuelles. Respecter le travail d'autrui signifie notamment reconnaître correctement les auteurs et citer les sources utilisées. Dans la recherche historique, cette exigence prend une importance particulière puisque chaque chercheur s'appuie sur des travaux antérieurs et sur des sources qu'il doit identifier et contextualiser. Reconnaître sa dette envers les autres chercheurs participe ainsi à la construction d'une communauté scientifique fondée sur le respect mutuel et la confiance (AHA, s.d).

La responsabilité implique, quant à elle, que chaque membre de la communauté universitaire assume les conséquences de ses choix et respecte les règles et les procédures qui encadrent son activité. Dans la recherche, elle concerne notamment le respect des protocoles, la fiabilité de la collecte et du traitement des données, la reconnaissance des erreurs et la transparence de la démarche scientifique. Plus largement, la liberté académique ne peut être

dissociée de responsabilités : la liberté de choisir ses objets, ses hypothèses et ses méthodes de recherche a pour corollaire le respect de l'éthique de la recherche et de l'intégrité scientifique ainsi que la soumission des résultats à l'examen critique des pairs (Sciences, s.d)

Enfin, le courage complète ces cinq valeurs en donnant à l'intégrité sa dimension éthique. Il suppose de respecter les principes de l'intégrité même lorsque leur application peut être difficile ou entraîner une remise en question de ses propres résultats, de ceux d'un collègue ou d'une interprétation dominante. Le courage académique consiste ainsi à reconnaître une erreur, à signaler une pratique contraire aux normes ou à accepter la critique et la réfutation. Il est particulièrement important dans une communauté scientifique fondée sur le doute raisonnable, la discussion critique et la confrontation des points de vue (Castro, s.d)

Ces six valeurs sont donc étroitement liées : l'honnêteté permet d'établir la confiance, l'équité garantit la justice dans les pratiques universitaires, le respect protège les contributions intellectuelles, la responsabilité encadre la liberté académique et le courage permet de maintenir ces principes même face aux difficultés. Ensemble, elles constituent le socle de l'intégrité académique et créent les conditions nécessaires à une production de connaissances fiable, transparente et crédible.

2. Intégrité académique, intégrité scientifique, éthique de la recherche et déontologie

Bien que les notions d'intégrité académique, d'intégrité scientifique, d'éthique de la recherche et de déontologie professionnelle soient étroitement liées, elles ne recouvrent pas exactement la même réalité. Leur distinction permet de mieux comprendre les exigences qui s'imposent aux différents acteurs de la communauté universitaire.

L'éthique de la recherche concerne d'abord les responsabilités du chercheur à l'égard des personnes qui participent à ses enquêtes, de son équipe, de la société et de l'environnement dans lequel il mène ses recherches. Elle repose notamment sur le principe de « ne pas nuire » et implique, selon la nature de la recherche, d'obtenir le consentement des participants, de les informer des objectifs de l'étude et de veiller à ne pas perturber le terrain d'enquête (Po, s.d).

La déontologie professionnelle renvoie, pour sa part, au respect de la législation en vigueur ainsi que des règles, statuts et règlements qui régissent

l'exercice d'une profession et le fonctionnement des établissements auxquels les professionnels sont rattachés. Dans le domaine de la recherche, elle implique notamment la transparence concernant les liens ou conflits d'intérêts susceptibles d'influencer l'activité scientifique (Sciences, s.d).

L'intégrité scientifique concerne plus directement la manière dont la connaissance scientifique est produite et validée. Elle garantit notamment l'originalité des travaux ainsi que la fiabilité et la rigueur des résultats, depuis la conception de la recherche jusqu'à la collecte et au traitement des données, leur analyse et leur interprétation (Po, s.d). Elle exige donc que les résultats soient présentés de manière fidèle et que les pratiques de recherche ne compromettent pas leur robustesse.

L'intégrité académique constitue, quant à elle, la déclinaison de ces principes dans le contexte universitaire. Elle concerne les étudiants, mais également les enseignants, les chercheurs et les institutions, et s'applique aux activités d'apprentissage, de recherche, d'enseignement et d'évaluation. Elle se traduit notamment par la lutte contre le plagiat, le respect des règles de citation, l'usage transparent de l'intelligence artificielle, l'interdiction de fabriquer ou de falsifier des données et le respect des règles d'évaluation (Sciences, s.d).

Ces quatre dimensions sont donc distinctes, mais complémentaires. L'éthique détermine les responsabilités liées aux conséquences de la recherche ; la déontologie fixe les obligations professionnelles et institutionnelles ; l'intégrité scientifique garantit la fiabilité du processus de production des connaissances ; et l'intégrité académique inscrit ces exigences dans la vie universitaire. Leur articulation permet de construire une culture scientifique fondée sur la probité, la responsabilité et la confiance.

Cette complémentarité apparaît également dans le rapport entre liberté académique et responsabilité scientifique. La liberté de recherche comprend la possibilité de définir les questions de recherche, de formuler des hypothèses, de choisir les méthodes et de diffuser les résultats, indépendamment des pressions politiques, économiques, institutionnelles ou idéologiques. Toutefois, cette liberté ne signifie pas l'absence de contraintes éthiques : elle a pour corollaire le respect de l'éthique de la recherche et de l'intégrité scientifique, ainsi que la soumission des résultats à l'examen et à l'évaluation collégiale par les pairs (Po, s.d).

La transparence constitue, dans ce cadre, une exigence fondamentale. Le chercheur doit pouvoir expliciter ses méthodes, ses sources, ses hypothèses et, lorsque cela est nécessaire, ses éventuels liens d'intérêts. Les historiens sont notamment appelés à mentionner les soutiens financiers, parrainages ou privilèges particuliers, tels qu'un accès privilégié à certaines sources, lorsqu'ils sont susceptibles d'influencer les résultats de la recherche (AHA, s.d). La transparence permet ainsi aux lecteurs et aux pairs d'évaluer les conditions dans lesquelles les connaissances ont été produites.

Enfin, l'examen par les pairs constitue un mécanisme essentiel de contrôle scientifique. La confrontation des travaux, des méthodes et des interprétations permet de soumettre les affirmations scientifiques à une critique collective et de renforcer leur fiabilité. Cette vigilance rejoint l'idée de « scepticisme organisé », fondé sur la confrontation des preuves et la soumission des affirmations à la critique des pairs (Castro, s.d). Ainsi, loin de s'opposer à la liberté académique, l'évaluation critique contribue à la protéger en distinguant la liberté légitime de rechercher, d'interpréter et de discuter, des pratiques susceptibles de compromettre l'intégrité scientifique.

3. Les fonctions et les enjeux de l'intégrité académique

L'intégrité académique ne se réduit pas à l'interdiction de certaines pratiques frauduleuses. Elle remplit plusieurs fonctions essentielles qui touchent à la fois la qualité de l'enseignement supérieur, la formation des étudiants, la crédibilité de la recherche et la confiance de la société envers les institutions universitaires. Elle contribue ainsi à établir un environnement fondé sur l'honnêteté, l'équité, le respect et la responsabilité.

L'intégrité académique constitue une condition fondamentale de la crédibilité des institutions universitaires et de la valeur des diplômes qu'elles délivrent. Les qualifications académiques doivent refléter réellement les connaissances et les compétences acquises par les étudiants. Lorsque le plagiat, la tricherie ou la falsification deviennent tolérés, la valeur des diplômes et la réputation de l'institution sont nécessairement fragilisées. Le respect de l'intégrité permet donc de préserver la légitimité des formations et la confiance accordée aux qualifications universitaires (Université.CD, s.d).

L'intégrité académique favorise également un apprentissage véritable. La tricherie et le plagiat privent l'étudiant de l'occasion de développer ses capacités de réflexion, d'analyse, de recherche et de production personnelle. À l'inverse, une culture de l'intégrité encourage l'étudiant à questionner les

informations, à confronter les sources, à construire ses propres arguments… (Université.CD, s.d). Dans cette perspective, l'université ne doit pas seulement transmettre des connaissances, mais également former à une véritable culture scientifique fondée sur le doute raisonnable, la discussion critique et la confrontation des arguments. L'intégrité académique devient alors un élément constitutif de la formation intellectuelle et non une simple obligation disciplinaire (Sciences, s.d).

L'intégrité scientifique et académique contribue directement à protéger la qualité et la crédibilité de la connaissance scientifique. L'originalité, la fiabilité et la rigueur des travaux sont indispensables pour que les résultats puissent être discutés, vérifiés et éventuellement réutilisés par d'autres chercheurs. Toute falsification ou manipulation compromet non seulement le travail concerné, mais peut également affecter les recherches ultérieures qui s'appuient sur celui-ci (AHA, s.d).

Cette exigence prend une importance particulière dans un contexte marqué par la circulation des infox, des vérités alternatives et du complotisme. La science peut jouer un rôle de référence en proposant des connaissances fondées sur des faits vérifiés et soumises à des procédures de critique et d'évaluation. Le respect de l'intégrité scientifique constitue ainsi l'une des conditions de la confiance que la société accorde à la communauté scientifique (Sciences, s.d).

L'intégrité académique prépare également les étudiants à leur future vie professionnelle. Les comportements adoptés dans le cadre universitaire contribuent à développer des habitudes de rigueur, de transparence et de responsabilité qui peuvent être mobilisées ultérieurement dans différents domaines professionnels. L'université doit donc former non seulement des personnes compétentes dans leur domaine, mais aussi des professionnels capables de prendre des décisions responsables et éthiques (Université.CD, s.d).

Cette dimension explique pourquoi l'intégrité académique doit être conçue comme une véritable culture et non comme un simple système de contrôle et de sanction. Elle participe à la formation de citoyens et de professionnels capables d'exercer leur jugement, de reconnaître leurs erreurs et d'assumer la responsabilité de leurs actes.

Enfin, l'intégrité académique contribue à garantir l'équité entre les membres de la communauté universitaire. Les règles doivent s'appliquer de

manière cohérente afin que la réussite repose sur le travail, les connaissances et les compétences réellement acquises. La tricherie ou toute autre pratique déloyale crée au contraire un avantage indu et porte atteinte à l'égalité des chances (Université.CD, s.d).

Au-delà de l'évaluation, le respect de ces principes favorise un environnement universitaire fondé sur la confiance, le respect mutuel et la collaboration. Une telle culture permet aux étudiants et aux chercheurs de travailler dans un cadre où les contributions intellectuelles sont reconnues, où les divergences peuvent être discutées et où les erreurs peuvent être corrigées sans compromettre la recherche de la vérité (AHA, s.d).

Ainsi, les fonctions de l'intégrité académique dépassent largement la prévention de la fraude. Elle contribue simultanément à préserver la valeur des diplômes, à favoriser un apprentissage authentique, à protéger la crédibilité de la science, à préparer les étudiants à leurs responsabilités futures et à construire un environnement universitaire équitable et fondé sur la confiance.

II. L'intégrité académique face à la multiplicité des lectures historiques

1. Pluralité des perspectives et liberté d'interprétation

La pluralité des perspectives constitue une caractéristique fondamentale de la recherche historique. Un même événement peut faire l'objet de lectures différentes, voire contradictoires, sans que cette diversité constitue en elle-même une atteinte à l'intégrité académique. Tout chercheur aborde le passé à partir de ses propres questionnements, expériences, intérêts et références intellectuelles, qui influencent nécessairement les questions qu'il pose et les sources qu'il mobilise. Ainsi, « la multiplicité et la contradiction des perspectives font partie intégrante de l'histoire » (AHA, s.d).

Cette diversité s'explique également par l'influence des contextes culturels, sociaux et politiques dans lesquels les historiens travaillent. Les sociétés et les générations successives réinterrogent le passé à partir de préoccupations nouvelles, donnant lieu à des réinterprétations et à l'émergence de nouvelles approches historiographiques. L'histoire ne peut donc être réduite à un récit unique et définitif. Elle demeure une « démarche d'investigation vivante » (AHA, s.d). Constamment renouvelée par la confrontation des questions, des sources et des interprétations.

Dans cette perspective, les historiens professionnels ne détiennent pas un monopole absolu sur l'écriture de l'histoire. L'ouverture de la discipline à

différents chercheurs et à de nouveaux publics constitue au contraire l'une de ses forces, puisqu'elle contribue à renouveler les problématiques et les interprétations historiques (AHA, s.d). La reconnaissance de cette pluralité implique toutefois que les différentes lectures soient soumises aux exigences de la recherche scientifique et ne puissent être présentées comme équivalentes indépendamment de leurs fondements documentaires et méthodologiques.

La liberté académique est ainsi une condition essentielle de cette diversité des interprétations. Elle permet au chercheur de formuler des hypothèses, de discuter les interprétations établies et de proposer de nouvelles lectures du passé, indépendamment des pressions politiques, idéologiques, sociales ou économiques. Cependant, cette liberté a pour corollaire la responsabilité scientifique : elle ne saurait justifier la falsification, la déformation ou la dissimulation des faits et des sources. L'intégrité scientifique constitue précisément la limite qui permet de concilier liberté d'interprétation et exigence de rigueur (AHA, s.d).

La diversité des lectures historiques ne remet donc pas en cause l'intégrité académique ; elle en souligne au contraire la nécessité. C'est parce que plusieurs interprétations peuvent être proposées qu'il devient indispensable de rendre explicites les sources mobilisées, les méthodes utilisées, les hypothèses formulées et les limites de chaque interprétation. L'enjeu n'est pas d'imposer une lecture unique du passé, mais de garantir que toute lecture puisse être discutée, vérifiée et soumise à la critique scientifique (AHA, s.d).

2. Les exigences de l'interprétation historique

La multiplicité des lectures historiques ne constitue pas en elle-même une remise en cause de la scientificité de l'histoire. Elle découle de la diversité des sources, des problématiques, des contextes de production du savoir et des perspectives adoptées par les chercheurs. Comme le souligne l'American Historical Association (AHA), la multiplicité et la contradiction des perspectives font partie intégrante de l'histoire. Chaque chercheur aborde le passé à partir de ses propres questionnements et mobilise des sources différentes ; il ne peut donc exister un récit unique qui mette définitivement fin au dialogue entre le passé et le présent (AHA, s.d). Toutefois, cette pluralité doit être encadrée par des exigences méthodologiques et éthiques qui permettent de distinguer une interprétation scientifique d'une simple opinion ou d'un récit dépourvu de fondement documentaire.

La première exigence consiste à distinguer clairement ce qui relève du fait historique, de l'hypothèse, de l'interprétation et de l'opinion. Le fait historique désigne un événement du passé susceptible d'être attesté par des traces : documents d'archives, témoignages, preuves matérielles ou autres éléments vérifiables. Il répond à la question : « qu'est-ce qui s'est passé ? » (Castro, s.d). Le fait historique renvoie à un événement du passé pouvant être attesté par des traces documentaires, matérielles ou testimoniales. L'interprétation consiste ensuite à mettre ces faits en relation et à leur donner un sens dans le cadre d'une problématique donnée. Cette opération implique nécessairement des choix de sélection et de hiérarchisation, qui doivent être explicités et justifiés par les sources. Dès lors, une hypothèse ne peut être présentée comme un fait établi sans démonstration, tandis qu'une opinion personnelle ne saurait se substituer à une interprétation fondée sur l'analyse critique des sources (AHA, s.d), (Castro, s.d).

Cette distinction est particulièrement importante lorsque l'historien intervient dans l'espace public. Une hypothèse, un jugement de valeur ou une simplification ne doivent pas être présentés comme des faits au seul motif qu'ils sont formulés par un universitaire. L'autorité académique ne peut se substituer à la démonstration scientifique (Castro, s.d).

L'interprétation historique repose nécessairement sur une confrontation critique des sources. Les documents ne constituent pas des reproductions transparentes du passé : ils doivent être identifiés, contextualisés, comparés et soumis à une analyse critique. Le chercheur doit donc confronter les sources entre elles et tenir compte de leur nature, de leur contexte de production, de leurs éventuelles limites et de leurs contradictions.

L'intégrité de la recherche historique exige surtout de ne pas falsifier les preuves, mais également de ne pas modifier, supprimer ou dissimuler volontairement les éléments qui contredisent l'interprétation défendue. Selon l'AHA, la contrefaçon et la fraude compromettent les fondements mêmes sur lesquels les historiens construisent leurs interprétations du passé. La falsification d'un document peut ainsi affecter non seulement l'argumentation du chercheur concerné, mais également les recherches ultérieures qui s'appuient sur ses travaux (AHA, s.d).

La rigueur de l'interprétation suppose également une certaine transparence dans la démarche scientifique. L'historien doit être en mesure d'expliquer les sources mobilisées, les méthodes utilisées, les hypothèses

formulées et les liens entre les données disponibles et l'interprétation proposée. Cette transparence permet au lecteur et aux autres chercheurs de comprendre comment l'auteur est passé des sources à ses conclusions.

L'intégrité scientifique ne signifie donc pas que le chercheur doit prétendre à une neutralité absolue. Elle lui impose plutôt de rendre visibles ses choix, ses présupposés et ses incertitudes, afin que son interprétation puisse être discutée et éventuellement réfutée. L'intégrité se situe ainsi dans la transparence de la démarche et dans la possibilité d'un examen critique des conclusions proposées (Castro, s.d).

Une interprétation historique gagne en solidité lorsqu'elle prend en considération les lectures concurrentes ou contradictoires. L'objectif n'est pas de donner nécessairement le même poids à toutes les interprétations, mais de reconnaître l'existence des arguments qui peuvent remettre en question ou nuancer la thèse défendue.

L'AHA insiste à cet égard sur la nécessité, pour les historiens, de respecter les points de vue divergents, de les soumettre à un examen critique et d'être prêts à présenter les interprétations alternatives des sujets étudiés (AHA, s.d). L'absence systématique de ces interprétations peut conduire à une présentation partiale du débat scientifique et donner l'impression que l'interprétation retenue constitue la seule lecture possible du passé.

L'interprétation historique est également une œuvre cumulative. Aucun chercheur ne construit son analyse indépendamment des travaux qui l'ont précédé. Respecter l'intégrité académique signifie donc reconnaître la contribution des autres chercheurs, citer leurs travaux et identifier clairement les idées, analyses ou données qui ont contribué à la construction de sa propre argumentation.

Pour l'AHA, pratiquer l'histoire avec intégrité consiste notamment à reconnaître sa dette envers les travaux des autres historiens. Le respect des sources secondaires et la citation correcte des références ne relèvent donc pas d'une simple formalité bibliographique : ils permettent de situer une recherche dans son environnement scientifique et de reconnaître les contributions intellectuelles qui la rendent possible (AHA, s.d).

L'appareil critique constitue enfin un instrument essentiel de l'intégrité de l'interprétation historique. Les bibliographies, notes de bas de page, références documentaires, catalogues et autres instruments de documentation

permettent d'identifier les sources primaires et secondaires sur lesquelles repose le raisonnement de l'historien.

Selon l'AHA, un appareil critique approprié permet aux autres chercheurs de retracer les différentes étapes d'un raisonnement et de vérifier si les conclusions avancées sont effectivement justifiées par les sources. Il offre également au lecteur la possibilité d'identifier les lacunes, les limites ou les éventuelles omissions dans la construction du récit historique (AHA, s.d).

Ainsi, l'intégrité académique ne conduit pas à imposer une interprétation unique du passé. Elle établit plutôt les conditions dans lesquelles la pluralité des interprétations peut s'exprimer de manière scientifique : distinguer les faits des hypothèses et des opinions, confronter les sources, expliciter les méthodes, reconnaître les interprétations alternatives, respecter les travaux antérieurs et permettre au lecteur de suivre le cheminement du raisonnement grâce à un appareil critique rigoureux. C'est précisément cette combinaison entre liberté d'interprétation et exigence méthodologique qui permet de préserver la crédibilité de la connaissance historique.

3. Les limites de la liberté d'interprétation : la « zone grise »

La liberté d'interprétation constitue un principe essentiel de la recherche historique, mais elle ne signifie pas que toutes les pratiques interprétatives soient compatibles avec les exigences de l'intégrité académique. Entre la fraude manifeste et l'interprétation légitime existe une « zone grise » où certaines pratiques, sans relever nécessairement de la falsification ou du plagiat, peuvent progressivement s'éloigner des exigences éthiques de la recherche. Il peut notamment s'agir d'une sélection biaisée des sources, de conflits d'intérêts non déclarés, de généralisations hâtives ou encore d'une instrumentalisation de l'autorité académique (Castro, s.d).

La sélection et la hiérarchisation des faits constituent une dimension normale de toute écriture historique : l'historien ne peut restituer l'ensemble des événements et doit nécessairement choisir ceux qui lui paraissent les plus pertinents. La hiérarchisation devient cependant problématique lorsqu'elle conduit à privilégier systématiquement certains faits et à en marginaliser d'autres afin de soutenir une interprétation préétablie. Elle relève alors moins d'une simple opération narrative que d'un usage susceptible de déformer la compréhension du passé (Castro, s.d).

Cette difficulté apparaît également dans la sélection des sources. Le chercheur peut légitimement privilégier certaines sources en fonction de sa problématique, mais il ne peut écarter volontairement les éléments qui contredisent son hypothèse. La dissimulation ou la suppression de résultats et de données contraires à l'hypothèse défendue, ainsi que l'absence de présentation des théories et travaux contradictoires, constituent des pratiques incompatibles avec l'intégrité scientifique (Sciences, s.d), (Library, s.d).

Une autre limite importante réside dans la confusion entre hypothèse, interprétation et fait établi. Une hypothèse peut être légitime lorsqu'elle est clairement présentée comme telle et soumise à la discussion. En revanche, la présenter comme une vérité établie sans apporter les preuves nécessaires brouille la distinction entre connaissance et interprétation. De même, une causalité partielle ne peut être transformée en explication globale sans justification suffisante (Castro, s.d).

L'autorité académique peut également être instrumentalisée. Le titre ou le statut universitaire ne constitue pas, à lui seul, une garantie de vérité. Lorsqu'un chercheur intervient dans l'espace médiatique, son discours peut être reçu comme un fait établi alors qu'il relève parfois d'une hypothèse, d'un jugement ou d'une simplification. La liberté académique protège le droit d'examiner, de contester et d'interpréter, mais elle ne saurait justifier la fabrication de faits, l'omission systématique des preuves contraires ou l'usage abusif de l'autorité universitaire (Castro, s.d).

Les influences politiques, idéologiques ou médiatiques doivent également être prises en considération. Les convictions personnelles du chercheur peuvent influencer les questions qu'il pose au passé et les perspectives qu'il privilégie ; elles ne doivent toutefois pas conduire à falsifier, déformer ou dissimuler les informations. L'enjeu n'est donc pas d'exiger une neutralité absolue, difficilement concevable dans les sciences humaines, mais de préserver la loyauté envers les sources et la transparence de la démarche scientifique (AHA, s.d).

Dans cette perspective, l'intégrité académique exige que le chercheur rende visibles ses présupposés, ses choix de sources, ses méthodes, ses hypothèses et ses incertitudes. Il doit également expliciter les liens entre les données et leur interprétation et présenter, lorsque cela est pertinent, les interprétations alternatives. Cette transparence permet aux autres chercheurs d'évaluer les arguments, de vérifier les fondements documentaires et,

éventuellement, de proposer une réfutation ou une interprétation différente (AHA, s.d), (Castro, s.d).

Ainsi, la « zone grise » ne constitue pas une remise en cause de la liberté d'interprétation, mais rappelle que cette liberté est inséparable d'une responsabilité scientifique. L'intégrité académique ne contraint pas l'historien à adopter une lecture unique du passé ; elle lui impose de distinguer clairement les faits des hypothèses et des opinions, de ne pas dissimuler les éléments contradictoires et de permettre au lecteur de comprendre comment une interprétation a été construite.

III. Les atteintes à l'intégrité académique et la responsabilité universitaire

1. Plagiat, fabrication et falsification (IRAFPA, 2024)

Le plagiat, la fabrication et la falsification constituent parmi les atteintes les plus graves à l'intégrité académique et scientifique. Elles compromettent non seulement la qualité et la fiabilité des travaux universitaires, mais également la confiance qui fonde les relations entre chercheurs, étudiants, institutions et société.

Le plagiat correspond à l'appropriation du travail d'autrui et à sa présentation comme étant le sien, sans reconnaissance adéquate de la source. Il constitue une grave violation de la déontologie universitaire et porte atteinte à la confiance sur laquelle repose la communauté scientifique. Dans le domaine de l'histoire, il compromet également la recherche de la vérité en occultant la contribution des travaux antérieurs à la construction d'une argumentation. Le plagiat peut prendre différentes formes, notamment la reproduction directe, la reformulation d'idées sans citation appropriée ou encore l'utilisation d'éléments provenant d'autres travaux sans en reconnaître l'auteur (AHA, s.d).

La fabrication et la falsification concernent quant à elles les données, les résultats et, plus largement, les éléments sur lesquels repose la démonstration scientifique. La fabrication consiste à inventer des données ou des résultats qui n'ont pas été obtenus, tandis que la falsification implique leur manipulation, leur modification ou leur présentation de manière trompeuse. Ces pratiques portent directement atteinte à la robustesse et à la fiabilité des connaissances produites (Sciences, s.d).

La falsification ne se limite cependant pas à la modification manifeste de données. Elle peut également prendre des formes plus discrètes :

manipulation statistique, citation sélective ou inexacte, interprétation frauduleuse, biais introduit dans le protocole de recherche, dissimulation du manque de représentativité des données ou suppression de résultats qui contredisent l'hypothèse défendue. Le fait de passer sous silence les incertitudes, les lacunes des connaissances ou les travaux contradictoires peut également contribuer à donner une image artificiellement cohérente d'un résultat ou d'une interprétation (Sciences, s.d).

Les fraudes relatives à l'autorat constituent une autre atteinte à l'intégrité académique. Elles peuvent prendre la forme de conflits de signature ou d'invisibilisation de personnes ayant effectivement contribué à une production scientifique. Ne pas reconnaître correctement les contributions d'autrui porte atteinte aux principes d'honnêteté, de respect et d'équité qui doivent régir la production académique (Sciences, s.d).

Les citations occupent, dans ce contexte, une place centrale. Elles permettent d'identifier les sources sur lesquelles repose une recherche et de distinguer les apports du chercheur de ceux de ses prédécesseurs. Une citation incorrecte, incomplète ou volontairement trompeuse peut ainsi induire le lecteur en erreur sur l'origine d'une information ou d'une idée. Dans la recherche historique, la documentation des sources et l'appareil critique permettent précisément de retracer le raisonnement du chercheur et de vérifier que ses affirmations sont effectivement fondées sur les sources mobilisées (AHA, s.d).

La dissimulation des résultats ou des éléments contradictoires constitue également une pratique incompatible avec l'intégrité scientifique. Le chercheur ne doit pas sélectionner uniquement les éléments qui confortent son hypothèse en écartant ceux qui la remettent en question. Il lui appartient au contraire de signaler les limites de ses résultats, les incertitudes éventuelles et les arguments ou travaux susceptibles de conduire à une interprétation différente (Sciences, s.d) ; (AHA, s.d).

Les conséquences de ces manquements dépassent largement la seule production d'un travail défaillant. Sur le plan scientifique, ils peuvent compromettre les recherches ultérieures qui s'appuient sur des données ou des résultats erronés. Sur le plan académique, ils peuvent entraîner des mesures disciplinaires, voire l'interruption des études. Sur le plan professionnel, ils peuvent affecter durablement la réputation du chercheur et sa carrière. Le plagiat porte en outre atteinte aux droits d'auteur et aux droits

patrimoniaux de l'auteur original et peut, selon les situations, entraîner des conséquences juridiques (AHA, s.d).

Dans le contexte algérien, la lutte contre le plagiat fait l'objet d'un encadrement réglementaire spécifique. L'Arrêté n° 933 du 28 juillet 2016 fixe les règles relatives à la prévention et à la lutte contre le plagiat dans l'enseignement supérieur. Ce cadre réglementaire inscrit ainsi la prévention du plagiat dans les obligations de l'institution universitaire et dans la protection de l'intégrité des productions scientifiques et académiques.

Ainsi, le plagiat, la fabrication, la falsification, les fraudes relatives à l'autorat et les pratiques trompeuses dans l'utilisation des sources ne constituent pas de simples erreurs méthodologiques. Ils remettent en cause les fondements mêmes de la production et de la transmission des connaissances. La lutte contre ces pratiques doit donc associer prévention, formation à l'intégrité académique, respect des règles méthodologiques et, lorsque cela est nécessaire, mise en œuvre des procédures disciplinaires appropriées.

2. La responsabilité du chercheur et de l'enseignant

L'intégrité académique ne repose pas uniquement sur le respect de règles formelles ; elle implique une responsabilité individuelle de la part de tous ceux qui participent à la production, à la transmission et à l'évaluation des connaissances. Le chercheur et l'enseignant occupent, à cet égard, une position particulière, puisqu'ils contribuent à la construction du savoir scientifique, à sa transmission aux étudiants et à sa diffusion auprès du public.

Le respect des sources et de la propriété intellectuelle constitue l'une des premières obligations du chercheur. Toute recherche doit reconnaître la contribution des travaux antérieurs et citer de manière précise les sources utilisées. Dans le domaine historique, cette exigence est particulièrement importante, car l'interprétation du passé repose sur un ensemble de documents, de témoignages et de travaux antérieurs dont la traçabilité doit être assurée. « Pratiquer l'histoire avec intégrité, c'est reconnaître sa dette envers les travaux d'autres historiens » (AHA, s.d).

À cette obligation s'ajoute un devoir de transparence. Le chercheur doit être en mesure d'expliquer les méthodes employées, les hypothèses formulées, les sources mobilisées ainsi que les liens entre les données et leur interprétation. Il doit également rendre visibles les limites et les incertitudes de son travail. Cette transparence permet aux autres chercheurs d'examiner

les raisonnements proposés et de soumettre les résultats à la discussion et à la critique scientifique (AHA, s.d).

La responsabilité du chercheur implique également le respect des opinions et des interprétations divergentes. La pluralité des points de vue constitue une caractéristique de la recherche historique et le désaccord scientifique ne doit pas être assimilé à une faute. Les historiens sont appelés à accueillir les perspectives différentes, à les discuter de manière argumentée et à les soumettre à un examen critique. La critique scientifique doit ainsi demeurer fondée sur les arguments, les sources et les méthodes, et non sur le discrédit personnel de ceux qui défendent une interprétation différente (AHA, s.d).

Cette exigence s'étend à l'enseignement. Les convictions politiques, sociales ou religieuses d'un enseignant peuvent influencer les questions qu'il pose ou la manière dont il aborde certains sujets, mais elles ne sauraient justifier la falsification, la déformation ou la dissimulation d'informations historiques. L'enseignement doit permettre aux étudiants de prendre connaissance de la pluralité des causes et des interprétations et de contester, lorsque cela est justifié, une interprétation ou un point de vue donné (AHA, s.d).

L'évaluation des travaux des étudiants constitue, elle aussi, une responsabilité importante. Les enseignants doivent évaluer les productions académiques sur la base de critères objectifs et de leurs mérites propres, sans favoriser ou pénaliser un étudiant en raison de ses opinions. Une telle pratique contribue à garantir l'équité et à préserver la confiance dans le processus d'évaluation et dans les diplômes délivrés par l'institution universitaire (AHA, s.d), (Université.CD, s.d).

La transparence concerne également les conditions dans lesquelles la recherche est réalisée. Les historiens doivent notamment mentionner les financements, parrainages ou privilèges particuliers dont ils bénéficient, notamment lorsqu'un accès privilégié à certaines sources ou un soutien financier pourrait influencer leurs résultats. La déclaration de ces éléments permet d'identifier d'éventuels conflits d'intérêts et contribue à préserver la crédibilité de la recherche (AHA, s.d).

Enfin, la responsabilité du chercheur et de l'enseignant s'étend à la diffusion publique du savoir historique. Les historiens peuvent et doivent contribuer aux débats publics, mais ils ont également la responsabilité de

montrer comment leur discipline établit les faits, confronte les sources et construit ses interprétations. La volonté de défendre une thèse ou de participer au débat public ne doit jamais conduire à déformer les faits historiques ou à présenter comme certaines des affirmations qui relèvent encore de l'hypothèse ou de l'interprétation (AHA, s.d), (Castro, s.d).

Ainsi, la responsabilité du chercheur et de l'enseignant repose sur un équilibre entre liberté académique et exigences d'intégrité. Elle implique de respecter les sources, de garantir la transparence de la démarche, d'accepter la contradiction scientifique, d'assurer une évaluation équitable et de diffuser le savoir avec rigueur. Dans le domaine de l'histoire, cette responsabilité est d'autant plus importante que les interprétations du passé peuvent avoir une portée sociale, politique et mémorielle considérable.

3. La responsabilité des institutions universitaires

La responsabilité en matière d'intégrité académique ne peut être limitée aux seuls comportements individuels des étudiants, des enseignants ou des chercheurs. Elle relève également de la responsabilité des institutions universitaires, qui doivent créer les conditions permettant de prévenir les manquements, de les traiter de manière équitable et de promouvoir durablement une culture de l'intégrité. L'université ne doit donc pas intervenir uniquement lorsque la fraude est constatée ; elle doit agir en amont par l'information, la formation et la prévention.

La prévention constitue ainsi un axe essentiel de la responsabilité institutionnelle. Les étudiants comme les enseignants doivent être sensibilisés aux principes de l'intégrité académique, aux règles relatives à la citation et à la propriété intellectuelle, ainsi qu'aux différentes formes de plagiat, de falsification et de fabrication. Cette formation doit permettre de faire de l'intégrité une véritable pratique universitaire et non une simple obligation disciplinaire. L'intégrité académique doit ainsi être envisagée comme « un processus pédagogique intégral » nécessitant une action concertée des étudiants, des enseignants et des institutions (Monney, 2025, p. 4).

Lorsque des manquements sont signalés, l'institution doit également disposer de procédures claires permettant de recevoir les signalements, de vérifier les faits et de garantir un traitement impartial des situations. L'instruction doit respecter les principes de confidentialité, de contradiction et d'examen des éléments disponibles. Une telle démarche est essentielle pour protéger à la fois les personnes qui signalent un manquement et celles qui sont

mises en cause, tout en permettant à l'institution de prendre une décision fondée sur des éléments vérifiables.

Les structures chargées de l'intégrité scientifique jouent, à cet égard, un rôle particulier. Leur mission consiste notamment à examiner les signalements mettant en cause l'intégrité d'une activité ou d'un résultat de recherche, à conduire une instruction et à transmettre leurs conclusions et recommandations aux responsables des établissements concernés. Selon les situations, les procédures peuvent conduire à des mesures telles que la rétractation d'une publication, la saisine des instances disciplinaires ou l'adoption de sanctions professionnelles (Sciences, s.d).

La responsabilité institutionnelle doit cependant être conciliée avec la protection de la liberté académique. Celle-ci garantit la possibilité pour les enseignants et les chercheurs de choisir leurs objets de recherche, de formuler des hypothèses, de discuter les interprétations établies et de défendre des positions scientifiques différentes. Elle ne peut toutefois être invoquée pour justifier la fraude, l'opacité méthodologique ou la manipulation des résultats. La liberté académique et l'intégrité scientifique apparaissent ainsi comme deux principes complémentaires : la première garantit la liberté de chercher et de discuter, tandis que la seconde encadre l'exercice de cette liberté par des exigences de rigueur et de responsabilité (Sciences, s.d).

L'université doit également favoriser une véritable culture institutionnelle de l'intégrité. Celle-ci repose sur la confiance, l'équité, le respect et la responsabilité, aussi bien dans les relations entre étudiants et enseignants que dans les rapports entre chercheurs et institutions. Une telle culture contribue à préserver la crédibilité des formations et des diplômes, la qualité de la recherche et la confiance accordée à l'université et à la communauté scientifique (Université.CD, s.d), (Sciences, s.d).

Dans cette perspective, il apparaît nécessaire de dépasser une conception essentiellement disciplinaire de l'intégrité académique. La sanction demeure indispensable lorsque des manquements graves sont établis, mais elle ne peut constituer à elle seule une politique d'intégrité efficace. L'objectif doit être de construire un environnement universitaire dans lequel les règles sont connues, comprises et intégrées aux pratiques quotidiennes. La prévention, la formation, l'accompagnement et la responsabilisation doivent ainsi compléter les mécanismes de contrôle et de sanction.

L'institution universitaire devient alors un acteur central de la promotion de l'intégrité : elle doit à la fois prévenir les manquements, former les membres de sa communauté, garantir des procédures équitables, protéger la liberté académique et intervenir lorsque les règles sont violées. Le passage d'une logique principalement punitive à une approche à la fois pédagogique, préventive et institutionnelle permet ainsi de faire de l'intégrité académique non seulement un ensemble de règles à respecter, mais une valeur constitutive de la vie universitaire.

Conclusion

L'étude de l'intégrité académique face à la multiplicité des lectures historiques montre que la diversité des interprétations n'est pas incompatible avec la rigueur scientifique. Elle constitue au contraire une dimension inhérente à l'écriture de l'histoire, qui repose sur la confrontation des sources, des problématiques et des points de vue. Un même événement peut ainsi donner lieu à des interprétations différentes sans que cette diversité remette nécessairement en cause la validité de la recherche historique.

Préserver l'intégrité académique suppose donc de concilier deux exigences complémentaires : garantir la liberté d'interprétation et maintenir le respect des règles qui fondent la crédibilité du savoir historique. Cette conciliation repose sur la critique et le croisement des sources, la distinction entre faits, hypothèses et interprétations, la transparence des méthodes et des présupposés, la reconnaissance des travaux antérieurs et la prise en compte des interprétations alternatives. L'historien peut contester une lecture dominante, proposer une nouvelle hypothèse ou défendre une interprétation différente ; il ne peut cependant présenter une opinion comme un fait établi, falsifier ou sélectionner abusivement les sources, ni dissimuler les éléments susceptibles de contredire sa démonstration.

La véritable limite de la liberté d'interprétation apparaît ainsi dans la « zone grise » où la sélection légitime des faits peut se transformer en sélection biaisée, où l'autorité académique peut être utilisée pour imposer un récit et où les influences politiques, idéologiques ou médiatiques peuvent conduire à une instrumentalisation du savoir historique. L'intégrité ne commande pas l'absence de positionnement ; elle exige que les choix du chercheur soient explicites, argumentés, vérifiables et soumis à la discussion scientifique.

La préservation de cette intégrité relève également d'une responsabilité collective. Le chercheur et l'enseignant doivent respecter les sources, la

propriété intellectuelle, les opinions divergentes et les règles de l'évaluation scientifique. Les institutions universitaires doivent, pour leur part, privilégier la prévention, la formation et la sensibilisation, tout en garantissant des procédures impartiales de traitement des manquements et la protection de la liberté académique.

Ainsi, la réponse à la problématique ne réside ni dans l'imposition d'un récit historique unique ni dans l'acceptation de toutes les lectures au nom de la liberté académique. Elle réside dans l'instauration d'un cadre scientifique permettant la confrontation des interprétations tout en maintenant des exigences communes de rigueur, d'honnêteté, de transparence et de respect des sources. C'est à cette condition que la multiplicité des lectures historiques devient une richesse pour la connaissance du passé et non un facteur de sa déformation ou de son instrumentalisation.

V. Liste Bibliographique:

1. American Historical association (s.d) : « Déclaration sur les normes de conduite professionnelle », sur le site AHA, sur le lien https://www.historians.org/resource/statement-on-standards-of-professional-conduct/?utm_source=chatgpt.com**,** consulté le 25/08/2026.
2. Castro Catherine (2024) : « L'intégrité académique à l'épreuve de la naissance du «Nouveau Moyen-Orient» », sur le site InfoAlahad, sur le lien https://french.alahednews.news/61024/324, consulté le 28/08/2026.
3. Fenton Oliver (s.d) : « Définition de l'intégrité académiques : les six valeurs qui maintiennent l'honnêteté dans la recherche Valeurs fondamentales et implications pratiques », sur le site Academicjobs : HOME OF HIER ED, sur le lien https://www.academicjobs.com/fr-va/student-news/definition-de-lintegrite-academique-valeurs-et-contexte-mondial-academicjobs-27290, consulté le 25/08/2026.

4. L'IRAFPA (s.d) : « Les repères de l'intégrité académique », sur le site IRAFPA, sur le lien https://irafpa.org/a-propos/regles-dintegrite-academique/, consulté le 28/08/2026.
5. Monney Nicole (2025) **:** « Former à l'intégrité académique à l'université : où en sommes-nous ? Pistes de réflexion issues de recherches au Québec », Revue internationale de pédagogie de l'enseignement supérieur *RIPES*, Canada, volume 41(3) Numéro spécial - Automne 2025, sur le site ResearchGate, sur le lien https://www.researchgate.net/publication/398428988, consulté le 28/08/2026.
6. Open Library (s.d) **:** « Compétences informationnelles : Principes fondamentaux : Intégrité académique », sur le site Open Library, sur le lien https://ecampusontario.pressbooks.pub/, consulté le 25/08/2026.
7. Sciences Po (s.d) **:** « INTEGRITE SCIENTIFIQUE », sur le site Sciences Po.fr, sur le lien https://www.sciencespo.fr/recherche/ scientifique/, consulté le 25/08/2026.
8. Sciences Po (s.d) : « INTEGRITE SCIENTIFIQUE , INTEGRITE ACADEMIQUE : TOUT CE QU'IL FAUT SAVOIR », sur le site Sciences Po.fr, sur le lien https://www.sciencespo.fr/fr/actualites/integrite-scientifique-integrite-academique-tout-ce-qu-il-faut-savoir/, consulté le 28/08/2026.
9. Univercité. CD (s.d): « L'IMPORTANCE DE L'INTÉGRITÉ ACADÉMIQUE », sur le site Univercité. CD, sur le lien https://universite.cd/lessons/limportance-de-lintegrite-academique/, consulté le 28/08/2026.
10. Université de Franche-Comté (s.d) : « Guide de l'intégrité scientifique », sur le lien file:///C:/Users/pc/Downloads/guide_integrite_scientifique_vf_.pdf (pdf), consulté le 28/08/2026.

The Challenges of Historical Writing in the Age of Artificial Intelligence

Dr. Cherchali Zakia
University of Algiers 2 - Abu al-Qasim Saadallah – Algeria
cherchalizakia1990@gmail.com

Abstract:
The study examines the impact of artificial intelligence on historical research, tracing its development from traditional computing to modern generative AI models. It highlights AI's role in analyzing archives, digitizing historical documents, and accelerating historical research while emphasizing the risks of algorithmic bias and the reproduction of dominant historical narratives. The study argues that AI is an advanced research tool that supports rather than replaces historians, as interpretation, critical analysis, and source verification remain human responsibilities. It concludes that the future of historical writing depends on integrating AI technologies with the historian's critical expertise.
Keywords: Artificial Intelligence-Historical Writing-Historical Studies-Algorithmic Bias -Digital Humanities

رهانات الكتابة التاريخية في عصر الذكاء الاصطناعي

د. شرشالي زكية
جامعة الجزائر2–أبو القاسم سعد الله–
cherchalizakia1990@gmail.com

ملخص:
يتناول البحث تأثير الذكاء الاصطناعي في الدراسات التاريخية، موضحًا تطوره من الحوسبة التقليدية إلى النماذج التوليدية الحديثة. ويبرز دوره في تحليل الأرشيفات ورقمنة الوثائق وتسريع البحث التاريخي، مع التنبيه إلى مخاطر التحيز الخوارزمي وإعادة إنتاج السرديات المهيمنة. ويؤكد أن الذكاء الاصطناعي يمثل أداة معرفية متقدمة تدعم عمل المؤرخ ولا تستبدله، إذ تبقى مسؤولية التفسير والنقد والتحقق من المصادر من اختصاص الباحث. ويخلص البحث إلى أن مستقبل الكتابة التاريخية يقوم على التكامل بين التقنيات الذكية والخبرة النقدية للمؤرخ
الكلمات المفتاحية: لذكاء الاصطناعي الكتابة التاريخية الدراسات التاريخية التحيز الخوارزمي الإنسانيات الرقمية

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعروة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مقدمة:

شكّل التطور المتسارع للذكاء الاصطناعي أحد أبرز التحولات المعرفية والتكنولوجية التي تشهدها الإنسانية في القرن الحادي والعشرين، ولم تقتصر تداعياته على المجالات التقنية والاقتصادية فحسب، بل امتدت إلى العلوم الإنسانية والاجتماعية بما فيها حقل التاريخ. ومع بروز النماذج التوليدية القادرة على معالجة كميات هائلة من البيانات وإنتاج نصوص متماسكة، أضحى السؤال المتعلق بمستقبل الكتابة التاريخية يفرض نفسه بإلحاح، خاصة وإن الثورة الرقمية الراهنة تفتح آفاقاً غير مسبوقة أمام الباحثين، وتطرح في الوقت ذاته تحديات عميقة تتعلق بمصداقية المعرفة المنتجة، وآليات التحقق منها، وحدود الموضوعية، وإشكالية التحيزات الخوارزمية، فضلاً عن إعادة تعريف وظائف المؤرخ ومكانته داخل العملية المعرفية. الأمر الذي أثار مخاوف متزايدة بشأن مستقبل المؤرخ بوصفه منتجاً للمعرفة التاريخية وحارساً لذاكرة المجتمعات.

وفي هذا السياق، تتجاوز رهانات الكتابة التاريخية في عصر الذكاء الاصطناعي حدود النقاش التقني حول جدوى استخدام التطبيقات الذكية، لتلامس أسئلة أكثر عمقاً تتعلق بطبيعة التاريخ نفسه: إذا أصبح الذكاء الاصطناعي قادراً على جمع المصادر وتحليلها وصياغة السرديات، فما الذي سيبقى من وظيفة المؤرخ؟ وهل يمكن للذكاء الاصطناعي أن يعيد إنتاج المركزية الغربية في تفسير التاريخ العالمي رغم ادعائه الحياد؟ وانطلاقاً من ذلك، تسعى هذه الدراسة إلى البحث في رهانات الكتابة التاريخية في ظل الثورة التي أحدثها الذكاء الاصطناعي، من خلال التعرف على طبيعة التحولات التي يشهدها الحقل التاريخي، واستجلاء حدود إسهام التقنيات الذكية في إنتاج المعرفة التاريخية، ومناقشة مدى تهديدها لمكانة المؤرخ، وصولاً إلى بيان ما إذا كان الذكاء الاصطناعي يمثل بديلاً عن المؤرخ، أم أداة جديدة تفرض إعادة صياغة أدواره ووظائفه داخل منظومة إنتاج المعرفة التاريخية المعاصرة.

أولاً: تاريخ ظهور وتطور الذكاء الاصطناعي

يثير سؤال تاريخ ظهور الذكاء الاصطناعي إشكالاً منهجياً بالغ الأهمية؛ ذلك أن المؤرخ لا يتعامل هنا مع واقعة سياسية أو حدث عسكري وقع في تاريخ محدد، وإنما مع ظاهرة علمية تشكلت عبر مسار تراكمي طويل، امتزجت فيه الفلسفة بالرياضيات والمنطق وعلم الأعصاب والحوسبة. ومن ثم، فإن الحديث

عن «تاريخ ظهور الذكاء الاصطناعي» لا ينصرف إلى لحظة زمنية واحدة بقدر ما يحيل إلى سيرورة معرفية ممتدة. لهذا السبب اختلف مؤرخو العلم والباحثون المتخصصون في تحديد نقطة البداية الفعلية.

يشير بروس بوكانان Bruce G. Buchanan إلى أن تاريخ الذكاء الاصطناعي لا يبدأ بالحاسوب الإلكتروني، بل يمتد إلى تقاليد فكرية أقدم ارتبطت بالفلسفة والمنطق والخيال العلمي، إذ شكلت فكرة إمكانية تمثيل التفكير الإنساني بواسطة قواعد منطقية أساساً معرفياً مهد لظهور الذكاء الاصطناعي الحديث. ويؤكد أن التصورات التي طورها غوتفريد لايبنتز حول الحساب المنطقي واللغة الكونية كانت من اللبنات البعيدة لهذا المشروع العلمي (Buchanan, 2005, p. 53–54). ولا تختلف باميلا ماكوردوك كثيراً عن هذا التصور، إذ ترى أن محاولة صناعة كائنات تفكر ليست وليدة القرن العشرين، بل هي امتداد لحلم إنساني قديم، تعاقبت صوره بين الأساطير والآلات الميكانيكية والنظريات الفلسفية، قبل أن يتحول تدريجياً إلى مشروع علمي منظم (McCorduck, 2004, p. 3–8).

يرى عدد من مؤرخي الذكاء الاصطناعي أن البداية العلمية الفعلية تعود إلى سنة 1943، حين نشر وارن ماكولوتش ووالتر بيتس بحثهما الشهير حول الحساب المنطقي للخلايا العصبية. وقد استطاع الباحثان تقديم نموذج رياضي يفسر عمل الشبكات العصبية (McCorduck, 2004, p. 69–72). حيث أثبت البحث أن الخلايا العصبية يمكن تمثيلها كبوابات منطقية بسيطة تعمل وفق نظام (نعم / لا) أو (تشغيل / إيقاف)، أي ما يعادل القيمتين (0) و (1) في لغة الآلة. وهو أساس تعلم الآلة واللبنة الأ ولى لما نعرفه اليوم بـ الشبكات العصبية الاصطناعية وهي التقنية الأساسية التي تقوم عليها معظم تطبيقات الذكاء الاصطناعي التوليدي والتعلم العميق الحديثة. وهو ما جعل منه نقطة انطلاق حقيقية للذكاء الاصطناعي الحديث، غير أن هذا الاتجاه لا يحظى بإجماع كامل، لأن تلك المرحلة لم تعرف بعد وجود تخصص علمي مستقل يحمل اسم الذكاء الاصطناعي، بل اقتصرت على وضع الأسس النظرية والرياضية.

يمثل عام 1950 منعطفاً نوعياً في تاريخ الفكر المعلوماتي، إذ نشر عالم الرياضيات والفيلسوف البريطاني آلان تورينغ مقاله الشهير "آلات الحوسبة والذكاء" الذي نقل النقاش من التأمل الفلسفي المجرد إلى مستوى الإشكال العلمي القابل للاختبار. وفي هذا المقال طرح تورينغ السؤال الذي سيصبح حجر

الزاوية في كل تاريخ الذكاء الاصطناعي: هل تستطيع الآلات أن تفكر؟ واقترح اختبار تورينغ وهو تجربة تعتمد على محادثة نصية بين ثلاثة أطراف: إنسان (مُقيِّم)، وإنسان آخر، وحاسوب. إذا فشل المُقيِّم في تمييز الآلة من الإنسان بناءً على إجاباتهم المكتوبة، فإن الآلة تعتبر قد اجتازت الاختبار بنجاح.

خاصة أنّ تورينغ تجاوز الأسئلة الفلسفية المعقدة حول الوعي الداخلي، والمشاعر وبدلاً من ذلك، أصبح التركيز منصباً على الأداء والسلوك القابل للملاحظة والقياس كما خصص أجزاءً كبيرة من مقاله لتوقع ودحض الاعتراضات على فكرة "ذكاء الآلة"، مثل امتلاك الآلة لروح مقدماً حججاً مضادة تستند إلى منطق الحوسبة الرقمية. ويعتبر هذا المقال بمثابة الوثيقة التأسيسية لمجال الذكاء الاصطناعي الحديث، حيث مهّد الطريق لعقود من الأبحاث التي تسعى لتطوير آلات قادرة على محاكاة السلوك البشري بفعالية. وتعتبر باميلا ماكوردوك أن مقال تورينغ شكل لحظة التحول، لأنه أعاد صياغة المشكلة بلغة علمية قابلة للبرمجة والتجريب (McCorduck, 2004, p. 101-106).

كان الميلاد الرسمي للذكاء الاصطناعي في مؤتمر دارتموث سنة 1956 وظهر في الوثيقة التي أعدها جون مكارثي لأول مرة مصطلح الذكاء الاصطناعي باعتباره تسمية لحقل علمي مستقل. ويشير بروس بوكانان إلى أن أهمية مؤتمر دارتموث لا تكمن فقط في ظهور المصطلح، بل في تشكل جماعة علمية جديدة، وظهور برنامج بحثي محدد يهدف إلى جعل الآلات قادرة على التعلم والاستدلال وحل المشكلات (Buchanan, 2005, p. 54-55). أما باميلا ماكوردوك فتصف مؤتمر دارتموث بأنه الحدث الذي نقل الأفكار المتفرقة إلى مجال علمي منظم يمتلك لغته ومفاهيمه ومؤسساته البحثية (McCorduck, 2004, p. 111-114). تم خلال ورشة العمل استعراض برنامج مُثبِت النظريات المنطقية، وهو أول برنامج حاسوبي قادر على محاكاة حل المشكلات البشرية والمفاهيم الرياضية المعقدة، ونجح في تحويل أجهزة الحاسوب من مجرد "آلات لحساب الأرقام" إلى "أنظمة قادرة على التفكير والتحليل المنطقي فتم تعليم الحاسوب التفكير مثل لاعب الشطرنج.

وهكذا فإنّ الاتجاه الأول سنة 1943 يعتبر أن ظهور الذكاء الاصطناعي بدأ مع أعمال ماكولوتش وبيتس، لأنها وضعت الأساس الرياضي للشبكات العصبية. والاتجاه الثاني: سنة 1950 يرى أن مقال تورينغ هو البداية الحقيقية، لأن الذكاء الاصطناعي بدأ حين أصبح السؤال العلمي واضحاً وقابلاً

للاختبار والاتجاه الثالث: سنة 1956 وهو الاتجاه الأكثر شيوعاً بين مؤرخي العلوم، ويرى أن ظهور الحقل العلمي لا يتحقق إلا عندما تتوافر له تسمية خاصة ومجتمع علمي وبرنامج بحثي مستقل. ويصعب اختزال نشأة الذكاء الاصطناعي في سنة واحدة. فالحقول العلمية الكبرى لا تولد دفعة واحدة، بل تنمو عبر مراحل متداخلة. فإن سنة 1943 تمثل مرحلة التأسيس الرياضي، وسنة 1950 تعبر عن الانتقال من الفلسفة إلى العلم التجريبي، بينما تمثل سنة 1956 لحظة الإعلان المؤسسي عن ميلاد تخصص جديد. ولذلك فإن الاقتصار على سنة 1956 وحدها، رغم شيوعه، قد يخفي الطبيعة التراكمية لهذا التطور.

بعد مؤتمر دارتموث سنة 1956 انطلقت في تلك الفترة مشاريع بحثية طموحة سادها اعتقاد بأن بناء آلة تمتلك قدرات عقلية مماثلة للإنسان لن يحتاج سوى بضع سنوات. ويشير بروس بوكانان إلى أن الباحثين خلال الستينيات كانوا يتوقعون تحقيق تقدم سريع في مجالات الترجمة الآلية والاستدلال المنطقي وحل المشكلات (Buchanan, 2005, p. 54–56)، وفي الفترة نفسها، ظهرت برامج رائدة مثل General Problem Solver الذي طوره ألن نيويل وهربرت سايمون، وقد ذهب سايمون سنة 1965 إلى التصريح بأن الآلات ستكون قادرة خلال عشرين عاماً على أداء أي عمل يمكن للإنسان القيام به (Nilsson, 2010, p. 82–87).

لم تتحقق التوقعات المتفائلة، فبدأت حدود الأنظمة الرمزية بالظهور. وقد شكل تقرير الرياضي البريطاني الشهير لايتهايل الصادر سنة 1973 نقطة تحول حاسمة، إذ انتقد الإنجازات المتحققة، واعتبر أن التقدم الفعلي أقل بكثير من الوعود المعلنة. وأدى ذلك إلى تقليص التمويل الحكومي، خصوصاً في بريطانيا والولايات المتحدة، وهي المرحلة التي أطلق عليها الباحثون اسم: شتاء الذكاء الاصطناعي (Nilsson, 2010, p. 161–166). وكانت هذه المرحلة أول أزمة حقيقية عرفها الحقل، حيث اصطدمت الطموحات النظرية بالقيود التقنية والقدرات الحاسوبية المحدودة.

شهدت الثمانينيات عودة قوية للذكاء الاصطناعي بفضل النظم الخبيرة Expert Systems، وهي برامج قادرة على محاكاة خبرة المتخصصين في مجالات معينة. ومن أشهرها نظام MYCIN الطبي، الذي استخدم لتشخيص الأمراض البكتيرية. وقد حققت هذه الأنظمة نجاحاً تجارياً، مما دفع الشركات الكبرى إلى الاستثمار بكثافة في هذا المجال (Rich & Knight, 1991, p. 25–27). غير أن

تكاليف الصيانة المرتفعة، وصعوبة تحديث قواعد المعرفة، أدتا إلى انهيار الحماس من جديد. ثمّ عرفت نهاية الثمانينيات أزمة جديدة نتيجة تراجع سوق النظم الخبيرة وانخفاض الاستثمارات. ويؤكد نيلسون أن هذا التراجع لم يكن نتيجة فشل الفكرة ذاتها، بل بسبب المبالغة في التوقعات، وعدم نضج البنية التكنولوجية اللازمة (Nilsson, 2010, p. 364-370).

شهدت التسعينيات تحولات جوهرية تمثلت في الانتقال التدريجي من الأنظمة القائمة على القواعد إلى تقنيات التعلم الآلي. وفي سنة 1997 استطاع الحاسوب Deep Blue الذي طورته شركة IBM هزيمة بطل العالم في الشطرنج غاري كاسباروف، وهو حدث اعتبره المؤرخون محطة رمزية بارزة (Nilsson, 2010, p. 455-460). كما شهدت هذه المرحلة بروز الخوارزميات الإحصائية والشبكات العصبية الحديثة، بالتزامن مع الارتفاع المتزايد لقدرات الحواسيب. وفي سنة 2012 حدث منعطف حاسم في تاريخ الذكاء الاصطناعي، بعد النجاح الكبير الذي حققه نموذج AlexNet في مسابقة ImageNet. وتعليم الكمبيوتر كيف يرى ويفهم الصور بدقة عالية جداً قريبة من الإنسان. وقد أدى هذا الإنجاز إلى إحياء الشبكات العصبية العميقة وفتح الباب أمام تطبيقات واسعة في مجالات معالجة اللغة والرؤية الحاسوبية (Russell & Norvig, 2021, p. 27-30). وبدأت صناعة برامج تتمكن من الرؤية كالانسان أقوى، حتى وصلنا اليوم إلى السيارات التي تقود نفسها.

ثم جاءت النماذج التوليدية الكبرى، مثل GPT وClaude وGemini، لتدشن مرحلة جديدة تجاوز فيها الذكاء الاصطناعي المهام المتخصصة نحو إنتاج النصوص والصور والبرمجيات والمحتويات المعرفية. ويصف ستيوارت راسل هذه المرحلة بأنها انتقال من الذكاء الاصطناعي الضيق إلى أنظمة أكثر عمومية وقدرة على التعلم والتفاعل (Russell & Norvig, 2021, p. 31-34).

ثانيا: ظهور الذكاء الاصطناعي في حقل الدراسات التاريخية

كان تاريخ الذكاء الاصطناعي سلسلة متواصلة من النجاحات والإخفاقات المتعاقبة، وتاريخاً للأفكار والطموحات الإنسانية أكثر من كونه تاريخاً للتكنولوجيا وحدها. وباعتبارنا مؤرخين لا نبحث هنا عن تاريخ ميلاد التقنية ذاتها، بل عن اللحظة التي انتقلت فيها تطبيقات الذكاء الاصطناعي من المجال المعلوماتي إلى فضاء البحث التاريخي، وأصبحت أداةً لإنتاج المعرفة التاريخية أو تحليلها أو إعادة تنظيمها.

لذلك، فإن المؤرخين المتخصصين في الإنسانيات الرقمية لا يتفقون على تاريخ واحد، بل يقدمون تصورات متعددة تتراوح بين اعتبار ستينيات القرن العشرين بداية بعيدة، وبين اعتبار العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين نقطة التحول الحقيقية.

1. الجذور الأولى بين التاريخ الكمي والإنسانيات الحاسوبية (1960–1980)

يرى دانيال كوهين وروي روزنزفايغ أن دخول الحاسوب إلى الدراسات التاريخية بدأ منذ ستينيات القرن العشرين مع ما عرف بالتاريخ الكمي وهو منهج في دراسة التاريخ يعتمد على الأرقام، والإحصاءات، والبيانات الضخمة لإعادة فهم الأحداث الماضية، بدلاً من الاعتماد فقط على قراءة المذكرات والقصص المكتوبة، فشرع المؤرخون في استخدام الحواسيب لتحليل قواعد البيانات الإحصائية الضخمة، خاصة في التاريخ الاقتصادي والديموغرافي. غير أن تلك المرحلة لم تعرف استخدام الذكاء الاصطناعي بالمعنى الدقيق، بل اقتصرت على المعالجة الحاسوبية للبيانات. ويشير المؤلفان إلى أن المؤرخين خلال تلك المرحلة كانوا يتعاملون مع الحاسوب باعتباره أداة إحصائية، وليس باعتباره شريكاً معرفياً في بناء التفسير التاريخي (Cohen & Rosenzweig, 2006, p. 3-9).

2. بروز الإنسانيات الرقمية وتوسع الأدوات الحاسوبية (1990–2010)

شهدت تسعينيات القرن العشرين انتقالاً تدريجياً نحو ما أصبح يعرف بالإنسانيات الرقمية وهي مجال علمي حديث يجمع بين العلوم الإنسانية وأدوات التكنولوجيا الرقمية والكمبيوتر والتي تشمل حاليا قراءة البيانات الضخمة وتحويل الوثائق الى صيغ رقمية وإتاحتها على نطاق واسع. وقد تبيّن أنّ تطور الرقمنة في بدايته، من محركات البحث، وتقنيات فهرسة النصوص مثلا، أوجد بيئة جديدة دفعت المؤرخين إلى إعادة النظر في طرق التعامل مع الأرشيفات والمصادر التاريخية. غير أن هذه المرحلة، على الرغم من أهميتها، لم تعرف بعد حضوراً واسعاً للذكاء الاصطناعي، بل كانت مرحلة تمهيدية قامت على الرقمنة واسترجاع المعلومات (Schreibman et al., 2004, p. 1-10)، ومن ثم، فإن الإنسانيات الرقمية مثلت الأرضية التي ستنمو فوقها تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العقود اللاحقة والتي ستصل إلى الخرائط التفاعلية بالأحداث التاريخية والتجول الافتراضي في المواقع التاريخية وغيرها.

3. ظهور التاريخ الخوارزمي (2010–2018)

كان العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين بداية التحول الحقيقي، إذ بدأت تقنيات التعلم الآلي والتعرف الضوئي على الحروف (OCR) وتحليل النصوص الضخمة تدخل إلى العمل التاريخي بصورة متزايدة. وقد سمح ذلك للمؤرخين بمعالجة ملايين الوثائق والصحف والأرشيفات التي كان تحليلها يدوياً أمراً شبه مستحيل. حيث شكلت هذه المرحلة انتقالاً من «التاريخ الرقمي» إلى «التاريخ الخوارزمي»، وأصبحت الخوارزميات تتدخل في اختيار الوثائق وتصنيفها وتحليلها (Milligan, 2019, p. 15–24)، فباختصار بعدما كان الانسان هو من يقرر ما يدخل التاريخ وما يُنسى بناءً على تدويناتهم. وأصبحت الخوارزميات هي التي تدير هذه العملية تلقائياً خلف الكواليس مثل خوارزميات منصات التواصل الاجتماعي، واكتشاف الروابط المخفية بين الشخصيات، بل والتنبؤ بكيفية تطور الصراعات السياسية بناءً على أنماط الماضي. فانتقلنا من عصر "الإنسان يكتب التاريخ" إلى عصر "الخوارزمية تصنع التاريخ، تؤرخه، وتتحكم في كيفية تذكره.

4. الذكاء الاصطناعي التوليدي وبداية التحول الإبستمولوجي (منذ 2022)

يذهب بنجامين شميدت، أحد أبرز المختصين في الإنسانيات الرقمية، إلى أن ظهور النماذج اللغوية الضخمة والذكاء الاصطناعي التوليدي بعد سنة 2022 يمثل نقطة انعطاف إبستمولوجيا، لأن هذه النماذج لم تعد تقتصر على تنظيم البيانات أو استخراج الأنماط، بل أصبحت قادرة على تلخيص النصوص، والمساعدة في الترجمة، واقتراح الفرضيات، وإنتاج سرديات أولية، ويرى شميدت أن الذكاء الاصطناعي بدأ يتحول من أداة تقنية إلى فاعل معرفي يؤثر في إنتاج الخطاب التاريخي نفسه (Schmidt, 2024, p. 4–8).

اختلف الباحثون حول تاريخ ظهور الذكاء الاصطناعي في الدراسات التاريخية فالبعض يعيدها إلى ستينيات القرن العشرين ويربط أصحاب هذا الاتجاه ظهور الذكاء الاصطناعي في التاريخ بالبدايات الأولى للحوسبة التاريخية، معتبرين أن التاريخ الكمي كان النواة الأولى للتحول الرقمي. بينما يرى البعض الآخر أنّ البداية الحقيقية كانت مع الإنسانيات الرقمية هذا الاتجاه أن مرحلة التسعينيات وبداية الألفية الثالثة هي التي هيأت الظروف لظهور الذكاء الاصطناعي، عبر رقمنة المصادر وبناء الأرشيفات الإلكترونية. ويميل إيان

ميلغان إلى اعتبار أن تطبيقات التعلم الآلي بعد 2010 وتحليل البيانات الضخمة هي التي أدخلت الذكاء الاصطناعي فعلاً إلى البحث التاريخي (Milligan, 2019, p. 15-24).

ويذهب بنجامين شميدت إلى أن النماذج التوليدية الكبرى تمثل لحظة تحول نوعي غير مسبوق، لأن الذكاء الاصطناعي لم يعد مجرد وسيلة تقنية، بل أصبح يتدخل في عملية إنتاج المعرفة التاريخية ذاتها (Schmidt, 2024, p. 4-8). من منظور تاريخ العلوم والمعرفة، يصعب الحديث عن ظهور مفاجئ للذكاء الاصطناعي داخل الدراسات التاريخية. فالانتقال من التاريخ الكمي إلى الإنسانيات الرقمية، ثم إلى التعلم الآلي، وأخيراً إلى الذكاء الاصطناعي التوليدي، يكشف عن تطور تراكمي متدرج لا عن قطيعة مطلقة. وعليه، فإن اعتبار سنة 2022 بداية مطلقة يبدو حكماً متسرعاً، لأنه يتجاهل نصف قرن من التراكمات التقنية والمنهجية. وفي المقابل، فإن إرجاع البداية إلى ستينيات القرن العشرين ينطوي على توسع مفهومي قد يخلط بين الحوسبة التاريخية والذكاء الاصطناعي بمعناه الدقيق.

إذا كان المقصود بظهور الذكاء الاصطناعي في الدراسات التاريخية هو مجرد دخول الحاسوب إلى العمل التاريخي، فإن جذوره تمتد إلى ستينيات القرن العشرين. أما إذا كان المقصود هو استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي بالمعنى العلمي الدقيق، فإن العقد الثاني من القرن الحادي والعشرين يمثل البداية الفعلية. غير أن سنة 2022، مع انتشار النماذج التوليدية الكبرى، تشكل في نظر عدد متزايد من الباحثين لحظة التحول الأكثر عمقاً، لأنها دشنت مرحلة جديدة لم يعد فيها الذكاء الاصطناعي مجرد أداة مساعدة للمؤرخ، بل أصبح عنصراً فاعلاً في بناء المعرفة التاريخية وإعادة تشكيل طرائق إنتاجها.

ثالثا: التحيز الخوارزمي وإعادة تشكيل السرديات التاريخية

إنَّ النقاش الدائر اليوم حول توظيف الذكاء الاصطناعي في الكتابة التاريخية لم يعد مقتصراً على الجوانب التقنية المتعلقة بسرعة المعالجة أو توسيع إمكانيات الوصول إلى الأرشيفات، بل انتقل إلى مستوى أكثر تعقيداً يتصل بالطبيعة الإبستمولوجية للمعرفة التاريخية ذاتها. فمع تحول الخوارزميات إلى وسائط معرفية تتدخل في عمليات الفرز والتصنيف والتلخيص وإعادة الصياغة، برزت أسئلة جديدة تتعلق بمدى حياد هذه الأنظمة، وقدرتها على تمثيل التعددية التاريخية، وإمكان تحولها إلى آلية تعيد إنتاج الهيمنة المعرفية السائدة. وهنا تتقاطع إشكالية التحيز الخوارزمي مع مسألة المركزية الغربية والاستعمار المعرفي، بحيث يصبح التساؤل

قائما حول مساهمة الذكاء الاصطناعي في حياد المعرفة التاريخية أم في إعادة إنتاج موازين القوة المعرفية القديمة بأدوات رقمية جديدة.

إنّ الخوارزميات ليست كيانات محايدة، بل هي انعكاس للبيئات الثقافية والمؤسساتية التي أنتجتها. فالأنظمة الذكية لا تبتكر المعرفة من فراغ، وإنما تتعلم من مجموعات بيانات سبق أن تشكلت داخل سياقات اجتماعية وسياسية محددة. ومن ثم، فإن الانحيازات الموجودة في المجتمع تنتقل بصورة غير مباشرة إلى الخوارزميات. وهكذا محركات البحث والأنظمة الخوارزمية تميل إلى إعادة إنتاج التفاوتات الثقافية والعرقية والجندرية القائمة، لأن البيانات المستخدمة في تدريبها تحمل بدورها آثار تلك التفاوتات (Noble, 2018, p. 1-14). ومن هذا المنظور، فإن الذكاء الاصطناعي حين يتعامل مع المادة التاريخية لا يقوم بإنتاج سردية جديدة بالضرورة، بل قد يعيد تدوير الروايات الأكثر حضوراً في مصادر التدريب.

إنّ الإنسانيات الرقمية، على الرغم من خطابها الداعي إلى الانفتاح المعرفي، ظلت لفترة طويلة مرتبطة بالمؤسسات الأكاديمية الغربية الكبرى التي تملك الموارد الرقمية والأرشيفية الضخمة، وهو ما منح الروايات الغربية تفوقاً كمياً داخل البيئة الرقمية. وبذلك، فإن الخوارزمية عندما تتعامل مع ملايين الوثائق المتاحة رقمياً، فإنها تجد نفسها أمام اختلال في التمثيل؛ إذ تصبح المصادر الغربية والأوروبية والأمريكية أكثر حضوراً من مصادر إفريقيا وآسيا والعالم العربي (Gold, 2012, p. 9-16). ولا يتعلق الأمر هنا بانحياز مقصود، بل ببنية غير متوازنة للفضاء المعرفي الرقمي نفسه.

من جهة أخرى فإن التقنيات الرقمية القائمة على تحليل البيانات الضخمة تمنح أفضلية للموضوعات والوثائق ذات الكثافة الإحصائية العالية، وهو ما يجعل التاريخ السائد أكثر قابلية للظهور من تواريخ الهامش. فالخوارزمية تميل إلى إبراز الأنماط الأكثر تكراراً، بينما تصبح الأصوات النادرة أو التجارب المحلية المحدودة أقل ظهورا (Moretti, 2013, p. 47-54). ومن ثم، فإن الذكاء الاصطناعي قد يؤدي، بصورة غير واعية، إلى ترسيخ الخطاب المنتصر، أي ذلك السرد الذي يمتلك وفرة وثائقية ومؤسساتية.

إنّ المعرفة الغربية الحديثة ليست منفصلة عن علاقات القوة الإمبريالية، بل مرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً، بحيث تشكلت صور الشرق والجنوب العالمي وفق تصورات أنتجها المركز الأوروبي (Said, 1979, p. 1-28). وإذا كانت الدراسات الاستشراقية التقليدية قد مارست الهيمنة من خلال الكتابة الأكاديمية، فإن

الذكاء الاصطناعي قد يعيد إنتاج تلك الهيمنة بصورة جديدة، من خلال اعتماده أساساً على قواعد بيانات ومكتبات رقمية أنتجتها الجامعات الغربية ومراكز البحث التابعة لها. إنّ الاستعمار ليس مجرد سيطرة سياسية أو اقتصادية، بل أيضاً هيمنة إبستمولوجية فرضت تصوراً واحداً للمعرفة والتاريخ. وإنّ الاستعمار المعرفي يستمر حتى بعد نهاية الاستعمار العسكري، عبر استمرار سيطرة المركز الغربي على أدوات إنتاج المعرفة. ومن هذا المنطلق، فإن الذكاء الاصطناعي لا ينفصل عن البنية المعرفية التي نشأ داخلها، مما يجعله معرضاً لإعادة إنتاج اللامساواة الإبستمولوجية ذاتها.

وهكذا فإنّ العالم يشهد شكلاً جديداً من الاستعمار، وهو الاستعمار الرقمي، حيث تتحول البيانات إلى مورد استراتيجي تحتكره الشركات الكبرى والدول المتقدمة. والهيمنة فيه لم تعد تقوم على السيطرة على الأرض، وإنما على السيطرة على البيانات والمعرفة. وفي مجال التاريخ، يعني ذلك أن الروايات التي تمتلك حضوراً رقمياً أقوى تصبح أكثر قابلية لأن تتعلمها النماذج الذكية، في حين تبقى تواريخ المجتمعات الأقل رقمنة في هامش الفضاء المعرفي العالمي.

رابعا: الذاكرة الاصطناعية ومستقبل المعرفة التاريخية

يرى بعض الباحثين مثل فإيان ميلغان أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يصبح أداة لتحرير البحث التاريخي من قيود الأرشيف التقليدي، شرط تطوير قواعد بيانات أكثر تنوعاً، وإشراك المجتمعات المهمشة في عملية الرقمنة (Milligan, 2019, p. 179-184). كما يمكن للإنسانيات الرقمية ما بعد الكولونيالية أن تعمل على تحويل التكنولوجيا إلى وسيلة لمقاومة المركزية الغربية، شريطة تفكيك البنى المعرفية المهيمنة وعدم الاكتفاء بنقلها إلى الفضاء الرقمي. تكشف هذه الإشكاليات أن الخطر الحقيقي لا يكمن في الذكاء الاصطناعي باعتباره تقنية محايدة، وإنما في البنية المعرفية التي تغذيه. فالخوارزمية لا تصنع التحيز من العدم، بل تعيد تنظيم تحيزات موجودة سلفاً داخل الأرشيفات الرقمية وأنظمة إنتاج المعرفة. ومن ثم، فإن الحديث عن موضوعية خوارزمية مطلقة يبدو أقرب إلى الوهم المنهجي. فالخوارزمية ليست مؤرخاً فوق التاريخ، بل هي نتاج تاريخي وثقافي بدورها.

إن التحيز الخوارزمي وإعادة إنتاج السرديات المهيمنة، إلى جانب استمرار المركزية الغربية والاستعمار المعرفي، يمثلان أحد أبرز التحديات الإبستمولوجية التي تواجه الكتابة التاريخية في عصر الذكاء الاصطناعي.

فبدلاً من أن يؤدي التطور التقني بالضرورة إلى تعددية سردية أوسع، قد يفضي، إذا تُرك دون مساءلة نقدية، إلى إعادة إنتاج الهيمنة القديمة داخل بنية رقمية جديدة. وعليه، فإن الرهان الحقيقي لا يتمثل في رفض الذكاء الاصطناعي أو تبنيه بصورة غير مشروطة، بل في بناء بيئات معرفية أكثر تعددية، وتوسيع رقمنة الأرشيفات غير الغربية، وإخضاع الخوارزميات نفسها لنقد إبستمولوجي مستمر، حتى لا تتحول الثورة الرقمية إلى شكل جديد من أشكال المركزية المعرفية المقنعة.

خامسا: مستقبل وظيفة المؤرخ بين الإنتاج المعرفي والإشراف النقدي

أدى التطور المتسارع للذكاء الاصطناعي إلى إعادة صياغة العلاقة التقليدية بين الإنسان والأداة التقنية. فإذا كانت الأدوات الكلاسيكية تؤدي وظيفة تنفيذية محضة، فإن الأنظمة الذكية المعاصرة تجاوزت هذه الوظيفة لتصبح طرفاً مشاركاً في عمليات إنتاج المعرفة وتنظيمها وإعادة بنائها. ومن هنا ظهر في الأدبيات الحديثة مفهوم الفاعل المعرفي، وهو مفهوم يثير نقاشاً فلسفياً وإبستمولوجياً واسعاً، خاصة داخل العلوم الإنسانية والتاريخية. وهذا الفاعل المعرفي الجديد. إنّ الثورة الرقمية أوجدت نمطاً جديداً من الفاعلية المعرفية، حيث لم تعد الأنظمة المعلوماتية مجرد وسائط محايدة، بل أصبحت تشارك في عمليات إنتاج المعلومات وتنظيمها وتوجيهها. ولذلك يقترح فلوريدي الانتقال من تصور الإنسان بوصفه المنتج الوحيد للمعرفة إلى تصور أكثر تعقيداً يقوم على التفاعل بين الإنسان والأنظمة الذكية (Floridi, 2014, p. 94–108). ومن هذا المنظور، فإن الذكاء الاصطناعي لا يحل محل الباحث، ولكنه يشارك في صياغة البيئة المعرفية التي يتولد داخلها الفهم التاريخي.

تجاوز الذكاء الاصطناعي مرحلة الأتمتة التقليدية، وأصبح قادراً على إنجاز مهام تتطلب أنماطاً من الاستدلال والتصنيف والتنبؤ، وهي وظائف كانت تُعد سابقاً جزءاً من النشاط الذهني البشري. وتظهر هذه الفاعلية المعرفية في عدة مستويات: اقتراح العلاقات بين الوثائق، التعرف على الأنماط داخل البيانات الضخمة، استخراج الأسماء والأماكن والأحداث، تلخيص النصوص، ترجمة الوثائق التاريخية، اقتراح فرضيات أولية للباحث. وهذا ما يجعل الذكاء الاصطناعي مشاركاً في عملية بناء المعرفة، وليس مجرد آلة للنسخ أو الحفظ. وانطلاقا من هذا يمكن القول أنّ الباحثين في التاريخ غير متفقين على الاعتماد على كلّ هذه المستويات بل ومنهم من يعتبر إشراك الذكاء الاصطناعي فيها إخلال لأخلاقيات البحث.

إنّ وفرة الأرشيفات الرقمية أدت إلى تحول وظيفة المؤرخ، إذ أصبح من المتعذر التعامل مع ملايين الوثائق بالوسائل التقليدية. ومن ثم، أصبحت الخوارزميات تؤدي دوراً معرفياً من خلال: فرز الوثائق، تنظيم الأرشيفات، تحليل النصوص الضخمة، اكتشاف الأنماط الزمنية. وهكذا تحول الذكاء الاصطناعي من مساعد تقني إلى شريك معرفي. ومن أهم التطبيقات المستخدمة في البحث التاريخي Transkribus الذي يعد من أشهر المشاريع الأوروبية، وقد شاركت جامعات ومؤسسات ألمانية في تطويره واستخدامه على نطاق واسع. ويهدف البرنامج إلى قراءة المخطوطات والوثائق التاريخية المكتوبة بخط اليد باستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي حيث يقوم الباحث بإدخال صورة المخطوطة، فيتعرف البرنامج تلقائياً على الكتابة القديمة ويحولها إلى نص رقمي قابل للبحث. وقد أحدث هذا البرنامج ثورة حقيقية في التعامل مع الأرشيفات الأوروبية (Mühlberger et al., 2019, p. 954-976).

يعد مشروع OCR-D أحد المشاريع التي تمولها مؤسسة الأبحاث الألمانية DFG، ويهدف إلى تحسين التعرف الضوئي على النصوص التاريخية المطبوعة حيث يحول الصور القديمة للكتب والصحف إلى نصوص رقمية يمكن البحث داخلها بسهولة، مما يسمح للمؤرخ بمعالجة آلاف الصفحات خلال وقت قصير (Reul et al., 2019, p. 53-58). وRecogito الذي يسمح بتحديد الأماكن والأسماء الموجودة داخل الوثائق التاريخية وربطها بالخرائط الحديثة، مما يساعد المؤرخ على دراسة التحولات المكانية عبر الزمن. ورغم أنه مشروع دولي، فإن عدداً من المراكز الألمانية يوظفه في مشاريع التاريخ الرقمي. وكذا DARIAH-DE يعد من أهم مشاريع الإنسانيات الرقمية في ألمانيا. يوفر بيئة متكاملة للباحثين في التاريخ والعلوم الإنسانية، تتضمن أدوات للتحليل النصي، وإدارة البيانات، والأرشفة الرقمية. بالإضافة إلى النماذج اللغوية الكبرى.

يتجه بعض المؤرخين إلى أنّ الذكاء الاصطناعي مجرد وسيط تقني متطور رافضين اعتبار الآلة كياناً معرفياً مستقلاً، لأن إنتاج المعنى والوعي يظلان خاصيتين إنسانيتين ويرى سيرل أن الحاسوب يعالج الرموز دون أن يفهم دلالاتها. ويكشف الجدل القائم أن مفهوم الفاعل المعرفي لا يعني بالضرورة امتلاك الذكاء الاصطناعي وعياً ذاتياً أو قدرة مستقلة على الفهم، بل يشير إلى دوره المتزايد في تشكيل البيئة التي تنتج داخلها المعرفة التاريخية. فالذكاء الاصطناعي لا يكتب التاريخ بمعناه الفلسفي العميق، لأنه يفتقد الوعي

الزمني والحس النقدي والخبرة الإنسانية، لكنه يشارك بصورة متنامية في انتقاء المادة التاريخية، وترتيبها، وتحديد العلاقات بينها، وهي عمليات كانت تشكل جزءاً أساسياً من عمل المؤرخ (Searle, 1984, p. 28-41).

وهكذا فإن الذكاء الاصطناعي يمثل فاعلاً معرفياً جديداً لا لأنه يمتلك وعياً تاريخياً أو قدرة تأويلية مستقلة، وإنما لأنه أصبح شريكاً في إنتاج المعرفة وتنظيمها وإعادة تشكيلها. فالمؤرخ المعاصر لم يعد يعمل منفرداً كما كان الحال في القرن التاسع عشر، بل أصبح يتحرك داخل بيئة معرفية هجينة تتداخل فيها الخبرة البشرية مع الخوارزميات الذكية. أما التطبيقات، مثل Transkribus وOCR-D وDARIAH-DE، فقد أسهمت في تحويل البحث التاريخي من الاعتماد الحصري على القراءة اليدوية للأرشيف إلى فضاء رقمي واسع، أصبحت فيه الآلة قادرة على تسريع عمليات التحليل والكشف والتصنيف، دون أن تنتزع من المؤرخ وظيفته الأساسية بوصفه منتجاً للمعنى وحارساً نقدياً للمعرفة التاريخية.

يرى مارك بلوخ أن وظيفة المؤرخ لا تتمثل في تجميع الوقائع فحسب، وإنما في مساءلتها وفهمها وتأويلها داخل سياقها الزمني والاجتماعي. فالمعرفة التاريخية ليست انعكاساً ميكانيكياً للماضي، وإنما بناء عقلي مركب يخضع لأسئلة الحاضر وأدوات الباحث. ويؤكد بلوخ أن الوثيقة لا تتكلم من تلقاء نفسها، بل تحتاج إلى مؤرخ يوجه إليها الأسئلة المناسبة ومن هذا المنطلق، فإن جوهر العمل التاريخي لا يكمن في جمع المعلومات، وإنما في إنتاج المعنى (Bloch, 1953, p. 48-55).

ومايجدر الإشارة إليه أنّ الثورة الرقمية غيرت طبيعة البحث التاريخي بصورة جذرية. فوفرة البيانات والأرشيفات الرقمية جعلت المؤرخ ينتقل من مشكلة ندرة المصادر إلى مشكلة فائضها. وأصبح التحدي لا يتمثل في العثور على الوثيقة، بل في القدرة على فرز ملايين الوثائق وتحليلها. وفي هذا السياق، غدا الذكاء الاصطناعي أداة قادرة على تسريع عمليات التصنيف والتحليل، وهو ما أدى إلى إعادة توزيع المهام بين الإنسان والآلة. وإن التطور المتسارع للخوارزميات قد يؤدي إلى انتقال جزء متزايد من الوظائف المعرفية إلى الآلات. فالمؤرخ لا يكتفي بالوصف، بل يشتغل على بناء العلاقات السببية وإدراك السياقات وتفسير الدلالات الرمزية. وينتقل دور المؤرّخ من المنتج الوحيد للمعرفة إلى دور المشرف النقدي عليها. فمع تزايد اعتماد الباحثين على الأدوات الرقمية، أصبحت الحاجة أكبر إلى من يمتلك القدرة على تقييم المصادر،

واختبار صدقيتها، وكشف الانحيازات الكامنة فيها. وبالتالي، فإن المؤرخ لا يفقد مكانته، وإنما تتغير طبيعة سلطته المعرفية.

كما أن الكتابة التاريخية ليست إعادة إنتاج للماضي، بل هي عملية تركيب معرفي تخضع لأسئلة المؤرخ واختياراته. ومن هنا، فإن قدرة الذكاء الاصطناعي على إنتاج النصوص لا تعني امتلاكه وعياً تاريخياً، لأن المشكلة الأساسية ليست في صياغة الأجوبة، بل في بناء الأسئلة ذاتها. وهذه المهمة تظل مرتبطة بالوعي التاريخي الإنساني. ويرى بعض الباحثين أن الذكاء الاصطناعي قد يؤدي تدريجياً إلى تقليص دور المؤرخ، خاصة في الأعمال الوصفية والتركيبية. ويستند هذا التصور إلى تنامي قدرات النماذج اللغوية الكبرى. ومن جهة أخرى يذهب دانيال كوهين إلى أن التكنولوجيا الرقمية لم تؤد تاريخياً إلى إلغاء دور المؤرخ، بل وسعت من إمكانياته البحثية وفتحت أمامه مجالات جديدة (Cohen & Rosenzweig, 2006, p. 7–13). بينما يرى إيان ميلغان، أن مستقبل المؤرخ لن يكون قائماً على المنافسة مع الآلة، وإنما على التكامل معها. فالمؤرخ سيظل المسؤول عن اختيار الإشكاليات وبناء التأويلات، في حين ستتولى الخوارزميات الأعمال الروتينية واسعة النطاق (Milligan, 2019, p. 181–184). وهذا موقف وسط بين الموفقين المذكرين أعلاه.

وإذا كانت المدرسة الوضعية في القرن التاسع عشر قد منحت المؤرخ سلطة احتكار الوثيقة، فإن عصر الذكاء الاصطناعي يفرض تحولاً جديداً، حيث تصبح السلطة الحقيقية للمؤرخ كما سبق ذكره كامنة في مراقبة شروط إنتاج المعرفة، وتحليل انحيازات الخوارزميات، وفحص طبيعة البيانات التي تتغذى عليها الأنظمة الذكية. وفي هذا السياق، تصبح مهمة المؤرخ أقرب إلى وظيفة الوصي الإبستمولوجي الذي يمارس نقداً مزدوجاً: نقد الوثيقة التقليدية من جهة، ونقد الخوارزمية ذاتها من جهة أخرى. وإن الفرضية القائلة بأن الذكاء الاصطناعي سيؤدي إلى نهاية المؤرخ تنطلق، في جوهرها، من تصور اختزالي يعتبر أن وظيفة المؤرخ تتمثل في إنتاج النصوص أو تجميع المعلومات.

غير أن تاريخ الفكر التاريخي، منذ مارك بلوخ ولوسيان فيفر وصولاً إلى ميشيل دو سارتو وبول ريكور، يكشف أن الكتابة التاريخية ليست عملية تجميع ميكانيكي للوقائع، بل نشاط تأويلي معقد يتداخل فيه الوعي الزمني والأسئلة النظرية والخيال المنهجي. ومن ثم، فإن الآلة تستطيع أن تساعد المؤرخ، وأن تسرع

بعض مراحل العمل، لكنها لا تستطيع أن تحل محله في بناء المعنى التاريخي، لأن المعنى نفسه ليس معطى جاهزاً داخل الوثائق، بل هو نتاج فعل تأويلي إنساني. وبعبارة أخرى، فإن مستقبل المؤرخ لا يكمن في التراجع أمام الذكاء الاصطناعي، بل يشير إلى ميلاد صورة جديدة له، أكثر تعقيداً واتساعاً مما عرفته الممارسة التاريخية في الأزمنة السابقة.

أمّا في الحديث عن الرهانات المنهجية فبعد أن سبق ذكر الانتقال من ندرة المصادر إلى فائضها وصعوبة فرز ملايين الوثائق المتاحة رقمياً, يمكن القول أنّ التحول من القراءة القريبة إلى القراءة البعيدة يقوم على دراسة مجموعات ضخمة من النصوص بدلاً من تحليل وثائق منفردة هو الآخر. قد فتح آفاقاً جديدة أمام الدراسات التاريخية، لكنها في الوقت نفسه أثارت مخاوف تتعلق بفقدان التفاصيل الدقيقة التي طالما شكلت جوهر البحث التاريخي. ومن ثم، فإن الرهان المنهجي لا يتمثل في استبدال القراءة التقليدية، وإنما في تحقيق نوع من التكامل بين التحليل الكيفي والقراءة الخوارزمية واسعة النطاق.

ضف إلى ذلك أزمة نقد المصادر التي تمثل جوهر البحث التاريخي. غير أن الذكاء الاصطناعي يضيف طبقة جديدة من التعقيد. فلم يعد المؤرخ مطالباً بنقد الوثيقة فقط، بل أصبح مطالباً أيضاً بنقد الخوارزمية التي قامت بفرز الوثيقة وتصنيفها. وهكذا نشأ ما يمكن تسميته بالنقد الخوارزمي للمصادر فالخوارزميات ليست محايدة، بل تعكس أنماط الهيمنة الموجودة في المجتمعات التي أنتجتها.

الخاتمة

وفي الختام وقد توصلنا في النهاية إلى أن الذكاء الاصطناعي لا يمثل مجرد أداة تقنية مساعدة، بل فاعلاً معرفياً جديداً يعيد صياغة شروط إنتاج المعرفة التاريخية وتشكيل بنية الخطاب التاريخي، ويؤثر في بناء السرديات والذاكرة الجماعية. ورغم ما تتيحه الذاكرة الاصطناعية من إمكانات غير مسبوقة، فإن التحيزات الخوارزمية وإشكالات الموضوعية تفرض ضرورة إعادة تعريف وظيفة المؤرخ، الذي لن يختفي، وإنما ستتحول مهمته من منتج وحيد للمعرفة إلى فاعل نقدي ومشرف إبستمولوجي وأخلاقي على إنتاجها، بما يضمن الحفاظ على الطابع الإنساني والنقدي للتاريخ. وهكذا سيظل المؤرخ محور العملية التاريخية، غير أن وظيفته ستتحول من منتج مباشر للمعرفة إلى ناقد وموجه للأنظمة الذكية.

تكشف الرهانات الإبستمولوجية والمنهجية والأخلاقية للكتابة التاريخية في عصر الذكاء الاصطناعي أن القضية المطروحة ليست قضية تقنية، بل مسألة تتصل بمستقبل المعرفة التاريخية ذاتها. فالتحدي الحقيقي لا يكمن في قدرة الآلة على إنتاج النصوص، وإنما في الحفاظ على شروط الصرامة النقدية، وضمان التعددية السردية، وحماية استقلالية المؤرخ، وإخضاع الخوارزميات نفسها للمساءلة الإبستمولوجية والأخلاقية. ومن ثم، فإن الذكاء الاصطناعي لا يمثل نهاية للكتابة التاريخية، بقدر ما يفرض إعادة تأسيسها على أسس جديدة، يصبح فيها المؤرخ ليس مجرد جامع للوثائق أو كاتب للسرديات، بل حارساً نقدياً للمعرفة، ومراقباً لشروط إنتاجها، وفاعلاً إبستمولوجياً مسؤولاً عن ضمان ألا تتحول الثورة الرقمية إلى سلطة معرفية جديدة تعيد إنتاج أشكال الهيمنة القديمة بلغة خوارزمية معاصرة.

قائمة المصادر والمراجع

1. Bloch, M. (1953). The historian's craft. Vintage Books.
2. Buchanan, B. G. (2005). A (very) brief history of artificial intelligence. AI Magazine, 26(4)
3. Cohen, D. J., & Rosenzweig, R. (2006). Digital history: A guide to gathering, preserving, and presenting the past on the web. University of Pennsylvania Press.
4. Floridi, L. (2014). The fourth revolution: How the infosphere is reshaping human reality. Oxford University Press.
5. Gold, M. K. (Ed.). (2012). Debates in the digital humanities. University of Minnesota Press.
6. McCorduck, P. (2004). Machines who think: A personal inquiry into the history and prospects of artificial intelligence. A. K. Peters.
7. Milligan, I. (2019). History in the age of abundance? How the web is transforming historical research. McGill-Queen's University Press.
8. Moretti, F. (2013). Distant reading. Verso.
9. Mühlberger, G. (2019). Transforming scholarship in the archives through handwritten text recognition. Journal of Documentation, 75(5),
10. Nilsson, N. J. (2010). The quest for artificial intelligence. Cambridge University Press.
11. Noble, S. U. (2018). Algorithms of oppression: How search engines reinforce racism. New York University Press.

12. Reul, C., Christ. (2019). OCR-D: An end-to-end open source OCR framework. Proceedings of the 2019 ACM Symposium on Document Engineering, Article 10.
13. Rich, E., & Knight, K. (1991). Artificial intelligence. McGraw-Hill.
14. Russell, S., & Norvig, P. (2021). Artificial intelligence: A modern approach (4th ed.). Pearson.
15. Said, E. W. (1979). Orientalism. Vintage Books.
16. Schmidt, B. (2024). Histories of generative AI. Critical AI, 1(1), 1–20.
17. Schreibman, S., Siemens, R., & Unsworth, J. (Eds.). (2004). A companion to digital humanities. Blackwell Publishing.

The Role of Integrating Information Technology and Knowledge Management in the Context of Digital Transformation and Its Impact on Improving Public Service Quality: An Analytical Study of the Algerian Experience

Dr. TRAORE Mohammed[1]
University of Abou Bekr Belkaid – Tlemcen
mohammed.traore@univ-tlemcen.dz
Dr. SAIM Mostefa [2]
University of Abou Bekr Belkaid – Tlemcen
mostefa.saim@univ-tlemcen.dz
Pr. BOUKNADIL Mohammed[3]
University of Abou Bekr Belkaid – Tlemcen
mohammed.bouknadil@univ-tlemcen.dz
Dr. Ilhem Benaissa [4]
University of Abou Bekr Belkaid – Tlemcen
ilhem.benaissa@univ-tlemcen.dz

Abstract:

This study examines the impact of integrating information and communication technology (ICT) and knowledge management on the quality of public services in Algerian public services. The study uses a descriptive-analytical approach to review the relationship between digital transformation, ICT, knowledge management, and public service quality. The results indicate that ICT contributes in accelerating procedures, facilitating access to information, improving efficiency and transparency. Knowledge management with ICT can support the creation, sharing, and use of organizational knowledge for better decision-making and performance. Empirical Algerian studies generally highlight advantages of these practices for service quality in many public institutions. The study concludes that their effective integration needs appropriate technological infrastructure, developed information systems, digital skills, and an organizational culture supportive of digital transformation

.**Keywords:** Digital Transformation; ICT; Knowledge Management; Public Services Quality; Algeria.

الكتاب وقائع الملتقى الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ●09-10-2026/07/11

دور التكامل بين تكنولوجيا المعلومات وإدارة المعرفة في ظل التحول الرقمي وأثره في تحسين جودة الخدمات العمومية دراسة تحليلية للتجربة الجزائرية

محمد طراوري[1]

جامعة تلمسان، الجزائر

mohammed.traore@univ-tlemcen.dz

مصطفى صايم[2]

جامعة تلمسان، الجزائر

mostefa.saim@univ-tlemcen.dz

محمد بوقناديل[3]

جامعة تلمسان، الجزائر

mohammed.bouknadil@univ-tlemcen.dz

بن عيسى إلهام[4]

جامعة تلمسان، الجزائر

ilhem.benaissa@univ-tlemcen.dz

ملخص:

تدرس هذه الورقة أثر دمج تكنولوجيا المعلومات والاتصالات (ICT) وإدارة المعرفة على جودة الخدمات في المؤسسات العمومية الجزائرية. وتعتمد الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لاستعراض العلاقة بين التحول الرقمي، وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، وإدارة المعرفة، وجودة الخدمات العمومية. وتشير النتائج إلى أن تكنولوجيا المعلومات والاتصالات تساهم في تسريع الإجراءات، وتسهيل الوصول إلى المعلومات، وتعزيز الكفاءة والشفافية. كما يمكن لإدارة المعرفة، مقترنة بتكنولوجيا المعلومات والاتصالات، أن تدعم عمليات توليد المعرفة المؤسسية ومشاركتها واستخدامها، مما يؤدي إلى تحسين اتخاذ القرار والأداء. وتسلط الدراسات الميدانية الجزائرية الضوء بشكل عام على مزايا هذه الممارسات فيما يتعلق بجودة الخدمات في العديد من المؤسسات العمومية. وتخلص الدراسة إلى أن الدمج الفعال لهذه العناصر يتطلب بنية تحتية تكنولوجية ملائمة، ونظم معلومات متطورة، ومهارات رقمية، وثقافة مؤسسية داعمة للتحول الرقمي.

الكلمات المفتاحية: التحول الرقمي، تكنولوجيا المعلومات والاتصالات، إدارة المعرفة، جودة الخدمات العمومية، الجزائر.

كتاب وقائع الملتقى الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار ● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ●09-10-2026/07/11

مقدمة:

في ظل التحولات المتسارعة في العالم المعاصر، أصبحت تكنولوجيا المعلومات وإدارة المعرفة من المتطلبات الأساسية التي تركز عليها المؤسسات الحديثة في تطوير أدائها وتحسين قدرتها على التكيف مع المتغيرات البيئية والتنظيمية. فبعد تكنولوجيا المعلومات لا يقتصر على مجرد توفير الحواسيب والبرمجيات وقواعد البيانات، بل يشمل مختلف الوسائل الرقمية التي تتيح جمع المعلومات ومعالجتها وتخزينها وتبادلها بسرعة ودقة، لتدعيم العمليات الإدارية واتخاذ القرار. أما إدارة المعرفة فتمثل منهجًا تنظيميًا يهدف إلى استثمار المعارف والخبرات المتاحة داخل المؤسسة وتوظيفها بالشكل الذي يحسن من الكفاءة والفعالية في المؤسسة. كما تسعى المؤسسات العمومية إلى تعزيز جودة الخدمات العمومية، نظرًا لارتباطها المباشر برضا المواطنين وتحقيق المنفعة العامة. فالجودة في هذا المجال لا تُقاس فقط بسرعة تقديم الخدمة، بل تشمل أيضًا دقتها، وشفافيتها، وسهولة الوصول إليها، واستجابتها لحاجات المجتمع وتوقعاته. كما أن ترقية جودة الخدمات العمومية أصبحت ضرورة ملحة في ظل تزايد تطلعات المواطنين إلى خدمات أكثر كفاءة ومرونة وعدالة، وهو ما يفرض على المؤسسات العمومية تبني أساليب حديثة في التسيير ترتكز على الأداء والجودة والتحسين المستمر.

وترتبط تكنولوجيا المعلومات وإدارة المعرفة مع جودة الخدمات العمومية علاقة وثيقة، إذ تمثل تكنولوجيا المعلومات البنية التحتية والأداة الداعمة لتجميع المعرفة وتخزينها وتداولها داخل المؤسسة، بينما تعد إدارة المعرفة الإطار المنهجي الذي يضمن الاستفادة من هذه التكنولوجيا في تحويل المعلومات إلى معرفة قابلة للاستخدام والتوظيف في حل المشكلات وتحسين الأداء. ومن ثم، فإن الجمع بين هذين العنصرين يؤثر بشكل مناسب على جودة الخدمات العمومية، من خلال تسريع الإجراءات، وتسهيل تداول المعلومات، وتحسين التنسيق بين المصالح، ورفع كفاءة العاملين، بما يساهم في تقديم خدمات أكثر فعالية واستجابة لاحتياجات المستفيدين.

وفي السياق الجزائري، تواجه المؤسسات العمومية تحديات متزايدة تتعلق بضرورة تحسين جودة خدماتها ومواكبة متطلبات العصر الرقمي، خاصة في ظل ارتفاع حجم المعاملات الإدارية. لهذا يمثل تبني تكنولوجيا المعلومات والرقمنة خيارًا أمثل للمؤسسات العمومية الجزائرية، لتبسيط الإجراءات، وتقليص مشكل

البيروقراطية، وتحسين انسياب المعلومات، وتحسين كفاءة الموظفين والأجهزة التنظيمية. ومن هذا المنطلق يمكن صياغة الإشكالية الرئيسية لهذا البحث على النحو التالي:

ماهي علاقة التكامل بين تكنولوجيا المعلومات والاتصال وإدارة المعرفة مع جودة الخدمات بالمؤسسات العمومية الجزائرية؟

أهمية البحث:

تظهر أهمية هذا الموضوع في كونه يتناول قضية مهمة تتعلق بتحسين جودة الخدمات العمومية المقدمة للمواطن، من خلال دراسة دور تكنولوجيا المعلومات وإدارة المعرفة في تطوير أداء المؤسسات العمومية الجزائرية. كما لا تقتصر أهمية الدراسة على الجانب النظري فقط، بل تساعد صناع القرار على فهم أهمية الرقمنة وتطوير نظم المعلومات وتبني ممارسات إدارة المعرفة من أجل تحسين الخدمة العمومية. لذلك، تكمن أهمية الموضوع في مساهمته في دعم الدراسات المرتبطة بتحديث الإدارة العمومية وتطوير أدائها.

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وذلك من خلال الجمع بين الجانب النظري والجانب التطبيقي. فقد تم توظيف هذا المنهج من أجل عرض المفاهيم الأساسية المرتبطة بأبعاد الدراسة وتحليلها، ثم الاستفادة من بعض الدراسات السابقة لتفسير واقع استخدام تكنولوجيا المعلومات وأثرها في تحسين جودة الخدمات العمومية في بعض المؤسسات العمومية الجزائرية.

ففي الجانب النظري، سيتم التطرق إلى ثلاثة عناصر رئيسية. العنصر الأول يعالج التكامل بين تكنولوجيا المعلومات والاتصال وإدارة المعرفة، من خلال عرض المفاهيم الأساسية المرتبطة بهما، وأهميتهما، ومكوناتهما، ودورهما في تطوير أداء المؤسسات. ويخصص العنصر الثاني لدراسة التحول الرقمي وجودة الخدمات العمومية، في حين يركز العنصر الثالث على إبراز أثر التكامل بين تكنولوجيا المعلومات والاتصال وإدارة المعرفة في تحسين جودة الخدمات العمومية، وذلك من خلال توضيح مساهمتها في رفع كفاءة الأداء وتحسين مستوى الخدمة المقدمة للمواطن.

أما الجانب التطبيقي، فيعتمد على عرض وتحليل مجموعة من الدراسات السابقة التي تناولت موضوع تكنولوجيا المعلومات وإدارة المعرفة وجودة الخدمات في سياقات مختلفة بالإسقاط على واقع المؤسسات

العمومية الجزائرية. حيث سيتم الاستفادة من دراسات تخص قطاعات عمومية متنوعة، مثل القطاع الصحي، وقطاع الاتصالات، وقطاع التأمين، وغيرها من القطاعات التي يمكن أن تعكس واقع توظيف تكنولوجيا المعلومات في تحسين جودة الخدمات العمومية.

أولا: التكامل بين تكنولوجيا المعلومات والاتصال وإدارة المعرفة

1 الخدمات العمومية:

تعد الخدمات العمومية (Public Services) إحدى الوظائف الأساسية للدولة الحديثة، إذ تمثل الأداة الرئيسة التي تعتمد عليها الحكومات لتلبية الاحتياجات الجماعية للمواطنين وتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية وتعزيز العدالة الاجتماعية. لقد تطور مفهوم الخدمات العمومية بصورة ملحوظة عبر الزمن متأثرا بالتغيرات الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية، حيث انتقل من المفهوم التقليدي القائم على احتكار الدولة لتقديم الخدمات الأساسية إلى مفهوم أكثر شمولا يرتكز على الجودة والكفاءة والابتكار وإشراك مختلف الفاعلين في عملية تقديم الخدمات (Osborne, 2010).يعد Léon Duguit من أوائل الباحثين الذين أسهموا في تأصيل مفهوم الخدمة العمومية، حيث اعتبرها كل نشاط تمارسه الدولة أو الهيئات العامة بهدف تحقيق المصلحة العامة، حيث يؤكد أن شرعية السلطة العامة تستمد أساسا من قدرتها على ضمان استمرارية هذه الخدمات وإتاحتها للمواطنين بصورة منتظمة. يرى أيضا Gaston Jèze أن الخدمة العمومية هي نشاط تنظمه أو تديره السلطات العامة لإشباع الحاجات الجماعية التي لا يستطيع القطاع الخاص توفيرها بالكفاءة أو العدالة المطلوبة، وهذا ما يبرز البعد الاجتماعي والقانوني للخدمات العمومية. مع التحولات التي شهدها القطاع العام خلال العقود الأخيرة، لم يعد مفهوم الخدمات العمومية يقتصر على تقديم الخدمات الأساسية، بل أصبح يرتبط بمدى قدرة المؤسسات الحكومية على خلق قيمة عامة (Public Value) مع تحقيق رضا المواطنين والاستجابة لاحتياجاتهم المتغيرة. إن الهدف الأساسي للإدارة العامة الحديثة لم يعد مجرد إدارة الموارد أو توجيه المواطنين وإنما خدمتهم باعتبارهم شركاء في عملية التنمية، وهو ما انعكس على طبيعة الخدمات العمومية وأساليب تقديمها (Denhardt & Denhardt, 2015).

إن الخدمة العمومية لا يشترط أن تقدمها الدولة أو مؤسسة مملوكة لها، وإنما يمكن أن تقدمها أيضا منظمات مستقلة أو تطوعية أو غير ربحية ما دام نشاطها موجها لخدمة الجمهور. إن تحديد الخدمة العمومية لا يعتمد فقط على طبيعة النشاط وإنما على العلاقة بين النشاط والجمهور المستفيد منه. لذلك يمكن أن تشمل الخدمات العمومية التعليم والصحة والشرطة والإسكان والنقل والاتصالات والمياه وغيرها، حتى وإن كان بعضها يمكن أن يقدم أيضا من طرف القطاع التجاري. للخدمات العمومية أربع خصائص أساسية بحيث أنها تنشأ استنادا إلى أهداف السياسة العامة وليس فقط استجابة لتفضيلات المستهلكين أو آليات السوق، كما أنها تقدم خدمات مباشرة للجمهور ضف إلى ذلك أنها ذات طبيعة توزيعية أو إعادة توزيعية، بحيث لا يكون بالضرورة الشخص الذي يدفع تكلفة الخدمة هو نفسه الشخص الذي يستفيد منها، وأخيرا أنها تقوم على علاقة ثقة بينم قدم الخدمة والمجتمع، ولذلك لا يمكن تقييمها بالمعايير نفسها التي تستخدمه المؤسسات التجارية الهادفة إلى الربح. إن العدالة والشمولية عنصران مهمان في الخدمات العمومية، فهي يفترض أن تقدم لمجموع السكان وفق أهداف اجتماعية محددة وليس فقط لمن يستطيع الدفع أو لمن يمثل طلبه الاقتصادي قيمة تجارية (Spicker, 2009).

تعرف الخدمة العمومية على أنها كل وظيفة يكون أداؤها مضمونا ومراقبا ومضبوطا من طرف الحاكمين لأن تأدية هذه الوظيفة يعد أمرا ضروريا لتحقيق وتنمية الترابط الاجتماعي. كما تعبّر الخدمة العمومية عن الحاجات الضرورية لحفظ الإنسان وتأمين رفاهيته والتي يجب توفيرها لغالبية المواطنين. يوحي مصطلح الخدمة العمومية لتلك الرابطة التي تجمع بين الإدارة العامة الحكومية والمواطنين على مستوى تلبية الرغبات وإشباع الحاجات المختلفة للأفراد من طرف الجهات الإدارية والمنظمات العامة، بحيث يمكن اعتبار الخدمة التي تقدمها المنظمات الحكومية والعامة على أنها تمثل عمليات ذات طابع تكاملي تنطوي على مدخلات وتشغيل ومخرجات (ميساوي وآخرون، 2020، ص 424). الخدمات العمومية هي الخدمات التي يتم توفيرها للجمهور لمعالجة المشاكل أو المشكلات الاجتماعية أو الاقتصادية، سواء كانت مقدمة من قبل القطاع العام أو الخاص أو القطاع الثالث (غير الربحي)، وكذلك كل حالة يكون فيها المواطنون والشركات والبعض الآخر على اتصال بالإدارة ويحدث شكل

من أشكال تبادل المعلومات أو التمويل. يسلط LindgrenandJansson الضوء على ثلاث طرق تختلف فيها الخدمات العامة عن الخدمات التجارية، حيث إن العملاء الذين يجب أن يتم خدمتهم بشكل مباشر أو غير مباشر بطرق تضمن المصلحة العامة وبالتالي الجماعية؛ العملاء الذين يعتمدون على عدد محدود من الموردين ويمكن إجبارهم على الاستفادة من خدمة عامة مثل دفع الضرائب دون أي وسيلة للخروج؛ والعملاء من المواطنين بدلا من العملاء، لذلك يجب ضمان وصولهم إلى خدمات المنظمة والحقوق الأخرى. بناء على هذه الاختلافات يناقش الباحثون ما إذا كانت المفاهيم التي تنبثق من أدبيات إدارة الخدمة يمكن تطبيقها على المنظمات العامة. يحدد Osborne عملية تقديم الخدمات العامة وخلق القيمة التي تشمل مرحلة الإعداد المؤسسي (مثل السياق المجتمعي والسياسة العامة وما قبل الإنتاج)، ومرحلة سن الخدمة (مثل تصميم الخدمة، والتصميم المشترك، والإنتاج، والإنتاج المشترك)، ومرحلة الاستخدام والاستهلاك (مثل الخبرة المشتركة والبناء المشترك) (Pawlowski & Scholta, 2022, p 02). كما يمكن تعريف الخدمة العمومية على أنها جميع أنواع الخدمات التي من غير الممكن استغلالها إلا في إطار جماعي تتوفر بشكل إجباري وفق قاعدة المساواة والتي ينص عليها القانون ويكون من الضروري استغلالها بمعزل عن قواعد السوق تتحمل الدولة مسؤولية توفيرها والقيام بها من حيث أدائها أو مراقبتها. وهي كذلك مجموعة الخدمات العامة الموجهة للأفراد للاستعمال الشخصي وعادة تتطلب هذه الخدمات اتصالا مباشرا وإجرائيا يشير مفهوم الخدمة العمومية إلى تلك العملية التي تقوم بها الهيئات العمومية من خلال توفير الخدمات للمواطنين على أساس العلاقة التي تربطهم بها وذلك بغرض تلبية حاجات ذات منفعة عامة (بوخالفة & أبيش، 2021، ص 546). نظرا لأن الخدمات العمومية الاستباقية (Proactive public services) يمكن اعتبارها الخطوة التالية في تطوير الحكومة الرقمية، فإنها تستند عادة إلى الخدمات العامة الرقمية. يعرف Rowley الخدمات الرقمية بأنها الخدمات التي يتم تقديمها عبر تكنولوجيا المعلومات والاتصال. من خلال إضافة تكنولوجيا المعلومات إلى الخدمات العمومية، تؤثر الرقمنة على المجتمع العام، وتغيير شكل الاتصال والإعداد والجهات الفاعلة المشاركة وبدء اللقاء بين العميل، والموظف العام، ومدته، ونطاقه. يمكن للتكنولوجيا أن تحل محل الموظفين العموميين أو على الأقل تقلل من أهميتهم إلى حد كبير

وبالتالي، يمكن القول إن التكنولوجيا تمهد الطريق للاستباقية (Pawlowski & Scholta, 2022, p 02).

2 تكنولوجيا المعلومات والاتصال ورقمنة الخدمات العمومية

فرض التطور التكنولوجي الذي حصل على مستوى مختلف تكنولوجيات الإعلام والاتصال على جميع الدول التحول التدريجي من النمط التقليدي للخدمات العمومية إلى نمط الخدمات العمومية الإلكترونية (Electronic public services) بهدف تحسين نوعية الخدمات العمومية المقدمة للجمهور وتحقيق فعالية أكثر وقد حرصت الدول على مواكبة هذه التطورات الحديثة للارتقاء بخدماتها العمومية إلى مستويات من أجل إرضاء المواطن وعلى إثرها يتم تحقيق فعالية ورشاد في العمل الإداري، وفي هذا الشأن بدلت الدول مجهودات معتبرة من أجل إصلاح الإدارة بمستوياتها المركزية والمحلية من خلال تبني استراتيجية الإصلاح الإداري بهدف التحول من النمط التقليدي للإدارة إلى النمط الإلكتروني الرقمي وذلك من أجل تفادي العيوب البيروقراطية التي تغلب على الإدارة التقليدية والتركيز أساسا إلى إعادة تأهيل المرافق العمومية الإدارية (بلحربي، 2022، ص 244). لقد أصبح التحول إلى الإدارة الإلكترونية (Electonicmanagement) ليس دربا من دروب الرفاهية وإنما حتمية تفرضها التغيرات العالمية، ففكرة التكامل والمشاركة وتوظيف المعلومات أصبحت أحد محددات النجاح لأي منظمة، وقد فرض التطور العلمي والتقني والمطالبة المستمرة برفع جودة المخرجات وضمان سلامة العمليات كلها من الأمور التي دعت إلى التطور الإداري نحو الإدارة الإلكترونية، حيث يمثل عامل الوقت أحد أهم مجالات التنافسية بين المنظمات (زروقي، 2016، ص 241). تعيش المجتمعات البشرية عصر المعلومات والسرعة الآن بسبب تكنولوجيا المعلومات وانفجار المعرفة بسبب شبكات الاتصال الحديثة، إنه عالم المعرفة والتكنولوجيا وما نراه من إنجازات علمية وعملية في مختلف جوانب الحياة يكون أحد الأسباب الرئيسية المشتركة هو توافر المعلومات وسرعة أداء الخدمات والأساليب التقنية التي ساعدت في القضاء على الحواجز المتعلقة بالمكان والزمان، كل هذا الابتكار يقود إلى مستقبل أفضل وزيادة رفاهية الأفراد. لقد شارك هذا التحول في المعلومات وأداء الخدمات في ضوء

المتغيرات الاقتصادية، السياسية والاجتماعية والفنية في تحقيق تغيير أساسي ونوعي في بيئة المنظمات سواء العامة أو الخاصة واعتبر كأداة حيوية وأحد أهم الموارد لتحقيق الاستراتيجية والميزة التنافسية، وذلك من خلال تحسين نوعية العمل وإدارة العمليات بكفاءة عالية في الأنشطة المختلفة التي تمارسها مختلف المنظمات (Bataineh, 2017, p 86). ظهرت في العقود الأخيرة من القرن العشرين أجهزة الحاسوب وتطوير أساليب جديدة غير تقليدية لحفظ الوثائق الضرورية وأرشفتها من خلال استخدام ذاكرة الحاسوب والذاكرة الرقمية، تطوير أساليب وبرمجيات لأرشفة واسترجاع المعلومات والوثائق ومع أهمية الحاجة إليها وتطوير نظام الإدارة الإلكترونية كان لابد أن يحدث تغيير جذري في الأساليب والطرق التي يتم الاعتماد عليها في تسيير مختلف المنظمات والمرافق العمومية (Shobaki et al.,2017, p 02). يعد موضوع تحسين جودة الخدمة العمومية وعصرنة المنظمات ذات الطابع العمومي من المسلمات في التنمية الإدارية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وذلك للدور الذي تؤديه تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في عملية التسيير. ومن هذا المنطلق يشكل المحتوى الرقمي حلقة مركزية أساسية، كما أنه يمثل ثورة تحول في إدارة المؤسسات والإدارات العمومية من خلال تقديم الخدمات والوضوح والدقة (بوادي، 2017، ص 257). إن موجة التغير في مجال تقديم وإيصال المعلومات وإسداء مختلف الخدمات العمومية لعامة الجمهور دفعت بجميع الحكومات للتحول إلى الإدارة الإلكترونية وذلك نتيجة عدة اعتبارات سواء تتعلق بالمسؤولين الحكوميين الذين يقومون بتطوير طرق جديدة لتطوير العمل الحكومي والمرافق العمومية ولزيادة الكفاءة في توصيل الخدمات (حماد، 2007، ص 11)، وأحيانا استجابة لضغوط المواطنين أو قطاع الأعمال أو أطراف أخرى لها علاقة بالمرافق العمومية. ونجد في كل دولة من دول العالم تظهر في الواقع تدعو إلى التحول إلى الإدارة الإلكترونية وذلك حسب وضع الدولة الاقتصادي والسياسي ونلخص هذه الدوافع في الشكل البياني التالي:

الشكل رقم (01): دوافع التحول إلى الإدارة الإلكترونية في منظمات القطاع العام

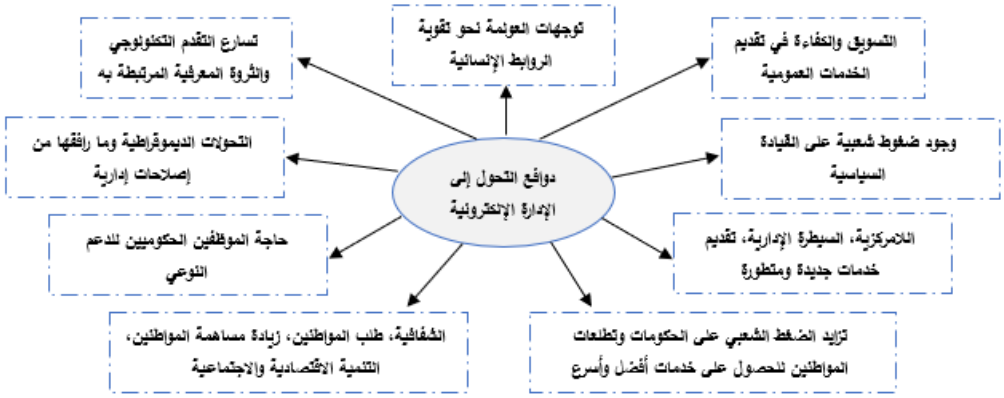

المصدر: إعداد الباحثين.

إن استخدام نظام الإدارة الإلكترونية مفيد جدا في تسيير المرافق العمومية من أجل تحقيق الفعالية في تقديم خدماتها، لأنها يمكنها تحسين جودة الخدمة المقدمة للأشخاص الذين يحتاجون إلى المعلومات والسجلات، وتوفير تحكم أفضل في المستندات والعمل المنجز في السجلات، إضافة إلى خفض التكاليف وزيادة الكفاءة وتأثير جيد من حيث التخزين والتحكم والبحث والوصول وسهولة إرسال واستقبال الوثائق، وتحسين المشاركة ونشر المعلومات. يوضح الشكل التالي نموذج مفاهيمي لتحسين جودة الخدمة العمومية وانعكاسها على الأفراد بالدرجة الأولى ثم على المرفق العمومي (Fariket al., 2015, p 83):

الشكل رقم (02): نموذج مفاهيمي لتحسين جودة الخدمة العمومية

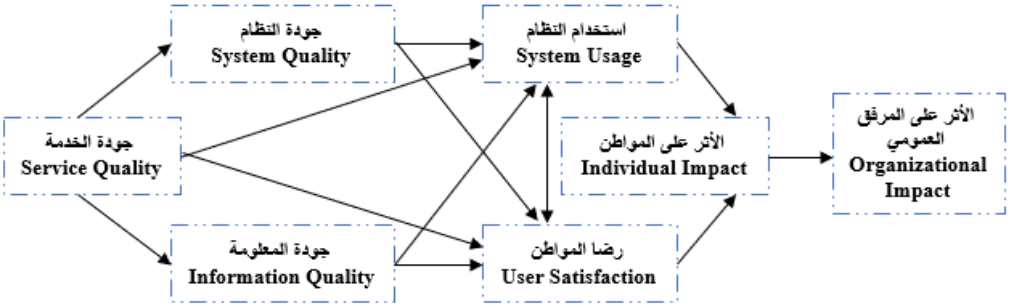

المصدر: إعداد الباحثين بالاعتماد على (Farik et al., 2015).

يمكن القول إن الخدمات العمومية أصبحت مرتبطة أيضا بالتحول الرقمي، حيث ساهمت التكنولوجيا في تطوير الخدمات العمومية الرقمية من خلال تسريع الإجراءات، تسهيل الوصول إلى الخدمات، وتحسين الشفافية والكفاءة (OECD,2023). وبالتالي، لم يعد تقييم الخدمة العمومية يعتمد فقط على توفرها، وإنما أيضا على مدى سهولة الوصول إليها، جودتها، عدالتها، واستجابتها لاحتياجات مختلف فئات المجتمع (United Nations, 2024).

ثانيا: التحول الرقمي وجودة الخدمات العمومية

فبظل التحول الرقمي لم تعد المؤسسات العمومية مطالبة فقط بتوفير خدمات إلكترونية وإنما أصبحت مطالبة بإعادة التفكير في طريقة تصميم الخدمات والعمليات والقرارات اعتمادا على البيانات والمعرفة والتكنولوجيا. لذلك يمثل التحول الرقمي عملية تنظيمية تتجاوز إدخال التكنولوجيا إلى إعادة تشكيل العمليات والهياكل والمهارات والثقافة التنظيمية. يمكن اعتبار إدارة المعرفة الرقمية (Digital Knowledge Management) إحدى القدرات التنظيمية التي تسمح للمؤسسة بتحقيق القيمة الكامنة في التكنولوجيا، لأنها تساعد على تحويل البيانات الناتجة عن الأنظمة الرقمية إلى معرفة يمكن استخدامها في إعادة تصميم العمليات وتحسين الخدمات. تبرز أهمية ذلك في المؤسسات الحكومية التي تتعامل مع كميات ضخمة من البيانات المتعلقة بالمواطنين، والموظفين، والعمليات، والمعاملات. فإذا بقيت هذه البيانات موزعة بين أنظمة غير مترابطة فإن الاستثمار في التكنولوجيا قد لا يؤدي إلى

تحسين ملموس في الأداء. أما عندما تكون البيانات متكاملة وقابلة للوصول والتحليل، فإنها تصبح مصدرا للمعرفة التي يمكن استخدامها في اكتشاف المشكلات والتنبؤ بالطلب على الخدمات، تحديد الاختناقات الإدارية وتطوير الإجراءات. تؤكدOECD أن البيانات أصبحت أصلا استراتيجيا للتحول الحكومي الرقمي وأن تحقيق قيمتها يتطلب حوكمة مناسبة وتكاملا بين الأنظمة والجهات المختلفة (Oecd, 2026). تتزايد أهمية هذا التكامل مع ظهور الذكاء الاصطناعي والحوسبة السحابية وتحليلات البيانات حيث تعمل على توفير إمكانات جديدة لمعالجة المعرفة الحكومية. فالحوسبة السحابية على سبيل المثال يمكن أن تدعم الوصول الفوري إلى المعرفة، والتخزين القابل للتوسع، والتعاون بين الوحدات، بينما يمكن للذكاء الاصطناعي أن يساعد في البحث عن المعرفة وتصنيفها واستخراج الأنماط منها ودعم عملية اتخاذ القرار. تشير الدراسات الحديثة حول إدارة المعرفة المدعومة بالحوسبة السحابية في القطاع العام إلى أن هذه التقنيات يمكن أن تعزز عمليات اكتساب المعرفة وإنشائها ومشاركتها واستخدامها، مع بقاء قضايا الحوكمة والتشغيل البيني وجاهزية المستخدمين تحديات رئيسية (Wibisana et al.,2026).

1 إدارة المعرفة الرقمية وتحسين جودة الخدمة العمومية

تتضح القيمة النهائية لإدارة المعرفة الرقمية عندما تتحول المعرفة إلى تحسين ملموس في الخدمات العمومية. فالمؤسسة التي تستطيع الوصول إلى المعرفة الصحيحة في الوقت المناسب تكون أكثر قدرة على اتخاذ قرارات دقيقة، تقليل الأخطاء، وتقصير مدة معالجة المعاملات مع الاستجابة بصورة أفضل لاحتياجات المواطنين. إن تأثير إدارة المعرفة على جودة الخدمة لا يحدث فقط من خلال زيادة كمية المعلومات المتاحة وإنما من خلال قدرة المؤسسة على تطبيق المعرفة في تصميم العمليات واتخاذ القرارات وحل مختلف المشاكل. تشير الأدلة التجريبية الحديثة إلى وجود علاقة بين ممارسات إدارة المعرفة وجودة الخدمة في القطاع العام. لقد وجدت دراسة أجريت على مؤسسات القطاع العام في نيجيريا أن نقل المعرفة واستخدامها كانا مرتبطين بصورة إيجابية بجودة الخدمات، كما لعبت الثقة التنظيمية دورا وسيطا في هذه العلاقات، بما يؤكد أن المعرفة لا تتحول إلى قيمة إلا عندما تتوافر بيئة تنظيمية تسمح بتبادلها واستخدامها بصورة جماعية. يمكن تفسير تأثير إدارة المعرفة الرقمية على جودة الخدمة العمومية من

خلال قدرتها على تقليص الفجوة بين المعلومة والقرار وبين القرار والتنفيذ. مثلا عندما يتم جمع شكاوى المواطنين رقميا، وتحليلها، وتصنيف أسبابها، ومشاركة نتائج التحليل بين المصالح، ثم استخدام المعرفة الناتجة لإعادة تصميم الإجراءات، تصبح التكنولوجيا وسيلة لإنتاج معرفة تنظيمية تؤدي في النهاية إلى خدمة أكثر سرعة ودقة واستجابة (Dominic et al., 2025). وهذا يوضح أن القيمة المضافة للتحول الرقمي لا تكمن في توفير قناة إلكترونية جديدة للخدمة فحسب، وإنما في قدرة المؤسسة على التعلم من البيانات والخبرات وتحويل هذا التعلم إلى تحسين مستمر للخدمة. من هنا يمكن القول إن إدارة المعرفة الرقمية تمثل آلية وسيطة بين تكنولوجيا المعلومات وجودة الخدمة العمومية، فالتكنولوجيا توفر البنية التي تسمح بجمع المعلومات ومعالجتها وتبادلها، وإدارة المعرفة تحول هذه المعلومات إلى معرفة تنظيمية، بينما يسمح التحول الرقمي بتوظيف هذه المعرفة في إعادة تصميم العمليات والخدمات وبذلك يصبح تحسين جودة الخدمة نتيجة لمسار متكامل وليس نتيجة مباشرة لاستخدام التكنولوجيا وحدها (Alvarenga et al., 2020).

ثالثا: أثر التكامل بين تكنولوجيا المعلومات والاتصال وإدارة المعرفة في تحسين جودة الخدمات العمومية

أصبحت تكنولوجيا المعلومات والاتصال وإدارة المعرفة من أهم الوسائل المساعدة على تطوير أداء مؤسسات القطاع العمومي وتحسين جودة خدماته. ساهم التحول الرقمي في تغيير نمط تقديم الخدمات وإدارة المعلومات والمعارف داخل المؤسسات الحكومية. حيث أدى هذا التطور إلى تسريع الإجراءات، تسهيل الوصول إلى المعلومات، وتحسين كفاءة الأداء وتعزيز الشفافية. ومن هنا يبرز دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في توفير خدمات سريعة وفعالة، في حين تحفز إدارة المعرفة استثمار الخبرات والمعلومات المتاحة وتحويلها إلى ممارسات وقرارات ترفع من الأداء المؤسسي. فيما يلي سنستعرض دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال وإدارة المعرفة في تحسين جودة الخدمات العمومية.

1 دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تحسين جودة الخدمات العمومية:

تمحورت الأبحاث المتعلقة بالتحول الرقمي في الخدمات العامة حول البنية التحتية والمنصات واعتماد التقنيات الرقمية الناشئة؛ إذ توفر هذه التقنيات أدواتٍ فعالةً لهيكلة المعلومات وتخزينها واسترجاعها وتحليلها

(Pellegrini et al., 2026, p 2). تلعب تكنولوجيا المعلومات والإتصالات دورا حاسما في تحسين جودة الخدمات العمومية المقدمة للزبائن، إذ تتيح هذه التكنولوجيات إمكانية إتاحة الخدمات بشكل أسرع وأكثر كفاءة. كما تسمح بتبسيط الإجراءات وأتمتة العمليات مما يقلل من الأخطاء ويختصر الوقت والجهد. كما تسمح بتعزيز الشفافية حول أداء المؤسسات العمومية وجودة خدماتها من خلال نشر البيانات والتقارير، كل ذلك ينعكس بالإيجاب على تجربة المستفيدين ورضاهم عن الخدمات المقدمة. لهذا تعتبر تكنولوجيا المعلومات شريانا حيويا لضمان جودة أفضل للخدمات العمومية.

تتيح تكنولوجيا المعلومات والاتصال عدة مزايا تعمل لصالح كفاءة العمل الإداري العام وجودة الخدمات الحكومية الإلكترونية المقدمة، نذكر منها:

- تسريع الانجاز: تسمح أدوات الحكومة الالكترونية بتوفير الوقت على مستخدمي الخدمات العامة، إذ تعتمد على منظومة الدخول على الخط، للحصول على الخدمة بدلا من صفوف الانتظار.
- رفع مستوى الإتقان وتبسيط الإجراءات: تمتازالخدمات المقدمة الكترونيا بالدقة والإتقان، نتيجة سهولة عمليات الرقابة المباشرة عليها. كما تمثل وسيلة هامة للتقليل من البيروقراطية والروتين القاتل الذي تشهده الأجهزة الإدارية.
- خفض التكاليف ورفع كفاءة الأداء: من خلال توظيف التقنيات التكنولوجية التي تساهم في تقليل عدد القائمين على حفظ ونسخ ونقل وتوزيع الأعمال الورقية، مما يقلل الجهد والموارد المستخدمة. كما ترفع هذه التكنولوجيات من كفاءة الأداء الحكومي لتحقيق الأهداف السياسية والاجتماعية والإقتصادية وتحسين رضا المواطنين .
- تحقيق الشفافية الحكومية: وذلك من خلال إتاحة المعلومات عن كافة الأنشطة الحكومية والقوانين واللوائح الحكومية على شبكة الانترنت، مما يسهم في مكافحة الرشوة والتلاعب وسوء المعاملة وإلغاء سلطة المكاتب.

ويمكن تقسيم المجالات التي تستفيد منها الخدمات العمومية من تكنولوجيا المعلومات والإتصال إلى ثلاثة جوانب هامة:

1-1 الخدمات من الحكومة إلى الحكومة (Government-to-Government): وتمثل التبادل الآمن عن بعد للمعلومات والمعاملات بين الإدارات الحكومية المختلفة، والذي يتطلب ربط كافة

دوائر الدولة بشبكة موحدة، ورصد الموارد الحكومية لتحسين وتطوير الإجراءات وزيادة الإنتاجية. ولابد على المعاملات الإلكترونية أن تشتمل على ضمان أمن المعلومات المتبادلة بين الإدارات الحكومية، وخاصة التي تتسم السرية، لحمايتها من التسرب خارج تلك الإدارات أو من السماح لموظفين غير مرخص لهم.

2-1 الخدمات من الحكومة إلى قطاع الأعمال(Busines to Government): ويشمل هذا الجزء منح الخدمات الحكومية للمنشآت الاقتصادية ورجال الأعمال والمستثمرين بشكل يوفر عليهم التكاليف، ويساهم في تعظيم أرباحهم. ويحضى القطاع الخاص باهتمام كبير من قبل الأجهزة الحكومية لاستفادته المباشرة من الخدمات العمومية، وكونه الداعم الأساسي للقطاع العام من خلال توجيه استثماراته لصالح الدولة والمجتمع واستفادة القطاع الحكومي من خدمات التجارة الإلكترونية.

3-1 الخدمات من الدولة إلى المواطن (Citizen –to –Government): وتمثل مرحلة النضج في الاستفادة من التعاملات الإلكترونية، تتحقق من خلالها المنافع الكبيرة على المستوى الوطني، حيث أنها توجه الخدمة مباشرة إلى المستفيد بدلًا من ذهابه هو بنفسه إليها. وتعكس هذه الخدمات قدرة المواطنين والمقيمين على الاستفادة من المعاملات الإدارية والخدمات المقدمة لهم من طرف المرافق الحكومية عن بعد، أي دون التنقل إلى تلك التنظيمات الحكومية (طه حسين وآخرون، 2018)

2 دور إدارة المعرفة في تحسين جودة الخدمات العمومية

تعد المعرفة عنصرا مهما لتعزيز أداء وجودة مؤسسات القطاع العام. إذ يحدث التحول الرقمي تغييرا في أسلوب تعامل الحكومات مع تقنيات إدارة المعرفة، وذلك بهدف تلبية الاحتياجات المجتمعية بشكل أفضل وتحسين مستوى تقديم الخدمات. وتُعد عملية فهم هذه التحولات واستشرافها أمراً بالغ الأهمية لصناع السياسات والمسؤولين الحكوميين والباحثين؛ فإدارة المعرفة لا تقتصر على تعزيز الكفاءة الحكومية فحسب، بل تساهم أيضاً في رفع جودة الخدمات الحكومية ودعم التطور الحكومي السليم (Alvarenga et al., 2020, p. 02). يتألف قطاع الخدمات العامة من مؤسسات قائمة على المعرفة، وهي أنظمة تتسم بكثافة المعرفة وتعتمد بشكل أساسي على رأس المال الفكري. وتتطلب فعالية هذا النظام عمليات توليد المعرفة ومشاركتها وتطبيقها؛ إذ يقوم النظام بوضع اللوائح التنظيمية، وتفسير القوانين، وتقييم السياسات، والمساعدة في عمليات اتخاذ القرار المعقدة في ظل ظروف عدم اليقين. وتصنف الأصول المعرفية الكامنة في

القطاع العام إلى ثلاث مجموعات: الأصول البشرية، والأصول العلائقية، والأصول الهيكلية. فخبرات الموظفين ومهاراتهم وقدراتهم على حل المشكلات تمثل الأصول البشرية التي تساهم بشكل مباشر في نجاح المؤسسة وتحقيق الابتكار. أما الأصول العلائقية فتعكس جودة العلاقات مع الأفراد والشركات والمؤسسات الشريكة، مما يسهل بناء الثقة والابتكار المشترك والحوكمة التعاونية. وأخيرا، تشمل الأصول الهيكلية العمليات والإجراءات المؤسسية التي تعزز التعلم والكفاءة والاستمرارية بمرور الوقت (Pellegrini et al., 2026, p. 182). وهكذا، يمكن لإدارة المعرفة أن تسهم بشكل كبير في عملية تجديد القطاع العام، وذلك من خلال دعم التحسين المؤسسي وتعزيز الكفاءة في الخدمات العامة.

رابعا: واقع توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال وإدارة المعرفة في تحسين خدمات المؤسسات العمومية الجزائرية

تناولت بعض الدراسات جزائرية دور تكنولوجيا المعلومات وإدارة المعرفة في الأداء التنظيمي للمؤسسات العمومية، لا سيما في المؤسسات العامة والجامعات وشركات الاتصالات. الدراسات التالية هي عبارة أدلة تجريبية ومفاهيمية توضح هذا الدور، بالإضافة أهمية الوسائل الرقمية في دعم إدارة المعرفة داخل المؤسسات العمومية الجزائرية. الجدول رقم 01 الموضح أدناه يلخص هذه الدراسات من حيث الهدف والمنهج المستخدم وأهم النتائج والتوصيات.

1 **دراسة موسى عبد النور (2018)** بعنوان :تكنولوجيا **المعلومات ودورها في تحسين جودة أداء الخدمات: دراسة ميدانية على عينة من عمال مؤسسة اتصالات الجزائر – وحدة جيجل."**

هدفت هذه الدراسة إلى الكشف عن دور تكنولوجيا المعلومات في تحسين جودة أداء الخدمات داخل مؤسسة اتصالات الجزائر من خلال التركيز على بعض أبعاد تكنولوجيا المعلومات، والمتمثلة في برمجيات إدارة العمل والثقة الإلكترونية. قام الباحث بدراسة أثرها على بعض أبعاد جودة أداء الخدمات، بالتركيز على فعالية القرارات وتحسين السلوك الإيجابي لدى العاملين. اعتمدت الدراسة على المنهج الميداني من خلال توزيع استبيان على عينة من عمال مؤسسة اتصالات الجزائر – وحدة جيجل، باستخدام مقياس ليكرث الخماسي لجمع البيانات وتحليل طبيعة هذه العلاقة. وقد توصلت الدراسة إلى وجود علاقة إيجابية ذات دلالة

معنوية بين تكنولوجيا المعلومات وتحسين جودة أداء الخدمات. إذ أظهرت النتائج أن توظيف برمجيات إدارة العمل وتوفير الثقة الإلكترونية يحسنان من الأداء الخدماتي عن طريق دعم اتخاذ القرارات الفعالة، دعم السلوك الإيجابي لدى العاملين، وتسهيل تدفق المعلومات داخل المؤسسة. استنتجت الدراسة ضرورة الاهتمام بالمورد البشري من خلال التدريب والتحفيز، وتعزيز ثقافة تنظيمية داعمة للجودة، بالإضافة إلى تطوير برمجيات وأنظمة المعلومات وتحديث الهيكل التنظيمي بما يتناسب مع التغيرات التكنولوجية المتسارعة.

2 **دراسة محرز صالح وبعلي حمزة (2019)** بعنوان: **دور وفعالية إدارة المعرفة وتكنولوجيا المعلومات في تحسين جودة الخدمات الصحية بالجزائر.**

هدفت الدراسة إلى توضيح دور تكنولوجيا المعلومات وإدارة المعرفة في تحسين جودة الخدمات الصحية المقدمة بالتركيز على المؤسسات الصحية في الجزائر، من خلال دراسة أثرهما على الأداء الصحي و الخدمات المقدمة للمواطنين. كما سعى الباحثان إلى تحليل مستوى وعي القيادات الإدارية في المؤسسات الصحية بأهمية تكنولوجيا المعلومات. استخدمت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي من خلال التعريف بمتغيرات الدراسة وتحليل دورها في تحسين جودة الخدمات الصحية في الجزائر. توصلت الدراسة إلى فعالية تكنولوجيا المعلومات في المؤسسات الصحية في تقليل أعباء الاتصالات، وتحسين تبادل المعلومات، وتطوير جودة الخدمات الصحية بفضل البطاقات الطبية الإلكترونية، التي تسهّل حفظ البيانات الصحية وتنظيمها، إضافة إلى خدمات الاستشارة الطبية عن بعد باعتبارها من أهم التقنيات الحديثة في مجال الخدمات الصحية. خلصت الدراسة بضرورة تعزيز استخدام تكنولوجيا المعلومات في المؤسسات الصحية الجزائرية، وتطوير أنظمة المعلومات الصحية، فضلا عن توسيع الاعتماد على البطاقات الطبية الإلكترونية، ودعم خدمات الاستشارة الطبية عن بعد.

3 **دراسة عادل إينزارين و انتصار أريوات (2024) تحت عنوان: The role of information technology in activating knowledge management in contemporary organizations**

هدفت الدراسة إلى تحليل دور تكنولوجيا المعلومات في تطوير إدارة المعرفة داخل المنظمات المتطورة، من خلال إنشاء المعرفة والوصول إليها وتخزينها ونشرها ومشاركتها واستخدامها. بناءا على المنهج الوصفي

التحليلي من تناولت الدراسة أثر التطورات التكنولوجية في أساليب إدارة المعرفة داخل المنظمات نظريا دون استخدام دراسة ميدانية أو إحصائية. توصل الباحثين إلى الدور الفعال الذي تلعبه تكنولوجيا المعلومات في تسهيل الوصول إلى المعرفة وتخزينها ومعالجتها ومشاركتها ونشرها، مستنتجين العلاقة التكاملية التي تربط بينهما. وأبرزت الدراسة أهمية المعرفة والعنصر البشري في دعم الابتكار واتخاذ القرار وتحسين الأداء التنظيمي. استنتجت الدراسة أهمية الاستثمار في البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات، وتعزيز التكامل بينها وبين إدارة المعرفة، وتطوير مهارات العمال في مجال التقنيات الرقمية. وخلصت الدراسة إلى ضرورة إستخدام الأدوات الرقمية لتحسين التواصل واتخاذ القرار والابتكار والرفع من الأداء المؤسسي.

4 دراسة حفاف وليد وبعلي حمزة (2024) تحت عنوان: The role of knowledge technology in improving the quality of outputs in higher education institutions: A case study of a sample of faculties at the University of 8 May 1945 Guelma

هدفت الباحثان إلى دراسة أثر تكنولوجيا المعرفة في تحسين جودة مؤسسات التعليم العالي. ركزت الدراسة الميدانية على أربع كليات بجامعة قالمة، والمتمثلة في كلية العلوم الاقتصادية والتجارية وعلوم التسيير،كلية العلوم والتكنولوجيا، كلية الحقوق والعلوم السياسية وكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية. إستخدمت الدراسة الأسلوب الوصفي تحليلي، حيث وزع الإستبيان على 103 مشاركين من الكليات محل الدراسة. تبين أن الجامعة تتمتع بمستوى متوسط من البنية التحتية التكنولوجية، وأن موقعها الإلكتروني ومنصات التواصل الاجتماعي تسهل نشر المعلومات وتعزيز التواصل. لم يتضح الأثر المعنوي لتكنولوجيا المعرفة على جودة مخرجات التعليم العالي، نظرا لضعف القدرة التفسيرية للنموذج. إستنتجت الدراسة إلى أن توفير البنية التحتية التكنولوجية شرط أساسي لكن غير كافي لتحسين جودة المخرجات التعليمية.كما دعت الدراسة إلى ضرورة إدراج تكنولوجيا المعرفة في الجامعات لدعم عمليات إدارة المعرفة وتطوير مخرجات التعليم العالي.

5 دراسة قدوج فوزي، نوي نور الدين، وبركاتي حسين (2023) بعنوان: دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال (TIC) في تحسين جودة الخدمة العمومية: دراسة عينة من مكاتب بريد الجزائر في ولاية برج بوعريريج

هدفت الدراسة إلى التعرف على دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تحسين جودة الخدمة العمومية داخل مكاتب بريد ولاية برج بوعريريج. حيث قامت بقياس أثرها على أبعاد جودة الخدمة الأربعة والمتمثلة في الاعتمادية والتوكيد والملموسية والتعاطف والاستجابة. استخدمت الدراسة تحليل نماذج الارتباط والانحدار لعينة من موظفي مكاتب بريد الجزائر بولاية برج بوعريريج. أظهرت النتائج وجود أثر إيجابي ذي دلالة إحصائية لتكنولوجيا المعلومات والاتصال على تحسين مختلف أبعاد جودة الخدمة العمومية. إستنتجت وجود إرتباط وثيق بين توظيف تلك التقنيات التكنولوجية وبين ترقية أداء مكاتب البريد من خلال الخدمات المقدمة للزبائن. أشارت الدراسة إلى أهمية تعزيز استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال العمومية، تطوير البنية التكنولوجية وتحديث أساليب العمل لرفع جودة الخدمات العمومية وتحسين كفاءة مكاتب البريد ببرج بوعريريج.

الجدول رقم 01: جدول تلخيصي لأهم الدراسات التي توضح دور تكنولوجيا المعلومات والإتصال في تحسين الخدمات العمومية

الدراسة	الهدف من الدراسة	المنهج المستخدم	النتائج	التوصيات
موسى عبد النور (2018) تكنولوجيا *المعلومات ودورها في تحسين جودة أداء الخدمات*	تفسير دور تكنولوجيا المعلومات في تحسين جودة أداء الخدمات بمؤسسة اتصالات الجزائر–وحدة جيجل، مع التركيز على برمجيات إدارة العمل والثقة الإلكترونية	دراسة ميدانية اعتمدت على استبيان وزع على عينة من عمال مؤسسة اتصالات الجزائر–وحدة جيجل، باستخدام مقياس ليكرت الخماسي.	وجود علاقة إيجابية ذات دلالة معنوية بين تكنولوجيا المعلومات وتحسين جودة أداء الخدمات.	الاهتمام بالمورد البشري من خلال التدريب والتحفيز، وتعزيز الثقافة التنظيمية الداعمة للجودة، وتطوير أنظمة وبرمجيات المعلومات،

	وأثرهما في فعالية القرارات والسلوك الإيجابي للعاملين.		مساهمة برمجيات إدارة العمل والثقة الإلكترونية في دعم اتخاذ القرارات، وتحسين السلوك الإيجابي للعاملين، وتسهيل تدفق المعلومات.	وتحديث الهيكل التنظيمي بما يواكب التطورات التكنولوجية.
محرز وبعلي (2019) دور وفعالية إدارة المعرفة وتكنولوجيا المعلومات في تحسين جودة الخدمات الصحية بالجزائر	توضيح دور تكنولوجيا المعلومات وإدارة المعرفة في تحسين جودة الخدمات الصحية والأداء الصحي، إضافة إلى تحليل مستوى وعي القيادات الإدارية بأهمية تكنولوجيا المعلومات.	اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي من خلال عرض المفاهيم المرتبطة بتكنولوجيا المعلومات وإدارة المعرفة وتحليل دورهما في تحسين الخدمات الصحية.	تكنولوجيا المعلومات تساهم في تقليل أعباء الاتصالات، وتحسين تبادل المعلومات، وتطوير جودة الخدمات الصحية، خاصة من خلال البطاقات الطبية الإلكترونية والاستشارة الطبية عن بعد. كما يساهم تبادل المعرفة في رفع كفاءة الأداء.	تعزيز استخدام تكنولوجيا المعلومات في المؤسسات الصحية، وتطوير أنظمة المعلومات الصحية، وتوسيع استخدام البطاقات الطبية الإلكترونية، ودعم خدمات الاستشارة الطبية عن بعد.
إينزارين وأربوات (2024) The role of information technology in activating knowledge management in contemporary organizations	تحليل دور تكنولوجيا المعلومات في تفعيل وتطوير إدارة المعرفة داخل المنظمات، خاصة في إنشاء المعرفة والوصول إليها وتخزينها ونشرها ومشاركتها واستخدامها.	تحليل نظري للعلاقة بين تكنولوجيا المعلومات وإدارة المعرفة وأثر التطورات التكنولوجية في إدارة المعرفة.	تكنولوجيا المعلومات تؤدي دورا فعالا في تسهيل عمليات إدارة المعرفة. هناك علاقة تكاملية بين تكنولوجيا المعلومات وإدارة المعرفة. كما أبرزت أهمية المعرفة ورأس المال البشري في دعم الابتكار واتخاذ القرار وتحسين الأداء التنظيمي.	الاستثمار في البنية التحتية لتكنولوجيا المعلومات، وتعزيز التكامل بينها وبين إدارة المعرفة، وتطوير المهارات الرقمية للعاملين، واستخدام الأدوات الرقمية لتحسين التواصل واتخاذ القرار والابتكار والأداء المؤسسي.
حفاف وبعلي (2024) The Role of Knowledge Technology in Improving the Quality of Outputs in Higher Education Institutions	دراسة أثر تكنولوجيا المعرفة في تحسين جودة مخرجات التعليم العالي، من خلال دراسة حالة لأربع كليات بجامعة 8 ماي 1945 قالمة.	دراسة حالة بأسلوب وصفي تحليلي، باستخدام استبيان وزع على 103 مشاركين من الكليات محل الدراسة.	الجامعة تتمتع بمستوى متوسط من البنية التحتية التكنولوجية، وأن موقعها الإلكتروني ومنصات التواصل تساهم في نشر المعلومات وتعزيز التواصل. إلا أن تكنولوجيا المعرفة لم تُظهر أثرًا إيجابيًا ذا دلالة إحصائية على جودة المخرجات	ضرورة دمج التكنولوجيا بصورة أكثر فعالية في عمليات إدارة المعرفة، خاصة توليد المعرفة وتخزينها ومشاركتها وتوزيعها وتطبيقها، إذ إن توفير البنية التحتية التكنولوجية وحده لا يكفي لتحسين جودة المخرجات التعليمية.

قدوج ونوي وبركاتي (2023) دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال (TIC)في تحسين جودة الخدمة العمومية	دراسة دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تحسين جودة الخدمة العمومية بمكاتب بريد الجزائر في ولاية برج بوعريريج، من خلال دراسة أبعاد الاعتمادية والتوكيد والملموسية والتعاطف والاستجابة.	اعتمدت على المنهج الوصفي التحليلي باستخدام نماذج الارتباط والانحدار، على عينة من موظفي مكاتب بريد الجزائر بولاية برج بوعريريج.	وجود أثر إيجابي ذي دلالة إحصائية لتكنولوجيا المعلومات والاتصال على مختلف أبعاد جودة الخدمة العمومية، مما يؤكد مساهمتها في تحسين أداء مكاتب البريد والارتقاء بمستوى الخدمات المقدمة للزبائن.	تعزيز استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصال في المؤسسات العمومية، وتطوير البنية التكنولوجية، وتحديث أساليب العمل بما يساهم في رفع جودة الخدمات وتحسين كفاءة مكاتب البريد.

المصدر: من إعداد الباحثين، بالإعتماد على الدراسات السابقة

الخاتمة:

اتضح لنا من خلال الجانب النظري أن تكنولوجيا المعلومات والاتصال وإدارة المعرفة هما وسيلتان ضروريتان لتحسين جودة الخدمات العمومية. فتكنولوجيا المعلومات توفر الوسائل اللازمة لتبسيط الإجراءات وتسهيل الوصول إلى المعلومات، بينما تساهم إدارة المعرفة في استخدام المعلومات والخبرات لتحسين القرارات والأداء المؤسسي في القطاع العمومي. وبالتالي، فإن التكامل بينهما يساهم في تقديم خدمات عمومية أكثر كفاءة وشفافية واستجابة لاحتياجات المواطنين.
أظهرت الدراسات السابقة أن واقع توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال وإدارة المعرفة داخل المؤسسات العمومية الجزائرية يتجه تدريجيًا نحو دعم تحسين جودة الخدمات في كل قطاعات المؤسسات العمومية بما فيها قطاع البريد والصحة والاتصالات. فقد بينت هذه الدراسات أن استخدام التكنولوجيات الحديثة يسهم في تسريع تبادل المعلومات، وتسهيل سير العمل، وتحسين اتخاذ القرار، ورفع كفاءة الأداء وجودة الخدمة المقدمة. كما أبرزت أن إدارة المعرفة تمثل عاملًا مكملًا لتكنولوجيا المعلومات، من خلال استثمار الخبرات وتبادل المعلومات داخل المؤسسة بما يعزز فعالية الخدمة. غير أن هذه الدراسات تشير في الوقت نفسه إلى أن تحقيق هذه المزايا يحتاج إلى تطوير البنية التكنولوجية، وتحديث أنظمة المعلومات، وتكوين الموارد البشرية، وترسيخ ثقافة تنظيمية داعمة للجودة والرقمنة داخل المؤسسات العمومية الجزائرية

قائمة المراجع:

الكتب:

1 Denhardt, J. V., & Denhardt, R. B. (2015). *The New Public Service: Serving, Not Steering.*

2 OECD. (2023). *Government at a Glance 2023*. OECD Publishing.

3 Osborne, S. P. (Ed.). (2010). *The New Public Governance?: Emerging Perspectives on the Theory and Practice of Public Governance*. Routledge.

4 United Nations. (2024). *United Nations E-Government Survey 2024: Accelerating Digital Transformation for Sustainable Development*. United Nations.

المقالات:

أولا: المقالات باللغة الإنجليزية

1. Alvarenga, A., Matos, F., Godina, R., & Matias, J. C. O. (2020). Digital transformation and knowledge management in the public sector. *Sustainability, 12*(14), 5824.
2. Bataineh, K. (2017). The impact of electronic management on the employees' performance: Field study on the public organizations and governance in Jerash Governorate. *Journal of Management and Strategy, 8*(5), 86.
3. Dominic, O. I., Abubakar, H. L., & Ediuku, E. (2025). Knowledge management practices and service quality in Nigerian public sector organisations: The mediating role of organisational trust. *Journal of Information Systems Engineering and Management, 10*(56s), 714–724.
4. Farik, S., Yatin, M., Azman, A. Z. F., Ramli, M. R., Shuhaimi, H., Hashim, H., Kadir, A., Dollah, W. A. K. W., & Zaini, M. K. (2015). Electronic document management system: Malaysian experience. *Australian Journal of Basic and Applied Sciences, 9*(3), 82–89.
5. Haffaf, W., & Baali, H. (2024). The role of knowledge technology in improving the quality of outputs in higher education institutions: A case study of a sample of faculties at the University of 8 May 1945 Guelma. *Journal of Administrative and Financial Sciences, 8*(2), 85–98.
6. Inezarene, A., & Ariouat, I. (2024). The role of information technology in activating knowledge management in contemporary

organizations. *Tobna Journal for Academic Scientific Studies, 7*(2), 1830–1847.

7. Pawlowski, C., & Scholta, H. (2022). A taxonomy for proactive public services. *Government Information Quarterly, 40*(1), 101780.
8. Pellegrini, L., Lazzini, S., Occhipinti, Z., Tallarico, S., & Zifaro, M. (2026). Digital technologies and knowledge assets in public sector. *Knowledge Management Research & Practice, 24*(2), 182–186.
9. Shobaki, M. J. A., Abu-Naser, S. S., & Kassab, M. K. I. (2017). The reality of the application of electronic document management system in governmental institutions: An empirical study on the Palestinian Pension Agency. *International Journal of Engineering and Information Systems, 1*(2), 1–14.
10. Spicker, P. (2009). The nature of a public service. *International Journal of Public Administration, 32*(11), 970–991.
11. Wibisana, P. A., Wijoyo, S., Nadia, F. N. D., Amiati, M., & Putri, S. A. (2026). Cloud-powered knowledge management: A systematic literature review of public sector innovation through cloud computing. *Cogent Business & Management, 13*(1).
12. OECD. (2026). Digital Government Index and Open, Useful and Re-usable Data Index. *OECD Working Papers on Public Governance*.

ثانيا: المقالات باللغة العربية

13. بلحربي، ن. (2022). دور البلدية الإلكترونية في ترقية الخدمات العمومية الإلكترونية في الجزائر (2010–2022): بلدية ترعي باينان بولاية ميلة أنموذجا. *مجلة النقد للقانون والعلوم السياسية، 17*(1)، 242–276.
14. بوادي، م. (2017). صناعة بيئة رقمية في ظل عصرنة المرفق العام وتحسين الخدمة العمومية في الجزائر: الصعوبات والآفاق. *دفاتر السياسة والقانون، 9*(17)، 257–268.
15. بوخالفة، ر.، وأوبيش، س. (2021). الخدمات العمومية بالجزائر في ظل الاتصال الخارجي بالبلدية. *مجلة الجامع في الدراسات النفسية والعلوم التربوية، 6*(2)، 541–567.
16. طه حسين، ن.، ياقوتة، ب.، ويسين سي لاخضر، غ. (2018). دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في تحسين جودة الخدمة العمومية: الحكومة الذكية في الإمارات العربية المتحدة نموذجا. *مجلة الدراسات الاقتصادية المعاصرة، 3*(5)، 130–147.
17. عبد النور، م. (2018). تكنولوجيا المعلومات ودورها في تحسين جودة أداء الخدمات. *مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، 8*(2)، 374–402.

18. قدوج، ف.، نوي، ن.، وبركاتي، ح. (2023). دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال (TIC) في تحسين جودة الخدمة العمومية: دراسة عينة من مكاتب بريد الجزائر في ولاية برج بوعريريج. *مجلة الأصيل للبحوث الاقتصادية والإدارية*، *7*(1)، 231–248.

19. محرّز، ص.، وبعلي، ح. (2019). دور وفعالية إدارة المعرفة وتكنولوجيا المعلومات في تحسين جودة الخدمات الصحية بالجزائر. *Beam Journal of Economic Studies*، *3*(2)، 257–272.

20. ميساوي، أ.، هزرشي، ط.، وبن مسعود، أ. (2020). نحو تحسين الخدمة العمومية من خلال تفعيل الريادة الداخلية: دراسة ميدانية لعينة من أجهزة الدعم والمرافقة بولاية الجلفة. *دراسات العدد الاقتصادي*، *11*(2)، 419–437.

21. زروقي، ن. (2016). الإدارة الإلكترونية كأحد إفرازات عالم تكنولوجيا الإنترنت والتجارة الإلكترونية. *مجلة الاقتصاد الجديد*، *7*(2)، 229–244.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-11/07/2026

The Strait of Hormuz : From Boon to Bane – How the 2026 Strait of Hormuz Crisis is Reshaping the Geography of Oil

Benmiloud Hadjira[1]
Laboratory of Economic Studies.university laghouat Algeria
h.benmiloud@lagh-univ.dz
Mokhtari Abdeldjabar[2]
Laboratory of Economic Studies.university laghouat Algeria
a.mokhtari@lagh-univ.dz

Abstract:

This research paper aims to highlight the importance of the Strait of Hormuz as a strategic corridor on the global energy map. It examines how its closure for several months disrupted the global oil market, forcing nations to adopt strategic solutions to mitigate the impact of this crisis.

The study employs both descriptive and analytical approaches in an attempt to explain the economic reality in the Arabian Gulf region, and how the Strait of Hormuz has transformed from a boon and privilege for the states bordering it into a challenge and an obstacle to global energy supplies. The study recommends: the establishment of regional supply chains supported by artificial intelligence, as a strategic alternative dictated by the current geopolitical situation, particularly given that numerous ships have been subject to data tampering;

- the diversification of energy sources, alongside the need to adopt a green approach (renewable energy);

Keywords: Strait of Hormuz, global energy system, supply chains, global energy map.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 09-10-11/07/2026

مداخلة بعنوان: مضيق هرمز من المنحة الى المحنة: كيف تعيد أزمة مضيق هرمز2026 تشكيل جغرافيا النفط

بن ميلود هجيرة[1]

مختبر تنمية الدراسات الاقتصادية، جامعة الأغواط الجزائر

h.benmiloud@lagh-univ.dz

مختاري عبد الجبار[2]

مختبر تنمية الدراسات الاقتصادية، جامعة الأغواط الجزائر

a.mokhtari@lagh-univ.dz

الملخص:

في مشهد عالمي يموج بالصراع، تتنافس الدول نحو التسلح بأشكاله العديدة. في اتجاه أكثر دقة يعود النفط الى الساحة العالمية من جديد كسلاح استراتيجي وأداة للنفوذ والسلطة. تهدف هذه الورقة البحثية إلى تسليط الضوء على أهمية مضيق هرمز كممر استراتيجي في خريطة الطاقة العالمية. وكيف أن اغلاقه لأشهر أربك سوق النفط العالمي، مما دفع الدول الى انتهاج حلول استراتيجية من شأنها التقليل من وطأة هذه الأزمة.

تعتمد الدراسة كلا من المنهج الوصفي والتحليلي، في محاولة لتفسير الواقع الاقتصادي في منطقة الخليج العربي. وكيف تحول مضيق هرمز من مِنحة وامتياز للدول المشاطئة له، الى تحد وعقبة أمام امدادات الطاقة العالمية.

توصي الدراسة:

-ضرورة التحالف الاستراتيجي في المنطقة؛

-تبني النهج الأخضر (الطاقات المتجددة)، مع تنويع قنوات الامداد العالمية وبناء احتياطات استراتيجية وبدائل التشغيل؛

انشاء سلاسل امداد إقليمية مدعومة بالذكاء الاصطناعي، كبديل استراتيجي يفرضه الوضع الجيوسياسي الراهن، خاصة بعد أن تعرضت العديد من السفن الى التضليل في البيانات.

الكلمات المفتاحية: مضيق هرمز، نظام الطاقة العالمي، سلاسل الامداد، خريطة الطاقة العالمية.

مقدمة:

تتسارع الأحداث العالمية خلال العقود الأولى من القرن الحادي والعشرون، الحرب الروسية – الأوكرانية، الصدمات الجيوسياسية المتتالية وصولا الى إغلاق مضيق هرمز لعام 2026. بالرغم من تباين هذه الأزمات الا أنها أحدثت تذبذبا في السوق العالمي للطاقة.

ما يفوق 70% من المنتجات الهيدروكربونية مرت عبر المضائق والممرات المائية خلال عام 2025.بمعدل 20 مليون برميل عبرت الممر المائي هرمز، بما يعادل 25% من امدادات الطاقة. ليتوقف هذا الزخم فجأة بتاريخ 28 فيفري2026، منذ اعلان اغلاق مضيق هرمز محدثا خللا في نظام الطاقة العالمي. وفق ما جاءت به المؤشرات العالمية تقترب هذه الأزمة في تأثيرها على الاقتصاد العالمي الأزمة الصحية كوفيد19.

في الوقت الذي تحاول الدول التعافي والنهوض نحو اقتصاد أكثر استدامة، تصطدم حكوماتها بواقع اقتصادي أعادها الى رمادية الطاقة ومصادرها، وذلك بالعودة الى الفحم بعد أن توقفت امدادات الطاقة من المضيق، لتنتقل الأزمة الى الأمن والغذاء.

في ضوء ذلك تبحث هذه الورقة البحثية في التساؤل التالي: الى أي مدى تسهم نقطة اختناق عالمية "مضيق هرمز " في إعادة تشكيل جغرافيا النفط العالمي؟

تسعى الدراسة الى ابراز أهمية المضيق وفعالية البدائل المتاحة، وهذا بالاعتماد على المنهج الوصفي والتحليلي، بالاستعانة بالتقارير الدولية للطاقة، وتقرير المخاطر2026.

1–الأهمية الاستراتيجية لمضيق هرمز:

يمثل مضيق هرمز أهم نقطة اختناق نفط عالمية، هو المعبر الاستراتيجي للتجارة العالمية البحرية، ومنطقة محورية في معادلة أمن الطاقة. هذا الممر المائي الذي يربط الخليج العربي بخليج عمان وبحر العرب رغم ضيقه إلا أن ناقلات النفط والغاز تمر من خلاله في نظام أقل ما يوصف به هو الصرامة والغموض. يتشكل من مسارين للشحن تفصلهما منطقة عازلة بعرض ميلين ونصف. يُشكل المضيق قناة وصل بين دول الخليج العربي والاقتصاد العالمي بطول قدره 112 ميلا وعرض قدره21 ميلا في اضيق نقاطه، يحده من الشمال إيران ومن الجنوب الامارات العربية وسلطنة عمان (Meza et al., 2026) .

يَعبُر من خلال هذا الممر المائي رُبع تجارة النفط العالمية البحرية، بما يقارب 20 مليون برميل يوميا، إضافة الى خمس تجارة الغاز الطبيعي المسال. ان ارتباط هذا الممر المائي بالخليج العربي يجعله محط للأطماع والنزاع، خاصة وأن هذه المنطقة تسيطر على 30 % من انتاج النفط الخام، وأكثر من 75% من الاحتياطي و11%من طاقة التكرير. **(Congressional Reserch Service, 2026)**

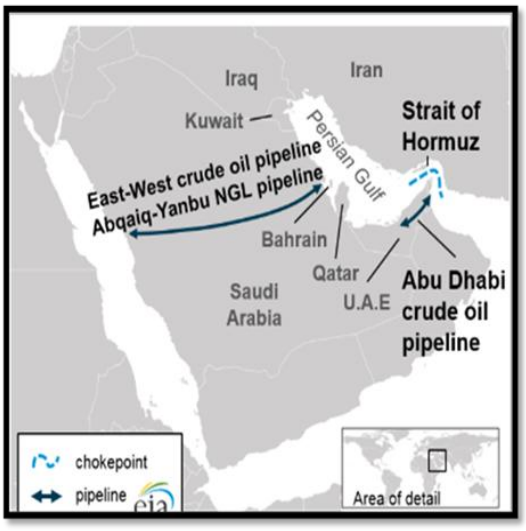

على الرغم من الدور الفاعل لباقي نقاط الاختناق العالمية (مضيق ملقا، قناة السويس، باب المندب، مضيق الدنمارك، مضائق تركيا، قناة بنما، رأس رجاء الصالح) في تحقيق استقرار سوق النفط العالمي، من خلال ضمان انتظام تدفقات الطاقة عبرها، إلا أن مضيق هرمز يتفرَّد بقلة الممرات البديلة له. حيث يمثل هذا الأخير فضاء تتقاطع فيه السيادة الإقليمية مع المصالح الدولية.

Source : Energy Information Administration (EIA)
https://www.eia.gov/todayinenergy/detail.php?id=61002#:~:text=The%20Strait%20of%20Hormuz%20is%20the%20world%27s%20mo

يكمن جوهر مضيق هرمز في تمويله الاقتصاد الصناعي العالمي بالنفط، فإضافة الى ما يوفره من نفط خام ومشتقاته الضرورية لاستمرار المشاريع الصناعية، تمتد أهميته الى الأسمدة الصناعية، حيث يمر من خلاله 20% من صادرات الأسمدة البحرية التي توفرها دول الخليج العربي، 46% من امدادات العالم بسماد اليوريا يغطيها مضيق هرمز. (WORLD ECONOMIC FORUM, 2026)

وعليه يصنف هذا الأخير صماما للأمان الدولي وشريان الطاقة العالمية، وممرا استراتيجيا امام الزراعة العالمية، حوَّله اغلاقه عام 2026 وتعطل امداداته الى نقطة ضعف في سلاسل التوريد العالمية.

2-تداعيات اغلاق مضيق هرمز على نظام الطاقة العالمي :

تتضارب القواعد والقوانين داخل هذا الممر المائي، بين حق المرور العابر مع قرارات الاغلاق ومنع للعبور، تأخذ الحوادث البحرية داخل مضيق هرمز شكلا خاص يجمع بين صراع على السيادة والنفوذ والمصلحة، مع موقع جيوقتصادي يجعل منه قناة لنقل المخاطر الى السوق العالمية.

وفق ما جاء به تقرير المخاطر العالمية الصادر عن المنتدى الاقتصادي العالمي لعام 2026 فان التوترات الجيوسياسية قد برزت كأهم مخاطر تواجه الاقتصاد العالمي. حيث تسبب اعلان دولة إيران اغلاق مضيق هرمز بتاريخ 2 مارس 2026 تعطل ما يفوق20% من حركة تجارة النفط البحرية العالمية، في سابقة الأولى من نوعها غلق ممر مائي لأشهر أمام أي نشاط تجاري.

ما يجعل الوضع أكثر تعقيدا أن تداعيات هذا الإغلاق واسعة النطاق، فقد تسبب الخلل في الخدمات اللوجستية البحرية في تعطل سلاسل الامداد، ترجم الى انخفاض في المعروض النفطي انعكس مباشرة على الأسعار بارتفاع تجاوز 120دولار للبرميل الواحد(Appiah-Kubi, 2026)

إضافة الى تأثر أسعار النفط بالطلب والعرض، أحدث ارتفاع مستويات عدم اليقين (عدم القدرة على التنبؤ) الى ارتفاع حساسية الأسعار أمام أي تحد يواجه هذا الممر، خاصة في ضوء الانقطاعات المتكررة في إمدادات الطاقة، مع نقص البدائل قصيرة الأجل وانعدام مرونة الطلب (Bhat et **al**., **2026**) .

ترجم ذلك الى تراجع في السفن المُبحرة عبر المضيق، حيث تُظهر تقديرات حركة السفن التجارية وناقلات النفط والغاز مثل ما هو موضح في الشكل2 توقفا شبه تام للسفن العابرة للمضيق بسبب التوترات الجيوسياسية. كما انخفض عدد السفن العابرة للمضيق من 175 سفينة يوميا قبل اندلا ع أحداث 28 فبراير (الهجوم الأمريكي على القواعد الإيرانية) الى 6 سفن بتراجع قدره 97 % من حركة السفن المعتادة. وبقيت361 ناقلة عالقة بالمضيق بتاريخ 7 مارس، مشكله أسطولا بحريا عائم داخل دهاليز هذا المضيق. على غرار ذلك توقفت حركة السفن داخل قناة بنما وجزر مارشال وليبيريا بعد ما كان يمر من خلالها 23 و18،14 سفينة على التوالي وهذا مباشرة بعد استهداف المضيق(Cao et al., 2026). مما يؤكد أن

اغلاق مضيق هرمز ليس شللا لحركة السفن والناقلات المارة عبره فحسب، بل اضطرابا في نظام الطاقة العالمي.

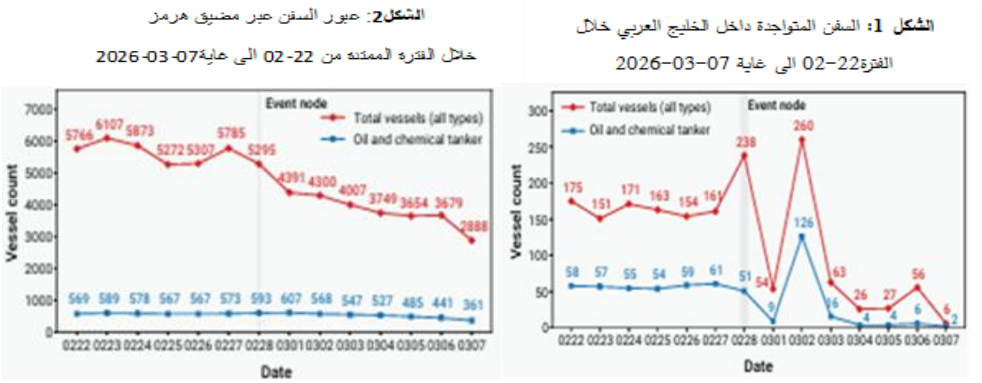

Source : CAO et al, Satellite radar and AIS reveal a 97% decline in shipping traffic through the Strait of Hormuz,2026

ان هذا الخلل اللوجستي الذي احدثه اغلاق مضيق هرمز، جعل السفن التجارية تسلك مسافات أطول بالتفافها حول رأس الرجاء الصالح. هذا العبء الإضافي (استهلاك وقود إضافي بنسبة ما بين 40% الى 60%) يضاف الى فاتورة المستهلك الذي يواجه ارتفاعا في مستويات الأسعار. كما ساهمت مستويات التضخم التي انتقلت من 1.2 الى 2.0 نقطة مئوية في تعقيد مسارات النمو. (Bachir & Adnane, n.d.)

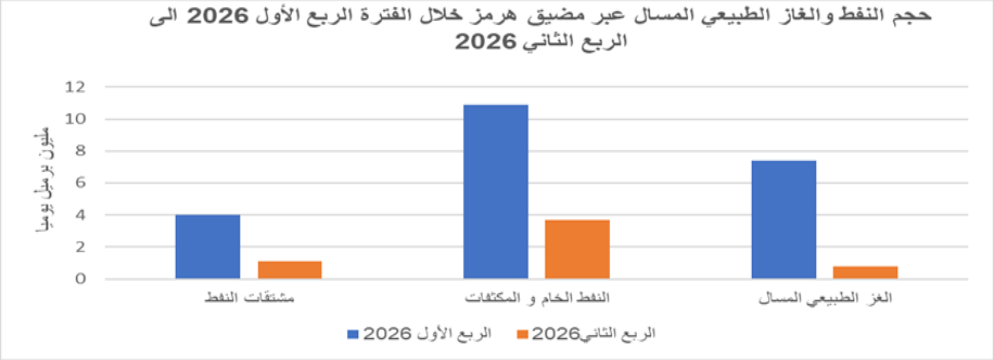

SOURCE:
https://www.eia.gov/outlooks/steo/report/energysecurity/article.php

وفق ما جاءت به النشرة الشهرية (ابريل 2026) الصادرة عن منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول، فالأزمة الجيوسياسية قد أحدثت تباطئ في الطلب العالمي قدره0.5 %، نتيجة تعطل سلاسل الامداد وارتفاع الأسعار التي بلغت 82.2 دولار للبرميل. كما تراجعت المخزونات العالمية للطاقة بنسبة 1.4%. أدى الوضع الجيوسياسي الراهن الى اختلال التوازن بين العوامل الداعمة للنمو مثل الاستثمارات التكنولوجية والسياسات النقدية من جهة، بالمقابل ساهمت اضطرابات سلاسل الامداد وارتفاع معدلات التضخم وتشديد الأوضاع المالية في تعقيد الحلول والبدائل أمام السوق العالمي، ترجم ذلك الى تراجع في توقعات النمو لعام 2026 بمعدل3.1%.

3- نفط الخليج ومأزق مضيق هرمز (بين المنحة والمحنة):

مر عبر مضيق هرمز حوالي20 مليون برميل نفط يوميا خلال عام 2025 كما يوضحه الجدول التالي:

الجدول 1: حجم النفط الخام والمنتجات البترولية المنقولة عبر المضيق خلال2020–الربع الأول من عام2025

الوحدة: مليون برميل يوميا

	2020	2021	2022	2023	2024	الربع الأول2025
تدفق اجمالي النفط عبر مضيق هرمز	19.2	19.7	21.9	21.8	20.7	20.9
النفط الخام	14.4	14.7	16.2	15.8	14.6	14.7
المنتجات البترولية	4.8	5.1	5.6	6.0	6.1	6.1
تدفق الغاز الطبيعي المسال (مليار قدم مكعب يوميا)	10.7	10.8	11	10.6	10.5	11.4

Source : Energy Information Administration(EIA)
https://www.eia.gov/international/analysis/special-topics/World_Oil_Transit_Chokepoints

تدفقت كميات معتبرة من النفط طيلة المرحلة الممتدة من2020 الى غاية 2025، مع طفرة في الامدادات خلال عامي 2022-2023 الحرب الروسية الأوكرانية، أين لجأت الدول الأوربية الى البحث عن بدائل للنفط الروسي من دول الخليج العربي. للتتراجع بعد ذلك تدفقات النفط عبر المضيق مع استقرار نسبي لبدائل الطاقة الى غاية 2025 اين سُجل انتقال 20 مليون برميل عبر المضيق.

كما ارتفعت امدادات المضيق بالغاز الطبيعي خلال 2022 ليصل الى 11 مليار قدم مكعب يوميا .

تمثل كلا من المملكة العربية السعودية، الكويت، العراق، البحرين، قطر، إيران والامارات العربية المتحدة الشريان النابض لإنتاج وتخزين النفط عالميا، حيث ساهمت هذه الدول في توفير الامدادات الطاقة على النحو التالي:

الجدول 2: المنتجات النفطية عبر المضيق عام 2025

وحدة القياس: مليون برميل

Source: Energy Information Administration (EIA)

	النفط الخام	مشتقات النفط	المجموع
المملكة العربية السعودية	5.43	0.80	6.23
الامارات العربية المتحدة	2.02	1.22	3.24
العراق	3.32	0.31	3.63
إيران	1.69	0.72	2.41
الكويت	1.40	0.97	2.37
قطر	0.73	0.69	1.43
المنطقة المحايدة السعودية–الكويت	0.35	0.00	0.35
البحرين	0.00	0.21	0.21
المجموع (صادرات النفط عبر مضيق هرمز)	14.95	4.93	19.87

https://www.iea.org/about/oil-security-and-emergency-response/strait-of-hormuz

تتصدر المملكة العربية السعودية قائمة دول الخليج العربي المصدرة للطاقة ب 6 مليون برميل يوميا خلال عام 2025، تليها العراق بما يقارب 4 مليون برميل. هذه المستويات من النفط التي تتجه خارج دول الخليج تنذر بأزمة معقدة عند توقف امداداتها للعالم، خاصة في ظل محدودية البدائل للدولة المشاطئة للمضيق.



https://www.visualcapitalist.com/charted-oil-trade-through-the-strait-of-hormuz-by-country

تتجه معظم صادرات النفط نحو الأسواق الأسيوية، في الصدارة الصين بما يفوق% 37 من امدادات المضيق. أما الهند ف تستورد 2.1 مليون برميل يوميا بمعدل 14%، إضافة الى كوريا واليابان بمعدل 12%.

كما يعبر من خلاله حوالي 93% و96% من صادرات الغاز الطبيعي المسال لكل من الامارات وقطر على التوالي، حيث تمثل هذه الأخيرة ثاني أكبر مصدر للغاز الطبيعي المسال عالميا بصادرات وقدرها 112 مليار متر مكعب، بما يعادل 20% من تجارة الغاز الطبيعي المسال عالميا. 90% منها تتجه نحو الأسواق الأسيوية(**EIA, 2026**) .

بالمقابل تشكل واردات الغاز الطبيعي المسال المتجهة من الشرق الأوسط باتجاه أوروبا بلغت 8 % وهي معرضة لاضطرابات السوق العالمي. حيث يتسبب نقص الامدادات العالمية مع ارتفاع للأسعار، في تنافس بين المشتري الأسيوي والأوربي، خاصة وأن الحرب الروسية الأوكرانية قد غيرت من توجهات السوق الأوربي الذي أصبح يفضل الولايات المتحدة الأمريكية، مصر، أنغولا(**Intereconomics, 2026**) .

لا يواجه السوق العالمي للطاقة تراجعا في الإنتاج أو تعطل في الامدادات فحسب، بل أيضا احتجاز لاحتياطيات النفطية لدول الخليج والتي تمثل 50% من الاحتياطي النفط العالمي. والذي حاولت تغطيته

وكالة الطاقة الدولية بإتاحتها 400 مليون برميل من احتياطات النفط الى السوق العالمي، هذا وفق ما جاء به تقريرها لشهر مارس 2026

4-الممرات البديلة ودورها في تلافي ازمة اغلاق مضيق هرمز 2026:

ان تركيز الاقتصاد العالمي على مسارات مائية غير المستقرة أمنيا يرفع من درجة المخاطرة، ويجعل اقتصاديات الدول أما أوضاع جيوسياسية جد معقدة. حيث يظهر الجدول التالي هشاشة نظام الطاقة العالمي أمام نقطتي الاختناق (مضيق هرمز، باب المندب)

الجدول 3: تقييم المخاطر الاستراتيجية في نقاط الاختناق العالمية للطاقة (مضيق هرمز، باب المندب)

	المخاطرة الجيوسياسية	علاوة التأمين	مخاطر الامدادات
مضيق هرمز	حرجة جدا	ارتفاع150% الى300%	عالية، تمر من خلاله ربع تجارة النفط العالمي
باب المندب (البحر الأحمر)	مرتفعة	زيادة 1% من قيمة السفينة الاجمالية	عالي، إعادة توجيه السفن عبر رأس رجاء الصالح

Source: Dridi bachir,Mehirig Adnane, Energy Security Strategies Amidst Global Supply Chain Disruptions: The Case of Algerian Natural Gas,2026,p6

يلاحظ من الجدول أعلاه ارتفاع درجة المخاطرة وعدم اليقين قد تسبب في ارتفاع تكاليف الشحن والتأمين. ب ما يفوق 300 % منذ أن أعلن اغلاق مضيق هرمز، كما ألغت العديد من الشركات عقودها تفاديا للخسائر التي قد تحدث في حال ما قررت السفن الإبحار عبره. ارتباط نقاط الاختناق العالمية بالتوترات العسكرية والجيوسياسية زادت من هشاشتها.

لقد تباينت آثار اغلاق مضيق هرمز على الدول المشاطئة له، فقد استطاع نظام الطاقة في السعودية والامارات إعادة اتزانها النسبي بعد اغلاق المضيق. وهذا يعود الى اعتمادهما على الممرات البرية في المقابل واجه العراق وقطر تحديات أكثر دقة بإعلان العديد من المصافي حالة القوة القاهرة .

الجدول 3: تقديرات اضطرابات انتاج النفط الخام عند اغلاق مضيق هرمز 2026

وحدة القياس: ألف برميل يوميا

الدول	متوسط الإنتاج بتاريخ26 فبراير	متوسط الإنتاج المعطل التقديري من مارس- يونيو	الإنتاج لمعطل يوليو	الإنتاج المعطل التقديري أغسطس
الكويت	2560	1648	850	680
لامارات	3600	925	0	0
ايران	3390	455	200	1000
العراق	4400	2880	1720	1160
قطر	557	463	150	200
البحرين	193	143	110	130
سعودية	10500	2923	1950	3550
لمجموع	25200	9435	4980	6720

Source: https://www.eia.gov/outlooks/steo/report/global_oil.php

يظهر الجدول أعلاه متوسط التوقف الذي يعترض امدادات دول الخليج العربي، والتي سجلت اعلى مستويتها في شهر مارس بداية صدمة الاغلاق، ولكن مع اعتماد كل من السعودية والامارات العربية البدائل البرية استطاعت تجنب هذا الحصار العسكري. رغم محدودية استيعاب طرق الامداد البرية الا ان دول الخليج استطاعت من خلالها تصريف فائض انتاجها .

-الشريان الحيوي ومنفذ صادرات النفط السعودي (خط بترولين):

هذا الممر البري الذي يربط شرق المملكة العربية السعودية بغربها (طول 745 ميلا)، بسعة 7 ملايين برميل يوميا. شكل المعبر في المراحل الأولى من اغلاق المضيق ممرا استراتيجيا نحو الزبون الأسيوي والأوربي . (pipeline Technology journal, 2026)

هذا المعبر البري تمثل دوره الرئيسي في توفير الامداد أثناء المواجهات التصعيدات العسكرية في الممر المائي هرمز. يعود تاريخ هذا الطريق البري الى عام 1981، حيث يتكون من خطوط أنابيب متوازية ممتدة لمسافة 1200 كيلومتر، يعمل كلا منها بواسطة 5 توربينات غازية، سعة كلا منها 5.1 مليون برميل يوميا . (Ewell & Noer, n.d.)دوره الأساسي نقل النفط الخام الى الموانئ والمصافي غرب السعودية. يوفر هذا الممر وصول امدادات النفط السعودي الى زبائنها من خلال رأس تنورة وينبع إضافة الى ذلك تم انشاء خط مواز لنقل الغاز الطبيعي. (العربي الجديد، 2026) . حيث اعتبر منفذا وبديلا استراتيجي من ضغط المضيق على السوق العالمي، ولان هذا الممر قد خفف من أثر الأزمة على المنطقة فقد تعرض لتهديدات قصف متكررة احدثت تعطلا الامدادات نتيجة توقفها الاحترازي. وعليه يمكن القول إن الأزمة وتهديداتها تجاوزت مضيق هرمز متجهة الى تصعيدات تنذر بشتاء بارد.

-الامارات العربية هي الأخرى تعتمد على البديل البري لنقل منتجاتها من الطاقة، من خلال خط الأنابيب ADCOPوالذي ينقل 1.8 مليون برميل يوميا من حبشان الى محطة الفجيرة. كما تسعى الى تسريع مشروع توسيع خط الأنابيب من حقول أبو ظبي الى الفجيرة، والذي من شأنه أن يساهم في رفع مستوى الاستيعاب الى 5 مليون برميل من النفط يوميا(pipeline Technology journal, **2026**) .

– العراق أيضا يسعى لتوفير البدائل البرية، أين يطمح من خلال شراكته الأمريكية القطرية، والتي يتوقع أن تربط خط الأنابيب مركز النفط الجنوبي في البصرة نحو ميناء بانياس السوري. اضافته الى تعاقد العراق مع شريكها التركي نحو إعادة تأهيل البنية التحتية للتصدير شمالا. كما اقترحت تركيا تمديد خط الأنابيب كركوك – جيهان ليصل الى البصرة كخطوة نحو تصدير النفط باتجاه البحر المتوسط خلال عام 2027. **(Victoria Grabenwöger, 2026)**

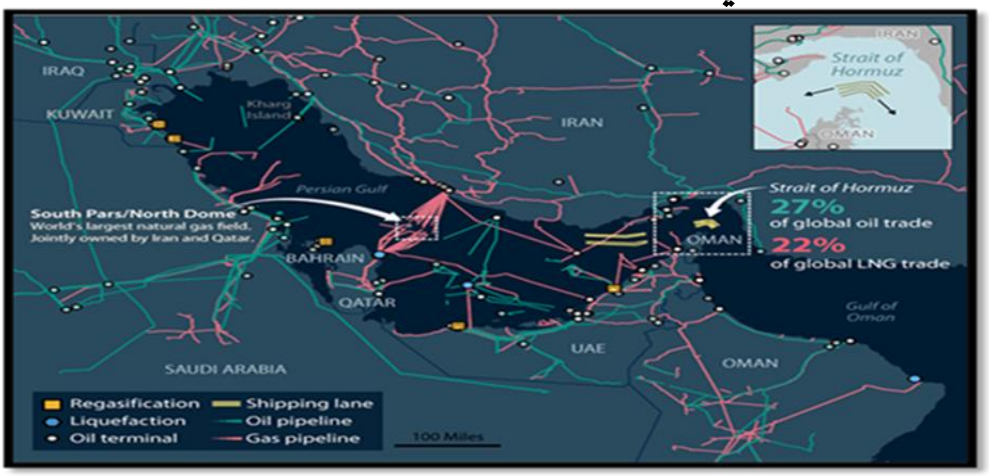

Source :Congressional Research Service ,Iran Conflict and the Strait of Hormuz: Impacts on Oil, Gas, and Other Commodities,2026, p3

يعيش الواقع الاقتصادي حالة من التضارب والتناقض بين قرارات سياسية ومصالح اقتصادية، حيث سُجل استيراد مصافي آسيوية للنفط الروسي والذي سوف يوَّجه لاحقا الى أوروبا. هذه الأخيرة التي تمارس سياسة مقاطعة للنفط الروسي الخام ،سوف تضطر الى اعتماده من مصافي آسيوية نتيجة توقف الامدادات القطرية. هذا المسار الجديد الذي سلكته الدول الأوربية للحصول على الطاقة، يمثل إضافة في فاتورة الأسعار وتكلفة إضافية، يشبه ما تدفعه باقي الدول نتيجة حصولها على النفط من الشرق الأوسط، بعد أن تسلك مسارا التفافيا بعيدا عن مضيق هرمز.

–الطرق البحرية البديلة: إضافة الى الممرات البرية تلجأ دول الخليج العربي الى موانئها البحرية، للوصول بمنتجاتها الهيدروكربونية الى بر آمن بعيدا عن التصعيدات العسكرية. فالوصول الى البحر الأحمر عبر موانئ السعودية يساعد هذه الأخيرة في نقل صادرتها من خط بترولين الى خارج المنطقة، متجاوزة في ذلك مضيق هرمز. كذلك تمثل موانئ الفجيرة وعمان نقطة الوصل امدادات الطاقة الى بحر العرب (Sahil, 2025).

على رغم من أن البنى التحتية لا تستوعب كمية الطاقة التي يوفرها مضيق هرمز، إلا أن الدول قد انتهجت مسالك جديدة نحو المصافي الآسيوية والأمريكية، في مشهد يضفي الغموض حول الصورة النهائية لمسارات

الطاقة في العقود القادمة، خاصة وأن أمن الطاقة ومرونة الامدادات أصبحت ركائز مهمة في اختيار المُوَّرد بعد أن كان لعقود السعر وكمية الإنتاج هي الركائز الأولى في تفضيلات الزبائن.

الخاتمة:

لقد ساهم هذا التفتت الجيوسياسي (توترات تجارية، إعادة توطين سلاسل الامداد، المنافسة الصناعية) في إعادة تشكيل نظام الطاقة العالمي. حيث ساهمت الأزمة الجيوسياسية اغلاق مضيق هرمز في إعادة تعريف المخاطرة وأمن الطاقة، حيث لم يعد توفير إمدادات الطاقة كاف بل أصبح من الضروري توفر الأمان والمرونة في مواجهة الأزمات العالمية المتتالية(Energy Transition Index 2026, 2026) .

ان تأثير هذه الصدمة لم يكن متجانسا بين سائر دول العالم (آثار اقليمية متباينة)، ففي الوقت الذي امتد أثر الأزمة الى الغذاء لدى الدول الأقل دخلا والمعتمدة بالأساس على الاستيراد، والتي تواجه صعوبة في المفاضلة بين الحصول على الطاقة أو الحفاظ على استقرارها المالي. استطاعت الدول الأكثر استقرارا استيعاب فارق التكاليف وذلك بالعودة الى احتياطاتها الاستراتيجية.

وفق ما جاء به مؤشر تحول الطاقة لعام 2026، فقد أعادت هذه الأزمة الصراع الأزلي بين الطاقة الخضراء والرمادية. ففي الوقت الذي اعادت حكومات الدول الأولوية للطاقات النظيفة، تعيش اقتصاديات الأسيوية رجوعا نحو الفحم كبديل أسهل أقل تكلفة، الأهم من ذلك هو الخيار الأسرع للخروج من الأزمة الراهنة. مما يعني تأخر المساعي الدولية نحو إزالة الكربون. وعليه يمكن القول إن العالم يتخبط بين تضارب المصالح ومحدودية الحلول خاصة وأن فصل الصيف يغادرنا مما يعني احتياج أكثر للطاقة ومصادرها .

لقد أظهرت أزمة اغلاق مضيق هرمز هشاشة نظام الطاقة العالمي أمام الأزمات، حيث لم تعد الممرات والمضائق المائية بديلا آمن. على الرغم من ذلك تظل إمكانيات البدائل البرية محدودة أمام ما فره مضيق هرمز لعقود. كما يظل انشاء الممرات والمعابر البرية أمرا معقدا لكثير من الدول المتعثرة اقتصاديا، خاصة وأن انشاءها يتطلب استثمارات ضخمة قد لا تستطيع ميزانيات أغلب الدول تحملها .

انطلاقا من كل ما تقدم فانه من الضروري البحث عن حلول أكثر أمنا ومرونة، خاصة في ضوء ما تفرضه الاحداث المتسارعة بعد شن هجمات متكررة على العديد من نقاط الاختناق العالمية. ناهيك عن التصعيد العسكري بين أوكرانيا وروسيا.

توصي الدراسة:

-ضرورة التوجه نحو الطاقات النظيفة (الطاقة المتجددة)

-تنويع مصادر الطاقة وقنواتها؛

--تعزيز التعاون الإقليمي.

Bibliographie

1-Appiah-Kubi, C. (2026). The Strait of Hormuz Crisis (Vol. 1, Number 1).

2-Bachir, D., & Adnane, M. (n.d.). Energy Security Strategies Amidst Global Supply Chain Disruptions: The Case of Algerian Natural Gas.

3-Bhat, A., Wani, M. H., Sultan, A., & Malik, H. A. (2026). The Strait of Hormuz and Its Impact on Global Oil Prices. https://doi.org/10.21203/rs.3.rs-9632764/v1

4-Cao, Y., Wang, H., Su, F., Fu, D., Yan, F., Hong, X., He, W., Xu, N., Ou, Y., & Chen, C. (2026). Satellite radar and AIS reveal a 97% decline in shipping traffic through the Strait of Hormuz. In Innovation (Vol. 7, Number 6). Cell Press. https://doi.org/10.1016/j.xinn.2026.101367

5-Congressional Reserch Service. (2026). Iran Conflict and the Strait of Hormuz:.

6-Dridi Bachir. Mehirig Adnan. (2026). Energy Security Strategies Amidst Global Supply Chain Disruptions: The Case.

7-EIA. (2026, February). Strait of Hormuz. Récupéré sur https://www.iea.org/about/oil-security-and-emergency-response/strait-of-hormuz

8-Ewell, M. W., & Noer, J. (n.d.). An Alternative Pipeline Strategy in the Persian Gulf.

9-Meza, A., Ari, I., Al Sada, M., & Koç, M. (2026). Implications of interrupting the Hormuz Strait in the LNG trade. Journal of Transportation Security, 19(1). https://doi.org/10.1007/s12198-026-00350-1

10-Sahil, -Mohd. (2025). INTERNATIONAL JOURNAL OF ADVANCED LEGAL RESEARCH THE STRAIT OF HORMUZ AND ITS IMPORTANCE IN MIDDLE EAST AND WORLD. 5. https://www.ijalr.in/

11-Intereconomics. (2026). Energy Security amid Geopolitical Instability: Lessons from the 2026 Strait of Hormuz Shock. Récupéré sur https://www.intereconomics.eu/contents/year/2026/number/4/article/energy-12-security-amid-geopolitical-instability-lessons-from-the-2026-strait-of-hormuz-shock.html

13-pipeline Technology journal. (2026, 07 04). Récupéré sur https://www.pipeline-journal.net/news/gulf-states-fast-track-pipeline-projects-bypass-volatile-strait-hormuz

14-pipeline Technology journal. (2026, 05 19). Récupéré sur https://www.pipeline-journal.net/news/uae-fast-tracks-second-pipeline-bypass-strait-hormuz-double-export-capacity

15-Victoria Grabenwöger. (2026, july 10). Récupéré sur https://www.kpler.com/blog/new-pipelines-bypassing-the-strait-of-hormuz-could-come-online-in-1-2-years

16-WORLD ECONOMIC FORUM. (2026, april). Récupéré sur https://www.weforum.org/stories/supply-chains-and-transportation/beyond-oil-lng-commodities-impacted-closure-hormuz-strait/

المراجع بالعربية:1-العربي الجديد. (11 سبتمبر, 2026). تم الاسترداد من https://www.alaraby.co.uk/economy/%D8%AE%D8%B7-%D8%B4%D8%B1%D9%82-%D8%BA%D8%B1%D8%A8-%D8%A7%D9%84%D8%B3%D8%B9%D9%88%D8%AF%D9%8A-%D8%B4%D8%B1%D9%8A%D8%A7%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%81%D8%B7-%D8%A7%D9%84%D8%B0%D9%8A-%D8%A3%D9%88%D9%82%D9%81%D9%87-%D9%87%D8%AC%D9%88%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%B3%D9%8A%D9%91%D8%B1%D8%A7%D8%AA

Soft Skills Integration in Sudanese Information Studies Programs: A Diagnostic Benchmarking of Gaps Against International Digital Labor Market Standards

Dr. Jodat, Muhammed Nasser Dawuod Saleh
Senior Library Officer, Graduate Studies Library
University of the Holy Qur'an and Ta'ssel of Sciences, Sudan
nassco555@gmail.com

Abstract:

This study aimed to diagnose the integration of soft skills within Sudanese Information Studies programs and measure its alignment with international digital labor market standards. **The significance of the study** stems from the growing demand for behavioral and professional competencies in contemporary digital institutions, and the need to redesign academic programs in line with labor market transformations. Adopting a **comparative benchmarking analytical approach,** the study content-analyzed specialization courses (144 credit hours) and compared them with international professional standards (IFLA/ALA/CILIP). Findings revealed partial integration of soft skills at an overall rate of (27%), a percentage below the expected benchmark level of (50%) with a gap of (-23%), with significant gaps in digital leadership (gap: -12%), emotional intelligence (gap: -12%), and negotiation (gap: -9%) competencies relative to international benchmarks. **The results** of this study were compared with previous studies in Arab academic programs, and its findings are consistent with what Al-Hasan (2016) and Al-Zahrani (2022) concluded that the benchmark gap in soft skills ranges between (-8%) and (-12%), which confirms the necessity of re-engineering academic curricula to integrate these skills in a codified manner. **The study recommends** curriculum redesign to embed soft skills within applied activities, and the introduction of dedicated courses in digital leadership and emotional intelligence, to enhance graduates' professional readiness.

Keywords: Soft Skills, Digital Labor Market, Information Studies, Benchmarking Analysis, Digital Leadership, Employability.

تكامل المهارات الناعمة في برامج دراسات المعلومات السودانية: تشخيص فجوات معيارية مقارنة بمعايير سوق العمل الرقمي الدولية

د. جودات، محمد ناصر داؤد صالح

أمين مكتبة الدراسات العليا ـ جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم، السودان

البريد الإلكتروني: nassco555@gmail.com

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى تشخيص واقع تكامل المهارات الناعمة في برامج دراسات المعلومات السودانية، وقياس مدى مواءمتها لمعايير سوق العمل الرقمي الدولية. **تكتسب الدراسة أهميتها** من تزايد الطلب على الكفايات السلوكية والمهنية في المؤسسات الرقمية المعاصرة، ومن الحاجة إلى إعادة بناء البرامج الأكاديمية بما يتوافق مع تحولات سوق العمل. اعتمدت الدراسة **المنهج التحليلي المعياري المقارن**، من خلال تحليل محتوى مقررات التخصص (144 ساعة معتمدة) ومقارنتها بالمعايير المهنية الدولية (IFLA/ALA/CILIP). **أظهرت النتائج** وجود تكامل جزئي للمهارات الناعمة بنسبة عامة بلغت (27%)، وهي نسبة تقل عن المستوى المعياري المتوقع والبالغ (50%) بفجوة مقدارها (-23%)، مع فجوات واضحة في المهارات القيادية الرقمية (الفجوة: -12%) والذكاء العاطفي (الفجوة: -12%) والتفاوض (الفجوة: -9%) مقارنة بالمعايير الدولية. وقد تم **مقارنة نتائج هذه الدراسة مع نتائج دراسات سابقة** في البرامج الأكاديمية العربية، حيث تتوافق نتائجها مع ما توصل إليه الحسن (2016) والزهراني (2022) من أن الفجوة المعيارية في المهارات الناعمة تتراوح بين (-8%) و(-12%)، الأمر الذي يؤكد ضرورة إعادة هندسة المناهج الأكاديمية لدمج هذه المهارات بشكل مقنن. **توصي الدراسة** بإعادة تصميم المقررات بما يضمن دمج المهارات الناعمة في الأنشطة التطبيقية، واستحداث مقررات في القيادة الرقمية والذكاء العاطفي، لتعزيز جاهزية الخريجين المهنية.

الكلمات المفتاحية: المهارات الناعمة، سوق العمل الرقمي، دراسات المعلومات، التحليل المعياري، القيادة الرقمية، قابلية التوظيف.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

المقدمة:

يشهد العالم المعاصر تحولات متسارعة في بنية العمل وأنماط المهن نتيجة التطور الكبير في تقنيات المعلومات والاتصالات، والانتقال المتزايد نحو البيئات الرقمية التي تعتمد على البيانات والأنظمة الذكية والعمل التشاركي والاتصال الافتراضي. وقد انعكست هذه التحولات بصورة مباشرة على طبعة الكفايات المطلوبة في سوق العمل، حيث لم تعد المهارات التقنية وحدها كافية لتحقيق الكفاءة المهنية أو ضمان فرص التوظيف والاستمرار الوظيفي، بل أصبحت المهارات الشخصية والاجتماعية والسلوكية تمثل أحد المرتكزات الأساسية للنجاح المهني في المؤسسات الحديثة.

وفي ظل هذا التحول، برزت المهارات الناعمة بوصفها مكونًا محوريًا في بناء الكفاءة المهنية المعاصرة، لما تؤديه من دور في تعزيز القدرة على التواصل، والعمل الجماعي، والقيادة، وحل المشكلات، وإدارة الوقت، والتكيف مع المتغيرات المهنية والتقنية. كما أصبحت المؤسسات الحديثة تنظر إلى هذه المهارات باعتبارها جزءًا لا ينفصل عن التأهيل المهني ...، خاصة في البيئات الرقمية التي تتطلب التفاعل المستمر، وإدارة العلاقات المهنية، والقدرة على التعلم المستمر والتعامل مع التغيير.

وقد تأثرت تخصصات المعلومات بصورة مباشرة بهذه التحولات، نتيجة ارتباطها الوثيق بالتقنيات الرقمية وإدارة المعرفة والخدمات المعلوماتية الحديثة. فالمؤسسات المعلوماتية لم تعد تعتمد على النماذج التقليدية في تقديم خدماتها، بل أصبحت تعمل داخل بيئات رقمية تتطلب كوادر تمتلك مزيجًا متكاملًا من المهارات التقنية والمهارات السلوكية والمهنية. كما أن طبعة العمل المعلوماتي المعاصر أصبحت قائمة على التفاعل مع المستفيدين، والعمل ضمن فرق متعددة التخصصات، وإدارة البيانات والمعرفة في بيئات تتسم بسرعة التغير والتطور المستمر.

ومن هذا المنطلق، أصبحت الجامعات مطالبة بإعادة النظر في برامجها الأكاديمية ومخرجاتها التعليمية بما يضمن مواءمتها للتحولات المهنية الحديثة. ولم يعد تطوير البرامج الأكاديمية مقتصرًا على تحديث المحتوى المعرفي فقط، بل أصبح مرتبطًا بإعادة بناء الخبرات التعليمية بصورة تحقق التكامل بين المعرفة النظرية والكفايات المهنية والسلوكية. ولذلك اتجهت العديد من الجامعات العالمية إلى تضمين المهارات الناعمة داخل

الخطط الدراسية والتدريب الميداني والأنشطة التطبيقية، بوصفها جزءً من متطلبات الجودة والاعتماد الأكاديمي وقابلية التوظيف.

وفي هذا السياق، يكتسب برنامج دراسات المعلومات بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم السودانية أهمية خاصة، لكونه أحد البرامج الأكاديمية التي تسعى إلى إعداد كوادر متخصصة في مجالات المعلومات والوثائق والأرشيف، في ظل بيئة مهنية تشهد تغيرات متسارعة على المستويين التقني والتنظيمي. كما أن ارتباط البرنامج بخلفية أكاديمية تستند إلى تجارب إقليمية في مجال دراسات المعلومات (قسم دراسات المعلومات بجامعة السلطان قابوس)، يمنحه أهمية إضافية من حيث إمكانات التطوير ومواءمة المخرجات التعليمية مع احتياجات سوق العمل.

وتكتسب هذه الدراسة أهمية خاصة في سياق المحور الأول للمؤتمر المتعلق بـ "**التربية والمجتمع والإنسان في عالم متغير**"، إذ تتناول قضية جوهرية تتقاطع فيها التربية الأكاديمية باعتبارها آلية لبناء الإنسان المعاصر، والمجتمع باعتباره سياقًا للعمل والإنتاج، والتحولات المتسارعة التي يشهدها العالم الرقمي. فالإنسان في عالم متغير ـ كما يؤكد شعار المؤتمر: "**حين تلتقي التخصصات... يولد الابتكار**" ـ لا يُعدّ بمعارفه التقنية فحسب، وإنما بقدرته على التفاعل والتكيف والإبداع في بيئات عمل متعددة التخصصات. ومن هنا، تبرز أهمية دراسة تكامل المهارات الناعمة ـ بوصفها المكون الإنساني والسلوكي في التأهيل الأكاديمي ـ مع متطلبات سوق العمل الرقمي، بوصفها الانعكاس المجتمعي للتحولات المعرفية والتقنية. فالورقة لا تقتصر على التشخيص الأكاديمي فحسب، بل تسعى إلى إبراز رهان البحث العلمي في إعادة بناء البرامج الجامعية بما يضمن مواكبة المتغيرات، ويُعدُّ خريجًا قادرًا على الابتكار عند تقاطع المعارف التقنية والمهارات السلوكية.

غير أن التطورات المتلاحقة في سوق العمل الرقمي تثير جملة من التساؤلات المتعلقة بمدى تكامل المهارات الناعمة داخل مقررات التخصص؟، ومدى قدرة هذه المقررات على إعداد خريجين يمتلكون الكفايات المهنية والسلوكية المطلوبة للعمل في البيئات الرقمية الحديثة؟. كما تبرز الحاجة إلى الوقوف على طبيعة الفجوات القائمة بين المخرجات الأكاديمية الحالية ومتطلبات سوق العمل، والكشف عن الجوانب التي تحتاج إلى تطوير أو إعادة بناء داخل البرنامج الأكاديمي.

ومن هنا جاءت هذه الدراسة بوصفها محاولة علمية لتشخيص واقع تكامل المهارات الناعمة في برامج دراسات المعلومات السودانية، من خلال توظيف التحليل المعياري المقارن للكشف عن مستوى حضور هذه المهارات داخل المقررات الأكاديمية، ومدى اتساقها مع معايير سوق العمل الرقمي الدولية. كما تسعى الدراسة إلى تقديم رؤية تطويرية تستند إلى نتائج التحليل، بما يسهم في تعزيز جودة البرنامج الأكاديمي، ورفع قابلية توظيف الخريجين، وتحسين جاهزيتهم المهنية في البيئات الرقمية المعاصرة.

وتستمد الدراسة أهميتها من طبعية التحولات التي يشهدها قطاع المعلومات، ومن الحاجة المتزايدة إلى إعادة بناء البرامج الأكاديمية وفق مقاربات تعليمية حديثة توازن بين المهارات التقنية والمهارات الناعمة. كما تسهم الدراسة في تقديم إطار تحليلي يمكن الإفادة منه في تطوير برامج المعلومات والمكتبات والأرشيف في مؤسسات التعليم العالي السودانية والعربية، خاصة في ظل تنامي الاهتمام بقضايا التحول الرقمي وجودة المخرجات التعليمية وقابلية التوظيف.

المحور الأول: الإطار المفاهيمي والمصطلحي للدراسة

أولاً: الإطار المفاهيمي

يشكل الإطار المفاهيمي القاعدة التفسيرية التي تُبنى عليها هذه الدراسة، إذ يحدد المفاهيم الرئيسة التي تدور حولها عملية التحليل، ويضبط دلالاتها النظرية والإجرائية في سياق تخصص دراسات المعلومات. كما يتيح هذا الإطار فهم العلاقة بين المهارات الناعمة ومتطلبات سوق العمل الرقمي الدولية بوصفها علاقة تكاملية تعكس التحول في طبعية الكفايات المهنية المطلوبة في العصر الرقمي.

1. المهارات الناعمة :(Soft Skills):

التعريف العلمي: هي عبارة عن مجموعة من "السمات الشخصية والاجتماعية التي تمكِّن الأفراد من التفاعل الفعَّال داخل بيئات العمل المختلفة" (السالمي، 2019، ص 15؛ إبراهيم، 2021، ص 22).

التعريف الإجرائي: هي مجموعة المهارات غير التقنية المتضمنة في مقررات تخصص دراسات المعلومات، وتشمل: التواصل، والعمل الجماعي، والقيادة، وحل المشكلات والتفكير النقدي، وإدارة الوقت،

والذكاء العاطفي، والمرونة، والإبداع، والتفاوض، والعرض والتقديم، وبناء العلاقات المهنية، وأخلاقيات العمل.

تمثل المهارات الناعمة محور التحول في فلسفة التعليم العالي، إذ لم تعد المهارات التقنية وحدها كافية لإعداد الخريجين لسوق العمل الرقمي. كما تعكس هذه المهارات قدرة البرامج الأكاديمية على بناء شخصية مهنية متكاملة قادرة على التكيف مع بيئات العمل المتغيرة. ويُعدّ السالمي (2019) وإبراهيم (2021) من أبرز المراجع العربية في تناول هذه المهارات في السياق العربي.

2. سوق العمل الرقمي (Digital Workplace):

التعريف العلمي: هي عبارة عن "بيئة عمل تعتمد على التقنيات الرقمية في تنفيذ المهام وإدارة العمليات والتواصل" (الزهراني، 2022، ص 45؛ عبدالرحمن، 2023، ص 38).

التعريف الإجرائي: هو الإطار المهني الذي تُقاس في ضوئه مدى مواءمة مقررات تخصص دراسات المعلومات لمتطلبات التوظيف في البيئات الرقمية الحديثة.

أعاد سوق العمل الرقمي تشكيل مفهوم الكفاءة المهنية، حيث أصبح يعتمد على التكامل بين المهارات التقنية والمهارات السلوكية. كما فرض هذا التحول ضرورة إعادة تصميم البرامج الأكاديمية بما يواكب متطلبات العمل الافتراضي والتعاون الرقمي. ويُقدّم الزهراني (2022) وعبدالرحمن (2023) تحليلاً معمقًا للتحولات الرقمية في سوق العمل العربي.

3. التحليل المعياري المقارن (Benchmarking Analysis):

التعريف العلمي: هو "منهج يعتمد على مقارنة الأداء أو البرامج بمعايير مرجعية لتحديد الفجوات وتحسين الجودة" (الحسن، 2016، ص 72؛ الخطيب، 2019، ص 58).

التعريف الإجرائي: هو المنهج المستخدم في هذه الدراسة لتحليل مقررات تخصص دراسات المعلومات ومقارنتها بالمعايير الدولية ومتطلبات سوق العمل الرقمي.

يسمح هذا المنهج بتقديم قراءة نقدية دقيقة للبرامج الأكاديمية، من خلال الكشف عن نقاط القوة والضعف، بما يدعم تطوير المناهج وفق أسس معيارية قابلة للقياس والتحسين المستمر. ويُعدُّ الحسن

(2016) والخطيب (2019) من المراجع العربية الأساسية في تطبيق هذا المنهج في البرامج الأكاديمية العربية.

ثانيًا: الإطار المصطلحي للدراسة

يُعنى هذا المحور بتفكيك المهارات الناعمة إلى مكونات فرعية قابلة للقياس داخل المقررات الأكاديمية، بما يسمح بتحويل المفاهيم النظرية إلى مؤشرات تحليلية دقيقة، وتقييم مدى تكامل هذه المهارات داخل تخصص دراسات المعلومات في ضوء متطلبات سوق العمل الرقمي.

1. التواصل الفعال (Effective Communication):

التعريف العلمي: "القدرة على نقل المعلومات والأفكار بوضوح وفاعلية باستخدام الوسائل اللفظية وغير اللفظية" (السالمي، 2019، ص 28؛ أحمد، 2020، ص 35).

التعريف الإجرائي: هو قدرة الطالب على التعبير الشفهي والكتابي والتفاعل الإلكتروني داخل السياقات الأكاديمية والمهنية، بما يشمل التواصل مع المستفيدين في البيئات الرقمية. ويُعد التواصل الفعال حجر الأساس في العمل المعلوماتي، حيث تعتمد المؤسسات الحديثة على تدفق المعلومات والتفاعل المستمر مع المستفيدين في البيئات الرقمية. ويُميز التعريف الإجرائي بين التواصل التقليدي والتواصل الافتراضي الذي تفرضه البيئات المعلوماتية المعاصرة.

2. العمل الجماعي (Teamwork):

التعريف العلمي: "القدرة على التعاون لتحقيق أهداف مشتركة داخل فريق عمل منظم" (عبيدات وآخرون، 2018، ص 42؛ إبراهيم، 2021، ص 56).

التعريف الإجرائي: هو مشاركة الطالب في الأنشطة الجماعية داخل المقررات الدراسية، بما يشمل العمل ضمن فرق افتراضية متعددة التخصصات. وأصبح العمل الجماعي من المهارات الأساسية في بيئات العمل الرقمية التي تعتمد على الفرق الافتراضية متعددة التخصصات. ويُضيف التعريف الإجرائي بعدًا إلكترونيًا يتوافق مع متطلبات سوق العمل الرقمي.

3. القيادة (Leadership):

التعريف العلمي: "عملية التأثير في الآخرين لتحقيق أهداف مشتركة" (الحسن، 2016، ص 88؛ الزهراني، 2022، ص 62).

التعريف الإجرائي: هي قدرة الطالب على اتخاذ القرار وتحمل المسؤولية في السياقات الأكاديمية والمهنية، بما يشمل إدارة الفرق الافتراضية. وتتطلب البيئات الرقمية الحديثة قيادة مرنة قادرة على إدارة الفرق الافتراضية والتكيف مع التغيرات السريعة. ويُركز التعريف الإجرائي على القيادة الرقمية كمهارة مطلوبة في سياقات العمل المعلوماتي المعاصر.

4. إدارة الوقت (Time Management):

التعريف العلمي: "تنظيم الوقت لتحقيق الأهداف بكفاءة" (السالمي، 2019، ص 33؛ عبدالرحمن، 2023، ص 45).

التعريف الإجرائي: هي قدرة الطالب على تنظيم مهامه الأكاديمية والمهنية، بما يشمل إدارة المهام المتعددة في البيئات الرقمية. وتُعد إدارة الوقت من المهارات الأساسية في البيئات الرقمية التي تتسم بتعدد المهام وسرعة الأداء. ويُضيف التعريف الإجرائي بعدًا رقميًا يتوافق مع طبعية العمل المعلوماتي.

5. حل المشكلات والتفكير النقدي (Problem-Solving and Critical Thinking):

التعريف العلمي: "تحليل المشكلات للوصول إلى حلول منطقية" (عبيدات وآخرون، 2018، ص 51؛ أحمد، 2020، ص 48).

التعريف الإجرائي: هو قدرة الطالب على التحليل واتخاذ القرار في السياقات الأكاديمية والمهنية، بما يشمل التعامل مع المشكلات المعلوماتية المعقدة. ويمثل هذا المفهوم جوهر العمل المعلوماتي الذي يعتمد على التحليل والتفسير واتخاذ القرار. ويُركز التعريف الإجرائي على التطبيق في السياقات المعلوماتية المحددة.

6. الذكاء العاطفي (Emotional Intelligence):

التعريف العلمي: "القدرة على إدراك المشاعر وإدارتها" (الحسن، 2016، ص 95؛ إبراهيم، 2021، ص 68).

التعريف الإجرائي: هو قدرة الطالب على التعامل الإيجابي مع الآخرين في السياقات الأكاديمية والمهنية، بما يشمل التفاعل غير المباشر في البيئات الرقمية. ويكتسب الذكاء العاطفي أهمية كبيرة في البيئات الرقمية التي تعتمد على التفاعل غير المباشر. ويُضيف التعريف الإجرائي بعدًا إلكترونيًا يتوافق مع متطلبات سوق العمل الرقمي.

7. التفاوض والإقناع (Negotiation and Persuasion):

التعريف العلمي: "الوصول إلى حلول توافقية من خلال التأثير الإيجابي" (السالمي، 2019، ص 41؛ الخطيب، 2019، ص 72).

التعريف الإجرائي: هو قدرة الطالب على إدارة الحوار المهني في السياقات الأكاديمية والمهنية، بما يشمل التفاوض في البيئات الرقمية. ويسهم في تحقيق بناء علاقات مهنية فعالة داخل المؤسسات المعلوماتية. ويُضيف التعريف الإجرائي بعدًا رقميًا يتوافق مع طبعية العمل المعلوماتي المعاصر.

8. المرونة والتكيف (Adaptability and Flexibility):

التعريف العلمي: "القدرة على التكيف مع التغيرات" (عبيدات وآخرون، 2018، ص 59؛ الزهراني، 2022، ص 78).

التعريف الإجرائي: هو قدرة الطالب على التعامل مع التغيرات التقنية والمهنية في السياقات الأكاديمية. وتُعد المرونة شرطًا أساسيًا في البيئات الرقمية المتغيرة باستمرار. ويُركز التعريف الإجرائي على التغيرات التقنية كمحور رئيس في تخصص المعلومات.

9. الإبداع والابتكار (Creativity and Innovation):

التعريف العلمي: "إنتاج أفكار جديدة تسهم في التطوير" (الحسن، 2016، ص 102؛ أحمد، 2020، ص 55).

التعريف الإجرائي: هو قدرة الطالب على تطوير حلول مبتكرة في السياقات الأكاديمية والمهنية، بما يشمل الابتكار في الخدمات المعلوماتية. ويمثل الإبداع والابتكار عنصرًا تنافسيًا مهمًا في المؤسسات الحديثة. ويُضيف التعريف الإجرائي بعدًا خدماتيًا يتوافق مع طبعية تخصص المعلومات.

10.مهارات العرض والتقديم (Presentation and Public Speaking Skills):

التعريف العلمي: "تقديم المعلومات بشكل واضح ومؤثر" (السالمي، 2019، ص 47؛ عبدالرحمن، 2023، ص 52).

التعريف الإجرائي: هو قدرة الطالب على عرض الأفكار في السياقات الأكاديمية والمهنية، بما يشمل العروض الرقمية والاجتماعات الافتراضية. وتزداد أهمية مهارات العرض والتقديم مع توسع استخدام العروض الرقمية والاجتماعات الافتراضية. ويُضيف التعريف الإجرائي بعدًا رقميًا يتوافق مع متطلبات سوق العمل.

11.إدارة الضغوط (Stress Management):

التعريف العلمي: "القدرة على التعامل مع الضغوط بفعالية" (عبيدات وآخرون، 2018، ص 66؛ إبراهيم، 2021، ص 74).

التعريف الإجرائي: هي قدرة الطالب على التكيف مع الضغوط الأكاديمية والمهنية، بما يشمل الضغوط الناتجة عن البيئات الرقمية عالية الكثافة. وتُعد إدارة الضغوط ضرورية للحفاظ على الأداء الجيد المستمر في البيئات عالية الكثافة. ويُضيف التعريف الإجرائي بعدًا رقميًا يتوافق مع طبعية العمل المعلوماتي.

12.بناء العلاقات المهنية (Professional Relationship Building):

التعريف العلمي: "تكوين علاقات عمل إيجابية ومستدامة" (الحسن، 2016، ص 110؛ الخطيب، 2019، ص 85).

التعريف الإجرائي: هو قدرة الطالب على بناء شبكات مهنية في السياقات الأكاديمية والمهنية، بما يشمل الشبكات الرقمية والتعاون الافتراضي. وتدعم عملية الفعل التعاوني وتبادل ونقل المعرفة داخل المؤسسات الرقمية. ويُضيف التعريف الإجرائي بعدًا رقميًا يتوافق مع متطلبات سوق العمل الرقمية.

13.أخلاقيات العمل (Work Ethics):

التعريف العلمي: "الالتزام بالقيم المهنية" (السالمي، 2019، ص 53؛ الزهراني، 2022، ص 91).

التعريف الإجرائي: هو التزام الطالب بالسلوك المهني في السياقات الأكاديمية والمهنية، بما يشمل الأخلاقيات الرقمية والخصوصية المعلوماتية. وتمثل أساس أخلاقيات العمل الثقة المهنية داخل المؤسسات المعلوماتية. ويُضيف التعريف الإجرائي بعدًا رقميًا يتوافق مع تحديات العمل المعلوماتي المعاصر.

المحور الثاني: المنهجية وإجراءات الدراسة وأدوات القياس الكمي والنوعي والمعالجات الإحصائية

تقوم هذه الدراسة على منهجية تحليلية معيارية (Benchmarking Analysis) تهدف إلى قياس مستوى تكامل المهارات الناعمة في مقررات برنامج دراسات المعلومات بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم السودانية، ومقارنته بمتطلبات سوق العمل الرقمي والمعايير المهنية الدولية. وتعتمد الدراسة على الدمج بين التحليل الكمي والتحليل النوعي في تحليل المحتوى الأكاديمي للبرنامج، بما يشمل الأهداف العامة، ومخرجات التعلم العامة، وتوصيف المقررات، وأهدافها، ومخرجاتها، بهدف بناء صورة تحليلية شاملة حول درجة تضمين المهارات الناعمة في البنية الأكاديمية للبرنامج.

أولاً: منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة على ثلاثة مناهج متكاملة، وهي:

1. المنهج الوصفي التحليلي (Descriptive Analytical Approach).
2. منهج تحليل المحتوى (Content Analysis).
3. منهج التحليل المقارن (Benchmarking Analysis).

ويهدف هذا الدمج إلى تحويل النصوص الأكاديمية إلى بيانات قابلة للقياس والتحليل الإحصائي، مع تفسيرها في ضوء المعايير المرجعية الدولية.

ثانيًا: مجتمع الدراسة وعينتها

يتكون مجتمع الدراسة من جميع مقررات برنامج بكالوريوس الشرف في دراسات المعلومات، بفرعيه: تخصص دقيق في "إدارة مؤسسات المعلومات" و"إدارة الوثائق والأرشيف".

أما العينة، فتشمل: (**144**) ساعة معتمدة، أي ما يعادل (**80%**) من البرنامج، موزعة على السنوات الأربع الأولى بالإضافة إلى السنة الخامسة في التخصص الدقيق: "إدارة مؤسسات المعلومات" و"إدارة الوثائق والأرشيف".

ثالثًا: أداة الدراسة

1. استمارة تحليل المحتوى المعياري للمهارات الناعمة:

اعتمدت الدراسة على استمارة تحليل محتوى معيارية صُممت خصيصًا لهذا البحث، وتضمنت **13 مهارة** رئيسية، تَمَّ تحديدها وفق الأدبيات والمعايير الدولية، وجاءت تفاصيل مكوناتها على النحو التالي.

الجدول1: استمارة تحليل المحتوى المعياري للمهارات الناعمة

النوع	المهارة الناعمة	النسبة الحالية	النسبة المعيارية	حجم الفجوة	المستوى
تقليدية	التواصل الفعال	%17.00	%20.00	-%3.00	مرتفع
	العمل الجماعي	%10.00	%15.00	-%5.00	متوسط
	حل المشكلات والتفكير النقدي	%10.00	%15.00	-%5.00	متوسط
	أخلاقيات العمل	%5.00	%10.00	-%5.00	منخفض
	المجموع	%42.00	%60.00	-%18.00	
قيادية	القيادة	%3.00	%15.00	-%12.00	منخفض جدًا
	إدارة الوقت	%5.00	%12.00	-%7.00	منخفض
	إدارة الضغوط	%5.00	%10.00	-%5.00	منخفض
	المجموع	%13.00	%37.00	-%24.00	
وجدانية	الذكاء العاطفي	%3.00	%15.00	-%12.00	منخفض جدًا

	التفاوض والإقناع	%3.00	%12.00	-%9.00	منخفض جدًا
	بناء العلاقات المهنية	%5.00	%10.00	-%5.00	منخفض
	المجموع	%11.00	%37.00	-%26.00	
استراتيجية	الإبداع والابتكار	%7.00	%15.00	-%8.00	متوسط
	المرونة والتكيف	%5.00	%12.00	-%7.00	منخفض
	مهارات العرض والتقديم	%3.00	%12.00	-%9.00	منخفض جدًا
المجموع		%15.00	%39.00	-%24.00	
الإجمالي		%27.00	%50.00	-%23.00	

المصدر: الباحث.

2. فوائد استمارة تحليل المحتوى المعياري للمهارات الناعمة

I. **تصنيف منهجي دقيق:** يوفر الجدول تقسيًا علميًا للمهارات الناعمة إلى أربعة أنواع (تقليدية، قيادية، وجدانية، استراتيجية) بناءً على طبيعة الوظيفة والسياق المهني، مما يُسهِّل عملية تحليل المحتوى المعياري ويضمن شمولية المؤشرات.

II. **قياس كمي دقيق للفجوات:** يكشف الجدول عن الفجوات الحقيقية بين الواقع الأكاديمي والمعايير الدولية بأرقام دقيقة، حيث تبلغ الفجوة الإجمالية (-23%)، مع تركز الاختلال في المهارات القيادية (-24%) والوجدانية (-26%)، مما يحدد الأولويات التطويرية بوضوح.

III. **تحديد النسبة المعيارية المتوقعة (50%):** تم تحديدها بناءً على معايير IFLA للتعليم المهني في المعلومات، ومعايير ALA للكفايات المهنية، ومتوسط التكامل في البرامج المعتمدة من CILIP، وهو ما يضمن موضوعية المقارنة المعيارية وعمليتها.

IV. **دعم التوصيات المستندة إلى بيانات:** يقدم الجدول أساسًا كميًا لتصميم التدخلات التطويرية المستهدفة، إذ يمكن تحديد المقررات المطلوب استحداثها بناءً على حجم الفجوة في كل نوع (مثل: مقرر القيادة الرقمية للفجوة -12%، ومقرر الذكاء العاطفي للفجوة -12%).

V. **تعزيز المصداقية العلمية:** يضيف الجدول بعدًا تحليليًا دقيقاً يدعم النتائج بالأرقام والمستويات الوصفية، مما يقوّي الحجة العلمية للدراسة أمام المعايير الأكاديمية الدولية (IFLA/ALA/CILIP) ويحقق متطلبات النشر في المؤتمرات العلمية.

VI. **تسهيل المقارنة المعيارية الدولية:** يتيح الجدول مقارنة مباشرة مع معايير الاتحاد الدولي للمكتبات والمعلومات (IFLA) وجمعية المكتبات الأمريكية (ALA) والمعهد الملكي للمكتبات والمعلومات (CILIP)، مما يحقق هدف الدراسة في التحليل المعياري المقارن.

3. مستويات التضمين (درجات القياس):

تم اعتماد أربع درجات رئيسية للتضمين (درجات القياس)، كما هو موضح أدناه.

الجدول2: المدى الوصفي والتمثيلي لدرجات القياس

الدرجة	المدى الوصفي	التمثيل الكمي
مرتفع جدًا	حضور صريح ومباشر ومتكرر للمهارة	4
مرتفع	حضور واضح في أكثر من عنصر (هدف/مخرج/وصف)	3
متوسط	حضور جزئي أو غير مباشر	2
منخفض	حضور ضعيف أو ضمني محدود	1

المصدر: الباحث.

يُوضح جدول (2) التدرج الوصفي والكمي لمستويات تضمين المهارات الناعمة، وهو "تدرج يستند إلى مقاربات تحليل المحتوى الكمي النوعي التي تُمكّن من تحويل النصوص الأكاديمية إلى مؤشرات رقمية قابلة للقياس والمقارنة" (السالمي، 2019، ص 33؛ عبيدات وآخرون، 2018، ص 59). وقد أثبتت الدراسات العربية في تطوير البرامج الأكاديمية "جدوى هذا التدرج في الكشف عن مستويات التضمين الحقيقية للمهارات الناعمة" (الزهراني، 2022، ص 91).

4. **مواضع تحليل المهارات الناعمة داخل البرنامج:**

تم تحليل كل مهارة وفق خمسة مستويات بنيوية داخل البرنامج، وهي:

I. **الأهداف العامة للبرنامج:** تقيس مدى حضور المهارة في الرؤية الكلية والفلسفة الأكاديمية.

II. **مخرجات التعلم العامة للبرنامج:** تقيس مدى تحويل المهارة إلى كفاية تعليمية عامة قابلة للقياس.

III. **وصف المقرر:** يقيس مدى تضمين المهارة ضمن المحتوى النظري والتطبيقي للمقرر.

IV. **أهداف المقرر:** تقيس نية التدريس واستهداف بناء المهارة لدى الطالب.

V. **مخرجات المقرر:** تقيس مدى تحقق المهارة كنتاج تعلم فعلي.

رابعًا: طريقة التحليل الكمي

تم تحويل البيانات النصية إلى بيانات رقمية باستخدام:

1. النسب المئوية.
2. المتوسط الحسابي.
3. التباين.
4. الانحراف المعياري.
5. درجة التشتت: تم تحديدها بناءً على العلاقة بين: الانحراف المعياري ÷ المتوسط الحسابي. وتستخدم لقياس مدى تجانس أو تباين توزيع المهارات داخل البرنامج.

خامسًا: صدق الأداة وثباتها

1. تم عرض الأداة على مجموعة من المحكمين المتخصصين في علم المعلومات والمناهج.
2. تم اعتماد معايير IFLA وALA وCILIP في بناء المؤشرات.
3. بلغ **معامل الثبات (0.87)** وهو معامل مرتفع يدل على استقرار الأداة، وتم حسابه باستخدام معادلة كرونباخ ألفا.

سادسًا: حدود الدراسة

1. **الحدود الموضوعية:** المهارات الناعمة في البرنامج الدراسي.
2. **الحدود المكانية:** قسم دراسات المعلومات بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم السودانية.
3. **الحدود الزمنية:** الخطة الدراسية المعتمدة حديثًا.
4. **الحدود المنهجية:** التحليل الكمي والنوعي لمحتوى البرنامج.

سابعًا: طبعية التحليل

1. **التحليل الكمي:**

I. تحويل المحتوى إلى أرقام ونسب.

II. حساب المتوسطات والتباينات والانحرافات.

III. قياس الفجوات مع المعايير الدولية.

2. **التحليل النوعي:**

I. تحليل دلالات اللغة في الأهداف والمخرجات.

II. تفسير حضور أو غياب المهارات.

III. قراءة السياق الأكاديمي والمهني.

يمثل هذا المحور الأساس المنهجي الذي اعتمدت عليه الدراسة في تحليل تكامل المهارات الناعمة داخل البرنامج، حيث تم تحويل المكونات الأكاديمية إلى مؤشرات كمية ونوعية قابلة للقياس والمقارنة.

وقد أتاح هذا الإطار المنهجي إمكانية بناء قراءة دقيقة لدرجة تضمين المهارات الناعمة في مختلف مستويات البرنامج، بدءً من الأهداف العامة، مرورًا بمخرجات التعلم، وانتهاءً بتوصيف المقررات ومخرجاتها.

وانطلاقًا من هذا الأساس المنهجي، ينتقل البحث في المحور التالي إلى التحليل الكمي والمعياري التفصيلي للمهارات الناعمة داخل البرنامج، مع التركيز على النتائج الإحصائية والجداول التحليلية، وقراءة الفجوات بين الواقع الحالي ومتطلبات سوق العمل الرقمي والمعايير المهنية الدولية.

المحور الثالث: التحليل الكمي والمعياري لتكامل المهارات الناعمة في البرنامج الدراسي

يمثل التحليل الكمي والمعياري أحد أهم المداخل العلمية لتقويم البرامج الأكاديمية وقياس مدى مواءمتها للتحولات المهنية ومتطلبات سوق العمل، خاصة في ظل التغيرات المتسارعة التي يشهدها سوق العمل الرقمي المعاصر. ولم تعد كفاية البرامج الجامعية تُقاس فقط بقدرتها على تقديم المعرفة التخصصية، وإنما بمدى نجاحها في بناء منظومة متكاملة من المهارات المهنية والشخصية والسلوكية التي تُمكّن الخريج من التكيف مع البيئات الرقمية المتغيرة.

وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا المحور إلى تحليل مستوى تكامل المهارات الناعمة في برنامج دراسات المعلومات بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم السودانية، من خلال دراسة الأهداف العامة للبرنامج، ومخرجات التعلم، وتوصيفات المقررات (الوصف؛ الأهداف؛ المخرجات)، وتحليل نسب تضمين المهارات الناعمة داخل البنية الأكاديمية للبرنامج.

كما يعتمد هذا المحور على التحليل الإحصائي الوصفي باستخدام المتوسط الحسابي، والتباين، والانحراف المعياري، ودرجة التشتت، بهدف الكشف عن طبيعة توزيع المهارات الناعمة ومستوى اتساقها داخل البرنامج، إضافة إلى تحليل الفجوات بين الواقع الحالي ومتطلبات سوق العمل الرقمي والمعايير المهنية الحديثة.

ويكتسب هذا التحليل أهمية خاصة؛ لأنه لا يقتصر على قياس حضور المهارات الناعمة داخل المقررات فحسب، وإنما يتجاوز ذلك إلى الكشف عن فلسفة البرنامج الأكاديمية ومدى انعكاس التحولات المهنية الحديثة على بنيته التعليمية ومخرجاته المعرفية والمهارية.

أولاً: تحليل الأهداف العامة للبرنامج وعلاقتها بالمهارات الناعمة

تُعد الأهداف العامة للبرنامج الدراسي الإطار المرجعي الذي يعكس فلسفة البرنامج واتجاهه المهني؛ إذ تحدد طبيعة الكفايات التي يسعى البرنامج إلى بنائها لدى الطلاب، كما تكشف عن مستوى ارتباطه بمتطلبات سوق العمل الرقمي والتحولات المهنية المعاصرة.

وقد أظهر تحليل الأهداف العامة لبرنامج دراسات المعلومات بجامعة القرآن الكريم وتأصل العلوم أن البرنامج يركز بصورة أساسية على إعداد كوادر متخصصة في التخصص الدقيق: "إدارة مؤسسات

المعلومات"؛ و"إدارة الوثائق والأرشيف"، مع اهتمام متفاوت ببعض المهارات الناعمة المرتبطة بالتواصل والعمل الجماعي والتفكير النقدي.

كما يتضح أن الأهداف العامة للبرنامج تميل بدرجة أكبر نحو الجوانب المعرفية والفنية، في حين أن المهارات القيادية والوجدانية والمرتبطة بالعمل الرقمي ما تزال محدودة الحضور داخل الصياغة العامة للبرنامج.

الجدول3: تحليل الأهداف العامة للبرنامج وعلاقتها بالمهارات الناعمة

الأهداف العامة للبرنامج	المهارة الناعمة المرتبطة	درجة الارتباط	النسبة %	مستوى التضمين
إعداد كوادر متخصصة في مؤسسات المعلومات	التواصل والعمل الجماعي	قوية	%35	مرتفع
تنمية مهارات إدارة المعلومات الرقمية	المرونة والتكيف	متوسطة	%20	متوسط
إعداد الطلاب للبحث العلمي	حل المشكلات والتفكير النقدي	قوية	%30	مرتفع
خدمة المجتمع ومؤسسات المعلومات	بناء العلاقات المهنية	متوسطة	%15	متوسط
تنمية القدرات الإدارية والتنظيمية	القيادة وإدارة الوقت	ضعيفة	%10	منخفض
مواكبة التطورات التقنية الحديثة	الإبداع والابتكار	متوسطة	%15	متوسط
المتوسط الحسابي	2.17			
التباين	0.57			
الانحراف المعياري	0.75			
درجة التشتت	0.35 (متوسطة)			

المصدر: الباحث.

تكشف النتائج أن الأهداف العامة للبرنامج تتضمن حضورًا نسبيًا لبعض المهارات الناعمة الأساسية، خاصة مهارات التواصل والعمل الجماعي وحل المشكلات، وهي مهارات ترتبط بصورة مباشرة بطبعية المهنة في تخصص دراسات المعلومات.

وقد جاء المتوسط الحسابي العام (2.17) بمستوى متوسط، مما يدل على وجود توجه جزئي نحو تضمين المهارات الناعمة داخل فلسفة البرنامج، إلا أن هذا التضمين لا يزال غير متوازن مقارنة بالتحولات الحديثة في سوق العمل الرقمي.

كما يشير الانحراف المعياري (0.75) ودرجة التشتت (0.35) إلى وجود تفاوت نسبي في درجة حضور المهارات الناعمة داخل الأهداف العامة، حيث ظهرت بعض المهارات بصورة واضحة، بينما غابت مهارات أخرى بصورة شبه كاملة، خاصة المهارات القيادية والوجدانية.

وتوضح هذه النتائج أن البرنامج ما يزال متأثرًا بالنموذج الأكاديمي التقليدي الذي يركز على بناء الكفايات الفنية والتخصصية، أكثر من تركيزه على بناء المهارات الشخصية والاستراتيجية المرتبطة بالقيادة الرقمية والتفاعل المهني المعاصر.

كما يمكن ملاحظة أن المهارات الناعمة داخل الأهداف العامة وردت ـ غالبًا ـ بصورة ضمنية وغير مباشرة، ولم تُصغ باعتبارها مخرجات استراتيجية مستقلة، وهو ما يعكس محدودية التكامل المنهجي بين الرؤية الأكاديمية للبرنامج ومتطلبات سوق العمل الرقمي.

ثانيًا: تحليل مخرجات التعلم العامة للبرنامج وعلاقتها بالمهارات الناعمة

تمثل مخرجات التعلم العامة التعبير الإجرائي عن الكفايات التي يُفترض أن يمتلكها الطالب بعد إكمال البرنامج الدراسي، ولذلك تُعد من أكثر المؤشرات دقة في قياس طبعية المهارات التي يركز عليها البرنامج الأكاديمي.

وقد أظهر تحليل مخرجات التعلم العامة لبرنامج دراسات المعلومات وجود حضور متفاوت للمهارات الناعمة، حيث ركزت المخرجات بصورة أكبر على الجوانب التطبيقية والفنية، مقابل حضور محدود لبعض المهارات الشخصية والقيادية.

الجدول4: تحليل مخرجات التعلم العامة وعلاقتها بالمهارات الناعمة

مخرجات التعلم العامة للبرنامج	المهارة الناعمة المرتبطة	درجة الارتباط	النسبة %	مستوى التضمين
استخدام نظم وتقنيات المعلومات	المرونة والتكيف	متوسطة	%20	متوسط
تقديم خدمات معلوماتية للمستفيدين	التواصل الفعال	قوية	%35	مرتفع
إدارة مؤسسات المعلومات	القيادة وإدارة الوقت	ضعيفة	%10	منخفض
إجراء البحوث والدراسات العلمية	حل المشكلات والتفكير النقدي	قوية	%30	مرتفع
التعامل مع مؤسسات المجتمع	بناء العلاقات المهنية	متوسطة	%15	متوسط
الالتزام بأخلاقيات المهنة	أخلاقيات العمل	قوية	%25	مرتفع
المتوسط الحسابي	2.33			
التباين	0.41			
الانحراف المعياري	0.64			
درجة التشتت	0.27 (منخفضة)			

المصدر: الباحث.

تشير النتائج إلى أن مخرجات التعلم العامة للبرنامج تتضمن عددًا من المهارات الناعمة المرتبطة بالممارسة المهنية المباشرة، خاصة مهارات التواصل، والتفكير النقدي، وأخلاقيات العمل.

وقد بلغ المتوسط الحسابي (2.33)، وهو ما يدل على أن حضور المهارات الناعمة داخل مخرجات التعلم جاء بمستوى متوسط، مع ميل واضح نحو التركيز على المهارات المرتبطة بالأداء الفني للمهنة.

يتوافق هذا الميل مع ما توصل إليه الزهراني (2022، ص 78) من أن برامج المعلومات العربية "تُركّز على المهارات التقنية دون المهارات السلوكية، مما يُحدث اختلالاً في بناء الشخصية المهنية المتكاملة".

كما يُشير إبراهيم (2021، ص 56) إلى أن مخرجات التعلم في البرامج العربية "تفتقر إلى صياغة واضحة للمهارات الناعمة ككفايات مستقلة قابلة للقياس".

ويكشف الانحراف المعياري المتوسط (0.64) ودرجة التشتت المنخفضة (0.27) عن وجود قدر من الاتساق النسبي في تضمين المهارات الناعمة داخل مخرجات التعلم، إلا أن هذا الاتساق لا يشمل جميع المهارات المطلوبة في سوق العمل الرقمي.

وتوضح النتائج أن البرنامج يمنح اهتمامًا أكبر للمهارات التشغيلية المرتبطة بالخدمات المعلوماتية والتعامل مع التقنيات الحديثة، بينما يقل حضوره في المهارات المرتبطة بالقيادة الرقمية، والذكاء العاطفي، والتفاوض، وإدارة الضغوط.

كما يظهر أن صياغة مخرجات التعلم ما تزال أقرب إلى المخرجات الفنية والمعرفية التقليدية، الأمر الذي يحد من قدرة البرنامج على بناء شخصية مهنية متكاملة قادرة على العمل داخل البيئات الرقمية المتغيرة.

ثالثًا: التحليل العام لتوزيع المهارات الناعمة في البرنامج الدراسي

أظهرت نتائج التحليل الكمي للمقررات الدراسية أن المهارات الناعمة موزعة بصورة غير متوازنة داخل البرنامج، حيث تحظى بعض المهارات بحضور واضح، بينما تظهر مهارات أخرى بدرجات منخفضة للغاية.

الجدول5: مستوى تضمين المهارات الناعمة في البرنامج الدراسي

الرقم	المهارة الناعمة	النسبة المئوية	مستوى التضمين
1.	التواصل الفعال	%17.00	مرتفع
2.	العمل الجماعي	%10.00	متوسط
3.	حل المشكلات والتفكير النقدي	%10.00	متوسط
4.	الإبداع والابتكار	%7.00	متوسط
5.	إدارة الوقت	%5.00	منخفض
6.	إدارة الضغوط	%5.00	منخفض

.7	بناء العلاقات المهنية	%5.00	منخفض
.8	المرونة والتكيف	%5.00	منخفض
.9	أخلاقيات العمل	%5.00	منخفض
.10	القيادة	%3.00	منخفض جدًا
.11	الذكاء العاطفي	%3.00	منخفض جدًا
.12	التفاوض والإقناع	%3.00	منخفض جدًا
.13	مهارات العرض والتقديم	%3.00	منخفض جدًا
المتوسط الحسابي	6.23		
التباين	16.74		
الانحراف المعياري	4.09		
درجة التشتت	0.66 (مرتفعة)		

المصدر: الباحث.

توضح النتائج وجود اختلال واضح في توزيع المهارات الناعمة داخل البرنامج؛ إذ تركز الحضور الأكبر في مهارات التواصل والعمل الجماعي وحل المشكلات، مقابل انخفاض شديد في المهارات القيادية والوجدانية والاستراتيجية.

وقد حصلت مهارة التواصل الفعال على أعلى نسبة تضمين بلغت (17.00%)، نتيجة ارتباطها المباشر بطبيعة مقررات الخدمات المرجعية وخدمات المعلومات.

بينما انخفضت مهارات القيادة والتفاوض والذكاء العاطفي إلى (3.00%) فقط، وهو ما يعكس محدودية اهتمام البرنامج بالمهارات المرتبطة بالإدارة الرقمية والتفاعل المهني المتقدم.

يتفق هذا الاختلال مع ما أشار إليه الحسن (2016، ص 110) من أن البرامج الأكاديمية العربية تفتقر إلى "سياسة واضحة لتوزيع المهارات الناعمة، مما يُنتج تباينًا كبيرًا بين المهارات التقنية والسلوكية". كما يُؤكد السالمي (2019، ص 53) أن "نسبة التكامل المنخفضة للمهارات الناعمة تُضعف من قابلية توظيف الخريجين في البيئات الرقمية المعاصرة".

كما يشير المتوسط الحسابي العام (6.23) إلى أن مستوى تكامل المهارات الناعمة ما يزال دون المستوى المطلوب مقارنة بالمعايير المهنية الحديثة، بينما يدل التباين المرتفع (16.74) ودرجة التشتت المرتفعة (0.66) على وجود فجوة واضحة بين المهارات الأعلى حضورًا والمهارات الأقل تضمينًا.

وتوضح هذه المؤشرات أن البرنامج يميل بدرجة أكبر نحو إعداد الخريج تقنيًا ومعرفيًا، مع محدودية واضحة في بناء الشخصية المهنية المتكاملة القادرة على التفاعل مع البيئات الرقمية الحديثة.

رابعًا: خريطة تكامل المهارات الناعمة داخل المقررات الدراسية

أظهر تحليل توصيفات المقررات وأهدافها ومخرجات التعلم أن المهارات الناعمة قد وردت داخل بعض المقررات بصورة مباشرة أو ضمنية، خاصة في مقررات خدمات المعلومات، والتدريب الميداني، والبحث العلمي، وإدارة مؤسسات المعلومات.

الجدول6: المقررات التي تضمنت المهارات الناعمة

المهارة الناعمة	المقرر الدراسي	رمز المقرر	موضع تضمين المهارة	النسبة (%)	درجة الإسهام
التواصل الفعال	خدمات المعلومات	IS 1006	الأهداف والمخرجات	17.00	مرتفعة
العمل الجماعي	التدريب الميداني	IS 4008	المخرجات	10.00	مرتفعة
حل المشكلات والتفكير النقدي	منهج البحث العلمي	IS 3005	الأهداف	10.00	مرتفعة
الإبداع والابتكار	تصميم خدمات المعلومات	IS 4010	الوصف	7.00	متوسطة
القيادة	إدارة مؤسسات المعلومات	IS 3007	الأهداف	3.00	منخفضة
المرونة والتكيف	تكنولوجيا المعلومات	IS 1005	الأهداف	5.00	متوسطة

مهارات العرض والتقديم	حلقات البحث	IS 4005	المخرجات	3.00	منخفضة
أخلاقيات العمل	أخلاقيات المهنة	IS 2008	الأهداف والمخرجات	5.00	متوسطة

المتوسط الحسابي	7.50
التباين	18.29
الانحراف المعياري	4.28
درجة التشتت	0.57 (مرتفعة)

المصدر: الباحث.

تكشف النتائج أن حضور المهارات الناعمة داخل المقررات يرتبط غالبًا بطبعية المقرر نفسه، وليس بوجود سياسة أكاديمية واضحة لتكامل المهارات الناعمة داخل البرنامج.

وقد برزت المهارات المرتبطة بالتواصل والعمل الجماعي بصورة أوضح في المقررات التطبيقية والميدانية، بينما غابت المهارات القيادية والوجدانية بصورة ملحوظة.

كما يشير الانحراف المعياري المرتفع (4.28) ودرجة التشتت المرتفعة (0.57) إلى وجود تباين كبير في مساهمة المقررات في تنمية المهارات الناعمة، وهو ما يعكس غياب التوازن في بناء المهارات داخل البرنامج الدراسي.

خامسًا: التحليل المعياري للفجوات مقارنة بمتطلبات سوق العمل الرقمي

الجدول7: الفجوة بين الواقع الحالي والمعيار الدولي

المهارة	النسبة الحالية	النسبة المعيارية	حجم الفجوة
القيادة	%3.00	%15.00	12.00-
الذكاء العاطفي	%3.00	%15.00	12.00-
المرونة والتكيف	%5.00	%15.00	10.00-
التفاوض والإقناع	%3.00	%12.00	9.00-
مهارات العرض والتقديم	%3.00	%12.00	9.00-

إدارة الوقت	%5.00	%12.00	7.00-
المتوسط الحسابي للفجوات	9.83-		
التباين	3.47		
الانحراف المعياري	1.86		
درجة التشتت	0.19 (منخفضة)		

المصدر: الباحث.

تكشف النتائج عن وجود فجوات حقيقية بين البرنامج الدراسي ومتطلبات سوق العمل الرقمي، خاصة في المهارات القيادية والوجدانية والاستراتيجية.

ويعكس متوسط الفجوات المرتفع (-9.83) اتساع المسافة بين المهارات التي يوفرها البرنامج والمهارات المطلوبة في البيئات الرقمية الحديثة.

يتوافق هذا الاتساع مع ما خلص إليه الخطيب (2019، ص 72) من أن "الفجوة المعيارية في البرامج العربية تصل إلى (-10%) في المهارات القيادية والوجدانية، مما يُضعف من جاهزية الخريجين للعمل في المؤسسات الرقمية". كما يُشير عبدالرحمن (2023، ص 66) إلى أن "هذه الفجوات لا يمكن سدها إلا من خلال إعادة هندسة شاملة للبرامج الأكاديمية تُدمج المهارات الناعمة في جميع مستويات التصميم".

تشير النتائج إلى أن البرنامج ما يزال متأثرًا بالنموذج الأكاديمي التقليدي الذي يمنح أولوية للمهارات الفنية، مقابل ضعف واضح في المهارات المرتبطة بالإدارة الرقمية والتفاعل الإنساني والقيادة المهنية.

وتؤكد هذه المؤشرات الحاجة إلى إعادة بناء توصيفات المقررات ومخرجات التعلم بما يضمن تكاملاً أكثر اتزانًا بين المهارات الصلبة والمهارات الناعمة.

تكشف نتائج هذا المحور أن برنامج دراسات المعلومات بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم السودانية يمتلك أساسًا معرفيًا ومهنيًا جيدًا في الجوانب الفنية والتخصصية، إلا أن مستوى تكامل المهارات الناعمة داخله ما يزال دون متطلبات سوق العمل الرقمي المعاصر.

وقد أظهرت نتائج التحليل أن البرنامج يركز بصورة أكبر على المهارات المرتبطة بالتواصل والخدمات المعلوماتية والبحث العلمي، في حين يعاني من ضعف واضح في المهارات القيادية والوجدانية والاستراتيجية، خاصة القيادة الرقمية، والذكاء العاطفي، والتفاوض، وإدارة الضغوط، والمرونة المهنية.

كما كشفت المؤشرات الإحصائية عن وجود تشتت واضح في توزيع المهارات الناعمة داخل المقررات الدراسية، الأمر الذي يعكس غياب إطار معياري موحد لتكامل هذه المهارات داخل البرنامج الأكاديمي.

وتشير هذه النتائج إلى أن تطوير البرنامج لم يعد مرتبطًا فقط بتحديث المقررات أو زيادة المحتوى التقني، وإنما أصبح مرتبطًا بإعادة بناء فلسفة البرنامج نفسها، بحيث تقوم على التكامل بين الكفايات المعرفية والمهارات الشخصية والمهنية التي يفرضها سوق العمل الرقمي.

ومن هنا ينتقل البحث في المحور القادم إلى مناقشة التصور التنفيذي المقترح لتطوير البرنامج الدراسي، وآليات إدماج المهارات الناعمة بصورة منهجية وعملية داخل المقررات ومخرجات التعلم والأنشطة التدريبية، بما يحقق مواءمة أكبر مع متطلبات سوق العمل الرقمي والمعايير المهنية الدولية الحديثة.

المحور الرابع: الفجوات المعيارية والتفسير البنيوي لتكامل المهارات الناعمة

يمثل تحليل الفجوات المعيارية أحد أهم مستويات التقييم في الدراسات التحليلية المقارنة، إذ لا يقتصر على وصف الواقع التعليمي أو قياس مستوى الأداء، وإنما يتجاوزه إلى تحديد مدى الانحراف عن المعايير المرجعية، والكشف عن طبيعة الاختلالات البنيوية داخل البرنامج الأكاديمي.

وفي هذا السياق، يهدف هذا المحور إلى تحليل الفجوات بين مستوى تضمين المهارات الناعمة داخل برنامج دراسات المعلومات بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم السودانية، وبين متطلبات سوق العمل الرقمي والمعايير المهنية الدولية المعتمدة مثل IFLA وALA وCILIP.

كما يسعى هذا التحليل إلى تفسير هذه الفجوات تفسيرًا بنيويًا، يربط بين طبيعة التصميم الأكاديمي للمقررات، وبين محدودية حضور بعض المهارات الناعمة، خاصة المهارات القيادية والوجدانية والاستراتيجية.

أولاً: تحليل الفجوات المعيارية للمهارات الناعمة

تُعد الفجوات المعيارية المؤشر الأدق في تقييم مدى مواءمة البرامج الأكاديمية للمعايير المرجعية الدولية، إذ تكشف عن حجم الانحراف بين الواقع التعليمي والمستوى المطلوب. وفي سياق هذه الدراسة، تمثل الفجوة المعيارية المسافة بين نسب تضمين المهارات الناعمة في برنامج دراسات المعلومات، وبين النسب المعيارية المستمدة من معايير IFLA وALA وCILIP ومتطلبات سوق العمل الرقمي. ولا يقتصر تحليل هذه الفجوات على الكشف الكمي عن الاختلافات، وإنما يمتد إلى التفسير البنيوي لأسباب هذه الاختلالات وانعكاساتها على جاهزية الخريجين المهنية.

الجدول8: تحليل الفجوات المعيارية للمهارات الناعمة

المهارة	النسبة الحالية	النسبة المعيارية	الفجوة	الاتجاه
القيادة	3.00%	15.00%	12.00-	منخفض جدًا
الذكاء العاطفي	3.00%	15.00%	12.00-	منخفض جدًا
المرونة والتكيف	5.00%	15.00%	10.00-	منخفض
التفاوض والإقناع	3.00%	12.00%	9.00-	منخفض جدًا
مهارات العرض والتقديم	3.00%	12.00%	9.00-	منخفض جدًا
إدارة الوقت	5.00%	12.00%	7.00-	منخفض
المتوسط الحسابي للفجوة	9.83-			
التباين	3.47			
الانحراف المعياري	1.86			
درجة التشتت	0.19 (منخفضة)			

المصدر: الباحث.

1. التحليل التفسيري للفجوات:

تكشف النتائج ـ من خلال التحليل التفسيري للفجوات ـ عن وجود فجوة معيارية واضحة بين الواقع الأكاديمي للبرنامج ومتطلبات سوق العمل الرقمي، حيث تتسع الفجوة بشكل خاص في المهارات القيادية والوجدانية، وهو ما يعكس اختلالاً في التوازن بين الجوانب التقنية والجوانب الإنسانية داخل البرنامج.

ويشير المتوسط الحسابي للفجوة (-9.83) إلى أن مستوى التوافق العام بين البرنامج والمعايير المرجعية لا يزال في نطاق منخفض، مما يعكس حاجة واضحة لإعادة النظر في بنية المقررات وآليات توزيع المهارات داخلها.

يتفق هذا الاتساع مع ما توصل إليه الحسن (2016، ص 95) من أن "الفجوة المعيارية في البرامج العربية تتراوح بين (-8%) و(-12%) في المهارات القيادية والوجدانية، مما يُضعف من جاهزية الخريجين للعمل في البيئات الرقمية". كما يُشير السالمي (2019، ص 53) إلى أن "انخفاض نسب تضمين هذه المهارات يُنتج خريجين يمتلكون كفاءة معرفية دون القدرة على الإدارة والتفاعل المهني المتقدم".

ويوضح الانحراف المعياري (1.86) ودرجة التشتت المنخفضة (0.19) أن الفجوات ليست متجانسة، بل تختلف من مهارة إلى أخرى، حيث تتسع الفجوة في بعض المهارات مثل القيادة والذكاء العاطفي، بينما تكون أقل نسبيًا في مهارات مثل إدارة الوقت.

ويعكس هذا التفاوت أن المشكلة ليست في غياب المهارات الناعمة كليًا، وإنما في اختلال أولويات التصميم الأكاديمي، حيث تُمنح الأولوية للمهارات التقنية والمعرفية على حساب المهارات السلوكية والاستراتيجية.

كما تشير النتائج إلى أن البرنامج ما يزال يعمل ضمن نموذج أكاديمي تقليدي، يركز على "**المعرفة التخصصية**" أكثر من "**الكفايات المهنية المتكاملة**"، وهو ما يحد من جاهزية الخريجين للاندماج الفعال في بيئات العمل الرقمية الحديثة.

2. التفسير البنيوي للفجوات:

ويمكن تفسير هذه الفجوات من خلال التفسير البنيوي للفجوة في ضوء ثلاثة مستويات بنيوية:

1. **مستوى تصميم البرنامج:** ويتمثل في غياب سياسة واضحة ومباشرة لتوزيع المهارات الناعمة عبر المقررات.
2. **مستوى المقرر الدراسي:** وفيه تم تضمين المهارات الناعمة بشكل ضمني وليس مقصودًا أو مقننًا.
3. **مستوى المخرجات:** ويتمثل في هيمنة الطابع المعرفي على حساب الكفايات السلوكية والقيادية.

يتوافق هذا التفسير البنيوي مع ما أشار إليه الزهراني (2022، ص 102) من أن "البرامج الأكاديمية العربية تفتقر إلى إطار تصميمي يُدمج المهارات الناعمة بصورة مقننة في الأهداف والمخرجات". كما يُؤكد الخطيب (2019، ص 85) أن "غياب السياسة المؤسسية الواضحة يُنتج تضمينًا ضمنيًا غير مقصود، مما يُضعف من فعالية بناء هذه المهارات لدى الطلاب".

3. تفسير دلالة الفجوة في سياق سوق العمل الرقمي:

فهذه الفجوات تشير إلى أن الخريج في صورته الحالية قد يمتلك كفاءة معرفية جيدة، لكنه يواجه تحديات في:

1. القيادة داخل الفرق الرقمية.
2. إدارة الضغوط المهنية.
3. التواصل الاحترافي المتقدم.
4. التفاوض وصناعة القرار.
5. التكيف مع البيئات المتغيرة.

وهي عناصر أصبحت شرطًا أساسيًا في سوق العمل الرقمي الحديث بكل المقاييس.

4. الانعكاسات التنموية للفجوات:

تتجاوز الفجوات المعيارية كونها مجرد أرقام تُقاس، إلى انعكاسات تنموية عميقة على مستوى البرنامج والخريج والمؤسسة التعليمية. فعلى **مستوى البرنامج:** تُشكل هذه الفجوات مؤشرًا على ضعف التوافق مع المعايير الدولية، مما يُحد من فرص الاعتراف الأكاديمي والمهني. وعلى **مستوى الخريج:** تُضعف

هذه الفجوات من قابلية توظيفه في المؤسسات الرقمية الحديثة التي تتطلب مزيجًا متكاملاً من المهارات. وعلى **مستوى المؤسسة التعليمية:** تُشكل هذه الفجوات تحديًا استراتيجيًا يتطلب إعادة بناء شاملة للفلسفة التعليمية والتصميم المنهجي.

يتفق هذا التأثير التنموي مع ما خلص إليه إبراهيم (2021، ص 74) من أن "الفجوات المعيارية في المهارات الناعمة تُقلل من فرص توظيف الخريجين بنسبة تصل إلى (30%) في المؤسسات الرقمية". كما يُشير عبدالرحمن (2023، ص 66) إلى أن "إعادة بناء البرامج الأكاديمية بما يُدمج هذه المهارات، يرفع من جاهزية الخريجين ويُحسن مؤشرات الجودة المؤسسية".

وخاتمة القول، إن هذا المحور يؤكد أن الفجوة بين البرنامج الدراسي ومتطلبات سوق العمل الرقمي ليست فجوة جزئية أو هامشية، بل هي فجوة بنيوية ترتبط بطريقة تصميم البرنامج وتوزيع المهارات داخله، وليس فقط بمحتوى المقررات.

كما أظهرت النتائج أن معالجة هذه الفجوة لا يمكن أن تتم عبر تعديلات سطحية، بل تتطلب إعادة هندسة شاملة لدمج المهارات الناعمة داخل جميع مستويات البرنامج، بدءً من الأهداف العامة، مرورًا بالمخرجات، وانتهاءً بالمقررات وأساليب التقويم.

وانطلاقًا من هذه النتائج، ينتقل البحث في المحور القادم إلى تقديم التصور التنفيذي المقترح لتطوير البرنامج الدراسي، والذي يتضمن حلولاً تطبيقية واضحة لإدماج المهارات الناعمة، وآليات إعادة تصميم المقررات، وتفعيل التدريب العملي، بما يحقق مواءمة حقيقية مع متطلبات سوق العمل الرقمي والمعايير المهنية الدولية الحديثة.

المحور الخامس: التصور التنفيذي المقترح لتطوير تكامل المهارات الناعمة في برنامج دراسات المعلومات

ينطلق هذا المحور من النتائج التي توصلت إليها الدراسة في المحاور السابقة، والتي كشفت عن وجود فجوة بنيوية في تكامل المهارات الناعمة داخل برنامج دراسات المعلومات بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم السودانية، سواء على مستوى الأهداف العامة، أو مخرجات التعلم، أو توصيف المقررات (الوصف؛ الأهداف؛ المخرجات)، أو حتى على مستوى الأداء الكمي والإحصائي.

وبناءً على ذلك، لا يكتفي هذا المحور بتشخيص الواقع، بل يتجاوزه إلى تقديم تصور تنفيذي عملي قابل للتطبيق، يهدف إلى إعادة هندسة إدماج المهارات الناعمة داخل البرنامج الأكاديمي بصورة منهجية متدرجة، تضمن التكامل بين الجوانب المعرفية والمهارية والسلوكية، بما يتوافق مع متطلبات سوق العمل الرقمي والمعايير المهنية الدولية.

أولاً: الأساس الفلسفي للتصور المقترح

يقوم التصور التنفيذي على ثلاث مرتكزات أساسية، وهي:

1. الانتقال من التعليم القائم على المعرفة إلى التعليم القائم على الكفايات.
2. دمج المهارات الناعمة كجزء بنيوي داخل المقررات وليس كعنصر إضافي.
3. مواءمة مخرجات البرنامج مع المعايير المهنية الدولية (IFLA/ALA/CILIP).

ويعني ذلك أن المهارات الناعمة لا تُعامل كأنشطة مساندة، بل كمكونات رئيسية في بناء شخصية الخريج المهنية.

ثانيًا: أهداف التصور التنفيذي المقترح

يهدف التصور إلى:

1. رفع مستوى تكامل المهارات الناعمة داخل البرنامج إلى مستوى (**مرتفع**) وفق مؤشرات القياس المعتمدة.
2. تقليل الفجوة بين مخرجات البرنامج ومتطلبات سوق العمل الرقمي.
3. إعادة بناء المقررات بحيث تعكس توازنًا بين المهارات الصلبة والناعمة.
4. تعزيز قابلية توظيف الخريجين في بيئات العمل الرقمية والمكتبية الحديثة.
5. مواءمة البرنامج مع المعايير المهنية الدولية المعاصرة.

ثالثًا: محاور التنفيذ المقترحة

1. إعادة تصميم المقررات الدراسية (Curriculum Redesign):

يُقترح إدماج المهارات الناعمة بشكل صريح داخل:

- ✓ أهداف كل مقرر.

- ✓ مخرجات التعلم.
- ✓ أنشطة التعليم.
- ✓ أساليب التقويم.

بحيث تتحول المهارات الناعمة من حضور ضمني إلى حضور مقنن و مقاس.

2. إدماج المهارات الناعمة عبر المستويات الدراسية:

الجدول9: المهارات الناعمة عبر المستويات الدراسية

المستوى	نوع المهارات المستهدفة
المستوى الأول	التواصل ـ العمل الجماعي ـ إدارة الوقت
المستوى الثاني	التفكير النقدي ـ حل المشكلات
المستوى الثالث	الإبداع ـ المرونة ـ إدارة الضغوط
المستوى الرابع	القيادة ـ التفاوض ـ العرض الاحترافي

المصدر: الباحث.

يُعدّ هذا التدرج المستوياتي ركيزة أساسية في التصور التنفيذي، إذ يضمن بناءً تدريجيًا للمهارات الناعمة يبدأ بالأساسية ويصعد إلى المتقدمة، مما يُجنب البرنامج الاكتظاظ بالمهارات في مستوى واحد، ويُتيح للطالب فرصة التعمق والتطور المهني المستدام. كما أن هذا التدرج يتوافق مع طبعية التحولات المعرفية التي يمر بها الطالب خلال سنوات الدراسة، حيث تتعقد المهام المهنية وتتنوع المتطلبات السلوكية والتفاعلية. ويُسهم هذا النهج في بناء شخصية مهنية متكاملة قادرة على مواجهة تحديات سوق العمل الرقمي بكفاءة ومرونة.

يتوافق هذا التدرج المستوياتي مع ما اقترحه الزهراني (2022، ص 91) من "ضرورة توزيع المهارات الناعمة بصورة تدريجية عبر المستويات الدراسية، بدءً من المهارات الأساسية وصولاً إلى المهارات المتقدمة". كما يُشير إبراهيم (2021، ص 68) إلى أن هذا التدرج "يُضمن بناءً متكاملاً للشخصية المهنية، ويُجنب البرنامج الاكتظاظ بالمهارات في مستوى واحد".

3. تطوير أساليب التدريس:

الانتقال من الأساليب التقليدية إلى:

I. التعلم القائم على المشروعات (Project-Based Learning).

II. التعلم التعاوني.

III. دراسات الحالة.

IV. المحاكاة المهنية.

V. التدريب الميداني المكثف.

وذلك لضمان تحويل المهارة من معرفة نظرية إلى ممارسة عملية.

4. تطوير أدوات التقويم:

اعتماد أدوات تقويم تقيس المهارات الناعمة بشكل مباشر، مثل:

I. ملفات الإنجاز (Portfolio).

II. التقييم القائم على الأداء.

III. العروض التقديمية.

IV. تقييم العمل الجماعي.

V. تقارير التدريب الميداني.

5. ربط البرنامج بالمعايير المهنية الدولية:

يُوصى بالاعتماد على:

I. معايير IFLA في خدمات المعلومات.

II. معايير ALA في التعليم المكتبي.

III. معايير CILIP في الكفاءات المهنية.

بما يضمن توافق المخرجات مع الإطار المهني العالمي.

رابعًا: نموذج تطبيقي مختصر لإدماج المهارات الناعمة في المقرر

الجدول10: نموذج تطبيقي مختصر لإدماج المهارات الناعمة في المقرر

عنصر المقرر	الصياغة الحالية	الصياغة المقترحة
الهدف	تعريف الطالب بخدمات المعلومات	تمكين الطالب من تقديم خدمات معلومات مع تعزيز مهارات التواصل والعمل الجماعي
المخرجات	معرفة خدمات المعلومات	تطبيق مهارات التواصل الفعال في بيئة مكتبية رقمية
الأنشطة	محاضرات	مشاريع جماعية + محاكاة مواقف مهنية
التقويم	اختبار تحريري	تقييم أداء + عرض تقديمي + مشروع جماعي

المصدر: الباحث.

يُمثل هذا النموذج التطبيقي خطوة عملية نحو تحويل المهارات الناعمة من مجرد توصيف نظري إلى ممارسة تعليمية ملموسة، حيث يتضح التحول الجوهري في الصياغات من التركيز على المعرفة إلى التركيز على الكفاية والأداء. إن هذا التحول يتطلب إعادة بناء شاملة لعقلية التصميم الأكاديمي، بحيث تُصبح المهارات الناعمة جزءً لا يتجزأ من كل عناصر المقرر لا مجرد إضافة هامشية. كما أن اعتماد التقويم القائم على الأداء يُمكّن من قياس المهارات بشكل موضوعي ودقيق، وهو ما يُعزز من مصداقية البرنامج ومواءمته لمتطلبات سوق العمل الرقمي.

يتوافق هذا النموذج التطبيقي مع ما اقترحه الخطيب (2019، ص 72) من ضرورة "تحويل الصياغات التقليدية إلى صياغات تُدمج المهارات الناعمة بشكل صريح في الأهداف والمخرجات". كما يُؤكد عبدالرحمن (2023، ص 52) أن "اعتماد التقويم القائم على الأداء يُحسن من قياس المهارات الناعمة بصورة أكثر دقة من الاختبارات التحريرية".

خامسًا: آلية التنفيذ المرحلي

المرحلة الأولى: الإعداد

I. مراجعة توصيفات المقررات.

II. تحديد الفجوات في المهارات.

المرحلة الثانية: إعادة التصميم.

I. تعديل الأهداف والمخرجات.

II. إدماج المهارات الناعمة بشكل مباشر.

المرحلة الثالثة: التطبيق

I. تنفيذ التجربة في عدد من المقررات.

II. قياس الأداء.

المرحلة الرابعة: التقويم والتحسين

I. تحليل النتائج.

II. إدخال تحسينات مستمرة.

سادسًا: مؤشرات قياس نجاح التصور

1. ارتفاع متوسط تضمين المهارات الناعمة إلى (3.5 من 4).
2. انخفاض الفجوة المعيارية إلى أقل من (5%).
3. زيادة التوازن في التوزيع بين المهارات.
4. تحسن جاهزية الخريج لسوق العمل.

تُعدّ هذه المؤشرات نقطة تحول في تقييم البرامج الأكاديمية، إذ تنتقل من مقاربات ذاتية ونوعية إلى مقاربات كمية موضوعية قابلة للقياس والمقارنة. إن تحديد مؤشرات كمية واضحة يُمكّن المؤسسة التعليمية من رصد تقدمها بشكل دوري، ويُتيح لها إدخال التحسينات المستندة إلى بيانات دقيقة لا إلى انطباعات عامة. كما أن هذه المؤشرات تُعزز من الشفافية والمساءلة في العملية التعليمية، وهو ما يُسهم في بناء ثقة المستفيدين والشركاء من مؤسسات سوق العمل.

يتوافق هذا التصور التنفيذي مع ما توصل إليه الحسن (2016، ص 110) من أن "إعادة بناء البرامج الأكاديمية يتطلب مراحل تدريجية تبدأ بالتشخيص وتنتهي بالتقويم المستمر". كما يُشير السالمي

(2019، ص 47) إلى أن "مؤشرات النجاح يجب أن تكون كمية وقابلة للقياس، حتى يمكن تقييم فعالية التصور وإدخال التحسينات اللازمة".

وبالجملة، قدم هذا المحور تصورًا تنفيذيًا متكاملاً لمعالجة الفجوات التي كشفت عنها الدراسة في المحاور السابقة، حيث انتقل من التشخيص إلى وضع حلول عملية قابلة للتطبيق، ترتكز على إعادة تصميم المقررات، وتطوير أساليب التدريس، وإعادة بناء أدوات التقويم، بما يضمن إدماجًا حقيقيًا للمهارات الناعمة داخل البرنامج الأكاديمي.

كما يؤكد هذا التصور أن تطوير البرامج الأكاديمية لم يعد خيارًا تحسينيًا، بل أصبح ضرورة استراتيجية تفرضها التحولات المتسارعة في سوق العمل الرقمي، وما يصاحبها من تغير في طبعية الوظائف والكفاءات المطلوبة.

وانطلاقًا من هذا البناء التحليلي والتطبيقي، ينتقل البحث محور الخاتمة العامة للدراسة والنتائج والتوصيات النهائية، والتي ستلخص أهم النتائج، وتقدم مقترحات استراتيجية قابلة للتنفيذ على مستوى البرنامج والمؤسسة التعليمية.

المحور السادس: الخاتمة والنتائج والتوصيات

أولاً: الخاتمة العامة للدراسة

هدفت هذه الدراسة إلى تشخيص واقع تكامل مهارات التعلم المستمر والتكيف المهني في برنامج دراسات المعلومات بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم السودانية، بوصفه البرنامج الوحيد في تخصص دراسات المعلومات على مستوى الجامعات السودانية، وذلك في ضوء متطلبات سوق العمل الرقمي والمعايير المهنية الدولية (IFLA/ALA/CILIP)، باستخدام منهج تحليلي كمي ونوعي قائم على تحليل المحتوى والمقارنة المعيارية.

وقد أظهرت النتائج أن البرنامج يمتلك أساسًا معرفيًا وتخصصيًا جيدًا، إلا أن مستوى إدماج المهارات الناعمة ما يزال في نطاق متوسط وغير متوازن، مع تركيز على المهارات التقليدية مثل التواصل والعمل الجماعي، مقابل ضعف واضح في المهارات القيادية والوجدانية والاستراتيجية المرتبطة مباشرة بسوق العمل الرقمي.

كما تبين أن إدماج هذه المهارات يتم بصورة جزئية وغير مقننة، دون تكامل بنيوي بين الأهداف والمخرجات والتقويم واحتياجات سوق العمل.

ثانيًا: النتائج

1. النتائج العامة في تكامل المهارات الناعمة:

I. بلغ المتوسط الحسابي العام لتضمين المهارات الناعمة في الأهداف العامة (2.17) وفي مخرجات التعلم (2.33)، بمستوى متوسط وفق مقياس الدراسة، مما يدل على وجود توجه جزئي نحو تضمين هذه المهارات دون تكامل بنيوي.

II. جاء التوزيع الكلي للمهارات داخل المقررات بنسبة (6.23%) مع انحراف معياري (4.09)ودرجة تشتت مرتفعة (0.66)، مما يعكس اختلالاً واضحًا في توزيع المهارات وغياب سياسة أكاديمية موحدة.

III. سجلت مهارة التواصل الفعال أعلى نسبة تضمين (17%)، نظرًا لارتباطها المباشر بطبيعة مقررات الخدمات المعلوماتية.

IV. سجلت مهارات القيادة والذكاء العاطفي والتفاوض أدنى نسبة (3%) كل منها، مما يعكس ضعفًا بنيويًا في المهارات القيادية والوجدانية.

V. يقتصر إدماج المهارات الناعمة على حضور ضمني في غالبية المقررات، دون صياغة صريحة في الأهداف والمخرجات.

VI. بلغت نسبة التكامل الكلية للمهارات الناعمة داخل البرنامج نحو (27%)، وهي نسبة تقل عن المستوى المعياري المتوقع بنسبة (23%-) في برامج دراسات المعلومات الحديثة.

2. النتائج المرتبطة بسوق العمل الرقمي:

I. تبلغ الفجوة بين مستوى تضمين المهارات القيادية في البرنامج (3%) ومتطلبات سوق العمل الرقمي (15%) نحو (12%-)، مما يُضعف من قدرة الخريج على إدارة الفرق الافتراضية.

II. تبلغ فجوة الذكاء العاطفي (12%-)، وهو ما يحد من قدرة الخريج على التفاعل الإنساني الفعال في البيئات الرقمية غير المباشرة.

III. تبلغ فجوة التفاوض والإقناع (9%-)، مما يُضعف من قدرته على إدارة العلاقات المهنية وتحقيق التوافق في بيئات العمل التشاركية.

IV. تبلغ فجوة مهارات العرض والتقديم (9%-)، وهو ما يُحد من قدرته على التواصل الاحترافي المتقدم في الاجتماعات الافتراضية.

V. تبلغ فجوة إدارة الوقت (7%-)، وهو ما يُشكل تحديًا في بيئات العمل الرقمية متعددة المهام.

VI. بلغ المتوسط العام للفجوات في سوق العمل (9.83%-)، مما يؤكد أن البرنامج يُعد خريجين يمتلكون كفاءة معرفية تقنية دون الجاهزية السلوكية والمهنية المطلوبة.

3. النتائج المرتبطة بالمعايير الدولية:

I. تظهر مقارنة البرنامج بمعايير IFLA وALA وCILIP وجود انحراف بنيوي عن المتطلبات المهنية العالمية، خاصة في مجالات القيادة الرقمية والذكاء العاطفي.

II. تفتقر المقررات إلى الربط الصريح بالكفايات المهنية الدولية، إذ يقتصر التوافق على المهارات التقليدية (التواصل، العمل الجماعي).

I. يعكس انخفاض نسب التضمين في المهارات الاستراتيجية (القيادة، التفاوض، الإبداع) غياب مواءمة مع معايير CILIP في الكفاءات المهنية المتقدمة.

III. يُشير التحليل إلى ضرورة إعادة بناء المقررات بما يتوافق مع إطار IFLA للتعليم المهني في المعلومات، الذي يُركّز على التكامل بين المهارات التقنية والسلوكية.

IV. يتطلب الاعتراف الدولي بالبرنامج مواءمة صريحة مع معايير ALA في التعليم المكتبي، وهو ما يستدعي إدماج المهارات الناعمة في منظومة الجودة والاعتماد.

V. تُعدّ الفجوة المعيارية (9.83%-) مؤشرًا على ضعف التنافسية الدولية للبرنامج، وضرورة إعادة هندسته بما يُلبي المتطلبات العالمية.

ثالثًا: التوصيات

1. التوصيات المرتبطة بتطوير المقررات:

I. إعادة تصميم البرنامج ليتوافق مباشرة مع احتياجات سوق العمل الرقمي، عبر إدماج المهارات الناعمة في الأهداف والمخرجات بصورة صريحة ومقننة.

II. رفع نسب تضمين المهارات القيادية والوجدانية إلى ما لا يقل عن (15%)، عبر استحداث مقررات مستقلة في القيادة الرقمية والذكاء العاطفي.

2. التوصيات المرتبطة بالتدريب والتطبيق:

I. إدماج التدريب الميداني الواقعي المرتبط بمؤسسات المعلومات الرقمية، بما يتجاوز التدريب التقليدي في المكتبات الورقية.

II. تطوير المقررات لتشمل سيناريوهات مهنية مستمدة من سوق العمل الرقمي (محاكاة، دراسات حالة).

3. التوصيات المرتبطة بالتقويم والمعايير:

I. اعتماد تقويم قائم على الأداء (Portfolio, Performance-Based Assessment)، وليس الاختبارات النظرية فقط.

II. مواءمة البرنامج مع معايير IFLA وALA وCILIP لضمان التوظيفية العالمية والاعتراف الدولي.

4. التوصيات المرتبطة بالشراكات:

II. تعزيز الشراكات مع مؤسسات سوق العمل الرقمي لتحديث المهارات المطلوبة دوريًا، وإشراك أصحاب المصلحة في تصميم المقررات.

III. بناء شبكة عالمية للتعاون الأكاديمي والمهني: يُقترح إنشاء شراكات استراتيجية مع جامعات عالمية مرموقة في مجال دراسات المعلومات (مثل جامعات أمريكا الشمالية وأوروبا وأستراليا)، تتضمن تبادل الخبرات الأكاديمية والتدريب المشترك للطلاب والهيئة التدريسية، وإطلاق برامج مزدوجة للشهادات (Dual Degree Programs)،

وعقد ورش عمل مشتركة حول المهارات الناعمة في البيئات الرقمية. هذه الشراكات تُمكّن البرنامج من الاستفادة من التجارب العالمية الرائدة في دمج المهارات الناعمة، وتُعزز من جودة مخرجاته وقابلية توظيف خريجيه في سوق العمل الدولي، وتُسهم في بناء سمعة أكاديمية دولية تُجذب الطلاب والباحثين من مختلف أنحاء العالم.

IV. تطوير الشراكة التعاونية الأكاديمية مع قسم دراسات المعلومات بجامعة السلطان قابوس المتحصل على شهادة الأعتماد الدولية من CILIP، والذي أسهم في تطوير البرنامج الحالي والمساعدة في إعداده.

رابعًا: الخاتمة الختامية للورقة

تؤكد هذه الدراسة أن الفجوة بين برنامج دراسات المعلومات بجامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم السودانية ومتطلبات سوق العمل الرقمي المعاصر ليست فجوة معرفية تقنية فحسب، بل هي فجوة مهارية وسلوكية عميقة تتطلب إعادة بناء شاملة لفلسفة إعداد الخريج.

وأظهر التحليل المعياري المقارن وجود تكامل جزئي في المهارات التقليدية (التواصل، العمل الجماعي) مقابل ضعف بنيوي في المهارات القيادية والوجدانية والاستراتيجية.

كما توضح النتائج أن تحسين القدرة التنافسية للخريج في سوق العمل الرقمي مرهون بدمج حقيقي للمهارات الناعمة ضمن التصميم الأكاديمي، وليس كمكون إضافي أو هامشي.

وتفتح هذه النتائج المجال أمام دراسات مستقبلية لقياس أثر إعادة تصميم البرامج على نسب التوظيف الفعلية للخريجين في مؤسسات المعلومات الرقمية، وبناء نماذج تكامل معرفي بين تخصصات المعلومات والتربية وعلم النفس التنظيمي.

المحور السابع: قائمة مراجع الورقة

استندت الدراسة إلى كتب وأوراق علمية نشرت في مجلات محكمة وتقارير مهنية دولية. وقد تضمنت القائمة بعض المراجع الأجنبية الإضافية التي لم تُستخدم بشكل مباشر في نص الورقة، لكنها تُشكل إطارًا معرفيًا ومنهجيًا هامًا يُسند التحليل المعياري المقارن. وقد أُعدّت القائمة وفق نظام APA7.

أولاً: المراجع العربية:

إبراهيم، م. ع. (2021). المهارات الناعمة وأثرها في إعداد الخريجين لسوق العمل. القاهرة: دار الفكر العربي.

أحمد، س. ح. (2020). مناهج البحث في علم المكتبات والمعلومات. الرياض: مكتبة الملك فهد الوطنية.

جودات، م. ن. د. ص. وآخرون (2021–2022). برنامج بكالوريوس الشرف "دراسات المعلومات"؛ تخصص دقيق: "إدرة مؤسسات المعلومات" و"إدارة الوثائق والأرشيف". جامعة القرآن الكريم وتأصيل العلوم؛ كلية الآداب؛ قسم المكتبات والمعلومات (ودمدني ـ السودان). مستشار أكاديمي ومُقيَّم خارجي: كلية الآداب والدراسات الإجتماعية؛ جامعة السلطان قابوس (مسقط ـ عمان).

الحسن، ع. (2016). إدارة الجودة الشاملة في التعليم العالي. عمان: دار الفكر.

الخطيب، ن. م. (2019). إدارة مؤسسات المعلومات في البيئة الرقمية. عمان: دار المسيرة.

الزهراني، ف. ع. (2022). تطوير البرامج الأكاديمية في الجامعات العربية. جدة: دار الشروق.

السالمي، أ. (2019). المهارات الناعمة في بيئات العمل الرقمي. الرياض: دار رسم للنشر.

عبدالرحمن، هـ. م. (2023). التعليم الجامعي ومتطلبات سوق العمل الرقمي. الخرطوم: دار جامعة أفريقيا العالمية.

عبيدات، ع. وآخرون. (2018). الكفايات المهنية في التعليم الجامعي. عمّان: دار المسيرة.

ثانيًا: المراجع الأجنبية:

Camp, R. C. (1989). Benchmarking: The search for industry best practices that lead to superior performance. Milwaukee, WI: ASQ Quality Press.

Goleman, D. (2006). Emotional intelligence (10th anniversary ed.). New York, NY: Bantam Books.

International Federation of Library Associations and Institutions. (2019). IFLA guidelines for professional library education. https://www.IFLA.org/node/9152

OECD. (2013). PISA 2012 assessment and analytical framework: Mathematics, reading, science, problem solving and financial literacy. Paris: OECD Publishing. https://doi.org/10.1787/9789264190511-en

Robles, M. M. (2012). Executive perceptions of the top 10 soft skills needed in today's workplace. Business Communication Quarterly, 75 (4), 453–465. https://doi.org/10.1177/1080569912460400

Ury, W., & Fisher, R. (2011). Getting to yes: Negotiating agreement without giving in (3rd ed.). New York, NY: Penguin Books.

هذا، وبالله التوفيق السداد، وهو نعم المولي وولي النصير وعليه التكلان.

Fakhr Al-Muhaqqiqin Muhammad bin Al-Hasan Al-Hilli and His Role in Consolidating the Imami School of Al-Hilla . 682-771 AH / 1283-1369 AD: A Study of His Biography and Heritage

ali obayes hessen [1]
University of Babylon
ali.mamouri6@uobabylon.edu.iq
Mikhlif Najm Obaid Al Khafaji[2]
University of Babylon
sdgtgjh@gmail.com
M.M. Thamir Yasser Jabr Musa[3]
Najaf Education
allyawy68@gmail.com

Abstract:

This research examines the prominent scholar Fakhr Al-Muhaqqiqin Muhammad bin Al-Hasan Al-Hilli 682-771 AH and his pivotal role in consolidating the dimensions and identity of the Imami School of Al-Hilla during the 7th and 8th centuries AH. Al-Hilla School represented a remarkable transformation in Islamic thought in general and Imami Shiism in particular, led by scholars headed by Allama Al-Hilli and his son Fakhr Al-Muhaqqiqin.The study consists of two sections: First, the biography of Fakhr Al-Muhaqqiqin including his lineage, upbringing, family, teachers, students, and scientific journeys. Second, his scholarly heritage in world libraries through cataloging his manuscripts, printed works, and lost books in the fields of Quranic exegesis, Hadith, jurisprudence, its principles, and theology.The research concludes that Fakhr Al-Muhaqqiqin served as the connecting link between the founding generation and later students, and greatly contributed to preserving and enriching Imami heritage through his teaching, authorizations, and writings spread across libraries in Iraq, Iran, and the Islamic world.Keywords: Al-Hilla School, Fakhr Al-Muhaqqiqin, Allama Al-Hilli, Imami Thought, Manuscripts, Islamic Heritage.

Keywords: Al-Hilla School, Fakhr Al-Muhaqqiqin, Allama Al-Hilli, Imami Thought, Manuscripts, Islamic Heritage.

.

كتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي
نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

فخر المحققين محمد بن الحسن الحلي ودوره في ترسيخ مدرسة الحلة الإمامية 682–771هـ / 1283–1369م: دراسة في السيرة والتراث

م. علي عبيس حسين علي المعموري[1]

جامعة بابل

ali.mamouri6@uobabylon.edu.iq

م.م. مخلف نجم عبيد[2]

جامعة بابل الانشطة الرياضية

sdgtgjh@gmail.com

م.م ثام جابر ياسر موسى العلياوي[3]

تربية النجف الاشرف

allyawy68@gmail.com

ملخص:

تناول هذا البحث شخصية العالم الجليل فخر المحققين محمد بن الحسن الحلي 682هـ – 771هـ ودوره المحوري في ترسيخ أبعاد وهوية مدرسة الحلة الإمامية خلال القرنين السابع والثامن الهجري. وقد برزت مدرسة الحلة كتحول بارز في مسار الفكر الإسلامي عامة والمذهب الإمامي خاصة، بفضل نخبة من العلماء كان على رأسهم العلامة الحلي وابنه فخر المحققين.تضمن البحث مبحثين: الأول سيرة فخر المحققين من نسبه ونشأته وأسرته وشيوخه وتلاميذه ورحلاته. والثاني تراثه العلمي في مكتبات العالم من خلال حصر مصنفاته المخطوطة والمطبوعة والمفقودة في علوم التفسير والحديث والفقه وأصوله وعلم الكلام.وخلص البحث إلى أن فخر المحققين كان حلقة الوصل بين جيل التأسيس وجيل التلاميذ، وأسهم إسهاماً كبيراً في حفظ وإثراء التراث الإمامي من خلال تدريسه وإجازاته ومؤلفاته التي انتشرت في مكتبات العراق وإيران والعالم الإسلامي.الكلمات المفتاحية: مدرسة الحلة، فخر المحققين، العلامة الحلي، الفكر الإمامي، المخطوطات، التراث الإسلامي.

الكلمات المفتاحية : مدرسة الحلة فخر المحققين العلامة الحلي الفكر الإمامي المخطوطات التراث الإسلامي.

لكتاب وقائع الحادي عشر (11) حول رهانات البحث العلمي في ظل التكامل المعرفي نحو بناء معرفة متعددة التخصصات قادرة على الابتكار وصناعة التغيير تحت شعار
● حين تلتقي التخصصات يولد الابتكار ● 2026/07/11-10-09

مقدمة:

إذا كان البحث تطبيقيا فيجب ان تحتوي المقدمة على تمهيد مثلت "مدرسة الحلة" خلال الفترة الممتدة من بداية القرن السابع الهجري وحتى نهاية القرن الثامن الهجري تحولاً نوعياً في مسار الفكر الإسلامي عموماً، وفي الفكر الإمامي الاثني عشري خصوصاً. وقد أسهم ظهور نخبة من العلماء في هذه المدرسة أمثال: هبة الله بن نما الحلي ت575هـ/1180م، ومحمد بن إدريس الحلي ت598هـ/1193م، ويحيى بن البطريق الحلي ت600هـ/1203م، وعلي بن طاووس ت664هـ/1265م، والمحقق الحلي ت676هـ/1277م في إحداث نقلة نوعية على مستوى الدراسات العقائدية والكلامية والفقهية والأصولية (العاملي، 2005).إلا أن الدور الأبرز في ترسيخ هوية هذه المدرسة وبلورة معالمها كان للعلامة الحسن بن يوسف الحلي ت726هـ/1325م وابنه محمد بن الحسن الحلي الملقب بـ "فخر المحققين" ت771هـ/1369م. إذ لم يقتصر أثر العلامة الحلي على زعامته للمرجعية الدينية الشيعية في عصره، بل تجاوز ذلك إلى إحداث تحول منهجي في دراسة أصول العقيدة الإمامية، مما جعل منه ظاهرة علمية لها أتباعها ومؤيدوها. وقد واصل فخر المحققين من بعده عملية البناء والتأصيل للمنظومة الأصولية والفقهية والعقائدية التي أسسها والده، وكان له الدور الأكبر في حفظ التراث الفكري للمدرسة وإغنائه (الطهراني، 1983).ويهدف هذا البحث إلى دراسة سيرة فخر المحققين العلمية، والعوامل التي أسهمت في نبوغه، وحصر تراثه العلمي المخطوط والمطبوع والمفقود في مكتبات العالم.توطئةتميزت مدرسة الحلة بقدرتها على استقطاب طلاب العلوم الدينية من مختلف الأقاليم. وقد ساهم الاستقرار السياسي النسبي في ظل حكم المغول، وما قام به العلامة الحلي وابنه فخر المحققين من توطيد العلاقات مع السلطة، في جعل الحلة محط رحال العلماء القادمين من أطراف العراق وجبل عامل والمدينة المنورة رغبة في الدراسة على أيدي علمائها ونيل الإجازة في رواية الحديث (الأمين، 1983).وقد وُصف فخر المحققين بأنه أبرز علماء الحلة في القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي، لما حظي به من ثقة والده العلامة الحلي. فسعى العلماء للتعلم عنده وقراءة مصنفات والده عليه، فأجاز الكثير منهم.يتكون هذا البحث من مبحثين: الأول يتناول سيرته، والثاني يتناول تراثه في مكتبات العالم.المبحث الأول: سيرة فخر المحققين

ومثلت مدرسة الحلة تحولاً نوعياً في الفكر الإسلامي، وقد أسهم نخبة من العلماء أمثال المحقق الحلي ت676هـ في إحداث نقلة نوعية (العاملي، 2005، ص12). إلا أن الدور الأبرز كان للعلامة الحلي ت726هـ وابنه فخر المحققين ت771هـ (الطهراني، 1983، ج1، ص45)

تميزت مدرسة الحلة باستقطابها لطلبة العلوم الدينية، وما قام به العلامة الحلي وابنه فخر المحققين من توطيد العلاقة مع السلاطين المغول بعد الهدوء الأمني والاستقرار السياسي. وقد أتاح ذلك لهذه المدرسة أن تكون محط رحال طلاب العلوم الدينية، فقصده العلماء من أطراف العراق وخارجه كجبل عامل والمدينة المنورة وغيرهما، رغبة في الدراسة على أيدي علمائها وتحمل نقل الحديث عنهم بالإجازة.ويُوصف فخر المحققين بأنه أبرز علماء الحلة في القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، لما نال من ثقة والده العلامة، فسعى العلماء للتعلم عنده وقراءة كتب والده عليه، فأجاز الكثير من العلماء.

يتضمن هذا البحث مبحثين: الأول في سيرته، والثاني في تراثه في مكتبات العالم.

المبحث الأول: سيرتهأولاً: اسمه ومولده ونسبه هو محمد بن الحسن بن يوسف بن علي بن المطّهر الحليّ الأسديّ. ولد في مدينة الحلة سنة 682هـ / 1283م.

ويُعد القول الفصل في تأكيد نسبه لوالده العلامة الحليّ ت 726هـ/1325م لما ذكره العلامة الحلي في كتابه المسائل المهنائية.

.المبحث الأول:

سيرته أولاً: اسمه ومولده ونسبه:

هو محمد بن الحسن بن يوسف بن علي بن المطهر الحلي الأسدي، ولد في الحلة سنة 682هـ/1283م (عبود، 2010، ص23). ويُعد القول الفصل في نسبه ما ذكره والده في المسائل المهنائية (الطهراني، 1983، ج1، ص45).

ثانياً: نشأته

نشأ في الحلة التي أصبحت مركزاً علمياً بعد سلامتها من المغول سنة 656هـ/1258م (عبود، 2010، ص34) وتمكن الوفد إلى هولاكو من استحصال الأمان (الخوانساري، 1390هـ، ج2، ص115). وقد

وصفها الخوانساري بقوله: "هي من مشاهير مدن العراق واقعة بين النجف والحائر" (الخوانساري، 1390هـ، ج2، ص116).

ومارست تلك المعاهد نشاطها ,حتى بعد احتلال المغول لبغداد وبعد بروز مدرسة الحلّة الإمامية تمّكنت المدينة من احتلال الصدارة في الفكر الإمامي الاثني عشري , ونشأ فيها عدد كبير من العلماء البارزين الذين اصبحوا قبلة انظار طلاب العلم من معتنقي المذهب الإماميّ وغيره من المذاهب الأخرى , فقد وصفها الخوانساري : "هي من مشاهير مدن العراق واقعة بين النجف الأشرف والحائر المقدّس على مشرّفهما السلام ... وقد كانت قديمة التشيّع : وخرج منها من علمائنا كثير من الفحول ومزاراتهم هناك مشهورة

وقيل ايضا: "وقد نبعَ في الحلة فريق عظيم من العلماء والفقهاء والاطباء والفلاسفة والادباء والشعراء ما لا يحصون عدا لكثرتهم ,فطبقت شهرتهم الذائعة الافاق ,وخدموا العلوم الإسلامية والفنون والآداب العربية خدمات جلي

الشيخ سديد الدين يوسف بن علي بن محمد المطهّر الحلّيّ والد العلامة والمقداد السيوريّ الحلّيّ (ت:826هـ/1422م),وعبد الرحمن العتائقِيّ الحلّيّ (ت:790 هـ/ 1388(والشيخ أحمدُ بنُ فَهْد الحلّيّ (الشهيد الأول, 1988 ،5؛ ابن عنبة, د ت ،12؛ حسين الصدر , ت1988، 31)./1437م.

في هذه المدينة التي بزغ فيها نور هؤلاء الكوكبة من العلماءً نشأ فخر المحقّقيَن , الذي كان ينحدر من أسرة علمية بارزة على الصعيد الفكريّ, وَلعَلَّ من أهمِ رجال هذه الأسرة هم : المحقّق الحلّيّ(ت676هـ/1277م) والعلاّمة الحلّي وابنهّ فخر المحقّقين, كان فخر المحققين قد وضع له والده الأساس العلمَّي الصحيحَ إذ كان من أبرز شيوخه(الحرّ العامليّ ,أمل الآمل ,2)/ 261. ولم يتأثر بأحد أكثر من تأثره بوالده ,ولا نجانبُ الصَّواب اذا قلنا :إنّهُ شيخُهُ الأوحدُ, إذ مدَّه بالعلوم الدينية , ويبدو أن السبب الذي دعا فخر المحققين إلى ملازمة أبيه (العلامة الحلّيّ) ووصفه شيخًا وحيدًا له ؛هو التنوّع المعرفي لدى العلاّمة الحّليّ , والنبوغ العلميّ لديه, إذ إنه برع بأكثر من فنّ وعلم(,ما يؤكد اهتمام العلاّمة الحلي بولده اهتماما كبيرا , زيادة على ذلك فطنة فخر المحققين ونباهَتُيهُ ,واهتمامه بطلب العلم) وبراعته في علوم مختلفة وهو مازال في مقتبل العمر,نال (مرتبة الاجتهاد) قبل بلوغه سن الرشد.

ثالثاً: ألقابه وكناه

لقب بفخر المحققين (الحر العاملي، 1983، ص167) ويكنى بأبي طالب (الأفندي، 1981، ج5، ص12) وكناه ابن الفوطي أبو الفضائل محمد (ابن الفوطي، 1995، ص89).

رابعاً: أسرته

أسرة آل المطهر من بني أسد (عبود، 2010، ص41). والده العلامة الحلي ت726هـ (الحر العاملي، 1983، ص155)، جده سديد الدين يوسف ت662هـ (الخوانساري، 1390هـ، ج4، ص201)، خال أبيه المحقق الحلي ت676هـ (الحر العاملي، 1983، ص188)، عمه رضي الدين علي ت710هـ (الطهراني، 1983، ج15، ص112)، ولداه ظهير الدين ويحيى حيا 757هـ (الأفندي، 1981، ج5، ص15).العوامل التي أسهمت في نبوغه:شيوخه: لم تذكر المصادر إلا أباه العلامة وعمه رضي الدين (عبود، 2010، ص55)، وأجازه بكتاب الاستبصار للطوسي ت460هـ.تلاميذه: الشهيد الأول محمد بن مكي ت786هـ (الحر العاملي، 1983، ص184)، المتوج البحراني ت820هـ، المقداد السيوري ت826هـ (الخوانساري، 1390هـ، ج6، ص45)، أحمد بن فهد الحلي ت841هـ (الطهراني، 1983، ج2، ص89).الأحوال العامة: عاصر ابن تيمية الحراني ت728هـ/1327م (ابن خلدون، 2000، ص543).

شيوخة :

لقد أسلفنا اَلذكر من قبلُ بأنَّ فخر المحقّقين, نشأ في بيت علم وفضل فوالده العلّامة الحلّيُّ ,واحد من كبار علماء الحلّة, وكان بيته ملاذًا للعلماء, والطلاب ,إذ تعقدُ جلسات العلم ,وتطرح مسائله وقضاياه المختلفة في الفقه والحديث والتفسير والنحو والبلاغة وغيرها من العلوم ,وفي هذا الجوّ العلميّ نشأ فخر المحققين في ظلّ أبيه الذي تصدّر مجالس العلم دراسة وبحثًا وتأليفًا ومناقشًا ومحاورًا ومعلمًا ,فكان أبوُهُ أول شيوخه, الذي تلقى عنه وكان له الفضل الأكبر في التربية والرعاية والتعليم, أذ هَّيأَ له كلَّ أسباب النجاح , والوصول إلى ما وصل اليه, ولم تذكر المصادر التاريخية من شيوخهُ, إلا أباه العلّامة الحلّيّ وعمه رضي الدين عليّ بن يوسف بن علي بن المطّهر الحليّ (ت710هـ/1310م), ولم يكن فخر المحققين, بحاجة إلى شيوخ , مع وجود أبيه, الذي يلجأ الية أكثر علماء عصره طالبين العلم والإجازة منه والتتلمذ على يديه, فَرَوَى عن أبيه وعمّهِ,وأجازه والده: بكتاب الاستبصار وكتاب :الرجال للشيخ الطوسي محمد بن الحسن الطوسي (ت: 460هـ/م) وقرأ على أبيه, كتاب: مَنْ لا يحضره الفقيه للشيخ الصدوق, من أولِهِ الى آخره كتاب الصلاة ,وباقي الكتاب الى اخرة سماعًا عليه ,وقرأ عليه ايضُاً ,كتاب: النجاشي أبي العباس أحمد بن علي بن أحمد

بن العباس الأسدي الكوفي(ت: 450هـ /1058م), وسمع منة ايضا, كتاب: الكشي أبا عمرو محمد بن عمر بن عـــــــبد العزيـــز(ت: 951/340م) (الأمالي, الطوسي,222؛ ابن حجر, لسان الميزان87/1؛ المحقق الداماد, الرواشح السماوية,126؛المازندراني, منتهى المقال في احوال الرجال,244/5.)إلى غير ذلك من كتب الحديث والفقه والرجال.

والأستاذ الثاني لفخر المحققين, هو عُمهُ الشيخ رضي الدين عليّ بن يوسف بن علي بن المطّهر الحلّيّ (ت: 710هـ/1310م)

ثانيًا–تلاميذه واثر حلقاتُه ومجالسه الدراسيّةُ فيهم :

مّما لا شك فيه أنَّ فخر المحققين قَد أسْهَمَ في التأثير في الجيل الذي عاصرة في ضوء حلقاته الدراسيّة ومجالسه العلمّية التي كان يعقدها بدَلالة اهتمامهم بكتبه والنقل منها ,وأثر فيهم أثرًا بارزًا في الحياة السياسيةّ والاجتماعيةّ والعلمّية والدينية في الحلة ,وخارجها إذ اجل طلبته أصبحوا علماء يُشَارُ اليهم بالبنانِ , ومنهم:

1- الشيخ محمدٌ بنُ مكّي العامليّ المعروف بالشهيد الاول (ت:786هـ1374م):

2-الشيخ أحمد بن عبد الله المتوّج البحراني (ت:820 هـ/1417م) زعيم الإماميّة في زمانه(وهو فاضل ,عالم ,جليل, فقيه)

3-الشيخ المقداد السيوري (ت826هـ/1422م)

4-الشيخ أحمُد بنُ فَهْدٍ الحلّي (ت :841 هـ/1437م)

ثالثاً: رحلاته العلمّية :

1-رحلته إلى بغداد: لفخر المحققين رحلة إلى بغداد وله فيها مجلس درس اذ دَرَّس فيه الفقه

2-رحلتُه إلى النجف الأشرف وكربلاء المقدسة :

3-رحلاته إلى بلاد المشرق الاسلامي للمناظرة مع ابيه وتأسيس المدرسة السيارة: ()

4-رحلتهُ إلى مكة المكرمةَ والمدينةِ المنورة لأداء الحجّ: ()

رابعاً ـ الأحوال العامة في عصره:

شهد العصر الذي عاش فيه فخر المحققين أحوالًا وأوضاعًا مختلفة فكريًّا وسياسيًّا عن القرون السابقة ، فقد شهد القرن الثامن الهجريّ ظهور الفكر الشيعيّ بوصفه قّوة متمّيزة ذات أصول ومبادئ مستقلة ,يخضع الحكم المغولي لها, وضربت النقود بأسماء أئمة أهل البيت عليهم السلام في كلّ مناطق حكمهم في العراق وإيران ومناطق أخرى , ولأول مرة في تاريخ الشيعة نُشَر الفكُر الشيعيَّ بوساطة (المدرسة السيارة) معززة

بمصادر الفكر الشيعيّ الحليَّ بعد ان تبؤأت الحلّةُ في القرنين السابع والثامن الهجري السيادة الفكرية في (العراق وإيران) بما أنجبت من محدثين نابهين وعلماء أفذاذ, وازدهر الأدب الشيعيّ في مجالات العقيدة والشريعة والفنون، ويعد فخر المحقّقين قائد التجديد في الفكر الشيعي في مجالات العقيدة والشريعة.

شهادات العلماء:

قال عنه ابن الفوطي: "الفقيه الحكيم الأصولي" (ابن الفوطي، 1995، ص90).المبحث الثاني: مصنفاتهيُعد صاحب تصانيف كثيرة، ذكر له الحر العاملي خمسة كتب (الحر العاملي، 1983، ص168)، والأفندي أحد عشر كتاباً (الأفندي، 1981، ج5، ص13)، والطهراني خمس عشرة (الطهراني، 1983، ج1، ص45)، وحصرها عبود باثنين وثلاثين (عبود، 2010، ص112).

أولاً: المخطوطات غير المحققة:

التفسير لغةً: بيان شيء وإيضاحه (ابن فارس، 1991، ج4، ص503)،

اصطلاحاً: كشف المعنى المراد (الزركشي، 1994، ج1، ص13).

حاشية قرآن فخر المحققين 300 صفحة (الطهراني، 1983، ج6، ص212).

الفقه لغةً: الفهم (الفيروزآبادي، 2005، ص89)،

اصطلاحاً: العلم بالأحكام الشرعية (الشوكاني، 1999، ص5).

اثنا عشر إمام: (فهرس الآستانة الرضوية، د.ت، ج18، ص485)

أجوبة المسائل الآمليات: (فهرس جامعة طهران، د.ت، ج2، ص1022)

أجوبة المسائل الفقهية: (فهرس المرعشي، د.ت، ج1، ص5594)

أجوبة مسائل بعض الأجلة: (فهرس الإمام الحكيم، د.ت، ج5، ص548)

حاشية إرشاد الأذهان: (فهرس مركز إحياء التراث، د.ت، رقم953)

حاشية تحرير الأحكام: (فهرس مجلس الشورى، د.ت، ج2، ص11400)

المسائل الفخرية: (فهرس نوربخش، د.ت، ج6، ص485)

المسائل الناصريات: (فهرس ملك، د.ت، رقم649)واجبات الصلاة: (فهرس المرعشي، د.ت، ج6، ص14117)

ثانياً: المطبوعة

ثلاثة وأربعون حديثاً: (مجلة علوم الحديث، 2004، ع12، ص159).

العقيدة لغةً: الربط والشد (ابن منظور، 1994، ج3، ص298)،

علم الكلام: صناعة يُقتدر بها على نصرة الآراء (ابن خلدون، 2000، ص543).

إرشاد المسترشدين 40 نسخة (فهرس المكتبات الإيرانية، د.ت، ج3، ص45)، أشهرها ملي طهران (فهرس ملي، د.ت، ج6، ص3044)،

تحصيل النجاة طبع في الحلة (مركز العلامة الحلي، 2018، ص12)،

العقائد الفخرية (ميراث إسلامي، 2005، ع4، ص78)،

معراج اليقين (العتبة العباسية، 2015، ص5)، النكت الاعتقادية بغداد 1343ه (المطبعة العصرية، 1343ه، ص1)

إجابات مسائل ابن زهرة (فهرس المرعشي، د.ت، ج3، ص1531)

المسائل المهنائية (النشر الإسلامي، 1405ه، ص22) إيضاح الفوائد (فهرس أمير المؤمنين، د.ت، رقم3694) جامع الفوائد برنستونPrinceton) ، n.d، 399No(، الحج المتمتع به (فهرس جامعة طهران، د.ت، ج3، ص1033)،

غاية السؤول (مركز العلامة الحلي، 2019، ص8)

الفخرية الحجرية طهران 1315ه (دار الكتب، 1315ه، ص1).

نهاية المأمول (مركز العلامة الحلي، 2020، ص10)

.ثالثاً: المفقودة: تعليقه على الشرائع (الطهراني، 1983، ج4، ص211)

(الطهراني، 1983، ج7، ص33)، رسالة في الزكاة (الطهراني، 1983، ج12، ص88)، رسالة اللمعة (الطهراني، 1983، ج13، ص145)، رسالة إلى رشيد الدين (الطهراني، 1983، ج14، ص201)، شرح الفصول النصيرية (الطهراني، 1983، ج15، ص76)، الكافية الوافية (الطهراني، 1983، ج17، ص98)، المسائل الفخرية (الطهراني، 1983، ج20، ص55)، منابع أسرار (الطهراني، 1983، ج22، ص112)، نهاية الحال (الطهراني، 1983، ج24، ص301).

الخاتمة :

دراسة سيرة فخر المحققين محمد بن الحسن الحلي (682-771هـ/1283-1369م) ودوره في ترسيخ مدرسة الحلة الإمامية لا تمثل دراسة لسيرة عالم فحسب، بل هي دراسة لتحول مفصلي في تاريخ الفكر الإسلامي عموماً والفكر الإمامي الاثني عشري خصوصاً. وقد توصل هذا البحث بعد تتبع سيرته وحصر تراثه المخطوط في مكتبات العالم إلى مجموعة من الاستنتاجات الجوهرية التي يمكن إيجازها في النقاط الآتية:

1. الحلة والتحول من الهامش إلى المركز:

أثبت البحث أن مدينة الحلة المزيدية التي أسسها صدقة بن مزيد الأسدي سنة 495هـ/1101م (عبود، 2010، ص 19) لم تكن مجرد مدينة عربية، بل كانت مشروعاً حضارياً متكاملاً. فبعد سقوط بغداد بيد المغول سنة 656هـ/1258م، وفرار العلماء إلى البطائح، استطاع وفد علماء الحلة استحصال الأمان لهولاكو، وهذا الأمان السياسي هو الذي هيأ المناخ العلمي. فمدرسة الحلة لم تنشأ في فراغ، بل نشأت على أنقاض مدارس بغداد، واستقطبت ما تبقى من علماء الشيعة بعد دخول السلاجقة بغداد سنة 447هـ. وفي هذا السياق برزت أسرة آل المطهر كبنية عشائرية علمية، فالمحقق الحلي هو خال العلامة، والعلامة هو والد فخر المحققين، ورضي الدين هو عم فخر المحققين، وهذا التداخل الأسري هو الذي ضمن استمرارية المدرسة.

2. فخر المحققين والوراثة العلمية الحصرية:

خلافاً لبقية علماء عصره الذين تتلمذوا على عدة شيوخ، فإن المصادر الرجالية لم تذكر لفخر المحققين شيخاً يُعتد به سوى والده العلامة الحلي وعمه رضي الدين علي (الحر العاملي، 1983، ص 168). وهذا التفرد ليس ضعفاً بل هو قوة، لأنه جعله الوريث الحصري لموسوعة والده التي بلغت أكثر من مئة مصنف. فالعلامة الحلي في إجازته لبني زهرة يذكر أنه يروي معظم مصنفات الإمامية والجمهور، وعندما أجاز ولده في رجب سنة 736هـ بقوله "أجزت له رواية جميع ما صنفته وألفته ورويته" (الطهراني، 1983، ج1، ص45) فإنه عملياً نقل مكتبة كاملة بسند واحد. وهذا يفسر لماذا كان العلماء يشدون الرحال من جبل عامل كالشهيد

الأول (ت786هـ) والمدينة المنورة ليقرأوا عليه كتب والده وينالوا الإجازة، فهو كان جسر العبور الوحيد لهذا التراث

.3. الأبوة العلمية ودوره في التأسيس للمرجعية

إن أهم ما يميز فخر المحققين أنه لم يكن مقلداً لوالده، بل كان مجتهداً مطلقاً قبل البلوغ كما نصت المصادر، وهذا ما أهله ليكون شارحاً لا ناقلاً. فكتبه الثلاثة الكبرى (إيضاح الفوائد في شرح إشكالات القواعد، وغاية السؤول في شرح تهذيب الوصول، ونهاية المأمول في شرح مبادئ الوصول) هي في حقيقتها تأسيس لمنهج أصولي جديد، فهو حول متن والده من متن فقهي إلى نظرية أصولية متكاملة. وبذلك يكون قد نقل مدرسة الحلة من مرحلة جمع الروايات إلى مرحلة التنظير الأصولي والكلامي، وهو ما مكنها من مواجهة التيار السلفي الذي كان يقوده ابن تيمية الحراني ت728هـ في دمشق في نفس الفترة، فكتابه الكافية الوافية في الكلام المفقود (الطهراني، 1983، ج17، ص98) كان رداً مباشراً على هذا التيار.4. التراث المخطوط بين الضياع والحفظ:

كشف الحصر الميداني الذي قام به هذا البحث في فهارس المكتبات العالمية عن حقيقة صادمة، وهي أن تراث فخر المحققين البالغ 32 كتاباً (عبود، 2010، ص112) لا يزال 70% منه غير محقق. فالمخطوطات غير المحققة وعددها 12 رسالة موزعة بين مكتبة الآستانة الرضوية (فهرس الآستانة، د.ت، ج18، ص485) ومكتبة المرعشي (فهرس المرعشي، د.ت، ج1، ص5594) ومجلس الشورى (فهرس مجلس الشورى، د.ت، ج2، ص11400) ومكتبة ملك ونوربخش والإمام الحكيم، كلها تنتظر التحقيق. أما الكتب المطبوعة فهي قليلة وطبعت طباعة حجرية قديمة سنة 1315هـ أو طبعات حديثة متواضعة في العتبة الحسينية والعباسية، وهذا يعني أننا أمام مشروع علمي كبير لم ينجز بعد. والمخطوطات المفقودة العشرة التي ذكرها الطهراني (الطهراني، 1983، ج4-ج24) تدل على حجم الضياع الذي لحق بالتراث الحلي بسبب عدم الاهتمام.ثانياً: التوصياتيوصي الباحث بضرورة قيام مركز تراث الحلة والعتبة الحسينية المقدسة بتشكيل فريق متخصص لتحقيق المخطوطات غير المحققة وخاصة حاشية تحرير الأحكام وحاشية إرشاد الأذهان.ضرورة إنشاء مكتبة رقمية خاصة بتراث مدرسة الحلة تجمع صور المخطوطات الموزعة في إيران والعراق وبرنستون.دعوة طلبة الدراسات العليا في جامعة بابل لدراسة تلاميذ فخر المحققين كالشهيد الأول والمقداد السيوري كامتداد جغرافي لمدرسة الحلة في جبل عامل.ثالثاً: القول الفصلإن فخر المحققين لم يكن

مجرد ابن للعلامة الحلي، بل كان المؤسس الثاني لمدرسة الحلة. فإذا كان العلامة قد وضع الأساس النظري، فإن فخر المحققين هو الذي بنى الجدران وسقف المدرسة وحفظها من الانهيار بعد وفاة والده سنة 726هـ، واستمر يدرس ويُجيز حتى وفاته سنة 771هـ، أي ما يقارب 45 سنة من العطاء المتواصل، جعلت من الحلة قبلة للعالم الشيعي، ومركزاً للاجتهاد انتقل منه إلى النجف الأشرف فيما بعد. وبهذا يكون قد أدى الأمانة العلمية وحفظ تراث آل البيت.

المصادر :

1 عبود، ك. (2010). فخر المحققين الحلي حياته وآثاره. النجف: دار الزهراء.
2 الطهراني، آ. (1983). الذريعة إلى تصانيف الشيعة. بيروت: دار الأضواء.
3 الحر العاملي، م. (1983). أمل الآمل. بغداد: مكتبة الأندلس.
4 الأفندي، ع. (1981). رياض العلماء. قم: الخياط.
5 ابن فارس، أ. (1991). مقاييس اللغة. بيروت: دار الفكر.
6 الزركشي، ب. (1994). البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار المعرفة.
7 الفيروزآبادي، م. (2005). القاموس المحيط. بيروت: مؤسسة الرسالة.
8 الشوكاني، م. (1999). إرشاد الفحول. بيروت: دار الكتاب العربي.
9 ابن منظور، م. (1994). لسان العرب. بيروت: دار صادر.
10 ابن خلدون، ع. (2000). المقدمة. بيروت: دار الفكر.
11 الخوانساري، م. (1390هـ). روضات الجنات. قم: إسماعيليان
12 ابن الفوطي، ع. (1995). مجمع الآداب. طهران: وزارة الثقافة.
13 علي عبيس , فخر المحشين محمد بن الحسن الحلي , العتبة الحسينية 2023.